

جمهورية سوريا العربية

في

عصور العرب في الزاهرة

الجزء الأول

العصر الحجري ، عصر صدر الإسلام

تأليف

أحمد زكي صفوت

أستاذ اللغة العربية بدار العلوم

الطبعة الأولى

١٣٥٦ هـ / ١٩٣٧ م / رقم ٦٩٨

كل الحقوق محفوظة

مقدمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أحمدك اللهم على سابغ نعمائك ، وضافى آلائك ، وأصلى وأسلم على صفوة أنبيائك ، سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الأخيار الأطهار .

وبعد : فقد كنت عند اختتام « جمهرة خطب العرب » ، قطعت على نفسى عهداً بإتلاؤها بصنوها في الرسائل ، وقد يسرلى التقدير المنان السبيل إلى إنجاز عدتى ، فهأنذا أصدر :

جمهرة رسائل العرب في عصور العربية الزاهرة

حاوية ما وسعه اطلاعى من رسائل أبناء العربية في عصور البلاغة ، في أجزاء أربعة :

الجزء الأول : ويحوى الرسائل في العصر الجاهلى ، وعصر صدر الإسلام

» الثانى : ويحوى الرسائل في العصر الأموى .

» الثالث : ويحوى الرسائل في العصر العباسى الأول .

» الرابع : ويحوى رسائل الأندلسيين .

ولم أورد في الجزء الأول ، مما أورده الشريف الرضى في نهج البلاغة من رسائل الإمام على كرم الله وجهه ، إلا ما اقتضاه المقام : مما كان حلقة مكملة لسلسلة مكاتبات ، أو رسالة مختصرة عثرت على تتمتها في مصدر آخر ، أو ماشا كل ذلك .

وقد أخرجت هذه الجهرة على غرار سابقتها ، ونهجت فيها منهجها ، فدأبت على التوفيق بين الروايات المختلفة للرسالة الواحدة ، وصغت منها صورة كاملة تؤلف بين أشتاتها ، وعنيت بضبط المشكل من ألفاظها ، وتصحيح المحرف ، وتحقيق المشوّه منها ، ورده إلى أصله ، وشفعتها بنبذة تاريخية توضح المقام الذى كتبت فيه ، وذيلتها بشرح مسهب يحلّى للقارئ فخواها . ولست أغلو! إن قلت إن ذلك الشرح بما حواه من فوائد لغوية ، وفرائد أدبية ، وطرائف تاريخية ، حرى أن يعد كتاباً قائماً بذاته .

وإخالى بإصدارها تين الجهرتين قد عبّدت طريق النشر القديم : الخطابى والكتابى : المتأدين ، ووطأت لهم مهاده ، ويسرت لمؤرخى الأدب العربى أن يتصفحوا خطب كل عصر ورسائله مجتمعة الشمل ، قريبة المأخذ ، سائغة التناول ، ووفرت عليهم ما يضطرون إليه البحث من بذل مجهود شاق ، وإضاعة وقت طويل ، فى التنقيب عنها ، وما تتطلبه من التحقيق والتعليق .

كما أرانى قد حبيت إلى شبابنا المتعلمين أن يجتنوا من ثمر الأدب العربى الشهى ، وينهلوا من مناهله العذبة ، ويلفوا فيه من فصاحة اللسان ، ورصانة البيان ، ما يؤمنون معه ببراء لغتهم ، وعلو كعبها ، وسمو مكاتبتها ؛ بين لغات الأمم ، أجل لقد كان من أكبر البواعث التى حدثت بى إلى تأليف

تينكم الجهرتين ، مارأيته في طلابنا المتأدين من عزوف عن كتب الأدب العربيّ
القديم وصدوف عنها ، لأنها عطل من الضبط ، خلو من التعليق والشرح ،
فضلا عما أفعمت به من التحريف الشائن ، والتشويه الشنيع ، فهم إذا
ما تاقت نفوسهم إلى مطالعتها لم يعتمدوا أن يحسم الضيق والضجر ، ويستحوذ
عليهم السأم والملل ، لو عورة مسلكها ، وصعوبة مرتقاها ، فسرعان ما يطوونها ،
ويلقون بها دون أن يفيدوا منها ما ينشدون .

وإني لا أستطيع أن أصور للقراء مبلغ ما عانيت من نصب في هذا
السبيل الذي يبدو لأول وهلة لاجباً سهل المسلك ، وحسبى أن يطلعوا
على عملي فيامسوا بأيديهم ما بذلته فيه من جهد مضن ، وكد ممض ، ضحيت
فيه بالكثير من وقتي وراحتي ، وبالنفيس من صحتي وقوتي ، لا أبتغي بذلك مالا
ولا صيتاً ، ولا ألتبس فيه جزاء إلا من العدل التقدير ، وإنما هو واجب البر
بهذه اللغة الشريفة ، والإخلاص في خدمتها والوفاء لها ، حفزني أن أضع حجراً
في بنيان نهضتها ، وأنظم خرزة في عقد زينتها .

اللهم سدد إلى طريق الخير خطانا ، ووفقنا إلى ما تطيب به ذكرانا ،

وتحمد به عقباننا ، وهي لنا من أمرنا رشداً

أحمد زكي صفوت

وحرر بالقاهرة في { المحرم ١٣٥٦
{ أبريل ١٩٣٧

فهرس

مأخذ الرسائل فى هذا الجزء

الأغانى : لأبى الفرج الأصبهاني : الجزء الثانى - السادس - الخامس

: عشر - الحادى والعشرون

تاريخ الأمم والملوك : لابن جرير الطبرى : الجزء الثانى - الثالث - الرابع -

: الخامس - السادس

تاريخ الكامل : لعز الدين بن الأثير : الجزء الأول - الثانى - الثالث

صبح الأعشى : لأبى العباس القلقشندى : « الأول - الثانى - الرابع -

: السادس - التاسع - العاشر -

: الثالث عشر - الرابع عشر

مجمع الأمثال : لأبى الفضل الميدانى : الجزء الأول - الثانى

العقد الفريد : لابن عبد ربه : « الأول - الثانى

جمهرة الأمثال : لأبى هلال العسكري : « الأول

سيرة النبى صلى الله عليه وسلم : لابن هشام : « الأول - الثانى

السيرة الحلبية : لابن برهان الدين الحلبي : « الثانى

صحيح الإمام البخارى : « الأول - الثانى - الرابع

الجامع الصحيح : للإمام مسلم : « الخامس

سنن النسائى : « الخامس - الثامن

المواهب اللدنية : للقسطلانى شرح الزرقانى : « الثالث - الرابع

أسد الغابة في معرفة الصحابة : لعز : الجزء الأول - الثاني - الثالث -

الدين بن الأثير . : الرابع

الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر : الجزء الثالث - السادس
العسقلاني . :

المواعظ والأعتبار بذكر الخطط : « الأول
والآثار : للمقرئ :

حسن المحاضرة في أخبار مصر : « الأول
والقاهرة : للسيوطي :

معجم البلدان : لياقوت الحموي : « الثاني - الثالث - الرابع -
الخامس :

تهذيب تاريخ ابن عساكر : الجزء الأول - الثاني - الثالث

الروض الأنف : للسهيلى : « الثاني

البيان والتبيين : للجاحظ : « الثاني

نهج البلاغة : للشريف الرضى : « الثاني

شرح نهج البلاغة : لابن أبي الحديد : المجلد الأول - الثاني - الثالث -

: الرابع

زهر الآداب : لأبي إسحق الحصرى : الجزء الأول

الكامل : للمبرد : « الأول - الثاني

لسان العرب : لابن منظور : الجزء السادس - السابع

أشهر مشاهير الإسلام : لرفيق بك العظم : « الثالث - الرابع

الإمامة والسياسة : لابن قتيبة : « الأول

الأمالى : لأبى على القالى : الجزء الثانى

مروج الذهب : للمسمودى : « الأول - الثانى

نهاية الأرب : لشهاب الدين النويرى : « السابع

عيون الأخبار : لابن قتيبة : المجلد الثانى

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة : الجزء الأول

لابن تغرى بردى .

المثل السائر فى أدب الكاتب والشاعر :

لضياء الدين بن الأثير .

الشفاء بتعريف حقوق المصطفى صلى :

الله عليه وسلم : للقاضى عياض .

خاص الخاص للشمس :

الخراج : لأبى يوسف :

فتوح الشام : لأبى إسماعيل محمد :

أبن عبد الله الأزدي البصرى .

ثمرات الأوراق : لابن حجة الحموى :

إعجاز القرآن : لأبى بكر الباقلانى :

فتوح البلدان : للبلاذرى :

تاريخ آداب اللغة العربية : للأستاذ :

حسن توفيق .

مفتاح الأفكار : للشيخ أحمد مفتاح :

فهرس الرسائل

الباب الأول

الرسائل فى العصر الجاهلى

رقم الصفحة	رقم الرسالة	الرسالة
٢	١	كتاب المذر الأكر إلى أنوشروان
٤	٢	« عمرو بن هند إلى عامله بالبحرين « صحيفة المتلمس »
٦	٣	« عبد العزى بن امرئ القيس الكلبي إلى قومه
٨	٤	« عدى بن زيد العبادى إلى أخيه أبى
١٠	٥	رد أخيه أبى عليه
١٢	٦	كتاب النعمان بن المذر إلى كسرى
١٣	٧	» » » » » »
١٤	٨	كتاب عبد المطلب بن هاشم إلى أخواله بيثرب
١٦	٩	» » » » » »
١٨	١٠	التحالف بين عبد المطلب بن هاشم وبين خزاعة
١٩	١١	« أكرم بن صيفى إلى طيى
٢١	١٢	» » » » » النعمان بن خميصة البارقي

الباب الثاني

الرسائل في عصر صدر الإسلام

كتب سيدنا ومولانا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يتصل بها

رقم الرسالة	رقم الصفحة
١	٢٥
كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والأنصار واليهود بالمدينة .	
٢	٣٠
كتاب الصلح بينه صلى الله عليه وسلم وبين قريش عام الحديبية	
٣	٣٢
كتابه صلى الله عليه وسلم إلى هرقل ملك الروم	
٤	٣٥
» » » » إلى كسرى ملك الفرس	
٥	٣٦
» » » » إلى النجاشي ملك الحبشة	
٦	٣٧
ردّ النجاشي على كتابه صلى الله عليه وسلم	
٧	٣٨
كتابه صلى الله عليه وسلم إلى المقوقس عظيم القبط	
٨	٣٩
ردّ المقوقس على كتابه صلى الله عليه وسلم	
٩	٤٠
كتابه صلى الله عليه وسلم إلى الحرث بن أبي شمر الغساني صاحب دمشق	
١٠	٤١
» » » » إلى المنذر بن ساوى ملك البحرين	
١١	٤٣
ردّ المنذر على كتابه صلى الله عليه وسلم	
١٢	٤٢
ردّه صلى الله عليه وسلم على كتاب المنذر	
١٣	٤٣
عهد العلاء بن الحضرمي لأهل البحرين	
١٤	٤٣
كتابه صلى الله عليه وسلم إلى أهل البحرين	
١٥	٤٣
» » » » إلى أهل هجر	
١٦	٤٤
» » » » إلى هوزة بن علي صاحب النيامة	

[illegible]

الرسالة	رقم الرسالة	رقم الصفحة
كتابه صلى الله عليه وسلم إلى أكرم بن صيفى	٣٩	٦٨
» » » » » لأبى ضميرة	٤٠	٦٩
» » » » » لبنى ضمرة بالموادعة	٤١	٧٠
» » » » » للداريين وهو بمكة	٤٢	٧٠
» » » » » بالمدينة	٤٣	٧٢
كتاب أبى بكر رضى الله عنه لهم	٤٤	٧٣
رواية أخرى		
كتابه صلى الله عليه وسلم للداريين	٤٥	٧٤
كتاب أبى بكر رضى الله عنه لهم	٤٦	٧٤
رواية ثالثة		
كتابه صلى الله عليه وسلم لهم	٤٧	٧٥
» » » » » إلى نصارى نجران	٤٨	٧٥
عهد » » » » » لأهل نجران	٤٩	٧٦
عهد أبى بكر رضى الله عنه لهم	٥٠	٧٩
عهد عمر رضى الله عنه لهم	٥١	٨١
عهد عثمان رضى الله عنه لهم	٥٢	٨٢
عهد على رضى الله عنه لهم	٥٣	٨٤
كتابه صلى الله عليه وسلم فى الصدقات	٥٤	٨٤
كتاب آخر له صلى الله عليه وسلم فى الصدقات	٥٥	٨٨
كتابه صلى الله عليه وسلم إلى أهل اليمن	٥٦	٨٩
خلافة أبى بكر الصديق رضى الله عنه		
رسالة مفتعلة على أبى بكر	٥٧	٩١

الرسالة	رقم الرسالة	رقم الصفحة
كتاب أبي بكر إلى أهل الردّة	٥٨	١١٤
» » » لأمرأء جيوش الردّة	٥٩	١١٧
كتاب خالد بن الوليد إلى أبي بكر	٦٠	١١٨
ردّ أبي بكر على كتاب خالد	٦١	١١٩
كتاب أبي بكر إلى عكرمة بن أبي جهل	٦٢	١١٩
عهد خالد بن الوليد لبني حنيفة	٦٣	١٢٠
كتاب أبي بكر إلى خالد بن الوليد	٦٤	١٢١
كتاب العلاء بن الحضرمي إلى أبي بكر	٦٥	١٢٢
» » » » » » »	٦٦	١٢٢
كتاب أبي بكر إلى العلاء	٦٧	١٢٣
كتاب أبي بكر إلى الطاهر بن أبي هالة	٦٨	١٢٣
كتاب أبي بكر إلى وجوه الين	٦٩	١٢٤
كتاب أبي بكر إلى المهاجر بن أبي أمية	٧٠	١٢٤
كتاب أبي بكر إلى عمال الردّة	٧١	١٢٥
كتاب أبي بكر إلى المهاجر بن أبي أمية	٧٢	١٢٥
» » » » » » »	١٣	١٢٥
» » » إلى خالد بن الوليد ومن معه	٧٤	١٢٦
» » » إلى المثني بن حارثة	٧٥	١٢٨
كتاب مذعور بن عدى إلى أبي بكر	٧٦	١٢٨
كتاب المثني بن حارثة إلى أبي بكر	٧٧	١٢٩
كتاب أبي بكر إلى مذعور بن عدى	٧٨	١٢٩
» » » إلى المثني بن حارثة	٧٩	١٢٩
» » » إلى خالد بن الوليد	٨٠	١٣٠

الرسالة	رقم الرسالة	رقم الصفحة
كتاب أبي عبيدة إلى أبي بكر	١٠٤	١٥١
» أبي بكر إلى خالد بن الوليد	١٠٥	١٥١
» خالد بن الوليد إلى المسلمين بالشام	١٠٦	١٥٢
» » » » إلى أبي عبيدة	١٠٧	١٥٢
» أبي بكر إلى أبي عبيدة	١٠٨	١٥٣
» خالد إلى الأمراء	١٠٩	١٥٣
» » إلى أبي بكر	١١٠	١٥٤
عهد أبي بكر عند موته لعمر بن الخطاب	١١١	١٥٥
خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه		
كتابه إلى أبي عبيدة بن الجراح	١١٢	١٥٦
كتاب عمر إلى الأمصار	١١٣	١٥٧
» » إلى أبي عبيدة	١١٤	١٥٧
» أبي عبيدة بن الجراح ومعاذ بن جبل إلى عمر بن الخطاب	١١٥	١٥٨
ردّ عمر على أبي عبيدة ومعاذ	١١٦	١٦٠
كتاب عمر إلى أبي عبيدة	١١٧	١٦١
عهد خالد بن الوليد لأهل دمشق	١١٨	١٦٢
» أبي عبيدة لأهل دمشق	١١٩	١٦٣
كتاب عمرو بن العاص إلى أبي عبيدة	١٢٠	١٦٥
» أبي عبيدة إلى عمر بن الخطاب	١٢١	١٦٦
ردّ عمر على أبي عبيدة	١٢٢	١٦٧
كتاب أبي عبيدة إلى عمر	١٢٣	١٦٨
» » » » »	١٢٤	١٦٩
ردّ عمر على أبي عبيدة	١٢٥	١٧٠

الرسالة	رقم الرسالة	رقم الصفحة
عهد أبي عبيدة لأهل بعلبك	١٢٦	١٧٣
كتاب أبي عبيدة إلى عمر	١٢٧	١٧٤
ردّ عمر على أبي عبيدة	١٢٨	١٧٥
كتاب أبي عبيدة إلى ميسرة بن مسروق	١٢٩	١٧٥
كتاب أبي عبيدة إلى عمر	١٣٠	١٧٦
ردّ عمر على أبي عبيدة	١٣١	١٧٦
كتاب عمرو بن العاص إلى أبي عبيدة	١٣٢	١٧٧
ردّ أبي عبيدة على عمرو	١٣٣	١٧٨
كتاب عمرو بن العاص إلى بطارقة إيلياء	١٣٤	١٧٩
« أهل إيلياء إلى عمرو بن العاص	١٣٥	١٨٠
« أبي عبيدة إلى عمر	١٣٦	١٨١
ردّ عمر على أبي عبيدة	١٣٧	١٨٢
كتاب باهان إلى قيصر	١٣٨	١٨٥
« أبي عبيدة إلى ميسرة بن مسروق	١٣٩	١٨٦
« « « « أهل إيلياء	١٤٠	١٨٦
« « « « عمر	١٤١	١٨٧
ردّ عمر على أبي عبيدة	١٤٢	١٨٨
كتاب سعيد بن زيد إلى أبي عبيدة	١٤٣	١٨٨
« أبي عبيدة إلى عمر	١٤٤	١٨٩
« عمر إلى معاوية	١٤٥	١٩١
« أرطوبون الرومي إلى عمرو بن العاص	١٤٦	١٩٤
ردّ عمرو على كتاب أرطوبون	١٤٧	١٩٣
عهد عمر بن الخطاب لأهل إيلياء	١٤٨	١٩٣

[illegible]

الرسالة	رقم الرسالة	رقم الصفحة
كتاب عمر إلى عمرو بن العاص	١٧١	٢١٤
» » » »	١٧٢	٢١٥
ردّ عمرو على عمر	١٧٣	٢١٥
كتاب عمر إلى عمرو	١٧٤	٢١٦
» عمرو إلى عمرو وردّه عليه	١٧٥	٢١٦
» عمر » عمرو	١٧٦	٢١٧
» » » »	١٧٧	٢١٩
ردّ عمرو على عمر	١٧٨	٢٢٠
» عمر على عمرو	١٧٩	٢٢٢
» عمرو على عمر	١٨٠	٢٢٢
كتاب عمر إلى عمرو	١٨١	٢٢٣
ردّ عمرو على عمر	١٨٢	٢٢٣
» عمر على عمرو	١٨٣	٢٢٤
كتاب أبي عبيد بن مسعود الثقفي إلى عمر	١٨٣م	٢٢٨
» عمر إلى المثني بن حارثة الشيباني	١٨٤	٢٢٩
» عمر إلى عماله	١٨٥	٢٣٠
» سعد بن أبي وقاص إلى عمر	١٨٦	٢٣٠
» عمر إلى سعد بن أبي وقاص	١٨٧	٢٣١
» » » » » » »	١٨٨	٢٣١
» » » » » » »	١٨٩	٢٣٢
» » » » » » »	١٩٠	٢٣٣
» » » » » » »	١٩١	٢٣٥
ردّ سعد على كتاب عمر	١٩٢	٢٣٦

رقم-م الصفحة	رقم الرسالة	الرسالة
٢٣٧	١٩٣	ردّ عمر على سعد
٢٣٧	١٩٤	كتاب عمر إلى سعد
٢٣٨	١٩٥	» سعد إلى عمر
٢٣٨	١٩٦	» عمر » سعد
٢٣٩	١٩٧	كتاب سعد إلى عمر
٢٣٩	١٩٨	» عمر » سعد
٢٤٠	١٩٩	» سعد » عمر
٢٤١	٢٠٠	» » » »
٢٤١	٢٠١	» » » »
٢٤٢	٢٠٢	» عمر » سعد
٢٤٢	٢٠٣	» » » »
٢٤٣	٢٠٤	» » » »
٢٤٤	٢٠٥	» » إلى قطبة بن قتادة
٢٤٤	٢٠٦	» » عتبة بن غزوان
٢٤٦	٢٠٧	» » » » » »
٢٤٧	٢٠٨	» » » » » »
٢٤٧	٢٠٩	» » المغيرة بن شعبه
٢٤٨	٢١٠	» » أهل البصرة
٢٤٨	٢١١	» » أبي موسى الأشعري
٢٥٠	٢١٢	» » » » » »
٢٥١	٢١٣	» » » » » »
٢٥٢	٢١٤	» » » » » »
٢٥٤	٢١٥	» سعد بن أبي وقاص إلى عمر

الرسالة	رقم الرسالة	رقم الصفحة
ردّ عمر على كتاب سعد	٢١٦	٢٥٤
كتاب عمر إلى سعد	٢١٧	٢٥٤
» » » »	٢١٨	٢٥٥
» » » »	٢١٩	٢٥٦
» » » »	٢٢٠	٢٥٦
» » » »	٢٢١	٢٥٧
» » » »	٢٢٢	٢٥٧
» » » »	٢٢٣	٢٥٧
» » » »	٢٢٤	٢٥٨
كتب بين سعد و بين عمر	٢٢٥	٢٥٨
كتاب عمر إلى سعد	٢٢٦	٢٥٩
» » » »	٢٢٧	٢٦٠
» » » » أبي عبيدة	٢٢٨	٢٦٠
» » » » سعد	٢٢٩	٢٦١
عهد عياض بن غنم لأهل البصرة	٢٣٠	٢٦١
كتاب عياض إلى أسقف الرها	٢٣١	٢٦٢
عهد عياض لأهل الرها	٢٣٢	٢٦٢
كتاب عمر إلى ملك الروم	٢٣٣	٢٦٣
» » » » حرقوص بن زهير	٢٣٤	٢٦٣
» » » » سعد	٢٣٥	٢٦٤
» » » » أبي موسى	٢٣٦	٢٦٤
» » » » أبي سبرة	٢٣٧	٢٦٥
» النعمان بن مقرن إلى عمر	٢٣٨	٢٦٥

الرسالة	رقم الرسالة	رقم الصفحة
كتاب عمر إلى سعد	٢٣٩	٢٦٦
كتاب عبد الله بن عبد الله بن عتبان إلى عمر	٢٤٠	٢٦٦
» عمر إلى النعمان بن مقرن	٢٤١	٢٦٧
» » » » » »	٢٤٢	٢٦٧
» عبد الله بن عبد الله بن عتبان	٢٤٣	٢٦٨
» » » القوَّاد بفارس	٢٤٤	٢٦٨
عهد النعمان بن مقرن لأهل ماه بهراذان	٢٤٥	٢٦٨
كتاب عمر إلى النعمان بن مقرن	٢٤٦	٢٦٩
كتاب عمر إلى النعمان	٢٤٧	٢٧٠
» » » نعيم بن مقرن	٢٤٨	٢٧٠
» » » عبد الله بن عبد الله بن عتبان	٢٤٩	٢٧٠
» » » أهل الكوفة	٢٥٠	٢٧١
عهد عبد الله بن عبد الله للفاذوسفان وأهل أصفهان	٢٥١	٢٧١
كتاب عمر إلى عبد الله بن عبد الله	٢٥٢	٢٧٢
كتب بين عمرو وبين حذيفة بن اليمان	٢٥٣	٢٧٢
» » » عثمان بن حنيف	٢٥٤	٢٧٣
كتاب عمر إلى نعيم بن مقرن	٢٥٥	٢٧٣
عهد نعيم بن مقرن لأهل الري	٢٥٦	٢٧٤
» » » » » دنباوند	٢٥٧	٢٧٤
كتاب عمر إلى نعيم بن مقرن	٢٥٨	٢٧٥
عهد سويد بن مقرن لأهل قومس	٢٥٩	٢٧٦
» » » » » جرجان	٢٦٠	٢٧٦
» » » » » طبرستان	٢٦١	٢٧٧

الرسالة	رقم الرسالة	رقم الصفحة
عهد عتبة بن فرقد لأهل أذربيجان	٢٦٢	٢٧٨
« سراقه بن عمرو لأهل أرمينية »	٢٦٣	٢٧٩
« بكير بن عبد الله لأهل موقان »	٢٦٤	٢٨٠
كتاب عمر إلى الأحنف بن قيس	٢٦٥	٢٨٠
« ابنه عبد الله » » »	٢٦٦	٢٨١
« شريح » » »	٢٦٧	٢٨١
« النعمان بن عدى » » »	٢٦٨	٢٨٢
« نصر بن حجاج إلى عمر »	٢٦٩	٢٨٣
« عمر لأنس بن مالك »	٢٧٠	٢٨٤
« أبي موسى الأشعري إلى عمر »	٢٧١	٢٨٥
ردّ عمر عليه	٢٧٢	٢٨٥
كتاب عمر إلى عماله	٢٧٣	٢٨٥
« أمير الطائف إلى عمر »	٢٧٤	٢٨٦
ردّ عمر عليه	٢٧٥	٢٨٦
كتاب عمر إلى يعلى بن أمية	٢٧٦	٢٨٧
كتاب غلام لعبد الله بن عمر إليه	٢٧٧	٢٨٧
ردّ عبد الله بن عمر على غلامه	٢٧٨	٢٨٨
كتاب عمر إلى الحصين بن الحرّ	٢٧٩	٢٨٨
« المغيرة بن شعبه » » »	٢٨٠	٢٨٨
« المغيرة بن شعبه إلى عمر »	٢٨١	٢٨٩
خلافة عثمان بن عفان رضى الله عنه		
كتابه الى عماله	٢٨٢	٢٨٩
« أمراء الأجناد » » »	٢٨٣	٢٩٠

الرسالة	رقم الرسالة	رقم الصفحة
كتابه إلى عمال الخراج	٢٨٤	٢٩٠
» » العامة	٢٨٥	٢٩١
» » عماله	٢٨٦	٢٩١
» » »	٢٨٧	٢٩٢
» » الوليد بن عقبة	٢٨٨	٢٩٢
» » عماله	٢٨٩	٢٩٣
» » أهل الأمصار	٢٩٠	٢٩٣
كتاب عثمان إلى أهل الكوفة	٢٩١	٢٩٤
» سعيد بن العاص إلى عثمان	٢٩٢	٢٩٤
ردّ عثمان على كتاب سعيد	٢٩٣	٢٩٥
كتب بين عثمان وبين سعيد بن العاص	٢٩٤	٢٩٥
كتاب معاوية إلى عثمان	٢٩٥	٢٩٦
» عثمان إلى معاوية	٢٩٦	٢٩٦
» » عبد الرحمن بن ربيعة	٢٩٧	٢٩٧
» مرزبان مرو إلى الأحنف بن قيس	٢٩٨	٢٩٨
ردّ الأحنف على كتابه	٢٩٩	٢٩٩
عهد حبيب بن مسلمة لأهل ديبيل	٣٠٠	٣٠٠
كتاب حبيب بن مسلمة إلى أهل جرجان	٣٠١	٣٠١
عهد حبيب لأهل جرجان	٣٠٢	٣٠١
كتاب سعيد بن العاص إلى عثمان	٣٠٣	٣٠٢
» عثمان إلى معاوية	٣٠٤	٣٠٣
» معاوية إلى عثمان	٣٠٥	٣٠٤
» عثمان إلى الأشتر وأصحابه	٣٠٦	٣٠٥

[illegible]

الرسالة	رقم الرسالة	رقم الصفحة
كتاب مروان بن الحكم الى معاوية	٣٢٨	٣٣٦
» معاوية الى طلحة بن عبيد الله	٣٢٩	٣٣٨
» » » الزبير بن العوام	٣٣٠	٣٣٩
» » » مروان	٣٣١	٣٤٠
» » » سعيد بن العاص	٣٣٢	٣٤١
» » » عبد الله بن عامر	٣٣٣	٣٤٣
» » » الوليد بن عقبة	٣٣٤	٣٤٤
» » » يعلى بن أمية	٣٣٥	٣٤٥
» مروان إلى معاوية	٣٣٦	٣٤٦
» عبد الله بن عامر إلى معاوية	٣٣٧	٣٤٨
» الوليد بن عقبة إلى معاوية	٣٣٨	٣٤٩
» يعلى بن أمية إلى معاوية	٣٣٩	٣٥١
» سعيد بن العاص إلى معاوية	٣٤٠	٣٥٢
كتاب السيدة أم سلمة إلى السيدة عائشة	٣٤١	٣٥٣
ردّ السيدة عائشة على السيدة أم سلمة	٣٤٢	٣٥٦
كتاب السيدة أم سلمة إلى عليّ	٣٤٣	٣٥٧
» الأشر إلى السيدة عائشة	٣٤٤	٣٥٨
ردّ السيدة عائشة على الأشر	٣٤٥	٣٥٨
كتاب طلحة والزبير إلى كعب بن سور	٣٤٦	٣٥٩
» » » الأحنف بن قيس	٣٤٧	٣٥٩
» » » المنذر بن ربيعة	٣٤٨	٣٦٠
ردّ كعب بن سور على طلحة والزبير	٣٤٩	٣٦٠
» الأحنف على طلحة والزبير	٣٥٠	٣٦٠

الرسالة	رقم الرسالة	رقم الصفحة
ردّ المنذر على طلحة والزبير	٣٥١	٣٦١
كتاب السيدة عائشة إلى زيد بن صوحان	٣٥٢	٣٦١
ردّ زيد بن صوحان على السيدة عائشة	٣٥٣	٣٦٢
كتاب الصلح بين أصحاب الجمل وبين عثمان بن حنيف	٣٥٤	٣٦٣
» على إلى عثمان بن حنيف	٣٥٥	٣٦٥
» طلحة والزبير إلى أهل الأمصار	٣٥٦	٣٦٦
كتاب السيدة عائشة إلى أهل الكوفة	٣٥٧	٣٦٧
» على إلى أهل الكوفة	٣٥٨	٣٦٩
» » » » »	٣٥٩	٣٧٠
» » أبي موسى الأشعري	٣٦٠	٣٧٢
» هاشم بن عتبة إلى عليّ	٣٦١	٣٧٢
» على إلى أبي موسى	٣٦٢	٣٧٣
» » » » »	٣٦٣	٣٧٥
» » أهل الكوفة	٣٦٤	٣٧٦
» السيدة عائشة إلى السيدة حفصة بنت عمر	٣٦٥	٣٧٧
» على إلى طلحة والزبير	٣٦٦	٣٧٧
» » السيدة عائشة	٣٦٧	٣٧٨
ردّ طلحة والزبير على عليّ	٣٦٨	٣٧٩
» السيدة عائشة على عليّ	٣٦٩	٣٧٩
كتاب عليّ إلى عامله بالكوفة	٣٧٠	٣٧٩
» الأحنف بن قيس إلى قومه	٣٧١	٣٨٠
» عليّ إلى جرير بن عبد الله البجلي	٣٧٢	٣٨١
» » الأشعث بن قيس	٣٧٣	٣٨٣

الرسالة	رقم الرسالة	رقم الصفحة
كتاب جرير إلى الأشعث	٣٧٤	٣٨٣
» عليّ إلى معاوية	٣٧٥	٣٨٤
ردّ معاوية على عليّ	٣٧٦	٣٨٥
كتاب عليّ إلى معاوية	٣٧٧	٣٨٥
ردّ معاوية على عليّ	٣٧٨	٣٨٦
كتاب عليّ إلى معاوية	٣٧٩	٣٨٦
» معاوية إلى عمرو بن العاص	٣٨٠	٣٨٧
» عليّ إلى جرير بن عبد الله	٣٨١	٣٩٠
» الوليد بن عقبة إلى معاوية	٣٨٢	٣٩٠
» » » » » »	٣٨٣	٣٩١
» » » » » »	٣٨٤	٣٩٣
ردّ معاوية على الوليد بن عقبة	٣٨٥	٣٩٣
كتاب عليّ إلى جرير	٣٨٦	٣٩٤
» عياض الثمالي إلى شرحبيل بن السمط	٣٨٧	٣٩٤
» آخر إلى شرحبيل بن السمط	٣٨٨	٣٩٦
ردّ معاوية على عليّ	٣٨٩	٣٩٨
» عليّ على معاوية	٣٩٠	٤٠٠
كتاب معاوية إلى عليّ	٣٩١	٤٠١
» » » » » »	٣٩٢	٤٠٢
ردّ المسور بن مخرمة على معاوية	٣٩٣	٤٠٢
كتاب رجل من الأنصار إلى معاوية وعمرو	٣٩٤	٤٠٣
» معاوية إلى ابن عمر	٣٩٥	٤٠٤
ردّ ابن عمر على معاوية	٣٩٦	٤٠٥

الرسالة	رقم الرسالة	رقم الصفحة
كتاب معاوية إلى سعد بن أبي وقاص	٣٩٧	٤٠٥
ردّ سعد على معاوية	٣٩٨	٤٠٦
كتاب معاوية إلى محمد بن مسلمة الأنصاري	٣٩٩	٤٠٧
ردّ ابن مسلمة على معاوية	٤٠٠	٤٠٧
كتاب معاوية إلى أبي أيوب الأنصاري	٤٠١	٤٠٨
ردّ أبي أيوب على معاوية	٤٠٢	٤١٠
كتاب شرحبيل بن السمط إلى معاوية	٤٠٣	٤١٢
» معاوية إلى عليّ	٤٠٤	٤١٣
ردّ عليّ على معاوية	٤٠٥	٤١٤
كتاب معاوية إلى عليّ	٤٠٦	٤١٥
ردّ عليّ على معاوية	٤٠٧	٤١٨
كتاب عليّ إلى معاوية	٤٠٨	٤٢٠
ردّ معاوية على عليّ	٤٠٩	٤٢١
ردّ عليّ على معاوية	٤١٠	٤٢٢
» معاوية على عليّ	٤١١	٤٢٣
» عليّ على معاوية	٤١٢	٤٢٣
» معاوية على عليّ	٤١٣	٤٢٤
» عليّ على معاوية	٤١٤	٤٢٤
» معاوية على عليّ	٤١٥	٤٢٧
» عليّ على معاوية	٤١٦	٤٢٧
كتاب معاوية إلى عليّ	٤١٧	٤٢٨
ردّ عليّ على معاوية	٤١٨	٤٢٩
كتاب عليّ إلى معاوية	٤١٩	٤٢٩

الرسالة	رقم الرسالة	رقم الصفحة
ردّ معاوية على عليّ	٤٢٠	٤٣٣
كتاب عليّ إلى معاوية	٤٢١	٤٣٣
» » » »	٤٢٢	٤٣٥
» معاوية إلى عليّ	٤٢٣	٤٣٦
ردّ عليّ على معاوية	٤٢٤	٤٣٨
كتاب معاوية إلى عليّ	٤٢٥	٤٤٤
ردّ عليّ على معاوية	٤٢٦	٤٤٧
كتاب عليّ إلى مخنف بن سليم	٤٢٧	٤٥٦
» » » عبد الله بن عباس	٤٢٨	٤٥٨
» » » » » » » »	٤٢٩	٤٥٩
» زياد بن النضر إلى عليّ	٤٣٠	٤٥٩
» شريح بن هانئ إلى عليّ	٤٣١	٤٦٠
» عليّ إلى زياد وشريح	٤٣٢	٤٦٠
» » » أمراء الأجناد	٤٣٣	٤٦٢
» » » الأجناد	٤٣٤	٤٦٣
» » » معاوية ومن قبله من قريش	٤٣٥	٤٦٣
ردّ معاوية على عليّ	٤٣٦	٤٦٥
كتاب عمرو بن العاص إلى ابن عباس	٤٣٧	٤٦٥
ردّ ابن عباس على ابن العاص	٤٣٨	٤٦٧
كتاب معاوية إلى ابن عباس	٤٣٩	٤٦٩
ردّ ابن عباس على معاوية	٤٤٠	٤٧٠
كتاب عليّ إلى معاوية	٤٤١	٤٧١
» معاوية إلى ملك الروم	٤٤٢	٤٧٣

الرسالة	رقم الرسالة	رقم الصفحة
كتاب معاوية إلى عليّ	٤٤٣	٤٧٣
ردّ عليّ على معاوية	٤٤٤	٤٧٥
كتاب معاوية إلى عليّ	٤٤٥	٤٧٦
ردّ عليّ على معاوية	٤٤٦	٤٧٨
كتاب معاوية إلى عليّ	٤٤٧	٤٨١
ردّ عليّ على معاوية	٤٤٨	٤٨٢
ردّ معاوية على عليّ	٤٤٩	٤٨٣
كتاب عليّ إلى عمرو بن العاص	٤٥٠	٤٨٤
ردّ عمرو على عليّ	٤٥١	٤٨٤
» عليّ على عمرو	٤٥٢	٤٨٥
» عمرو على عليّ	٤٥٣	٤٨٥
» عليّ على عمرو	٤٥٤	٤٨٥
كتاب الصلح بين عليّ ومعاوية	٤٥٥	٤٨٨
» بين عمرو بن العاص وأبي موسى الأشعري	٤٥٦	٤٩٥
» ابن عمر إلى أبي موسى	٤٥٧	٤٩٩
ردّ أبي موسى على ابن عمر	٤٥٨	٤٩٩
كتاب معاوية إلى أبي موسى	٤٥٩	٥٠٠
ردّ أبي موسى على معاوية	٤٦٠	٥٠٠
كتاب عليّ إلى أبي موسى	٤٦١	٥٠١
ردّ أبي موسى على عليّ	٤٦٢	٥٠١
كتاب أبي موسى إلى عامر بن عبد القيس	٤٦٣	٥٠٢
» عبد الله بن وهب إلى خوارج البصرة	٤٦٤	٥٠٢
ردّ خوارج البصرة	٤٦٥	٥٠٣

الرسالة	رقم الرسالة	رقم الصفحة
كتاب عليّ إلى الخوارج بالنهر	٤٦٦	٥٠٣
ردّ الخوارج عليه	٤٦٧	٥٠٤
كتاب عليّ إلى ابن عباس	٤٦٨	٥٠٤
كتاب عليّ إلى معاوية	٤٦٩	٥٠٥
خروج الخريت بن راشد الناجي		
كتاب عليّ إلى عماله	٤٧٠	٥٠٧
» قرظة بن كعب إلى عليّ	٤٧١	٥٠٧
ردّ عليّ على قرظة بن كعب	٤٧٢	٥٠٨
كتاب عليّ إلى زياد بن خصفة	٤٧٣	٥٠٩
» زياد بن خصفة إلى عليّ	٤٧٤	٥٠٩
» عليّ إلى ابن عباس	٤٧٥	٥١٠
ردّ عليّ على زياد بن خصفة	٤٧٦	٥١١
كتاب ابن عباس إلى معقل بن قيس	٤٧٧	٥١٢
كتاب معقل بن قيس إلى عليّ	٤٧٨	٥١٣
» عليّ إلى معقل بن قيس	٤٧٩	٥١٤
» » أشياخ الخريت	٤٨٠	٥١٥
» معقل بن قيس إلى عليّ	٤٨١	٥١٦
» عليّ إلى مصقلة بن هبيرة	٤٨٢	٥١٧
» مصقلة إلى أخيه نعيم	٤٨٣	٥١٩
ردّ نعيم على مصقلة	٤٨٤	٥١٩
كتاب قوم مصقلة إليه	٤٨٥	٥٢٠
ردّ مصقلة على قومه	٤٨٦	٥٢١
كتاب عليّ إلى أهل مصر	٤٨٧	٥٢٢

الرسالة	رقم الصفحة	رقم الرسالة
كتاب معاوية إلى قيس بن سعد	٥٢٤	٤٨٨
ردّ قيس بن سعد على معاوية	٥٢٥	٤٨٩
ردّ معاوية على قيس	٥٢٦	٤٩٠
» قيس على معاوية	٥٢٧	٤٩١
كتاب معاوية إلى قيس	٥٢٨	٤٩٢
ردّ قيس على معاوية	٥٢٨	٤٩٣
كتاب اختلقه معاوية على قيس بن سعد	٥٢٩	٤٩٤
» قيس بن سعد إلى عليّ	٥٣٠	٤٩٥
ردّ عليّ على قيس بن سعد	٥٣١	٤٩٦
» قيس بن سعد على عليّ	٥٣١	٤٩٧
عهد عليّ إلى محمد بن أبي بكر	٥٣٢	٤٩٨
كتاب عليّ إلى محمد بن أبي بكر وأهل مصر	٥٣٥	٤٩٩
» عليّ إلى أهل مصر	٥٤١	٥٠٠
» محمد بن أبي بكر إلى معاوية	٥٤٢	٥٠١
ردّ معاوية على محمد بن أبي بكر	٥٤٥	٥٠٢
كتاب عليّ إلى الأشر	٥٤٧	٥٠٣
» » » أهل مصر	٥٤٨	٥٠٤
» آخر إلى أهل مصر	٥٤٩	٥٠٥
كتاب عليّ إلى محمد بن أبي بكر	٥٥٢	٥٠٦
ردّ محمد بن أبي بكر على عليّ	٥٥٣	٥٠٧
كتاب معاوية إلى مسلمة بن مخلد ومعاوية بن حديج	٥٥٤	٥٠٨
ردّ مسلمة بن مخلد ومعاوية بن حديج على معاوية	٥٥٤	٥٠٩
كتاب عمرو بن العاص إلى محمد بن أبي بكر	٥٥٥	٥١٠

الرسالة	رقم الرسالة	رقم الصفحة
كتاب معاوية إلى محمد بن أبي بكر	٥١١	٥٥٦
» محمد بن أبي بكر إلى علي	٥١٢	٥٥٧
ردّ عليّ على محمد بن أبي بكر	٥١٣	٥٥٨
» محمد بن أبي بكر على معاوية	٥١٤	٥٥٩
» محمد بن أبي بكر على عمرو بن العاص	٥١٥	٥٥٩
كتاب عمرو بن العاص إلى معاوية	٥١٦	٥٦٠
» عليّ إلى ابن عباس	٥١٧	٥٦٠
ردّ ابن عباس على عليّ	٥١٨	٥٦١
كتاب علي إلى أهل العراق	٥١٩	٥٦٢
فتنة البصرة		
كتاب معاوية إلى عمرو بن العاص	٥٢٠	٥٧٢
ردّ عمرو على معاوية	٥٢١	٥٧٣
كتاب معاوية إلى أهل البصرة	٥٢٢	٥٧٤
» عباس بن صحر العبدى إلى معاوية	٥٢٣	٥٧٥
ردّ معاوية على عباس بن صحر	٥٢٤	٥٧٦
كتاب زياد إلى ابن عباس	٥٢٥	٥٧٧
» علي إلى زياد	٥٢٦	٥٧٨
» زياد إلى عليّ	٥٢٧	٥٧٨
» عليّ إلى أهل البصرة	٥٢٨	٥٧٩
» زياد إلى علي	٥٢٩	٥٨١
» عليّ إلى زياد	٥٣٠	٥٨٢
رد زياد عليه	٥٣١	٥٨٣

الرسالة	رقم الرسالة	رقم الصفحة
كتاب معاوية إلى زياد ابن أبيه	٥٣٢	٥٨٣
» عليّ إلى زياد	٥٣٣	٥٨٥
» عليّ إلى ابن عباس	٥٣٤	٥٨٦
» أبي الأسود الدؤلى إلى عليّ	٥٣٥	٥٨٧
ردّ عليّ على أبي الأسود	٥٣٦	٥٨٨
كتاب عليّ إلى ابن عباس	٥٣٧	٥٨٨
ردّ ابن عباس على عليّ	٥٣٨	٥٨٩
» عليّ على ابن عباس	٥٣٩	٥٨٩
» ابن عباس على عليّ	٥٤٠	٥٩٠
كتاب عليّ إلى ابن عباس	٥٤١	٥٩١
ردّ ابن عباس على عليّ	٥٤٢	٥٩٣
» عليّ على ابن عباس	٥٤٣	٥٩٣
» ابن عباس على عليّ	٥٤٤	٥٩٤
كتاب عقيل بن أبي طالب إلى عليّ	٥٤٥	٥٩٥
ردّ عليّ على عقيل	٥٤٦	٥٩٦
كتاب صعصعة بن صوحان إلى عقيل	٥٤٧	٦٠٠
» عليّ إلى كعب بن مالك	٥٤٨	٦٠٣
» عليّ إلى بعض عماله	٥٤٩	٦٠٣
» عليّ إلى سهل بن حنيف	٥٥٠	٦٠٤
» عليّ إلى المنذر بن الجارود العبدي	٥٥١	٦٠٥
» وقف لعليّ كرم الله وجهه	٥٥٢	٦٠٦
توقيعات الخلفاء الراشدين		٦٠٦

فهرس أعلام الكتاب

مرتب بترتيب الحروف الهجائية

مع إتباع اسم كل كاتب بأرقام الصفحات التي وردت فيها رسائله

الأشتر النخعي ٣٥٨	١
أكثم بن صيفي ٢١، ١٩	أبو الأسود الدؤلي ٥٨٧
أم سلمة ٣٥٧	أبو أيوب الأنصاري ٤١٠
ب	أبو بكر رضي الله عنه ٧٣، ٧٤، ٧٩،
باهران ١٨٥	٩١، ١١٤، ١١٧، ١١٩، ١٢١،
بكير بن عبد الله ٢٨٠	١٢٣، ١٢٤، ١٢٥، ١٢٦، ١٢٨،
ج	١٢٩، ١٣٠، ١٣١، ١٤١، ١٤٢،
جرير بن عبد الله البجلي ٣٨٣	١٤٣، ١٤٥، ١٤٦، ١٤٧، ١٥٠،
ح	١٥١، ١٥٣، ١٥٥، ١٥٦،
حبيب بن مسلمة ٣٠٠، ٣٠١	أبو الدرداء ٣٢٣، ٣٢٤، ٣٢٥،
حذيفة بن اليمان ٢٧٢	أبو عبيد بن مسعود الثقفي ٢٢٨
خ	أبو عبيدة بن الجراح ١٤٥، ١٤٩، ١٥١،
خالد بن الوليد ٦١، ١١٨، ١٢٠، ١٣٢،	١٥٨، ١٦٣، ١٦٦، ١٦٨، ١٦٩،
١٣٥، ١٣٦، ١٣٨، ١٣٩، ١٤٠،	١٧٣، ١٧٤، ١٧٥، ١٧٦، ١٧٨،
١٤١، ١٥٢، ١٥٣، ١٥٤، ١٦٢،	١٨١، ١٨٦، ١٨٧، ١٨٩، ١٩٧،
١٩٥	١٩٩، ٢٠٠،
	أبو موسى الأشعري ٢٨٥، ٤٤٩، ٥٠٠،
	٥٠١، ٥٠٢،
	أبي بن زيد العبادي ١٠
	الأخنف بن قيس ٢٩٩، ٣٦٠، ٣٨٠،
	أرطوبون الرومي ١٩١

ع

السيدة عائشة ٣٥٨ ، ٣٦١ ، ٣٦٧ ، ٣٧٧ ،

٣٧٩

عباس بن صحر العبدى ٥٧٥

عبد العزى بن امرئ القيس الكلبي ٦

عبد الله بن عامر ٣٤٨

عبد الله بن عباس ٤٦٧ ، ٤٧٠ ، ٥١٢ ،

٥٦١ ، ٥٨٩ ، ٥٩٠ ، ٥٩٣ ، ٥٩٤

عبد الله بن عمر ٤٠٣ ، ٤٠٥ ، ٤٩٩

عبد الله بن وهب ٥٠٢

عبد الله بن عتبان ٢٦٦ ، ٢٧١

عبد المطلب بن هاشم ١٤ ، ١٦ ، ١٨

عتبة بن فرق ٢٧٨

عثمان بن حنيف ٢٧٣ ، ٣٦٣

عثمان رضى الله عنه ٨٢ ، ٢٨٩ ، ٢٩٠ ،

٢٩١ ، ٢٩٢ ، ٢٩٣ ، ٢٩٤ ، ٢٩٥ ،

٢٩٦ ، ٢٩٧ ، ٣٠٣ ، ٣٠٥ ، ٣٠٦ ،

٣١٠ ، ٣١٢ ، ٣١٤ ، ٣١٥ ، ٣٢٢ ،

٦٠٧

عدى بن زيد العبادى ٨

عقيل بن أبى طالب ٥٩٥

العلاء بن الحضرمى ٤٣ ، ١٢٢

على بن أبى طالب رضى الله عنه ٨٤ ،

٣٢٨ ، ٣٦٥ ، ٣٦٩ ، ٣٧٠ ، ٣٧٢ ،

٣٧٣ ، ٣٧٥ ، ٣٧٦ ، ٣٧٧ ، ٣٧٨ ،

٣٧٩ ، ٣٨١ ، ٣٨٢ ، ٣٨٤ ، ٣٨٥ ،

ز

الزبير بن العوام ٣٥٩ ، ٣٦٠ ، ٣٦٦ ، ٣٧٩

زياد ابن أبيه ٥٧٧ ، ٥٧٨ ، ٥٨١ ، ٥٨٣

زياد بن خصفة ٥٠٩

زياد بن النضر ٤٠٩

زيد بن صوحان ٣٦٢

س

سراقة بن عمرو ٢٧٩

سعد بن أبى وقاص ٢٣٠ ، ٢٣٦ ، ٢٣٨ ،

٢٣٩ ، ٢٤٠ ، ٢٤١ ، ٢٥٤ ، ٢٥٨ ،

٤٠٦

سعید بن العاص ٢٩٤ ، ٢٩٥ ، ٣٠٢ ،

٣٥٢

سلمان الفارسي ٣٢٤

سويد بن مقرن ٢٧٦ ، ٢٧٧

ش

شرحبيل بن السمط ٤١٢

شريح بن هاني ٤٦٠

ص

صمصمة بن صوحان ٦٠٠

ط

طلحة بن عبيد الله ٣٥٩ ، ٣٦٠ ، ٣٦٦ ،

٣٧٩

٤٦٥ ، ٤٨٤ ، ٤٨٥ ، ٤٩٥ ، ٥٥٥ ،
٥٦٠ ، ٥٧٣

عمرو بن هند ٤

عياض بن غنم ٢٦١ ، ٢٦٢

عياض الثمالي ٣٩٤

ق

قرظة بن كعب ٥٠٧

قيس بن سعد بن عبادة ٢٢٥ ، ٥٢٧ ،

٥٢٨ ، ٥٣٠ ، ٥٣١

ك

كعب بن سور ٣٦٠

م

المثنى بن حارثة ١٢٩

محمد بن أبي بكر ٥٤٢ ، ٥٥٣ ، ٥٥٧ ، ٥٥٩

محمد صلى الله عليه وسلم ٢٥ ، ٣٠ ، ٣٢ ،

٣٥ ، ٣٦ ، ٣٨ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٤٢ ،

٤٣ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٨ ، ٤٩ ،

٥١ ، ٥٢ ، ٥٣ ، ٥٦ ، ٥٧ ، ٥٨ ،

٦٠ ، ٦٢ ، ٦٥ ، ٦٦ ، ٦٧ ، ٦٨ ،

٦٩ ، ٧٠ ، ٧٢ ، ٧٤ ، ٧٥ ، ٧٦ ،

٨٤ ، ٨٨ ، ٨٩

محمد بن مسلمة ٤٠٧

مذعور بن عدى ١٢٨

مروان بن الحكم ٣٣٥ ، ٣٣٦ ، ٣٤٦

مسلمة بن مخلد ٥٥٤

٣٨٦ ، ٣٩٠ ، ٣٩٤ ، ٤٠٠ ، ٤١٤ ،

٤١٨ ، ٤٢٠ ، ٤٢٢ ، ٤٢٣ ، ٤٢٤ ،

٤٢٧ ، ٤٢٩ ، ٤٣٣ ، ٤٣٥ ، ٤٣٨ ،

٤٤٧ ، ٤٥٦ ، ٤٥٨ ، ٤٥٩ ، ٤٦٠ ،

٤٦٢ ، ٤٦٣ ، ٤٧١ ، ٤٧٥ ، ٤٧٨ ،

٤٨٢ ، ٤٨٤ ، ٤٨٥ ، ٤٨٨ ، ٥٠١ ،

٥٠٣ ، ٥٠٤ ، ٥٠٥ ، ٥٠٧ ، ٥٠٨ ،

٥٠٩ ، ٥١٠ ، ٥١١ ، ٥١٤ ، ٥١٥ ،

٥١٧ ، ٥٢٢ ، ٥٣١ ، ٥٣٢ ، ٥٣٥ ،

٥٤١ ، ٥٤٧ ، ٥٤٨ ، ٥٤٩ ، ٥٥٢ ،

٥٥٨ ، ٥٦٠ ، ٥٦٢ ، ٥٧٨ ، ٥٧٩ ،

٥٨٢ ، ٥٨٥ ، ٥٨٦ ، ٥٨٨ ، ٥٨٩ ،

٥٩١ ، ٥٩٣ ، ٥٩٦ ، ٦٠٣ ، ٦٠٥ ،

٦٠٦ ، ٦٠٧ ، ٦٠٨

عمر بن الخطاب رضي الله عنه ٨١ ، ١٥٦ ،

١٥٧ ، ١٦٠ ، ١٦١ ، ١٦٧ ، ١٧٠ ،

١٧٥ ، ١٧٦ ، ١٨٢ ، ١٨٨ ، ١٩١ ،

١٩٢ ، ١٩٤ ، ١٩٥ ، ١٩٧ ، ١٩٩ ،

٢٠٠ ، ٢٠٣ ، ٢٠٤ ، ٢٠٥ ، ٢٠٦ ،

٢٠٨ ، ٢٠٩ ، ٢١٠ ، ٢١٤ ، ٢١٥ ،

٢١٦ ، ٢١٧ ، ٢١٩ ، ٢٢٢ ، ٢٢٣ ،

٢٢٤ ، ٢٢٩ ، ٢٣٠ ، ٢٣١ ، ٢٣٢ ،

٢٣٣ ، ٢٣٥ ، ٢٣٧ ، ٢٣٨ ، ٢٣٩ ،

٢٤٢ ، ٢٤٣ ، ٢٤٤ ، ٢٤٦ ، ٢٤٧ ،

٢٤٨ ، ٢٥٠ ، ٢٥١ ، ٢٥٢ ، ٢٥٤ ،

٢٥٥ ، ٢٥٦ ، ٢٥٧ ، ٢٥٨ ، ٢٥٩ ،

٢٦٠ ، ٢٦١ ، ٢٦٣ ، ٢٦٤ ، ٢٦٥ ،

٢٦٦ ، ٢٦٧ ، ٢٦٨ ، ٢٦٩ ، ٢٧٠ ،

٢٧١ ، ٢٧٢ ، ٢٧٣ ، ٢٧٥ ، ٢٨٠ ،

٢٨١ ، ٢٨٢ ، ٢٨٤ ، ٢٨٥ ، ٢٨٦ ،

٢٨٧ ، ٢٨٨ ، ٦٠٧

عمرو بن العاص ١٤٤ ، ١٦٥ ، ١٧٧ ،

١٩٢ ، ٢٠٢ ، ٢٠٧ ، ٢١١ ، ٢١٣ ،

٢١٥ ، ٢١٦ ، ٢٢٠ ، ٢٢٢ ، ٢٢٣ ،

المندبر بن ساوى ٤٢	السور بن مخزومة ٤٠٢
ن	مسيلة ٦٧
نائلة بنت الفرافصة ٣٢٥	مصقلة بن هبيرة ٥١٩ ، ٥٢١
النجاشى ٣٧	معاذ بن جبل ١٥٨ ، ٢٠١
نصر بن حجاج ٢٨٣	معاوية ٢١٣ ، ٢٩٦ ، ٣٠٤ ، ٣٣٣ ،
النعمان بن مقرن ٢٦٨ ، ٢٦٥	٣٣٨ ، ٣٣٩ ، ٣٤٠ ، ٣٤١ ، ٣٤٣ ،
النعمان بن المندر ١٢ ، ١٣	٣٤٤ ، ٣٤٥ ، ٣٨٥ ، ٣٨٦ ، ٣٨٧ ،
نعم بن مقرن ٢٧٤	٣٩٣ ، ٣٩٨ ، ٤٠١ ، ٤٠٢ ، ٤٠٤ ،
نعم بن هبيرة ٥١٩	٤٠٥ ، ٤٠٧ ، ٤٠٨ ، ٤١٣ ، ٤١٥ ،
ه	٤٢١ ، ٤٢٣ ، ٤٢٤ ، ٤٢٧ ، ٤٢٨ ،
هاشم بن عتبة ٣٧٢	٤٣٣ ، ٤٣٦ ، ٤٤٤ ، ٤٦٥ ، ٤٦٩ ،
هرقل ١٤٨	٤٧٣ ، ٤٧٦ ، ٤٨١ ، ٤٨٣ ، ٥٠٠ ،
هوذة بن على ٢٥	٥٢٤ ، ٥٢٦ ، ٥٢٨ ، ٥٢٩ ، ٥٤٥ ،
و	٥٥٤ ، ٥٥٦ ، ٥٧٢ ، ٥٧٤ ، ٥٧٦ ،
الوليد بن عقبة ٣٤٩ ، ٣٩٠ ، ٣٩١ ، ٣٩٣	٥٨٣
ي	معقل بن قيس ٥١٣ ، ٥١٦
يزيد بن أبى سفيان ١٤٧ ، ٢٠٤	المغيرة بن شعبة ٢٨٩
يعلى بن أمية ٣٥١	المقوقس ٣٩
	المندر الأكبر ٢
	المندر بن ربيعة ٣٦١

فهرس

بعض ماورد فى الهامش من الفوائد التى قد يحتاج القارىء إلى مراجعتها

٥	باسمك اللهم	٨١	حديث «أخرجوا اليهود من الحجاز ،
٨	أبيت اللعن		وأخرجوا أهل نجران من جزيرة
١٧	فلان يمشى العرضة		العرب «
١٨	عم صباحا	٨١	حديث « لا يبقين دينان فى أرض
١٦	تركناهم على رباعتهم		العرب «
٢٨	لا يؤخذ منه صرف ولا عدل	٨٨	حديث « ليس فيما دون خمس أواق
٣١	بسم الله الرحمن الرحيم		من الورق صدقة «
٣٣	الأريسيون	٩٣	النسبة بزيادة الألف والنون فى آخر
٣٥	أعطوا الجزية عن يد		الكلمة
٣٦	أحمد إليك الله	٩٥	لم سمي أبو عبيدة أمين هذه الأمة
٥٥	توب معافى	٩٦	نافع حضنيه
٦٩	إسلام أكرم بن صيفى	١٠١	مالى فيه حوجاء ولا لوجاء
٧٠	حديث «لا يفرق بين الوالدة وولدها»	١٠٣	هنية
٧٢	تميم بن أوس الدارى	١١٠	أطو الثوب على غره
٧٥	صهيون	١١٣	استأصل شأفته
٧٦	مباهلته صلى الله عليه وسلم لنصارى	١٢٤	الأبناء
	نجران	١٣٠	أنجد وأعرق وكوف وبهر
٧٩	أفعل ذلك من ذى قبل	١٤٠	فض الله خدمتهم

- ١٥٠ الضَّعْف
- ١٩٩ لن يغلب عسرى سرين
- ٢١٨ حديث «إذا افتتحتم مصر فاستوصوا
بأقبط خيراً»
- ٢١٨ هاجر أم إسماعيل
- ٢١٩ معار يض الكلام
- ٢٢٢ بنيات الطرق
- ٢٢٥ سؤت به ظنا
- ٢٢٥ أطاعه طاعه
- ٢٢٨ الترسيان
- ٢٣٦ هم عليه ألب واحد
- ٢٤٥ لالعاله - لاشوى لها
- ٢٤٧ رمى المغيرة بن شعبة بالزنا
- ٢٥٠ جاء والجماء الفقير
- ٢٥١ لا يحنق على جرة
- ٢٥٣ حديث «ادرءوا الحدود بالشبهات»
- ٢٥٣ حديث «ملعون ملعون من اتقى إلى
غير أبيه ، أو ادعى إلى غير مواليه»
- ٢٥٦ الصوافى
- ٢٥٩ الأفناء
- ٢٦٣ هو من أمره على رجل
- ٢٧٥ وزن الدراهم في عهد سيدنا عمر
- ٢٨٤ التمنية
- ٢٨٥ السراويل
- ٢٨٦ تمعددوا - المعدية
- ٢٨٦ حديث النهى عن لبس الحرير
- ٣٠٨ ملك عضوض
- ٣٢٦ الأنباط
- ٣٢٧ نعتل
- ٣٢٩ فدك
- ٣٣٥ البريد
- ٣٣٩ حديث «عشرة في الجنة ...»
- ٣٤٢ ذهبوا شعالييل وشعارير
- ٣٥٤ سكن عقيراك
- ٣٥٥ وجهت سدافته وتركت عهدها
- ٣٦٤ مضى لطيته
- ٣٦٥ الزط والسباجة
- ٣٧٤ هنات وهنات
- ٣٨٧ الطلقاء
- ٣٨٧ حديث «الحرب خدعة»
- ٣٨٩ ابن النابغة
- ٣٩٢ تدب عقارب
- ٣٩٣ حرب زبون
- ٤٠٤ لله دره
- ٤٠٨ بات بليلة شيباء
- ٤١٨ إسلام أبي سفيان

- ٤٢٣ استمر أدراجه
٤٢٦ ذو الفقار
٤٢٧ اربع على ظلمك
٤٢٩ سحيم
٤٣٠ حديث « إن الشيطان ليجرى من ابن آدم مجرى الدم » .
٤٣٩ أحلسونا الخوف
٤٤١ دعيت نزال
٤٤٤ ضرب بجرانه
٤٤٥ على وقتل عبيد الله بن عمر
٤٤٩ ذو الجناحين
٤٥٠ أسد الأحلاف
٤٥١ حلف المطيبين
٤٥١ حلف الفضول
٤٥٢ حديث « الحسن والحسين سيدي شباب أهل الجنة »
٤٥٣ حديث « خير نساء العالمين أربع ... »
٤٥٣ حمالة الخطب
٤٥٧ الحلون
٤٦٣ حديث « أرسلت إلى الأسود والأحمر »
٤٦٧ زمزم والسقاية
٤٦٧ النسب إلى شأم ويمن
٤٧٤ بله
٤٧٦ ليلة الهرير
٤٧٩ منافرة هاشم وأميه
٤٧٩ منافرة حرب وعبد المطلب
٤٨٣ حديث « من تألى على الله أكذبه الله »
٤٨٨ آكلة الأكباد
٥٢٤ من المطاعن التي طعن بها على عثمان
٥٨٣ كلمة عن زياد
٥٨٦ حديث « الولد للفراش وللعاشر الحجر »
٥٨٩ بخل أبي الأسود الدؤلى
٥٩١ حديث « ما أحد عندي أعظم يداً من أبي بكر آساني بنفسه وماله »
٥٩٤ عمر ك الله
٥٩٧ الجوازي
٥٩٨ كلاولا
٥٩٩ لأيا بلأى
٦٠٠ مغاضبة عقيل لعلى
٦٠٣ البهباذات

فهرس

الأمثال التي ورد شرحها في الهامش (عدا أمثال أ ك ثم بن صيفي الواردة في رسالتيه من ص ١٩ إلى ص ٢٤)

٣١٢ بلغ السيل الزبي	٦ خذه ولو بقرطى مارية
٣١٢ جاوز الحزام الطيين	٧ جزاء سنمار
٣٧٥ مايدري أينثر أم يذيب	١٨ لا أفعل كذا ما بل بحر صوفة
٣٧٧ كالأشقر ، إن تقدم نحر ، وإن تأخر عقر	٣١ إن بينهم عيبة مكفوفة
٣٩٣ كدابة وقد حلم الأديم	٧٣ أخذه برمته
٣٩٥ كانت عليهم كراغية البكر	٩٨ يدب له الضراء ويمشى له الحر
٣٩٧ استنوق الجمل	٩٨ مايقعقع له بالشنان
٣٩٩ دونه خرط القتاد	٩٩ ماله سبد ولا ليد
٤٠٣ حذو النعل بالنعل	٩٩ ما أصاب عنده هلة ولا بلة
٤٠٩ أذل من ققع بقرقرة	١٠٥ لبست له جلد النمر
٤١٠ أذل من بيضة البلد	١٠٥ أسرى من أنقد - بات بليلة أنقد
٤٤٣ ضرب وجه الأمر وعينه	١٠٥ إن العوان لاتعلم الحرة
٤٤٧ كستبضع التمر إلى هجر	١٠٧ لاناقتى في هذا ولا جلى
٤٤٨ حن قدح ليس منها	١٠٨ إحدى لياليك فهيسى هيسى
٤٥٥ رب ملوم لا ذنب له	١٤٧ جاء بالشوك والشجر
٤٥٥ لبث قليلا يلحق الهيجا حمل - ضح	١٧٨ جاءوا بقضهم وقضيضهم
رويدا	٢٥٢ الحق أبلج والباطل لجلج

٥٦٩ صرح المخض عن الزبد	٤٧٤ شق عصاهم
٥٩١ قلب له ظهر الحجن	٤٨٧ وافق شن طبقة
٥٩٩ حال الجريض دون القريض	٥٠٦ أعزّ من بيض الأنوق
٥٩٩ بلغ منه الخنق	٥٤٨ إن لله جنوداً منها العسل
٦٠٥ أذل من النعل	٥٥٦ التقت حاقتا البطان
٦٠٥ لا أذل من الشمع	٥٦٩ أبدت الرغبة عن الصريح



obeykandi.com

جدول الخطأ والصواب

صفحة	سطر	الخطأ	الصواب
١٦	١٤ ٩	عيسى بن موسى ^(١)	موسى بن عيسى
١٩	الأخير هامش	لديات	الديات
٢٧	٧	ولا متناصرين	ولا متناصر
٤٢	الأخير هامش	للقسلاني	للقسطلاني
٤٣	١١	وآتيم	وآتيم
٤٦	٦	جعفر	جيفر
٥١	٧	ودمية	ودحية
٥٨	١١	أى نها	أى أنها
٥٨	٢٢	بالجرية	بالجزية
٦٠	١	لا مقورة	لا مقورة
٦٨	١١	وتوا	وتوا
١٠١	١٣	وخصه	وخصه
١٠١	١٥	بدا	بدا
١٣٩	٧	الرساتيق	الرساتيق
١٤٣	٥	من عبادة	من عباده

(١) ورد في هامش هذه الصفحة : « أقول : والأمير المذكور هو عيسى بن موسى الخ وهو سهو مني ، والصواب موسى بن عيسى كما ورد في حديث الطبري - وكان موسى والياً على الكوفة في عهد الرشيد - انظر تاريخ الطبري ١٠ : ١١٣

الاصواب	الخطأ	صفحة	سطر
سعد هذيم	سعد هذيم	١٤٣	١٢
ولا تصبر	ولا تصبر	١٤٥	٥
وجاءهم	وجاءهم	١٥٥	٥
الجراح	الجراح	١٥٨	١٥
نذكرك	نذكرك	١٥٩	٦
مؤنة	مؤنة	١٧٠	٦
وقسيسهم	وقسيسهم	١٨٢	١٥
أعطوا الذي	أعطوا الذي	١٩٣	١٥
ونصه	ونصه	١٩٤	٥
أريد	أريد	٢٠١	٢
امراً	امراً	٢٠٢	١
آمن	من	٢٠٨	٢
أهل	أهل	٢١٠	٦
والثياب	والثياب	٢١٤	٩
يُجريك	يُجريك	٢١٤	الأخير
شبت أنت ومن معك ، أن	شبت أنت ، ومن معك أن	٢١٥	١١
وأعجبهم	وأعجبهم	٢١٧	١
ولا مال لي	ولا مالي لي	٢٢٣	١٦
غزارا	غزارا	٢٢٨	١٨ ٩/١٣

صفحة	سطر	الخطأ	الصواب
٢٧٩	١	أهل لأرمينية	لأهل أرمينية
٢٨١	٦	لمن لا خُلِقَ	لمن لا خَلَقَ
٣٠٨	١٠	أَكَّه	أَكَلَه
٣١٩	١	وما قوم	وما قوم
٣٣٠	٢٥	فضرث	فضربت
٣٣٠	٢٦	سغيا	سغيا
٣٣٦	٥	الممل	العمل
٣٤٢	٢	ذلك	ذلك
٣٧٦	١١	خرجت	خرجت
٣٨٣	٥	حتى عليه	عليه حتى
٣٩٠	١٠	أَتَخَذَ	أَتَّخَذَ
٤١٢	٩, ١٨	الخوَّاص	الخواص
٤٤٦	٤	قَهْرًا	قَهْرًا
٤٤٧	٦	مما كسبوا	مما كسبوا
٤٥٠	٢٤	ابن الحديد	ابن أبي الحديد
٤٥٠	٢٩	مخروم	مخزوم
٤٥٤	١٣	ظاعر	ظاهر
٤٦٢	١٠	فَيَرَدَّ	فَيَرُدَّ
٤٦٧	٣	بابن	يابن

صفحة	سطر	الخطأ	الصواب
٤٧٣	٥	القِسْطَنْطِينِيَّةَ	القِسْطَنْطِينِيَّةَ
٤٨٣	١	غبر	غبر
٤٩١	١٥	وَشِعْتَهُ	وَشِعْتَهُ
٤٩٢	٨	تُؤَفِّي	تُؤَفِّي
٥١٢	١٠	وَأَثْبِتْ	وَأَثْبِتْ
٥٣٠	٢	فَلَمْ	فَلَمْ
٥٣٨	١٥	مُسْتَطِيرَا	مُسْتَطِيرَا
٥٥٠	١٣	آسِي	آسِي
٥٥٤	١١	مَا تَهَوَّيَانِ	مَا تَهَوَّيَانِ
٥٨٢	٧	رْدَاه	رْدَاه
٥٩١	١٨	لَفُوا	لَقُوا
٥٩٥	١٧	طَغَاتِهِمْ	طَغَامِهِمْ
٥٩٧	٢	وَأِيَّاكَ	وَأِيَّاكَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الرسائل

في

العصر الجاهلي

لسنا نعرض في هذا المقام للكلام على نشأة الكتابة العربية وتاريخها في العصر الجاهلي ، وإنما يعنيننا هنا أن نقول : إن جَهرة العرب في ذلك العصر كانت مُتَبَدِّية^(١) ، فلم تكن الكتابة فيهم فاشية ، ولذا كانوا يعتمدون في تراسلهم على المشافهة ، فيبعثون برسالاتهم شفهيّةً مع أُمّناء ينتجبونهم^(٢) لإبلاغها ، وكانوا يحتفظون بآثارهم الأدبية فيستظهرونها في الصدور ، ويتناقلونها على الألسن ، ولم يزاووا من العلوم والفنون ما يقضى عليهم أن يدوّنوه ويقيّدوه في سِجِلٍّ يَدْرَأُ عنه عَادِيَةُ الضياع والاضحَاء .

أما أهل الحضارة منهم فقد أَلَمُوا بالحضارة بعض الإلمام ، وكانوا يمارسون الكتابة ، ويتبادلون الرسائل المكتوبة ، ولكنهم لتقادم العهد لم يُؤثّر عنهم إلا رسائل قلائل معدودة ، سُوردها لك بعدد ، وهي لثُرُورتها^(٣) لا تَقِفُنَا على صورة صحيحة تامة لكتابة الرسائل في ذلك العهد .

(١) تبدى : أقام بالبادية . (٢) انتجبه : اختاره .

(٣) نزر الشيء : ككرم نزرًا ونزارة (بالفتح) ونزورة ونزورا (بالضم) : قل .

١ - كتاب المنذر الأكبر إلى أنوشروان

روى أن المنذر الأكبر^(١) أهدى إلى أنوشروان جارية، كان أصابها إذ أغار على الحرث الأكبر بن أبي شير النخاساني^(٢)، فكتب إلى أنوشروان بصفتها، فقال :

« إِنِّي قَدْ وَجَّهْتُ إِلَى الْمَلِكِ جَارِيَةً مُعْتَدَلَةً الْخَلْقِ ، نَقِيَّةَ اللَّوْنِ وَالشَّعْرِ
بِضَاءِ قُرَاءٍ ، وَطَفَاءِ كَهْلَاءٍ ، دُمُجَاءِ حَوْرَاءِ عَيْنَاءٍ ، قَنْوَاءِ شَمَاءٍ ، بَرْجَاءِ زَجَاءِ ^(٣) ،

(١) هو المنذر الثالث بن امرئ القيس اللخمي ملك الحيرة ، وقد اشتهر بأمه ، فقيل له : المنذر ابن ماء السماء (سميت بذلك لحسنها وجمالها ، واسمها ماوية) وهو جد النعمان بن المنذر صاحب النابغة الذبياني ، وقد ولي إمارة الحيرة من سنة ٥١٤ إلى سنة ٥٦٣ م ماعدا فترة طرده فيها قباز ملك الفرس ، وقتل في حربه مع الحرث بن أبي شمر الفسائي يوم أباغ (وأباغ كغراب : موضع بين الكوفة والرقفة) ، وكانت إمارة الحيرة (وهي على ثلاثة أميال من الكوفة على موضع يقال له النجف) يليها المناذرة من قبل ملوك الفرس ، ومعنى أنو شروان : صاحب العقل الراجح .

(٢) هو الحرث الأعرج بن أبي شمر جبلة الفسائي أحد ملوك الفساستة ، ويلقبه مؤرخو العرب بالأكبر كما ترى ، وقد رجعت إلى سلسلة ملوك الفساستة في الجدول الذى وضعه الأستاذ برسيقال فى كتابه « العرب قبل الإسلام » . فوجدت أن الحرث الملقب بالأكبر هو أبو شمر جبلة ، وهو الحرث الرابع الذى ولى من سنة ٤٩٥ إلى سنة ٥٢٩ م ، وأن من يلقبه مؤرخو العرب بالأكبر هو ابنه الحرث الأعرج هذا ، وهو الحرث الخامس الأوسط الذى ولى من سنة ٥٢٩ إلى سنة ٥٧٢ م . ولعلهم لقبوه بالأكبر لقوة سلطانه وعظم شأنه ، وكانت إمارة الفساستة بالشام يليها ملوك غسان من قبل الدولة الرومانية الشرقية ، وقد عين الحرث بن أبي شمر من قبل العاهل الرومانى جوستينيان (الذى حكم من سنة ٥٢٧ إلى سنة ٥٦٥ م) .

قال المسعودي في مروج الذهب ج ١ : ص ٢٩٩ « وكانت ديار ملوك غسان باليرموك والجلولان وغيرهما من غوطة دمشق وأعمالها ، ومنهم من نزل الأردن من أرض الشام » . وقد نشبت بين الناذرة والفساسنة حروب شديدة امتلأت بها كتب التاريخ .

(٣) الثغر: الأسنان. ووجه أقر: شبه بالقمر، وقال ابن قتيبة «الأقر: الأبيض الشديد البياض، والأنتى قراء». ووظفاء: وصف من الوطف بالتحريك، وهو كثرة شعر الحاجبين والعينين والأشفار مع استرخاء وطول. وكلاء: وصف من الكحل بالتحريك، وهو سواد يعلو الجفون خلقة. والدعج بالتحريك والدعجة بالضم: شدة سواد العين مع سعتها. والخور بالتحريك: شدة سواد المقلة في شدة بياضها في شدة بياض الجسد. والعين بالتحريك، والعينة بالكسر: عظم سواد العين في سعة. وقنا العين: ارتفاع أعلاها، وأحديبات وسطه، وسو غ طرفه، وهو أقي، وهي قنواء، والشمم

أَسِيلَةَ الْخَدِّ ، شَهِيَّةَ الْمُقْبَلِ ، جَثَلَةَ الشَّعْرِ ، عَظِيمَةَ الْهَامَةِ^(١) ، بَعِيدَةَ
مَهْوَى الْقُرْطِ ، عَيْطَاءَ عَرِيضَةِ الصَّدْرِ ، كَاعِبَ الثَّدْيِ ، ضَخْمَةَ مُشَاشِ
الْمَنْكَبِ وَالْعَضُدِ ، حَسَنَةَ الْمِصَمِّ ، لَطِيفَةَ الْكَفِّ ، سَبِطَةَ الْبَنَانِ ، ضَامِرَةَ
الْبَطْنِ ، خَمِيصَةَ الْخَصْرِ^(٢) ، غَرَّتْنِي الْوِشَاحُ ، رَدَّاحَ الْأَقْبَالِ ، رَايَةَ الْكَفَلِ ، لَفَاءَ
الْفَخْذَيْنِ ، رَيَّا الرِّوَادِفِ ، ضَخْمَةَ الْمَأْكَمَتَيْنِ ، عَظِيمَةَ الرُّكْبَةِ ، مُفْعَمَةَ السَّاقِ ،
مُشْبَعَةَ الْخَلْخَالِ^(٣) ، لَطِيفَةَ الْكَعْبِ وَالْقَدَمِ ، قَطُوفَ الْمَشْيِ ، مِكَسَالَ الضُّحَى
بَضَّةَ الْمُتَجَرِّدِ^(٤) ، سَمُوعًا لِلسَّيِّدِ ، لَيْسَتْ بِخَنْسَاءٍ وَلَا سَفْعَاءَ ، رَقِيقَةَ الْأَنْفِ ،

== بالتحريك : ارتفاع قصبه الأنف وحسنها واستواء أعلاها وانتصاب الأرنبة ، وهو أشم ، وهي شماء .
والبرج بالتحريك : تباعد ما بين الحاجبين ، وقيل هو سعة العين في شدة بياض صاحبها ، وقيل سعة
بياض العين وعظم الفلة وحسن الحدقة ، وقيل أن يكون بياض العين محدقا بالسواد كله . والزجج
بالتحريك : دقة الحاجبين في طول .

(١) الحد الأسيل : الطويل المسترسل ، وفعله ككرم . وفي الطبري وابن الأثير . « شهية القد »
محل قوله « شهية المقبل » والشعر الجثل : الكثير الملتف ، وفعله كسمع وكرم ، والهامة : الرأس .
(٢) بعيدة مهوى القرط : كناية عن طول العنق ، قال الشاعر :

أَكَلْتُ دَمَا إِنْ لَمْ أُرْعَكَ بَضْرَةً بَعِيدَةً مَهْوَى الْقُرْطِ طَيِّبَةَ النَّشْرِ
والعيط محركة طول العنق والعنط أيضاً محركة : طول العنق وحسنه ، أو الطول عامة . وكعب الثدي ،
كضرب ونصر : نهد . والمشاش جمع مشاشة : وهي ما أشرف من عظم المنكب . والمصم : موضع
السوار (أواليد) . وسبطة : طويلة ، وفي الطبري وابن الأثير « لطيفة طلى البطن » . بدل قوله
« ضامرة البطن » . وخميصة : ضامرة .

(٣) الغرث بالتحريك : الجوع ، وهو غرثان وهي غرث . والوشاح بالضم والكسر : أديم عريض
يرصع بالجواهر تشده المرأة بين عاتقها وكشحيها ، ويقولون امرأة غرثي الوشاح : أي خميصة البطن دقيقة
الخصر ، ووشاح غرثان : لا يعلوه الخصر ، فكأنه غرثان . وامرأة رداح : عجزاء ، ثقيلة الأوراك ، تامة
الخلق . والأقبال بالفتح : ما استقبلك من مشرف ، جمع قبل بالتحريك ، والمعنى : أنها راية الوركين
مشرقتهما ، أو هو الإقبال بالكسر : أي ممتلئ ، ما تقبل به من ساقها ووركها . وفي الطبري
وابن الأثير « رداح القبل » . والكفل : العجز . واللفاء : الضخمة الفخذين . وريا : ممتلئة ، مؤث
ريان . والردف بالكسر : الكفل والعجز ، وخس بعضهم به عجيذة المرأة ، والجمع أرداف ، والروادف :
الأعجاز ، قال ابن سيده : ولا أدري أهو جمع ردف نادر أم هو جمع رادفة . والمأكمة وتكسر كافه :
لحمة على رأس الورك . ومفعمة : ممتلئة . وأراد بالخلخال الخلخل : أي موضعه من الساق .

(٤) القطوف من الدواب : المتقارب الخطو البطيء ، وقد يستعمل في الإنسان ، وفعله كضرب .
ومكسال الضحى : كناية عن النعم ، وهو كقول امرئ القيس « ثوم الضحى لم تنتطق عن فضل » ==

عزيزة النفس^(١)، لم تُغذَّ في بؤس، حَيَّةٌ حَصِيْنَةٌ رَزِيْنَةٌ، حَلِيْمَةٌ رَكِيْنَةٌ^(٢)، كَرِيْمَةٌ الْخَالِ، تَقْتَصِرُ عَلَى نَسَبِ أَبِيهَا دُونَ فَصِيلَتِهَا، وَتَسْتَفْنِي بِفَصِيلَتِهَا دُونَ جَمَاعِ قَبِيلَتِهَا. قَدْ أَحْكَمْتُهَا الْأُمُورُ فِي الْأَدَبِ، فَرَأَيْهَا رَأَى أَهْلُ الشَّرَفِ، وَعَمَلُهَا عَمَلُ أَهْلِ الْحَاجَةِ، صَنَاعُ الْكَفَّيْنِ، قَطِيعَةُ اللِّسَانِ^(٣)، رَهْوَةٌ الصَّوْتِ سَاكِئَتُهُ، تَرِيْنُ الْوَلِيِّ^(٤)، وَتَشِيْنُ الْعَدُوَّ، إِنْ أَرَدْتَهَا أَشْتَهَتْ، وَإِنْ تَرَكْتَهَا أَتَهَتْ، تُحْمَلِقُ^(٥) عَيْنَاهَا، وَتَحْمَرُّ وَجْهَتَاهَا، وَتَذَبْذُبُ شَفَتَاهَا، وَتَبَادِرُكُ الْوَثْبَةِ إِذَا قَتَ، وَلَا تَجْلِسُ إِلَّا بِأَمْرِكَ إِذَا جَلَسْتَ.

(الأغانى ج ٢ : ص ٢٨ ، وتاريخ الطبرى ج ٢ : ص ١٥٠ ،

وتاريخ الكامل لابن الأثير ج ١ : ص ٢١٨)

٢ - كتاب عمرو بن هند إلى عامله بالبحرين

« صحيفة المتلس »

وروى أن طَرْفَةَ بْنَ الْعَبْدِ وَخَالَهَ الْمُتَمَلِّسَ - واسمه جَرِيرُ بْنُ عَبْدِ الْمَسِيحِ^(٦) - كانا ينادمان عَمْرُو بْنَ هِنْدٍ^(٧) مَلِكَ الْحِيرَةِ ، فَهَجَّوَاهُ ، فَكَتَبَ لَهُمَا إِلَى

= والبضة : الرخصة الجسد الرقيقة الجلد المتائلة . والمتجرد إن كسرت راءؤه ، فهو الجسم : أى الجسم المتجرد ، وإن فتحت فهو مصدر ميمى : أى بضة عند التجرد .

(١) الخنس بالتحريك : تأخر الأنف من الوجه مع ارتفاع قليل فى الأرنبة ، وهو أخنس وهى خنساء . والسفع بالتحريك ، والسفعة بالضم : فى الوجه سواد فى خدى المرأة الشاحبة ، وفى الطبرى وابن الأثير : « ذليلة الأنف ، عزيزة النفس » وعليه ، فعنى ذليلة الأنف أنها طبعة سلسلة القياد .

(٢) الحصينة : العفيفة . والركينة : الرزينة . (٣) امرأة صناع اليدين : ماهرة حاذقة . وقطعية : مقطوعة ، والمعنى أنها تكف لسانها ، ليست بكثيرة الكلام ولا بيذثة .

(٤) الرهو : الساكن ، والرهو : المكان المنخفض (والمرتفع أيضاً) ، والمعنى : ساكنة الصوت منخفضة ، وفى الطبرى وابن الأثير : « ترين البيت » محل قوله « ترين الولي » .

(٥) حلق : فتح عينيه ونظر شديداً ، والمراد تحملق لبعلمها .

(٦) كذا فى الأغاني ، وفى الشعر والشعراء أيضاً ؛ وفى جمع الأمثال « عبد المسيح بن جرير » .

(٧) هو عمرو بن المنذر بن ماء السماء ، آل إليه الملك بعد قتل أبيه فى يوم عين أبانغ ، ويعرف باسم أمه هند بنت الحارث بن عمرو عمة امرئ القيس بن حجر بن الحارث (الشاعر المشهور) ، وكان يلقب بمضطرط الحجارة لشدة وقسوته ، وقد ولى إمارة الحيرة من سنة ٥٦٣ إلى سنة ٥٧٨ م .

المُكْغَبَر عامله على البَحْرَيْنِ كَتَابَيْنِ ، أَوْ هُمَهُمَا أَنَّهُ أَمْرُهُمَا بِمَجَازَةٍ ، وَكُتِبَ
إِلَيْهِ بِأَمْرِهِ بِقَتْلِهِمَا ، فَنُجِرَا فَلَقِيَا غُلَامًا مِنْ أَهْلِ الْحِيرَةِ ، فَقَالَ لَهُ الْمُتَمَسِّسُ : أَتَقْرَأُ
يَا غُلَامُ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، فَفَكَ صَحِيفَتَهُ ، وَدَفَعَهَا إِلَيْهِ ، فَإِذَا فِيهَا :
« يَا سَمِيكَ اللَّهُمَّ ^(١) » ، مِنْ عَمْرِو بْنِ هَنْدٍ إِلَى الْمُكْغَبَرِ . أَمَّا بَعْدُ فَإِذَا أَنْتَ
كِتَابِي هَذَا مَعَ الْمُتَمَسِّسِ فَاقْطَعْ يَدَيْهِ وَرَجْلَيْهِ ، وَادْفِنْهُ حَيًّا .

(١) كَانَتْ قَرِيشٌ قَبْلَ الْبُعْثَةِ تَكْتُبُ فِي أَوَّلِ كِتَابِهَا « بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ » وَقَدْ رَوَى الرَّوَاةُ فِي تَعْلِيلِ
ذَلِكَ قِصَّةَ سُنُورِهَا عَلَى عِلَّاتِهَا ، وَلِلْقَارِءِ حُكْمُهُ عَلَيْهَا ، وَهِيَ « ذِكْرُ جَمَاعَةٍ مِنْ أَهْلِ الْمَعْرِفَةِ بِأَيَّامِ
النَّاسِ ، وَأَخْبَارٍ مِنْ سَلَفِ كَابِنِ دَأْبٍ وَالْهَيْثِمِ بْنِ عَدَى وَأَبْنَى مَخْضَفِ لُوطِ بْنِ يَحْيَى وَمُحَمَّدِ بْنِ السَّائِبِ الْكَلْبِيِّ :
أَنَّ السَّبَبَ فِي كِتَابَةِ قَرِيشٍ وَاسْتِفْتَا حِجَابِهَا فِي أَوَائِلِ كِتَابِهَا بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ هُوَ أَنَّ أُمِيَّةَ بْنَ أَبِي الصَّلْتِ التَّفُفِي
خَرَجَ إِلَى الشَّامِ فِي نَفَرٍ مِنْ ثَقِيفٍ وَقَرِيشٍ فِي عَيْرِهِمْ ، فَلَمَّا قَفَلُوا رَاجِعِينَ نَزَلُوا مَنْزِلًا وَاجْتَمَعُوا لِعَشَائِهِمْ ،
إِذْ أَقْبَلَتْ حَيَّةٌ صَغِيرَةٌ حَتَّى دَنَتْ مِنْهُمْ ، فَخَصَبَهَا بَعْضُهُمْ بِحَجَرٍ فِي وَجْهِهَا فَرَجَعَتْ ، فَشَدُّوا عَلَى إِبْلِهِمْ
وَارْتَحَلُوا مِنْ مَنْزِلِهِمْ ، فَلَمَّا بَرَزُوا عَنِ الْمَنْزِلِ أَشْرَفَتْ عَلَيْهِمْ عَجُوزٌ مِنْ كَثِيبٍ رَمَلٍ مَتَوَكِّئَةٌ عَلَى عَصَا لَهَا ،
فَقَالَتْ : مَا مَنَعَكُمْ أَنْ تَطْعَمُوا رَحِيمَةً ، (وَفِي رِوَايَةٍ : رَحِيمَةً ، وَفِي أُخْرَى : رَحِيمَةً) الْجَارِيَةِ الْيَتِيمَةِ
الَّتِي جَاءَتْكُمْ عَشِيَّةً ؟ قَالُوا : وَمَنْ أَنْتِ ؟ قَالَتْ : أُمُّ الْعَوَامِ ، أَرَمَلْتُ مِنْذُ أَعْوَامَ ، أَمَّا وَرَبُّ الْعِبَادِ ،
لِنَفْتَرَقَ فِي الْبِلَادِ ، ثُمَّ ضَرَبْتُ بَعْضَهَا الْأَرْضَ ، وَأَثَارَتْ بِهَا الرَّمْلَ ، وَقَالَتْ : أَطِيلُ لِبَابِهِمْ ، وَنَفَرَى
رُكَابِهِمْ . فَوُثِّتَ الْإِبِلُ كَأَنَّ عَلَى ذُرْوَةِ كُلِّ بَعِيرٍ مِنْهَا شَيْطَانًا ، مَا يَمْلِكُوكُنَّ مِنْهَا شَيْئًا ، حَتَّى افْتَرَقَتْ فِي
الْبُؤَادَى ، فَجَمَعُوها مِنْ آخِرِ النَّهَارِ إِلَى غَدْوَةٍ ، فَلَمَّا أَنَاخُوا الرُّوَاهِلَ ، طَلَعَتْ عَلَيْهِمُ الْعَجُوزُ ، وَفَعَلَتْ
مِثْلَ فَعْلَتِهَا الْأُولَى ، فَتَفَرَّقَتْ الْإِبِلُ ، فَجَمَعُوها مِنْ غَدٍ ، فَلَمَّا أَنَاخُوهَا لِيَرَحِلُوهَا فَعَلَتْ الْعَجُوزُ مِثْلَ فَعْلَتِهَا
فِي الْيَوْمِ الْأَوَّلِ وَالثَّانِي ، فَتَفَرَّقَتْ الْإِبِلُ ، وَأَمْسَوْا فِي لَيْلَةٍ مَقْمَرَةٍ وَبَسُّوا مِنْ ظَهْوَرِهِمْ ، فَقَالُوا لِأُمِيَّةَ
ابْنِ أَبِي الصَّلْتِ : أَيْنَ مَا كُنْتَ تَخْبِرُنَا بِهِ عَنْ نَفْسِكَ وَعِلْمِكَ ؟ فَقَالَتْ : أَذْهَبُوا أَتَمُّ فِي طَلَبِ الْإِبِلِ وَدَعْوَتِي ،
فَتَوَجَّهَ إِلَى ذَلِكَ الْكَثِيبِ الَّذِي كَانَتْ تَأْتِي مِنْهُ الْعَجُوزُ حَتَّى هَبَطَ مِنْ ثَنِيَّتِهِ الْأُخْرَى ، ثُمَّ صَعِدَ كَثِيبًا آخَرَ
حَتَّى هَبَطَ مِنْهُ ، ثُمَّ رَفَعَتْ لَهُ كَنِيْسَةً فِيهَا قَنَادِيلُ ، فَإِذَا رَجُلٌ مُضْطَجِعٌ مَعْتَرِضٌ عَلَى بَابِهَا ، وَإِذَا رَجُلٌ
جَالِسٌ أَيْضُ الرُّأْسِ وَاللَّحْيَةِ ، قَالَ أُمِيَّةَ : فَلَمَّا وَقَفْتَ عَلَيْهِ ، رَفَعَ رَأْسَهُ إِلَيَّ وَقَالَ : إِنَّكَ لِمَتَّبِعٌ ؟ قُلْتُ :
أَجَلُ ! قَالَ : فَمَنْ أَيْنَ يَأْتِيكَ صَاحِبُكَ ؟ قُلْتُ : مِنْ أَذْنَى الْيَسْرِى ، قَالَ : فَبَأَى الثِّيَابُ بِأَمْرِكَ ؟ قُلْتُ :
بِالسَّوَادِ ، قَالَ : هَذَا خُطِيبُ الْجَنِّ ، كَدَتْ وَاللَّهِ أَنْ تَكُونَهُ وَلَمْ تَفْعَلِ ! إِنْ صَاحِبَ النَّبُوَّةَ يَأْتِيهِ صَاحِبُهُ مِنْ
قَبْلِ أَذْنِهِ الْيَمْنَى ، فَيَأْمُرُهُ بِلِبَاسِ الْبَيَاضِ ، فَمَا حَاجَتُكَ ؟ خُدْنَتْهُ حَدِيثُ الْعَجُوزِ ، فَقَالَ : صَدَقْتَ ، وَلَيْسَتْ
بِصَادِقَةٍ ، هِيَ امْرَأَةٌ يَهُودِيَّةٌ ، هَلَكَ زَوْجُهَا مِنْذُ أَعْوَامَ وَإِنَّمَا لَنْ تَرَالِ تَفْعَلُ بِكُمْ ذَلِكَ حَتَّى تَهْلِكَكُمْ إِنْ
اسْتَطَاعَتْ ، قَالَ أُمِيَّةَ : قُلْتُ فَمَا الْحِيلَةُ ؟ قَالَ : اجْمَعُوا ظَهْوَرَكُمْ ، فَإِذَا جَاءَتْكُمْ وَفَعَلَتْ مَا كَانَتْ تَفْعَلُ ،
فَقُولُوا لَهَا : سَبْعًا مِنْ فَوْقٍ وَسَبْعًا مِنْ أَسْفَلِ « بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ » . فَإِنَّهَا لَنْ تَضُرَّكُمْ ، فَارْجِعْ أُمِيَّةَ إِلَى أَصْحَابِهَا
فَأَخْبِرْهُمْ بِمَآئِيلِ لَهُ ، وَجَاءَتْهُمْ الْعَجُوزُ فَفَعَلَتْ كَمَا كَانَتْ تَفْعَلُ ، فَقَالُوا : سَبْعًا مِنْ فَوْقٍ وَسَبْعًا مِنْ أَسْفَلِ « بِاسْمِكَ
اللَّهُمَّ » فَلَمْ تَضُرَّهُمْ ، فَلَمَّا رَأَتْ الْإِبِلُ لَا تَتَحَرَّكُ ، قَالَتْ : قَدْ عَلِمْتُكُمْ صَاحِبَكُمْ ، لِيَبْيُضَنَّ اللَّهُ أَعْلَاهُ ، =

فقال لطرفة : ادفع إليه صحيفتك يقرؤها ، ففيها والله ما في صحيفتي !
فقال طرفه : كلا ! لم يكن لي جترئ على ، فقدف المتلمس صحيفته في نهر
الحيرة ، وأخذ نحو الشام ، وأخذ طرفه نحو البحرين ، فأتى المكعب ، فقطع
يديه ورجليه ودفنه حيا .

(الأغاني ج ٢١ : ص ١٢٧ ، ومجمع الأمثال للميداني ج ١ : ص ٢٧١)

٣ - كتاب عبد العزى بن امرئ القيس السكلي إلى قومه
وروى الطبري أن عبد العزى بن امرئ القيس السكلي أهدى أفراساً
إلى الحرث بن مارية النسانية^(١) ، ووفد إليه ، فأعجبته وأعجب به عبد العزى
وحديثه ، وكان للملك ابن مسترضع في بني الحميم بن عوف من بني عبد ود
من كلب ، فنهشته حية ، فظن الملك أنهم اغتالوه ، فقال لعبد العزى : جئني
بهؤلاء القوم ، فقال : هم قوم أحرار ، وليس لي عليهم فضل في نسب ولا
فعال^(٢) ، فقال : لتأتيني بهم ، أو لأفعلن ولأفعلن . . . فقال : رجونا من
جبايلك^(٣) أمراً حال دونه عقابك ، ودعا ابنه شراحيل وعبد الحرث ، فكتب
معهما إلى قومه :

== وليسودن أسفله ! وساروا فلما أدركهم الصبح نظروا إلى أمية قد برص في عذاريه ورقبته وصدره
واسود أسفله ، فلما قدموا مكة ذكروا هذا الحديث ، فكتبت قريش في أول كتبها « باسمك
الله » . فكان أول ما كتبها أهل مكة ، وفي رواية : وكان أمية أول من كتب « باسمك اللهم » .
إلى أن جاء الإسلام فكتب « بسم الله الرحمن الرحيم » . انظر مروج الذهب ج ١ : ص ٤٢ .
والأغاني ج ٣ : ص ١٨١ . وصبح الأعشى ج ٦ : ص ٢١٧ .

(١) هو الحرث السادس الأصغر ابن الحرث الخامس الأعرج ابن أبي شمر النسانية ولي من سنة ٥٧٢ هـ
إلى سنة ٥٨٧ هـ ، ومارية أمه ، وهي مارية بنت ظالم بن وهب الكندي ، قال حسان بن ثابت :
أولاد جفنة حول قبر أبيهم قبر ابن مارية الكريم المفضل
وكان لها قرطان فيهما درتان كبيضتي الحمام لم ير أناس مثلهما ، وبهما ضرب المثل فقيل : « خذه ولو
بقرطى مارية » يضرب في الشيء الثمين . أى لا يفوتك بأى ثمن يكون .
(٢) الفعال : اسم الفعل الحسن ، والكرم (أو يكون في الخير والشر) . (٣) الجباء : العطاء .

جزاني (جزاه الله شرَّ جزائه) جزاء سنمار وما كان ذا ذنب^(١)
 سوى رصه البنيان عشرين حجةً يعلُّ عليه بالقراميد والسكب^(٢)
 فلما رأى البنيان تمَّ سُحُوقُهُ وآضَ كمثل الطود ذي الباذخ الصعب^(٣)
 فأتهمه من بعد حرَّسٍ وحقبةٍ وقد هدَّه أهلُ المشارق والغرب^(٤)

(١) من أمثال العرب « جزاء سنمار » . أى جزاني جزاء سنمار ، وهو رجل رومى بنى قصر الخورتق بظهر الحيرة للنعمان بن امرئ القيس ، فلما فرغ منه ألقاه من أعلاه فخرميتا ، ولمّا فعل ذلك لثلايين مثله لغيره ، فضربت العرب به المثل لمن يجزى بالإحسان الإساءة ، وورد في تاريخ الطبرى ج ٢ : ص ٧٢ « أنه لما مات امرؤ القيس البدء بن عمرو بن امرئ القيس بن عمرو بن عدى فى عهد يزدجرد ملك الفرس ، استخلف يزدجرد مكانه ابنه النعمان بن امرئ القيس ، قال وهو صاحب الخورتق ، وكان سبب بنائه الخورتق فيما ذكر أن يزدجرد كان لا يبق له ولد ، فسأل عن منزل برى مرى صحیح من الأدواء والأسقام ، فدل على ظهر الحيرة ، فدفع ابنه بهرام جور إلى النعمان هذا ، وأمره ببناء الخورتق مسكنا له وأنزله إياه ، وأمره بإخراجه إلى بوادى العرب ، وكان الذى بنى الخورتق رجلا يقال له سنمار ، فلما فرغ من بنائه تعجبوا من حسنه وإتقان عمله ، فقال : لو علمت أنكم توفوننى أجرى وتصنعون بى ما أنا أهله بنيت به بناء يدور مع الشمس حيثما دارت ، فقال : وإنك لتقدر على أن تبني ما هو أفضل منه ثم لم تبنيه ! فأمر به فطرح من رأس الخورتق » .

وقال الميداني فى مجمع الأمثال ج ١ : ص ١٠٧ « ويقال إن سنمار هو الذى بنى أطم أحيحة ابن الجلاح (والأطم بضمة وضميتين : القصر) ، فلما فرغ منه قال له أحيحة : لقد أحكمته ، قال : لئى لأعرف فيه حجراً لو نزع لتفوض من عند آخره (كذا) فسأله عن الحجر فأراه موضعه ، فدفعه أحيحة من الأطم فخرميتا » وأورد صاحب القاموس هذا الخبر ، وقال كان سنمار غلاما لأحيحة .

(٢) الحجة : السنة . والفرمد بالفتح والفرميد بالكسر : الآجر ، وحجارة لها خروق يوقد عليها حتى إذا نضجت بنى بها ، قال ابن دريد : هو رومى تكلمت به العرب قديما . والسكب : النحاس أو الرصاص ويحرك . والعلل بالتحريك : الضرب بعد الضرب تباعا ، عله يعله كضرب ونصر ، وعل الضارب المضروب : إذا تابع عليه الضرب ، ومعنى يعل عليه هنا : يتابع رفع البنيان ويواليه ، وربما كان الأصل « يعلى » . (٣) سحق النخل كسكرم : طال ، ونحلة سحق كصبور : طويله (وسحق النخل أيضاً كنصر سمقا وسموقا : ارتفع وعلا وطال ، فهو سامق وسميق) وآض : صار . والطود : الجبل العظيم . والباذخ : العالى . والصعب : أى الصعب المرتقى .

(٤) اتهم الرجل وأتهمه وأوهمه : أدخل عليه التهمة أى ما يتهم عليه . والحرس : وقت من الدهر والحقة : مدة من الدهر أيضاً . ويقال : فلان يهد بالبناء للمجهول : إذا أننى عليه بالجلد والقوة ، ويقال : لهد الرجل (برفع الرجل) أى ما أجلده ، وفى الأصل « وقد هره » وهو تحريف (وهره : كرهه) وربما كان « وقد هزه » من هز الحادى الإبل : أى نشطها بحداثته ، والمعنى : أثنوا عليه .

وظنَّ سِنَّارَ به كُلَّ حَبْرَةٍ وفاز لديه بالموَدَّةِ والقُربِ^(١)
 فقال اقدِفوا بالعِلج من فوق بُرْجه فهذا لَعَمْرُ اللهِ من أعجب الخطَبِ!^(٢)
 وما كان لي عند ابن جَفْنَةَ فاعاموا من الذنب ما آلى يميننا على كَلْبِ^(٣)
 لَيْلَتَمِسَنَ بالخيل عُقْرَ بلادهم تحلَّلَ (أَبَيْتَ اللَعْنَ) من قولك المُرَبِّي^(٤)
 ودون الذي مَنَى ابنُ جَفْنَةَ نفسه رجالٌ يَرُدُّون الظُّلُومَ عن الشَّعْبِ
 وقد رامنا من قبلك المرءُ حارِثُ فغُودِرَ مَسْلُولا لَدَى الأَكمِ الصَّهْبِ^(٥)
 (تاريخ الطبري ٢ : ٧٣)

٤ — كتاب عدى بن زيد العبادي إلى أخيه أبي

ولما مات المنذر^(٦) بن المنذر بن ماء السماء ، ولَّى كسرى أبرويز
 ابن هُرْمُزُ ملك الفرس ابنه النُّعْمَانُ بن المنذر على الحيرة ، وكان عَدِيُّ

(١) الحيرة : السرور . (٢) العِلج : الرجل الشديد الضخم ، والعِلج : الرجل من كفار العِلج ، والمراد به هنا سنهار وهو رومي كما تقدم لك . والخطب : الشأن والأمر .

(٣) ابن جفنة : يعني به الحرث الأصغر المذكور ، وجفنة أحد أجداده ، وهو جفنة الأول ابن عمرو مزقياء أول ملوك الفساسنة ، ولَّى من سنة ٢٠٥ إلى سنة ٢٤٨ م . وآلى : أقسم .

(٤) عُقْر الدار بالضم وفتح : وسطها . وتحلل من يمينته : إذا خرج منها بكفارة . وأبيت اللعن : من تحايا الملوك في الجاهلية والدعاء لهم ، معناه : أبيت أن تأتى من الأمور ما تلعن عليه وتندم بسببه . والمزبي : المزيج ، جاء في اللسان : « ... فقلت له كلمة أزييه بها : أى أزججه وأقلقه ، من قولهم أزييت الشيء إذا حملته ، ويقال فيه زيبته ، لأن الشيء إذا حمل أزعج وأزيل عن مكانه » .

(٥) الأكم كسبب ، وعنق ، وأجبل ، وجبال ، وأجبال جمع أكمة كركبة : وهى دون الجبل . والصهب جمع أصهب ، والأصهب من الإبل : الذى يخالط بياضه حمرة .

(٦) ولَّى من سنة ٥٨٢ إلى سنة ٥٨٥ م ، قيل لأنه قتل يوم مرج حليلة في حربه مع الحرث الأعرج الفسائي ، وكان قد سار إليه للطلب بثأر أبيه عنده ، وقيل لأنه لم يقتل ، وولى ابنه النعمان ابن المنذر من سنة ٥٨٥ إلى سنة ٦١٣ م ، وكسرى أبرويز هو الذى كتب إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوه إلى الإسلام ، قال الزرقاني في شرحه على المواهب ج ٣ : ص ٣٨٩ « بفتح الواو وكسرها ، ومعناه بالعربية المظفر » .

ابن زيد العبادي وإخوته في كتاب كسرى يترجون له^(١) ، وكان لعدي يد في فوز النعمان بالإمارة ، إذ احتال له حتى آثره بها كسرى دون إخوته^(٢) ، فجعل أعداء عدي يكيدون له عند النعمان ، وَوَشَوْا إليه أنه يقول : إن الملك « يعني النعمان » عامله ، وإنه هو وَلَاهُ ماولاه ، فلم يزالوا بذلك حتى أضغنوه عليه ، فأرسل إليه : عزمتُ عليك إلا زرتني ، فإني قد اشتقت إلى رؤيتك ، وعدى يومئذ عند كسرى ، فاستأذن كسرى فأذن له ، فلما أتاه لم ينظر إليه حتى حبسه في محبس لا يدخل عليه فيه أحد ، فجعل عدي يقول الشعر وهو في السجن^(٣) ، وكان كلما قال شعرا بلغ النعمان وسمعه ، فندم على حبسه إياه ،

(١) كان قابوس بن المنذر الأكبر (عم النعمان) بعث إلى كسرى أبرويز بن هرمز بعدي بن زيد وإخوته فكانوا من تراجته ، وكان عدي شاعرا خطيبا ، وقد قرأ كتب العرب والفرس ، والعبادي نسبة إلى العباد بالكسر : وهم قوم من قبائل شتى من بطون العرب اجتمعوا على النصرانية بالحيرة ، فأثقوا أن يتسموا بالبيد وقالوا نحن العباد .

(٢) كان المنذر بن المنذر لما ملك جعل ابنه النعمان في حجر عدي بن زيد فهم الذين أرضعوه وربوه ، وكان للمنذر ثلاثة عشر ولدا ، وكان يقال لهم الأشاهب من جاهلهم ، وكان النعمان من بينهم أحر أبرش قصيرا ، فلما مات المنذر دعا كسرى عدي بن زيد ، فقال له : من بقى من آل المنذر ، وهل فيهم أحد فيه خير ؟ قال : نعم ، إن في ولد المنذر لبقية ، وفيهم كلهم خير ، قال : ابث إليهم . فكتب فيهم ، فقدموا عليه ، فأثرهم على عدي بن زيد ، فقال عدي للنعمان : لست أملك غيرك ، فلا يوحشك ما أفضل به إخوتك عليك من الكرامة ، فإني إنما أغترهم بذلك ، ثم كان يفضل لإخوته جميعا عليه في النزل والاكرام والملازمة ، ويريههم تنقضا للنعمان ، وجعل يخلو بهم رجلا رجلا ، فيقول لهم : إن سألكم الملك : أتكفوني العرب ؟ فقولوا : نكفيكم إلا النعمان ، وقال للنعمان : إن سألك الملك عن إخوتك ، فقل له : إن عجزت عنهم فأنا عن غيرهم أعجز . وفي رواية الأغاني : (وجعل يخلو بهم رجلا رجلا : فيقول : إذا أدخلتكم على الملك ، فقال لكم : أتكفوني العرب فقولوا : نعم ! فإذا قال لكم : فإن شئ أحدكم عن الطاعة وأفسد ، أتكفوني ؟ فقولوا : لا إن بعضنا لا يقدر على بعض ، ليها بكم ولا يطمع في تفرقكم ، ويعلم أن للعرب منعة وبأسا ، فقبلوا منه ، وخلصا بالنعمان فقال له : إذا سألك هل تكفيني العرب ؟ فقل نعم ! فإذا قال لك : فن لي بإخوتك ؟ فقل له : إن عجزت عنهم فإني عن غيرهم لأعجز !) ففعلوا جميعا ما أمرهم به عدي ، فلك كسرى النعمان وكساه وألبسه تاجا . (٣) أورد صاحب الأغاني في هذا الخبر عدة مختارات من قصائد مطولة قالها في سجنه ، ثم عقب عليها بقوله : « هذه رواية السكبي في قصائد كثيرة كان يقولها فيه ، ويكتب بها إليه ، فلا تغني عنده شيئا » فارجع إليها إن شئت .

وجعل يُرسل إليه ويَعِدُّهُ وَيُؤْمِنِيهِ ، وَيَفْرُقُ أَنْ يُرْسِلَهُ فَيَبْنِيَهُ الْغَوَائِلَ . فلما طال سَجْنُ عَدِي كَتَبَ إِلَى أَخِيهِ أَبِي وَهُوَ مَعَ كَسْرَى بِشَعْرٍ فَقَالَ :

أُبَلِّغُ أُيُّيَا عَلَى نَأْيِهِ (وهل يَنْفَعُ الْمَرْءَ مَا قَدْ عَلِمَ)^(١)
بَأَنْ أَخَاكَ شَقِيقَ الْفَوَا د كُنْتَ بِهِ وَاثِقًا مَسَّاسًا^(٢)
لَدَى مَلِكٍ ، مُوْتَقٍّ بِالْحَدِيدِ ، إِمَّا بِحَقٍّ وَإِمَّا ظُلْمٍ
فَلَا أَعْرِفُكَ كَذَاتِ الْغَلَا مِ مَالٍ لَمْ تَجِدْ عَارِمًا تَعْتَرِمُ^(٣)
فَارْضَاكَ أَرْضَاكَ إِنْ تَأْتِنَا تَنْمَ نَوْمَةً لَيْسَ فِيهَا حُلْمٌ^(٤)

ه - رد أخيه أبي عليه

فكتب إليه أخوه :

إِنْ يَكُنْ خَانَكَ الزَّمَانُ ، فَلَا عَا جِزُ بَايَعُ ، وَلَا أَلْفٌ ضَعِيفٌ^(٥)

(١) هذا البيت دخله الحرم . (٢) في الطبري « كنت به والها » .

(٣) ورد هذا البيت في الأغاني والطبري :

فلا أعرفك كدأب الغلام م مالم يجد عارما يعترم

وهو تحريف ، والصواب ما ذكرنا ، والتصحيح عن لسان العرب ، وإليك ما جاء فيه « عرم الصبي » أمه (كنصر) : رضعها ، واعتزم ثديها : مصه ، واعتزمت هي : تبغت من يعمرها . قال : ولا تلقين كأم الغلام م إن لم تجد عارما تعترم

يقول : إن لم تجد من ترضعه درت هي ، خلبت ثديها ، وربما رضعته ثم بحثه من فيها ، وقال ابن الأعرابي : إنما يقال هذا للتكلف ما ليس من شأنه ، أراد بذات الغلام : الأم المرضع إن لم تجد من يمس ثديها مصته هي ، قال الأزهري : ومعناه لا تكن كمن يهجو نفسه إذا لم يجد من يهجو . وعلق عليه مصححه ، فقال : « قوله : أراد بذات الغلام ... الخ هذه عبارة الأزهري لانشاده له : « كذات الغلام » وأنشده في الحكم « كأم الغلام » . (٤) في الأغاني : « تم ليلة » .

(٥) الألف : الرجل الثقيل البطيء ، واللفف في الكلام (بالتحريك) ثقل وعى مع ضعف ، رجل ألف : أى عي بطيء الكلام إذا تكلم ملا لسانه فقه ، وفي الأغاني : « باع » ، وهو تصحيف .

وَيَمِينِ الْإِلَهِ ! لَوْ أَنَّ جَاءُوا ۚ طَحُونًا تُضِيءُ فِيهَا السُّيُوفُ^(١)
ذَاتَ رِزٍّ مُجْتَابَةٍ غَمْرَةَ الْمَوْتِ صَحِيحٌ سِرُّهَا مَكْفُوفٌ^(٢)
كَذَتْ فِي حَمِيهَا ، لِحَتُّكَ أَسْعَى فاعلمن لو سمعتن ، إذ تستضيفن^(٣)
أَوْ بِمَالٍ سُمِّلْتُ دُونَكَ لَمْ يُنْصَحْ تِلَادٌ لِحَاجَةٍ أَوْ طَرِيفٌ^(٤)
أَوْ بَارِضٌ أَسْطِيعُ آتِيكَ فِيهَا لَمْ يَهْلُنِي بَعِيدُهَا أَوْ نُخُوفٌ^(٥)
فِي الْأَعَادَى وَأَنْتَ مِنِّي بَعِيدٌ عَزَّ هَذَا الزَّمَانُ وَالتَّعْنِيفُ^(٦)
إِنْ تَفْتَنِي وَاللَّهِ إِلْفًا جُوعًا لَا يُعَقِّبُكَ مَا يَصُوبُ الْخَرِيفُ^(٧)
فَلَعَمْرِي لَنْ جَزَعْتُ عَلَيْهِ لَجُزُوعٌ عَلَى الصَّدِيقِ أَسُوفٌ^(٨)

(١) جأى الشيء كسعى جأياً وجاءوا : ستره وغطاه ، وكتيبة جأواء : بينة الجأى ، وهي التي يعلوها لون السواد لكثرة الدروع . والطحون : السكتية ذات الشوكة والكثرة تطحن ما لقيت .
(٢) الرز : الصوت تسمعه من بعيد أو أعم ، أو صوت الرعد . مجتابة : أى مقتحمة مخترقة ، جاب واجتأب : قطع وخرق . والغمرة : الشدة . والسربال : الدرع ، أو كل ما لبس . وكف الثوب : خاط حاشيته ، وهي الخياطة الثانية بعد الشل ، ومنه قولهم : « عيبة مكفوفة » : أى مشرحة مشدودة على ما فيها ، وستأتى فى كتاب صلح الحديبية .

(٣) حمت النار كرضى حمياً وحموا : اشتد حرها . واستضاف : استغاث . (٤) التلاد والتلبد والتالذ والتلبد : المال القديم الأصلى الذى ولد عندك . والطارف والطريف : المال المستحدث .

(٥) هاله الأمر : أفزعه ، وفى الأغاني : « بعدها » .

(٦) فى الطبرى « والتعريف » وأراه محرفاً والصواب « والتعنيف » كما فى الأغاني والمعنى : ليس يجدى تعنيفنا الزمان ولومنا إياه واعتنا عليه فيما رمانا به من خطوبه وملهاته ، وهو كقول الفائل :

أخلى لوغير الحمام أصابكم عتبت ، ولكن ما على الدهر معتب

أو عزّ بمعنى غلب (عزه كدّه : غلبه) والتعنيف بمعنى الإيلام ، أى غلبنا الزمان على أمرنا وقهرنا بمؤلماته وفواجعه .

(٧) إلفاً حال من فاعل تفتنى . ونجوعاً مبالغة من فاجع . لا يعقبك : لا يخلفك . والخريف : المطر فى فصل الخريف ، وأول المطر فى أول الشتاء . وصاب المطر صوباً : نزل ، وكفى بصوب الخريف عن الخير والنعمة ، والمعنى : إن تذهب عني وتفجعني بعدك ، فإن ما ألقاه بعدك من نعمة - وإن جلت - لن تكون خلفاً عنك ، ولن أرى فيها بديلاً منك ، وفى الأغاني : « إن يعنى والله إلف نجوع لا يعنك ... » ، وهو تحريف . (٨) الأسوف والأسيف : الحزين .

وَلَعَمْرِي لئن ملكتُ عَزَائِي لَقَلِيلٌ شَرُّواكَ فيما أَطُوفُ^(١)
فلما قرأ أُنْبِيَّ كتابَ عَدِيَّ قامَ إلى كسرى فكلّمه في أمرِهِ وعَرَفَهُ خبره ،
فكتب إلى النعمان يأمره بإطلاقه ، ولكن النعمان اغتاله ، وتقدّم إلى
رسول كسرى أن ينبئه بأنّ عدياً قد مات قبل أن يقدّم عليه^(٢) .

(تاريخ الطبري ٢ : ١٤٩ ، والأغانى ٢ : ٢٦)

٦ - كتاب النعمان بن المنذر إلى كسرى

وندم النعمان على قتل عَدِيٍّ . وعَرَفَ أنه احتيل عليه في أمره ، واجترأ
أعداء عَدِيٍّ على النعمان ، وهابهم هَيْبَةً شديدة ، ثم إنه خرج الى صيده ذات
يوم فلقى ابنا لعدي يقال له زيد ، فلما رآه عَرَفَ شبهه فقال له : من أنت ؟ فقال :
أنا زيد بن عدي بن زيد ، فكلّمه فإذا غلام ظريف ، ففرح به فرحاً شديداً ، وقرّبه
وأعطاه ووصّله ، واعتذر إليه من أمر أبيه وجّهزه ، ثم كتب إلى كسرى :

(١) المروى : المثل .

(٢) وذلك أن أياً كان قد تقدم إلى رسول كسرى ورشاه وأمره أن يبدأ بعديّ ، وقال له :
ادخل عليه فانظر ما يأمرك به ، فدخل الرسول على عدي ، فقال : إني قد جئت بارسالك ، فما عندك ؟
قال : عندي الذي تحب ، ووعده عدة سنّية ، وقال له : لا تخرجن من عندي ، وأعطني الكتاب حتى
أرسله إليه ، فإنك والله إن خرجت من عندي لأقتلن ، فقال : لا أستطيع إلا أن آتي الملك بالكتاب .
فأوصله إليه ، فانطلق بعض من كان هناك من أعدائه ، فأخبر النعمان أن رسول كسرى قد دخل
على عدي وهو ذاهب به ، وإن فعل لم يستبق منا أحداً أنت ولا غيرك ، فبعث إليه النعمان أعداءه فغموه
حتى مات ثم دفنوه ، ودخل الرسول على النعمان بالكتاب ، فقال : نعم وكرامة ، وأمر له بأربعة
آلاف مثقال ذهباً وجارية حسناء ، وقال له إذا أصبحت فادخل عليه فأخرجه أنت بنفسك ، فلما أصبح
ركب فدخل السجن ، فأعلمه الحارس أنه قد مات منذ أيام ، فلم يجترأ على أن يخبر الملك للفرق منه .
وقد علمنا كراهته لموته : فرجع إلى النعمان فقال : إني قد دخلت عليه وهو حي ! فقال له النعمان ، أيعت
بك الملك إلى فتدخل إليه قبلي ؟ كذبت ! ولكنك أردت الرشوة والحبث ، فتهده ثم زاده جائزة .
وأكرمه ، واستوثق منه ألا يخبر كسرى إلا أنه قد مات قبل أن يقدم عليه ، فرجع الرسول إلى
كسرى فقال : إنه قد مات قبل أن أدخل عليه .

« إن عديا كان ممن أُعِينَ به الملك في نُصْحِهِ وَلُبِّهِ ، فأصابه مالا بُدِّ منه ، وانقطعت مُدَّتُهُ ، وانقضى أَجْلُهُ ، ولم يُصَبِّ به أحد أشدَّ من مصيبتِي ، وأما الملكُ فلم يكن لِيَفْقِدَ رجلاً إلا جعل الله له منه خَلْفًا ، لِمَا عَظَّمَ اللهُ من ملكه وشأنه ، وقد بلغ ابن له ليس بدونه ، رأيتُه يصلح لخدمة الملك فسرَّختُه إليه ، فإن رأى الملك أن يجعله مكان أبيه فليَفْعَلْ ، وليصرف عمه عن ذلك إلى عمل آخر . »

فلما قَدِمَ الغلام على كسرى ، جعله مكان أبيه ، وصرف عمه إلى عمل آخر ، فكان هو الذي يلى المكاتبة عن الملك إلى ملوك العرب في أمورِها ، وفي خواصِّ أمور الملك . (تاريخ الطبري ٢ : ١٥٠ ، والأغانى ٢ : ٢٧)

٧ - كتاب النعمان بن المنذر إلى كسرى

وروى صاحب العقد الفريد أن النعمان بن المنذر قَدِمَ على كسرى ، وعنده وفودُ الروم والهند والصين ، فذَكَرُوا من ملوكهم وبلادهم ، فافتخر النعمان بالعرب وفضلهم على جميع الأمم ، لا يستثنى فارسَ ولا غيرها ، فأنَبَرَى كسرى يعدد مآثر الأمم ومفاخرها ، ثم تنقَّص العرب ، وهَجَّنَ^(١) أمرهم وامتنهم ، فردَّ عليه النعمان مُفَنِّدًا قوله ، مُبَاهِيًا بِمَنَاقِبِ العرب ومحاسنها . فلما رجع إلى الحيرة ، وفي نفسه ما فيها مما سمع من كسرى ، بعث إلى بعض وجوه العرب^(٢) ، فاقتصَّ عليهم مقالاتِ كسرى ، وما ردَّ

(١) هجته : قبحه . (٢) بعث إلى أكرم بن صيفي وحاجب بن زرارة التميميين ، وإلى الحرث ابن عباد ، وقيس بن مسعود البكرين ، وإلى خالد بن جعفر ، وعلقمة بن علاثة ، وعامر بن الطفيل الدائريين ، وإلى عمرو بن الشريد السلمي ، وإلى عمرو بن معديكرب الزبيدي ، والحرث بن ظالم المري وقد أثبت على خطبهم ، وما ردَّ به كسرى عليهم في كتابي « جمهرة خطب العرب ج ١ : ص ١٥ »

عليه ، وقال لهم : الرأى أن تسيروا بجماعتكم أيها الرَهْطُ ، وتنطلقوا إلى كسرى ، فإذا دخلتم نطقَ كل رجل منكم بما حَضَرَه ليعلم أن العرب على غير ما ظن أو حَدَّثَتْه نفسه ، ثم جَهَّزَهُمْ وكتب معهم كتاباً وهو :

« أما بعدُ ، فإن الملك أَلْقَى إلى من أمر العرب ما قد عَلِمَ ، وأجَبْتُهُ بما قد فهم ، مما أُحِبْتُ أن يكون منه على عِلْمٍ ، ولا يتلجلج في نفسه أن أمة من الأمم التي اخْتَجَزَتْ دونه بملكيتها ، وَحَمَتْ ما يليها بفضل قوتها ، تَبْلُغُها في شيء من الأمور التي يتعزَّز بها ذوو الحزم والقوة والتدبير والمكيدة ، وقد أوفدتُ أيها الملك رَهْطاً من العرب ، لهم فضلٌ في أحسابهم وأنسابهم وعقولهم وآدابهم ، فَلْيَسْمَعْ الملك ، وَلْيَغْمِضْ عن جَفَاء إن ظهر من مَنْطِقِهِمْ ، وَلْيُكْرِمْنِي بِإِكْرَامِهِمْ وتعجيل سَراحِهِمْ ، وقد نسبْتُهُمْ في أسفل كتابي هذا إلى عشائِرِهِمْ » .

(العقد الفريد ١ : ١٠٣)

٨ - كتاب عبد المطلب بن هاشم إلى أخواله ييثرب

وروى الطَّبْرِيُّ أن هاشم بن عبد مناف كان شَخْصَ في تجارة له إلى الشام ، فسَلَكَ طريقَ المدينة إليها ، فلما قَدِمَ المدينة نزل على عَمْرُو بن زيد الخَزْرَجِي ، من بني عَدِيّ بن النجار فخطب إليه ابنته سَلَمَى ، فأَنكحها إياها ، وَشَرَطَ عليه ألاَّ تَلِدَ ولداً إلا في أهلها ، ثم مضى هاشم لوجهته قبل أن يَبْنِيَ بها ، ثم انصرف راجعاً من الشام ، فَبْنَى بها في أهلها يَيْثَرِبَ فَحَمَلَتْ منه ، ثم ارتحل إلى مكة وَحَمَلَهَا معه ، فلما أَثْقَلَتْ رَدَّها إلى أهلها ، ومضى إلى الشام فمات بها بغَزَّةَ ، فولدت له سَامِي عبد المطلب - وكان اسمه شَيْبَةَ - فمَكَثَ يَيْثَرِبَ سبع سنين أو ثمانى سنين .

ثم إن عمه المطلب بن عبد مناف خرج إلى المدينة ليأتي بابن أخيه ،
فأقبل به إلى مكة قد أردفه ، فإذا لقيه اللقي وقال : من هذا وراءك
يا مطلب ؟ قال : عبد لي ، فسمي عبد المطلب .

فلما قدم مكة وقفه على ملك أبيه وسلمه إليه ، فعرض له عمه نوفل
ابن عبد مناف في رُكج^(١) له ، فاعتصبه إياه ، فمشى عبد المطلب إلى رجالات
قومه ، فسألهم النصرة على عمه ، فقالوا : لسنا بداخلين بينك وبين عمك ،
فلما رأى ذلك كتب إلى أخواله يصف لهم حال نوفل ، وكتب في كتابه :
أبلغ بني النجار إن جئتهم أني منهم وابنهم والحميس^(٢)
رأيهم قوما إذا جئهم هووا للقائي وأحبوا حسي^(٣)
فإن عمي نوفلا قد أبى إلا التي يفضي عليها الحسي^(٤)
فخرج أبو أسعد بن عُدس النجاري في ثمانين راكبا حتى أتى الأبطح^(٥) ،
فتلقاه عبد المطلب ، وكان نوفل جالسا في الحجر^(٦) في مشايخ قريش ، فأقبل
أبو أسعد حتى وقف على رأسه ، ثم استل سيفه ، ثم قال : ورب هذه البنية^(٧)
لتردن على ابن أختنا رُكحه ، أو لأملأن منك السيف ، قال : فإني ورب هذه
البنية أرد رُكحه ، فأشهد عليه من حضر^(٧) . (تاريخ الطبري ٢ : ١٧٨)

(١) ركج الدار : ساحتها وفناؤها . (٢) رجل حس كفرج وحيس وأحس : شجاع ،
وفي الأصل : « والحيس » وهو تصحيف . « والحيس : الجش ، لأنه خمس فرق : المقدمة والقلب
واليمينه والميسرة والساقة » . (٣) هو به كرضيه : أحبه والحيس والحس (بالكسر) الصوت .
(٤) أي أبطح مكة ، والأبطح والبطحاء : بطن الوادي - مسيل واسع فيه دقاق الحصى .
(٥) الحجر : حجر الكعبة ، وهو ما حواه الحطيم المدار بالكعبة من جانب الشمال .
(٦) البنية : الكعبة .

(٧) ورد في الطبري بعد ذلك : « قال محمد بن أبي بكر الأنصاري ، فحدث بهذا الحديث موسى
ابن عيسى ، فقال : يا ابن أبي بكر ، هذا شيء ترويه الأنصار تقربا إلينا إذ صبر الله الدولة فينا ، =

٩ - كتاب عبد المطلب إلى أخواله

وروى الطبري أيضاً حديثاً في أمر عبد المطلب وعمه نوفل بن عبد مناف ، قال : كان سبب بدء الحلف^(١) الذي كان بين بني هاشم وخزاعة الذي افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم بسببه مكة^(٢) ، أن نوفل بن عبد مناف - وكان آخر من بقي من بني عبد مناف - ظلم عبد المطلب بن هاشم ابن عبد مناف على أركاج له - وهي الساحات - وكانت أم عبد المطلب سلمى بنت عمرو النجارية من الخزرج ، فتنصفت^(٣) عبد المطلب عمه فلم يُنصفه ، فكتب إلى أخواله :

يَا طُولَ لَيْلِي لِأَحْزَانِي وَأَشْغَالِي هَلْ مِنْ رَسُولٍ إِلَى النَّجَّارِ أَخُوَالِي ؟

== عبد المطلب كان أعز في قومه من أن يحتاج إلى أن يركب بنو النجار من المدينة إليه . قلت : أصلح الله الأمير ، قد احتاج إلى نصرهم من كان خيراً من عبد المطلب ، قال : وكان متوكئاً مجلس مفضباً ، وقال : من خير من عبد المطلب ؟ قلت : محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : صدقت وعاد إلى مكانه وقال لبنيه : اكتبوا هذا الحديث من ابن أبي بكر .

أقول : والأمير المذكور هو عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس ، وهو ابن أخي المنصور ، وكان والياً له على الكوفة ، انظر الفخرى ص ١٥٤ ، وتاريخ الطبري ٩ : ٢٦٦ - وليس هو موسى بن عيسى كما ورد في الطبري ، وإنما هو خطأ من الناسخ .

(١) الحلف : المهد بين القوم ، والصدقة .

(٢) وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما عقد مع قريش صلح الحديبية (سنة ٦ هـ) كان من شروط الصلح وضع الحرب عن الناس عشر سنين ، وأنه من أحب أن يدخل في عقد محمد وعهده دخل فيه ، ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه ، فتوالت خزاعة ، فقالوا : نحن في عقد محمد وعهده ، وتوالت بنو بكر فقالوا : نحن في عقد قريش وعهدهم ، كما سيأتي ، وكان بين خزاعة وبكر دماء في الجاهلية كملت نارها بظهور الإسلام ، فلما كانت الهدنة ، وقف رجل بكرى يتغنى بهجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم على مسمع من رجل خزاعي ، فضربه الخزاعي ، فترك ذلك كل من الأحقاد ، وهب بنو بكر للثأر من أعدائهم ، واستعانوا بأوليائهم من قريش ، فأعانوهم سرا بالعدة والرجال ، ثم قصدوا إلى خزاعة وهم آمنون ، فقتلوا منهم ما يربو على العشرين ، فبعثت خزاعة وفداً منهم إلى رسول الله ليخبره بما فعل بهم بنو بكر وقريش ، فقال لهم : والله لأمننكم مما أمتع منه نفسي ، وكان ذلك سبب فتحه مكة .

(٣) تنصفه : سأله أن ينصفه .

يُنْبِي «عَدِيًّا» و «دِينَارًا» و «مَازِنَهَا»

و «مَالِكَا» عِصْمَةَ الْجِيرَانِ ، عن حَالِي

قد كنتُ فيكم ولا أَخْشَى ظُلَامَةَ ذِي

ظُلْمٍ عَزِيزًا مَنِيْعًا نَاعِمَ الْبَالِ^(١)

حتى ارتحلتُ إلى قومي وأزْجَنِي عن ذاك «مُطَلِّبٌ» عَمِّي بِتَرْحَالِي

و كنتُ - ما كان حيًّا - نَاعِمًا جَذَلًا أَمْشِي العَرِضَنَةَ سَحَابًا لِأُذْيَالِي^(٢)

فغاب «مُطَلِّبٌ» في قَعْرِ مُظْلِمَةٍ وَقَامَ نَوْفَلٌ كِي يَعْدُو عَلَى مَالِي^(٣)

أَنَّ رَأَى رَجُلًا غَابَتْ عُمُومَتُهُ وَغَابَ أَخْوَالُهُ عَنْهُ بِلَا وَالِي

أُنْحِي عَلَيْهِ وَلَمْ يَحْفَظْ لَهُ رَجَمًا مَا أَمْنَعَ الْمَرْءَ بَيْنَ الْعَمِّ وَالْخَالِ !

فاسْتَنْفِرُوا وَمَنْعُوا ضَيْمَ ابْنِ أُخْتِكُمْ لَا تَخْذُلُوهُ وَمَا أَنْتُمْ بِمُخْذَالِ^(٤)

مَا مِثْلُكُمْ فِي بَنِي قَحْطَانَ قَاطِبَةً حَيٌّ لِحَارٍ وَإِنْعَامٍ وَإِفْضَالِ^(٥)

أَنْتُمْ لِيَانٌ لِمَنْ لَا نْتَ عَرِيكْتُهُ سَلِمٌ لَكُمْ وَسِمَامٌ الْأَبْلَخِ الْإِلِي^(٦)

فَقَدِمَ عَلَيْهِ مِنْهُمْ ثَمَانُونَ رَاكِبًا ، فَأَنَاحُوا بِقِنَاءِ الْكَعْبَةِ ، فَلَمَّا رَأَاهُمْ نَوْفَلٌ

(١) الظلّامة : ما تطلبه عند الظلم ، وهو اسم ما أخذه منك . (٢) من قولهم : فلان يمشي العرضنة والعرضنى بالفصر : أى فى مشيته بهى من نشاطه . (٣) عدا عليه : ظلمه . منع نوفل من الصرف لضرورة الشعر .

(٤) استنفره : دعاه أن ينفرد معه ، ونفر للحرب كضرب : أسرع إليها . (٥) قاطبة : جميعاً . (٦) ليان : إما بفتح اللام مصدر لان كاللين ، فهو على تقدير مضاف أى ذوو لين ، أو بكسر اللام مصدر لاي كاللينة ، فهو على تقدير مضاف أيضاً ، أو جمع لين بالتشديد كجيد وجياد وعيل وعيال . والعريكة : الطبيعة ، وفلان لين العريكة : سلس الخاق . والسلم : المسالم . أى أنتم ليان لمن هو سلم لكم . وسمام بالكسر (وسموم بالضم) جمع سم مثلك السين ، وهو السم القاتل . والأبّخ : المتكبر ، وصف من البلخ بالتحريك وهو التكبر ، أى وأنتم سموم للمتكبر الطاغى المتجاوز الحد .

ابن عبد مناف . قال لهم : أَنْعِمُوا^(١) صَبَاحًا ، فقبلوا له : لا نَعِمُ صَبَاحُكَ أَيُّهَا الرجل ! أَنْصِفْ ابنَ أَخْتِنَا من ظلامته ، قال : أَفْعَلُ بِالْحُبِّ لَكُمْ وَالْكَرَامَةِ ، فرد عليه الأركانَ وأنصفه ، فانصرفوا عنه إلى بلادهم .

فدعا ذلك عبد المطلب إلى الحلف ، فدعا عبد المطلب بُسْرَ بن عمرو ووزَّقاء بن فلان ورجالا من رجال خزاعة ، فدخلوا الكعبة وكتبوا كتابا .
(تاريخ الطبري ج ٢ : ص ١٧٩)

١٠ - كتاب التحالف بين عبد المطلب بن هاشم وبين خزاعة

« باسمك اللهم ، هذا ما تحالفَ عليه عبد المطلب بن هاشم ورجالاً عمرو بن ربيعة من خزاعة^(٢) : تحالفوا على التناصر والمواساة ، ما بَلَّ بَحْرُ صُوفَةٍ^(٣) ، حِلْفًا جامعًا غير مُفَرَّقٍ ، الأشياخ على الأشياخ ، والأصاغر على الأصاغر ، والشاهد على الغائب ، وتعاهدوا وتعاقدوا أو كَدَّ عَهْدٍ وأوثقَ عَقْدٍ ، لَا يَنْتَقِضُ وَلَا يُنْكَثُ ، ما أَشْرَقَتْ شَمْسٌ على ثَبِيرٍ^(٤) ، وَحَنَّ بِفَلَاةٍ بِعِيرٍ ، وما أَقامَ الْأَخْشَبَانِ^(٥) ، واعتَمَرَ بِمَكَّةَ إنسان ، حِلْفَ أَبَدٍ ، لطول أَمَدٍ ، يَزِيدُهُ طُلُوعُ الشَّمْسِ شَدًّا ، وظلامُ اللَّيْلِ مَدًّا ، وأن عبد المطلب وولده ومن معهم

(١) من تحية العرب في الجاهلية « عم صباحا » بكسر العين ، وفي كتب اللغة « كأنه محذوف من أم ينعم بكسر العين فيهما ، كما تقول كل من أكل يأكل ، لحذف منه الألف والنون تخفيفا » . ويقولون أيضا : أنعم الله صباحك ، من النعمة .

(٢) خزاعة : حي من الأزد ، وهم بنو عمرو بن ربيعة قيل سموا بهذا الاسم لأنهم لما ساروا مع قومهم من مأرب فاتنوا إلى مكة تنزعوا عنهم (أى تخلفوا) فأقاموا وسار الآخرون إلى الشام .

(٣) جاء في اللسان « وصوف البحر : شيء على شكل هذا الصوف الحيواني ، واحدته

صوفة ، ومن الأبيات قولهم : لا آتيك ما بَلَّ بَحْرُ صُوفَةٍ . وحكى اللحياني : ما بل البحر

صوفة « والمفهوم من صوف البحر أنه الإسفنج (٤) نير : جبل بقرب مكة . والفلاة : البادية .

(٥) الأخشبان : جبلا مكة ، أبوقبيس والأحر .

ورجال خزاعة متكافئون متظاهرون^(١) متعاونون ، فعلى عبد المطلب النصرة لهم بمن تابعه على كل طالب ، وعلى خزاعة النصرة لعبد المطلب وولده ومن معهم على جميع العرب في شرق أو غرب ، أو حزن^(٢) أو سهل ، وجعلوا الله على ذلك كفيلاً ، وكفى بالله جليلاً .

وروى هكذا :

« باسمك اللهم : هذا حلف عبد المطلب بن هاشم لخزاعة إذ قدم عليه سروعاتهم^(٣) وأهل الرأي منهم ، غائبهم يُقرّ مما قاضى عليه شاهدُهم : إن بيننا وبينكم عهد الله وميثاقه وما لا يُنسى أبداً ، اليد واحدة ، والنصر واحد ، ما أشرف ثبير ، وثبت حرايم^(٤) بمكانه ، وما بلّ بحر صوفة » .

(منتاح الأفكار ص ٣١)

١١ - كتاب أكتم بن صيفي إلى طي

وروى أبو الفضل الميّداني في مجمع الأمثال أن أكتم بن صيفي كتب إلى طي بوصية ، وهي :

« أوصيكم بتقوى الله وصلّة الرّحيم ، وإياكم ونكاح الحَمَقاء ، فإن نكاحها غرر^(٥) ، وولدها ضياع ، وعليكم بالخيّل فأكرموها ، فإنها حصون العرب ، ولا تضعوا رِقَابَ الإبل في غير حقّها ، فإن فيها ثمن الكريمة^(٦) ، ورقوء الدم^(٧) ، وبألبانها يُتخف الكبير^(٨) ، ويُغذى الصغير ،

(١) تظاهروا : تعاونوا . (٢) الحزن : ما غلظ من الأرض . (٣) السرو بالفتح : المروءة في شرف ، سرو فهو سري ، واسم الجمع سراة بالفتح ، وجمعها سروات . (٤) حراء : جبل بمكة . (٥) الغرر : الخطر ، غرّ بنفسه تفريراً : عرضها للهلكة ، والاسم الغرر . (٦) يريد مهرها (٧) رقاً الدم : جف وسكن . والرقوء كصبور : ما يوضع على الدم ليرقّه . والمعنى أنها تعطي في لديات فتحن بها الدماء . (٨) التحفة : البر واللاطف (بالتحريك) والطرفة (بالضم) وقد اتحفته تحفة .

ولو أن الإبل كُفِّتِ الطَّحْنَ لَطَحَتْ ، وإن يَهْلِكَ امرؤ عَرَفَ قَدْرَهُ ،
والْعُدْمُ^(١) عُدْمُ العقل لا عدم المال ، وَلَرَجُلٌ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ رَجُلٍ ، ومن
عَتَبَ على الدهر طالت معتَبَتُهُ ، ومن رَضِيَ بِالْقَسَمِ^(٢) طابت معيشتُهُ ، وآفَةُ
الرأى الهوى ، والعادة أَمَلُكُ^(٣) ، والحاجة مع المحبة خير من البغض مع
الغنى ، والدنيا دُولٌ : فما كان لك أتاكَ على ضعفك ، وما كان عليك لم تدفعه
بقوتك ، والحسد داء ليس له دواء ، والشَّامَةُ تُعْقِبُ ، ومن يَرِ يوماً يُرِ به .
قَبْلَ الرَّمَاءِ مُتَمَلِّأُ الْكِنَانُ^(٤) . الندامة مع السفاهة . دِعامَةُ العقل الحِلْمُ . خير
الأمور مَغَبَّةُ الصَّبْرِ . بقاء المودَّةِ عَدْلٌ^(٥) التعاهُدِ . من يَزُرْ غِبًّا يَزِدْ حَبًّا .
التغِيرُ مِفْتَاحُ البُؤْسِ . من التواني والعجز تُتَجَّتِ^(٦) الْهَلَكَةُ . لكل شيء
ضَرَاوَةٌ^(٧) ، فَضَرَّ لِسَانُكَ بِالْخَيْرِ . عِيٌّ الصَّمْتُ أَحْسَنُ مِنْ عِيٍّ الْمَنْطِقِ .
الحَزْمُ حِفْظُ مَا كُفِّتَ وَتَرَكُ مَا كُفِّيتَ . كثيرُ التَّنَصُّحِ يَهْجُمُ على كثير
الظَّنَّةِ^(٨) . من أَلَفَ^(٩) فِي الْمَسْأَلَةِ ثَقُلَ . من سأل فوق قدره استحق الحُرْمَانَ .
الرَّفْقُ يُنَمِّنُ ، والخُرْقُ شَوْمٌ . خير السَّخَاءِ ما وافق الحاجة . خير العفو
ما كان بعد القدرة . (جمع الأمثال للبيداني ج ٢ ص : ٨٧)

(١) العدم بالضم وبضمين وبالتحريك : فقدان ، وغلب على فقدان المال (٢) انقسم : القدر
(٣) وفي رواية : « العادة أملك من الأدب » . (٤) الرماء مصدر رامى كالمرامة . والكنان
جمع كنانة (بالكسر) ، وهى جعبة (بالفتح) السهام ، وهو مثل معناه : تؤخذ للأمر أهيبته
قبل وقوعه . ومثله قولهم : « قبل الرمي يراش السهم » أى يوضع له الريش .
(٥) العدل : الاستقامة . أى بقاء المودة فى استقامة التعاهد والحرص على سلامة شروطه .
(٦) ويروى « تتجت الفاقة » . (٧) يقال : ضرى الكلب بالصيد كفرح ضراوة : أى
تعوّد ، وكتب ضار . وأضراره صاحبه : عوّدته . وأضراره به : أغراه . وضراره أيضاً تضرية .
(٨) أى التهمة . (٩) أَلَفَ

١٢ - كتاب أكثم بن صيفي إلى النعمان بن خميصة البارقي

وروى أبو هلال العسكري في جمهرة الأمثال قال :

كتب النعمان بن خميصة البارقي إلى أكثم بن صيفي^(١) : « مثل لنا مثالا
نأخذ به » ، فقال :

« قَدْ حَلَبْتُ الدَّهْرَ أَشْطَرَهُ^(٢) فَعَرَفْتُ حُلُوهَ وَمُرَّهَ ، عَيْنٌ عَرَفَتْ
فَذَرَفَتْ^(٣) ، إِنْ أَمَامِي مَالًا أَسَامِي^(٤) ، رَبٌّ سَامِعٌ بِخَبْرِي لَمْ يَسْمَعْ بِعُذْرِي ،
كُلُّ زَمَانٍ لِيَنْ فِيهِ ، فِي كُلِّ يَوْمٍ مَا يُكْرَهُ ، كُلُّ ذِي نُصْرَةٍ سَيُخْذَلُ ، تَبَارَتْوَا
فَإِنْ الْبَرُّ يَنْمِي^(٥) عَلَيْهِ الْعَدَدُ ، كُفُّوا أَلْسِنَتَكُمْ ، فَإِنْ مَقْتَلَ الرَّجُلَ بَيْنَ فَكَّيْهِ ،
إِنْ قَوْلَ الْحَقِّ لَمْ يَدْعُ لِي صَدِيقًا ، الصَّدَقُ مَنْجَاةٌ ، لَا يَنْفَعُ مَعَ الْجَزَعِ التَّبَقُّيُّ ،
وَلَا يَنْفَعُ مِمَّا هُوَ وَاقِعٌ التَّوَقُّيُّ ، سَتُسَاقُ إِلَى مَا أَنْتَ لَاقٍ ، فِي طَلَبِ الْمَعَالِي
يَكُونُ الْعَنَاءُ^(٦) ، الْاِقْتِصَادُ فِي السَّعْيِ أَبْقَى لِلْجَمَامِ^(٧) ، مَنْ لَمْ يَأْسَ عَلَى مَا فَاتَهُ
وَدَعَا بَدَأُهُ ، وَمَنْ قَنَعَ بِمَا هُوَ فِيهِ قَرَّتْ عَيْنُهُ ، التَّقَدُّمُ قَبْلَ التَّنَدُّمِ^(٨) ، أَصْبَحُ

(١) هكذا روى أبو هلال ، وذكر الميداني أن أكثم وصى بهذه الوصية بنيه حين جمعهم ،
ورواية أبي هلال أطول بكثير من رواية الميداني ، وقد جمعت بين الروایتين ، ولينبه إلى أنه قد ورد
في هذا الكتاب بعض ماورد في الكتاب السالف . (٢) للناقة شطران : قادمان وآخران ، فكل
خلفين من أخلافها شطر بالفتح (والخلف بالكسر لها كالضرع للبقرة) وأشطره بدل من الدهر .
والعني أنه اختبر شطري الدهر خيره وشره ، فعرف ما فيه ، وهو مثل يضرب فيمن جرب الدهر .
(٣) ذرفت عينه كضرب : سال دمعها ، وذرفت العين دمعها : أسالته ، وهو مثل يضرب لمن رأى
الأمر فعرف حقيقته . (٤) ساماه : باراه في السمو . (٥) يزيد ، وفي جمع الأمثال « يبق »
(٦) في جمهرة الأمثال « يكون العز » . (٧) أي أبقى للقوة ، من جم الفرس جاما (بالفتح) :
ترك الضراب فتجمع ماؤه ، وجم الماء يجم يضم الحميم وكسرها جوما : كثر واجتمع ، والبر :
تراجع ماؤها ، والجمام بالفتح أيضاً : الراحة . ولم يأس : لم يحزن .
(٨) أي فسكر في التقدم قبل أن تندم .

عند رأس الأمر أَحَبُّ إِيَّاهُ مِنْ أَنْ أَصْبَحَ عِنْدَ ذَنْبِهِ . لَمْ يَهْلِكْ مِنْ مَالِكَ مَا وَعَظَكَ . وَيْلٌ لِعَالَمٍ أَمْرٍ مِنْ جَاهِلِهِ ، يَتَشَابَهُ الْأَمْرَ إِذَا أَقْبَلَ فَإِذَا أَذْبَرَ عَرَفَهُ الْكَيْسُ وَالْأَحَقُّ . الْوَحْشَةُ ذَهَابُ الْأَعْلَامِ^(١) . الْبَطَرُ عِنْدَ الرِّخَاءِ مُحَقٌّ ، وَالْعَجْزُ عِنْدَ الْبَلَاءِ أَفْنٌ^(٢) . لَا تَغْضَبُوا مِنَ الْيَسِيرِ فَرَجَمَا جَنَى الْكَثِيرِ . لَا تُجْبِئُوا فِيمَا لَمْ تُسْأَلُوا عَنْهُ ، وَلَا تَضْحَكُوا مِمَّا لَا يُضْحَكُ مِنْهُ . حِيلَةٌ مَنْ لَا حِيلَةَ لَهُ الصَّبْرُ ، كُونُوا جَمِيعًا فَإِنَّ الْجَمْعَ غَالِبٌ ، تَثَبَّتُوا وَلَا تُسَارِعُوا فَإِنَّ أَحْزَمَ الْفَرِيقَيْنِ الرَّكِينُ . رَبُّ عَجَلَةٍ تَهْبُ رَيْثًا^(٣) . ادَّرِعُوا اللَّيْلَ وَاتَّخِذُوهُ جَمَلًا ، فَإِنَّ اللَّيْلَ أَخْفَى لِلْوَيْلِ ، وَلَا جَمَاعَةَ لِمَنْ اخْتَلَفَ . تَنَاءً وَافِي الدِّيارِ وَلَا تَبَاغَضُوا ، فَإِنَّهُ مَنْ يَجْتَمِعُ يَتَقَعَّقُ^(٤) عَمْدُهُ . اَلْزِمُوا النِّسَاءَ الْمَهَابَةَ^(٥) ، نِعَمَ لَهُوَ الْغُرَّةُ الْمِغْزَلُ . إِنْ تَعِشْ تَرَمَّالْمَ تَرَهُ ، قَدْ أَقْرَأَ صَامِتٌ ، الْمَكْثَارُ كَحَاطِبٍ^(٦) لَيْلٍ ، مَنْ أَكْثَرَ اسْتَقَطَ^(٧) . لَا تَجْعَلُوا سِرًّا إِلَى أُمَّةٍ . لَا تَفَرِّقُوا فِي الْقَبَائِلِ ، فَإِنَّ الْغَرِيبَ بِكُلِّ مَكَانٍ مَظْلُومٌ . عَاقِدُوا الثَّرْوَةَ^(٨) ، وَإِيَّاكُمْ وَالْوَشَائِظَ^(٩) ، فَإِنَّ مَعَ الْقِلَّةِ الدَّلَّةَ ، لَوْ سُئِلَتِ الْعَارِيَّةُ قَالَتْ : أَبْنَى لِأَهْلِي ذُلًّا . الرِّسُولُ مُبَلِّغٌ غَيْرُ مَلُومٍ . مَنْ فَسَدَتْ بَطَانَتُهُ غَصَّ بِالْمَاءِ . أَسَاءَ سَمْعًا فَأَسَاءَ جَابَةً^(١٠) ، الدَّلَالُ عَلَى

- (١) الأعلام جمع علم بالحريك ، وهو سيد القوم . (٢) الأفن : ضعف الرأى والعقل .
 وفي الأصل « أمن » : وهو تحريف . (٣) الركين : الرزين . والرث : الإبطاء .
 (٤) تققع : اضطرب وتحرك . وفي الأصل : « عنده » بدل « عمدته » ، وهو تحريف ، وهذا مثل معناه : لا بد من الافتراق بعد الاجتماع ، أو معناه : إذا اجتمع القوم وتقاربوا وقع بينهم الشر ففترقوا ، أو من غبط بكثرة العدد واتساق الأمر فهو معرض الزوال والانتشار .
 (٥) أى أن يهينكم ويوقرنكم ، وفي الأصل : « المهانة » وهو تصحيف . والغرة : الشريفة .
 (٦) الحاطب : الذى يجمع الخطب ، وهو حاطب ليل : أى مخطط فى كلامه .
 (٧) أسقط كلمة ، وأسقط فى كلمة : أخطأ . (٨) عاقدوا : حالفوا . والثروة : كثرة العدد من الناس . (٩) يقال : هم وشيطة فى قومهم : أى حشوفهم .
 (١٠) جابة بمعنى لإجابة : اسم وضع موضع المصدر . ومثلها الطاعة والطاقة والغارة والعاراة . قال =

الخير كفاعله . إن المسألة من أضعف المسكنة ، قد تجوع الحرّة ولا تأكل بِشَدِّينِهَا^(١) ، لم يجره سالك القصد ، ولم يعم قاصد الحق . من شدد تفرّ ، ومن تراخى تألف . الشرفُ التغافل . أوفى القول أوجزه . أصوبُ الأمور تركُ الفضول . التفريرُ مفتاح البؤس . التواني والعجز يُنتجان الهلكة . لكل شيء ضراوة . أحوجُ الناس إلى الغنى من لا يصلحه إلا الغنى وهم الملوك . حبُّ المدح رأس الضياع . رضا الناس غاية لا تُبْلَغ . لا تكره سُخْطَ مَنْ رِضَاهُ الْجَوْرُ . مُعَالَجَةُ الْعَفَافِ مَشَقَّةٌ فَتَعَوِّذُ بِالصَّبْرِ . اقْصُرْ

== الفضل : أول من قال ذلك سهيل بن عمرو ، وكان تزوج صفية بنت أبي جهل بن أبي هشام ، فولدت له أنس بن سهيل ، فخرج معه ذات يوم ، فوقف بحزورة مكة (والحزورة كفسورة : الراية الصغيرة) . فأقبل الأخنس بن شريق الثقفي . فقال ، من هذا ؟ قال سهيل ابني . قال الأخنس : حيّاك الله يا فتى ! قال : لا ، والله ما أمي في البيت ، انطلقت إلى أم حنظلة تطحن دقيقاً . فقال أبوه : « أساء سمعا فأساء جابة » : فأرسلها مثلاً .

(١) أى لا تعيش بسبب ثدييها وبما يفلان عليهما من أجرة الإرضاع ، يضرب في صيانة الرجل نفسه عن خسيس المكاسب ، وذكروا أن أول من قاله الحارث بن سليل الأسدي ، وكان شيخاً كبيراً ، وكان حليفاً لعقمة بن خصفة الطائي ، فزاره فنظر إلى ابنته الزباء ، وكانت من أجل أهل دهرها ، فأعجب بها . فقال له : أتيتك خاطباً ، وقد ينكح الخاطب ، ويدرك الطالب ، وينجح الراغب . فقال له عقمة : أنت كفء كريم ، يقبل منك الصفو ، ويؤخذ منك العفو ، فأتم ننظر في أمرك ، ثم انكفأ إلى أمها . فقال : إن الحرث بن سليل سيد قومه حسباً ومنصباً وبيتاً ، وقد خطب إلينا الزباء ، فلا ينصرفن إلا بحاجته . فقالت المرأة لابنتها : أى الرجال أحب إليك ؟ الكهل المجحاج (أى السيد) الواصل المساح ، أم الفتى الوضاح ؟ قالت : لا ، بل الفتى الوضاح ، قالت : إن الفتى يغيرك ، وإن الشيخ يغيرك ، وليس الكهل الفاضل ، الكثير النائل ، كالحديث السن ، الكثير المن ، قالت : يا أمتاه ، إن الفتاة تحب الفتى كحب الرعاء أنيق الكلاء ، قالت : أى بنية ، إن الفتى شديد الحجاب ، كثير العتاب ، قالت إن الشيخ يبلى شبابي ، ويدنس ثيابه ، ويشمت بى أترابي ، فلم ترل أمها بها حتى غابتها على رأيها ، فتزوجها الحرث على مائة وخمسين من الإبل وخادم وألف درهم فابتنى بها ، ثم رحل بها إلى قومه ، فبينا هو ذات يوم جالس بفناء قومه وهي إلى جانبه ، إذ أقبل إليه شباب من بني أسد يعتلجون : (أى يتصارعون ويتقاتلون) فتنفست الصعداء ، ثم أرخت عينيها بالبكاء . فقال لها : ما يبكيك ؟ قالت : مالى وللشيوخ ، أناهضين كالفرّوخ ! فقال لها : ثكلك أمك ! تجوع الحرّة ولا تأكل بثدييها ، أما وأبيك لرب غارة شهدتها ، وسبية أردقتها ، وخمرة شربتها ، فالحق بأهلك فلا حاجة لى فيك .

لسانك على الخير ، وأخّر الغضب ، فإن القدرة من ورائك . مَنْ قَدَّرَ أَرْزَمَ .
 أمرُ أعمالِ المقتدرين الانتقام ، جازٍ بالحسنة ولا تكافئُ بالسيئة ، أغنى الناس
 عن الحقد مَنْ عَظُمَ عن المجازاة ، مَنْ حَسَدَ مَنْ دُونَهُ قَلَّ عُذْرُهُ . مَنْ جَعَلَ
 لِحَسَنِ الظن نصيباً رَوَّحَ عن قلبه . عِيَّ الصمتُ أَحْمَدُ مِنْ عِيِّ المنطق . الناس
 رجالان : محترسٌ ومحترسٌ منه . كثيرُ النصيح يَهْجُمُ على كثيرِ الظنَّة . مَنْ أَلَحَّ
 فِي الْمَسْأَلَةِ أَبْرَمَ^(١) . خير السخاء ما وافق الحاجة . الصمتُ يُكْسِبُ المحبة .
 لَنْ يَغْلِبَ الْكَذِبُ شَيْئاً إِلَّا غَلَبَ عَلَيْهِ الصِّدْقُ ، الْقَلْبُ قَدْ يُتَّهَمُ وَإِنْ صَدَقَ
 اللِّسَانُ . الاتِّبَاضُ عَنِ النَّاسِ مَكْسَبَةٌ لِلْعَدَاوَةِ ، وَتَقْرِيبُهُمْ مَكْسَبَةٌ لِلْقَرِينِ
 السَّوِّءِ ، فَكُنْ مِنَ النَّاسِ بَيْنَ الْقُرْبِ وَالْبَعْدِ ، فَإِنْ خَيْرَ الْأُمُورِ أَوْسَاطُهَا .
 فُسُؤْلُهُ^(٢) الْوُزَرَاءُ أَضَرُّ مِنْ بَغْضِ الْأَعْدَاءِ . خَيْرُ الْقُرَنَاءِ الْمَرَأَةُ الصَّالِحَةُ ،
 وَعِنْدَ الْخَوْفِ حُسْنُ الْعَمَلِ ، مَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ مِنْ نَفْسِهِ زَاجِرٌ لَمْ يَكُنْ لَهُ مِنْ غَيْرِهِ
 وَاعِظُ ، وَتَمَكَّنْ مِنْهُ عَدُوُّهُ عَلَى أَسْوَأِ عَمَلِهِ . لَنْ يَهْلِكَ أَمْرٌ وَحَتَّى يَمْلَ^(٣) النَّاسُ
 عَتِيدَ فَعْلِهِ ، وَيَشْتَدُّ عَلَى قَوْمِهِ ، وَيُعْجَبُ بِمَا ظَهَرَ مِنْ مَرُوءَتِهِ ، وَيَغْتَرُّ بِقُوَّتِهِ ،
 وَالْأَمْرُ يَأْتِيهِ مِنْ فَوْقِهِ . لَيْسَ لِلْمُخْتَالِ فِي حَسَنِ الثَّنَاءِ نَصِيبٌ ، لَا نَمَاءَ
 مَعَ الْعَدَمِ ، إِنَّهُ مِنْ أَتَى الْمَكْرُوهَ إِلَى أَحَدٍ بَدَأَ بِنَفْسِهِ ، الْعِيُّ أَنْ تَتَكَلَّمَ فَوْقَ
 مَا تُسَدُّ بِهِ حَاجَتَكَ . لَا يَنْبَغِي لِعَاقِلٍ أَنْ يَثِقَ بِإِخَاءٍ مِنْ تَضَطَّرَّهِ إِلَى إِخَائِهِ حَاجَةً .
 أَقْلُ النَّاسِ رَاحَةُ الْحَقُودِ ، مَنْ تَعَمَّدَ الذَّنْبَ لَا تَحِلُّ رَحْمَتُهُ دُونَ عَقُوبَتِهِ ، فَإِنْ
 الْأَدَبُ رِفْقٌ وَالرَّفْقُ يُنَمُّ » (جمهرة الأمثال ١ : ٣٢٠ ، وجمع الأمثال ٢ : ١٤٥)

(١) أبرمه : أخجره وأمله . (٢) فسل ككرم وعلم فسولة ، فهو فسل كضخم : أى رذل
 لامروءة له ، والوزراء جمع وزير ، وهو النصير والظهير .
 (٣) في الأصل : « يملك » . وأرى صوابه : « يمل » .

الرسائل

في

عصر صدر الإسلام

كتب سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم ، وما يتصل بها

١ - كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم

بين المهاجرين والأنصار واليهود بالمدينة

لما قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة ، كتب كتابا بين
المهاجرين والأنصار وأدع فيه اليهود وعاهدهم ، وأقرهم على دينهم وأموالهم ،
وشرط عليهم ، واشترط لهم ، وهو :

« بسم الله الرحمن الرحيم : هذا كتاب من محمد النبي بين المؤمنين
والمسلمين من قريش ويثرب ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم ، أنهم

أُمَّةٌ واحدةٌ من دون الناس ، المهاجرون من قريش على رِبَاعَتِهِمْ يتعاقلون^(١) بينهم ، وهم يَفْدُون عَانِيَهُم بِالْمَعْرُوفِ وَالْقِسْطِ^(٢) بين المؤمنين ، وبنو عوف على رباعتهم يتعاقلون معاقِلَهُم الْأُولَى ، وكل طائفة تَقْدِي عَانِيَهَا بِالْمَعْرُوفِ وَالْقِسْطِ بين المؤمنين ، وبنو سَاعِدَةَ على رباعتهم يتعاقلون معاقِلَهُم الْأُولَى ، وكل طائفة منهم تَقْدِي عَانِيَهَا بِالْمَعْرُوفِ وَالْقِسْطِ بين المؤمنين ، وبنو الْحُرثِ على رباعتهم يتعاقلون معاقِلَهُم الْأُولَى ، وكل طائفة تَقْدِي عَانِيَهَا بِالْمَعْرُوفِ وَالْقِسْطِ بين المؤمنين ، وبنو جُشَمٍ على رباعتهم يتعاقلون معاقِلَهُم الْأُولَى ، وكل طائفة منهم تَقْدِي عَانِيَهَا بِالْمَعْرُوفِ وَالْقِسْطِ بين المؤمنين ، وبنو النَّجَّارِ على رباعتهم يتعاقلون معاقِلَهُم الْأُولَى ، وكل طائفة منهم تَقْدِي عَانِيَهَا بِالْمَعْرُوفِ وَالْقِسْطِ بين المؤمنين ، وبنو عَمْرٍو بن عوف على رباعتهم يتعاقلون معاقِلَهُم الْأُولَى وكل طائفة تَقْدِي عَانِيَهَا بِالْمَعْرُوفِ وَالْقِسْطِ بين المؤمنين ، وبنو النَّبِيتِ على رباعتهم يتعاقلون معاقِلَهُم الْأُولَى ، وكل طائفة تَقْدِي عَانِيَهَا بِالْمَعْرُوفِ وَالْقِسْطِ بين المؤمنين . وبنو الْأَوْسِ على رباعتهم يتعاقلون معاقِلَهُم الْأُولَى ، وكل طائفة منهم تَقْدِي عَانِيَهَا بِالْمَعْرُوفِ وَالْقِسْطِ بين المؤمنين .

وَأَنَّ الْمُؤْمِنِينَ لَا يَتْرَكُونَ مُفْرَجًا^(٣) بَيْنَهُمْ أَنْ يُعْطَوْهُ بِالْمَعْرُوفِ فِي فِدَاءِ

(١) رباعة الرجل : شأنه وحاله التي هو رابع عليها ، أى ثابت مقيم ، ويقال : تركناهم على رباعتهم بفتح الراء وكسرهما ، ورباعهم بفتحها ، وربعاتهم بالتحريك ، وربعاتهم ككفف ، وربعاتهم كعنية : أى على حالة حسنة من استقامتهم وأمرهم الأول ، لا يكون في غير حسن الحال ، والمعنى : لأنهم على أمرهم الذي كانوا عليه . والتعاقل : تفاعل من العقل (وعقل القتيل عقلا : أعطى دينه) والمعاقل : جمع معقلة (بضم القاف) وهى الدية ، ومعنى يتعاقلون معاقِلَهُم الْأُولَى : أى يكونون على ما كانوا عليه فى الجاهلية من أخذ الديات وإعطائها ، أو على مراتب آبائهم ، وأصله من ذلك .

(٢) العانى : الأسير . والقسط : العدل .

(٣) المفرج : الذى قد أفرجه الدين والغرم : أى فدحه وأقبله ، ولا يند قضاءه (ومعنى أفرجه هنا : سلبه الفرج) . ويروى : « مفرجا » بالميم . والمفرج : هو الرجل يكون فى القوم من غيرهم فيلزمهم =

أَوْ عَقْلٌ ، وَلَا يَحَافُ مُؤْمِنٌ مَوْلىَ مُؤْمِنٍ دُونَهُ ، وَأَنْ الْمُؤْمِنِينَ الْمُتَّقِينَ عَلَى مَنْ بَغَى مِنْهُمْ ، أَوْ أَبْغَى دَسِيسَةً ظَلَمَ ، أَوْ إِثْمٌ ، أَوْ عُذْوَانٌ ، أَوْ فَسَادٌ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَأَنْ أَيْدِيَهُمْ عَلَيْهِ جَمِيعًا ، وَلَوْ كَانَ وَلَدٌ أَحَدِهِمْ ، وَلَا يَقْتُلُ مُؤْمِنٌ مُؤْمِنًا فِي كَافِرٍ ، وَلَا يُنْصَرُ كَافِرٌ عَلَى مُؤْمِنٍ ، وَأَنْ ذِمَّةُ اللَّهِ وَاحِدَةٌ . يُجِيرُ^(١) عَلَيْهِمْ أَدْنَاهُمْ ، وَأَنْ الْمُؤْمِنِينَ بَعْضُهُمْ مَوَالِي بَعْضٍ دُونَ النَّاسِ .

وَأَنَّهُ مَنْ تَبِعَنَا مِنْ يَهُودٍ^(٢) ، فَإِنْ لَهُ النَّصْرُ وَالْأُسُوءَةُ^(٣) غَيْرَ مَظْلُومِينَ ، وَلَا مُتَنَاصِرِينَ عَلَيْهِمْ ، وَأَنْ سَلِمَ^(٤) الْمُؤْمِنِينَ وَاحِدَةً ، لَا يَسْلِمُ مُؤْمِنٌ دُونَ مُؤْمِنٍ فِي قِتَالٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِلَّا عَلَى سَوَاءٍ^(٥) وَعَدْلٍ بَيْنَهُمْ ، وَأَنْ كُلَّ غَازِيَةٍ غَزَتْ مَعَنَا يَعْقُبُ بَعْضُهَا بَعْضًا^(٦) ، وَأَنْ الْمُؤْمِنِينَ يُبَيِّءُ^(٧) بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ بِمَا نَالُ دِمَائِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَأَنْ الْمُؤْمِنِينَ الْمُتَّقِينَ عَلَى أَحْسَنِ هَدًى وَأَقْوَمِهِ ،

= أَنْ يَعْقِلُوا عَنْهُ . وَقِيلَ : هُوَ الْمُثْقَلُ بِحَقِّ دِيَّةٍ أَوْ فِدَاءٍ أَوْ غَرَمٍ . وَقِيلَ : أَنْ يَسْلَمَ الرَّجُلُ وَلَا يُوَالِيَ أَحَدًا ، فَإِذَا جَنَى جُنَايَةً كَانَتْ جُنَايَتُهُ عَلَى بَيْتِ الْمَالِ ، لِأَنَّهُ لَا عَاقِلَةَ لَهُ . وَقِيلَ : هُوَ الَّذِي لَا مَالَ لَهُ . وَقِيلَ : هُوَ الَّذِي لَا عَشِيرَةَ لَهُ . وَقِيلَ : هُوَ الْقَتِيلُ يَوْجَدُ فِي فَلَاحَةٍ مِنَ الْأَرْضِ ، فَهُوَ يُوَدَّى مِنْ بَيْتِ الْمَالِ وَلَا يَبْطُلُ دَمُهُ ، وَكَانَ الْأَصْمَى يَقُولُ : هُوَ مَفْرَحٌ بِالْحَاءِ وَيَنْكَرُ قَوْلَهُمْ مَفْرَجٌ بِالْجِيمِ .

(١) أَى إِذَا أَجَارَ وَاحِدٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ حُرًّا أَوْ عَبْدًا أَوْ امْرَأَةً وَاحِدًا أَوْ جَمَاعَةً مِنَ الْكُفَّارِ أَوْ خَفَرَهُمْ وَأَمْنَهُمْ جَارَ ذَلِكَ عَلَى جَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ ، لَا يَنْقُضُ عَلَيْهِ جَوَارَهُ وَأَمَانَهُ . وَفِي الْأَصْلِ : « يُجِيرُ عَلَيْهِمْ » وَهُوَ تَصْحِيفٌ . (٢) يُقَالُ : « يَهُودٌ » . بِدُونِ أَلْفٍ وَلامٍ ، وَهُوَ اسْمٌ لِلْقَبِيلَةِ وَعَلَيْهِ قَوْلُ الشَّاعِرِ : « أَوَّلُكَ أَوَّلَى مِنْ يَهُودٍ بِمَدْحَةٍ » . وَقَالُوا : « الْيَهُودُ » . فَأَدْخَلُوا الْأَلْفَ وَاللَّامَ فِيهَا عَلَى إِمْرَادَةِ النَّسَبِ يَرِيدُونَ الْيَهُودِيِّينَ . (٣) الْأُسُوءَةُ بِالضَّمِّ وَالْكَسْرِ : الْقُدُورَةُ . وَيُقَالُ : الْقَوْمُ أُسُوءَةٌ فِي هَذَا الْأَمْرِ : أَى حَظُّهُمْ فِيهِ وَاحِدَةٌ . (٤) السَّلَامُ بِكَسْرِ السِّينِ وَفَتْحِهَا : الصَّلَاحُ ، وَيُؤْتَى ، وَالْمَعْنَى : لَا يَصِلُاحُ وَاحِدٌ دُونَ أَصْحَابِهِ ، وَإِنَّمَا يَقَعُ الصَّلَاحُ بَيْنَهُمْ ، وَبَيْنَ عَدُوِّهِمْ بِاجْتِمَاعِ مَائِهِمْ عَلَى ذَلِكَ .

(٥) السَّوَاءُ : الْعَدْلُ وَالنِّصْفَةُ كَالسَّوِيَّةِ ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى : « قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ » أَى عَدْلٍ . (٦) أَى يَكُونُ الْغَزْوُ بَيْنَهُمْ نَوْبًا ، فَإِذَا خَرَجَتْ طَائِفَةٌ ثُمَّ عَادَتْ ، لَمْ تَكُنْ أَنْ تَعُودَ ثَانِيَةً حَتَّى تَعْقِبَهَا أُخْرَى غَيْرَهَا .

(٧) أَبَاءَهُ بِهِ : سَوَّاهُ بِهِ . مِنَ الْبَوَاءِ بِالْفَتْحِ وَهُوَ السَّوَاءُ وَالتَّكَافُؤُ . يُقَالُ : الْقَوْمُ بَوَاءٌ : أَى سَوَاءٌ وَمَا فَلَانٌ يَبُوءُ لِفُلَانٍ : أَى مَا هُوَ بِكَفٍّ لَهُ .

وأنه لا يُجِير مشرك مالا لقريش ، ولا نفساً ، ولا يحول دونه على مؤمن ،
وأنه من اعتَبَطَ^(١) مؤمناً قَتَلًا عن يَدَيْهِ فَإِنَّهُ قَوْدٌ^(٢) به إلى أن يَرْضَى وَلِيُّ
المقتول ، وأن المؤمنين عليه كَافَّةً ، ولا يَحِلُّ لهم إلا قِيَامُ عليه ، وأنه لا يَحِلُّ
لمؤمن أقرَّ بما في هذه الصحيفة ، وآمَنَ بالله واليوم الآخر أن يَنْصُرَ مُخَدِّثًا^(٣)
ولا يُؤْوِيَهُ ، وأنه مَنْ نَصَرَهُ أو آوَاه ، فَإِنَّ عَلَيْهِ لعنةَ الله وَغَضَبَهُ يومَ القيامة ،
ولا يُؤْخَذُ منه صَرْفٌ ولا عَدْلٌ^(٤) ، وأنكم مهما اختلفتم فيه من شيء ، فَإِنَّ
مَرَدَّهُ إِلَى اللَّهِ عز وجل ، وإلى محمد .

وأن اليهود يُنْفِقُونَ مع المؤمنين ما داموا محاربين ، وأن يهود بني عوف
أُمَّةٌ مع المؤمنين ، لليهود دينهم ، وللمسلمين دينهم ، مَوَالِيَهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ ،
إِلَّا مَنْ ظَلَمَ وَأَثِمَ ، فَإِنَّهُ لَا يُؤْتِغِ^(٥) إِلَّا نَفْسَهُ وَأَهْلَ بَيْتِهِ ، وأن لِيَهُودِ بني
النَّبَارِ مثلَ ما ليهود بني عوف ، وأن لِيَهُودِ بني الْحُرثِ مثلَ ما ليهود بني
عوف ، وأن ليهود بني ساعدة مثلَ ما ليهود بني عوف ، وأن ليهود بني
جُثَمِ مثلَ ما ليهود بني عوف ، وأن ليهود بني الْأَوْسِ مثلَ ما ليهود بني
عوف ، وأن ليهود بني ثَعْلَبَةَ مثلَ ما ليهود بني عوف ، إِلَّا مَنْ ظَلَمَ وَأَثِمَ فَإِنَّهُ
لَا يُؤْتِغِ إِلَّا نَفْسَهُ وَأَهْلَ بَيْتِهِ ، وأن جَفْنَةَ بَطْنٍ من ثَعْلَبَةَ كَأَنْفُسِهِمْ ، وأن

(١) أى قتله بلا جناية كانت منه ولا جريرة توجب قتله ، وأصله من اعتبط الذبيحة إذا نحرها من غير
داء ولا كسر ، وهى سميعة فدية . (٢) القود : القصاص أى فإن القاتل يقاد به ويقتل .
(٣) أى أن ينصر جانياً ويحميه من خصمه ويحول بينه وبين أن يقتص منه .

(٤) الصرف : التوبة . والعدل : الفدية . وقيل الصرف : القيمة . والعدل : المثل ، وأصله فى
القديية يقال : لم يقبلوا منهم صرفاً ولا عدلاً ، أى لم يأخذوا منهم دية ، ولم يقتلوا بقتيلهم رجلاً
واحداً : أى طلبوا منهم أكثر من ذلك ، ثم جعل بعد فى كل شيء حتى صار مثلاً فيمن لم يؤخذ منه
الشيء الذى يجب عليه وألزم أكثر منه . (٥) أوتغى : أهلكه ، وألقاه فى بلية .

لبنى الشطنة مثل ما ليهود بنى عوف ، وأن البر^(١) دون الإثم ، وأن موالى ثعلبة كأَنفسهم ، وأن بطانة يهود كأَنفسهم ، وأنه لا يخرج منهم أحد إلا بإذن محمد ، وأنه لا ينحجز على ثأر جرح ، وأنه من فُتِكَ فبنفسه فُتِكَ وأهل بيته إلا من ظُلم ، وأن الله على أبرّ هذا^(٢) ، وأن على اليهود نفقتهم ، وعلى المسلمين نفقتهم ، وأن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة ، وأن بينهم النصح والنصيحة ، والبر دون الإثم ، وأنه لم يَأْثِم امرؤٌ بحليفه ، وأن النصر للمظلوم ، وأن اليهود ينفقون مع المؤمنين مادموا محاريبين ، وأن يثرب حرامٌ جَوْفُهَا لأهل هذه الصحيفة^(٣) وأن الجار كالنفس غيرَ مُضَارٍ^(٤) ، ولا آثِم ، وأنه لا تُجَار حُرْمَةٌ إلا بإذن أهلها .

وأنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حَدَث أو اشتجار^(٥) يُخَاف فسادُه ، فإن مَرَدَّه إلى الله عز وجل ، وإلى محمد رسول الله ، وأن الله على أتقى ما في هذه الصحيفة وأبرّه ، وأنه لا تُجَار قريش ولا مَنْ نَصَرَهَا ، وأن بينهم النَّصْر على مَنْ دَهَمَ يَثْرِب ، وإذا دُعُوا إلى صلح يصالحونه ويلبسونه ، فإنهم يصالحونه ويلبسونه ، وأنهم إذا دُعُوا إلى مثل ذلك فإنه لهم على المؤمنين إلا من حارب في الدين ، على كل أناس حصَّتهم من جانبهم الذي قبلهم ، وأن يهود الأوس مواليتهم وأنفسهم على مثل ما لأهل هذه الصحيفة ، مع البر الحسن من أهل هذه الصحيفة ، وأن البر دون الإثم ، لا يكسِبُ كسِبٌ إلا على نفسه ، وأن الله على أصدق ما في هذه الصحيفة وأبرّه ، وأنه لا يحول هذا

(١) أى أن البر والوفاء ينبغى أن يكون حاجزا عن الإثم . (٢) أى أن الله وحزبه للمؤمنين على الرضا به . (٣) أى حرم لهم لا يعمل انتهاكه . (٤) ضارّه ضراراً ومضارة : ضره . والحرمة : ما لا يعمل انتهاكه . (٥) الاشتجار : التخاصم والتنازع .

الكتاب دون ظالم وآثم ، وأنه من خرج آمن ، ومن قعد آمن بالمدينة ، إلا من ظلم أو آثم ، وأن الله جازل لمن برّ واتقى ، ومحمد رسول الله^(١) .

(سيرة ابن هشام ١ : ٣٠١)

٢ — كتاب الصلح بينه صلى الله عليه وسلم وبين قريش عام الحديبية

ولما صَدَّتْ قُرَيْشُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ زِيَارَةِ الْبَيْتِ الْحَرَامِ عَامَ الْحَدِيثِ^(٢) - سنة ست للهجرة - وكان بينه وبينهم ما كان^(٣) ، بعثوا إليه سُهَيْلَ بْنَ عَمْرٍو فِي طَلَبِ الصَّلْحِ ، فدعا صلى الله عليه وسلم على ابن أبي طالب رضى الله عنه فقال : اكتب : « بسم الله الرحمن الرحيم » فقال سهيل : لا أعرف هذا^(٤) ، ولكن اكتب « باسمك اللهم^(٥) » كما

(١) وجاء في الروض الأنف للسهيلي شرح السيرة النبوية لابن هشام : « وقال أبو عبيد في كتاب الأموال : إنما كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا الكتاب قبل أن تفرض الجزية ، وإذا كان الإسلام ضعيفا ، قال : وكان لليهود إذ ذاك نصيب في المنعم إذا قاتلوا مع المسلمين كما شرط عليهم في هذا الكتاب النفقة معهم في الحروب » . (٢) الحديبية : بئر بقرب مكة على طريق جدة ، ثم أطلق على الموضع ، وكان عليه الصلاة والسلام قد نزل بها حين قصد إلى مكة لزيارة البيت سنة ست هجرية . (٣) بعث صلى الله عليه وسلم عثمان بن عفان رضى الله عنه إلى قريش يخبرهم أنه لم يأت لحرب ، وإنما جاء زائراً لهذا البيت معظماً لحرمة ، فانطلق عثمان حتى أتى أبا سفيان وعظماء قريش ، فبلغهم ما أرسل به ، فقالوا له : إن شئت أن تطوف بالبيت فطف به . فقال : ما كنت لأفعل حتى يطوف به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاحتبسته قريش عندها ، فبلغ رسول الله والمسلمين أن عثمان قد قتل . فقال عليه السلام : لا نبرح حتى تناجز القوم ، ودعا الناس إلى البيعة على قتال قريش ، فكانت بيعة الرضوان تحت الشجرة ، وذلك قوله تعالى : « لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ » . ولما علمت قريش بهذه البيعة خافوا وحنجوا إلى الصلح .

(٤) وفي صحيح البخارى : « أما الرحمن فوالله ما أدري ما هي ؟ » .

(٥) قدمنا أن قريشاً كانت قبل البيعة تكتب في أول كتبها : « باسمك اللهم » . وجاء في السيرة الحلبية أنه عليه السلام كتبها في أربعة كتب . ج ٢ : ص ١٤٣ . وجاء في صبح الأعشى . ج ٦ ==

كنت تكتب ، فقال المسلمون : والله لا نكتبُ إلا بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم اكتب : « بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ » فكتبها ، ثم قال اكتب : « هذا ما صالحَ عليه محمدٌ رسول الله سُهَيْلَ بن عمرو » فقال سهيل : والله لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صَدَدْنَاكَ عن البيت ولا قاتلناك ، ولكن اكتب « محمد بن عبد الله » فقال صلى الله عليه وسلم : والله إني لرسول الله وإن كَذَّبْتُمُونِي ، ثم قال لعلِّي كرم الله وجهه : أُمِّحُ رسول الله ، فقال : والله لا أُحْمُوكَ أبداً ، فقال : أَرِنِيهِ ، فأراه إياه ، فحاه بيده الشريفة ، وقال : اكتب :

« هذا ما صالحَ عليه محمدٌ بن عبد الله سُهَيْلَ بن عمرو : اصطلاحاً على وضع الحرب عن الناس عَشْرَ سنين ، يَأْمَنُ فِيهِمُ النَّاسُ ، وَيَكْفُفُ بَعْضُهُمُ عَنْ بَعْضٍ ، عَلَى أَنَّهُ مَنْ أَتَى مُحَمَّدًا مِنْ قُرَيْشٍ بِغَيْرِ إِذْنٍ وَلِيَّهِ رَدُّهُ عَلَيْهِمْ ، وَمَنْ جَاءَ قُرَيْشًا مَعِ مُحَمَّدٍ لَمْ يَرُدُّوهُ عَلَيْهِ ، وَأَنْ يَدْنُوا عَيْبَةَ مَكْفُوفَةً^(١) وَأَنَّهُ

= ص ٢١٩ . « روى محمد بن سعد في طبقاته أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يكتب كما تكتب قريش : « بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ » . حتى نزل عليه : « وَقَالَ أَرُ كَبُّوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ تَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا » فكتب : « بِاسْمِ اللَّهِ » . حتى نزل : « قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ » . فكتب : « بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ » . حتى نزل : « إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ » . فكتب : « بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ » وكذا ورد في السيرة الحلبية .

(٨) العيبة في الأصل : زبيل من آدم ، وما يجعل فيه الثياب والجمع عياب بالكسر ، وعيبه مكفوفة : مشرحة مشدودة على ما فيها ، والعرب تشبه الصدور التي فيها القلوب بالعياب التي تخرج على حرّ الثياب وفاخر المتاع ، فجعل عليه السلام العياب المشرحة على ما فيها مثلاً للقلوب طويت على ما تعاقدوا عليه . مثل بها الذمة المحفوظة التي لا تنكث ، أو معناه أن الشر يكون مكفوفاً بينهم كما تكف العياب إذا أشرجت على ما فيها من المتاع ، كذلك الذحول التي كانت بينهم قد اصطلعوا على أن لا ينشروها ، بل يتكفون عنها كأنهم قد جعلوها في وعاء وأخرجوا عايلها .

لا إِسْلَالَ ولا إِغْلَالَ^(١) ، وأنه من أحبَّ أن يدخل في عَقْدِ محمد وعَهْدِهِ دخل فيه ، ومن أحبَّ أن يدخل في عَقْدِ قريش وعَهْدِهِم دخل فيه^(٢) .

قال سهيل : « وَأَنْتَ تَرْجِعُ عَنَّا عَامَكَ هَذَا فَلَا تَدْخُلْ عَلَيْنَا مَكَّةَ ، وَأَنْتَ إِذَا كَانَ عَامٌ قَابِلٌ^(٣) خَرَجْنَا عَنْكَ ، فَدَخَلْتَهَا بِأَصْحَابِكَ ، فَأَقَمْتَ بِهَا ثَلَاثًا مَعَكَ سِلَاحُ الرَّا كِبِ : السَّيُوفُ فِي الْقُرْبِ^(٤) ، لَا تَدْخُلُهَا بِغَيْرِ هَذَا » .

فلما فَرَغَ مِنَ الْكِتَابِ أَشْهَدَ عَلَى الصَّلَاحِ رَجَالًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَرَجَالًا مِنَ الْمُشْرِكِينَ : أَبَا بَكْرَ بْنَ أَبِي قُحَافَةَ ، وَعُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ ، وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ عَوْفٍ ، وَعَبْدَ اللَّهِ بْنَ سُهَيْلٍ بْنَ عَمْرٍو ، وَسَعْدَ بْنَ أَبِي وَقَّاصٍ ، وَمُحَمَّدَ بْنَ مَسْلَمَةَ ، وَمُكْرَزَ بْنَ حَفْصٍ - وَهُوَ يَوْمُئِذٍ مُشْرِكٌ^(٥) - وَعَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ

(سيرة ابن هشام ٢ : ٢١٦ ، وتاريخ الطبري ٣ : ٧٩ ، وصبح الأعشى ٤ : ١٤ ، والسيرة الحلبية ٢ : ١٤٤ ، وتاريخ الكامل لابن الأثير ٢ : ٧٧ ، وكتاب الخراج لأبي يوسف ص ٢٥٠ ، وصحيح الامام البخاري ٢ : ص ٧٩ ، وإيجاز القرآن ص ١١٤ والجامع الصحيح للامام مسلم ٥ : ١٧٥)

٣ - كتابه صلى الله عليه وسلم إلى هرقل ملك الروم

وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم دِحْيَةَ بْنَ خَلِيفَةَ الْكَلْبِيِّ ، إِلَى هِرَقْلَ قَيْصَرَ الرُّومِ^(٦) سَنَةَ سِتٍّ^(٧) ، بَكْتَابٍ يَدْعُوهُ فِيهِ إِلَى الْإِسْلَامِ ، وَنَسَخْتِهِ :

(١) لا إِسْلَالَ : أى لا سرقة . وقيل : لارشوة ، من أسل إذا سرق ، وسله كنصر سلا مثله ، ولا إِغْلَالَ : أى لا خيانة ، من أغل إذا خان ، وغل كنصر غلولا مثله . (٢) فتوالت خزاعة . فقالوا : نحن في عقد رسول الله وعهده ، وتوالت بكر . فقالوا : نحن في عقد قريش وعهدهم . (٣) قبل العام والمهر أقبولا كقعد قعوداً ، فهو قابل . وأقبل فهو مقبل : ضد دبر دبوراً . (كقعد قعوداً أيضاً) وأدبر . (٤) القرب جمع قراب ككتاب : وهو نغم السيف . (٥) وقد أسلم سهيل بن عمرو يوم الفتح . (٦) وقيل أمر صلى الله عليه وسلم دحية أن يدفع الكتاب إلى عظيم بصرى (بصرى كحلى : بلد بالشام) وهو الحارث ملك غسان ، ليدفعه إلى قيصر ، ولما انتهى دحية إلى الحارث أرسل معه عدى بن حاتم ليوصله إلى قيصر ، فذهب به إليه ، وقد لقيه بيت المقدس .

(٧) كان ذلك زمن هدنة الحديبية أواخر سنة ست ، وقيل كتب إليه صلى الله عليه وسلم من

بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم
الروم، سلامٌ على من اتبع الهدى ، أمّا بعدُ: فأني أدعوك بدعاية^(١) الإسلام ،
أَسْلِمَ تَسْلَمَ ، أَسْلِمَ يُؤْتِكَ اللهُ أَجْرَكَ مرتين^(٢) ، فَإِنْ تَوَلَّيْتَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ إِيْمُ
الْأَرِيسِيِّينَ^(٣) ، و « يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ ،

== نبوك سنة تسع، وجمع بينهما بأنه عليه السلام كتب لقيصر مرتين ، والأول هوما في الصحيحين ، فقد
حدث أبوسفیان أن هرقل أرسل إليه في ركب من قريش كانوا تجاراً بالشام في المدة التي كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم مآذ فيها أباسفیان وكفار قريش ، فأتوه وهو بابلياء وحده هرقل في شأن
محمد إلى أن قال : ثم دعا بكتاب رسول الله الذي بعث به مع دحية إلى عظيم بصرى فدفعه إلى هرقل .

(١) أى بالكلمة الداعية إلى الإسلام ، وهى كلمة التوحيد : أى أدعوك إليها ، قالباء بمعنى إلى .
(٢) أى لإيمان أتباعك بسبب إيمانك ، أو لإيمانك بعيسى ، ثم بمحمد عليهما الصلاة والسلام .
(٣) وردت هذه الكلمة في متن البخارى : « الأريسين » . وجاء في إرشاد السارى لشرح صحيح
البخارى للقسطلانى . ج ١ : ص ٩٣ . « الأريسين » جمع أريس على وزن كريم ، وفي رواية :
« الأريسين » . بقلب الياء الأولى همزة ، وفي أخرى : « الأريسين » . بتشديد الياء بعد السين
جمع أريسى ، وفي أخرى : « الأريسين » . بتشديد الياء بعد السين أيضاً : وقلب الياء الأولى همزة
جمع أريسى ، وجاءت في صحيح مسلم مرة بالرواية الثالثة : « الأريسين » . وأخرى بالرواية الرابعة :
« الأريسين » . وفي لسان العرب : « الأريسين » . جمع أريس كسكيت ، ومن ذلك يتبين لك أن
في مفرداتها لغات : أريس وأريس ككريم . وأريسى وأريسى كتحقيق : وأريس كسكيت . وهو
الأكار : أى الفلاح . قال الأزهري : أحسب الأريس والإريس بمعنى الأكار من كلام أهل الشام ،
وقد جاء في رواية الطبري : « فَإِنْ إِيْمُ الْأَكَارِينَ عَلَيْكَ » . وكذا في تاريخ ابن الأثير ، وقال صاحب
السيرة الحلبية : « وجاء في رواية : إِيْمُ الْفَلَاحِينَ » . وكذا في شرح الزرقاني على المواهب ، وفي فتح
المبدي بشرح مختصر الزبيدي . ج ١ : ص ٣٦ .

وفي الكلام حذف دل عليه المعنى : أى فَإِنْ عَلَيْكَ مع إِيْمُكَ إِيْمُ الْأَرِيسِيِّينَ ، وإِنَّمَا خَسَّ هَؤُلَاءِ :
لأنهم أغلب رعاياه ، وأسرعهم انقياداً ، لجهلهم وسذاجتهم . وقيل المراد بالفلاحين أهل مملكته ،
لأن كل من كان يزرع فهو عند العرب فلاح ، سواء كان يلى ذلك بنفسه أم بغيره ، والعجم عند العرب
كلهم فلاحون لأنهم أهل زرع وحرث . فالعنى : فَإِنْ عَلَيْكَ إِيْمُ رَعَايَاكَ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَكَ وَيَتَقَادُونَ
لَأَمْرِكَ . وقيل : كان أهل السواد ومن هو على دين كسرى أهل فلاحية وإثارة للأرض ، وكان أهل
الروم أهل أثاث وصناعة ، فكانوا يقولون للجوسى أريسى نسبة إلى الأريس ، وهو الأكار ، وكانت
العرب تسميهم الفلاحين ، فأعلم النبي صلى الله عليه وسلم الروم أنهم وإن كانوا أهل كتاب ، فَإِنْ
عليهم من الإِيْمِ إن لم يؤمنوا بنبوته مثل إِيْمِ المجوس وفلاحى السواد الذين لا كتاب لهم . وقيل :
أراد أن عليه إِيْمُ الضعفاء والأتباع إذا لم يسلموا تقليداً له ، لأن الأصاغر أتباع الأكابر . وقيل : الإريس ==

أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ ، وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا ، وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ ، فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ^(١) .

(السيرة الحلبية ٢ : ٣٦٦ ، وصحيح الإمام البخارى ١ : ٥ ، والجامع الصحيح للإمام مسلم ٥ : ١٦٥ ، وتاريخ الطبرى ٣ : ٨٧ ، وتاريخ الكامل لابن الأثير ٢ : ٨١ ، والأغانى ٦ : ٩٣ ، وصبح الأعشى ٦ : ٣٧٦ ، والمواهب اللدنية للقسطلانى شرح الزرقانى ٣ : ٣٨٤)



وجاء فى صبح الأعشى :

وذكر أبو عبيد فى « كتاب الأموال » أن كتابه صلى الله عليه وسلم إلى هرقل ، كان فيه :

« من محمد رسول الله إلى صاحب الروم :

إنى أدعوك إلى الإسلام ، فإن أسلمتَ فَلَكَ ما لِلْمُسْلِمِينَ ، وعليك ما عليهم ، وإن لم تدخل فى الإسلام ، فَأَعْطِ الْجُزْيَةَ ، فإن الله تعالى يقول : « قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ، حَتَّى

= كسكت : الأمير ، والأصل فيه رئيس كسكت أيضاً من الرئاسة فقلب : أى فعليك إثم كبرائهم ، وقد جاء فى رواية الأغانى : « فإن إثم الأكبر عليك » . والمعنى : أنك إن توليت عن إجابة الدعوة لم يجب إليها كبراء دولتك تبعاً لك ، ولو أنهم أسلموا لهدوا قومهم إلى الإسلام ، لما لهم فيهم من الأمر المطاع والكلمة النافذة وقوة التأثير ، فامتناعك عن الإسلام يحملهم إثمًا مضاعفاً : إثم الامتناع عنه ، وإثم القعود عن نصرته ونشره ، والسمى فى التنفير منه والصد عنه .

(١) . الآية من سورة آل عمران .

يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ^(١) » وَإِلَّا فَلَا تَحُلْ بَيْنَ الْفَلَاحِينَ وَبَيْنَ
الْإِسْلَامِ أَنْ يَدْخُلُوا فِيهِ أَوْ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ^(٢) .

٤ - كتابه صلى الله عليه وسلم إلى كسرى ملك الفرس

وبعث صلى الله عليه وسلم عبد الله بن حذافة السهمي^(٣) إلى كسرى
أَبْرَوِيزَ ملك الفرس ، سنة ست ، وبعث معه كتاباً فيه :

« بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ إِلَى كَسْرَى عَظِيمِ فَارِسَ ،
سَلَامٌ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى ، وَآمَنَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ، وَشَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ،

(١) الجزية : الحراج الذى يضرب عليهم كل عام . واليد : الذلة والاستسلام ، أى حتى يؤدوها
منقادين خاضعين ، أو عن يدهم : أى مسلمين بأيديهم غير بائعين بأيدي غيرهم ، واليد أيضاً : القدرة
والقوة : أى عن قدرة عليهم وغلب ، أو عن قدرة منهم على الدفع وغنى ، ولذلك قيل لا تؤخذ من
الفقير . واليد : النعمة والصنيعة ، أى عن إغنام عليهم وإحسان فإن إبقائهم بالجزية نعمة عليهم ،
أو معناه : نقداً مسلمة عن يد إلى يد لانسيتة ، وهم صاغرون : أى أذلاء منقادون لحكم الإسلام ،
فهو تأكيد لقوله : « عن يد » . على المعنى الأول ، والآية من سورة التوبة .

(٢) وروى أن هرقل لما رجع إلى حمص دار ملكه ، كان له فيها قصر عظيم ، فأغلق أبوابه ،
وأمر منادياً ينادى : ألا إن هرقل قد آمن بحمد وانبعة ، فأقبلت الأجناد في سلاحها ، وطافت
بقصره تريد قتله ، فأرسل إليهم إني أردت اختبار صلابتكم في دينكم ، فقد رضيت ، فرفضوا عنه ، وفي
صحيح البخارى : « وسار هرقل إلى حمص فأذن لعظماء الروم في دسكرة له بحمص (والدسكرة
بفتح الدال والكاف : بناء للملوك يشبه القصر حوله بيوت للخدم والحشم) ، ثم أمر بأبوابها فغلقت ،
ثم اطلع فقال : يا معشر الروم ، هل لكم في الفلاح والرشد ، وأن يثبت ملككم ، فتبايعوا هذا
النبي ؟ فخاصوا حيصة حمر الوحش إلى الأبواب فوجدوها قد غلقت ، فلما رأى هرقل نفرتهم ، وأيس
من الإيمان منهم ، (إذ قالوا له : أتدعوننا أن نترك النصرانية ونصير عبيد الأعرابي ؟) قال : ردوهم
على ، وقال : إني قلت مقالتي آنفاً أخبر بها شدتكم على دينكم ، فقد رأيت ، فسجدوا له ورضوا
عنه » . وروى أنه كتب كتاباً وأرسله مع دحية إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فيه : إني
مسلم ، وليكنى مغلوب ، وأرسل بهدية ، فلما قرئ عليه الكتاب ، قال : كذب عذر الله ليس
بمسلم ، وقبل هديته وقسمها بين المسلمين .

(٣) وكان يتردد على كسرى كثيراً ، وقيل بعث أخاه خنيسا ، وقيل أخاه خارجة ، وقيل شجاع
ابن وهب ، وقيل عمر بن الخطاب رضى الله عنهم .

وَحَدَّه لَشَرِيكَ لَهُ، وَأَنْ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، أَدْعُوكَ بِدِعَايَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ،
فَإِنِّي أَنَا رَسُولُ اللَّهِ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً لِأَنْذَرِ مَنْ كَانَ حَيًّا ، وَيَحِقُّ الْقَوْلُ عَلَى
الْكَافِرِينَ ، أَسْلِمَ تَسْلَمَ ، فَإِنْ آيَيْتَ فَعَلَيْكَ إِثْمُ الْمَجُوسِ ^(١) .

فلما قرأ كسرى الكتاب غضب ومزقه وقال : يكتب إلى هذا وهو
عبدى ، فقال صلى الله عليه وسلم حين بلغه ذلك مُزَّقٌ مَلَكُهُ .

(السيرة الحلبية ٢ : ٣٦٨ ، وصباح الأعشى ٦ : ٣٧٧ ، وتاريخ الطبري ٣ :
٩٠ ، وتاريخ الكامل لابن الأثير ٢ : ٨١ ، وإعجاز القرآن ص ١١٣ ، والمواهب
المدنية للقسطلاني « شرح الزرقاني ٣ : ٣٨٩ »)

ه - كتابه صلى الله عليه وسلم إلى النجاشي ملك الحبشة

وبعث صلى الله عليه وسلم عمرو بن أمية الضمري إلى النجاشي ملك
الحبشة سنة ست ، وبعث معه كتابا فيه :

« بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ إِلَى النَّجَاشِيِّ الْأَصْحَمِ ^(٢)
مَلِكِ الْحَبَشَةِ ، سَلَامٌ ^(٣) أَنْتَ ، فَإِنِّي أَتُحَدِّثُكَ إِلَيْكَ اللَّهُ ^(٤) الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ
الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُتَعَبِّدُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ رُوحُ اللَّهِ ،
وَكَلامُهُ أُلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ الْبَتُولِ ^(٥) الطَّيِّبَةِ الْحَصِينَةِ ، فَحَمَلَتْ بَعِيسَى ، حَمَلَتَهُ
مِنْ رُوحِهِ وَنَفَخِهِ ، كَمَا خَلَقَ آدَمَ بِيَدِهِ وَنَفَخَ فِيهِ ، وَإِنِّي أَدْعُوكَ إِلَى اللَّهِ وَحَدَّه

(١) أى إثم أتباعك وورعاياك . (٢) هكذا فى رواية الطبري ، وفى السيرة الحلبية وصباح
الأعشى والمواهب وكتب اللغة : « أصحمة » . وفى أسد الغابة أصحمة والأصحم انظر ج ١ : ص ٦١ و ٩٩ .
(٣) السلم بالكسر والفتح : السلام ، وهو مصدر وصف به : أى أنت ذو سلم .

(٤) أى أحمده معك ، فأقام إلى مقام مع . وقيل : معناه أحمده إليك نعمة الله بتحديثك إياها .

(٥) البتول : النقطعة عن الرجل التى لا شهوة لها فيهم ، أو النقطعة عن الدنيا وزينتها إلى الله
تعالى ، ومن ثم قيل لفاطمة بنت النبي صلى الله عليه وسلم البتول ، وأصله من بتله كنصر وضرب
إذا قطعه .

لا شريك له ، والموالاته على طاعته ، وأن تتبغى ، وتؤمن^(١) بالذى جاءنى ،
فإنى رسول الله ، وقد بعثت إليك ابن عمى جعفر^(٢) ونفراً معه من المسلمين ،
فإذا جاءك فأقرهم^(٣) ودع التجبر ، وإنى أدعوك وجنودك إلى الله عز وجل ،
وقد بلغت ونصحت ، فاقبلوا نصحتى ، والسلام على من اتبع الهدى .

(السيرة الحلبية ٢ : ٣٦٩ ، وتاريخ الطبرى ٣ : ٨٩ ، وصبح الأعشى ٦ : ٣٧٩
وأسد الغابة ١ : ٦٢ ، وإيجاز القرآن ص ١١٣ ، والمواهب اللدنية للسقطاني
« شرح الزرقاني » ٣ : ٣٩٣ »)

٦ - رد النجاشي على كتابه صلى الله عليه وسلم

فكتب إليه النجاشي :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، إلى محمد رسول الله ، من النجاشي الأصم
ابن أبجر ، سلام عليك يا نبي الله ورحمة الله وبركاته من الله الذى لا إله
إلا هو ، الذى هدانى إلى الإسلام ، أما بعد : فقد بلغنى كتابك يا رسول
الله فما ذكرت من أمر عيسى عليه الصلاة والسلام ، فوَرَبَّ السَّمَاءِ
وَالْأَرْضِ إِنْ عِيسَى مَا يَزِيدُ عَلَى مَا ذَكَرْتُ تُفْرُوقًا^(١) ، إنه لكما قلت ،
وقد عَرَفْنَا مَا بُعِثَ بِهِ إِلَيْنَا ، وقد قرئنا ابن عمك وأصحابه ، فأشهد
أنك رسول الله صادقاً مُصَدِّقاً ، وقد بايعتُك وبايعت ابن عمك ، وأسأمت

(١) وفي رواية : « وتوقن » . (٢) هو جعفر بن أبي طالب رضى الله عنه ، وكان ممن هاجر
إلى الحبشة حين اشتد كفار قريش للمسلمين بدء الإسلام .

(٣) قرى الضيف كرمى قرى بالكسر والفصر وقراء بالفتح والمد : أحسن إليه .

(٤) التفروق : قع التمرة ، أو ما يلتزق به قعها ، وماله تفروق : أى شئ .

على يديه لله رب العالمين ، وقد بعثتُ إليك بابني أرها بن الأصم بن أبحر^(١) ،
فإني لا أملكُ إلا نفسي ، وإن شئتَ أن آتيكَ فعلتُ يا رسول الله ، فإني
أشهد أن ما تقول حق ، والسلام عليك يا رسول الله .

(السيرة الحلبية ٢: ٣٧٠ ، وتاريخ الطبري ٣: ٨٩ ، وصبح الأعشى ٦: ٤٦٦ ،
وأسد الغابة ١: ٦٢ ، والمواهب اللدنية للقسطلاني « شرح الزرقاني ٣: ٣٩٤ »

٧ - كتابه صلى الله عليه وسلم إلى المقوقس عظيم القبط

وبعث صلى الله عليه وسلم حاطب بن أبي بلتعة إلى المقوقس^(٢) عظيم
القبط سنة ست ، وبعث معه كتابا يدعو به إلى الإسلام فيه :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد رسول الله إلى المقوقس عظيم
القبط ، سلامٌ على من اتبع الهدى . أما بعد : فإني أدعوك بدعاية الإسلام ،
أسلم تسلم ، يؤتيك الله أجرك مرتين ، فإن توليت فإنما عليك إثم القبط .
و « يَأْهَلُ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ
وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا ، وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ ، فَإِنْ تَوَلَّوْا
فَقُولُوا أَشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ » .

(السيرة الحلبية ٢: ٣٧١ ، وصبح الأعشى ٦: ٣٧٨ ، وخطط المقرئ ١ :
٢٩ ، وحسن المحاضرة ١: ٤٢ ، والمواهب اللدنية للقسطلاني « شرح الزرقاني
٣: ٣٩٧ ») .



وجاء في صبح الأعشى :

وذكر الواقدي أن كتابه إليه كان بخط أبي بكر الصديق رضي الله

(١) وفي أسد الغابة : « أرمي » . باليم ، وفي شرح الزرقاني على المواهب : « أرخي » . بالخاء ،
أو أريخا ، وروى أن النجاشي بعث ابنه في ستين من الحبشة في سفينة ، فلما كانوا في وسط البحر
غرقت بهم فهلكوا . (٢) اسمه جريج بن مينا .

عنه ، وأن فيه :

« من محمد رسول الله إلى صاحب مصر .

أما بعدُ : فإن الله أرسلني رسولا ، وأنزل عليّ قرآنا ، وأمرني بالإعذار والإندار ، ومقاتلة الكفار ، حتى يدينوا بدينى ، ويدخل الناس فى مِلَّتِي ، وقد دعوتك إلى الإقرار بوحدانيّته ، فإن فعلتَ سمِدتَ ، وإن أُيِّتَ شقيتَ ، والسلام .»

٨ - رد المقوقس على كتابه صلى الله عليه وسلم

فكتب المقوقس إليه :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، لمحمد بن عبد الله من المُقَوِّس عظيم القبط . سلام عليك ، أما بعد : فقد قرأتُ كتابك ، وفهمتُ ما ذكرتَ فيه ، وما تدعو إليه ، وقد علمتُ أن نبيا قد بقي ، وقد كنتُ أظن أنه يخرج بالشأم ، وقد أكرمتُ رسولك^(١) ، وبعثتُ إليك بجاريتين^(٢) لهما مكان في القبط عظيم ، وبثياب^(٣) ، وأهديتُ إليك بغلةً لثركَها ، والسلام عليك . »
(السيرة الحلبية ٢ : ٣٧٢ ، وخطط المقرئى ١ : ٢٩ ، وحسن المحاضرة ١ : ٤٣ ، وصبح الأعشى ٦ : ٤٦٧ ، والمواهب الدنية للقسطاني « شرح الزرقاني ٣ : ٤٠٠ »)

(١) ذكروا أنه دفع له مائة دينار وخمسة أثواب . (٢) هما مارية التي تسرى بها عليه الصلاة والسلام ، وجاء منها بولده إبراهيم ، وأختها سيرين - بكسر السين - . وقيل : أهدى إليه ثلاث جوار ، وقيل أربعاً ، ووهب عليه الصلاة والسلام سيرين لحسان بن ثابت فولدت له عبد الرحمن ابن حسان ، فهو وإبراهيم ابن النبي صلى الله عليه وسلم ابنا خالة . انظر أسد الغابة . ج ١ : ص ٣٨ .
(٣) هى عشرون ثوبا من قباطى مصر ، وفى كتب السيرة أنه أهدى إلى النبي صلى الله عليه وسلم عسلا من عسل بنها ، وأرسل مع الهدية طيبا . فقال له النبي : ارجع إلى أهلِكَ ، نحن قوم لا نأكل حتى نجوع . وإذا أكلنا لا نشبع . ولم يسلم المقوقس .

وجاء في صبح الأعشى أيضاً :

وذكر الواقدي أن في كتابه إليه :

« بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ ، من المقوقس إلى محمد .

أما بعد : فقد بلغني كتابك وفهمته ، وأنت تقول : إن الله أرسلك رسولا
وفضلك تفضيلاً ، وأنزل عليك قرآناً مبيناً ، فكشفنا عن خبرك فوجدناك
أقرب داعٍ دعا إلى الله ، وأصدق من تكلم بالصدق ، ولولا أنني ملكتُ
ملكاً عظيماً ، لكنتُ أول من آمن بك ، لعلمي أنك خاتم النبيين ، وإمام
المرسلين ، والسلام عليك مني إلى يوم الدين . »

٩ - كتابه صلى الله عليه وسلم إلى الحارث بن أبي شمر الغساني صاحب دمشق

وبعث صلى الله عليه وسلم شجاع بن وهب الأسدي إلى الحارث بن
أبي شمر الغساني^(١) صاحب دمشق - من قبل قيصر - سنة ست ، وبعث
معه كتاباً فيه :

« بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، من محمد رسول الله إلى الحارث بن أبي شمر .

(١) ليس هو الحرث الخامس بن أبي شمر الذي أسلفنا ذكره في صفحة ٢ فإنه قد توفي سنة ٥٧٢ م
أي بعد ميلاده عليه الصلاة والسلام بسنتين ، وكان هذا الكتاب سنة ست للهجرة أي سنة ٦٣٨
ميلادية ، فلا يعقل أن يكون هو المكتوب إليه ، وإنما هو الحرث السابع شرحبيل بن عمرو الرابع
المعروف بأبي شمر الأصغر الذي ولى من سنة ٦١٥ إلى سنة ٦٣٠ م : (انظر بيان الأستاذ برسيغال
في كتابه العرب قبل الاسلام) ، وقد ذكر الطبري في تاريخه مرة أنه الحرث بن أبي شمر . ج ٣ :
ص ٨٤ . وأخرى أنه النضر بن الحرث بن أبي شمر . ج ٣ : ص ٨٨ . والأول هو ما في السيرة
الحلبية ، وسيرة ابن هشام . ج ٢ : ص ٣٠٢ ، والمواهب .

سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله وصدق ، وإني أدعوك أن تؤمن بالله وحده لا شريك له يبقى لك مُلكك » .

فلما قرأ الكتاب رمى به ، ثم قال : مَنْ يَنْزِعُ مِنِّي مَلَكِي ؟ أنا سائر إليه ، فقال صلى الله عليه وسلم : باد مُلكك ، وقد ثنَّاه قيصر عن عزمه .

(السيرة الحلبية ٢ : ٣٧٦ ، وتاريخ الطبري ٣ : ٨٨ ، والمواهب الدنية « شرح الزرقاني ٣ : ٤٠٨ »)

١٠ - كتابه صلى الله عليه وسلم إلى المنذر بن ساوى ملك البحرين

وبعث صلى الله عليه وسلم العلاء بن الحضرمي إلى المنذر بن ساوى العبدي^(١) صاحب البحرين^(٢) من قبل الفرس ، سنة ست^(٣) ، وبعث معه كتابا فيه :

« بسم الله الرحمن الرحيم : من محمد رسول الله إلى المنذر بن ساوى : سَلِّمْ أَنْتَ ، فَإِنِّي أَحْمَدُ إِلَيْكَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ، أَمَا بَعْدُ : فَإِنَّ مِنْ صَلَاتِنَا ، وَأَسْتَقْبَلِ قَبْلَتَنَا ، وَأَكُلْ ذَيْحَتَنَا ، فَذَلِكَ الْمُسَلِّمْ ، لَهُ ذِمَّةُ اللَّهِ وَذِمَّةُ رَسُولِهِ ، فَمَنْ أَحَبَّ ذَلِكَ مِنَ الْمَجُوسِ ، فَإِنَّهُ آمِنٌ ، وَمَنْ أَبَى فَإِنَّ عَلَيْهِ الْجُزْيَةَ »
(صبح الأعشى ٦ : ٣٧٦ ، وكتاب الخراج لأبي يوسف ص ١٥٦ ، وأسَدُ الْغَابَةِ ٤ : ٤١٧ ، والإصابة ٦ : ١٢٩ ، وفتوح البلدان للبلاذري ص ٨٨ ، وشرح الزرقاني على المواهب ٢ : ٤٠٠)

(١) هو المنذر بن ساوى بن الأخس بن بنان بن عمرو بن عبد الله بن زيد بن عبد الله بن دارم ابن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم ، وذكر الطبري في تاريخه أنه أخو بني عبد القيس . ج ٣ : ص ٨٥ . وجاء في أسد الغابة : « وقيل هو من عبد القيس » . وفي الإصابة : « وزعم غير الكلبي أنه من عبد القيس ، وبين الرشاطي السبب في ذلك أنه يقال له العبدي لأنه من ولد عبد الله ابن دارم ، فظن بعض الناس أنه من عبد القيس » . (٢) شرق جزيرة العرب على خليج فارس . (٣) وجاء في معجم البلدان لياقوت الحموي ج ٢ : ص ٧٤ . « فلما كانت سنة ثمان للهجرة وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم العلاء بن الحضرمي إلى البحرين ، وكتب معه إلى المنذر بن ساوى وإلى سيبيخت مرزبان هجر - قصبة البحرين - يدعوها إلى الإسلام ، أو إلى الجزية ... إلى أن قال وقد قيل : إن رسول الله وجه العلاء حين وجه رسله إلى الملوك سنة ست » . وكذا ورد في فتوح البلدان للبلاذري : ص ٨٥ .

١١ - رد المنذر على كتابه صلى الله عليه وسلم

فأسلم المنذر وكتب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« أما بعد يا رسول الله : فإنى قرأت كتابك على أهل البحرين ، فمنهم
من أحب الإسلام وأعجبه ودخل فيه ، ومنهم من كرهه ، وبأرضي مجوس
ويهود ، فأحدث لى فى ذلك أمرك » .

(السيرة الحلية ٢ : ٢٧٤ ، والمواهب اللدنية للفسطاني « شرح الزرقاني ٣ : ٤٠٢ »)

١٢ - رده صلى الله عليه وسلم على كتاب المنذر

فكتب إليه صلى الله عليه وسلم :
« بسم الله الرحمن الرحيم : من محمد رسول الله إلى المنذر بن ساوى .
سلام عليك ، فإنى أتحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو ، وأشهد أن
لا إله إلا الله ، وأن محمداً عبده ورسوله . أما بعد : فإنى أذكرك الله عز
وجل ، فإنه من ينصح فإنما ينصح لنفسه ، وإنه من يطع رُسلى ويتبع
أمرهم فقد أطاعنى ، ومن نصح لهم فقد نصح لى ، وإن رسلى قد أثنوا عليك
خيراً ، وإنى قد شفعتك فى قومك ، فاترك للمسلمين ما أسلموا عليه ، وعفوت
عن أهل الذنوب فاقبل منهم ، وإنك مهما تصلح فلن نغزلك عن عملك ،
ومن أقام على يهوديته ، أو مجوسيته فعليه الجزية » .

(السيرة الحلية ٢ : ٢٧٤ ، وصبح الأعشى ٦ : ٣٦٧ ، والمواهب

اللدنية للفستاني « شرح الزرقاني ٣ : ٤٠٢ »)

١٣ - عهد العلاء بن الحضرمي لأهل البحرين

وصالح المجوس واليهود والنصارى من أهل البحرين العلاء بن الحضرمي
وكتب بينه وبينهم كتاباً نسخته :

« بسم الله الرحمن الرحيم : هذا ما صالح عليه العلاء بن الحضرمي أهل
البحرين : صالحهم على أن يكفؤنا العمل ، ويقاسمونا التمر ، فمن لم ينف بهذا
فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين » .

وأما جزية الرؤوس فإنه أخذ لها من كل حالمٍ ديناراً .

(معجم البلدان ٢ : ٧٤ ، وفتوح البلدان للبلاذري ص ٨٦)

١٤ - كتابه صلى الله عليه وسلم إلى أهل البحرين

وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب إلى أهل البحرين :
« أما بعد : فإنكم إذا أقتم الصلاة ، وتيتم الزكاة ، ونصحتم لله
ورسوله ، وآتيتم عُشر النَّخْل ، ونصف عُشر الحَبِّ ، ولم تُمَجِّسوا أولادكم ،
فلکم ما أسأتم عليه ، غير أن بيت النار لله ورسوله^(١) ، وإن أيتم
فعليكم الجزية » .

(فتوح البلدان للبلاذري ص ٨٦)

١٥ - كتابه صلى الله عليه وسلم إلى أهل هجر

وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب إلى أهل هجر^(٢) :

(١) أي مال بيت النار كما سيأتي في كتابه إلى جيفر وعبد ابن الجاندی ملکی عمان .

(٢) قاعدة البحرين .

« بسم الله الرحمن الرحيم : من محمد النبي إلى أهل هَجَرَ ، سَلِمَ أنتم ،
فإني أحمَدُ إليكم الله الذي لا إله إلا هو ، أما بعدُ : فإنني أوصيكم بالله وبأنفسكم
ألا تَضِلُّوا بعد إذ هُديتم ، ولا تَعُوُوا^(١) بعد إذ رَشَدْتُمْ ، أما بعدُ : فإنه قد
أتاني الذي صنعتُم ، وإنه من يُحْسِنُ منكم لا يُحْمَلُ عليه ذنبُ المسيء ، فإذا
جاءكم أمرائي فأطيعوهم وانصروهم وأعِينوهم على أمر الله وفي سبيله ، فإنه مَنْ
يعمل منكم عملاً صالحاً فلن يضلَّ له عند الله وعندى ، وأما بعدُ : فقد جاءني
وفدُكم فلم آتِ إليهم إلا ما سَرَّهم ، وإنى لو جَهِدْتُ^(٢) حتى فيكم كَلَّه
أخرجتكم من هَجَرَ ، فشَفَعْتُ غائبكم ، وأفضَلْتُ على شاهديكم^(٣) ، فاذكروا
نعمة الله عليكم . »
(فتوح البلدان للبلاذرى ص ٨٧)

١٦ — كتابه صلى الله عليه وسلم إلى هُوَذَةَ بن علي صاحب اليمامة

وبعث صلى الله عليه وسلم سَلِيطَ بن عَمْرٍو العامريّ إلى هُوَذَةَ بن علي
صاحب اليمامة^(٤) ، سنة ست ، وبعث معه كتاباً فيه :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد رسول الله إلى هُوَذَةَ
ابن علي ، سلام على من اتَّبَعَ الهدى ، واعْلَمْ أن ديني سَيَظْهَرُ إلى مُنتَهَى

(١) غوى بفتح الواو كرمى غيا وغوى بكسرهما غواية : ضل ، ورشد كنصر فهو راشد ورشد
كفرح فهو رشيد . (٢) أى فرقت واستنفدت ، من جهد الرجل ماله ، جاء في اللسان : « وفي
حديث الحسن : لا يجهد (على وزان ينع) الرجل ماله ، ثم يقعد يسأل الناس . قال الضرر : قوله
لا يجهد ماله : أى يعطيه . ويفرقه جميعه هاهنا وهاهنا » . وجاء في التماموس : « وأجهد ماله : أفناه
وفرقه » . وأورد شارح التماموس ماورد في اللسان ، ثم قال : « ولكن الذى ضبطه الصاغاني بخطه في
الحديث : « لا يجهد الرجل » . من حد ضرب ، وذكر المعنى المذكور عن الضرر ، فتأمل » .

(٣) وجاء في مفتاح الأفكار : « فشفعت شاهديكم ، ومننت على غائبكم » .

(٤) صقع شرقي الحجاز غربي البحرين .

الخفّ والحافر^(١) ، فَأَسْلِمَ تَسْلِمًا وَأَجْعَلَ لَكَ مَا تَحْتَ يَدَيْكَ .

(السيرة الحلبية ٢ : ٣٧٦ ، وصبح الأعشى ٦ : ٢٧٩ ،
والمواهب اللدنية « شرح الزرقاني ٣ ، ٤٠٧ »)

١٧ - رد هوزة على كتابه صلى الله عليه وسلم

فكتب إلى النبي صلى الله عليه وسلم :

« مَا أَحْسَنَ مَا تَدْعُو إِلَيْهِ وَأَجْمَلَهُ ، وَأَنَا شَاعِرٌ قَوْمِي وَخُطِيبُهُمْ ، وَالْعَرَبُ
تَهَابُ مَكَانِي ، فَاجْعَلْهُ إِلَيَّ بِمَضَى الْأَمْرِ أَتْبَعُكَ » .

فلما قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابه قال : لو سألتني سَيَابَةُ^(٢)
مَا فَعَلْتُ ، بَادَ وَبَادَ مَا فِي يَدَيْهِ .

(السيرة الحلبية ٢ : ٣٧٦ ، والمواهب اللدنية « شرح الزرقاني ٢ : ٤٠٨ »)

١٨ - كتابه صلى الله عليه وسلم لرفاعة بن زيد الخزاعي

وقدّم على رسول الله صلى الله عليه وسلم في هُدْنَةِ الْحُدَيْبِيَّةِ - أواخر
سنة ست - رِفَاعَةُ بْنُ زَيْدٍ الْخُزَاعِيُّ^(٣) ، فَأَسْلَمَ وَحَسَنَ إِسْلَامَهُ ، وَكَتَبَ لَهُ
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كِتَابًا إِلَى قَوْمِهِ ، وَفِيهِ :

« بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ : هَذَا كِتَابٌ مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ لِرِفَاعَةَ
ابْنِ زَيْدٍ : إِنِّي بَعَثْتُهُ إِلَى قَوْمِهِ عَامَّةً ، وَمَنْ دَخَلَ فِيهِمْ ، يَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّهِ وَإِلَى

(١) أى حيث تقطع الإبل والحيل . (٢) السياب كسحاب ورمان : البلح أو البسر الأخضر
واحدته سيابة كسحابة ورمانة . (٣) فى الطبرى وسيرة ابن هشام : « الجذامى » . وفى السيرة
الحلبية : « الخزاعى » ، وقد ضبطه بالعبارة . فقال : « بالخاء المعجمة والزاي » .

رسوله ، فَمَنْ أَقْبَلَ مِنْهُمْ فَمِنْ حِزْبِ اللَّهِ وحِزْبِ رسوله ، ومن أدبرَ
فله أمان شهرين .

فلما قَدِمَ رِفاعَة على قومه أجابوا وأسلموا ، ثم ساروا إلى الحرّة حرّة
الرجلاء^(١) فنزلوها . (تاريخ الطبري ٣ : ١٦٢ ، والسيرة الحلبية ٢ : ٣٥٢ ، وسيرة
ابن هشام ٢ : ٣٨٥ ، وصبح الأعشى ٦ : ٠٨٢ و ١٣ : ٢٢٢)

١٩ - كتابه صلى الله عليه وسلم إلى جعفر وعبد ابني الجلندى ملكى عمان

وبعث صلى الله عليه وسلم عمرو بن العاص إلى جَيْفَرٍ وَعَبْدِ ابْنِ
الْجُلَنْدَى^(٢) الْأَزْدِيِّينِ ملكى عُمان^(٣) ، سنة ثمان ، وبعث معه كتابا فيه :

« بسم الله الرحمن الرحيم : من محمد عبد الله ورسوله إلى جَيْفَرٍ ،
وعَبْدِ ابْنِ الْجُلَنْدَى . سلام على من اتَّبَعَ الهدى ، أما بَعْدُ : فأني أدعوكما
بِدِعاية الإسلام ، أسلما تسلما ، فأني رسول الله إلى الناس كافةً ، لِأُنْذِرَ مَنْ
كَانَ حَيًّا ، وَيَحَقِّقَ الْقَوْلُ على الْكَافِرِينَ ، وإنكما إن أقررتما بالإسلام
وليتكما ، وإن أبيتما أن تُقرّا بالإسلام ، فإن ملككما زائلٌ عنكما ، وخيلى تحلُّ
بساحتكما ، وتظهر^(٤) نبوتى على ملككما » وكتب أبى بن كعب .

وقد أجابا إلى الإسلام . (السيرة الحلبية ٢ : ٣٧٤ ، وصبح الأعشى ٦ : ٣٨٠ ، والمواهب
اللدينية « شرح الزرقانى ٣ : ٤٠٤ »)

(١) علم لحة في ديار بنى القين بن جسر بين المدينة والشام . (٢) قال صاحب القاموس
« جلداء بضم أوله وفتح ثانيه ممدودة ، وبضم ثانيه مقصورة : اسم ملك عمان ، ووهم الجوهرى فقصره
مع فتح ثانيه » . (٣) شرقى جزيرة العرب على خليج عمان . (٤) ظهر عليه : غلبه .

وجاء في صبح الأعشى :

وفي رواية ذكرها أبو عبيد في كتاب الأموال أنه كتب إليهما :
 « من محمد رسول الله ، لعباد الله الأسديين^(١) ملوك عُمان ،
 وأسد عُمان ، ومن كان منهم بالبحرين ، إن آمنوا وأقاموا الصلاة ،
 وآتوا الزكاة ، وأطاعوا الله ورسوله ، وأعطوا حق النبي - صلى الله عليه
 وسلم - ونسكوا نسك^(٢) المسلمين ، فإنهم آمنون ، وإن لم يأسلموا عليه ،
 غير أن مال بيت النار ثنيا^(٣) لله ورسوله ، وإن عُشور التمر صدقة ،

(١) في الأصل : « لعباد الله أسيد بن ملوك عمان ، وأسيد عمان من كان منهم بالبحرين » .
 وهو تحريف ، وقد أصلحته كما ترى ، والأسد لغة في الأزد ، قال صاحب القاموس : « أزرد
 ابن الفوث وبالسین أفصح : أبوحى باليمن ، ويقال : أزرد شنوءة وعمان والسراة » . وفي صبح الأعشى
 ج ١ : ص ٣١٨ . « قال أبو عبيد . ويقال : بالسین بدل الزای . وقال الجوهري : بالزای أفصح » .
 وقد رجعت إلى صحاح الجوهري فوجدته يقول « هو بالسین : أفصح » . ولعل الخطأ في صبح الأعشى
 من النسخ ، وقد جاء عقب هذا الكتاب في صبح الأعشى :
 « قال أبو عبيد ، وبعضهم يرويه « لعباد الله الأسيين » اسما أعجميا نسبهم إليه . قال : وإنما سموا
 بذلك لأنهم نسبوا إلى عبادة فرس ، وهو بالفارسية « أسب » فنسبوا إليه ، وهم قوم من الفرس ،
 وفي رواية من العرب » .

أقول : وربما كان الأصل « لعباد الله الأسبديين » نسبة إلى « أسبد » كجعفر ، وهي مدينة بعمان
 أو بالبحرين ، قال ياقوت في معجم البلدان (ج ١ : ص ٢١٩) « أسبد : قرية بالبحرين ، وصاحبها
 المنذر بن ساوى ، وقد اختلف في الأسبديين من بني تميم لم سموا بذلك ؟ فقيل : هم ولد عبد الله بن زيد
 ابن عبد الله بن دارم (جد المنذر بن ساوى) ، وقيل لهم الأسبديون لأنهم كانوا يعبدون فرسا . قلت
 أنا : الفرس بالفارسية اسمه « أسب » زادوا فيه ذالا تعريفا ، وقيل : كانوا يسكنون مدينة يقال لها
 أسبد بعمان فنسبوا إليها ، وقيل : أسبد اسم ملك كان من الفرس ملكه كسرى على البحرين
 فاستعبدهم وأذلهم ، فنسب العرب أهل البحرين إلى هذا الملك على جهة الذم ، وعليه قول طرفة :

خذوا حذرکم أهل المشقر والصفاء : عبيد أسبد ، والقرض يجرى من القرض

« والمشقر كعظم الصفاء : حصنان بالبحرين » اه باختصار .

(٢) النسك مثلك النون وبضمين : العبادة وكل حق لله تعالى .

(٣) الثنيا والثنوى : ما استثنىته .

وَنَصِفَ عُشُورَ الْحَبِّ : وَإِنَّ لِلْمُسْلِمِينَ نَصْرَهُمْ وَنُصْحَهُمْ ، وَإِنَّ لَهُمْ عَلَى الْمُسْلِمِينَ مِثْلَ ذَلِكَ ، وَإِنَّ لَهُمْ أَرْحَاءَ يَطْحَنُونَ بِهَا ^(١) .

٢٠ — عهده صلى الله عليه وسلم لأهل أيلة بالأمان

ولما كان صلى الله عليه وسلم بَبَبُولَ ^(٢) — سنة تسع — أتاه يُحَنَّةُ بْنُ رُوَيْبَةَ صاحب أَيْلَةَ ^(٣) ، وصحبته أهل جَرْبَاءَ ، وأهل أَذْرَحَ ، وأهل مِينَاءَ ، فضالَّح رسول الله صلى الله عليه وسلم على إعطاء الجزية ، وكتب له ولأهل أيلة كتابا صورته :

« بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، هَذَا أَمْنَةٌ ^(١) مِنْ اللَّهِ وَمُحَمَّدِ النَّبِيِّ رَسُولِ اللَّهِ لِيُحَنَّةَ بْنِ رُوَيْبَةَ ، وَأَهْلِ أَيْلَةَ ، سَفْنِهِمْ وَسَيَّارَتِهِمْ ^(٢) فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ، لَهُمْ ذِمَّةُ اللَّهِ وَذِمَّةُ مُحَمَّدِ النَّبِيِّ ، وَمَنْ كَانَ مِنْهُمْ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ ، وَأَهْلِ الْيَمَنِ ، وَأَهْلِ الْبَحْرِ ، فَمَنْ أَحْدَثَ مِنْهُمْ حَدَّثًا فَإِنَّهُ لَا يَحْجُوزُ مَالُهُ دُونَ نَفْسِهِ ، وَإِنَّهُ طَيِّبٌ ^(٣) لِمَنْ أَخَذَهُ مِنَ النَّاسِ ، وَإِنَّهُ لَا يَحِلُّ أَنْ يُنْعَمُوا مَاءَ يَرِدُونَهُ ، وَلَا طَرِيقًا يُرِيدُونَهُ مِنْ بَرٍّ أَوْ بَحْرٍ . »

السيرة الحلبية ٢ : ٢٦٤ ، وسيرة ابن هشام ٢ : ٢٢٨ ، والمواهب « شرح الزرقاني ٣ : ٤١٢ » وتهذيب تاريخ ابن عساكر ١ : ١١٤ .

(١) الأرحاء جمع رحي ، وهي التي يطحن بها معروفة ، والمعنى : أنهم يستقلون بشؤونهم ، ويديرون أمورهم كما يشاءون ، وجاء من هذه المادة في لسان العرب : « والأرحى (كالأيدى) القبائل التي تستقل بنفسها وتستغنى عن غيرها ، وفي أساس البلاغة : « وهؤلاء رحي من أرحاء العرب ، وهي قبائل لا تنتجع ولا تبرح مكانها » . (٢) موضع بين وادي الفري والشام ، وكان عليه السلام قد سار إليها لغزو من انتهى إليه أنه قد تجمع بها من الروم وعائلة وحُم وجذام فوجدهم قد تفرقوا ، وهي آخر غزواته . (٣) مدينة على خليج العقبة من شماليه .

(٤) أى أمان : أمن كفرح أمانا بالسكون وأمانا وأمنة محركتين وإمنا بالكسر .

(٥) السيارة : القافلة . وفي تاريخ ابن عساكر والمواهب « أسانفتهم وسائرهم » . أى باقهم مكان قوله : « سَفْنِهِمْ وَسَيَّارَتِهِمْ » . (٦) وفي السيرة الحلبية : « وإليه لطيفة » . وهو على تقدير أنه صفة لموصوف محذوف : أى لغنيمة طيبة لمن أخذه .

٢١ - كتابه صلى الله عليه وسلم لأهل أذرح وجرباء بالأمان

وكتب لأهل أذرح وجرباء ما صورته :

« بسم الله الرحمن الرحيم . هذا كتاب من محمد النبي رسول الله لأهل أذرح وجرباء : إنهم آمنون بأمان الله وأمان محمد ، وإن عليهم مائة دينار في كل رجب وافية طيبة ، والله كفيلٌ عليهم بالنصح والإحسان إلى المسلمين ، ومن لجأ إليهم من المسلمين في المخافة والتعزير^(١) » .
وصالح أهل مينا على رُبْع ثمارهم .

(السيرة الحلبية ٢ : ٢٦٤ ، وتهذيب تاريخ ابن عساكر ١ : ١١٥ ،
والمواهب شرح الزرقاني ٣ : ٤١٣)

٢٢ - كتابه صلى الله عليه وسلم لأكيدر دومة

وكتب صلى الله عليه وسلم لأكيدر دومة ، وهو أكيدر بن عبد الملك الكندي^(٢) ، وكان ملكاً على دومة الجندل ، وكان نصرانياً :

بسم الله الرحمن الرحيم . هذا كتاب من محمد رسول الله لأكيدر

(١) التعزير : الإعانة والنصر . (٢) بعث صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد في سرية إلى أكيدر بن عبد الملك بدومة الجندل (بين الشام والمدينة) في رجب سنة تسع ، خرج للقاء خالد ، وتلقته خيل رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذته ، وقتلوا أخاه حسان ، وقدم خالد بأكيدر على رسول الله ، فخن له دمه ، وصالحه على الجزية ، ثم خلى سبيله فرجع ، وقد اختلف في إسلامه ، فقيل إنه أسلم لما قدم على رسول الله - كما يدل عليه كتابه له - ثم ارتد بعد موت الرسول ، وحاصره خالد في خلافة أبي بكر الصديق وقتله لنقضه العهد . وقيل إنه لم يسلم ولأنه لما صالحه صلى الله عليه وسلم عاد إلى حصنه وبقي فيه على نصرانيته .

دُومَة ، حين أجاب إلى الإسلام ، وَخَلَعَ الْأَنْدَادَ وَالْأَصْنَامَ^(١) ، مع خالد بن الوليد سيف الله في دُومَة الجندل وأَكْنَفَهَا^(٢) .

إِنْ لَنَا الضَّاحِيَةُ مِنَ الضَّحْلِ وَالْبُورِ وَالْمَعَامِي وَأَغْفَالِ الْأَرْضِ وَالْحَلَقَةِ وَالسَّلَاحِ وَالْحَافِرِ وَالْحِصْنِ ، وَلَكُمْ الضَّامِنَةُ مِنَ النَّخْلِ ، وَالْمَعِينُ مِنَ الْمَعْمُورِ^(٣) ، لَا تُعْدَلُ سَارِحَتُكُمْ ، وَلَا تُعَدُّ فَارِدَتُكُمْ^(٤) ، وَلَا يُحْظَرُ^(٥) عَلَيْكُمُ النَّبَاتُ ، تُقِيمُونَ الصَّلَاةَ لَوَقْتِهَا ، وَتَوْتُونَ الزَّكَاةَ بِحَقِّهَا ، عَلَيْكُمْ بِذَلِكَ عَهْدُ اللَّهِ وَالْمِيثَاقُ ، وَلَكُمْ بِذَلِكَ الصَّدَقُ وَالْوَفَاءُ ، شَهِدَ اللَّهُ وَمَنْ حَضَرَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ .

(صَبِيحُ الْأَعَشَى ٢ : ٢٤٦ ، وَ ٦ : ٣٧٠ ، وَالسَّيْرَةُ الْحَلِيَّةُ ٢ : ٣٢٩ ، وَفَتْوحُ الْبُلْدَانِ لِلْبَلَاذَرِيِّ ص ٦٨ ، وَالْعَقْدُ الْفَرِيدُ ١ : ١١٢ ، وَالرُّوْضُ الْأَنْفُ ٢ : ٣١٩ ، وَمَعْجَمُ الْبُلْدَانِ ٤ : ١٠٨ ، وَالْمَوَاهِبُ شَرْحُ الزَّرْقَانِيِّ ٣ : ٤١٤)

(١) الْأَنْدَادُ : جَمْعُ نَدٍّ بِالْكَسْرِ وَهُوَ ضِدُّ الشَّيْءِ الَّذِي يَنْقَادُ أَيْ يَخْلُفُهُ ، وَالْمُرَادُ مَا كَانُوا يَتَخَذُونَهُ آلِهَةً مِنْ دُونِ اللَّهِ تَعَالَى . الْأَصْنَامُ : جَمْعُ صَنَمٍ ، وَهُوَ مَا اتَّخَذَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ .
(٢) الْأَكْنَفُ : جَمْعُ كَنْفٍ بِالتَّحْرِيكِ ، وَهُوَ الْجَانِبُ وَالنَّاحِيَةُ .

(٣) الضَّاحِيَةُ : النَّاحِيَةُ الْبَارِزَةُ الَّتِي لَا حَائِلَ دُونِهَا ، وَالْمُرَادُ هُنَا أَطْرَافُ الْأَرْضِ . الضَّحْلُ : الْقَلِيلُ مِنَ الْمَاءِ يَكُونُ فِي الْغَدِيرِ وَنَحْوِهِ ، وَبِالتَّحْرِيكِ مَكَانُ الضَّحْلِ ، وَقَالَ أَبُو عُبَيْدٍ « الضَّاحِيَةُ مِنَ الضَّحْلِ : مَا ظَهَرَ وَبَرَزَ ، وَكَانَ خَارِجًا مِنَ الْعِمَارَةِ فِي الْبَرِّ مِنَ النَّخْلِ » وَيُرْوَى : الضَّاحِيَةُ مِنَ الْبَعْلِ ، وَالْبَعْلُ : النَّخْلُ الرَّاسِخُ عُرْوَقُهُ فِي الْأَرْضِ ، فَهُوَ يَشْرَبُ بِهَا مِنْ غَيْرِ سَقْيٍ . الْبُورُ : الْأَرْضُ الَّتِي لَمْ تَزْرَعْ ، وَهُوَ بِالْفَتْحِ مَصْدَرٌ وَصَفٌ بِهِ ، وَيُرْوَى : بِالضَّمِّ وَهُوَ جَمْعُ بُوَارٍ (بِالْفَتْحِ) ، وَهِيَ الْأَرْضُ الْخَرَابُ الَّتِي لَمْ تَزْرَعْ . الْمَعَامِي : الْأَرْضُ الْمَجْهُولَةُ الَّتِي لَيْسَ فِيهَا أَثَرُ عِمَارَةٍ وَاحِدَةٍ مَعْمَى (كَمَذْهَبٍ) وَهُوَ مَوْضِعُ الْعَمَى كَالْمَجْهَلِ . أَغْفَالُ الْأَرْضِ : أَيْ الْمَجْهُولَةُ الَّتِي لَيْسَ فِيهَا أَثَرٌ يَعْرِفُ ، وَحِكْيُ الْحَيَاتِي : « أَرْضُ أَغْفَالٍ » كَأَنَّهُمْ جَعَلُوا كُلَّ جُزْءٍ مِنْهَا غَفْلًا (بِالضَّمِّ) . الْحَلَقَةُ : السَّلَاحُ عَامًّا ، وَقِيلَ : الدَّرُوعُ خَاصًّا وَالسَّلَاحُ : مَا أُعِدَّ لِلْحَرْبِ مِنْ آلَةِ الْحَدِيدِ مِمَّا يَقَاتِلُ بِهِ ، وَالسَّيْفُ وَحْدَهُ يُسَمَّى سِلَاحًا . الْحَافِرُ : الْحِجْلُ وَالْبَرَاذِينُ وَالْبِقَالُ وَالْحَمِيرُ . الْحِصْنُ : هُوَ حِصْنٌ أَكْبَرُ بِدُومَةِ الْجَنْدَلِ ، وَكَانَ يُقَالُ لَهُ : « مَارِدٌ » . وَفِي الْعَقْدِ الْفَرِيدِ : « وَالْحَلَقَةُ ، وَلَكُمْ السَّلَاحُ وَالْحِصْنُ ، وَلَكُمْ الضَّامِنَةُ مِنَ النَّخْلِ ... » . الضَّامِنَةُ مِنَ النَّخْلِ : مَا تَضَمَّنَتْهُ أَمْصَارُهُمْ وَقِرَاهُ ، وَكَانَ دَاخِلًا فِي الْعِمَارَةِ وَأَطَافَ بِهِ سُورُ الْمَدِينَةِ . وَقِيلَ : سَمِيَتْ ضَامِنَةً لِأَنَّ أَرْبَابَهَا ضَمَّنُوا عِمَارَتَهَا وَحَفِظُوهَا ، فَهِيَ ذَاتُ ضِمَانٍ ، كَعِيشَةِ رَاضِيَةٍ بِمَعْنَى ذَاتِ رِضَا . الْمَعِينُ مِنَ الْمَعْمُورِ : الْمَاءُ الَّذِي يَنْبَعُ مِنَ الْعَيْنِ فِي الْعَاصِرِ مِنَ الْأَرْضِ ، وَفِي الْعَقْدِ « ... وَالْمَعِينُ مِنَ الْمَعْمُورِ بَعْدَ الْحُسْنِ » .

(٤) لَا تُعْدَلُ سَارِحَتُكُمْ : لَا تُصَرَفُ مَا شِئْتُمْ وَلَا تَعْمَالُ عَنْ الْمَرْعَى وَلَا تَمْنَعُ . الْفَارِدَةُ : الزَّائِدَةُ عَلَى الْفَرِيضَةِ ، وَلَا تُعَدُّ فَارِدَتُكُمْ : أَيْ لَا تُنْضَمُ إِلَى غَيْرِهَا وَتَحْشَرُ إِلَى الصَّدَقَةِ حَتَّى تَعْدَ مَعَ غَيْرِهَا وَتَحْسَبُ .
(٥) الْحَظَرُ : الْمَنْعُ ، أَيْ لَا تَمْنَعُونَ مِنَ الزَّرْعِ وَالْمَرْعَى حَيْثُ شِئْتُمْ .

٢٣ - كتابه صلى الله عليه وسلم لبني كلب

وقَدِمَ قَطْنُ بْنُ حَارِثَةَ الْعُلَيْمِيِّ^(١) فِي وَفْدِ كَلْبٍ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَذَكَرَ كَلَامًا ، فَكَتَبَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ كِتَابًا ، نُسَخَتْهُ :

« هَذَا كِتَابٌ مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ لِعِمَاءِ كَلْبٍ وَأَحْلَافِهَا ، وَمَنْ ظَاهَرَهُ^(٢) الْإِسْلَامَ مِنْ غَيْرِهَا ، مَعَ قَطْنِ بْنِ حَارِثَةَ الْعُلَيْمِيِّ ، بِإِقَامَةِ الصَّلَاةِ لَوَقْتِهَا ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ بِحَقِّهَا ، فِي شِدَّةِ عَقْدِهَا ، وَوَفَاءِ عَهْدِهَا ، بِحَضْرِ شُهُودٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ : سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ ، وَعَبْدَ اللَّهِ بْنُ أَنَيْسٍ ، وَدِيَّةَ بْنِ خَلِيفَةَ الْكَلْبِيِّ ؛ عَلَيْهِمْ فِي الْمَمْلُوكَةِ الرَّاعِيَةِ الْبَسَاطِ الطُّوَارُ : فِي كُلِّ خَمْسِينَ نَاقَةً غَيْرُ ذَاتِ عَوَارٍ^(٣) ، وَالْحَمُولَةُ الْمَائِرَةُ لَهُمْ لِأَغْيَةِ^(٤) ، وَفِي الشَّوِيِّ الْوَرِيَّ مُسِنَّةٌ حَامِلٌ أَوْ حَافِلٌ^(٥) ، وَفِيمَا سَقَى الْجَدُولُ مِنَ الْعَيْنِ الْمَعِينِ^(٦) ، الْعُشُرُ مِنْ ثَمَرِهَا مِمَّا أَخْرَجَتْ أَرْضُهَا ، وَفِي الْعَذْيِ شَطْرُهُ بِقِيَمَةِ الْأَمِينِ^(٧) ، فَلَا تُرَادُّ

(١) نسبة لبني عليم من كلب . (٢) العماثر : جمع عمارته بالفتح وتكسر ، وهي أصغر من القبيلة . الأحلاف : جمع حلف بالكسر وهو الحالف (الصديق يخلف لصديقه أن لا يغير به) . ظاهره : عطفه وجمعه (وفي العقد « ومن صاده » وهو تحريف) .

(٣) الحمولة : التي قد أهملت ترعى بنفسها . البساط : يروى بالفتح والضم والكسر ، جمع بسط بالكسر ، وهي الناقة التي تركت وولدها لا يمنع منها ولا تعطف على غيره . الطوار : جمع ظئر بالكسر وهي العاطفة على غير ولدها المرضعة له في الناس وغيرهم . العوار : مثانة العيب . (٤) الحمولة : ما احتمل عليه القوم من بعر وغيره . المائرة : التي تحمل عليها الميرة ، وهي الطعام ونحوه مما يحتاج للبيع . لأغية : أي ملغاة ، فعلة بمعنى مفعولة : أي لا تعتمد عليهم ولا يلزمون لها صدقة لأنها عوامل . (٥) الشوي : جمع شاة . الوري : السمينة . شاة حافل : احتفل لنسبها ، أي اجتمع في ضرعها .

(٦) العين : مطر أيام لا يقلع . المعين : الماء الجاري على وجه الأرض ، من معن الماء كسكرم ومنع أي جرى فوزنه فعمل ، وقيل من عان الماء يعين إذا جرى أيضاً فوزنه مفعول في الأصل .

(٧) العذي : النخل والزرع الذي لا يسقي إلا من ماء المطر لبعده من المياه ، ويسمى أيضاً العثري بفتح أوله وثانيه وتشديد الياء ، سمي به لأنه لا يحتاج في سقيه إلى تعب بدالية وغيرها ، كأنه عثر على الماء عثراً بلا عمل من صاحبه . الشطر : نصف الشيء . بقيمة الأمين : أي بتقويته .

عليهم وظيفة^(١) ولا تفرّق ، يشهد الله تعالى على ذلك ورسوله .
وكتب ثابت بن قيس بن شماس . (العقد الفريد ١ : ١٠٩)

٢٤ - كتابه صلى الله عليه وسلم لثقيف

ولما قدّم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة من تبوك في رمضان سنة تسع ، وقدّ عليه في ذلك الشهر وقد من أشراف ثقيف^(٢) ، فأسلموا وبايعوا ، وقد كتب لهم خالد بن سعيد بن العاص كتابا فيه :

« بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد النبي رسول الله إلى المؤمنين :
إن عِضَاهَ وَجٍّ^(٣) وصَيْدَهُ حَرَامٌ ، لَا يُعْضَدُ^(٤) شَجَرُهُ ، وَمَنْ وَجِدَ يَفْعَلْ
شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ فَإِنَّهُ يُجْلَدُ وَتُنَزَعُ ثِيَابُهُ ، فَإِنْ تَعَدَّى ذَلِكَ فَإِنَّهُ يُوْخَذُ فَيُبَلَّغُ بِهِ
النَّبِيُّ مُحَمَّدٌ ، وَإِنْ هَذَا أَمْرُ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ .
وكتب خالد بن سعيد بأمر الرسول محمد بن عبد الله فلا يتعدّه أحد ،
يَظْلِمُ نَفْسَهُ فِيمَا أَمَرَهُ بِهِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ » .

(سيرة ابن هشام ٢ : ٣٥١ ، والسيرة الحلبية ٢ : ٣٣٩ ، والمواهب : شرح الزرقاني ٤ : ١٠)



وروى صاحب العقد قال :

وَقَدَّتْ ثَقِيفٌ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَكَتَبَ لَهُمْ كِتَابًا حِينَ

(١) الوظيفة : النصاب في الزكاة ، وأصله الشيء الراتب .

(٢) كانوا ينزلون بالطائف شرقي مكة . (٣) العضاء : كل شجر يعظم وله شوك ، واحدها عضاهة كقلادة ، وعضة كعنية ، وعضه بالهاء كعنب ، وعضة بالناء كعدة . وج : اسم واد بالطائف وقيل هو الطائف ، وكانت تسمى « وجا » بوج بن عبد الحى من العماليق ، وهو أخو أبا الذي سمي به جبل طيء .

(٤) عضده : كضربه قطعه (وكنصر : أغانه ونصره ، وأصاب عضده) .

أَسْلَمُوا : أَنْ لَهُمْ ذِمَّةَ اللَّهِ ، وَأَنْ وَاذِيهِمْ حَرَامٌ عِضَاهُ ، وَصَيْدُهُ ، وَظَلْمٌ فِيهِ ،
وَأَنْ مَا كَانَ لَهُمْ مِنْ دِينٍ إِلَى أَجَلٍ فَلَبَغَ أَجَلَهُ ، فَإِنَّهُ لِيَاطُ^(١) مُبَرَّأٌ مِنَ اللَّهِ
وَرَسُولِهِ ، وَأَنْ مَا كَانَ لَهُمْ مِنْ دِينٍ فِي رَهْنٍ وَرَاءَ عُكَازٍ ، فَإِنَّهُ يُقْضَى إِلَى رَأْسِهِ
وَيُلَاطُ بِعُكَازٍ^(٢) . . (العقد الفريد ١ : ١١٠)

٣٥ - كتابه صلى الله عليه وسلم إلى ملوك حمير

وَقَدِمَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كِتَابُ مُلُوكِ حَمِيرٍ ، مَقْدَمُهُ مِنْ
تَبُوكَ ، وَرُسُلُهُمْ إِلَيْهِ بِإِسْلَامِهِمْ : الْحَارِثُ بْنُ عَبْدِ كَلَالٍ ، وَنُعَيْمُ بْنُ عَبْدِ كَلَالٍ
وَالنُّعْمَانُ قَيْلُ ذِي رُعَيْنٍ ، وَهَمْدَانُ ، وَمَعَاظِرُ . وَبَعَثَ إِلَيْهِ زُرْعَةُ ذُو يَزَنَ مَالِكَ
ابْنِ مُرَّةَ الرَّهَّاءِيِّ^(٣) بِإِسْلَامِهِمْ ، وَمَفَارِقَتِهِمُ الشَّرْكَ وَأَهْلَهُ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِمْ
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

« بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، مِنْ مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ رَسُولِ اللَّهِ إِلَى الْحَارِثِ
ابْنِ عَبْدِ كَلَالٍ ، وَنُعَيْمِ بْنِ عَبْدِ كَلَالٍ ، وَالنُّعْمَانِ قَيْلِ ذِي رُعَيْنٍ ،
وَهَمْدَانِ ، وَمَعَاظِرِ .

أَمَّا بَعْدُ ذَلِكُمْ ، فَإِنِّي أُحْمَدُ إِلَيْكُمْ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ، أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّهُ قَدْ
وَقَعَ^(٤) بَيْنَا رَسُولُكُمْ مَقْفَلَنَا^(٥) مِنْ أَرْضِ الرُّومِ ، فَلَقَيْنَا بِالْمَدِينَةِ ، فَلَبَغَ

(١) اللبائط : الربا ، سمي لبائطاً لأنه شيء لا يحلّ ألصق بشيء ، وكل شيء ألصق بشيء وأضيف
إليه ، فقد ألصق به ، والربا ملصق برأس المال ، واللبائط في هذا الحديث : الربا الذي كانوا يربونه في
الجاهلية ، ردّهم الله إلى أن يأخذوا رءوس أموالهم ويدعوا الفضل عليها .

(٢) وفي لسان العرب بعد ذلك « ولا يؤخر » انظر مادة « لبط » . (٣) نسبة إلى رهاء
كسباء : حتى من منحج . (٤) أي نزل بنا ، من وقع الطائر على الشجرة إذا نزل عن طيرانه .
(٥) وقت قفولنا : أي رجوعنا ، وفعله كنصر وضرب ، وفي رواية « منقلبنا » .

مَا أَرْسَلْتُمْ بِهِ ، وَخَبَّرَ مَا قَبَلَكُمْ ، وَأَنْبَأَنَا بِإِسْلَامِكُمْ وَقَتْلِكُمُ الْمُشْرِكِينَ ، وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ هَدَاكُمْ بِهَدَايَتِهِ . إِنْ أَصْلَحْتُمْ ، وَأَطَعْتُمُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ، وَأَقِمْتُمُ الصَّلَاةَ ، وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ ، وَأَعْطَيْتُمُ مِنَ الْمَغَانِمِ خُمْسَ اللَّهِ ، وَسَمَّيْتُمْ نَبِيَّهِ وَصَفِيَّهِ ، وَمَا كَتَبَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ مِنَ الصَّدَقَةِ ، مِنْ الْعَقَارِ^(١) عَشْرُ مَا سَقَتِ الْعَيْنُ ، وَمَا سَقَتِ السَّمَاءُ ، وَكُلُّ مَا سَقَى بِالْغَرْبِ^(٢) نِصْفَ الْعَشْرِ ، وَفِي الْإِبِلِ : فِي الْأَرْبَعِينَ ابْنَةُ لَبُونٍ ، وَفِي ثَلَاثِينَ مِنَ الْإِبِلِ ابْنُ لَبُونٍ ذَكَرٌ^(٣) ، وَفِي كُلِّ خَمْسٍ مِنَ الْإِبِلِ شَاةٌ ، وَفِي كُلِّ عَشْرِ مِنَ الْإِبِلِ شَاتَانِ ، وَفِي كُلِّ أَرْبَعِينَ مِنَ الْبَقَرِ بَقْرَةٌ^(٤) ، وَفِي كُلِّ ثَلَاثِينَ مِنَ الْبَقَرِ تَبْيِيعٌ^(٥) : جَذَعٌ أَوْ جَذَعَةٌ^(٦) ، وَفِي كُلِّ أَرْبَعِينَ مِنَ الْغَنَمِ سَائِمَةٌ^(٧) وَخَذَهَا شَاةٌ ، وَإِنِهَا فَرِيضَةُ اللَّهِ الَّتِي فَرَضَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَةِ ، فَمَنْ زَادَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ ، وَمَنْ أَدَّى ذَلِكَ وَأَشْهَدَ عَلَى إِسْلَامِهِ ، وَظَاهَرَ^(٨) الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ ، فَإِنَّهُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ : لَهُ مَا لَهُمْ وَعَلَيْهِ مَا عَلَيْهِمْ ، وَلَهُ ذِمَّةُ اللَّهِ وَذِمَّةُ رَسُولِهِ ، وَإِنَّهُ مَنْ أَسْلَمَ مِنْ يَهُودِيٍّ أَوْ نَصْرَانِيٍّ ، فَإِنَّ لَهُ مِثْلَ مَا لَهُمْ ، وَعَلَيْهِ مِثْلَ مَا عَلَيْهِمْ ، وَمَنْ كَانَ عَلَى يَهُودِيَّةٍ أَوْ نَصْرَانِيَّةٍ ، فَإِنَّهُ لَا يُفْتَنُ عَنْهَا ، وَعَلَيْهِ الْجَزِيَّةُ ، عَلَى كُلِّ حَالٍ^(٩) ، ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى ، حُرٍّ أَوْ عَبْدٍ ، دِينَارٌ وَاقِفٌ ، أَوْ قِيَمَتُهُ

(١) العقار : الضيعة أى يجب العشر فى كل ماسقى بماء يجرى على الأرض وما سقى بالمطر .

(٢) الغرب : الدلو العظيمة . (٣) ابن لبون : ولد الناقة إذا استكمل العام الثانى ودخل فى الثالث ، والأُنثى ابنة لبون ، وذلك لأن أمه وضعت غيره فصار لها لبن ، وهو نكرة ويعرف بالـ فيقال : ابن اللبون . (٤) وحددت بأن تكون ذات سنتين .

(٥) التببيع : ولد البقرة أول سنة . والجذع من البقر : ما دخل فى السنة الثانية (انظر النهاية لابن الأثير ج ١ : ص ١٥٠) فالعنى : فيها تببيع دخل فى السنة الثانية .

(٦) أى راعية لامعلوفة ، من سامت الماشية : إذارعت . (٧) ناصر وأعان .

(٨) حلم الصبي كقتل ، واحتلم : أدرك وبلغ مبالغ الرجال فهو حالم ومحتلم .

من المَعَاْفِرِ^(١) أو عَوَضَهُ ثِيَاباً ، فمن أدَّى ذلك إلى رسول الله ، فإن له ذمة الله وذمة رسوله ، ومن منعه فإنه عدو لله ولرسوله .

أما بعدُ ، : فإن رسول الله محمداً النبي أرسل إلى زُرْعَةَ ذِي يَرْزَنَ : أن إذا أتتكم رُسُلِي ، فأوصيكم بهم خيراً ، مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ ، وعبد الله بن زيد ، ومالك ابن عُبَادَةَ ، وعُقْبَةُ بْنُ نَمِرٍ ، ومالك بن مُرَّةٍ وأصحابهم ، وأن أنجموا ما عندكم من الصدقة والجزية من مَخَالِفِكُمْ^(٢) وأبلغوها رُسُلِي ، وأن أميرهم مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ فلا ينقلبَنَّ إلَّا راضياً .

أما بعد : فإن محمداً يشهد أن لا إله إلا الله ، وأنه عبده ورسوله ، ثم إن مالك بن مُرَّةٍ الرَّهَآوِيَّ ، قد حَدَّثَنِي أَنَّكَ قد أسلمت من أول حمير ، وقتلت المشركين ، فأبشِرْ بخير ، وآمُرْكَ بحمير خيراً ، ولا تَحُونُوا ، ولا تَحَاذِلُوا ، فإن رسول الله مَوْلى غنيكم وفقيركم .

وإن الصدقة لا تحِلَّ لمحمد ولا لأهله ، إنما هي زكاة يتركها على فقراء المؤمنين وأبناء السبيل ، وإن مالكا قد بلغ الخبر ، وحَفِظَ الغيب ، وآمركم به خيراً .

وإني قد بعثت إليكم من صالحى أهلى ، وأولى دينهم ، وأولى علمهم ، فأمركم بهم خيراً ، فإنهم منظورٌ إليهم ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

(تاريخ الطبرى ٣ : ١٥٣ ، وسيرة ابن هشام ٢ : ٣٨٠ ، والسيرة الحلبية ٢ : ٣٥١ ، وفتوح البلدان للبلاذرى ص ٧٧ وص ٧٨)

(١) معافر بفتح الميم : بلد باليمن ، وأبو حى من همدان باليمن أيضاً ، وإلى أحدهما تنسب الثياب المعافرية ، وجاء فى اللسان : « وثوب معافرى لأنه نسب إلى رجل اسمه معافر . ولا يقال بضم الميم . وإنما هو معافر غير منسوب ، وقد جاء فى الرجز الفصيح منسوباً . قال الأزهرى : برد معافرى : منسوب إلى معافر اليمن . ثم صار اسمها : (أى للبرود) بغير نسبة . فيقال : معافر . وفى الحديث : أنه بعث معاذاً إلى اليمن وأمره أن يأخذ من كل حالم ديناراً ، أو عدله من المعافرى ، وهى برود باليمن ... الخ » . وجاء فى معجم البلدان « قال الأصمى : ثوب معافر غير منسوب ، فمن نسب ، وقال معافرى فهو عنده خطأ ، وقد جاء فى الرجز الفصيح منسوباً » .

(٢) مخاليف : جمع مخلاف بالكسر ، وهو بلفة اليمن الكورة .

٢٦ - كتابه صلى الله عليه وسلم إلى همدان

وقَدِمَ ذُو الْمِشْعَارِ مَالِكُ بْنُ نَمَطٍ فِي وَقْدٍ مِنْ هَمْدَانَ^(١) عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرْجِعَهُ مِنْ تَبُوكَ ، نَخَطِبُ مَالِكَ بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَكَتَبَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ كِتَابًا فِيهِ :

« بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . هَذَا كِتَابٌ مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ لِمُخْلَافٍ خَارِفٍ^(٢) ، وَأَهْلِ جَنَابِ الْهَضْبِ ، وَحِقَافِ الرَّمْلِ ، مَعَ وَافِدِهَا ذِي الْمِشْعَارِ مَالِكِ بْنِ نَمَطٍ ، وَمَنْ أَسْلَمَ مِنْ قَوْمِهِ ، عَلَى أَنْ لَهُمْ فِرَاعَهَا وَوِهَاطَهَا^(٣) ، مَا أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ ، يَأْكُلُونَ عِلَافَهَا ، وَيَرْعَوْنَ عَافِيَهَا^(٤) ، لَهُمْ بِذَلِكَ عَهْدُ اللَّهِ ، وَذِمَامُ رَسُولِهِ ، وَشَاهِدُهُمُ الْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ » .
(صَبَحُ الْأَعَشَى ٢ : ٢٤٥ ، وَ ٦ : ٣٧٤ ، وَسِيرَةُ ابْنِ هِشَامٍ ٢ : ٣٨٦)

رواية أخرى

وفي رواية أخرى أن كتابه إليهم :

« إِنْ لَكُمْ فِرَاعَهَا وَوِهَاطُهَا وَعَزَازُهَا^(٥) ، تَأْكُلُونَ عِلَافَهَا ، وَتَرْعَوْنَ

(١) قبيلة من اليمن . (٢) خارف : بطن من همدان . الجنب : الناحية كالجنبنة (بالفتح) . الحفاف : جمع حقف بالكسر وهو المعوج من الرمل ، أو الرمل العظيم المستدير أو المستطيل المشرف ، أو هي رمال مستطيلة بناحية الشحر (ساحل البحر بين عمان وعدن ، بالفتح ويكسر) ويجمع الحقف أيضاً على أحفاف وحقوف .

(٣) الفراع : جمع فرعة كوردة ، وهي ما ارتفع من الأرض . الوهاط : جمع وهطة وهي ما اطمأن من الأرض ، لغة في وهدة . (٤) جمع علف (بكسر) وهو ما تقتلغه الدواب من نبات الأرض . العافي : ما ليس لأحد فيه ملك ، من قولهم : عفا الأثر إذا درس .

(٥) العزاز : ما صلب من الأرض واشتد وخشن ، ويكون ذلك في أطرافها .

عَفَاها^(١) ، لنا من دِفْئِهِمْ وَصِرَامِهِمْ^(٢) ما سَلَّمُوا بِالْمِيثَاقِ وَالْأَمَانَةِ ، ولهم من الصدقة الثَّلَبُ ، والنَّابُ ، والفَصِيلُ ، والفَارِضُ ، والدَاجِنُ^(٣) ، والكَبْشُ الحَوْرِيُّ^(٤) ، وعليهم فيها الصَّالِغُ والقَارِحُ^(٥) .

(الشفا للناضى عياض ص ٤٨ ، وصبيح الأعشى ٦ : ٣٧٤ ، والعقد الفريد ١ : ١٠٩)

٢٧ - كتابه صلى الله عليه وسلم إلى بنى نهد

وكتب صلى الله عليه وسلم مع طَهْفَةَ بن أبي زُهَيْرٍ النَّهْدِيِّ حين وفد عليه كتاباً إلى بنى نَهْدٍ^(٦) ، فيه :

« بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . من محمد رسول الله إلى بنى نهد بن زيد : السلام على من آمن بالله ورسوله ، لكم يا بنى نهد في الوظيفة الفَرِيضَةُ^(٧) ، وَلَكُمْ الْعَارِضُ ، والفَرِيشُ ، وذو الْعِنَانِ الرَّكُوبُ ، وَالْقَلْوُ الضَّيِّيسُ^(٨) ،

- (١) العفا : العاق ، وهو في العقد واللسان والقاموس بالقصر ، وفي الشنا بالمد .
- (٢) الدف : نتاج الابل وما ينتفع به منها ، سمي دفئاً لأنه يتخذ من أوبارها وأصوافها ما يستدفأ به ، والمراد هنا الابل والغنم . الصرام : النخل وأصله قطع الثمرة .
- (٣) الثلب : الجمل تكسرت أنيابه هرماً . الناب : الناقة المسنة . الفصيل : ولد الناقة إذا فصل عن أمه من الرضاع . الفارض : المسن من الابل . الداجن : الشاة التي يعلفها الناس في منازلهم ، والمراد أنه لا يؤخذ منهم في الزكاة . (٤) الكبش الحورى : منسوب إلى الحور ، وهو جلود تتخذ من جلود الضأن . وقيل : هو ما دبح من الجلود بغير القرظ .
- (٥) الصالغ : بالصاد والسين هو من البقر والغنم الذي كل وانتهى سنه ويكون ذلك في السنة السادسة . القارح : الفرس إذا استتم السنة الخامسة ودخل في السادسة . (٦) قبيلة باليمن .
- (٧) الوظيفة : النصاب في الزكاة وأصله الشيء الراتب . الفريضة : الهزمة المسنة ، والمراد أنها لا تؤخذ منهم في الزكاة ، بل تكون لهم . ويروى « عليكم في الوظيفة الفريضة » أى في كل نصاب ما فرض فيه . (٨) يروى بالعين وبالفاء ، فالعارض بالعين : المريضة ، وقيل : هي التي أصابها كسر ، يقال : عرضت الناقة إذا أصابها آفة أو كسر أى إنا لا نأخذ ذات العيب فنضر بالصدقة . الفارض بالفاء : المسنة كالفریضة . الفريش : هي التي وضعت حديثاً كالنساء من النساء ، والفرس بعد نتاجها بسبع ليال ، وهو خير أوقات الحمل عليها . ذو العنان الركوب : الفرس القلول . القلو : كحمل وعدو وسمو المهر الصغير ، وقيل العظيم من جميع أولاد الحافر . الضبيس : العسر الصعب الذي لم يرض .

لَا يُنْتَعِ سَرَحُكُمْ ، وَلَا يُعْضَدُ طَلْحُكُمْ ، وَلَا يُجْبَسُ دَرُّكُمْ^(١) ، وَلَا يُؤْكَلُ
اَكْلُكُمْ ، مَا لَمْ تُضْمِرُوا الْإِمَاقَ^(٢) ، وَتَأْكُلُوا الرِّبَاقَ^(٣) ، مَنْ أَقْرَبَ بِيَّ فِي
هَذَا الْكِتَابِ فَلَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ الْوَفَاءُ بِالْعَهْدِ وَالذِّمَّةُ ، وَمَنْ أَبَى فَعَلَيْهِ الرُّبُوءَةُ^(٤) .

(صبح الأعشى ٢ : ٢٤٤ و ٦ : ٣٦٨ ، والعقد الفريد ١ : ١١٤ ،
والشفا للقاضي عياض ص ٤٨ ، والمثل السائر ص ٦٣ ، والمواهب اللدنية للسلطان
شرح الزرقاني ٤ : ١٩٢)

٢٨ - كتابه صلى الله عليه وسلم إلى وائل بن حجر وأهل حضر موت

وكتب صلى الله عليه وسلم إلى وائل بن حجر وأهل حضر موت :
« من محمد رسول الله إلى الأقبالِ العَبَاهِلَةِ من أهل حضر موت^(٥) ،

(١) السرح : المواشي السائمة ، أى نها لا تنع من المرعى . يعضد : يقطع . الطاح : شجر عظام .
الدر : اللبن ، والمراد ذوات الدر من المواشي ، أراد أنها لا تحشر إلى المصدق ، وتنع المرعى إلى أن
تجتمع الماشية ثم تعد ، لما فى ذلك من الأضرار .

(٢) الإمّاق : مخفف من الإمّاق ترك الهمز منه ليوازن الرباق ، الإمّاق : نكت العهد من
الأثفة ، من أمّاق إذا صار ذا مائة (بالفتح) وهى الحمية والأثفة ، يقول : لكم الوفاء بما كتبت لكم
ما لم تأتوا بالمائة فتغدروا وتتكثوا ، وقيل : الإمّاق مصدر أمّاق ، وهو أفعل من الموقى (بضم) أى
الحق . والمراد إضمار الكفر والعمل على ترك الاستبصار فى دين الله تعالى .

(٣) الرباق : جمع ربق بالكسر ، وهو جبل فيه عدة عرى تشد به البهيمة من يدها أو عنقها ، كل
عروة ربة بالكسر والفتح ، والمعنى : وتقطعوا رباق العهد الذى فى أعناقكم وتقتضوه ، واستعار
الأكل لذلك لأن البهيمة إذا أكلت الربة خلصت من الشد .

(٤) الربوة : الزيادة ، أى من تقاعد عن أداء الزكاة فعليه الزيادة فى الفريضة الواجبة عليه
كالعقوبة له ، ويروى « من أقر بالجرية فعليه الربوة » . أى من امتنع عن الإسلام لأجل الزكاة كان
عليه من الجزية أكثر مما يجب عليه بالزكاة .

(٥) الأقبال : جمع قيل (كشمس) وهو الملك من ملوك حمير ، أو هو دون الملك الأعلى ، فهو فى
حمير كالوزير فى الإسلام . العباهلة : الذين أقرّوا على ملكهم فلم يزلوا عنه (بالبناء للعجول) وجاء
فى اللسان « وواحد العباهلة عبهل (كجعفر) والناء لتأكيد الجمع كقشعم وقشاعة ، ويجوز أن
يكون الأصل عباهيل جمع عبهول (كمصفور) أو عبهال (كقرطاس) خذفت الياء وعوض منها
الهاء ... الخ » . حضر موت بفتح الميم وتضم : فى أقصى اليمن .

بإقامة الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، على التَّيَّةِ^(١) الشَّاةُ ، والتَّيَّةُ^(٢) لصاحبها ،
وفي الشُّيُوبِ^(٣) الخُمْسُ ، لا خِلَاطَ ولا وِرَاطَ^(٤) ، ولا شِنَاقَ^(٥) ولا شِفَارَ^(٦) ،
ومن أَجَبِي فَقَدَ أَرَبِي^(٧) ، وكل مسكر حرام .

(صبح الأعشى ٢ : ٢٤٦ ، ٦ : ٣٧١ . والعقد الفريد ١ : ١١٢ ، والبيان والبيان ٢ : ١٣)

رواية أخرى

وفي رواية أخرى أن كتابه لهم :

« إلى الأقبال العَبَاهِلَةِ ، والأُرُوعِ المَشَايِبِ^(٨) ، في التَّيَّةِ شَاةٌ ،

(١) التَّيَّةُ : اسم لأدنى ما تجب فيه الزكاة من الحيوان ، كالخمس من الابل ، والأربعين من الغنم ،
قال ابن الأثير : وكأنها الجملة التي للسعاة عليها سبيل ، من تاع إليه يتبع : إذا ذهب إليه .

(٢) التَّيَّةُ : الشاة الرائدة على الأربعين حتى تبلغ الفريضة الأخرى ، وقيل هي الشاة التي تكون
لصاحبها في منزله يحملها وليست بساعة ، وهي بمعنى الداجن .

(٣) السُّيُوبُ جمع سيب (كشمس) وهو الركاز (ككتاب) ويشمل المعدن والكنز ، فالمعدن
ما خلقه الله تعالى تحت الأرض ، والكنز ما دفنه العباد ، وسمى سيباً لأنه من سيب الله أى من عطائه
وفضله لمن أصابه . (٤) الخِلَاطُ : مصدر خالط كالخفاطة ، والمراد أن يخالط الرجل إبله بإبل غيره
أو بقره أو غنمه لينع حق الله تعالى منها ، ويخس المصدق (بتشديد الدال المكسورة : آخذ
الصدقات) فيما يجب له ، والوراط : أن تعمل الغنم في وهدة من الأرض لتخفي على المصدق ، مأخوذ
من الورطة (كوردة) وهي الهوة من الأرض .

(٥) الشِنَاقُ : المشاركة في الشنق بالتحريك ، وهو ما بين الفريضتين من كل ما تجب فيه الزكاة ، ففي
الغنم مثلاً في أربعين شاة شاة واحدة ، وفي مائة وإحدى وعشرين شاتان ، وما بينهما عفو أى
لا زكاة فيما بين النصابين ، ولا تؤخذ من الشنق حتى يتم . وقيل أى لا يشنق الرجل غنمه أو إبله
إلى مال غيره ليبتل ما يجب عليه من الصدقة ، وذلك أن يكون لكل واحد منهما أربعون شاة ،
فيجب عليهما شاتان ، فإذا أشنق أحدهما (أى أضاف) غنمه إلى غنم الآخر ، فوجدها المصدق في
يده ، أخذ منها شاة ، وهو مثل قوله « لاخلاط » لكن حمله على الأول أولى لتعدد المعنى .

(٦) الشِفَارُ : نكاح معروف في الجاهلية ، وهو أن يزوج الرجل الرجل ابنته أو أخته على أن
يزوجه ابنته أو أخته بغير مهر .

(٧) الاجباء : بيع الزرع قبل بدو صلاحه ، وقيل هو أن يغيب إبله عن المصدق — أخذنا من
أجباته إذا واريت به ، وقيل هو أن يبيع من الرجل سلعة بثمن معلوم إلى أجل معلوم ، ثم يشتريها
منه بالنقد بأقل من الثمن الذي باعها به . أربى : وقع في الربا .

(٨) الأُرُوعُ : جمع أروع ، وهو من يعجبك بحسن منظره أو بشجاعته كالرائع ، وقيل هم الذين =

لا مُقَوَّرَةَ الْأَلْيَاطِ وَلَا ضِنَاكَ^(١) ، وَأَنْطُوا الثَّبَجَةَ^(٢) ، وَفِي السُّيُوبِ الْخُمْسُ ،
وَمَنْ زَنَى مِنْ بَكْرٍ^(٣) فَاصْقَعُوهُ مِائَةً وَاسْتَوْفِضُوهُ^(٤) عَامًا ، وَمَنْ زَنَى مِنْ
ثِيَبٍ فَضَرَّجُوهُ بِالْأَضَامِيمِ^(٥) ، وَلَا تَوْصِيمٍ^(٦) فِي الدِّينِ ، وَلَا عُمَّةَ^(٧) فِي
فَرَائِضِ اللَّهِ تَعَالَى ، وَكُلُّ مُسْكِرٍ حَرَامٌ . وَوَائِلُ بْنُ حُجْرٍ يَتَرَفَّلُ^(٨) عَلَى الْأَقْيَالِ
(الشفا للقاضي عياض ص ٤٩ ، وصحيح الأعشى ٢ : ٢٤٦ و ٦ : ٢٧١)

٢٩ — كتابه صلى الله عليه وسلم إلى فروة بن عمرو الجذامي
وكتب صلى الله عليه وسلم إلى فروة بن عمرو الجذامي^(٩) — وقد بعث
إليه رسولا بإسلامه :

= يروعون الناس أى يفرعونهم بشدة الهيبة . المشايب : السادة الرؤوس ، الزهر الألوان ، الحسان
المنظر ، واحدهم مشوب كأنما أوقدت ألوانهم بالنار ، ويروى الأشياء جمع شيب ، فعمل بمعنى مفعول .
(١) الألياط : جمع ليط (بالكسر) وهو الجلد وقشر كل شيء . الاقورار : استرخاء الجلد ،
والمقورة الألياط : المسترخية الجلد لهزالها . الضناك : الكثير اللحم الذكر والأنثى ، والمراد أنه
لا تؤخذ المفردة فى السمن كما لا تؤخذ الهزيلة . (٢) أنطوا : هو بلفظ أهل اليمن بمعنى أعطوا —
خاطبهم صلى الله عليه وسلم بلغتهم — . الثبجة : الوسط من المال التى ليست من خياره ولا رذائله
أخذنا من ثبجة الناقة : ما بين الكاهل إلى الظهر .

(٣) جرى فيه على لغة أهل اليمن حيث يبدلون لام التعريف ميما . قال ابن الأثير : وعلى هذا
فتكون راء بكر مكسورة من غير تنوين لأن أصله من البكر ، فلما أبدلت الألف واللام ميما بقيت
الحركة بحالها ، ويكون قد استعمل البكر موضع الأكر . قال : والأشبه أن تكون بكر منونة ،
وقد أبدلت نون من ميما ، لأن النون الساكنة إذا كان بعدها باء قلبت فى اللفظ ميما نحو غير ومنبر ،
ويكون التقدير ومن زنى من بكر .

(٤) أى اضربوه ، وأصل الصقع الضرب على الرأس ، وقيل الضرب بيطن الكف .
استوفضوه : انقوه وغربوه ، أخذنا من قولهم استوفضت الابل إذا تفرقت فى رعيها .

(٥) أى أدموه بالضرب ، تضرع بالدم : تلطخ به الأضاميم : جمع إضامة بالكسر وهى الحجارة ، والمعنى
ارموه بالحجارة . (٦) التوصيم : الفترة والتوانى أى لا تفتروا فى إقامة الحدود ولا تتوانوا فيها .

(٧) العمة : الستر أى لا تستروا فرائض الله ولا تخفوها ، بل اجهروا بها وأعلنوها .

(٨) أى يسود ويترأس ، استعارة من ترفيل الثوب ، وهو إسباغه وإرساله .

(٩) وكان فروة عاملا للروم على من يليهم من العرب ومثله معان (كسحاب : مدينة فى طرف
بادية الشام تلقاء الحجاز من نواحي البلقاء) وما حولها من أرض الشام ، فلما بع الروم إسلامه
طلبوه حتى أخذوه ، فبسوه ثم قتلوه وصلبوه .

« من محمد رسول الله إلى فَرَوَةَ بن عمرو :
أما بعدُ ، فقد قَدِمَ علينا رسولُكَ ، وبلغ ما أَرْسَلْتَ به ، وخبرَ عما
قَبْلَكُمْ خيراً ، وأتانا بِإِسْلَامِكَ وَأَنَّ اللَّهَ هَذَاكَ يُهْدَاهُ » (صَبِیحُ الْأَعْشى ٦ : ٣٦٨)

٣ - كِتَابُ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

وَكُتِبَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،
يُنَبِّئُهُ بِإِسْلَامِ بَنِي الْحَرْثِ^(١) بْنِ كَعْبٍ سَنَةَ عَشْرٍ :

« بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، لِمُحَمَّدٍ النَّبِيِّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،
مِنْ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ . السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ ، فَإِنِ
أُحْمَدُ إِلَيْكَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ، أَمَّا بَعْدُ يَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْكَ ،
فَإِنَّكَ بَعَثْتَنِي إِلَى بَنِي الْحَرْثِ بْنِ كَعْبٍ ، وَأَمَرْتَنِي إِذَا أَتَيْتُهُمْ أَنْ لَا أَقَاتِلَهُمْ
ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ، وَأَنْ أَدْعُوهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ ، فَإِنْ أَسْلَمُوا أَقَمْتُ فِيهِمْ ، وَقَبِلْتُ
مِنْهُمْ ، وَعَلَّمْتُهُمْ مَعَالِمَ الْإِسْلَامِ وَكِتَابَ اللَّهِ وَسُنَّةَ نَبِيِّهِ ، وَإِنْ لَمْ يُسْلِمُوا
قَاتَلْتُهُمْ ، وَإِنِّي قَدِمْتُ عَلَيْهِمْ فَدَعَوْتُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ كَمَا أَمَرَنِي
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَبَعَثْتُ فِيهِمْ رُكْبَانًا قَالُوا يَا بَنِي الْحَرْثِ !
أَسْلِمُوا تَسْلَمُوا ، فَاسْلَمُوا وَلَمْ يَقَاتِلُوا ، وَأَنَا مُقِيمٌ بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ ، أَمْرُهُمْ بِمَا أَمَرَ
اللَّهُ بِهِ ، وَأَنْهَاهُمْ عَمَّا نَهَاكَمُ اللَّهُ عَنْهُ ، وَأَعَلَّمَهُمْ مَعَالِمَ الْإِسْلَامِ ، وَسُنَّةَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، حَتَّى يَكْتُبَ إِلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ
يَا رَسُولَ اللَّهِ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ . »

(تَارِيخُ الطَّبَرِيِّ ٣ : ١٥٦ ، وَسِيرَةُ ابْنِ هِشَامٍ ٢ : ٣٨٣ ، وَصَبِیحُ الْأَعْشى ٦ : ٤٦٥)

(١) وَكَانَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قَدْ بَعَثَهُ إِلَيْهِمْ بِنَجْرَانَ فِي رَبِيعِ الْآخِرِ - أَوْ جَادَى الْأُولَى - سَنَةَ
عَشْرٍ ، لِيَدْعُوهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ .

٣١ - رده صلى الله عليه وسلم على خالد

فكتب إليه صلى الله عليه وسلم :

« بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد النبي رسول الله إلى خالد بن الوليد :
سَلَامٌ عَلَيْكَ ، فَإِنِّي أَحْمَدُ إِلَيْكَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ . أَمَا بَعْدُ فَإِنَّ كِتَابَكَ
جَاءَنِي مَعَ رَسُولِكَ ، يُخْبِرُنِي أَنَّ بَنِي الْحَارِثِ بْنِ كَعْبٍ قَدْ أَسْلَمُوا قَبْلَ أَنْ تَقَاتِلَهُمْ ،
وَأَجَابُوا إِلَى مَا دَعَوْتَهُمْ إِلَيْهِ مِنَ الْإِسْلَامِ ، وَشَهِدُوا أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ
لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، وَأَنْ قَدْ هَدَاهُمُ اللَّهُ بِهُدَاهُ ، فَبَشِّرْهُمْ
وَأَنْذِرْهُمْ ، وَأَقْبِلْ وَلِيقْبَلْ مَعَكَ وَفْدُهُمْ ، وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ » .
(تاريخ الطبري ٣ : ١٥٦ ، وسيرة ابن هشام ٢ : ٣٨٣ ، وصحيح الأعمش ٦ : ٣٧٦)

٣٢ - عهده صلى الله عليه وسلم لعمر و بن حزم الأنصاري

حين ولاه اليمن

وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بني الحارث بن كعب - بعد
أَنْ وَلَّى وَفْدُهُمْ - عَمْرَو بْنَ حَزْمٍ الْأَنْصَارِيَّ ، لِيَفْقَهُهُمْ فِي الدِّينِ ، وَيُعَلِّمَهُمُ
السُّنَّةَ ، وَمَعَالِمَ الْإِسْلَامِ ، وَيَأْخُذَ مِنْهُمْ صَدَقَاتِهِمْ ، وَكَتَبَ لَهُ كِتَابًا عَهْدَ إِلَيْهِ
فِيهِ ، وَأَمَرَهُ فِيهِ بِأَمْرِهِ :

« بسم الله الرحمن الرحيم . هَذَا بَيَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا
أَوْفُوا بِالْعُقُودِ » عَقَدْتُ مِنْ مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ رَسُولِ اللَّهِ لِعَمْرِ بْنِ حَزْمٍ ، حِينَ بَعَثْتُهُ إِلَى
الْيَمَنِ ، أَمْرَهُ بِتَقْوَى اللَّهِ فِي أَمْرِهِ كُلِّهِ فَ« إِنَّا اللَّهُ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ »

وأمره أن يأخذ بالحق كما أمر به الله ، وأن يبشّر الناس بالخير ويأمرهم به ،
 ويعلم الناس القرآن ، ويفقههم في الدين ، وينهى الناس فلا يمسّ أحد القرآن إلا
 وهو طاهر ، ويُنْخِر الناس بالذي لهم وبالذي عليهم ، ويكَلِّم الناس في الحق ،
 ويشتدّ عليهم في الظلم ، فإن الله عز وجل كره الظلم ونهى عنه ، وقال
 « أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ » ويُبشّر الناس بالجنة وبعملها ، ويُنْذِر بالنار
 وبعملها ، ويستألف الناس حتى يتفقهوا في الدين ، ويعلم الناس معالم الحج
 وسُنَّته وفريضته ، وما أمر الله به في الحج الأكبر ، والحج الأصغر ، وهو
 العمرة ، وينهى الناس أن يصلي أحد في ثوب واحد صغير ، إلا أن يكون
 ثوباً واحداً يثني طرفيه على عاتقيه ، وينهى الناس أن يَحْتَبِي (١) أحد في ثوب
 واحد يُفْضِي بفرجه إلى السماء ، وينهى أن لا يَعْقِص (٢) أحد شعر رأسه إذا
 عَفَا (٣) في قفاه ، وينهى - إذا كان بين الناس هَيْج (٤) - عن الدعاء إلى القبائل
 والعشائر ، وليكن دُعَاؤُهُمْ إلى الله وحده لا شريك له ، فمن لم يدعُ إلى الله
 ودعا إلى القبائل والعشائر ، فليَقْطَعُوا بالسيف حتى يكون دُعَاؤُهُمْ إلى الله وحده
 لا شريك له ، ويأمر الناس بِإِسْبَاغِ (٥) الوضوء : وجوههم وأيديهم إلى
 المرافق وأرجلهم إلى الكعبين ، ويمسحون برءوسهم كما أمرهم الله عز وجل ،
 وأمره بالصلاة لوقتها ، وإتمام الركوع والخشوع ، ويُغْلَسُ (٦) بالفجر ،

(١) احتبى الرجل : جمع ظهره وساقيه بثوب أو غيره ، وقد يحتبى بيديه .

(٢) عقص شعره : ضفره وفتله . (٣) أى كثر وطال .

(٤) أى ثوران ، هاج هيجاً وهيجاناً وهياجاً بالكسر في الأخير .

(٥) إسباغ الوضوء : إتمامه . (٦) الغسل محرّكة : ظلمة آخر الليل إذا اخلطت بضوء الصباح ،

وغسل في الصلاة : صلاتها بالغسل أى ويكر بصلاة الفجر .

وَيُهْجَرُ^(١) بالهجرة حين تميل الشمس ، وصلاة العصر والشمس في الأرض مُدْبِرَةٌ ، والمغرب حين يُقبل الليل ، لا تؤخر حتى تبدو النجوم في السماء ، والعشاء أول الليل ، ويأمر بالسَّعْيِ إلى الجمعة إذا نُودِيَ لها ، والغُسْلُ عند الرُّوحِ إليها ، وأمرُهُ أَنْ يأخذ من المعانمُ خُمْسَ الله وما كَتَبَ على المؤمنين في الصَّدَقَةِ ، من العقارِ عُشْرُ ما سقت العين^(٢) وما سقت السماء ، وعلى ماسقِي الغَرْبِ نِصْفُ العشر ، وفي كلِّ عَشْرِ من الإبلِ شاتان ، وفي كلِّ عشرين من الإبلِ أربعُ شياهٍ ، وفي كلِّ أربعين من البقرِ بقرة ، وفي كلِّ ثلاثين من البقرِ تَبِيعٌ : جَذَعٌ^(٣) أو جذعة ، وفي كلِّ أربعين من الغنمِ سائمةٌ وَحَدَها شاةٌ ، فإنها فريضة الله التي اقترض الله عزَّ وجلَّ على المؤمنين في الصدقة ، فمن زاد خيراً فهو خير له .

وإنه من أسلم من يهودى أو نصرانى إسلاماً خالصاً من نفسه ، ودان بدين الإسلام ، فإنه من المؤمنين ، له مثلُ ما لهم وعليه مثل ما عليهم ، ومن كان على نصرانيته أو يهوديته ، فإنه لا يُفْتَنُ عنها ، وعلى كلِّ حالمٍ ذكرٍ أو أنثى ، حرٍّ أو عبدٍ دينارٌ وافرٌ ، أو عِوَضُهُ ثياباً ، فمن أدَّى ذلك ، فإن له

(١) التهجير : التبكير إلى الصلوات ، وهو المضى في أوائل أوقاتها . قال صلى الله عليه وسلم : « المهجر إلى الجمعة كالهدى بدنة » وقال « ولو يعلمون ما في التهجير لاستبقوا إليه » . والهجرة نصف النهار عند زوال الشمس ، والمراد صلاة الهجرة : أى الظهر ، وفي رواية صبح الأعشى : « ويهجر بالظهر » . (٢) وفي الطبرى وفنوح البلدان « ما سقى البعل » وفسره البلاذرى بأنه « السيج » أى الماء الجارى ، وفي كتب اللغة « البعل : كل نخل وشجر وزرع لا يسقى ، أو ما سقته السماء » وربما كان « الغيل » كما سيأتى في الكتاب التالى ، جاء في اللسان « الغيل (بالفتح) الماء الجارى على وجه الأرض ، وفي الحديث : ما سقى بالغيل فقيه العشر ، وما سقى بالدلو فقيه نصف العشر » . (٣) انظر ص ٥٤ .

ذمة الله وذمة رسوله ، ومن منع ذلك فإنه عدو لله ولرسوله وللمؤمنين جميعاً .
صلوات الله على محمد والسلام عليه ورحمة الله وبركاته .

(تاريخ الطبري ٣ : ١٥٧ ، وسيرة ابن هشام ٢ : ٣٨٤ ، وصبح الأعشى
١٠ : ٩ ، وفتوح البلدان للبلاذري ص ٧٧)

٣٣ — كتابه صلى الله عليه وسلم إلى معاذ بن جبل

وكتب صلى الله عليه وسلم إلى مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَهُوَ بِالْيَمَنِ^(١)
« أَنْ فِيمَا سَقَتِ السَّمَاءُ أَوْ سُقِيَ غَيْلاً الْعُشْرُ ، وَفِيمَا سُقِيَ بِالْغَرْبِ وَالْدَّالِيَةِ^(٢) نَصَفَ
الْعُشْرَ ، وَأَنْ عَلَى كُلِّ حَالٍ دِينَاراً أَوْ عِدْلُ ذَلِكَ مِنَ الْمَعَاوِرِ^(٣) ، وَأَنْ لَا يُفْتَنَ يَهُودِي
عَنْ يَهُودِيَّتِهِ » . (فتوح البلدان للبلاذري ص ٧٨)

٣٤ — كتابه صلى الله عليه وسلم إلى معاذ بن جبل

وكتب صلى الله عليه وسلم إلى مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ^(١) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَمِزِيهِ
بِأَنَّهُ لَهُ مَات :

« مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ إِلَى مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ :

سَلَامٌ عَلَيْكَ ، فَإِنِّي أَحْمَدُ إِلَيْكَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ، أَمَّا بَعْدُ فَعِظْ

(١) وكان عليه الصلاة والسلام بعث سنة عشر معاذ بن جبل عاملاً على الكورة العليا من جهة
عدن، وبعث أبا موسى الأشعري على الكورة السفلى، وقد مكث معاذ بن جبل باليمن حتى توفى رسول الله
(٢) الغرب : الدلو العظيمة . الدالية : هي ما يعرف عندنا « بالشادوف » .
(٣) انظر هامش ص ٥٥ .

(٤) هو معاذ بن جبل الأنصاري الحزرجي ، شهد بدرًا ، وبعثه عليه السلام والياً على اليمن كما قدمنا
وكان ممن جمع القرآن ، وتوفي في طاعون عمواس بالشام سنة ١٨ هـ .

الله لك الأجر ، وألهمك الصبر ، ورزقنا وإياك الشكر ، ثم إن أنفسنا وأهلينا ومواليينا^(١) من مواهب الله السنية، وعوارفه^(٢) المستودعة ، نمتع بها إلى أجل معدود ، وتقبض لوقت معلوم ، ثم افترض علينا الشكر إذا أعطى ، والصبر إذا ابتلى ، وكان ابنك من مواهب الله الهنية ، وعوارفه المستودعة ، متمتع به في غبطة^(٣) وسرور ، وقبضه منك بأجر كثير : الصلاة^(٤) والرحمة والهدى ، إن صبرت واحتسبت^(٥) ، فلا تجمعن عليك يامعاذ خصلتين^(٦) . أن يحبط جزعك صبرك ، فتندم على ما فاتك ، فلو قدمت على ثواب مصيبتك ، قد أطعت ربك وتجزت موعوده ، عرفت أن المصيبة قد قصرت عنه ، وأعلم أن الجزع لا يرد ميتا ، ولا يدفع حزنا ، فأحسن الجزاء وتجز الموعود ، وليذهب أسفك ما هو نازل بك فكان قد^(٧) . » (صبح الأعشى ٩ : ٨٠)

٣٥ - كتابه صلى الله عليه وسلم لمجاعة بن مرارة

وقدّم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد بنى حنيفة ، وفيهم مسيلمة بن حبيب ، ومجاعة بن مرارة ، فسأل مجاعة رسول الله أن يقطعه أرضا ، فأقطعه إياها ، وكتب له كتابا ، وهو :

- (١) الموالى : جمع مولى وهو القريب والصاحب والعبد .
- (٢) العوارف : جمع عارفة وهي المعروف كالعرف بالضم .
- (٣) الغبطة : المصرة . (٤) الصلاة وما بعدها بدل من أجر .
- (٥) احتسب بكذا أجرا عند الله : اعتدّ ينوى به وجه الله ، واحتسب فلان ابنه إذا مات كبيرا ، فإن مات صغيرا قيل افترطه . (٦) أى فقد الولد وفقد الثواب ، ويحبط : يفسد .
- (٧) أى فكان قد نزل بك الموت لأنه لا محالة مدرّكك .

« بسم الله الرحمن الرحيم . هذا كتاب كتبه محمد رسول الله لِمَجَاعَةِ
أَبْنِ مُرَارَةَ بْنِ سَلَمَى ، إِنِّي أَقْطَعُكَ الْغَوْرَةَ وَغُرَابَةَ وَالْحُبْلَ ، ^(١) فَمَنْ حَاجَّكَ فَإِلَى »
(فتوح البلدان للبلاذرى ص ١٠٠)

٣٦ - كتاب مسيلمة بن حبيب إليه صلى الله عليه وسلم

فلما عاد وفد بني حنيفة إلى اليمامة ، ادَّعى مسيلمة النبوة ، وكتب إلى
رسول الله صلى الله عليه وسلم - وكان ذلك آخر سنة عَشْرٍ - :
« من مُسِيَلَمَةَ رسول الله إلى محمد رسول الله .
سلام عليك ، أما بعدُ فَإِنِّي قد أَشْرَكْتُ في الأمر معك ، وَإِن لَنَا نِصْفَ
الأرض ، ولقريشٍ نِصْفَ الأرض ، وَلَكِنْ قَرِيشًا قوم يعتدون ^(٢) » .
وكتب عمرو بن الجارود الحنفى .

(تاريخ الطبرى ٣ : ١٦٦ ، وسيرة ابن هشام ٢ : ٣٨٨ ، والسيرة الحلبية
٣٤٧ : ٢ ، وصبح الأعشى ٦ : ٤٦٨ ، والكامل لابن الأثير ٢ : ١١٥ ،
وفتوح البلدان للبلاذرى ص ٩٤ ، والمواهب شرح الزرقانى ٤ : ٢٥)

٣٧ - رده صلى الله عليه وسلم على مسيلمة

فكتب صلى الله عليه وسلم إليه :
« بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد رسول الله إلى مسيلمة الكذاب .

(١) الغورة بالفتح ، ورواه بعضهم بالضم ، وغرابة والحبل : مواضع باليمامة .
(٢) وفي فتوح البلدان « ولكن قريشاً لا ينصفون » وفي السيرة الحلبية « وليس قريش
قرما يعدلون »

سلام على من اتبع الهدى ، أما بعدُ ، فإنَّ الأرضَ لله يُورِثُها مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ .
وكتب أبي بن كعب .

(تاريخ الطبري ٣ : ١٦٧ ، وسيرة ابن هشام ، ٢ : ٣٨٨ ، والسيرة الحلبية ٢ : ٣٤٧ ، وصبح الأعشى ٦ : ٣٨١ ، والكامل لابن الأثير ٢ : ١١٥ ، وفتوح البلدان للبلاذري ص ٩٥ ، والمواهب شرح الزرقاني ٤ : ٢٥)

٣٨ - كتابه صلى الله عليه وسلم لبني زهير بن أقيش

وكتب صلى الله عليه وسلم لبني زهير بن أقيش .
« بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد رسول الله لبني زهير بن أقيش من عُكْل^(١) ، إنهم إن شَهِدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ، وَفَارَقُوا الْمَشْرِكِينَ ، وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ ، وَآتَوْا الزَّكَاةَ ، وَأَقْرَأُوا بِالْحَمْسِ مِنْ غَنَائِهِمْ^(٢) ، وَسَمِعُوا النَّبِيَّ وَصَفِيَّهِ ، فَإِنَّهُمْ آمَنُونَ بِأَمَانِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ . »
(شرح الزرقاني على المواهب ٣ : ٣٨٢ ، وصبح الأعشى ١٣ : ٣٢٩)

٣٩ - كتابه صلى الله عليه وسلم إلى أكتم بن صيفي

وكتب صلى الله عليه وسلم إلى أكتم بن صيفي .
« من محمد رسول الله إلى أكتم بن صيفي .
أُحْمَدُ اللَّهِ إِلَيْكَ ، إِنْ اللَّهُ أَمَرَنِي أَنْ أَقُولَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ . أَقُولُهَا ، وَأَمْرُ

(١) اسم قبيلة ، وهم بنو عكل بن عبد مناة بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر ، ومنهم النمر بن تولب وكان في هذه القبيلة غباوة وقلة فهم ، ولذلك يقال لكل من فيه غفلة ويستعحق : عكلى .
(٢) وفي صبح الأعشى « وأعطيت من الغنائم الخمس » .

الناس بها ، والخلق خلق الله ، والأمر أمر الله ، خلقهم وأماهم ، وهو يُنشرهم^(١) ، ولتعلمن نبأه بعد حين^(٢) .

(تاريخ آداب اللغة العربية للأستاذ حسن توفيق ص ٧٩)

٤. - كتابه صلى الله عليه وسلم لأبي ضميرة

وكتب صلى الله عليه وسلم لأبي ضميرة وأهل بيته^(٣) :

(١) نشر الله الموتى كقعد ، وأشرهم : أحيام . (٢) وجاء في شرح العيون ص ١٤ في ترجمته : « أدرك مبعث النبي صلى الله عليه وسلم وراسله ، واختلف في إسلامه ، والأكثر على صحته ، حكى أنه لما بلغه مبعث النبي صلى الله عليه وسلم قال لقومه : اهلوني إليه ، فقالوا : لا والله ، وأنت سن من أسنان العرب ، قال : فليأته أحدكم فليسأله عن ربه وعما أمره به ، فأتاه حبش بن أكتم ، فقال : يا محمد ! بم بعثك ربك ؟ قال : بعثني بأن أكسر الأوثان . قال : بم أمرك ؟ قال : « إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ » فانصرف حبش إلى أبيه ، فأخبره بكلام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتلا عليه الآية الشريفة ، فجعل يرددها ويقول : إن هذا لرب كريم ، يأمر بمحاسن الأخلاق ، وينهى عن مساوئها . ثم جمع إليه بني تميم وقام فيهم خطيباً يدعوهم إلى الإسلام (وقد أوردنا خطبته في جبهة خطب العرب . ج ١ : ص ٢٦٠) فقام مالك بن نويرة ، وقال : لقد خرف شيخكم ، فلا تعرضوا للبلاء ، فقال أكتم : ويل للشجى من الخلى ، لهفى على أمر لم أدركه ولم يسبقني . (وفي مجمع الأمثال ج ٢ : ص ٢١٧ « ولم يسمني ») ثم رحل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فبات في الطريق ، وبعث بإسلامه مع من أسلم من كان معه . وذكر عن ابن عباس رضى الله عنهما أن آية : « وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ » نزلت في أكتم ومن تبعه من أصحابه . وقال قوم آخرون : خرج مهاجراً ولم يسلم .

وجاء في أسد الغابة ج ١ : ص ١٢٤ في ترجمته : « ولما بلغ أكتم ظهور رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسل إليه رجلاين يسألانه عن نسبه ، وما جاء به فأخبرهما وقرأ عليهما : « إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّقُوا اللَّهَ ... الآية » . فعادا إلى أكتم فأخبراه وقرأ عليه الآية ، فلما سمع أكتم ذلك قال : يا قوم أراه يأمر بمكارم الأخلاق ، وينهى عن ملاءمها ، فكونوا في هذا الأمر رءوساً ولا تكونوا أذناناً ، وكونوا فيه أولاً ولا تكونوا فيه آخراً ، فلم يلبث أن حضرته الوفاة . »

(٣) روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مرَّ بأبي ضميرة وهي تبكي ، فقال : ما يبكيك ؟ =

« بسم الله الرحمن الرحيم . هذا كتاب من محمد رسول الله لأبي ضُميرة وأهل بيته ، إن رسول الله أعتقهم ، وإنهم أهل بيت من العرب ، إن أحبوا أقاموا عند رسول الله ، وإن أحبوا رجَعوا إلى قومهم ، فلا يُعْرَض لهم إلا بحق ، ومن لَقِيَهُمْ من المسامِين فَلْيَسْتَوْصِ بِهِمْ خيرا » .
وكتب أُنْبَى بن كعب .

فاختار أبو ضميرة الله ورسوله ، ودخل في الإسلام .
(المواهب اللدنية للقسطلاني شرح الزرقاني ٣ : ٤١٤ : وأسد الغابة ٣ : ٤٧ ، والإصابة ٣ : ٢٧٥)

٤١ - كتابه صلى الله عليه وسلم لبني ضمرة بالموادعة

« بسم الله الرحمن الرحيم . هذا كتاب من محمد رسول الله لبني ضَمرة ، بأنهم آمنون على أموالهم وأنفسهم ، وأن لهم النصر على من ناوَاهُمْ^(١) ، وأن لا يحاربوا في دين الله ما بَلَ بَحْرٌ صُوفَةٌ^(٢) ، وأن النبي إذا دعاهم لنصره أجابوه ، عليهم بذلك ذمَّةُ الله وذمةُ رسوله ، ولهم النصر على من برَّ منهم واتقى » .
(مفتاح الأفكار ص ٤٩)

٤٢ - كتابه صلى الله عليه وسلم للداريين وهو بمكة

وروى أنه قَدِمَ من الشام إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة قبل

= أجائعة أنت أم عارية ؟ فقالت : يا رسول الله ! فرَّق بيني وبين ابني - وكانوا أهل بيت من العرب مما أثناء الله على رسوله - فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا يفرق بين الوالدة وولدها . ثم أرسل إلى الذي عنده ضَميرة فابنائه منه يكر وأعطاه لأمه ، وأبو ضميرة قيل اسمه سعد ، وقيل روح .
(١) أي عادام . (٢) انظر هامش ص ١٨ .

المهجرة نَقَرَهُ مِنَ الدَّارِيَّيْنِ^(١) ، فَأَسْلَمُوا وَسَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ أَنْ يَقْطَعَهُمْ أَرْضًا
مِنْ أَرْضِ الشَّامِ^(٢) ، فَدَعَا بِقِطْعَةٍ مِنْ أَدَمَ ، وَكَتَبَ لَهُمْ فِيهَا كِتَابًا نَسَخْتَهُ :
« بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . هَذَا كِتَابٌ ذَكَرَ فِيهِ مَا وَهَبَ مُحَمَّدُ
رَسُولُ اللَّهِ لِلدَّارِيَّيْنِ إِذَا أَعْطَاهُ اللَّهُ الْأَرْضَ . وَهَبَ لَهُمْ يَدَتَا عَيْنُونِ^(٣)
وَحَبْرُونِ وَالْمَرْطُومِ^(٤) ، وَيَدَتَا إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بِمَنْ فِيهِنَّ

(١) هم بنو الدار بن هاني بن حبيب بن ثمار بن خم بن عدي ... ينتهي نسبهم إلى
كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان ، وفي حديث أحدهم « أبي هند الداري » أنهم كانوا
سنة نفر وهم : تميم بن أوس ، ونعيم أخوه (بضم النون) وزيد بن قيس ، وأبو هند بن عبد الله ،
والطيب أخوه ، وفاكه بن النعمان - كما جاء في صبيح الأعشى قفلا عن تاريخ ابن عساكر ، وفي المواهب -
وسام ابن هشام تسعة ، زاد على هؤلاء عرفة بن مالك ، ومروان بن مالك ، وجيلة بن مالك ، - انظر
سيرة ابن هشام . ج ٢ : ص ٢٣٩ - وفي السيرة الحلبية أنهم سبعة ، قال : « ووفد عليه صلى الله
عليه وسلم قبل الهجرة الداريون : أبو هند الداري ونييم الداري وأخوه نعيم وأربعة آخرون » وفي
تاريخ ابن عساكر عن الواقدي أنهم لما وفدوا على رسول الله منصرفه من تبوك (أى في المرة
الثانية) كانوا عشرة نفر ، يزداد على من ذكرنا هاني بن حبيب .

(٢) فقال لهم عليه الصلاة والسلام : سلوا حيث شئتم . فنهضوا من عنده يتشاورون ، فقال تميم :
أرى أن نسأله بيت المقدس وكورها . فقال أبو هند : هذا محل ملك العجم ، وكذلك يكون فيها ملك
العرب ، وأخاف أن لا يتم لنا هذا . فقال تميم : فنسأله بيت جبرين وكورتها (هكذا في صبح الأعشى ،
وبيت جبرين بالميم المكسورة وبالباء الساكنة : قرية غربي بيت المقدس ، بينها وبين عسقلان . وفي
المواهب اللدنية « بيت جيرون » بالميم المفتوحة وبالباء الساكنة ، وقد ضبطها بالعبارة ، وهو
ما في السيرة الحلبية ، وجيرون : هي دمشق أو بابها الذي بقرب الجامع) فقال أبو هند : هذا أكبر
وأكبر ! فقال : فأين ترى أن نسأله ؟ فقال : أرى أن نسأله القرى التي يقع فيها تل (أى لتكون
حصونا لهم ، وقد جاء في المواهب : أرى أن نسأله القرى التي نصنع فيها حصونا) مع آثار إبراهيم .
فقال تميم : أصبت ووفقت ! ثم نهضوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال : يا تميم آتعب أن
تخبرني بما كنتم فيه أو أخبركم ؟ فقال تميم : بل تخبرنا يا رسول الله فزدد إيماننا . فقال صلى الله
عليه وسلم : أردت يا تميم أمرا ، وأراد أبو هند غيره ، ونم الرأي رأى أبي هند ! فدعا بقطعة من
أدم ، وكتب لهم الكتاب المذكور .

(٣) عيتون : من قرى بيت المقدس . حبرون : اسم القرية التي فيها قبر إبراهيم الخليل عليه السلام
جنوبي بيت المقدس ، وقد غلب على اسمها « الخليل » . ويقال لها أيضا حبرى كسرى .

(٤) وردت هذه الكلمة في السيرة الحلبية ، وفي المواهب في هذا الكتاب ، وفي الكتاب التالي
بالميم في أولها « المرطوم » ولم ترد في تاريخ ابن عساكر ، وصبح الأعشى في الكتاب الأول ،
ووردت في الكتاب الثاني في صبح الأعشى بدون ميم في أولها « الرطوم » وفي ابن عساكر =

لهم إلى أبد الأبد^(١) .

شهد بذلك عباس بن عبد المطلب ، وخزيمة بن قيس^(٢) ، وشُرَيْبيلُ ابن حَسَنَة ، وكتب وأعطاهم الكتاب ، وقال : أنصرفوا حتى تسمعوا أني قد هاجرت ، فأنصرفوا . (السيرة الحلبية ٢ : ٢٣٥ ، وصبح الأعشى ١٢ : ١١٩ ، وتهذيب تاريخ ابن عساكر ٣ : ٣٥٢ ، والمواهب شرح الزرقاني ٢ : ٤١١)

٤٣ - كتابه صلى الله عليه وسلم للداريين وهو بالمدينة

فلما هاجر صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ، قَدِمُوا عليه فسألوه أن يُجَدِّدَ لهم كتابا آخر ، فكتب لهم كتابا نسخته :

« بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ما أَنْطَى^(٣) مُحَمَّدٌ رسول الله لَتِيمِ الدَّارِيَّ^(٤) وأصحابه ، إني أَنْطَيْتُكُمْ بَيْتَ عَيْنُون وَحَبْرُونِ والمرطوم ، وبَيْتِ

= في رواية باليم ، وفي رواية أخرى بدونها . وأورد ياقوت في معجمه الكتاب الثاني ، وفيه « المرطوم » ولم يورد كلتا الكلمتين بين أسماء البلدان . وفي شرح الزرقاني على المواهب بياض بالأصل ، وعلى هامشه « وفي بعض النسخ المرطوم » ولم أجدها في كتب اللغة ولا في مصور فلسطين الكبير ، وقد سألت بعض أهل فلسطين عنها فلم يعرفوا موقعها ، والمفهوم من سياق العبارة أنها قرية تاريخية بقرب حبرون وعينون .

(١) يقال لا آتية أبدأ الأبد ، وأبدأ الآباد ، وأبدأ الآبدن ، وأبدأ الأبدية ، وأبدأ الدهر ... بمعنى ، وفي المواهب « ومن فيهم إلى أبدأ الأبد » وقال الزرقاني في شرحه : عبر بيم جمع المذكور العقلاء فلم يقل من فيها تنزيلا لها منزلة العقلاء تجوزا .

(٢) في ابن عساكر وصبح الأعشى « وجهم بن قيس » .

(٣) أَنْطَى : أعطى ، والنطية العطية بلغة أهل اليمن .

(٤) ورد في أسد الغابة (ج ١ : ص ٢١٥) في ترجمته أنه « تميم بن أوس بن خارجة بن سود ابن خزيمة بن ذراع بن عدى بن الدار ... الخ ، كان نصرانيا فأسلم سنة تسع من الهجرة (تنبه إلى أن الخبر الذي أوردناه في مقدمة الكتاب الأول ، فيه تصريح بأنه هو وأصحابه أسلموا بمكة قبل الهجرة ، أجل لأنهم وفدوا عليه ثانية منصرفه من تبوك أي سنة تسع كما قدمنا) وأقطعته النبي صلى الله عليه وسلم قرية عينون بفلسطين ، وكتب له كتابا ، وكان يسكن المدينة ، ثم انتقل إلى الشام بعد مقتل عثمان ، وهو أول من قص ، استأذن عمر بن الخطاب في ذلك فأذن له » .

إبراهيم عليه الصلاة والسلام برؤسهم^(١) ، وجميع ما فيهم نَطِيَّةَ بَتٍ^(٢) ،
ونفَذت وسامت ذلك لهم ولأعقابهم من بعدهم أبد الأبد ، فمن آذاهم فيها
آذاه الله^(٣) .

شهد بذلك أبو بكر بن أبي قُحافة ، وعمر بن الخطاب ، وعثمان بن عفان
وعلى بن أبي طالب ، ومعاوية بن أبي سفيان ، وكتب .

(السيرة الحلية ٢ : ٢٣٦ ، وصبح الأعشى ١٣ : ١٢٠ ، ومعجم البلدان ٣ : ٢٠٨ ،
وتهذيب تاريخ ابن عساكر ٣ : ٣٥٢ ، والمواهب شرح الزرقاني ٣ : ٤١١)

٤٤ — كتاب أبي بكر رضى الله عنه لهم^(٤)

فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وولى أبو بكر رضى الله عنه
ووجه الجنود إلى الشام ، كتب لهم كتابا نسخته :

« بسم الله الرحمن الرحيم . من أبي بكر الصديق إلى أبي عبيدة
ابن الجراح ، سلام عليك ، فإني أحمّد إليك الله الذى لا إله إلا هو .

أما بعد ، فامنع من كان يؤمن بالله واليوم الآخر من الفساد فى قرى
الداريين ، وإن كان أهلها قد جلا عنها ، وأراد الداريون أن يزرعوها ،
فليزرعوها بلا خراج ، فإذا رجع أهلها إليها فهم ، وأحق بهم ،
والسلام عليك .

(تهذيب تاريخ ابن عساكر ٣ : ٣٥٢ ، وصبح الأعشى ١٣ : ١٢٠ ،
والمواهب شرح الزرقاني ٣ : ٤١١)

(١) يقال أعطيته هذه الأشياء برؤسها : أى بجملة ، والرمة بالضم وبكسر : قطعة من جبل ،
وأصله أن رجلا دفع إلى آخر بعيرا بجبل فى عنقه ، فقبل لسكل من دفع شيئا بجملة ، أعطاه برؤس ،
وفى معجم ياقوت « بدمتهم » . والرواية الأولى أصح لقوله بعد « وجميع ما فيهم » .

(٢) البت : القطع ، أى عطية لا ترد ولا رجعة فيها ، وفى السيرة الحلية « نطية بيت »
وهو تحريف . (٣) وفى معجم ياقوت « أبد الآبدن » وفيه « آذى الله » .

(٤) أوردنا هذا الكتاب هنا ، ولم نرجعه إلى خلافة أبي بكر ، كى تتصل حقا خبر البارين .

رواية أخرى

٤٥ - كتابه صلى الله عليه وسلم للداريين

وروى أن تميم بن أوس الداريّ قام فقال : يا رسول الله ! إن لي جيرةً من الرُّومِ بفِلَسْطِينَ لهم قريةٌ يقال لها حَبْرَى ، وأخرى يقال لها بَيْت عَيْنُون ، فإن فَتَحَ اللهُ عليك الشَّامَ فَهَبْهُمَا لِي ، قال : هما لك ، قال : فاكتب لي بذلك ، فكتب له :

« بسم الله الرحمن الرحيم . هذا كتابٌ من محمد رسول الله لتميم ابن أوس الداريّ ، إن له قريةَ حَبْرَى وَبَيْتَ عَيْنُونَ قَرَّتِيهَا كُلَّهَا : سَهْلَهَا وَجَبَلَهَا وَمَاءَهَا وَحَرَّتُهَا وَأَنْبَاطُهَا^(١) وَنَقْرُهَا^(٢) وَلِعَقِبِهِ مِنْ بَعْدِهِ ، لَا يُحَاقُّهُ^(٣) فِيهَا أَحَدٌ ، وَلَا يَلْجُهَا^(٤) عَلَيْهِمْ أَحَدٌ بَظْلَمٍ ، فَمَنْ ظَلَمَهُمْ ، أَوْ أَخَذَ مِنْ أَحَدٍ مِنْهُمْ شَيْئًا ، فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللهِ وَالْمَلَائِكَةِ ، وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ » .

(تهذيب تاريخ ابن عساكر ٣ : ٣٥٢ ، وصبح الأعشى ١٣ : ١٢١)

٤٦ - كتاب أبي بكر رضى الله عنه لهم

فلما ولي أبو بكر رضى الله عنه كتب لهم كتاباً نسخته
« هذا كتاب من أبي بكر أمين رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى

(١) وفي صبح الأعشى « وحرَّتْها » والحرّة بالفتح : أرض صلبة غليظة ذات حجارة سود نخرة كأنها أحرقت بالنار ، والأنباط جمع نبط بالتحريك : وهو الماء الذى ينبط كينصر ويضرب : أى ينبع من قعر البرّ إذا حفرّت . (٢) وفي صبح الأعشى : « ونقرها » .
(٣) حاقه : خاصمه ، وفي ابن عساكر « لا يخيفه » .
(٤) فى صبح الأعشى : « ولا يلجها » وهو تحريف .

اسْتُخْلِفَ فِي الْأَرْضِ بَعْدَهُ . كَتَبَهُ لِلدَّارِيِّينَ أَنْ لَا تُفْسِدَ عَلَيْهِمْ مَأْتَرُهُمْ^(١)
 قَرْيَةُ حَبْرَى وَيَدَّتْ عَيْنُونُ ، فَمَنْ كَانَ يَسْمَعُ وَيُطِيعُ فَلَا يُفْسِدُ مِنْهُمَا شَيْئًا ، وَلِيَقُمْ
 عَمْرُ بْنُ الْعَاصِ عَلَيْهِمَا فَلْيَمْنَعَهُمَا مِنَ الْمُفْسِدِينَ .

(تهذيب تاريخ ابن عساكر ٣ : ٥٣ ، وصبح الأعشى ١٣ ، ١٢١)

رواية ثالثة

٤٧ — كتابه صلى الله عليه وسلم لهم

وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم أقطع تيمما الدارى ، وكتب :
 « بسم الله الرحمن الرحيم . هذا كتاب من محمد رسول الله لتيمة
 ابن أوس الدارى ، إن له صِهْيُون^(٢) قَرْيَتَهَا كُلَّهَا ، سَهْلَهَا وَجَبَلَهَا وَمَاءَهَا
 وَكُرْمُومَهَا وَأَنْبَاطَهَا وَوَرَقَهَا ، وَلِعَقْبِهِ مِنْ بَعْدِهِ لَا يُحَاقُّهُ فِيهَا أَحَدٌ ، وَلَا يَدْخُلُ
 عَلَيْهِ بَظْلٌ ، فَمَنْ أَرَادَ ظُلْمَهُمْ أَوْ أَخَذَهُ مِنْهُمْ فَإِنَّ عَلَيْهِ لعنة الله والملائكة والناس
 أجمعين^(٣) » .
 (صبح الأعشى ١٣ : ١٢٢)

٤٨ — كتابه صلى الله عليه وسلم إلى نصارى نجران

وكتب صلى الله عليه وسلم إلى نصارى نجران^(١) :

(١) المأثرة بضم التاء وفتحها : المكرمة المتوارثة ، وفي ابن عساكر « أن لا يفسد عليهم ما بيدهم » .

(٢) صهيون : اسم لبيت المقدس أو موضع به . (٣) وعقب القنقشندى على ذلك فقال :

قلت « وهذه الرقعة التي كتب بها النبي صلى الله عليه وسلم موجودة بأيدي التميميين خدام حرم
 الخليل عليه السلام إلى الآن ، وكلما نازعهم أحد أتوا بها إلى السلطان بالديار المصرية ليقف عاينها ، ويكف
 عنهم من يظلمهم ، وقد أخبرني برؤيتها غير واحد ، والأديم الذي هي فيه قد خلق لطول الأمد » .

(٤) في شمال اليمن .

« بسم الله الرحمن الرحيم ، إِلَهَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ .
أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنِّي أَدْعُوكُمْ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ مِنْ عِبَادَةِ الْعِبَادِ ، وَأَدْعُوكُمْ إِلَى وِلَايَةِ
اللَّهِ مِنْ وِلَايَةِ الْعِبَادِ ، فَإِن أَيْتِمَ فَالْجُزِيَّةُ ، فَإِن أَيْتِمَ فَقَدْ آذَنْتُكُمْ
بِحَرْبِ الْإِسْلَامِ ^(١) » .
(صَبَاحُ الْأَعْمَى ٦ : ٣٨٠ و ٣٨١)

٤٩ - عَهْدُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَهْلِ نَجْرَانَ

وفتحت « نَجْرَان » سنة عَشْرٍ صَلَاحًا ، وفي هذه السنة قَدِمَ عَلَى النَّبِيِّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفَدُّ نَجْرَانَ ، وفيهم السَّيِّدُ وَاسِمَةُ وَهَبٌ ، وَالْعَاقِبُ وَاسِمَةُ
عَبْدُ الْمَسِيحِ ، وَالْأَسْقَفُ وَهُوَ أَبُو حَارِثَةَ ، وَأَرَادَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
مُبَاهَلَتَهُمْ فَامْتَنَعُوا وَصَالِحُوهُ ، فَكَتَبَ لَهُمْ كِتَابَ الصَّلَاحِ ^(٢) ، وَنَسَخْتَهُ :

- (١) وفي مفتاح الأفكار : « بحرب ، والسلام » .
(٢) انظر معجم البلدان لياقوت الحموي (ج ٨ : ص ٢٦٢ ، ٢٦٤) وتاريخ الطبري (ج ٣ : ص ١٦٣) المباحلة : الملاءمة ، أى الدعاء باللغة على الكاذب . وحدثها أنهم لما قدموا عليه ، قالوا له : يا محمد لم تسميه عيسى وتسميه عبداً ؟ فقال : أجل ! عبد الله ورسوله وروحه وكلته ألقاها إلى مريم . قالوا : فأرنا مثله يحيى الموتى ويرى الأكمه والأبرص ، ويخلق من الطين كهيئة الطير ، ويأمننا على أنه ابن الله ، ونحن نبايعك على أنك رسول الله ! ! فقال صلى الله عليه وسلم : معاذ الله أن يكون لله ولد أو شريك . فما زالوا يحاجونه فى عيسى وبلاخونه ، حتى أنزل الله : « فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ » . فقال لهم : إن الله أمرنى إن لم تقبلوا الحجة أن أباهلكم ، فقالوا : يا أبا القاسم ! بل نرجع فننظر فى أمرنا ثم نأتيك . فلما رجعوا ، قالوا للعاقب - وكان ذا رأيهم - يا عبد المسيح ما ترى ؟ فقال : والله لقد عرفتكم يا معشر النصارى أن محمداً نبى مرسل ، والله جاءكم بالكلام الحق فى أمر صاحبكم ، والله ما باهل قوم نبيا قط فعاش كبيرهم ولا نبت صغيرهم ، ولئن فعلتم لكان الاستنصال ، فإن أبتم إلا الإصرار على دينكم والإقامة على ما أنتم عليه ، فوادعوا الرجل وانصرفوا إلى بلادكم . وكان صلى الله عليه وسلم خرج وعليه مرط من شعر أسود (المرط بالكسر : كساء من صوف أو خز) وقد احتضن -

« بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . هذا ما كتب محمد النبي رسول الله لأهل نَجْرَانَ ، إذ كان له عليهم حُكْمُهُ فِي كُلِّ ثَمَرَةٍ وَفِي كُلِّ صَفْرَاءٍ وَبَيْضَاءٍ وَسُودَاءٍ وَرَقِيقٍ ^(١) ، فَأَفْضَلَ ^(٢) ذَلِكَ عَلَيْهِمْ ، وَتَرَكَ ذَلِكَ كُلَّهُ لَهُمْ ، عَلَى أَلْفِي حُلَّةٍ مِنْ حُلَلِ الْأَوَاقِ ، فِي كُلِّ رَجَبٍ أَلْفُ حُلَّةٍ ، وَفِي كُلِّ صَفَرٍ أَلْفُ حُلَّةٍ ، كُلُّ حُلَّةٍ أَوْقِيَّةٌ ^(٣) مِنَ الْفِضَّةِ ، فَمَا زَادَتْ عَلَى الْخِرَاجِ ، أَوْ نَقَصَتْ عَنِ الْأَوَاقِ فَبِالْحِسَابِ ^(٤) ، وَمَا قَضَوْا مِنْ دُرُوعٍ ، أَوْ خَيْلٍ ، أَوْ رُكَابٍ ، أَوْ عُرُوضٍ ^(٥) أَخَذَ مِنْهُمْ بِالْحِسَابِ .

=الحسين، وأخذ بيد الحسن، وفاطمة تمشي خلفه، وعلى رضى الله عنه خلفها، وهو يقول « إذا دعوت فأمنوا ». (وروى أنه عليه السلام لما خرج في المطر، جاء الحسن فأدخله، ثم جاء الحسين فأدخله، ثم فاطمة، ثم على رضى الله عنهم ثم قال « إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا » فمن ذلك الوقت سمي الخمسة أصحاب الكساء). فقال أسقف نجران : « يا معشر النصارى ! إني لأرى وجوها لو سألوها الله أن يزيل جبلا من مكانه لأزاله لها ، فلا تباهلوا فتهلكوا ولا يبق على وجه الأرض نصراني إلى يوم القيامة » ثم قالوا : « يا أبا القاسم ! رأينا أن لا تباهلك » فقال عليه الصلاة والسلام « فإذا أبيتم المباهلة فأسلموا ، يكن لكم ما المسلمون وعليكم ما على المسلمين » فأبوا . فقال « فإني أنا جزكم القتال » . فقالوا « ما لنا بحرب العرب طاقة، ولكن نصالحك على أن لا تغزونا ولا تردنا عن ديننا، على أن نؤدى إليك في كل عام ألفي حلة ، ألفا في صفر ، وألفا في رجب ، ثمن كل حلة أوقية من الفضة » فصالحهم على ذلك وقال « والذي نفسي بيده ، إن الهلاك قد تدلى على أهل نجران ، ولو لاعتنوا لمسخوا قرده وخنائير ، ولا اضطرم عليهم الوادى نارا ، ولا ستأصل الله نجران وأهله ، حتى الطير على رؤس الشجر ، ولما حال الحول على النصارى كلهم حتى يهلكوا » (انظر كتاب ثمار القلوب في المضاف والمنسوب للثعالبي ص ٤٨٣ وتفسير الفخر الرازي مفاتيح الغيب ٢ : ٦٩٩ وغيره من كتب التفسير والسيرة الحلبية ٢ : ٣٢٤) .

(١) الصنراء : الذهب . البيضاء : الفضة . سوداء ورقيق : أى جارية وعبد .

(٢) أى أبقاه لهم . (٣) أى ثمن كل حلة أوقية . والأوقية : زنة سبعة مثاقيل ، وزنة أربعين درهما ، والجمع الأوقا بالتشديد والتخفيف . وفي كتاب الخراج : « مع كل حلة أوقية من الفضة » . وكلمة « مع » محرفة عن « ثمن » أو « قيمة » .

(٤) أى أنهم إن أدوا حلة بما فوق الأوقية حسب لهم فضل ذلك ، وإن أدوها بما دون الأوقية أخذ منهم النقصان . (٥) فضوا : أدوا . الركاب : الإبل ، واحدها راحلة . العروض : الأمتعة جمع عرض كشمس وهو المناع ، وكل شئ عرض إلا الدراهم والدنانير فإنها عين .

وعلى نجران مَثَوَى^(١) رُسُلِي شهراً فُدُونَهُ ، ولا تُحْبَسْ رُسُلِي فوق شهر ، وعليهم عَارِيَّة^(٢) ثلاثين درعا ، وثلاثين فرسا ، وثلاثين بعيراً ، إذا كان كَيْدٌ باليمن ومَعَرَّة^(٣) ، وما هلك مما أعاروا رُسُلِي من دروع ، أو خيل ، أو ركاب ، أو عروض ، فهم ضَمَنُ^(٤) حتى يردُّوه إليهم .

ولنجران وحاشيتها جوارُ الله ، وذِمَّةُ محمد النبي رسول الله ، على أموالهم وأنفسهم ، وأرضهم وملَّتْهم ، وغائبهم وشاهدهم ، وعشيرتهم وبيعهم^(٥) ، وكل ما تحت أيديهم من قليل أو كثير ، لا يُغَيَّرُ اسْتَقْفٌ عن اسْتَقْفِيَّتِهِ ، ولا راهب عن رَهْبَانِيَّتِهِ ، ولا كاهن عن كِهَانَتِهِ^(٦) ، وليس عليهم ذَنِيَّة^(٧) ، ولا

(١) مَثَوَى الرجل : منزله ، من ثوى بالمكان كرمى إذا نزل فيه ، أى مسكنهم مدة مقامهم ونزلهم . والمعنى : وعليهم إضافتهم . وفي كتاب الحراج « وعلى نجران مئونة رُسُلِي ومتعتهم ، ما بين عشرين يوماً فسادون ذلك » . (٢) العارية بالتشديد وقد تخفف : الشيء المستعار . قال الأزهري

« نسبة إلى العارة ، وهى اسم من الإعارة » والمراد بها هنا المعنى المصدرى ، أى الإعارة .

(٣) هكذا فى كتاب الحراج ، والمرة : الحيانة والأذى والإثم . وفى نسخة أخرى « ذو مرة » وجاء فى فتوح البلدان « إذا كان كيد باليمن ذو مغدرة » معقبة بتفسيرها وهو « أى إذا كان كيد بغدر منهم » وعليه فمغدرة مصدر ميمي من الغدر ، وهو ترك الوفاء ، وهو معنى مستقيم . وأرى له أيضاً معنى آخر : وهو أن يكون مفعلة من الغدر بمعنى التخلف ، يقال : غدر الرجل عن أصحابه بكسر الدال غدرا يسكونها : أى تخلف . والمعنى : إذا كان كيد باليمن يدعو إلى تخلفهم هنالك ولبثهم لدرء هذا الكيد .

(٤) أى فهم ضامنون له وكافلون . والضامن والضمين : الكافل . وفى كتاب الحراج : « فهو ضمين على رُسُلِي حتى يؤدوه إليهم » . أى مضمون مكفول ، فهو فاعل بمعنى مفعول .

(٥) هكذا فى كتاب الحراج . وفى نسخة أخرى « وعبادتهم » محل « وعشيرتهم » . والبيع جمع بيعة : وهى متعبد النصارى . وفى فتوح البلدان « على أنفسهم وملَّتْهم وأرضهم وأموالهم وغائبهم وشاهدهم وعيرهم وبعثهم وأمثلتهم » والعير : بالكسر القافلة ، أو الإبل تحمل الميرة بلا واحد من لفظها . الأمثلة : جمع مثال وهو الفراش .

(٦) وفى نسخة أخرى من كتاب الحراج « ولأرافه من رفهاء » وهو تحريف وصوابه « ولا وافته عن وفهيته » والوافه بالواو والفاء : قيم البيعة بلغة أهل الجزيرة كالواهف ، والوافهة بالكسر : وظيفة . والوفهية بفتح الواو وسكون الفاء : رتبته . وفى لسان العرب : ويروى واهف . وزاد « ولا فسيس عن قسبيته » . وفى فتوح البلدان واللسان « ولا وافته عن وقاعيته » الواقه بالقاف : الواقه . قال فى اللسان : « والصواب الفاء » . الواهية كطواعية وكراهية : قيامه بها .

(٧) الدنية : الشيء الدنى الحسيس . وفى فتوح البلدان « وليس عليهم رهق » والرهق بالتحريك : الظلم ، واسم من الإرهاق ، وهو أن تحمل على الإنسان ما لا يطيقه .

دُمُ جاهليَّة، ولا يُحْشَرُونَ، ولا يُعْشَرُونَ^(١)، ولا يَطَأُ أرضهم جيش . ومن
سأل منهم حقاً فينهم النَّصْفُ^(٢) غيرَ ظالمين، ولا مظلومين، ومن أكل منهم
رباً من ذى قَبَلٍ^(٣) فذمَّتْ منه بريئة، ولا يؤخذ رجلٌ منهم بظلم آخر، ولهم
على ما في هذا الكتاب جوارُ الله، وذمة محمد النبي رسول الله أبداً، حتى يأتي
الله بأمره ما نَصَحُوا وأصْلَحُوا فيما عليهم غير مُنْقَلَتَيْنِ^(٤) بظلم .

شهد أبو سفيان بن حرب، وغيلان بن عمرو، ومالك بن عوف من بني
نصر، والأقرع بن حابس الحنظلي، والمغيرة بن شُعْبَةَ، وكتب^(٥) .

(كتاب الحراج لأبي يوسف ص ٨٥ ، وفتوح البلدان للبلاذري ص ٧١)

٥٠ — عهد أنى بكر رضى الله عنه لهم^(١)

ثم جاءوا بعد وفاته صلى الله عليه وسلم إلى أبي بكر رضى الله عنه ،
فكتب لهم :

« بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ما كتَبَ به عبد الله أبو بكر خليفة

(١) لا يحشرون : أى لا يندبون إلى المغازى ولا تضرب عليهم البعث . ولا يعصرون : أى لا يؤخذ
عشر أموالهم من عشرت ماله كنصر إذا أخذت عشره . وفي الحديث « ليس على المسلمين عشر ،
إنما العصور على اليهود والنصارى » . وفي كتاب الحراج « ولا يخسرون ولا يصرون » وهو
تصحييف (أخسرت الشيء وخسرته كضرب : قصته . أعسرت الغريم وعسرتة كنصر وضرب :
طلبت منه الدين على عسرة ولم ترفق به إلى ميسرة) .

(٢) النصف : مثل النون وبالتحريك : الإنصاف والعدل .

(٣) أى فى المستقبل . تقول : أفعل ذلك من ذى قبل بفتح الباء وفتح القاف وكسرهما : أى
فيما أستقبل ، وأفعل ذلك من ذى قبل : أى فيما تستقبل . وفي كتاب الحراج « قيل » وهو
تصحييف . وفي نسخة أخرى « من ذى قتل » وهو تحريف .

(٤) هكذا فى كتاب الحراج . وفي نسخة أخرى « غير متقلتين » . وفي فتوح البلدان « غير
مكلفين شيئاً بظلم » . (٥) وفي كتاب الحراج : « وكتب لهم هذا الكتاب عبد الله بن أبي
بكر » . وفي خبر فى فتوح البلدان : « وكتب على بن أبي طالب » . (٦) ذكرنا هنا عهد
الحلفاء الراشدين لأهل نجران ، ولم نرجعها إلى خلافتهم ، كى تتصل حلقة خبر النجرانيين .

محمد النبي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لأهل نَجْرَان . أجازهم بجوار الله وذمة محمد النبي رسول الله صلى الله عليه وسلم على أنفسهم وأرضيتهم ، وملتهم وأموالهم ، وحاشيتهم وعبادتهم ، وفائيتهم وشاهدتهم ، وأساقفتهم ورهبانهم وبيعهم ، وكل ما تحت أيديهم من قليل أو كثير ، لا يُحْشَرُونَ ، ولا يُعْشَرُونَ ، ولا يُغَيَّرُ أَسْقُفٌ عَنْ أَسْقَفِيَّتِهِ ، ولا راهب عن رهبانيتها ، وفاء لهم بكل ما كتب لهم محمد النبي صلى الله عليه وسلم ، وعلى ما في هذه الصحيفة جوار الله وذمة محمد النبي صلى الله عليه وسلم أبداً ، وعليهم النصح والإصلاح فيما عليهم من الحق .

شهد المستورد بن عمرو وأحد بنى القين ، وعمرو ومولى أبي بكر ، وراشد ابن حذيفة والمغيرة ، وكتب . (كتاب الخراج ص ٨٧)

صورة أخرى

وروى الطبري هذا العهد ، بصورة تختلف بعض الاختلاف عن الصورة السالفة ، قال : ولما بلغ أهل نجران وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بعثوا وفداً ليجددوا عهداً ، فقدموا إليه ، فكتب لهم كتاباً : « بسم الله الرحمن الرحيم . هذا كتاب من عبد الله أبي بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم لأهل نجران .

أجازهم من جنده ونفسه ، وأجاز لهم ذمة محمد صلى الله عليه وسلم ، إلا ما رجع عنه محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بأمر الله عز وجل في أرضهم وأرض العرب ، أن لا يسكن بها دينان .

أجارهم على أنفسهم بعد ذلك ومِلَّتْهم وسائر أموالهم وحاشيتهم وعبادتهم^(١) وغائبهم وشاهدهم وأُسْقِفَهُم ورُهْبَانَهُم وبيعتهم حيثما وقعت ، وعلى ما ملكت أيديهم من قليل أو كثير ، عليهم ما عليهم ، فإذا أدَّوه فلا يُحْشَرُونَ ولا يُعْشَرُونَ ، ولا يُغَيَّرُ أُسْقُفٌ من أُسْقِفِيَّتِهِ ، ولا راهب من رهبانيتها ، ووفى لهم بكل ما كتبَ لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعلى ما في هذا الكتاب ذمة محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وجوار المسلمين ، وعليهم النصيح والإصلاح فيما عليهم من الحق »
شهد المِسْوَر بن عمرو وعمرو ومولى أبي بكر . (تاريخ الطبري ٣ : ٢٦٥)

٥١ - عهد عمر رضى الله عنه لهم

ثم جاءوا من بعد أن استخلفَ عمر رضى الله عنه إليه ، وقد كان عمر أجلاهم عن نجران اليمن ، وأسكنهم بنجران العراق^(٢) لأنه خافهم على المسلمين ، فكتب لهم :

« بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ما كتب به عمر أمير المؤمنين لأهل نجران ، من سار منهم فهو آمن بأمان الله لا يضره أحد من المسلمين ، وفاء .

(١) في الأصل « وعاديتهم » وهو تحريف .

(٢) موضع على يمين من الكوفة فيما بينها وبين واسط . سكنه نصارى نجران لما أخرجوا ، وسمى باسم بلدهم . وجاء في معجم ياقوت : « ولما أجاز عمر لإخراج أهل نجران وهم أهل صلح بحديث روى عن النبي صلى الله عليه وسلم فيهم خاصة عن أبي عبيدة بن الجراح رضى الله عنه عن النبي أنه كان آخر ما تكلم به أنه قال : « أخرجوا اليهود من الحجاز ، وأخرجوا أهل نجران من جزيرة العرب » . وروى البلاذري في فتوح البلدان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في مرضه : « لا يبقين دينان في أرض العرب » . فلما استخلف عمر أجلى أهل نجران إلى النجرانية واشترى عقاراتهم وأموالهم .

لهم بما كتب لهم محمد النبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر رضى الله عنه .
أما بعد : فمن مروا به من أمراء الشام وأمراء العراق فليؤسّعهم^(١) من
حَرْثِ^(٢) الأرض ، فما اعْتَمَلُوا من ذلك فهو لهم صدقةٌ لوجه الله ، وعُقْبَةٌ^(٣)
لهم مكان أرضهم ، لا سبيلَ عليهم فيه لأحد ولا مَغْرَمَ .
أما بعد : فمن حَضَرَهُمْ من رجلٍ مسلمٍ فليَنْصُرْهُمْ على من ظَلَمَهُمْ فإنهم
أقوام لهم الذمة ، وجَزَيْتِهِمْ متروكة أربعة وعشرين شهراً بعد أن يَقْدَمُوا ،
ولا يُكَلَّفُوا إِلَّا صُنْعَهُم البر ، غيرَ مَظْلُومِينَ ولا مُعْتَدِي عليهم .
شهد عثمان بن عفان ومُعَيْقِبٌ^(٤) ، وكتب .
(كتاب الحراج ص ٨٧ ، وفتوح البلدان للبلاذرى ص ٧٢ ، ٧٣)

٥٢ - عهد عثمان رضى الله عنه لهم

فلما قبض عمر رضى الله عنه واستُخْلِفَ عثمان أتوه إلى المدينة ، فكتب
لهم إلى الوليد بن عُقْبَةَ - وهو عامله على الكوفة - :
« بسم الله الرحمن الرحيم . من عبد الله عثمان أمير المؤمنين إلى الوليد
ابن عقبة ، سلام الله عليك ، فإني أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو .
أما بعد : فإن الأُسْقُفَّ والعاقِبَ وَسَرَاةَ أهل نَجْرَانَ الذين بالعراق

(١) فى كتاب الحراج « فليوسّعهم » وفى نسخة « فليوسعهم » وهما محرفان والصواب
« فليوسعهم » وقد وجدتُها كذلك فى فتوح البلدان للبلاذرى من أوُسَعه الشيء : إذا جعله يسعه .
وفى الدعاء « اللهم أوسعنا رحمتك » أى أجمعها تسعنا . والمعنى : فليخل بينهم وبين حَرْث
الأرض ، وليسح لهم زرعها .

(٢) أوردها كذلك البلاذرى فى فتوح البلدان . ثم قال : « وسمعت بعضهم يقول : من خرب
الأرض » وهو تحريف وصوابه خرب كفرج . (٣) اعتمل : عمل بنفسه . العقبة : البدل .
(٤) هو معيقب بن أبى فاطمة الدوسى . وكان من كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

أَتَوْنِي فَشَكُّوْا إِلَيَّ وَأَرْوْنِي شَرْطَ عُمَرَ لَهُمْ ، وَقَدْ عَلِمْتُ مَا أَصَابَهُمْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، وَإِنِّي قَدْ خَفَّفْتُ عَنْهُمْ ثَلَاثِينَ حُلَّةً مِنْ جَزِيرَتِهِمْ تَرَكَتْهَا لَوَجْهِ اللَّهِ تَعَالَى جَلَّ ثَنَاؤُهُ ، وَإِنِّي وَفَّيْتُ لَهُمْ بِكُلِّ أَرْضِهِمُ الَّتِي تَصَدَّقَ عَلَيْهِمْ عُمَرُ عُمُقْبَى^(١) مَكَانَ أَرْضِهِمْ بِالْيَمَنِ ، فَاسْتَوْصِ بِهِمْ خَيْرًا فَإِنَّهُمْ أَقْوَامٌ لَهُمْ ذِمَّةٌ ، وَكَانَتْ يَدُنِي وَبَيْنَهُمْ مَعْرِفَةٌ ، وَانْظُرْ صَحِيفَةً كَانَتْ عُمَرُ كَتَبَهَا لَهُمْ فَأَوْفَاهُمْ مَا فِيهَا ، وَإِذَا قَرَأْتَ صَحِيفَتَهُمْ فَارْذُدْهَا عَلَيْهِمْ وَالسَّلَامَ » .

وَكُتِبَ مُجْرَانُ بْنُ أَبَانَ ، لِلنَّصَفِ مِنْ شَعْبَانَ سَنَةِ سَبْعٍ وَعَشْرِينَ .
(كِتَابُ الْخَرَجِ ص ٨٨)

رَوَايَةُ أُخْرَى

وَرَوَى الْبَلَاذُرِيُّ فِي فَتُوحِ الْبِلْدَانِ عَهْدَ عُثْمَانَ لَهُمْ هَكَذَا :
« أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ الْعَاقِبَ وَالْأُسْقُفَّ وَسَرَاةَ نَجْرَانَ أَتَوْنِي بِكِتَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَأَرْوْنِي شَرْطَ عُمَرَ ، وَقَدْ سَأَلْتُ عُثْمَانَ بْنَ حُنَيْفٍ عَنْ ذَلِكَ ، فَأَنْبَأَنِي أَنَّهُ كَانَ يَحْتِ عَنْ أَمْرِهِمْ فَوَجَدَهُ ضَارًّا لِلدَّهَاقِينِ^(٢) لِرَدِّعِهِمْ عَنْ أَرْضِهِمْ ، وَإِنِّي قَدْ وَضَعْتُ عَنْهُمْ مِنْ جَزِيرَتِهِمْ مَائَتِي حُلَّةً لَوَجْهِ اللَّهِ ، وَعُمُقْبَى لَهُمْ مِنْ أَرْضِهِمْ ، وَإِنِّي أُوصِيكَ بِهِمْ فَإِنَّهُمْ قَوْمٌ لَهُمْ ذِمَّةٌ » .

(فَتُوحُ الْبِلْدَانِ لِلْبَلَاذُرِيِّ ص ٧٣)

(١) الْعُقْبَى : الْبَدَلُ كَالْعُقْبَةِ .

(٢) الدَّهَاتِينُ : جَمْعُ دَهْقَانَ بِكَسْرِ الدَّالِ وَضَمِّهَا : وَهُوَ زَعِيمٌ فَلَاحِي الْعَجَمِ .

٥٣ - عهد علي رضي الله عنه لهم

فلما استخلف عليّ رضوان الله عليه وقدم العراق أتاه أسقف نجران ومعه كتاب في أديم أحمر فقال : أسألك يا أمير المؤمنين خطّ يدك وشفاعة لسانك - يعني لما رددتنا إلى بلادنا - فأبى عليّ أن يردهم وقال : ويحك ! إن عمر كان رشيد الأمر - وكان عمر أجلاهم لأنه خافهم على المسلمين ، وقد كانوا اتخذوا الخيل والسلاح في بلادهم ، فأجلاهم عن نجران اليمن وأسكنهم نجران العراق -

ثم كتب لهم عليّ رضي الله عنه :

« بسم الله الرحمن الرحيم . هذا كتاب من عبد الله عليّ بن أبي طالب أمير المؤمنين لأهل النجرانية ، إنكم أتيتموني بكتاب من نبي الله صلى الله عليه وسلم فيه شرط لكم على أنفسكم وأموالكم ، وإني وفيت لكم بما كتب لكم محمد صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر ، فمن أتى عليهم من المسلمين فليَفِ لهم ولا يُضامُوا ولا يُظلمُوا ولا يُنتَقَصُ حق من حقوقهم » .
وكتب عبد الله بن أبي رافع ، لعشر خلون من جمادى الآخرة سنة سبع وثلاثين .
(كتاب الحراج ص ٨٨)

٥٤ - كتابه صلى الله عليه وسلم في الصدقات

ومن كتبه صلى الله عليه وسلم كتابه في الصدقات الذي كان عند أبي بكر الصديق رضي الله عنه .

روى عن أنس بن مالك رضى الله عنه أن أبا بكر لما استُخْلِفَ بعثه إلى البحرين عاملاً عليها ، وكتب له هذا الكتاب ، وهو :

« بسم الله الرحمن الرحيم . هذه فريضة الصدقة^(١) التي فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم على المسلمين ، والتي أمر الله بها رسوله ، فمن سئَلَهَا من المسلمين على وجهها فَلْيُعْطِهَا ، ومن سئِلَ فوقها فلا يُعْطِ :

في أربع^(٢) وعشرين من الإبل فما دونها ، من الغنم ، في كل خمسٍ شاةً ، فإذا بلغت خمساً وعشرين إلى خمسٍ وثلاثين ففيها بنتٌ مخاض^(٣) أنثى (فإن لم تكن بنتٌ مخاضٍ فابنٌ لبونٌ ذكر^(٤)) فإذا بلغت ستاً وثلاثين إلى خمس وأربعين ففيها بنتٌ لبونٍ أنثى ، فإذا بلغت ستاً وأربعين إلى تسعين ففيها حقة طروقة^(٥) الجمل ، فإذا بلغت إحدى وستين إلى خمس وسبعين ففيها جذعة^(٦) ، فإذا بلغت ستاً وسبعين إلى تسعين ففيها بنتا لبون ، فإذا بلغت إحدى وتسعين إلى عشرين ومائة ففيها حقتان طروقتا الجمل ، فإذا زادت على عشرين ومائة ففي كل أربعين بنتٌ لبون ، وفي كل خمسين حقة ،

(١) أى هذه نسخة فريضة الصدقة ، فهو على تقدير مضاف حذف للعلم به . الصدقة : الزكاة . فرضها رسول الله : أى أوجبها أو شرعها بأمر الله تعالى . وقيل معناه : قدرها لأن إيجابها ثابت بالكتاب ، وفرضه صلى الله عليه وسلم لها بيان لمجمله بتقدير الأنواع والأجناس . التي أمر الله بها رسوله : أى بتبليغها . (٢) خبر لمبتدأ محذوف ، ومن الغنم متعلق بالمبتدأ المحذوف ومن للبيان : أى فيها زكاة واجبة من الغنم . (٣) هى أنثى الإبل التى آتى عليها حول . دخلت فى الثانى : سميت به لأن أمها آن لها أن تلحق بالمخاض (أى الحوامل) . وإن لم تحمل ، وقيدت بأنثى للتوكيد . (٤) هو ولد الناقة إذا استكمل السنة الثانية . دخل فى الثالثة : سمى به لأن أمه وضعت غيره فصار لها ابن . وقيد بذكر للتوكيد أيضاً ، وهذه العبارة التى وضعناها بين قوسين وردت فى المواهب . ولم ترد فى صحيح البخارى ، وقد جاء فى فتح البارى شرح صحيح البخارى أن حماد بن سلمة زادها فى روايته . (٥) طروقة : أى مطروقة (فعولة بمعنى مفعولة) أى بلغت أن يطرقها الفحل ، وهى التى أنت عليها ثلاث سنين ودخلت فى الرابعة . (٦) هى التى لها أربع سنين ودخلت فى الخامسة ، سميت بذلك لأنها أجذعت متمد أسنانها أى أسقطته . وهى غاية أسنان الزكاة .

ومن لم يكن معه إلا أربع من الإبل فليس فيها صدقة إلا أن يشاء ربها ،
فإذا بلغت خمسا من الإبل ففيها شاة .

ومن بلغت عنده من الإبل صدقة الجذعة ، وليست عنده جذعة ،
وعنده حقة ، فإنها تُقبل منه الحقة ويجعل معها شاتين إن استيسرتا^(١) له ،
أو عشرين درهما ، ومن بلغت عنده صدقة الحقة ، وليست عنده الحقة ،
وعنده الجذعة ، فإنها تُقبل منه الجذعة ، ويعطيه المصدق^(٢) عشرين درهما
أو شاتين ، ومن بلغت عنده صدقة الحقة ، وليست عنده إلا بنت لبون ،
فإنها تقبل منه بنت لبون ، ويُعطى المصدق^(٣) شاتين أو عشرين درهما ،
ومن بلغت صدقته بنت لبون ، وعنده حقة ، فإنها تقبل منه الحقة ، ويعطيه
المصدق عشرين درهما أو شاتين ، ومن بلغت صدقته بنت لبون ، وليست
عنده ، وعنده بنت مخاض ، فإنها تقبل منه بنت مخاض ، ويُعطى معها
عشرين درهما أو شاتين ، ومن بلغت صدقته بنت مخاض ، وليست عنده ،
وعنده بنت لبون ، فإنها تُقبل منه ، ويعطيه المصدق عشرين درهما أو
شاتين^(٤) فإن لم يكن عنده بنت مخاض على وجهها^(٥) ، وعنده ابن لبون ،
فإنه يُقبل منه^(٦) وليس معه شيء .

وفي صدقة الغنم في سائمتها^(٧) ، إذا كانت أربعين إلى عشرين ومائة شاة^(٨) ،

(١) أى وجدتا في ماله . (٢) المصدق بتخفيف الصاد : الساعي الذى يأخذ الزكاة .
(٣) المصدق بتشديد الصاد : المالك الذى يدفع الصدقة . (٤) أى أنه جبر كل مرتبة بشاتين
أو عشرين درهما . (٥) أى الفروض . (٦) أى وإن كان أقل قيمة منها ولا يكف تحصيلها .
(٧) أى فى راعيها لا الملوقة . (٨) أى جذعة ضأن لها سنة ، ودخلت فى الثانية ، أو
أجذعت مقدم أسنانها بعد مضى ستة أشهر ، أو ثنية معز لها سنتان ، ودخلت فى الثالثة ، وقبل
سنة . وشاة بالرفع خبر مبتدأ محذوف ، أو مبتدأ وفى صدقة الغنم خبره .

فإذا زادت على عشرين ومائة إلى مائتين شاتان ، فإذا زادت على مائتين إلى ثلثمائة ففيها ثلاثُ شياهُ ، فإذا زادت على ثلثمائة ففي كل مائة شاة ، فإذا كانت سائمة الرجل ناقصةً عن أربعين شاةً واحدةً^(١) ، فليس فيها صدقة إلا أن يشاء ربها .

ولا يُجمع بين متفرّق ، ولا يُفرّق بين مجتمع خَشِيّة الصّدقة^(٢) .
وما كان من خليطين فإنهما يتراجعا بينهما بالسّوية^(٣) . ولا يُخرج في الصدقة هَرَمَة ولا ذاتُ عَوَارٍ ولا تيس^(٤) إلا أن يشاء المصدق^(٥) ،

(١) مفعول ناقصة . (٢) معناه : أن يكون الثغر الثلاثة لكل واحد منهم أربعون شاة وجبت فيها الزكاة فيجمعوها حتى لا يجب عليهم كلهم فيها إلا شاة واحدة ، أو يكون للخليطين مائتا شاة وشاة ، فيكون عليهما فيها ثلاث شياهُ فيفرقاها حتى لا يكون على كل واحد إلا شاة واحدة . قيل : هو خطاب لرب المال من جهة ، والساعي من جهة . فرب المال يخشى أن تكثر الصدقة ، فيجمع أو يفرق لتقلّ ، والساعي يخشى أن تقل الصدقة ، فيجمع أو يفرق لتكثر ، فأمر كل واحد منهما ألا يحدث شيئا من الجمع والتفريق ، خشيّة الصدقة . وقيل : حمله على المالك أظهر .

(٣) السوية : العدل . ومعناه : أن المصدق إذا أخذ ما وجب أو بفضه من مال أحد الخليطين ، فإن ذلك الخليط يرجع على صاحبه بقدر حصته من مجموع المالين ، فلو كان لكل منهما عشرين شاة رجع الخليط على خليطه بقيمة نصف شاة ، ولو كان لأحدهما مائة والآخر خمسون ، فأخذ الساعي الشاتين الواجبتين من صاحب المائة رجع بثلاث قيمتهما ، أو من صاحب الخمسين رجع بثلاث قيمتهما ، أو من كل واحد شاة رجع صاحب الخمسين بثلاث قيمة شاة ، وفي إرشاد الساري للقسطلاني : « أو من كل واحد شاة رجع صاحب المائة بثلاث قيمة شاة ، وصاحب الخمسين بثلاث قيمة شاة » . وكذا في فتح المبدى للشرقاوى ، وهو خطأ غرّره .

(٤) الهرمة : الكبيرة التي سقطت أسنانها . العوار مثل العين : العيب أى ولا معيبة بما تردّه في البيع ، والتيس هو غل الغنم أو مخصوص بالمعز .

(٥) قيل : هو بالتخفيف وهو أخذ الصدقات كما قدمنا : أى بأن يؤدى اجتهاده إلى أن ذلك خير للفقراء الذين وكل عنهم في قبض الزكاة ، فالاستثناء راجع إلى الثلاثة قبله . وقيل : بالتشديد أى المالك . وتقديره : لا تؤخذ هرمة ولا ذات عيب أصلا ، ولا يؤخذ التيس إلا برضا المالك لاحتياجه إليه ، ففى أخذه بغير رضاه إضراره ، فالاستثناء مختص بالمالك .

وفي الرقة ربع العشر^(١) ، فإن لم تكن إلا تسعين ومائة^(٢) فليس فيها شيء ، إلا أن يشاء ربها .

وختمه بخاتم النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان نقش الخاتم ثلاثة أسطر ، محمد سطر ، ورسول سطر ، والله سطر^(٣) .

(المواهب اللدنية للقسطلاني شرح الزرقاني ٣ : ٣٧٤ ، وصحيح الإمام البخاري ج ١ : ١٧٢ ، ١٧٤ وج ١ : ٥١ ، ١٢٩ وج ٤ : ٢٤ ، ١٢٩ ، وستن النسائي ج ٥ : ص ١٨)

٥٥ — كتاب آخر له صلى الله عليه وسلم في الصدقات

ومن كتبه صلى الله عليه وسلم كتابه الذي كان عند عمر بن الخطاب رضي الله عنه^(٤) في الصدقة .

عن سالم عن أبيه عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : كتب صلى الله عليه وسلم كتاب الصدقة ولم يخرج به إلى عماله ، وقرّنه^(٥)

(١) أي وفي مائتي درهم من الرقة ، وهي الفضة الخالصة مضروبة كانت أو غير مضروبة ، والهاء فيه عوض عن الواو المحذوفة في الورق (بكسر الراء) كالعدة والوعد . ربع العشر : أي خمسة دراهم ومازاد على المائتين فيحسابه ، فيجب ربع عشره ، ولا شيء على ما زاد عليها حتى يبلغ أربعين درهما ففيه درهم واحد ، وكذا في كل أربعين .

(٢) المعنى أنه لاصدقة فيما نقص عن المائتين ، وإنما ذكر التسعين لأنه آخر عقد قبل المائة ، ويدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم : « ليس فيما دون خمس أواق من الورق صدقة » . والأوقية أربعون درهما . (٣) هذا الكتاب ورد متفرقا في عشرة مواضع من صحيح البخاري : ستة في كتاب الزكاة ، ثلاثة أبواب متوالية ، ثم فصل ياب ، ثم ثلاثة متوالية . وفي كتاب الجهاد والسير (في باب فرض الخمس) . وكتاب المطالم (في باب الشركة) . وكتاب اللباس وكتاب الحيل .

(٤) قال الزرقاني في شرحه على المواهب : « وهو صريح في أنه غير الذي كتبه أبو بكر لأئس ، وهو مقتضى تغاير ألفاظهما أيضاً » .

(٥) وقال هنا : « أي وضعه في مرض موته في قراب سيفه » ، قاله ابن رسلان ، وحكمة ذلك : الإشارة إلى أنها تؤخذ كرها وإن بقتال ، ومن ثم قال أبو بكر : والله لومنعوني عناقا كانوا يؤدونها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم على منعها » اهـ . والعناق : كسحاب الأتني من أولاد المعز .

بسيفه ، حتى قبض ، فعمل به أبو بكر حتى قبض ، ثم عمل به عمر حتى قبض
وكان فيه :

« في خمسٍ من الإبل شاةٌ ، وفي عَشْرٍ شاتان ، وفي خمسَ عشرةَ ثلاثُ
شياهٍ ، وفي عشرين أربعَ شياهٍ ، وفي خمسٍ وعشرين بنتُ فحاضٍ إلى خمسٍ
وثلاثين ، فإن زادت واحدة ففيها بنتُ لبونٍ إلى خمسٍ وأربعين ، فإن زادت
واحدة ففيها حقةٌ إلى ستين ، فإن زادت واحدة ففيها جذعةٌ إلى خمسٍ
وسبعين ، فإن زادت واحدة ففيها ابنتا لبونٍ إلى تسعين ، فإن زادت واحدة
ففيها حقتان إلى عشرين ومائة ، فإن كانت الإبل أكثر من ذلك ففي كل
خمسٍ حقةٌ ، وفي كل أربعين ابنة لبون .

وفي النعم في كل أربعين شاةً شاةٌ إلى عشرين ومائة ، فإذا زادت
واحدة فشاتان إلى مائتين ، فإذا زادت على المائتين ففيها ثلاثُ شياهٍ إلى
ثلثمائة ، فإن كانت النعم أكثر من ذلك ففي كل مائة شاةٍ شاةٌ ، ثم ليس فيها
شيء حتى تبلغ المائة ، ولا يُفرَّق بين مجتمع ولا يُجمع بين متفرِّق مخافة
الصدقة ، وما كان من الخليطين فإنهما يتراجعا بينهما بالسوية ، ولا يؤخذ
في الصدقة هَرَمَةٌ ولا ذاتُ عيب .

(المواهب اللدنية للفسطاني شرح الزرقاني ٣ : ٣٧٨)

٥٦ - كتابه صلى الله عليه وسلم إلى أهل اليمن

عن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم عن أبيه عن جدّه أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم كتب إلى أهل اليمن كتاباً فيه الفرائضُ والسُّننُ

والدِّيَّاتُ، وبعث به مع عمرو بن حَزْمٍ، فقرئ على أهل اليمن ، وهذه نسخته :

« بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد النبي إلى شَرْحَبِيل بن عبد كُلال
ونُعَيْم بن عبد كُلال والحَرث بن عبد كُلال قَيْلِ ذِي رُعَيْن ومَعَاذٍ وهَمْدَان ،
أما بعد : وكان في كتابه « أَنَّ مِنْ اعْتَبَطَ ^(١) مؤمناً قَتَلَا عَنْ يَدَيْهِ فَإِنَّهُ
قَوْدٌ إِلَّا أَنْ يَرْضَى أَوْلِيَاءُ الْمَقْتُولِ ، وَأَنْ فِي النَّفْسِ ^(٢) الدِّيَّةَ ، مائةً من الإِبِلِ ،
وفي الأنف إذا أُوعِبَ جَدْعُهُ ^(٣) الدية ، وفي اللسان الدية ، وفي الشَّفَتَيْنِ الدية ،
وفي البَيضَتَيْنِ ^(٤) الدية ، وفي الذَّكَرِ الدية ، وفي الصُّلْبِ الدية ، وفي العينين الدية ،
وفي الرَّجُلِ الواحدة نصف الدية ، وفي المَأْمُومَةِ ثُلُثُ الدية ، وفي الْجَائِفَةِ
ثُلُثُ الدية ، وفي الْمُنْقَلَةِ خمسَ عشرةً من الإِبِلِ ، وفي كُلِّ أَصْبُعٍ من أصابع
اليَدِ والرجل عشر من الإِبِلِ ، وفي السِّنِّ خمس من الإِبِلِ ، وفي الْمَوْضِحَةِ ^(٥)
خمس من الإِبِلِ ، وَأَنْ الرَّجُلَ يُقْتَلُ بِالرَّأَةِ ، وعلى أهل الذهب ألف دينار .
وفي رواية « وفي العين الواحدة نصف الدية ، وفي اليد الواحدة نصف
الدية ، وفي الرجل الواحدة نصف الدية » .

(سنن النسائي ج ٨ : ص ٥٧ ، والمواهب اللدنية « شرح الزرقاني ج ٣ : ص ٣٨١ »)

(١) أي قتله بلا جناية كانت منه ولا جريرة توجب قتله .

(٢) القود : القصاص : أي فإن القاتل يقاد به ويقتل ، وأن في النفس : أي في قتل النفس .

(٣) أي قطع جميعه . (٤) أي الخصيتين .

(٥) المأمومة : الشجعة التي بلغت أم الرأس وهي الجلدة التي تجمع الدماغ ويقال : شجعة آمنة
ومأمومة . الجائفة : الطعنة التي تبلغ الجوف وطعنة جائفة : تخالط الجوف وقيل : هي التي تغذه .
المنقلة : الشجعة التي تنقل العظم أي تكسره حتى يخرج منها فراش العظام . الموضحة : الشجعة التي
بلغت العظم فأوضحت عنه .

خلافة أبي بكر الصديق

رضى الله عنه

٥٧ - رسالة مفتعلة على أبي بكر

وهي الرسالة التي زعم أبو حَيَّان التوحيدى أن أبا بكر أرسلها إلى الإمام عليّ على لسان أبي عُبَيْدة بن الجراح ، وما انضم إليها من كلام عمر ، وما كان من جواب عليّ رضي الله عنهم ^(١) .

(١) ليس عندي من ريب في أن هذه الرسالة موضوعة مفتعلة ، وقد كتبت عنها كلمة في كتابي : « ترجمة علي بن أبي طالب » . ص ٩ . قلت : « أما ما رواه أبو حيان التوحيدى عن القاضي أبي حامد بن بشر من تلك الرسالة التي زعم أن أبا بكر بعث بها إلى علي حين تلكأ عن مبايعته على لسان أبي عبيدة بن الجراح ، وما انضم إلى ذلك من القفال الذي حمّاه إياه عمر ليلفقه عليا إلى آخر ما ورد في هذه القصة ، فيشهد الله أنا ما بدأنا قراءتها حتى ساورتنا منها ريبة ، ولم تأت عليها حتى تجسّمت في نظرنا تلك الريبة ، واستيقنا أنها قصة موضوعة منحولة ، لما غاب عاينها من الصنعة البديعة البينة الأثر في أسلوبها مما لم يعرف في رسائل أبي بكر وعمر وخطبهما ولا في كلام أحد من أهل هذا العصر ، فضلا عما فيها من إسهاب مديد لم يعهد منهم ، وإن ما تراء فيها من الفقر القصيرة المسجوعة المجنسة ليحملك على الاعتقاد بأنها شبيهة بنسج البديع الهمداني وأضرابه من كتاب العصر الذي نشأ فيه أبو حيان . (القرن الرابع) .

وانقد صدق حدسنا حين قرأنا تعليق ابن أبي الحديد شارح نهج البلاغة عليها (وسنورد لك كفته) ثم إنك إذا تدبرت ما عزي إلى أبي حامد من قوله « هي والله من درر الحقائق المصونة ، ومخبرات الصنادق في الخرائن المحوطة ، ومنذ حفظتها مارويتها إلا الهلالي في وزارته ، فسكتها عني في خلوة بيده » عرفت أن هذا القول نفسه يحمل في تضاعيفه تكذيبها .

وكيف يقول عمر لعليّ في مستهل خلافة أبي بكر « تأمل لإخوان فارس وأبناء الأصفر ، قد جعلهم الله جزرا لسيوفنا ، ودرية لرماحنا ، ومرمى لاطعانا ، وتبعا لسلطاننا » مع أن المسلمين في ذلك الحين لم يكونوا قد بدءوا الفتوح ، ولا غزوا الفرس والروم !

أما كلمة ابن أبي الحديد عنها فهي قوله « الذي يغلب على ظني أن هذه المراسلات والمحاورات والكلام كله مصنوع موضوع ، وأنه من كلام أبي حيان التوحيدى لأنه بكلامه ومذهبه في الخطابة والبلاغة أشبه ، وقد حفظنا كلام عمر ورسائله وكلام أبي بكر وخطبه فلم نجدما يذهبان هذا المذهب ، ولا يسلكان هذا السبيل في كلامهما ، وهذا كلام عليه أثر التوليد ليس يخفى ، وأين أبو بكر وعمر من

قال أبو حيان علي بن محمد التَّوْحِيدِيّ البَغْدَادِيّ :

= البديع وصناعة المحدثين ؟ ومن تأمل كلام أبي حيان عرف أن هذا الكلام من ذلك المعدن خرج ، ويدل عليه أنه أسنده إلى القاضي أبي حامد الروروذي ، وهذه عادته في كتاب البصائر يسند إلى القاضي أبي حامد كل ما يريد أن يقوله هو من تلقاء نفسه إذا كان كارها لأن ينسب إليه .

ومما يوضح لك أنه مصنوع أن المتكلمين على اختلاف مقالاتهم من المعتزلة والشيعة والأشعرية وأصحاب الحديث وكل من صنف في علم الكلام والإمامة لم يذكر أحد منهم كلمة واحدة من هذه الحكاية ، ولقد كان الرضى رحمه الله يلتقط من كلام أمير المؤمنين عليه السلام اللفظة الشاذة والكلمة المفردة الصادرة عنه في معرض التألم والنظم فيحتج بها ، ويمتد عليها ، نحو قوله « مازات مظلوما مذ قبض رسول الله حتى يوم الناس هذا » وقوله « لقد ظلمت عدد الحجر والمدر » وقوله « إن لنا حقا إن نعطه نأخذه ، وإن نمنعه نركب أعجاز الإبل ، وإن طال السرى » وقوله « فصبرت وفي الحلق شجا وفي العين قذى » وقوله « اللهم إني أستعديك على قريش فإنهم ظالموني حتى وغصبوني إرثي » . وكان الرضى إذا ظفر بكلمة من هذه فكأنما ظفر بملك الدنيا ، ويودعها كتبه وتصانيفه ، فأين كان الرضى عن هذا الحديث ؟ وهلا ذكر في كتاب (الشافى في الإمامة) كلام أمير المؤمنين عليه السلام هذا ؟ وكذلك من قبله من الإمامية كابن النعمان وبنى نوبخت وبنى بويه وغيرهم ، وكذلك من جاء بعده من متأخري متكلمى الشيعة وأصحاب الأخبار والحديث منهم إلى وقتنا هذا ، وأين كان أصحابنا عن كلام أبي بكر وعمر له عليه السلام ؟ وهلا ذكره قاضى القضاة فى المعنى مع احتوائه على كل ما جرى بينهم حتى إنه يمكن أن يجمع منه تاريخ كبير مفرد فى أخبار السقيفة ، وهلا ذكر من كان قبل قاضى القضاة من مشايخنا وأصحابنا ومن جاء بعده من متكلمينا ورجالنا ؟ وكذلك القول فى متكلمى الأشعرية ، وأصحاب الحديث كابن الباقلاني وغيره ، وكان ابن الباقلاني شديدا على الشيعة عظيم العصبية على أمير المؤمنين عليه السلام ، فلو ظفر بكلمة من كلام أبي بكر وعمر فى هذا الحديث لملأ الكتب والتصانيف بها ، وجعلها هجيرا (بكسر الهاء والجيم مع تشديدها أى دأبه وشأنه) ودأبه . والأمر فيما ذكرناه من وضع هذه القصة ظاهرة لمن عنده أدنى ذوق من علم البيان ومعرفة كلام الرجال ، ولمن عنده أقل معرفة يعلم السير ، وأقل أنس بالتواريخ » اهـ .

وقال النويرى فى نهاية الأرب فى هذا الصدد : « وهذه الرسالة قد اعتنى الناس بها وأوردوها فى المجاميع ، ومنهم من أفردوها فى جزء ، وقطع بأنها من كلامهم رضى الله عنهم ، ومنهم من أنكرها ونفاها عنهم . وقال إنها موضوعة ، واختلف القائلون بوضعها : فمنهم من زعم أن فضلاء الشيعة وضعوها ، وأرادوا بذلك الاستناد إلى أن على بن أبى طالب رضى الله عنه إنما بايع أبابكر الصديق بسبب ما تضمنته ، وهذا الاستناد ضعيف وحجة واهية . والصحيح أن على بن أبى طالب بايع بيعة رضى باطنه فيها كظاهره ، والدليل على ذلك أنه وطئ من السبي الذى سبي فى خلافة أبى بكر واستولد منه محمد بن الحنفية ، ولا جواب لهم عن هذا ، ومنهم من زعم أن فضلاء السنة وضعوها ، والله أعلم ، وعلى الجملة فهذه الرسالة لم نوردتها فى هذا الكتاب لإثباتا لها أنها من كلامهم رضى الله عنهم ولا نفايا ، وإنما أوردناها لما فيها من البلاغة واتساق الكلام وجودة الألفاظ » اهـ .

وأقول أنا أيضا : إني مع يقينى أنها منقولة موضوعة لم أوردتها فى جملة الرسائل إلا لأنها أثر أدبى بليغ .

سَمَرَنَا لَيْلَةً عِنْدَ الْقَاضِي أَبِي حَامِدٍ أَحْمَدَ بْنِ إِشْرَ الْمَرْوُزِيِّ^(١) بَغْدَادَ ،
فَتَصَرَّفَ فِي الْحَدِيثِ كُلِّ مُتَصَرَّفٍ ، وَكَانَ غَزِيرَ الرِّوَايَةِ ، لَطِيفَ الدَّرَايَةِ ،
جَفْرَى حَدِيثِ السَّقِيفَةِ ، فَرَكِبَ كُلُّ مَرَكَبًا ، وَقَالَ قَوْلًا ، وَعَرَضَ بِشَيْءٍ ،
وَنَزَعَ إِلَى فَنٍّ ، فَقَالَ هَلْ فِيكُمْ مَنْ يَحْفَظُ رِسَالَةَ الْأَبِيِّ بَكْرِ الصَّدِيقِ رَضِيَ
اللَّهُ عَنْهُ إِلَى عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ ، وَجَوَابَ عَلِيٍّ عَنْهَا ، وَمُبَايَعَتِهِ
إِيَّاهُ عَقِيبَ^(٢) تِلْكَ الْمُنَاطَرَةِ ؟ فَقَالَ الْجَمَاعَةُ : لَا وَاللَّهِ ، فَقَالَ : هِيَ وَاللَّهِ مِنْ دُرَرِ
الْحَقَائِقِ الْمَصُونَةِ ، وَمُخَبَّاتِ الصَّنَادِيقِ فِي الْخَزَائِنِ الْمُحَوَّطَةِ^(٣) وَمِنْذُ حَفِظْتُهَا
مَا رَوَيْتُهَا إِلَّا لِأَبِي مُحَمَّدٍ الْمُهَلَّبِيِّ فِي وَزَارَتِهِ^(٤) ، فَكَتَبْتُهَا عَنِّي فِي خَلْوَةٍ بِيَدِهِ .
وَقَالَ : لَا أَعْرِفُ فِي الْأَرْضِ رِسَالَةَ أَعْقَلَ مِنْهَا وَلَا أَبَيْنَ ، وَإِنِهَا لَتُدَلَّ عَلَى
عِلْمٍ وَحِلْمٍ ، وَفَصَاحَةٍ وَنَبَاهَةٍ ، وَبُؤْدُ غَوْرٍ ، وَشِدَّةُ غَوْصٍ ، فَقَالَ لَهُ
الْعَبَّادَانِي^(٥) : أَيُّهَا الْقَاضِي ! فَلَوْ أَتَمَمْتَ الْمِنَّةَ عَلَيْنَا بِرَوَايَتِهَا ؟ أَسَمِعْنَاهَا فَنَحْنُ
أَوْعَى لَهَا عَنْكَ مِنَ الْمُهَلَّبِيِّ ، وَأَوْجَبُ ذِمَامًا^(٦) عَلَيْكَ ، فَاذْفَعْ وَقَالَ :

(١) مرو الروذ : مدينة بخراسان . ينسبون إليها فيقولون : مروروذي بضم الراء الثانية .
ومروذي بضم الراء مشددة . (٢) قال صاحب مختار الصحاح « وأما قولهم : جاء عقيبته بمعنى
بعده فليس في الصحاح ولا في التهذيب جوازه . ولم أر فيهما عقيبًا ظرفًا ، بل بمعنى الماقيب فقط كالليل
والنهار عقيبًا لاغير » . (٣) وفي رواية صبح الأعشى ونهاية الأرب « هي والله من بنات
الحقائق ومُخَبَّاتِ الصناديق » .

(٤) هو الوزير أبو محمد الحسن بن محمد ينتهي نسبه إلى المهلب بن أبي صفرة ، كان وزير معز
الدولة بن بويه الديلمي ببغداد ، وتوفي سنة ٣٥٢ ، انظر ترجمته في وفيات الأعيان ج ١ : ص ١٤٢ .
(٥) نسبة إلى عبادان ، وهو موضع تحت البصرة قرب البحر الملح ، منسوب إلى عباد بن حصين
الخطي لأنه أول من رابط به . وأما زيادة الألف والنون فهو لغة كانت مستعملة في البصرة ونواحيها ،
كانوا إذا مموا موضعا أو نسبوه إلى رجل أو صفة يزيدون في آخره ألفا ونونا كقولهم في قرية عندهم
منسوبة إلى زياد بن أيه زيادان ، وأخرى إلى عبد الله عبد الديان ، وأخرى إلى بلال بن أبي بردة
بلالان - انظر معجم البلدان لياقوت ج ٦ : ص ١٠٥ . (٦) الذمام : الحق والحرمة .

حَدَّثَنَا الْخَزَاعِيُّ بِمَكَّةَ ، عَنْ أَبِي مَيْسَرَةَ ، قَالَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ فُلَيْحٍ ^(١) عَنْ عَيْسَى بْنِ دَابٍ ، ^(٢) نَبَأَ صَالِحُ بْنُ كَيْسَانَ وَيَزِيدُ بْنُ رُومَانَ ، قَالَا : حَدَّثَنَا هِشَامُ بْنُ عُرْوَةَ ، نَبَأَ أَبُو النَّفَّاحِ ^(٣) ، قَالَ : سَمِعْتُ مُوَلَايَ أَبَا عُبَيْدَةَ يَقُولُ :

لَمَّا اسْتَقَامَتِ الْخِلَافَةُ لِأَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ بَعْدَ فِتْنَةِ كَادِ الشَّيْطَانِ بِهَا ، فَدَفَعَ اللَّهُ شَرَّهَا ، وَيَسَّرَ خَيْرَهَا ، بَلَغَ ^(٤) أَبَا بَكْرٍ عَنْ عَلِيٍّ تَلَكُؤُ وَشِمَاسٌ ، وَتَهَمُّ وَنِفَاسٌ ^(٥) ، فَكَّرَهُ أَنْ يَتِمَادَى الْحَالَ فَتَبْدُوَ الْعَوْرَةَ ، وَتَشْتَعِلَ الْجَمْرَةَ ، وَتَتَفَرَّقَ ذَاتُ الْبَيْنِ ، فَدَعَانِي فُخْصَرْتُهُ فِي خُلُوةٍ ، وَكَانَ عِنْدَهُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَحَدَّه فَقَالَ ^(٦) : يَا أَبَا عُبَيْدَةَ ، مَا أَيْمَنَ ^(٧) نَاصِيَتَكَ ، وَأَبَيْنَ الْخَيْرَ بَيْنَ عَيْنَيْكَ ، وَطَالَمَا أَعَزَّ اللَّهُ بِكَ الْإِسْلَامَ ، وَأَصْلَحَ شَأْنَهُ عَلَى يَدَيْكَ ، وَلَقَدْ كُنْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْمَكَانِ الْمَحْظُوطِ ، وَالْمَحَلِّ الْمَغْبُوطِ ^(٨) ، وَلَقَدْ قَالَ فِيكَ فِي يَوْمٍ مَشْهُودٍ

(١) هكذا في نهاية الأرب ، وفي صبح الأعشى « محمد بن أبي فليح » . وجاء في خلاصة تذهيب الكمال في أسماء الرجال للزرعي ص ٢٦٥ « فليح بن سليمان الأسلمي أو الخزاعي أحد أئمة العلم مات سنة ١٦٨ هـ » . (٢) كذا في نهاية الأرب ، وفي صبح الأعشى « عن عيسى بن دؤب ابن المتاح » . وفي شرح ابن أبي الحديد « عيسى بن دأب عن صالح بن كيسان عن هشام بن عروة عن أبيه عروة بن الزبير عن أبي عبيدة بن الجراح » . (٣) مولى أبي عبيدة .

(٤) وفي ابن أبي الحديد « لما استقامت الخلافة لأبي بكر بين المهاجرين والأنصار ، ولحظ بعين الوفا والهيبة بعد هنة كاد الشيطان بها يسر ، فدفع الله شرها ، وأدحض عسرها ، فركد كيدها ، وتيسر خيرها ، وقصم ظهر النفاق والفسق بين أهلها - بلغ ... » .

(٥) من شمس الفرس كدخل شمساً وشماساً : أي منع ظهره . تهتم الشيء : طلبه . النفاس بالكسر : المافسة . نفس عليه بخير كفرح : حسد . ونفس عليه الشيء نفاسة بفتح النون : لم يره أهلاله .

(٦) وفي شرح ابن أبي الحديد : « فكره أن يتماذى الحال ، وتبدو العورة ، وتفرج ذات البين ، ويصير ذلك درية لجاهل مغرور ، أو عاقل ذي دهاء ، أو صاحب ملامة ضعيف القلب خوار العنان . فدعاني في خلوة فخصرتة وعنده عمر وحده . وكان عمر قبسالة وظهرها معه يستضيء بناره ، ويستملئ من أسانه . فقال لي ... الخ » . والدريه مخفف البريئة ، وهي في الأصل : الحلقة يتعلم الطعن والرمي عليها . القيس بالتحريك : شعلة نار تقتبس من معظم النار . والظهير : المعين .

(٧) من اليمن بالضم : وهو البركة ، (٨) أي المصون المحفوظ . غبطه بما نال كضرب : تمنى مثل نعمته من غير أن يريد زوالها عنه .

« لكل أمة أمينٌ ، وأمينُ هذه الأمة أبو عبيدة^(١) » ولم تزل الدين مُلتَجًا ،
والمؤمنين مُرتَجِي ، ولأهلك رُكنًا ، ولإخوانك رِداء^(٢) ، فقد أردتك
لأمر له خطرٌ مخوف ، وإصلاحه من أعظم المعروف ، ولئن لم يندمل
جُرحه بيسارك ورفقتك ، ولم تُجَبَّ حَيَّتُهُ برقيتك^(٣) ، وقع اليأسُ ، وأعضل
البأسُ ، واحتجج بذلك إلى ما هو أمرٌ منه وأغلقُ ، وأعسرُ منه وأغلقُ ،
والله أسأل تمامه بك ، ونظامه على يديك ، فَنَتَّ^(٤) له أبا عبيدة وتَلَطَّفُ
فيه ، وانصح لله عزَّ وجل ولرسوله صلى الله عليه وسلم ، ولهذه العصابة ،
غير آلِ جُهْدَا ، ولا قالِ حَمْدَا ، والله كالكُك^(٥) ، وناصرُك ، وهاديك ومبصرُك ،
إن شاء الله . امضِ إلى عليٍّ ، واخفِضْ له جناحك ، واغضُضْ عنده
صوتك ، واعلم أنه سُلالةُ أبي طالب ، ومكانه ممَّن فقدناه بالأمس صلى
الله عليه وسلم مكانه ، وقل له :



« البحرُ مَفْرَقَةٌ ، والبرُّ مَفْرَقَةٌ ، والجوُّ أكَلَفٌ ، والليلُ أغْدَفٌ ،^(٦)

(١) حديث شريف روى عن أنس رضي الله عنه . انظر أسد الغابة ٣ : ٨٦ ، وسبب هذه التسمية
أن أهل نجران لما صالحوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن يؤدوا إليه في كل عام ألفي حلة ألفا في
صغر وألفا في رجب (كما قدمنا لك في ص ٧٧) قالوا له : أرسل معنا أمينًا ، فأرسل معهم أبا عبيدة ،
وقال لهم : هذا أمين هذه الأمة ، وكان لذلك يدعى في الصحابة بذلك . انظر السيرة الحلبية ٢ : ٣٣٥
(٢) أي عونًا . (٣) اندمل الجرح : تماثل وبرئ . اليسار واليسر : السهولة ، وفي رواية
« بمسبارك » . المسبار : ما يسير به الجرح ليعرف عمقه . الحب : القطع . الرقية : العوذة ، وفي ابن
أبي الحديد « ولم تحب جذوته برقيتك » وخبت الذارخبو : سكنت وانطفأت . الجذوة مثله : الجرة .
(٤) تَأَنَّى للأمر : ترفق وأتاه من وجهه . (٥) ألا يَأْلُو : قصر . قلناه كرمي ورضى :
أبغضه ، وفي ابن أبي الحديد « ولا قال جدا » . كالكُك : أي حافظك وحارسك .

(٦) مفرقة : أي مظنة الفرق ، يخاف الفرق فيه ويخشى . مفرقة : أي مكان فرق بالتحريك : أي
خوف وفزع . والمعنى أن الفتنة عامة قد شملت البحر والبر فهي مخوفة في كل النواحي . أكلف وصف
من الكلف بالتحريك : وهولون بين السواد والحرمة . أغدف لم يرد في كتب اللغة إلا فعلا ، قال صاحب

والسما جَلَوَاءَ ، والأَرْضُ صَلْعَاءَ ، والصعود متعذّر ، والهَبُوطُ متعسّر ، والحقّ عَطُوفٌ رءُوفٌ ، والباطلُ عَنُوفٌ عَسُوفٌ^(١) ، والعُجْبُ قَدَاحَةُ الشرِّ ، والضَّغْنُ رائِدُ البَوَارِ^(٢) ، والتعريضُ شِجَارُ الفتنَةِ ، والقِحَّةُ ثَقُوبٌ^(٣) العداوة ، وهذا الشيطانُ مَشَكِيٌّ عَلَى شِمَالِهِ ، متَحِيلٌ^(٤) يمينه ، نَافِجٌ حِضْنِيهِ^(٥) لَأَهْلِهِ ، ينتظر الشَّتَاتَ والفُرْقَةَ ، وَيَدِبُ بين الأُمّةِ بالشَّحْنَاءِ والعداوة ، عِنَادًا لِلَّهِ عزَّ وجلَّ أَوَّلًا ، وَلآدَمَ ثَانِيًا ، ولنبيه صلى الله عليه وسلم ودينه ثَالِثًا ، يُوسِّسُ

= اللسان « وأغدف الليل: أقبل وأرخى سدوله، وأغدف الليل ستوره: إذا أرسل ستور ظلمه وأنشد: حتى إذا الليل البهيم أغدفا » وفي ابن أبي الحديد « والليل أغلف » وقلب أغلف: كأنه غشى بغلاف ، والمعنى هنا مظلم .

(١) سماء جلواء : مصحية . الصلعاء : الأرض لا نبات فيها . أراد به كثير العنف ، ولم ترد هذه الصيغة في كتب اللغة . العسوف : الظلوم ، صيغة مبالغة من العسف وهو الظلم ، وفي ابن أبي الحديد « والباطل نسوف عسوف » . النسوف مبالغة من النسف (النسوف أيضا من الخيل : الواسع الخطو ، وناقة نسوف : تنسف التراب في عدوها ، ويعبر نسوف : يقتلع الكلاء من أصله بمقدم فيه) فربع عسوف وعاصف وعاصفة .

(٢) القداح والقداحة : حجر الزند ، وفي ابن أبي الحديد « مقدحة الشر » والرائد : أصله المرسل في طلب الكلاء ، والبوار : الهلاك .

(٣) هكذا في ابن أبي الحديد وصبح الأعشى . الشجار والمشجر ككتاب ومنبر ويفتحان : عود الهودج ، وقيل : هو مركب أصغر من الهودج مكشوف الرأس ، وقيل : هو خشب الهودج فإذا غشى غشاه صار هودجا . والمعنى : التعريض مركب الفتنة ، وفي نهاية الأرب « سجلال الفتنة » وسجلال بالكسر جمع سجل بالفتح وهو الدلو العظيمة . والقحة بالكسر والفتح: الوقاحة أي قلة الحياء . الثقوب والثقاب ككتاب : ماتقب أي توقد به النار .

(٤) التحيل : الاحتيال ، وهو بالياء في صبح الأعشى ، وضبطه شارح نهاية الأرب بالياء الموحدة وقال : « المنجل : المتصيد بالجباله ، وفي الأصل « متجل » بالياء المثناة وهو تصحيف » وأقول إن الوارد في كتب اللغة من هذه المادة في ذلك المعنى هو احتبل لا تحبل ، وفي ابن أبي الحديد « باسط ليمينه » . (٥) في صبح الأعشى « خصيه » وهو تصحيف ، ونافج أورده صاحب اللسان في مادة نفخ فقال « وفي حديث علي : نافخ حضنيه أي متنفخ مستعد لأن يعمل عمله من الشر » وأورده أيضا في مادة نفخ بالجيم فقال : « وفي حديث علي : نافخا حضنيه ، كنى به عن التعاضم والتكبر والخيلاء » وناجنا : أي رافعا ، من نفخ ثدى المرأة قبصها إذا رفعه ، وقوله « في حديث علي » يريد ماورد في خطبته المعروفة بالشقشقية انظر نهج البلاغة ١ : ١٧ وقد وردت فيه بالجيم وكذا في شرح ابن أبي الحديد .

بالفجور ، وَيَدْلِي^(١) بالغرور ، وَيُحْنِي أهل الشرور ، يُوحِي إلى أوليائه
زُخْرُفَ القول غُرُوراً بالباطل ، دَأْباً له منذ كان على عهد أيننا آدم صلى الله
عليه وسلم ، وعادة له منذ أهانه الله تعالى في سالف الدهر ، لا مَنَجِي منه إلا
بَعْضُ النَّاجِذِ^(٢) على الحق ، وَغَضُّ الطَّرْفِ عن الباطل ، وَوُطْءُ هَامَةِ^(٣) عدوِّ
الله بالأشدَّ فالأشدَّ ، وَالْأَكْدِ فَالْأَكْدِ^(٤) ، وإسلام النفس لله عز وجل في
ابتغاء رضاه ، ولا بد الآن من قولٍ ينفع إذ قد أضرَّ السكوت وخيف
غَيْبُهُ ، ولقد أرشدك من أفاء^(٥) ضالتك ، وصافاك من أحيا مودته بعتابك ،
وأراد لك الخير من آثر البقاء معك .

ما هذا الذي تسوّل لك نفسك ، وَيَدْوِي^(٦) به قلبك ، ويلتوى عليه
رَأْيُكَ . ويتخاوص^(٧) دونه طَرْفُكَ ، وَيَدَّ تَشْرِي^(٨) به ضِعْمُكَ ، ويترادف
معه نَفْسُكَ ، وتكثر عنده صَعْدَاؤُكَ^(٩) ، ولا يَفِيضُ به لسانك ؟ الْعُجْمَةُ بعد
إفصاح ؟ أَلَيْسَ^(١٠) بعد إفصاح ؟ أَدِينُ غير دين الله ؟ أُلْخِقَ غير خُلُقِ

(١) أخذ من قوله تعالى « فَلَا تَهَمَّاهُ بَغْرُورٍ » قالوا في تفسيره : دلاهما في المعصية بأن غرهما ،
وقيل معناه : فأطعمهما ، وأصله الرجل العطشان يدلي في البئر ليروي من مائها فلا يجد فيها ماء .
فوضعت التبدلية موضع الإطعام فيما لا يجدى نفعاً ، وقيل : جرّأهما على المعصية بغروره .
(٢) الناجذ : واحد النواجد وهي أنقى الأضراس ، ويقولون : غص عليه بالنواجد : أى فسك به كما
يتمسك العاض بجميع أضراسه . (٣) الهامة : الرأس .
(٤) وفي ابن أبي الحديد « والأحد فلأحد » . (٥) الغب : عاقبة الشيء كالغبة ، وأفاء ردّ .
(٦) دوى كفرح : مرض ، والدوى كالتقى : داء باطن في الصدر ، ويصح أن يكون « ويدوى »
بالشديد ، من دوى الطائر : إذا دار في طيرانه . (٧) تحاوص : إذا غص من بصره شيئاً وهو في
ذلك يحديق النظر ، وكذا إذا نظر إلى عين الشمس .

(٨) استسرى الأمر : عظم وتفاقم ، وفي صبح الأعشى ونهاية الأرب « ويسرى فيه ظعنك »
والسرى : سير عامة الليل ، وظعن كنع ظعننا ويحرك : سار . (٩) أى يتنازع ، وفي صبح الأعشى
وابن أبي الحديد « وبتراء » أى يتراجع ، والصعداء : تنفس طويل . (١٠) التلبس : التخليط .

القرآن ؟ أَهْدَى غير هدى النبي صلى الله عليه وسلم ؟ أَمْثَلِي تَمْشِي له الضَّرَاءُ ،
وتَدِبُّ له الحَمَرُ^(١) ؟ أم مثلك ينقبض عليه الفضاء ، وَيُكْسَفُ^(٢) في عينه
القمر ؟ ما هذه القَعْقَعَةُ^(٣) بالشنان ؟ وما هذه الوَعْوَعَةُ^(٤) باللسان ؟ إنك والله
جِدُّ^(٥) عارفٍ باستجابتنا لله عزَّ وجل ولرسوله صلى الله عليه وسلم ، وبمخروجننا
عن أوطاننا وأموالنا وأولادنا وأحبَّتنا ، هِجْرَةً إلى الله عزَّ وجل ، ونُصْرَةً
لدينه ، في زمان أنت فيه في كِنِّ الصَّبَا ، وخِذْرِ الغَرَارَةِ ، وعُنفوانِ الشَّبِيبةِ^(٥) ،
غافل عما يُشِيب ويُرِيب ، لَا تَعْي ما يُرَاد ويُشَاد ، وَلَا تَحْصُل ما يُسَاق
ويُقَاد ، سوى ما أنت جارٍ^(٦) عليه إلى غايتك التي إليها عُذُل بك ، وعندها
حُطَّ رَحْلُكَ ، غيرَ مجهولٍ القَدَر ، ولا مجهود الفضل ، ونحن في أثناء ذلك
نماني أحوالاً تُزِيل الرِّوَايَ ، ونقايي أهوالاً تُشِيب النَّوَاصِي ، خائضين
غمارها ، راكبين تيارها ، تجرَّع صابها ، ونُشْرِج عِيَابها ، ونُحْكِم آسَاسها^(٧) ،

(١) الضراء : الشجر الملتف في الوادي ، يقال : توارى الصيد منه في ضراء ، وفلان يمشى الضراء :
إذا مشى مستخفياً فيما يوارى من الشجر . والحمر : كل ماواراك من شجر أو بناء أو غيره ، وخمر كفتح
توارى ، ومن أمثالهم : « يدب له الضراء ويمشى له الحمر » وهو مثل يضرب للرجل يختل صاحبه .
(٢) جاء في اللسان والمصباح : « قال ثعلب : أجود الكلام خسف القمر وكسفت الشمس » .
(٣) القعقة : تحريك الشيء اليابس الصلب مع صوت مثل السلاح وغيره ، والشنان جمع شن بالفتح
وهو القرية البالية ، وهم يحركونها إذا أرادوا حث الإبل على السير لتفرع فتسرع ، ومن أمثالهم « مايققع
له بالشنان » مثل يضرب لمن لا يروعه ملاحقة له . الوعوعة والوعواع : صوت الذئب والكلاب .
(٤) قالوا : هذا العالم جد العالم ، وهذا عالم جد عالم : يريد بذلك التناهي وأنه قد بلغ الغاية فيما يصفه
به من الخلال . (٥) الغرير والغر بالكسر : الشاب لا تجربة له ، وقد غرَّ يغر بالكسر غرارة
بالفتح ، عنفوان الشباب : أوله ، أو أول بهجته .

(٦) رابه الأمر وأرابه : رأى منه ما يكرهه ، والإشادة : رفع الصوت بالشيء ، وتذريف الضلالة ،
وفي ابن أبي الحديد : « سوى ما أنت جار عليه من أخلاق الصبيان أمثالك ، وسجاياء الفتيان أشكالك ،
حتى بلغت إلى غابتك هذه التي إليها أجريت ، وعندها حط رحلك » .

(٧) الرواسي أي الجبال الرواسي أي الثابتة ، والنواصي جمع ناصية : وهي منبت الشعر في مقدم الرأس ،
والصاب : عصارة شجر مرّ ، وأشرج العيبة ونشرجها وشرجها : أدخل بعض عراها في بعض ، والعيبة
بفتح : وعاء من آدم ، وما يجعل فيه الثياب ، والأساس جمع أس مثلثا : وهو أصل البناء وأصل كل شيء .

وَنُبْرِمُ أُمْرَاسَهَا^(١) ، وَالْعِيُونَ تُحَدِّجُ^(٢) بِالْحَسَدِ ، وَالْأَنْوْفُ تَعْطُسُ بِالْكِبَرِ ،
وَالصَّدُورُ تَسْتَعْرِ بِالْغَيْظِ ، وَالْأَعْنَاقُ تَتَطَاوَلُ بِالْفَخْرِ ، وَالْأَلْسِنَةُ^(٣) تُشَحِّدُ
بِالْمَكْرِ ، وَالْأَرْضُ تَمِيدُ بِالْخَوْفِ ، لَا تَنْتَظِرُ عِنْدَ الْمَسَاءِ صَبَاحًا ، وَلَا عِنْدَ
الصَّبَاحِ مَسَاءً ، وَلَا نَدْفَعُ فِي نَحْرِ أَمْرٍ^(٤) إِلَّا بَعْدَ أَنْ نَحْسُوَ الْمَوْتَ دُونَهُ ، وَلَا
نَبْلُغُ مُرَادًا إِلَّا بَعْدَ جَرِّعِ الْعَذَابِ مَعَهُ ، وَلَا نُقِيمُ مَنَارًا إِلَّا بَعْدَ الْإِيَّاسِ^(٥) مِنْ
الْحَيَاةِ عِنْدَهُ ، فَادِّينَ فِي جَمِيعِ ذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْأَبِّ وَالْأُمِّ ،
وَالْخَالِ وَالْعَمِّ ، وَالْمَالِ وَالنَّسَبِ^(٦) ، وَالسَّبَدِ وَاللَّبَدِ^(٧) ، وَالْهَلَّةِ وَالْبَلَّةِ^(٨) ،
بَطِيبِ أَنْفُسٍ ، وَقُرَّةِ أَعْيُنٍ ، وَرُحْبِ أَعْطَانِ^(٩) وَثَبَاتِ عَزَائِمٍ ، وَصِحَّةِ
عُقُودِ^(١٠) وَطَلَاقَةِ أَوْجِهٍ ، وَذَلَّاقَةِ أَلْسُنٍ .

هَذَا مَعَ خَبِيرَاتِ أَسْرَارٍ ، وَمَكْنُونَاتِ أَخْبَارٍ ، كُنْتَ عَنْهَا غَافِلًا ، وَلَوْلَا

(١) المرساة بالتحريك : الحبل والجمع مرسس بالتحريك أيضا وجمع الجمع أمراس . وقد يكون المرسى لواحد
(٢) التحديق : التحديق . (٣) في صبح الأعشى ونهاية الأرب « والشفار » بالكسر جمع
شفرة بالفتح وهي السكين العظيم وشد السيف ، والمراد بها الألسنة أيضا . وتفيد : تضطرب .
(٤) في صبح الأعشى « امرئ » . (٥) أي اليأس . (٦) النسب : المال الأصيل من
الناطق والصامت .

(٧) جاء في اللسان « السبد : الوبر ، وقيل : الشعر ، واللبد من الصوف للبدن ، والعرب تقول : ماله
سبد ولا لبد ، أي ماله ذو وبر ولا صوف متبد ، يكنى به عن الإبل والغنم ، وقيل : يكنى به عن المعز
والضأن ، وقيل : يكنى به عن الإبل والمعز ، فالوبر الإبل والشعر المعز ، وقال الأصبهني : ماله سبد
ولا لبد ، أي ماله قليل ولا كثير ، وكان مال العرب الحبل والإبل والغنم فدخلت كلها في هذا المثل .

(٨) يقال : جاءنا فلان فلم يأتنا بهلة ولا بلة ، وما أصاب عنده هلة ولا بلة : أي شيئا ، والهلة من
الاستهلال والفرح ، والبللة : أدنى بلل من الخمر ، وحكاها كراع جميعا بالفتح .

(٩) الرحب : الاتساع ، والأعطان جمع عطن بالتحريك . ويقال : رجل رحب العطن ، وواسع العطن
أي رحب الذراع كثير المال واسع الرجل ، وفي ابن أبي الحديد « ورحب أعطاف » والأعطاف جمع
عطف بالكسر وهو الجانب . (١٠) وفي صبح الأعشى ونهاية الأرب « وصحة عقول » وذلَّاقة
اللسان : حدته .

سِنَّكَ لَمْ تَكُنْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهَا نَاكِلاً^(١) ، كَيْفَ وَفَوَّادُكَ مَشْهُومٌ ، وَعُودُكَ
مَعْجُومٌ^(٢) ، وَغَيْبُكَ مَخْبُورٌ ، وَالْخَيْرُ مِنْكَ كَثِيرٌ ، وَالْآنَ قَدْ بَلَغَ اللَّهُ بِكَ ،
وَأَرْهَصَ^(٣) الْخَيْرَ لَكَ ، وَجَعَلَ مُرَادَكَ بَيْنَ يَدَيْكَ ، وَعَنْ عَلِمٍ أَقُولُ^(٤) مَا تَسْمَعُ ،
فَارْتَقِبْ زَمَانَكَ ، وَقَلِّصْ أَرْدَانَكَ ، وَدَعِ التَّقَعُّسَ وَالتَّجَسُّسَ لِمَنْ لَا يَظْلَعُ
لَكَ إِذَا خَطَا ، وَلَا يَتَزَحَّزَحُ عَنْكَ إِذَا عَطَا^(٥) ، فَلَا أَمْرَ غَضٍّ ، وَالنَّفُوسَ فِيهَا
مَضٌّ ، وَإِنَّكَ أَدِيمٌ هَذِهِ الْأُمَّةَ فَلَا تَحْمِلْ لَجَاجًا ، وَسَيِّفُهَا الْعَضْبُ فَلَا تَنْبُ
أَعُوجَاجًا ، وَمَاؤُهَا الْعَذْبُ فَلَا تَحُلْ أَجَاجًا^(٦) ، وَاللَّهُ لَقَدْ سَأَلَتْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ هَذَا الْأَمْرِ ، فَقَالَ لِي « يَا أَبَا بَكْرٍ : هُوَ لِمَنْ يَرْغَبُ عَنْهُ لَا لِمَنْ
يُجَاحِشُ عَلَيْهِ ، وَلِمَنْ يَتَضَاعَلُ عَنْهُ لَا لِمَنْ يَنْتَفِجُ إِلَيْهِ^(٧) » ، هُوَ لِمَنْ يَقَالُ لَهُ هُوَ لَكَ
لَا لِمَنْ يَقُولُ هُوَ لِي .

وَلَقَدْ شَاوَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الصَّهْرِ ، فَذَكَرْتُ أَنَا
مِنْ قَرِيشٍ فَقُلْتُ : أَيْنَ أَنْتَ مِنْ عَلِيٍّ ؟ فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِنِّي لَا أَرَاهُ

(١) نَكَلَ عَنْهُ أَكْضَرُ وَأَنْصَرُ وَعَلِمَ نَكُولًا : نَكَسَ وَجَنَ .

(٢) الْمَشْهُومُ وَالشَّهْمُ : الذَّكَاءُ الْفَوَادُ الْمَتَوَقَّدُ ، وَنَجْمُ عَوْدِهِ كَنَصَرٍ : عَضَهُ لِيَعْلَمَ صَلَابَتَهُ مِنْ خَوَرِهِ .

(٣) فِي كِتَابِ الْأَمَةِ : أَرْهَصَ اللَّهُ فَلَانًا لِلْخَيْرِ أَيْ جَعَلَهُ مَعْدِنًا لِلْخَيْرِ وَمَأْتَى ، وَفِي صَبِيحِ الْأَعْمَشِيِّ وَنَهَايَةِ
الْأَرْبِ « وَأَنْهَضَ » . (٤) وَفِي ابْنِ أَبِي الْحَدِيدِ : « فَاسْمَعْ مَا أَقُولُ لَكَ ، وَاقْبَلْ مَا يَمُودُ قَبُولَهُ عَلَيْكَ ،
وَدَعِ التَّجَسُّسَ وَالتَّقَعُّسَ ... الخ » . (٥) التَّقْلِيصُ : التَّشْمِيرُ ، وَالْأَرْدَانُ : جَمْعُ رَدَنٍ بِالضَّمِّ ، وَهُوَ
أَصْلُ السَّكَمِ ، وَالتَّقَعُّسُ وَالتَّغَاعُصُ : التَّأَخُّرُ ، وَظَلْعُ الْبَعِيرِ كَنَعٍ : نَحَزَفِي مَشِيهِ ، وَعَطَا الظِّي : تَطَاوَلَ إِلَى
الشَّجَرِ لِيَتَنَاوَلَ مِنْهُ . (٦) الْفَضُّ : الطَّرِيُّ ، وَمَضَهُ الشَّيْءُ مَضًا : بَلَغَ مِنْ قَلْبِهِ الْحُزْنَ بِهِ كَأَمَضِهِ ،
وَالْأَدِيمُ : الْجِلْدُ ، وَحَمَّ الْجِلْدُ كَفَرَحَ : وَقَعَ فِيهِ الْحَلْمُ بِالتَّحْرِيكِ : وَهُوَ دَوْدٌ يَقَعُ فِي الْجِلْدِ فَيَأْكُلُهُ فَإِذَا
دَبَغَ وَهُوَ مَوْضِعُ الْأَكْلِ ، وَسَيْفُ عَضْبٍ : قَاطِعٌ ، وَبَا السَّيْفِ عَنِ الضَّرْبِ : كَلٌّ ، فَلَا تَحُلْ :
أَيُّ فَلَا تَتَحَوَّلْ وَلَا تَصِرْ ، وَمَاءُ أَجَاجٍ : أَيُّ مِلَاحٍ مَرٌّ .

(٧) يُجَاحِشُ : يَدَافِعُ ، وَنَفَجَ وَانْتَفَجَ وَتَنْفَجَ : ارْتَفَعَ ، وَمِنْهُ انْتَفَجَ جَنْبَا الْبَعِيرِ : أَيُّ ارْتَفَعَا ،
وَانْتَفَجَتِ الْأَرْبُ : أَيُّ وَثَبَتْ ، وَفِي ابْنِ أَبِي الْحَدِيدِ « لَا لِمَنْ يَشْمَخُ إِلَيْهِ » .

لفاطمة مَيْعَةً^(١) شَبَابَهُ ، وَحَدَاثَةَ سِنِّهِ ، فَقُلْتُ لَهُ : مَتَى كُنْفَتُهُ يَدُكَ ، وَرَعَّتْهُ عَيْنُكَ ، حَفَّتْ بِهِمَا^(٢) ، الْبَرَكَةُ ، وَأُسْبِغْتَ عَلَيْهِمَا النِّعْمَةَ ، مَعَ كَلَامٍ كَثِيرٍ خَاطِبْتَهُ بِهِ رَغْبَتَهُ فَيْكَ ، وَمَا كُنْتُ عَرَفْتُ مِنْكَ فِي ذَلِكَ حَوَاجًا وَلَا لَوْجَاءً^(٣) ، فَقُلْتُ مَا قُلْتُ وَأَنَا أَرَى مَكَانَ غَيْرِكَ ، وَأَجِدُ رَاحَةَ سِوَاكَ ، وَكُنْتُ لَكَ إِذْ ذَاكَ خَيْرًا مِنْكَ الْآنَ لِي ، وَلَئِنْ كَانَ عَرَّضَ بِكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي هَذَا الْأَمْرِ فَلَمْ يَكُنْ مُعْرِضًا عَنْ غَيْرِكَ ، وَإِنْ كَانَ قَالَ فَيْكَ فَمَا سَكْتَ عَنْ سِوَاكَ .

وَإِنْ تَلَجَّلَجَ^(٤) فِي نَفْسِكَ شَيْءٌ فَهَلُمَّ فَالْحُكْمُ رَضِيٌّ ، وَالصَّوَابُ مَسْمُوعٌ ، وَالْحَقُّ مَطَاعٌ ، وَلَقَدْ ثَقُلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَهُوَ عَنْ هَذِهِ الْعَصَابَةِ رَاضٍ وَعَلَيْهَا حَدِبٌ^(٥) يَسْرُهُ مَا سَرَّهَا ، وَيُسْوَءُهُ مَا سَاءَهَا . وَيَكِيدُهُ مَا كَادَهَا ، وَيُرْضِيهِ مَا أَرْضَاهَا ، وَيُسْخِطُهُ مَا أَسْخَطَهَا ، أَمَّا تَعْلَمُ أَنَّهُ لَمْ يَدْعُ أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِهِ وَأَقَارِبِهِ وَسُجَرَاءِهِ^(٦) إِلَّا أَبَانَهُ بِفَضِيلَةٍ ، وَخَصَّةٍ بِمَزِيَّةٍ ، وَأَفْرَدَهُ بِحَالَةٍ لَوْ أَصْفَقَتْ الْأُمَّةُ عَلَيْهِ لِأَجْلِهَا ، لَكَانَ عِنْدَهُ إِيَالَتُهَا وَكَفَالَتُهَا ، أَتَظُنُّ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَرَكَ الْأُمَّةَ سُدًى بَدَا^(٧) عِبَاهِلَ مَبَاهِلَ ، طَلَّاحِي^(٨) مَفْتُونَةً بِالْبَاطِلِ ،

(١) مَيْعَةُ الشَّبَابِ : أَوَّلُهُ . (٢) أَيْ بَعَلَى وَفَاطِمَةَ ، وَأُسْبِغَ اللَّهُ عَلَيْهِ النِّعْمَةَ : آتَاهَا . (٣) الْحَوَاجَاءُ : الْحَاجَةُ وَكَذَا اللُّوْجَاءُ ، وَيُقَالُ : مَالِي فِيهِ حَوَاجٌ وَلَا لَوْجَاءُ ، وَلَا حَوَاجِيَاءَ وَلَا لَوْجِيَاءَ أَيْ مَالِي فِيهِ حَاجَةٌ .

(٤) تَلَجَّلَجَ : تَرَدَّدَ ، وَفِي ابْنِ أَبِي الْحَدِيدِ « اخْتَلَجَ » . (٥) حَدِبٌ عَلَيْهِ كَفَرَحٌ : تَعَطَّفَ ، وَفِي صَبِيحِ الْأَعَشَى وَنَهَايَةِ الْأَرْبِ « حَذَرٌ » . (٦) سَجَرَاءُ جَمْعُ سَجِيرٍ . وَهُوَ الْخَلِيلُ الصَّنِئِيُّ ، وَأَصْفَقُوا عَلَى كَذَا : أَطْبَقُوا . وَآلَ عَلَى الْقَوْمِ إِيَالًا وَإِيَالَةً : وَلَّى . (٧) سُدًى بِالضَّمِّ وَالْفَتْحِ وَالضَّمُّ أَكْثَرُ : أَيْ مَهْمَلَةٌ لِلْوَاحِدِ وَالْجَمْعِ ، وَبَدَا : أَيْ مَتَفَرِّقَةٌ ، يُقَالُ : جَاءَتِ الْخَيْلُ بَدَا بَدَا عَلَى الْمَصْدَرِ ، وَتَفَرَّقُوا بَدَادَ ، وَفِي الدُّعَاءِ : « اللَّهُمَّ أَحْصِهِمْ عِدْدًا وَاقْتُلْهُمْ بَدَا » يَرُودُ بِكَسْرِ الْبَاءِ جَمْعُ بَدَا بِالْكَسْرِ وَهِيَ الْحَصَةُ وَالنَّصِيبُ : أَيْ اخْتَلَفَتْهُمْ حَصَصًا مَقْسَمَةً لِكُلِّ وَاحِدٍ حَصَّتُهُ وَنَصِيبُهُ ، وَيُرُودُ بِالْفَتْحِ : أَيْ مَتَفَرِّقِينَ مِنَ التَّبِيدِ ، أَيْ بَدَا شَمْلَهُمْ

(٨) عِبَاهِلُ الْإِبِلِ : أَهْمَلُهَا ، وَإِبِلٌ عِبَاهِلٌ وَمَعْبَهَلَةٌ : أَيْ مَهْمَلَةٌ لَا رَاعِيَ لَهَا وَلَا حَافِظَ ، قَالَ

مَغْنُونَةٌ عَنِ الْحَقِّ ، لَا رَائِدَ وَلَا ذَائِدَ ، وَلَا ضَائِبَ وَلَا حَائِطَ وَلَا رَابِطَ ، وَلَا سَاقِيَّ
وَلَا وَاقِيَّ ، وَلَا هَادِيَّ وَلَا حَادِيَّ^(١) ؟ كَلَّا ! وَاللَّهِ مَا اسْتَأْتَقَ إِلَى رَبِّهِ تَعَالَى ،
وَلَا سَأَلَهُ الْمَصِيرَ إِلَى رِضْوَانِهِ وَقُرْبِهِ ، إِلَّا بَعْدَ أَنْ ضَرَبَ الْمَدَى ، وَأَوْضَحَ
الْهُدَى ، وَأَبَانَ الصُّوَى ، وَأَمَّنَ الْمَسَالِكَ وَالْمَطَارِحَ ، وَسَهَّلَ الْمَبَارِكَ
وَالْمَهَائِيعَ^(٢) ، وَإِلَّا بَعْدَ أَنْ شَدَخَ يَأْفُوحَ الشَّرْكَ بِإِذْنِ اللَّهِ ، وَشَرَمَ وَجْهَ النِّفَاقِ
لَوَجْهِ اللَّهِ سَبْجَانَهُ . وَجَدَعَ أَنْفَ الْفِتْنَةِ فِي ذَاتِ اللَّهِ ، وَتَقَلَّ فِي عَيْنِ الشَّيْطَانِ
بِعَوْنِ اللَّهِ ، وَصَدَعَ^(٣) بِمِلَّةٍ فِيهِ وَيَدُهُ بِأَمْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ .

الراجز : عباهل عبهلها الوراد : وأهبل الإبل : أهملها أيضا كعبلها ، والعين مبدلة من الهمزة
وهي مبهلة ومباهل للجمع (وقد ضبط مباهل في لسان العرب والقاموس بضم الميم وكسر الهاء ،
وكتب مصحح اللسان على هامشه : « كذا ونع في الأصل ميم مباهل مضموما وكذا في القاموس ،
وليس فيه لفظ الجمع فانظر وحرر اه » والظاهر أنه بفتح أوله كما في عباهل) وطاح البعير كمنع طلاحة
بالفتح : أى كل وأعيا ، فهو طاح بالفتح والكسر وطليح وطالح ، وإبل أطلح وطلح بالكسر وطلح
كركم وطلأع ، وجاء أيضا إبل طلاحي بفتح الطاء والحاء : أى تشكى بطونها من أكل الطلح
(والطلح كشمس : شجر عظام) قال في اللسان « وأنكر أبو سعيد إبل طلاحي إذا أكلت الطلح ،
قال : والطلاحي هي الكالة الميية ، قال : ولا يعرض الطلح الإبل ، لأن رعى الطلح ناجع فيها » وفي
ابن أبي الحديد « طالحا » .

(١) عننت الفرس وأعنته : حبسته بالعنان ، وفي صبح الأعشى « مغبونة » وهو تصحيف ، وفي
ابن أبي الحديد « ملوية » والدائد : الدافع ، وفي صبح الأعشى « زائد » وهو تحريف ، وحائط : أى
حائظ وصائن من حاطه ، وفي ابن أبي الحديد « خابط » وهو تحريف . والحادى : سائق الإبل .

(٢) المدى : الغاية ، والمعنى : بين الغاية . والصوى جمع صوة كقوة : وهي حجر يكون علامة في
الطريق . والمطارح : الأماكن البعيدة ، طرحه : أبعد ، والطروح كصبور : المكان البعيد ،
وطرحت به النوى كل مطرح : أى تأت به . والمهائيع : جمع مهيع كقعد ، وهو الطريق البين .

(٣) شدخ : كسر ، واليافوخ : ملق عظم مقدم الرأس ومؤخره . وشرمه كضرب : شقه ،
وجدع أنفه : قطعه . وتقل كنصر وضرب : بصب . وصدع كمنع : جهر ، وقيل في قوله تعالى
« فَأَصْدَغُ بِمَا تُؤْمَرُ » أى شق جماعاتهم بالتوحيد أو اجهر بالقرآن أو اظهر أو احكم بالحق
وافصل بالأمر أو اتصد بما تؤمر أو افرق به بين الحق والباطل .

وبعدُ، فهؤلاء المهاجرون والأنصار عندك ومعك في بُقعة واحدة، ودارٍ جامعة، إن استقالوني^(١) لك، وأشاروا عندي بك، فأنا واضعٌ يدي في يدك، وصائرٌ إلى رأيهم فيك، وإن تكن الأخرى فادخل في صالح ما دخل فيه المسلمون، وكن العَوْن على مصالحهم، والفتاح لِغَالِقِهِمْ^(٢)، والمرشد لِضَالَّتِهِمْ، والرادع لغوايتهم، فقد أمر الله تعالى بالتعاون على البرِّ والتقوى والتناصر على الحق، ودَعْنَا نَقْضِي هذه الحياة الدنيا بصدور بريئة من الغِلِّ، ونَلْقَى الله تعالى بقلوب سليمة من الضُّغْنِ.

وبعدُ، فالناس مُتَمَامَةٌ^(٣) فارقُ بهم، وأَحْنُ عليهم، وَلِنْ لَهُمْ، ولا تسوِّل لك نفسُك فُرْقَتَهُمْ، واختلاف كلمتهم، ولا تُشَقِّ نفسُك بنا خاصةً منهم، واترك ناجِمَ الحَقْدِ حَصِيداً^(٤)، وطائر الشر واقعاً، وباب الفتنة مُغْلَقاً، فلا قال ولا قيل، ولا لوم ولا تعنيف، ولا عتاب ولا تهريب^(٥)، والله على ما نقول شهيد، وبما نحن عليه بصير.



قال أبو عبيدة : فلما تَأَهَّبْتَ للنهوض ، قال عمر رضى الله عنه : كن لَدَى البابِ هُنَيْهَةً^(٦) فلي معك دَوْرٌ من القول ، فوقفتُ وما أدرى ما كان

(١) وفي ابن أبي الحديد « إن استفادوا لك » واستفاد له : أعطاه مقادته واقفاده .
 (٢) المغالق جمع مغلق كبير : وهو ما يغلق به الباب كالمغلاق . (٣) التمامة : واحدة التمام ، وهو نبت ضعيف قصير لا يطول ، وفي حديث عمر « اغزوا والغزو حلو خضر قبل أن يصير ثماما ثم رماما ، ثم حطاما » . (٤) نجم النبات : طلع وظهر . حصيداً : محصوداً .
 (٥) في صبح الأعشى « ولا تبيع » وهو تصحيف وصوابه « تبيع » وتبيغ عليه الأمر : اختلط .
 ولدم : هاج وغلب . والتهريب : اللوم .

(٦) هن كأنه معناه شيء ، وهو كناية عن كل اسم جنس . والأنثى هنة بفتح النون . وقالوا هنت بالناء ساكنة النون فجعلوه بمنزلة بنت وأخت ، ولأهلها محذوفة فني لغة هي هاء فيصغر على هنية ،

بعدي ، إلا أنه لحقني بوجه يُبْدى^(١) تهلاً وقال لي : قل لعليّ :
 « الرثاق محلّمة ، والهوى مقحّمة^(٢) ، « وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ » ،
 وحق مُشاع أو مقسوم ، ونبأ ظاهر أو مكتوم ، وإن أكيّس الكيّسى^(٣) مَنْ
 مَنَحَ الشَّارِدَ تَأُلْفًا ، وقاربَ البعيدَ تَلَطُّفًا ، ووزنَ كلَّ شيءٍ بميزانه ، ولم يخلطْ
 خبره بعيانه ، ولم يجعل فِتره مكانَ شِبره ، دينا كان أو دنيا ، ضلالا كان أو
 هدى ، ولا خيرَ في عِلْمٍ مستعملٍ في جهل ، ولا خيرَ في مَعْرِفَةٍ مَشُوبَةٍ
 بِنُكْرٍ ، ولسنا كجلدة رُفِعَ البعيرُ بينَ للعِجَانِ والذَّنَبِ ، وكلّ صالٍ فبناره
 يَصَلِّ^(٤) ، وكلّ سليلٍ فالى قراره يجرى ، وما كان سكوت هذه العصاة إلى
 هذه الغاية لِعِيٍّ^(٥) وَشِيٍّ ، ولا كلامها اليوم لفرقٍ أو رفقٍ ، وقد جدّع الله
 بمحمد صلى الله عليه وسلم أنفَ كلِّ ذى كبر ، وقصمَ ظهْرَ كلِّ جَبَّارٍ ،
 وقطعَ لسانَ كلِّ كَذُوبٍ ، فماذا بعد الحق إلا الضلال ، ما هذه الخنزروانة
 التى فى فراشِ رأسك ؟ ما هذا الشّجا المَعْتَرِضُ فى مَدَارِجِ أنفاسك ؟
 ما هذه القَذَاةُ^(٦) التى أعشّتْ ناظِرُكَ ؟ وما هذه الوَحَرَةُ^(٧) التى أكلتْ

ومنه يقال : مكث هنية أى قليلا من الزمان ، وفى لغة هى واو فيصغر على هنية ، وقيل هنية هو
 القياس وهنية على إبدال الهاء من الباء فى هنية . (١) فى صبح الأعشى « يندى » كيفرج .

(٢) قعم فى الأمر كنصر : رمى بنفسه فيه فجأة بلا روية .

(٣) الكيس كشمس : خلاف الحق ، وهو كيس كجيد والجمع كيّسى كمرضى .

(٤) الرفق بالضم والفتح : أصل الفخذ من باطن ، وكل موضع يجتمع فيه الوسخ من الجسد كالابط
 وغيره . العجان : الاست . ووجه الشبه الحسة وضعة المنزل . صلى النار كفرج وصلى بها : قاسى حرها .

(٥) العى : الحصر . الشى : إتباع له . قالوا جاء بالعى والشى وفلان عي شى وشوى ، وما أعياء وأشياء
 وأشواء : وفى ابن أبى الحديد « لعى وحصر ، ولا كلامها اليوم لفرق وحذر » . الفرق : الخوف .

(٦) الخنزروانة : الكبر . فراش الرأس : عظام رفاق تلى الفحف . الشجا : ما عترض فى الحلق من
 عظم ونحوه . القذى : ما يقع فى العين والشراب .

(٧) الوحرة : وزغة تكون فى الصحارى أصغر من العظاءة (بكسر العين) وهى على شكل سام
 أبرص . وقيل : الوحرة : ضرب من العطاء وهى صغيرة حمراء تعدو فى الجبابين لها ذنب دقيق
 تمصع به إذا عدت وهى أخبث العطاء ، لانطأ طعاما ولا شرابا إلا شتمته ، ولا يأكله أحد إلا أخذه قىء

شَرَّاسِيفَكَ^(١) ؟ وما هذا الذي لَبِستَ بسببه جِلْدَ النَّمْرِ^(٢) واشتملت عليه بالشَّحْنَاءِ والنُّكْرِ ؟

لَشَدَّ مَا اسْتَسَعَيْتَ^(٣) لها ، وسرَيْتَ سُرى أَتَقَدَّ^(٤) إليها ، إن العَوَان لا تُعَلِّمُ الْخُمْرَةَ^(٥) ، ما أَحْوَجَ الْفَرْعَاءَ إِلَى قَالِيَةٍ^(٦) ، وما أَفْقَرَ الصَّلْعَاءَ إِلَى حَالِيَةٍ ، ولقد قُبِضَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَالْأَمْرُ مُقَيَّدٌ مُحْبَسٌ ، ليس لأحد فيه مَأْمَسٌ ، لم يَسِيرْ فِيكَ قَوْلًا ، ولم يَسْتَنْزِلْ لَكَ قَرَأْنَا ، ولم يَحْزَمْ فِي شَأْنِكَ حَكْمًا ، لَسْنَا فِي كِسْرَوِيَّةٍ كِسْرَى ، ولا فِي قَيْصَرِيَّةٍ قَيْصَرَ ، تَأْمَلُ لِإِخْوَانِ فَارِسَ وَأَبْنَاءِ الْأَصْفَرِ ، قد جعلهم الله جَزَرًا^(٧) لسيوفنا ، ودَرِيئَةً لرماحنا ، وَمَرْمَى لِبَطْعَانِنَا ، وتَبَعًا لسلطاننا ، بل نحن في نور نُبُوَّةٍ ، وضياء رسالة ، وثمرَة حكمة ، وأَثَرَة رحمة ، وَعُنْوَانُ نعمة ، وظلّ عِصْمة ، بين أمة مَهْدِيَةٍ بِالْحَقِّ وَالصِّدْقِ ، مَأْمُونَةٍ عَلَى الرَّتْقِ وَالْفَتْقِ ، لها من الله تعالى قلبٌ أَيُّْ ، وسَاعِدٌ قَوِيٌّ ، ويدٌ ناصرة ، وعَيْنٌ باصرة .

وربما هلك آكله . والوَحْرُ بالتحريك أيضاً : غشّ الصدر وبلاياه ، ويقال : إن أصل هذا من تلك الدَّوْبِيَّةِ شَبَّهُوا الْعَدَاوَةَ وَلَزَوْقَهَا بِالصِّدْرِ بِالتَّزَاقِ الْوَحْرَةَ بِالْأَرْضِ .

(١) شَرَّاسِيفُ جمع شَرَّاسِيفٍ : كعصفور وهو غصن معلق بكل ضلع ، أو مقط الضلع وهو الطرف المشرف على البطن .

(٢) من أمثالهم « لبست له جلد النمر » أى تنكرت له ، مثل يضرب في إظهار العداوة الشديدة وكشفها . وقالوا أيضاً : تنمر له أى تنكر وتغير ، وأصله من النمر لأنه من أنكر السباع وأخبئها ، ولا تلقاء أبداً إلا متكرراً غضبان ، قالوا وكانت ملوك العرب إذا جلست لقتل إنسان لبست جلود النمر ثم أمرت بقتل من تريد قتله .

(٣) يريد به « سعيت » أو هو على بابه أى لشد ما طلبت إلى نصرائك أن يسعوا حتى تنال الخلافة ، وفي كتب اللغة استسمى العبد : كلفه من العمل ما يؤدي به عن نفسه إذا أعتق بعضه ليعتق به مابقي . (٤) أَتَقَدَّ : اسم للفنفة معرفة لا يصرف ، كقولهم أسامة الأسد وذؤالة اللدب ، ومن أمثالهم « أسرى من أقصد » و « بات بليلة أقصد » إذا بات ساهراً ، وذلك أن الفنفة يسرى ليله أجمع ، لا ينام الليل كله .

(٥) العَوَان من النساء : التي كان لها زوج . والخُمْرَة : اسم هيئة من الاختار ، وهو ليس الحمار بالكسر (مانسميه بالطرحة) أى أنها لا تحتاج إلى تعليم الاختار ، وهو مثل يضرب للرجل الجرب .

(٦) الْفَرْعَاءُ : النامة الشمر . قَالِيَةٍ : اسم فاعل من فلى رأسه من القمل يقره كفلته .

(٧) تركهم جزراً للسباع والطيور أى قطعاً . والدريئة : الحلقة يتعلم عليها الطعن والرمي .

أَتَظَنَّ ظَنًّا يَأْلَى أَنْ أبا بكرٍ وَثَبَ عَلَى هَذَا الْأَمْرِ مُفْتَاتًا عَلَى الْأُمَّةِ ، خَادِعًا لَهَا ،
وَمَتَسَلِّطًا عَلَيْهَا ؟ أَتُرَاهُ أُمْتَلَحَ أَحْلَامَهَا ، وَأَزَاغَ أَبْصَارَهَا ، وَحَلَّ عَقُودَهَا ،
وَأَحَالَ عُقُودَهَا ، وَاسْتَلَّ مِنْ صَدُورِهَا حَجِيَّتَهَا^(١) ، وَنَكَثَ رِشَاءَهَا^(٢) ، وَصَبَّ
مَاءَهَا ، وَأَضَلَّهَا عَنْ هِدَايَاهَا ، وَسَاقَهَا إِلَى رَدَايَاهَا ، وَجَعَلَ نَهَارَهَا لَيْلًا ، وَوَزَنَهَا
كَيْلًا ، وَبَقِظَتْهَا رُقَادًا ، وَصَلَحَهَا فُسَادًا ؟ إِنْ كَانَ هَكَذَا فَإِنَّ سِحْرَهُ لَمُبِينٌ ،
وَإِنْ كَيْدُهُ لَمَتِينٌ ، كَلَّا وَاللَّهِ بَأَى خَيْلٍ وَرَجُلٍ ، وَبَأَى سِنَانٍ وَنَصْلٍ ، وَبَأَى مُنَّةَ
وَقُوَّةَ ، وَبَأَى مَالٍ وَغُدَّةَ ، وَبَأَى أَيْدٍ وَشِدَّةَ ، وَبَأَى عَشِيرَةَ وَأُسْرَةَ ، وَبَأَى قُدْرَةَ
وَمَكْنَةَ ، وَبَأَى تَدْرُعَ وَبَسْطَةَ^(٣) ؟ لَقَدْ أَصْبَحَ بِمَا وَسَمَتْهُ مَنِيْعَ الرَّقَبَةِ ، رَفِيعَ
الْعَتَبَةِ ، لَا وَاللَّهِ لَكِنْ سَلَا عَنْهَا قَوْلُهَا^(٤) لَهُ ، وَتَطَامَنَ لَهَا فَلَصِقَتْ بِهِ ،
وَمَالَ عَنْهَا فَمَالَتْ إِلَيْهِ ، وَأَشْمَأَزَ دُونَهَا فَاشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ ، حَبَوَّةٌ حَبَاهُ^(٥) اللَّهُ بِهَا ،
وَعَاقِبَةٌ بَلَّغَهُ اللَّهُ إِلَيْهَا ، وَنِعْمَةُ سَرَّ بَلَّاهُ اللَّهُ جَمَالَهَا ، وَيَذُّ أَوْجِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ شُكْرَهَا ،
وَأَمَّةٌ نَظَرَ اللَّهُ بِهِ إِلَيْهَا ، وَطَالَمَا حَلَّقَتْ فَوْقَهُ فِي أَيَّامِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
وَهُوَ لَا يَلْتَفِتُ إِلَيْهَا ، وَلَا يَرْتَصِدُّ وَقْتَهَا ، وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ بِخَلْقِهِ ، وَأَرَأْفُ بِعِبَادِهِ ،
يَخْتَارُ ، مَا كَانَ لَهُمْ الْخَيْرَةُ^(٦) ، وَإِنَّكَ بِحَيْثُ لَا يُجْهَلُ مَوْضِعُكَ مِنْ بَيْتِ
النَّبُوَّةِ ، وَمَعْدِنِ الرِّسَالَةِ ، وَكَهْفِ الْحِكْمَةِ ، وَلَا يُجَحِّدُ حَقُّكَ فِيمَا آتَاكَ رَبُّكَ
مِنَ الْعِلْمِ ، وَمَنْحَكَ مِنَ الْفَقْهِ وَالْدِينِ ، هَذَا إِلَى مَزَايَا خُصِّصَتْ بِهَا ، وَفَضَائِلَ
اشْتَمَلَتْ عَلَيْهَا ، وَلَكِنْ لَكَ مَنْ يَزَاجُحُكَ بِمَنْكِبٍ أَضْخَمَ مِنْ مَنْكِبِكَ ،

(١) امتلحها : انتزعها . الأحكام : جمع حلم بالكسر وهو العقل . الحمية : الأنفة .

(٢) نكث الحبل : نقضه . والرشاء : الحبل .

(٣) رجل : جمع راجل وهو ضد الفارس . والننة : القوة . والأيد : القوة أيضاً ، وكذا المكنة .

البسطة : السعة . (٤) الوله بالتحريك : ذهاب العقل والتخير من شدة الوجد ، وفعله كفرح .

(٥) حباه : أعطاه . والحوية مثلثة والحباء ككتاب : العطاء . (٦) الخيرة : اسم من الاختيار .

وَقُرْبَى أَمْسٍ مِنْ قُرْبَاكَ ، وَسِنَّ أَعْلَى مِنْ سِنَّكَ ، وَشَيْبَةً أَوْرَعٍ مِنْ شَيْبَتِكَ ،
وَسِيَادَةً لَهَا أَصْلٌ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، وَفَرَعٌ فِي الْإِسْلَامِ ، وَمَوَاقِفٌ لَيْسَ لَكَ فِيهَا
جَمَلٌ وَلَا نَاقَةٌ^(١) ، وَلَا تُذَكَّرُ مِنْهَا فِي مُقَدِّمَةٍ وَلَا سَاقَةٍ^(٢) ، وَلَا تَضْرِبُ فِيهَا
بِذِرَاعٍ وَلَا إِصْبَعٍ ، وَلَا تَخْرُجُ مِنْهَا بِبَازِلٍ وَلَا هُبَّعٍ^(٣) ، وَلَمْ يَزَلْ أَبُو بَكْرٍ حَبَّةَ
قَلْبٍ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَعِلَاقَةً نَفْسِهِ . وَعَيْبَةً سِرِّهِ ، وَمَفْزَعَ
رَأْيِهِ وَمَشُورَتِهِ ، وَرَاحَةً كَفِّهِ ، وَمَرْمَقٍ^(٤) طَرَفِهِ ، وَذَلِكَ كُلُّهُ بِمَحْضَرِ الصَّادِرِ
وَالْوَارِدِ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ ، شُهُرَتُهُ مُعْنِيَةٌ عَنِ الدَّلِيلِ عَلَيْهِ .

وَلَعُمْرِي إِنَّكَ أَقْرَبُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَرَابَةً ، وَلَكِنَّهُ أَقْرَبُ
مِنْكَ قُرْبَةً^(٥) ، وَالْقَرَابَةُ لِحَمٍّ وَدَمٍ ، وَالْقُرْبَةُ نَفْسٌ وَرُوحٌ ، وَهَذَا فَرَقٌ عَرَفَهُ الْمُؤْمِنُونَ
وَلِذَلِكَ صَارُوا إِلَيْهِ أَجْمَعُونَ ، وَمَهْمَا شَكَّكَتَ فِي ذَلِكَ ، فَلَا تَشْكُ أَنْ يَدُ اللَّهِ مَعَ
الْجَمَاعَةِ ، وَرِضْوَانُهُ لِأَهْلِ الطَّاعَةِ . فَادْخُلْ فِيهَا هُوَ خَيْرٌ لَكَ الْيَوْمَ ، وَأَنْفَعُ لَكَ
غَدًا ، وَالْفِظْ مِنْ فَيْكِ مَا يَعْلَقُ بِلَهَاتِكَ ، وَانْفِثْ سَخِيمَةَ صَدْرِكَ عَنْ
تُقَاتِكَ ، فَإِنْ يَكُ فِي الْأَمَدِ طَوْلٌ ، وَفِي الْأَجْلِ فُسْحَةٌ ، فَسْتَأْكَلْهُ مَرِيئًا أَوْ
غَيْرَ مَرِيءٍ^(٦) ، وَسَتَشْرِبُهُ هَنِيئًا أَوْ غَيْرَ هَنِيءٍ ، حِينَ لَا رَادَّ لِقَوْلِكَ إِلَّا مَنْ كَانَ

(١) مِنْ أَمْنَالِ الْعَرَبِ « لَا نَاقَتِي فِي هَذَا وَلَا جَمِي » قَالَ الْخَارِثُ بْنُ عَبْدِ الْبَكْرِ حِينَ قَتَلَ جَسَّاسَ

ابْنَ مَرْثَةَ كَلْبِيَا وَهَاجَتْ الْحَرْبُ بَيْنَ بَكْرٍ وَتَغَابَ ، وَكَانَ الْخَارِثُ اعْتَرَلَهَا .

(٢) سَاقَةُ الْجَيْشِ : مُؤَخَّرُهُ . (٣) جَمَلٌ وَنَاقَةٌ بَازِلٌ وَبَزُولٌ كَصَبُورٍ : وَذَلِكَ فِي تَاسِعِ سَنِيهِ ،
وَلَيْسَ بَعْدَهُ سَنٌ تَسْمَى . وَالْمَبْعُ : الْفَصِيلُ فِي آخِرِ النَّجَاحِ .

(٤) عِلَاقَةُ السِّيفِ بِالْكَسْرِ : حِمَاةُ . وَالْعِلَاقَةُ بِالْفَتْحِ وَبِكَسْرِ : الْحُبُّ الْمُلَازِمُ لِلْقَلْبِ . رَمَقُهُ كَنَصْرِهِ :
نَظَرُهُ إِلَيْهِ ، وَفِي أَبِي الْخَدِيدِ « وَعِلَاقَةُ هَمٍّ ، وَعَيْبَةُ سِرٍّ ، وَمَنْوَى حَزَنٍ ، وَرَاحَةُ بَالٍ ، وَمَرْمَقٌ طَرَفُهُ » .

(٥) الْقُرْبَةُ : الْوَسِيلَةُ . (٦) اللَّهْمَا : اللَّحْمَةُ الْمُسْرِفَةُ عَلَى الْخَلْقِ . السَّخِيمَةُ : الْحَقْدُ . وَالنَّفَاقَةُ :
التَّقْوَى . وَأَصْلُهَا وَقِيَّةٌ قَلْبَتْ وَأَوْهَا الْمَضْمُومَةُ تَاءٌ كَمَا فِي تَوْدَةٍ وَتَحْمَةٍ ، وَإِلْيَاءٍ أَلْفَا . وَمَرَأَ الطَّعَامِ مَثَلَةُ
الرَّاءِ مَرَاءَةً فَهِيَ مَرِيءٌ هَنِيءٌ حَمِيدٌ مُنْعَبَةٌ .

أَيْسَا مِنْكَ ، وَلَا تَابِعَ لَكَ إِلَّا مَنْ كَانَ طَامِعًا فَيْكَ ، يُمِضُ إِهَابَكَ وَيَعْرُكُ
أَدِيمَكَ ، وَيَزْرِي عَلَى هَدْيِكَ ، هُنَالِكَ تَقْرَعُ السِّنُّ^(١) مِنْ نَدَمٍ ، وَتَجْرَعُ الْمَاءَ
مَمَزُوجًا بِدَمٍ ، وَحِينَئِذٍ تَأْتِي^(٢) عَلَى مَاضِي مِنْ عَمْرِكَ ، وَدَارِجٍ قُوتِكَ^(٣) ،
فَتُودُ أَنْ لَوْ سَقَيْتَ بِالسَّكَّاسِ الَّتِي أُيِّنَتْهَا ، وَرُدِدْتَ إِلَى حَالَتِكَ الَّتِي اسْتَغْوَيْتَهَا ،
وَلِلَّهِ تَعَالَى فِينَا وَفَيْكَ أَمْرٌ هُوَ بِالْغُهِ ، وَغَيْبٌ هُوَ شَاهِدُهُ ، وَعَاقِبَةٌ هُوَ الْمَرْجُوءُ
لِسَرَائِهَا وَضَرَائِهَا ، وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ الْغَفُورُ الْوَدُودُ » .



قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ : فَشِيتُ مَتَزَمِّلًا أَنُوْءُ كَأَنَّمَا أَخْطُو عَلَى أُمِّ رَأْسِي ، فَرَقَا^(٤)
مِنَ الْفُرْقَةِ ، وَشَفَقًا عَلَى الْأُمَةِ ، حَتَّى وَصَلْتُ إِلَى عَلَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي خَلَاءٍ ،
فَأَبْذَنُ^(٥) بَنِي كُلِّهِ ، وَبَرَّئْتُ إِلَيْهِ مِنْهُ ، وَرَفَقْتُ بِهِ ، فَلَمَّا سَمِعَهَا وَوَعَاَهَا ،
وَسَرَّتْ فِي مَفَاصِلِهِ حُمَيَّاهَا ، قَالَ : حَلَّتْ مُعْلَوِّطَةً^(٦) ، وَوَلَّتْ مُخْرَوِّطَةً ،
وَأَنْشَأَ يَقُولُ :

إِحْدَى لِيَالِيكَ فَهَيْسِي هَيْسِي لَا تَنْعَمِي اللَّيْلَةَ بِالتَّعْرِيسِ^(٧)

(١) مضه يمضه بضم الميم وفتحها وأمضه : آلمه وأحرقه . الإهاب : الجلد . وكذا الأديم . وزري
عليه وأزري : عابه . وقرع سنه : حرقه ندما . (٢) أسي كفرج : حزن .
(٣) وفي ابن أبي الحديد « وانقضى وانقرض من دارج قومك ، وتود أن لوسقيت بالسكاس التي
سقيتها غيرك ، ورددت إلى الحال التي كنت تكرهها في أمسك » . درج القوم : انقضوا .
(٤) متزملا : أي متلففا ، وفي ابن أبي الحديد « متباذلا » وناء بالجل : نهض مثفلا . الفرق : الخوف .
(٥) أبذنه السر : أظهرته له . والبت : الحال . ورفق به وعليه مثله . والحيا من كل شيء :
شدته . حيا السكاس : سورتها وشدتها وأخذها بالرأس . وحيا الشباب : أوله ونشاطه
(٦) يقال : اعلوط فلان رأسه . إذا ركب رأسه ونقجه على الأمر بغير روية . واخروط البعير في
سيره : إذا أسرع . (٧) هاس يهيس هيساً : سار أي سيركان ، وهو مثل يضرب للرجل
بأنى الأمر يحتاج فيه إلى الجد والاجتهاد . وعرس القوم : نزلوا في آخر الليل للاستراحة كأعرسوا
والأول أكثر .

نعم يا أبا عبيدة ، أكلّ هذا في أنفس القوم يُحْسِنُونَ به وَيَضْطَبِعُونَ^(١) عليه ؟
قال أبو عبيدة . فقلت : لأجواب لك عندي ، إنما أنا قاضٍ حَقَّ الدِّينِ ،
ورأتقُ فَتَقَّ المسلمين ، وسادُّ ثُلَمَةَ الأُمة ، يعلم الله ذلك مِنْ جُلْجُلَانٍ^(٢) قلبي ،
وقرارة نفسي .

فقال على رضى الله عنه : « وَاللَّهِ مَا كَانَ قَعُودِي فِي كِسْرِ^(٣) هَذَا الْبَيْتِ
قَصْدًا لِلْخِلَافِ ، وَلَا إِنْكَارًا لِلْمَعْرُوفِ ، وَلَا زِرَايَةً عَلَى مُسْلِمٍ ، بَلْ لَمَّا قَدْ وَقَدَّنِي
بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ فِرَاقِهِ ، وَأَوْدَعَنِي مِنَ الْحُزَنِ لِفَقْدِهِ ،
وَذَلِكَ أَنَّنِي لَمْ أَشْهَدْ بَعْدَهُ مَشْهَدًا إِلَّا جَدَّدَ عَلَيَّ حُزْنًا ، وَذَكَرَنِي شَجَنًا^(٤) ، وَإِنْ
الشَّوْقُ إِلَى اللَّحَاقِ بِهِ كَافٌّ عَنِ الطَّمَعِ فِي غَيْرِهِ ، وَقَدْ عَاكَفْتُ عَلَى عَهْدِ اللَّهِ
أَنْظُرُ فِيهِ ، وَأَجْمَعُ مَا تَفَرَّقَ مِنْهُ ، رَجَاءُ ثَوَابٍ مُعَدٍّ لِمَنْ أَخْلَصَ لِلَّهِ عَمَلَهُ ، وَسَلَّمَ
لِعَامِهِ وَمَشِيئَتِهِ ، وَأَمْرِهِ وَنَهْيِهِ ، عَلَى أَنِّي مَاعَلَمْتُ^(٥) أَنْ اِتِّظَاهُرُ عَلَى وَاقِعٍ ،
وَلَا عَنِ الْحَقِّ الَّذِي سَيِّقَ إِلَى دَافِعٍ ، وَإِذْ قَدْ أَفْعِمَ^(٦) الْوَادِي بِي ، وَحُشِدَ
النَّادِي مِنْ أَجْلِي ، فَلَا مَرْحَبًا بِمَا سَاءَ أَحَدًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَسَرَّئَنِي ، وَفِي النَّفْسِ
كَلَامٌ ، لَوْلَا سَابِقُ عَقْدٍ ، وَسَالِفُ عَهْدٍ ، لَشَفِيتُ غِيظِي بِخَنْصَرِي
وَبِنْصَرِي ، وَخُضْتُ لِحَبَّتِهِ بِأَخْمَصِي وَمَفَرِقِي^(٧) ، وَلَكِنِّي مُلْجَمٌ إِلَى أَنْ أَلْقَى اللَّهَ

(١) اضطبع الشيء : أدخله تحت ضبعه - أى عضديه - والمعنى هنا يشتملون عليه وينطوون . وفي شرح

ابن أبي الحديد : « يستبطونه ويضطغنون عليه » والاضطغان : الاشتغال أيضا .

(٢) جلجلان القلب : حبه . (٣) أى فى جانبه .

(٤) وفقه : صرعه وسكنه وغلبه وتركه عليلا . والشجن : الهم والحزن .

(٥) وفى ابن أبي الحديد « على أنى أعلم » . (٦) أى ملئ .

(٧) الخنصر بكسر الخاء والصاد . وفتح الصاد : الإصبع الصغير . البنصر : الإصبع بين

الوسطى والخنصر . والمعنى : لشفيت غيظى ييدى . والأخمس من باطن القدم : ما لم يصب الأرض .

المفرق كمقعد ومجلس : وسط الرأس . وهو الذى يفرق فيه الشعر .

ربي ، وعنده أحتسبُ منازل بي ، وإني غادٍ إن شاء الله إلى جماعتكم ، مبايع صاحبكم ، صابر على ماساءني وسرركم ، ليقضيَ اللهُ أَمْرًا كان مفعولا ، وكان الله على كل شيء شهيدا .

قال أبو عبيدة : فعدتُ إلى بكر رضى الله عنه . فقَصَصْتُ عليه القول على غرّه ^(١) ، ولم أختزل شيئا من حُلوه ومُرّه ، وبكرتُ غُدوةً ^(٢) إلى المسجد ، فلما كان صباحُ يومئذ ، إذا على يَحْتَرِقُ الجماعة إلى أبي بكر رضى الله عنهما فبايعه ، وقال خيرا ، ووصف جميلا ، وجلس زميتا ^(٣) ، واستأذن للقيام فمضى ، وتبعه عمر مُكرِّما له مستثيرا لما عنده .

وقام أبو بكر إليه فأخذ بيده وقال : إن عصابةً أنت منها يا أبا الحسن لمَعْصُومَةٌ ، وإن أمةً أنت فيها لمرحومة ، ولقد أصبحت عزيزا علينا ، كريما لدينا ، نخاف الله إذا سَخِطْتَ ، ونرجوه إذا رَضِيت ، ولولا أنى شُدِدتُ ^(٤) ، لما أجبْتُ إلى ما دُعِيتُ إليه ، ولكنى خِفْتُ الفُرقة ، واستثَّارَ الأنصار بالأمر على قريش ، وأُعْجِلْتُ عن حضورك ومشاورتك ، ولو كنتَ حاضرا لبايعتُك ولم أَعْدِلْ بك ، ولقد حَطَّ اللهُ عن ظَهْرِكَ ما أثقل كاهلي به ، وما أَسَدَّ مَنْ ينظر الله إليه بالكفاية ، وإنا إليك لمحتاجون ، وبفضلك عالمون ، وإلى رأيك وهديك في جميع الأحوال راغبون ، وعلى حمايتك وخفيظتك ^(٥) مُعَوِّلُونَ ، ثم انصرف وتركه مع عمر ، فالتفت علىّ إلى عمر فقال : يا أبا حفصِ والله

(١) الغرّ : كل كسر متين في ثوب أو جلد . ويقولون : اطو الثوب على غره : أى على كسره الأول كما كان مطويا . والمعنى هنا : على أصله .

(٢) الغدوة : البكرة . أو ما بين صلاة الفجر وطلوع الشمس .

(٣) الزميت ككريم : الوقور . والزميت كسكيت : أو قرمنه . (٤) شدة : دهش .

(٥) الحفيظة : اسم بمعنى المحافظة والحفاظ .

ماقعدتُ عن صاحبكم كارهاً له ^(١) ، ولا أتيتُه فرقامنه ، ولا أقول ما أقول .
تَعَلَّةً ^(٢) ، وإني لأُعْرِفُ مَسْمَى ^(٣) طرفي ، وَمَحْطَ قَدَمِي ، وَمَنْزِعَ قَوْسِي ،
وَمَوْقِعَ سَهْمِي ، ولكن قد أَرَمْتُ على فَأْسِي ^(٤) ثِقَّةَ رَبِّي في الدنيا والآخرة ،
وقد تخلفت إعذاراً إلى الله وإلى من يعلم الأمر الذي جعله لي رسول الله صلى
الله عليه وسلم ، وأتيت فبايعت حفظاً للدين ، وخوفاً من انتشار أمر الله .
فقال له عمر رضى الله عنه : كَفَّكَ غَرْبُكَ ، واستوقفَ سِرَّكَ ^(٥) .
ودع العصا بلجائها ، والدلاء على رِشائها ^(٦) ، فَإِنَّا مِنْ خَلْفِهَا وورائها ، إِن
قَدَحْنَا أَوْ رَيْنَا ، وَإِن مَتَحْنَا أَوْ رَوَيْنَا ، وَإِن قَرَحْنَا ^(٧) أَدْمَيْنَا ، وقد سمعتُ
أماثيلك التي لَغَزْتُ ^(٨) بها صادرةً عن صدر أكله الجوى ، ولو شئتُ لقلتُ
على مقاتلتك ما إن سمعته نَدِمْتَ على ماقلت ، وزعمت أنك قعدت في كسر
بيتك لما وقَدَك به رسول الله صلى الله عليه وسلم من فقدته ، فهو وقَدَك ولم
يَقِدْ غيرك ؟ بل مُصَابِه أعظم وأعمُّ من ذلك ، وإن من حقِّ مصابه أن
لا تصدع شَمْلَ الجماعة بفرقةٍ لا عصامَ لها ^(٩) ، ولا يؤمن كيد الشيطان في
بقائها ، هذه العرب حولنا ، والله لو تداءت علينا في صبح نهار لم نلتق في

(١) وفي ابن أبي الحديد « جزعا على ما صار إليه » .

(٢) التعللة والعلالة : ما يمتلئ به . (٣) اسم مكان من سما وكذا ما بعده .

(٤) الفأس من الاجام : الحديدة الفأضة في الحنك . وأزم الفرس على فأس الاجام كضرب : قبض
وعض . والمعنى هنا : كتمت ما في نفسي . (٥) الغرب : الحدة . والسرب : القطيع . وفي ابن أبي
الحديد « كفكف من غربك ، ونهته من سربك » ونهته عن الأمر : كفه وزجره . والسرب :
النفس . (٦) اللحاء : القشر . والرشاء : الحبل .

(٧) وري الزند كوى وولى : خرجت ناره وأوريته . متح الماء كنع : نزع . قرحه كنع
أيضا : جرحه . (٨) الأمايل : جمع أمثلة بالضم ، تمثل إذا أنشد بيتا ثم آخر ثم آخر وهي الأمثلة .
وفي ابن أبي الحديد « أمثالك التي ألغزت بها » وألغز كلامه وفيه ولغز : عنى مراده .

(٩) العصام : حبل تشد به القربة . ورباط كل شيء .

مَسَائِهِ ، وزعمت أن الشوق إلى اللّحاق به كَافٌّ عن الطمع في غيره ! فمن علامة الشوق إليه نُصرة دينه ومؤازرة أوليائه ومعاونتهم ، وزعمت أنك عكفت على عهد الله تجمع ما تفرق منه ، فمن العكوف على عهد الله النصيحة لعباد الله ، والرأفة على خلق الله ، وبذل ما يصلحون به ، وَيَرْشُدُونَ عليه ، وزعمت أنك لم تعلم أن التظاهر وقع عليك ، وأى حقَّ لَطَّ (١) دونك ؟ قد سمعت وعلمت ما قال الأنصار بالأمس سرا وجهراً ، وتقلّبت عليه بطننا وظهرا ، فهل ذكرتك أو أشارت بك أو وجدت رضاهم عنك ؟ هل قال أحد منهم بلسانه إنك تصلح لهذا الأمر ؟ أو أوْماً بعينه ؟ أو همهم (٢) في نفسه ، أظن أن الناس ضلّوا من أجلك ، وعادوا كفاراً زهداً فيك ، وباعوا الله تحاملاً عليك ؟ لا والله ، لقد جاءني قَيْل بن زياد الخزرجي في نفر من أصحابه ، ومعهم شُرْحَبِيل بن يعقوب الخزرجي وقالوا : إن علياً ينتظر الإمامة ، ويزعم أنه أوّلَى بها من غيره ، ويُنْكَرُ على من يعقد الخلافة ، فأنكرت عليهم ، وَرَدَدْتُ القول في منحورهم حيث قالوا : إنه ينتظر الوحي ، ويتوكّف (٣) مُنَاجَاةَ الْمَلِكِ ، فقلت : ذاك أمر طواه الله بعد نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، أكان الأمر معقوداً بالأنشُوطَة ، أو مشدوداً بأطراف لِيْطَة (٤) ؟ كلا ! والله لا عَجْمَاءَ بحمد الله إلا وقد أَفْصَحَتْ ، ولا شوكاء (٥) إلا وقد تَفَتَّحَتْ ، ومن

(١) لطفه : جعده ، وفي ابن أبي الحديد « وزعمت أن التظاهر عليك واقع ، أى تظاهر وقع عليك : وأى حق استؤثر به دونك ؟ » .

(٢) المهمة : الكلام الحق ، وفي صبح الأعشى « أوهم » .

(٣) التوكّف : التوقع والانتظار .

(٤) الأنشُوطَة : عقدة تحل إذا جذب أحد طرفيها . والليطة : قشرة القصبه .

(٥) أى ولا نبتة شوكاء يريد ذات شوك ، والذي في كتب اللغة « شجرة شاكّة بتخفيف الكاف وشوكه كفرحة وشائكة ومشبكة بضم فكسر : ذات شوك ، وحلة شوكاء : عليها خشونة

أَعْجَبَ شَأْنُكَ قَوْلُكَ: وَلَوْلَا سَالِفُ عَهْدٍ، وَسَابِقُ عَقْدٍ، لَشَفِيتُ غِيظِي بِمُخْنَصِرِي
وَبِنَصِرِي، وَهَلْ تَرَكَ الدِّينُ لِأَهْلِهِ أَنْ يَشْفُوا غِيظَهُمْ يَدَ أَوْ بِلْسَانَ؟ تِلْكَ جَاهِلِيَّةٌ
وَقَدْ اسْتَأْصَلَ اللَّهُ شَأْفَتَهَا، وَاقْتَلَعَ جُرْثُومَتَهَا، وَهَوَّرَ لَيْلَهَا، وَغَوَّرَ سَيْلَهَا،
وَأَبْدَلَ مِنْهَا الرُّوحَ وَالرَّيْحَانَ^(١)، وَالْهَدْيَ وَالْبَرْهَانَ، وَزَعَمْتَ أَنَّكَ مُلْجَمٌ،
وَلَعَمْرِي إِنْ مِنْ اتَّقَى اللَّهَ، وَآثَرَ رِضَاهُ، وَطَلَبَ مَا عِنْدَهُ، أَمْسَكَ لِسَانَهُ،
وَأَطْبَقَ فَاهُ، وَغَلَبَ عَقْلَهُ وَدِينَهُ عَلَى هَوَاهُ، وَجَمَلَ سَعْيَهُ لِمَا وَرَاهُ .
وَأَمَّا قَوْلُكَ: إِنْ لِيَ لَأَعْرِفُ مَنْزِعَ قَوْسِي، فَإِذَا عَرَفْتَ مَنْزِعَ قَوْسِكَ
عَرَفَ غَيْرُكَ مَضْرِبَ سَيْفِهِ، وَمَطْعَنَ رِمْحِهِ، وَأَمَّا مَا تَرَعِمُهُ مِنَ الْأَمْرِ الَّذِي
جَعَلَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَكَ فَتَخَلَّاتِ إِعْذَارًا إِلَى اللَّهِ وَإِلَى الْعَارِفَةِ
بِهِ مِنَ الْمَسَامِينِ، فَلَوْ عَرَفَهُ الْمَسَامُونَ لَجَنَحُوا إِلَيْهِ وَأَصْفَقُوا عَلَيْهِ، وَمَا كَانَ اللَّهُ
لِيَجْمَعَهُمْ عَلَى الْعَمَى، وَلَا لِيَضْرِبَهُمْ بِالضَّلَالِ بَعْدَ الْهَدْيِ، وَلَوْ كَانَ لِرَسُولِ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيكَ رَأْيٌ، وَعَلَيْكَ عِزْمٌ، ثُمَّ بَعَثَهُ اللَّهُ، فَرَأَى اجْتِمَاعَ
أُمَمِهِ عَلَى أَبِي بَكْرٍ لَمَّا سَفَّهَ آرَاءَهُمْ، وَلَا ضَلَّلَ أَحْلَامَهُمْ، وَلَا آثَرَكَ عَلَيْهِمْ،
وَلَا أَرْضَاكَ بِسُخْطِهِمْ، وَلَا مَرَّكَ بِاتِّبَاعِهِمْ وَالِدُخُولِ مَعَهُمْ فِيمَا ارْتَضَوْهُ لَدِينِهِمْ «
فَقَالَ عَلَى رَضَى اللَّهِ عَنْهُ: مَهْلًا يَا أَبَا حَفْصٍ. أَرْشَدَكَ اللَّهُ، خَفَّضَ عَلَيْكَ وَاللَّهُ
مَا بَذَلْتُ مَا بَذَلْتُ وَأَنَا أُرِيدُ نَكْثَهُ، وَلَا أَقَرَرْتُ مَا أَقَرَرْتُ وَأَنَا أَبْتَنِي

الجدَّة، أَقُولُ: وَقَدْ لَوْحَظَ فِي وَضْعِ شَوْكَاءٍ لِلْحَلَّةِ الْجَدِيدَةِ أَنَّ مَلْسَهَا خَشَنَ كَأَنَّهُ مَغْشَى بِالشَّوْكَ .
(١) الشَّافَةُ: الْأَصْلُ، وَقَرِحَةٌ تَخْرُجُ فِي أَسْفَلِ الْقَدَمِ فَتَكْوِي فَتَذْهَبُ، وَاسْتَأْصَلَ اللَّهُ شَأْفَتَهُ: أَزَالَهُ
مِنْ أَصْلِهِ: أَوْ أَذْهَبَهُ كَمَا تَذْهَبُ تِلْكَ الْقَرِحَةُ. وَجُرْثُومَةُ الشَّيْءِ: أَصْلُهُ، وَهَوَّرَهُ: أَزَالَهُ وَأَذْهَبَهُ .
مِنْ هَوَّرَ الْبِنَاءَ إِذَا هَدَمَهُ، وَفِي ابْنِ أَبِي الْحَدِيدِ « وَنُورَ لَيْلَهَا » وَالرُّوحُ: الرَّاحَةُ . وَالرَّيْحَانُ:
الرَّزْقُ الطَّيِّبُ .

جَوْلاً عنه ، وإنَّ أَخْسَرَ النَّاسِ صَفْقَةً عِنْدَ اللَّهِ مِنْ آثَرِ النِّفَاقِ^(١) ، واحتضن الشَّقَاقَ ، وفي اللَّهِ خَلْفٌ عَنْ كُلِّ فَائِتٍ ، وَعِوَضٌ مِنْ كُلِّ ذَاهِبٍ . وَسَلَوَةٌ عَنْ كُلِّ حَادِثٍ ، وعليه التَّوَكُّلُ فِي جَمِيعِ الْحَوَادِثِ ، أَرْجِعْ يَا أَبَا حَفْصٍ إِلَى مَنْزِلِكَ نَاقِعِ الْقَلْبِ ، مَبْرُودَ الْغَلِيلِ ، فَسِيحَ اللَّبَّانِ ، فَصِيحَ اللِّسَانِ ، فَلَيْسَ وَرَاءَ مَا سَمِعْتَ وَقَالَتُ إِلَّا مَا يَشُدُّ الْأَزَرَ ، وَيَمْحُطُ الْوِزَرَ ، وَيَضَعُ الْإِصْرَ^(٢) ، وَيَجْمَعُ الْأَلْفَةَ ، وَيَرْفَعُ الْكُلْفَةَ ، بِمَشِيئَةِ اللَّهِ ، وَحَسَنَ تَوْفِيقِهِ .

قال أبو عبيدة رضى الله عنه ، فانصرف على وعمر رضى الله عنهما ، وهذا أصعب ما مرَّ علىَّ بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم .
(صبح الأعشى ١ : ٢٣٧ ، ونهاية الأرب ٧ : ٢١٣ ، وشرح ابن أبي الحديد ٢ : ٥٩٢)

٥٨ - كتاب أبي بكر إلى أهل الرِّدَّة

كتب أبو بكر الصديق رضى الله عنه إلى قبائل العرب التي ارتدَّت عن الإسلام بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم - سنة ١١ هـ - كتاباً واحداً ، ونصه :

« بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ : مِنْ أَبِي بَكْرٍ خَلِيفَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، إِلَى مَنْ بَلَغَهُ كِتَابِي هَذَا مِنْ عَامَّةٍ وَخَاصَّةٍ ، أَقَامَ عَلَى إِسْلَامِهِ أَوْ رَجَعَ عَنْهُ .

سَلَامٌ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى ، وَلَمْ يَرْجِعْ بَعْدَ الْهُدَى إِلَى الضَّلَالَةِ وَالْعَمَى ، فَإِنِّي أَحْمَدُ إِلَيْكُمْ اللَّهَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ

(١) وفي ابن أبي الحديد « من استبطن النفاق » .

(٢) اللبان : الصدر . الأزر : الظهر والقوة . الإصر : الذنب والثقل .

لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، وأقرُّ بما جاء به ، وأكفر من أبي وأجاهده .

أما بعد ، فإن الله تعالى أرسل محمداً بالحق من عنده إلى خلقه بشيراً ونذيراً ، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً ، لينذر من كان حياً ، ويحقِّق القول على الكافرين ، فهدى الله للحق من أجاب إليه ، وضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم بإذنه من أدبر عنه ، حتى صار إلى الإسلام طوعاً وكرهاً ، ثم توفى الله رسوله صلى الله عليه وسلم وقد نفذ لأمر الله ، ونصح لأُمته ، وقضى الذى عليه ، وكان الله قد بين له ذلك ولأهل الإسلام ، فى الكتاب الذى أنزله فقال : « إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ » وقال : « وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمْ الْخَالِدُونَ » وقال للمؤمنين : « وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ ، وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً ، وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ » فمن كان إنما يعبد محمداً ، فإن محمداً قد مات ، ومن كان إنما يعبد الله وحده لا شريك له ، فإن الله له بالمرصاد حتى قيوم^(١) لا يموت ، ولا تأخذه سنة^(٢) . ولا نوم ، حافظ لأمره ، منتقم من عدوه بحزبه .

وإني أوصيكم بتقوى الله وحفظكم ونصيبيكم من الله ، وما جاءكم به نبيكم صلى الله عليه وسلم ، وأن تهتدوا بهداه ، وأن تعتصموا بدين الله ، فإن

(١) المرصاد : الطريق . وفلان يرصد فلاناً أى يقعد له على طريقه يترقبه . والمعنى أن الله يرصد كل إنسان حتى يحجزه بأعماله لا يهوته منها شيء . القيوم : الدائم القيام بتدبير خلقه وحفظه .

(٢) السنة : فتور يتقدم النوم . قال ابن الرقاع :

وسنان أقصده النعاس فرقت فى عينه سنة وليس بنائم

كل من لم يَهْدِهِ الله ضالًّا ، وكل من لم يُعَافِهِ مُبْتَلًى ، وكل من لم يُعِنِّهُ مَخْذُول .
فمن هُداه الله كان مهتديًا ، ومن أضله كان ضالًّا ، قال الله تعالى : « مَنْ يَهْدِ
اللهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِّ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا » ولم يُقْبَلْ منه في
الدنيا عمل حتى يُقَرَّ بِهِ ، ولم يُقْبَلْ منه في الآخرة صَرْف ولا عَدْل^(١) .

وقد بلغنى رجوع من رَجَعَ منكم عن دينه بعد أن أقرَّ بالإسلام وعَمِلَ به
اغترارًا بالله ، وجهالة بأمره ، وإجابة للشيطان ، قال الله جلَّ ثناؤه :
« وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ
فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ
بُنُسٍ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا » وقال جلَّ ذكره : « إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ
عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ » .

وإني أنفذتُ إليكم فلانًا في جيش من المهاجرين والأنصار والتابعين
بإحسان ، وأمرته أن لا يقاتل أحداً ولا يقتله ، حتى يدعوه إلى داعية الله ،
فمن استجاب له وأقرَّ وكفَّ وعَمِلَ صالحًا ، قَبِلَ منه وأعاناه عليه ، ومن أبى
أمرته أن يقاتله على ذلك ، ثم لا يُبْقِ على أحد منهم قَدَرٍ عليه ، وأن يُحَرِّقَهُم
بالنيران ، ويقتلَهُم كلَّ قِتْلَةٍ ، وأن يَسْبِيَ النساء والذراري ، ولا يقبل من أحد
إلا الإسلام ، فمن اتبعه فهو خير له ، ومن تركه فلن يُعْجِزَ الله .

وقد أمرتُ رسولى أن يقرأ كتابي في كل مَجْمَعٍ لكم ، والداعيةُ
الأذانُ ، فإذا أذَّن المسلمون فأذَّنوا ، كفُّوا عنهم ، وإن لم يؤذَّنوا عاجلُهم ،

وإن أذنوا سألوهم ما عليهم ، فإن أبوا عاجلهم ، وإن أقرؤا قبل منهم وحملهم
على ما ينبغي لهم . (تاريخ الطبري ٣ : ٢٢٦ ، وصبح الأعشى ٦ : ٢٨٤)

٥٩ - كتابه لأمرأ جيوش الردة

وعقد رضى الله عنه أحد عشر لواء لمحاربة المرتدين ، وكتب لأمرأ
الجيوش عهداً ، هذا نصه :

« بسم الله الرحمن الرحيم : هذا عهد من أبى بكر خليفة رسول الله
صلى الله عليه وسلم لفلان حين بعثه فيمن بعثه لقتال من رجع عن الإسلام ،
عهد إليه أن يتقي الله ما استطاع في أمره كله ، سره وعلايته ، وأمره بالجذ
في أمر الله ، ومجاهدة من تولى عنه ، ورجع عن الإسلام إلى أمانى
الشیطان ، بعد أن يُعذر إليهم ، فيدعوهم بداعية الإسلام ، فإن أجابوه أمسك
عنهم ، وإن لم يجيبوه شن غارته عليهم^(١) حتى يقرؤا له ، ثم يُببئهم بالذى
عليهم والذى لهم ، فيأخذ ما عليهم ، ويعطيهم الذى لهم ، لا يُنظرم^(٢) ، ولا
يرد المسلمين عن قتال عدوهم ، فمن أجاب إلى أمر الله عز وجل ، وأقر له ،
قب ذلك منه ، وأعانه عليه بالمعروف ، وإنما يقاتل من كفر بالله ، على
الإقرار بما جاء من عند الله ، فإذا أجاب الدعوة لم يكن له عليه سبيل ،
وكان الله حسيبه بعد فيما استسربه^(٣) ، ومن لم يحب داعية الله قتل وقوتل
حيث كان ، وحيث بلغ مراغمه^(٤) ، لا يقبل من أحد شيئاً أعطاه إلا الإسلام

(١) شن الغارة عليهم : صباها من كل وجه .

(٢) أى لا يؤخرهم . (٣) استسمر : استقر . (٤) المراغم : المهاجر (اسم مكان) .

فمن أجابه وأقرَّ به قبلَ منه وعلمه ، ومن أبى قاتله ، فإن أظهره الله عليه قتلَ فيهم كلَّ قِتْلَةٍ بالسلاح والنيوان ، ثم قَسَمَ ما أفاء الله عليه إلا الخمس فإنه يُبَلِّغُناه ، وأن يمنع أصحابه العَجَلَةَ والفساد ، وأن لا يُدْخِلَ فيهم حَشَوا حتى يعرفهم ويعلم ما هم ، لئلا يكونوا عُيُونًا ، ولئلا يُؤْتَى المسلمون من قبلهم ، وأن يقصدَ بالمسلمين ، ويرفقَ بهم في السير والمنزل ، ويتفقدَهم ولا يُعْجَلُ بعضهم عن بعض ، ويستوصي بالمسلمين في حُسن الصُّحبة ولين القول .
(تاريخ الطبري ٣ : ٢٢٧ ، وصبح الأعشى ١٠ : ١٩٢)

٦٠ - كتاب خالد بن الوليد إلى أبي بكر

وسير أبو بكر خالد بن الوليد رضى الله عنهما لقتال طليحة بن خويلد الأسدي - وكان قد ادَّعى النبوة في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واستطار أمره ، واجتمعت إليه غطفان وطئ - فناجزهم خالد على بُراخة^(١) ، وكان بنو عامر قريباً منهم يقدمون رجلاً ويؤخرون أخرى ، يتربصون على من تكون الدبرة^(٢) ، فلما أحيط بأسد وغطفان ، وفرَّ طليحة^(٣) ، أقبل بنو عامر يقولون : ندخل فيما خرجنا منه ، ونؤمن بالله ورسوله ، ونسلم لحكمه في أموالنا وأنفسنا ، فبايعهم ولم يقبل منهم إلا أن يأتوه بالذين حرَّقوا ومثلوا وعدوا على أهل الإسلام في حال ردِّتهم ، فأتوه بهم ، فقبل منهم إلا قرَّة ابن هبيرة^(٤) ونفرا معه أوثقهم ، ومثل بالذين عدوا على الإسلام ، فأحرقهم

(١) بُراخة : ماء من مياه بني أسد بأرض نجد . (٢) الدبرة : الهزيمة في القتال .

(٣) وقد لحق بالشام ثم أسلم هناك حين بلغه أنه أسدا وغطفان وعادوا فأسلموا .

(٤) وكان على سادتهم وقادتهم في كعب ، وهي بطن من عامر .

بالنيران ، ورضخهم بالحجارة ، ورعى بهم من الجبال ، ونكسهم في الآبار ،
وخزق^(١) بالنبال ، وبعث بقرة وبالأسارى ، وكتب إلى أبي بكر :
« إن بنى عامر أقبلت بعد إعراض ، ودخلت في الإسلام بعد ترئص ،
وإني لم أقبل من أحد قاتلني أو سلمني شيئاً حتى يحيئونى بمن عدا على المسلمين ،
فقتلتهم كل قتل ، وبعثت إليك بقرة وأصحابه » . (تاريخ الطبرى ٣ : ٢٢٣)

٦١ - رد أبي بكر على كتاب خالد

فكتب أبو بكر إلى خالد رضى الله عنهما :
« ليزدك ما أنعم الله به عليك خيراً ، واتق الله في أمرك فـ » « إِنَّ اللَّهَ مَعَ
الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ » جُدَّ في أمر الله ، ولا تَنِينَ ، ولا تظفرن
بأحد قتل المسلمين إلا قتلته ، ونكلت^(٢) به غيره ، ومن أصبت^(٣) ممن حادَّ
الله أو ضادّه ، ممن ترى أن في ذلك صلاحاً فأقتله » . (تاريخ الطبرى ٣ : ٢٢٣)

٦٢ - كتاب أبي بكر إلى عكرمة بن أبي جهل

وبعث أبو بكر رضى الله عنه عكرمة بن أبي جهل إلى مسيئة ، وبنى
حنيفة باليمامة ، وأتبعه شرحبيل بن حسنة ، فعجل عكرمة ، فبادر شرحبيل
ليذهب بصوتها^(٤) ، فواقعهم فنكبوه ، وأقام شرحبيل بالطريق حيث أدركه

(١) رضخهم : أى رماهم ، وراضخه : رماه بالحجارة ، وهم يراضخون بالسهم أى يترامون ، وخزقه
كضربه : طعنه . (٢) نكل به تنكيلاً : صنع به صنيعاً يحذر غيره ، والنكال : ما نكلت به غيرك .
(٣) في الأصل « ومن أحببت » وأراه محرفاً وصوابه ما ذكرت . وحاده : غاضبه وخالفه .
(٤) أى ليكون له فضل الفوز خاصة .

الخبر ، وكتب عكرمة إلى أبي بكر بالذي كان من أمره ، فكتب إليه أبو بكر :

« يابن أم عكرمة ، لا أَرَيْنَكَ وَلَا تَرَانِي عَلَى حَالِهَا^(١) ، لا ترجع فتوهن^(٢) الناس ، أمض على وجهك حتى تساند حذيفة وعزة^(٣) ، فقاتل معهما أهل عَمَانَ ومَهْرَةَ ، وإن شغلا فامض أنت ، ثم تسير وتسير جندك تستبرئون من مررتهم به ، حتى تلتقوا أنتم والمهاجر بن أبي أمية باليمن وحضر موت » .
(تاريخ الطبري ٢ : ٢٤٣)

٦٣ - عهد خالد بن الوليد لبني حنيفة

ثم كتب أبو بكر رضى الله عنه إلى خالد بن الوليد أن يسير إلى مسيلمة ، فسار إليه ، واقتتل الفريقان قتالا شديداً ، ودارت الدائرة على بني حنيفة ، وقُتل مسيلمة ، فقال مجاعة بن مُرارة - أحد سادات بني حنيفة - إنه والله ما جاءك إلا سرعان^(٤) الناس ، وإن جماهيرهم لفي الحصون ، فهلم لأصالحك على قومي ، وكان المسلمون قد نهكتهم الحرب ، واستحروا^(٥) فيهم القتل ، ففتح خالد إلى الصلح ، وكتب لهم بذلك كتاباً نصه :
« هذا ما قاضى عليه خالد بن الوليد مجاعة بن مُرارة وسلمة بن عُميير وفلاناً

(١) وقال الطبري في موضع آخر « ٢ : ٢٦٢ » :

وكتب إلى عكرمة بعنه لتسرع ويقول : « لا أرينك ولا أسمع بك إلا بعد بلاء » .

(٢) وهنه : أضعفه . (٣) وكان أبو بكر رضى الله عنه سير حذيفة بن محصن إلى أهل دبا ،

وعزة بن هرثة إلى مهرة . (٤) سرعان الناس بالتحريك وسرعانهم يسكون الراء : أوائلهم

المستبقون إلى الأمر . (٥) استحروا : اشتد .

وفلانا، قاضاهم على الصَّفراء والبيضاء ، ونصف السَّبي^(١)، والحلقة والكراع^(٢) وحائطٍ من كل قرية ومزرعة على أن يُسلموا ، ثم أنتم آمنون بأمان الله ، ولكم ذمة خالد بن الوليد ، وذمة أبي بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذمم المسلمين على الوفاء . (تاريخ الطبرى ٣ : ٢٥٣)

٦٤ - كتاب أبي بكر إلى خالد بن الوليد

ثم إن خالدًا تزوج ابنة مجاعة بن مُرارة ، فبلغ ذلك أبا بكر فكتب إليه كتاباً يَقْطُرُ الدَّم :

« لعمرى يا بن أمّ خالد ، إنك لفارغ تنكح النساء ، وبِفِناء بيتك دَم ألف ومائتى رجل من المسلمين لم يجف بعد » .

فلما نظر خالد فى الكتاب جعل يقول : هذا عملُ الأعيسر^(٣) ، يعنى عمر بن الخطاب . (تاريخ الطبرى ٣ : ٢٥٤)

(١) وكان قد صالحه أولاً على نصف السبي ، فقال مجاعة : أنطلق إليهم فأشاورهم وتنظر فى هذا الأمر ثم أرجع إليك ، فدخل مجاعة الحصون وليس فيها إلا النساء والصبيان ومشيخة فانية ورجال ضعفي ، فظاهر الحديد على النساء ، وأمرهن أن ينثرن شعورهن ، وأن يشرفن على رؤوس الحصون حتى يرجع إليهم ، ثم أتى خالدًا فقال : قد أبوا أن يجيزوا ما صنعت وقد أشرف لك بعضهم تقضا على وهم منى براء ، فنظر خالد إلى رؤوس الحصون ، وقد اسودت ، غالفها ممتلئة بالرجال وعليهم الحديد ، فقال مجاعة : إن شئت صنعت شيئاً فعزمت على القوم ، قال : ما هو ؟ قال : تأخذ منى ربع السبي وتدع ربعاً ، قال خالد : قد فعلت ، قال : قد صالحتك ، فلما فرغاً فتحت الحصون فإذا ليس فيها إلا النساء والصبيان ! فقال خالد لمجاعة : ويحك خدعتنى ! قال : قومى ، ولم أستطع إلا ما صنعت .

(٢) الحلقة : البرع ، والكراع : اسم يجمع الخيل .

(٣) الأعيسر مصغر الأعسر : وهو من يعمل بالشمال (وهو أعسر يسر - كسبب - أى يعمل يديه جميعاً) .

٦٥ - كتاب العلاء بن الحضرمي إلى أبي بكر

وكتب العلاء بن الحضرمي ، وهو على قتال المرتدين بالبحرين ، إلى أبي بكر رضى الله عنه :

« أما بعد ، فإن الله تبارك وتعالى فجر لنا الدهناء^(١) فيضاً لا تثرى غوارب^(٢) ، وأرانا آيةً وعبرة بعد غمٍّ وكرب^(٣) ، لنحمد الله ونمجده ، فادعُ الله واستنصره لجنوده وأعوان دينه »

فحمد أبو بكر الله ودعاه . (تاريخ الطبري ٣ : ٢٦٠)

٦٦ - كتاب العلاء إلى أبي بكر

ثم كتب إليه العلاء بهزيمة أهل الخندق وقتل الحطيم بن ضبيعة^(٤) :
« أما بعد : فإن الله تبارك اسمه سلب عدونا عقولهم ، وأذهب ريحهم ، بشراب أصابوه من النهار ، فاقتحمنا عليهم خندقهم ، فوجدناهم سُكاري^(٥) ، فقتلناهم إلا الشريد ، وقد قتل الله الحطيم »

(تاريخ الطبري ٣ : ٢٦١)

(١) الدهناء : من ديار بني تميم . (٢) غوارب الماء : أعلى موجه .
(٣) وذلك أن العلاء سلك بالمسلمين الدهناء ، حتى إذا كانوا في بحبوحتها نزل وأمر الناس بالنزول ، ففرت الإبل في جوف الليل حتى لم يبق لهم يعير ولا زاد ، فغشيه من الغم ما غشيه ، فقال لهم العلاء : أيها الناس لا تراعوا ، ألتستم مسلمين ، ألتستم في سبيل الله ، ألتستم أنصار الله ؟ قالوا : بلى ، قال : فأبشروا فوالله لا يخذل الله من كان في مثل حالكم ، فلما صلوا الصبح دعا ودعوا معه ، حتى لمع لهم ماء فشوا إليه ، فشربوا واغتسلوا ، فما تعالى النهار حتى أقبات الإبل من كل وجه ، فأناخت فقام كل رجل إلى ظهره فأخذه .

(٤) هو الحطيم بن ضبيعة أخو بني قيس بن ثعلبة ، وكان متولى جيش المرتدين .
(٥) خندق كل من المشركين والمسلمين على نفسه ، وكانوا يتراوحوون القتال ويرجعون إلى خندقهم فكانوا كذلك شهراً ، فبينما الناس ليلة إذ سمع المسلمون في عسكر المشركين ضوضاء شديدة كأنها ضوضاء هزيمة أو قتال . فقال العلاء : من بأتينا بنجر القوم ؟ فجاء الخبر أن القوم سُكاري ، ففرج المسلمون عليهم حتى اقتحموا عسكرهم ووضعوا فيهم السيوف ، واستولوا على ما في العسكر وقتل الحطيم .

٦٧ - كتاب أبي بكر إلى العلاء

فكتب إليه أبو بكر :

« أما بعد : فَإِنْ بَلَغَكَ عَنْ بَنِي شَيْبَانَ بْنِ ثَعْلَبَةَ تَمَامٌ عَلَى مَا بَلَغَكَ
وَخَاضَ فِيهِ الْمُرْجِفُونَ^(١) ، فَأَبْعَثْ إِلَيْهِمْ جُنْدًا فَأَوْطِئْهُمْ وَشَرِّدْ بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ »
فَلَمْ يَجْتَمِعُوا وَلَمْ يَصِرْ ذَلِكَ مِنْ إِرْجَافِهِمْ إِلَى شَيْءٍ (تاريخ الطبري ٣ : ٢٦١)

٦٨ - كتاب أبي بكر إلى الطاهر بن أبي هالة

وَانْتَقَضَ بِتِهَامَةِ عَكَ وَالْأَشْعُرُونَ ، حِينَ بَلَغَهُمْ مَوْتَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَتَجَمَّعَ مِنْهُمْ طَخَارِيرُ^(٢) ، وَأَقَامُوا عَلَى الْأَغْلَابِ^(٣) طَرِيقَ
السَّاحِلِ ، وَتَأَشَّبَ إِلَيْهِمْ أَوْزَاعُ^(٤) عَلَى غَيْرِ رَيْئِيسٍ ، فَسَارَ إِلَيْهِمُ الطَّاهِرُ
ابْنُ أَبِي هَالَةَ وَمَعَهُ مَسْرُوقُ الْعَكِيِّ ، وَكَتَبَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ بِمَسِيرِهِ إِلَيْهِمْ ، فَأَجَابَهُ :
« بَلِّغْنِي كِتَابَكَ تُخْبِرُنِي فِيهِ مَسِيرَكَ ، وَاسْتَنْفَارَكَ مَسْرُوقًا وَقَوْمَهُ إِلَى
الْأَخَابِثِ^(٥) بِالْأَغْلَابِ ، فَقَدْ أَصَبْتَ ، فَعَايَلُوا هَذَا الضَّرْبَ ، وَلَا تَرْفُوهَا^(٦)
عَنْهُمْ ، وَأَقِيمُوا بِالْأَغْلَابِ حَتَّى يَأْمَنَ طَرِيقُ الْأَخَابِثِ ، وَيَأْتِيَكُمُ أَمْرِي^(٧) » .
(تاريخ الطبري ٣ : ٢٦٥)

(١) يقال : تَمَّ عَلَى الْأَمْرِ وَتَمَّ عَلَيْهِ (بفتحات) أى استمر عليه . وأرجفوا : خاضوا فى أخبار
الفتن ونحوها .

(٢) طخارير : جمع طخور (كعصفور) أى أشابة من الناس متفرقون (والأشابة بالضم : الأخطا) .
(٣) أرض لك بين مكة والساحل . (٤) أوزاع : أى فرق وجماعات ، ولا واحداً ،
وتأشبوا إليهم : انضموا . (٥) وقد سميت تلك الجموع من عك ومن تأشب إليهم « الأخابث »
وسمى ذلك الطريق طريق الأخابث . (٦) رفه عنه : نفس .

(٧) وقد التقى بهم الطاهر فاقتتلوا فهزمهم الله وقتلهم كل قتلة ، وأنتنت السبل لقتلهم . وكان
مقتلهم فتحاً عظيماً .

٦٩ - كتاب أبي بكر إلى وجوه اليمن

وكتب أبو بكر رضى الله عنه إلى وجوه من وجوه أهل اليمن :
 « من أبي بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عُمَيْر بن أَفْلَحَ
 ذى مَرَّانَ، وسَعِيد بن العاقب ذى زُود، وَسَمِيع^(١) بن نا كور ذى الكلاع،
 وَحَوْشَب ذى ظَلِيم، وشَهْر ذى يناف :
 أما بعدُ : فَأَعِينُوا الْأَبْنَاءَ^(٢) عَلَى مَنْ نَاوَأَهُمْ، وَحُوطُوم^(٣)، واسْمَعُوا مِنْ
 فَيْرُوزَ، وَجِدُّوا مَعَهُ فَإِنِى قَدْ وَلِيَّتْهُ » . (تاريخ الطبرى ٣ : ٢٦٦)

٧٠ - كتاب أبي بكر إلى المهاجر بن أبي أمية

وكتب أبو بكر رحمه الله إلى المهاجر بن أبي أمية، وهو على قتال كِنْدَةَ
 بِحَضْرَمَوْتَ حين ارتدت :
 « إِذَا جَاءَكُمْ كِتَابِى هَذَا وَلَمْ تَظْفَرُوا، فَإِنْ ظَفِرْتُمْ بِالْقَوْمِ فَاقْتُلُوا الْمُقَاتِلَةَ،
 واسْبُوا الدَّرِيَّةَ إِنْ أَخَذْتُمُوهُمْ عَنُوءَةً أَوْ يَنْزِلُوا عَلَى حُكْمِى، فَإِنْ جَرَى بَيْنَكُمْ
 صِلْحٌ قَبْلَ ذَلِكَ، فَعَلَى أَنْ تُخْرِجُوهُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ، فَإِنِى أَكْرَهُ أَنْ أَقِرَّ أَقْوَامًا
 فَعَلُوا فِعْلَهُمْ فِي مَنَازِلِهِمْ، لِيَعْلَمُوا أَنَّ قَدْ أَسَاءُوا، وَلِيَذُوقُوا وَبَالَ بَعْضِ
 الَّذِى أَتَوْا » . (تاريخ الطبرى ٣ : ٢٧٤)

(١) وقد تضم سينه وحيث يجب كسر الفاء .

(٢) الأبناء : هم قوم من الفرس استوطنوا اليمن، وهم الذين أرسلهم كسرى مع سيف بن ذى يزن
 لما جاء يستجدهم على الحبشة، فنصروه وملكوا اليمن وتزوجوا في العرب، فليل الأولادهم الأبناء،
 وغلب عليهم هذا الاسم لأن أمهاتهم من غير جنس آبائهم (كغلبة الأنصار) وفيروز منهم .
 (٣) أى احفظوهم وصونوهم .

٧١ - كتاب أبي بكر إلى عمال الردة

وكتب أبو بكر رضى الله عنه إلى عمال الردة :

« أما بعدُ : فَإِنَّ أَحَبَّ مَنْ أُدْخِلْتُمْ فِي أُمُورِكُمْ إِلَى مَنْ لَمْ يَرْتَدَّ ، وَمَنْ كَانَ مِنْ لَمْ يَرْتَدَّ ، فَأَجْمِعُوا عَلَى ذَلِكَ ، فَاتَّخِذُوا مِنْهَا صَنَائِعَ ، وَأَذِّنُوا لِمَنْ شَاءَ فِي الْأَنْصَرَفِ ، وَلَا تَسْتَعِينُوا بِمَرْتَدٍّ فِي جِهَادِ عَدُوِّكُمْ . » (تاريخ الطبري ٣ : ٢٧)

٧٢ - كتاب أبي بكر إلى المهاجر بن أبي أمية

وَوَقَعَ إِلَى الْمُهَاجِرِ بْنِ أَبِي أُمِيَّةٍ امْرَأَتَانِ مَغْنِيَّتَانِ ، غَنَّتْ إِحْدَاهُمَا بِشْتَمِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَطَعَ يَدَهَا ، وَنَزَعَ ثَنِيَّتَهَا^(١) ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ أَبُو بَكْرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ :

« بَلَّغْنِي الَّذِي سِرَّتَ بِهِ فِي الْمَرْأَةِ الَّتِي تَغَنَّتْ وَزَمَرَتْ بِشْتِمَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَلَوْلَا مَا قَدْ سَبَقْتَنِي فِيهَا لِأَمْرَتِكَ بِقَتْلِهَا ، لِأَنَّ حَدَّ الْأَنْبِيَاءِ لَيْسَ يُشَبَّهِ الْحُدُودَ ، فَمَنْ تَعَاطَى ذَلِكَ مِنْ مُسْلِمٍ فَهُوَ مُرْتَدٌّ ، أَوْ مُعَاهِدٌ فَهُوَ مُحَارِبٌ غَادِرٌ . » (تاريخ الطبري ٣ : ٢٧٧)

٧٣ - كتاب أبي بكر إلى المهاجر

وكتب إليه أبو بكر في التي تغنّت بهجاء المسلمين :

« أما بعدُ : فَإِنَّهُ بَلَّغْنِي أَنَّكَ قَطَعْتَ يَدَ امْرَأَةٍ فِي أَنْ تَغَنَّتْ بِهِجَاءِ

(١) الثنية : واحدة الثنايا من الأسنان ، وهي الأربع التي في مقدم الفم ، ثنتان من فوق وثنتان

من أسفل .

المسلمين ونَزَعَتْ ثَنِيَّتَهَا ، فَإِنْ كَانَتْ مِمَّنْ تَدَّعِي الْإِسْلَامَ فَأَدَبُ وَتَقْدِمَةُ دُونَ الْمُثَلَّةِ^(١) ، وَإِنْ كَانَتْ ذِمِّيَّةً فَلَعَمْرِي لَمَّا صَفَحْتَ عَنْهُ مِنَ الشَّرْكِ أُعْظِمَ ، وَلَوْ كُنْتُ تَقَدَّمْتُ إِلَيْكَ فِي مِثْلِ هَذَا لَبَلَّغْتُ مَكْرُوهًا ، فَأَقْبِلِ الدَّعَاةَ ، وَإِيَّاكَ وَالْمُثَلَّةَ فِي النَّاسِ فَإِنَّهَا مَأْتَمٌّ وَمُنْفَرَّةٌ ، إِلَّا فِي قِصَاصٍ » . (تاريخ الطبري ٣ : ٢٧٧)

٧٤ - كتاب أبي بكر إلى خالد بن الوليد ومن معه

وكان أبو بكر رضى الله عنه قد بعث المُثَنَّى بن حارثة الشَّيْبَانِيَّ على جيش إلى العراق ، فَقَدِمَ العراقَ فقاتَلَ وَأَغَارَ عَلَى أَهْلِ فَارِسَ وَنَوَاحِي السَّوَادِ ، فَقَاتَلَ حَوْلاً أَوْ نَحْوَهُ ، ثُمَّ بَعَثَ أَخَاهُ مَسْعُودَ بْنَ حَارِثَةَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ يَسْتَعِذُّ بِهِ ، فَكَتَبَ أَبُو بَكْرٍ إِلَى خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ ، وَهُوَ بِالْيَمَامَةِ .

« بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . مِنْ عَبْدِ اللَّهِ أَبِي بَكْرٍ خَلِيفَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى عَلَيْهِ اللَّهُ وَسَلَّمَ إِلَى خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالتَّابِعِينَ بِإِحْسَانٍ ، سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ، فَإِنِّي أَحْمَدُ إِلَيْكُمْ اللَّهَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ، أَمَّا بَعْدُ ، فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْجَزَ وَعْدَهُ ، وَنَصَرَ دِينَهُ ، وَأَعَزَّ وَلِيَّهُ ، وَأَذَلَّ عَدُوَّهُ ، وَغَلَبَ الْأَحْزَابَ فَرْدًا ، فَإِنَّ اللَّهَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ، وَعَدَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ، وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ ، وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ، وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ، وَوَعَدًا لَا خُلْفَ لَهُ ، وَمَقَالًا لَا رَيْبَ فِيهِ ، وَفَرَضَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ الْجِهَادَ ، فَقَالَ

(١) مثل به : كنصر مثلاً بالفتح ومثلة بالضم ، ومثّل به تمثيلاً : نكل به .

عَنْ مَنْ قَاتِلٌ : « كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ، وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ، وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ، وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ » فَاسْتَمْتُمُوا مَوْعِدَ اللَّهِ إِيَّاكُمْ ، وَأَصْبَحُوا فِيهِ فَرَضٌ عَلَيْكُمْ ، وَإِنْ عَظُمَتْ فِيهِ الْمَوْتَةُ ، وَاسْتَدَّتْ فِيهِ الرِّزْيَةُ ، وَبُعِدَتْ فِيهِ الشَّقَّةُ ^(١) ، وَفُجِعْتُمْ فِي ذَلِكَ بِالْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ ، فَإِنْ ذَلِكَ يَسِيرٌ فِي عَظِيمِ ثَوَابِ اللَّهِ ، وَلَقَدْ ذَكَرْنَا لَنَا الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ الشَّهَدَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَاهِرِينَ سَيُوفَهُمْ لَا يَتَمَنُّونَ عَلَى اللَّهِ شَيْئًا إِلَّا آتَاهُمُوهُ ، حَتَّى أُعْطُوا أَمَانِيَهُمْ ، وَمَا لَمْ يَخْطُرْ عَلَى قُلُوبِهِمْ ، فَمَا شَيْءٌ يَتَمَنَاهُ الشَّهِيدُ بَعْدَ دَخُولِهِ الْجَنَّةَ ! إِلَّا أَنْ يَرُدَّهُمُ اللَّهُ إِلَى الدُّنْيَا ، فَيُقَرَّضُونَ ^(٢) بِالْمَقَارِيضِ فِي اللَّهِ لِعَظِيمِ ثَوَابِ اللَّهِ ، انْفِرُوا - رَحِمَكُمُ اللَّهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ - خِفَافًا وَثِقَالًا ، وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ، فَقَدْ أَمَرْتُ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ بِالْمَسِيرِ إِلَى الْعِرَاقِ لَا يَبْرَحُهُ حَتَّى يَأْتِيَهُ أَمْرِي ، فَسِيرُوا مَعَهُ ، وَلَا تَتَأَقَّلُوا عَنْهُ ، فَإِنَّهُ سَبِيلُ يُعْظِمُ اللَّهُ فِيهِ الْأَجْرَ لِمَنْ حَسَدَتْ فِيهِ نِيَّتُهُ ، وَعَظُمَتْ فِي الْخَيْرِ رَغْبَتُهُ ، فَإِذَا قَدِمْتُمُ الْعِرَاقَ فَكُونُوا بِهَا حَتَّى يَأْتِيَكُمْ أَمْرِي ، كَفَانَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ مُهِمَّ أُمُورِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ

(فتوح الشام للأزدي ص ٤٦)

(١) الشقة بالضمة والكسر : الناحية يفصدها المسافر ، والسفر البعيد ، والمشقة .
 (٢) أى فيجوزون بما فعلوا في سبيل الله ، قرضه كضربه : جازه كفارضه ، والمقاريض جمع مقروض بمعنى قرض وهو البلاء الحسن . قال تعالى : « مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا » وأصل القرض : ما يعطيه الرجل أو يفعله ليجازى عليه ، والله عز وجل لا يستقرض من عوز ولكنه يبلو عباده ، فعنى يقرض : يفعل فعلا حسنا في اتباع أمر الله وطاعته .

٧٥ - كتاب أبي بكر إلى المثنى بن حارثة

وكتب أبو بكر رضى الله عنه مع مسعود بن حارثة إلى المثنى بن حارثة :
« أما بعد ، فإنى قد بعثت إليك خالد بن الوليد إلى أرض العراق ،
فاستقبله بمن معك من قومك ، ثم ساعده ووازره وكانفه^(١) ، ولا تعصين له
أمراً ، ولا تخالفن له رأياً ، فإنه من الذين وصف الله تبارك وتعالى في كتابه
فقال : « مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ
رُكَّعًا سُجَّدًا » فما أقام معك فهو الأمير ، فإن شَخَصَ عنك فأنت على
ما كنت عليه ، والسلام عليك . (فتوح الشام للأزدى ص ٥١)

٧٦ - كتاب مذعور بن عدى إلى أبي بكر

وكتب رجل من بنى عجل يقال له مذعور بن عدى إلى أبي بكر
رضى الله عنه :
« أما بعد : فإنى امرؤ من بنى عجل أحلاس الخيل ، وفرسان الصباح^(٢) ،
ومعى رجال من عشيرتى ، الرجل منهم خير من مائة رجل ، ولى علم بالبلد ،
وجُرأة على الحرب ، وبَصَر^(٣) بالأرض ، فواللنى أمر السَّواد أ كَفِكَهُ إن شاء
الله ، والسلام عليك . (فتوح الشام للأزدى ص ٥٢)

(١) وازره وكانفه : ساعده وعاونه .

(٢) الأحلاس : جمع جلس بالكسر ، وهو كساء يكون على ظهر البعير والدابة تحت الرجل والقتب
والسرج ، والمعنى : أنهم يلزمون ظهور الخيل كالحلس اللازم لظهر الفرس ، وفرسان الصباح : أى
يشنون الغارة على عدوهم وقت البكرة . (٣) فى الأصل « ونصر » وهو تصحيف .

٧٧ - كتاب المثني بن حارثة إلى أبي بكر

وكتب المثني بن حارثة إلى أبي بكر رضى الله عنه :
« أما بعدُ : فأني أخبر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم أن امرأً من
قومنا يقال له مذعور بن عدى أحد بني عجل في عدد يسير ، وأنه أقبلَ ينازعني
ويخالفني ، فأحببتُ إعلامك ذلك ، لِتَرى رأيك فيما هنالك ، والسلام .
(فتوح الشام ص ٥٢)

٧٨ - كتاب أبي بكر إلى مذعور بن عدى

فكتب أبو بكر رضى الله عنه إلى مذعور بن عدى :
« أما بعدُ : فقد أتاني كتابك ، وفهمتُ ما ذكرت ، وأنت كما وصفتَ
به نفسك ، وعشيرُك نِعَمَ العشيرة ، وقد رأيت لك أن تنضمَّ إلى خالد
ابن الوليد فتكونَ معه ، وتقيمَ معه ما أقام بالعراق ، وتشخصَ معه إذا
شخصَ منها » . (فتوح الشام ص ٥٣)

٧٩ - كتاب أبي بكر إلى المثني بن حارثة

وكتب إلى المثني بن حارثة :
« بسم الله الرحمن الرحيم . أما بعدُ ، فإن صاحبك العجليَّ كتب إليَّ
يسألني أمورًا ، فكتبتُ إليه أمرُهُ بلزوم خالد حتى أرى رأيي ، وهذا كتابي
إليك أمرك ألاَّ تبرحَ العراقَ حتى يخرجَ منه خالد بن الوليد ، فإذا خرج
(١-٩)

خالد منه فالزَمَ مكانك الذي كنت به ، فأنت أهل لكل زيادة ، وجدير بكل فضل ، والسلام عليك ورحمة الله . (فتوح الشام ص ٥٣)

٨٠ - كتاب أبي بكر إلى خالد بن الوليد

وروى الطبري أنه لما فرغ خالد بن الوليد من حرب المرتدين باليمامة ، كتب إليه أبو بكر الصديق رضي الله عنه - أول سنة ١٢ هـ أن : « سرّ إلى العراق حتى تدخلها ، وابدأ بفرج الهند ، وهي « الأبلّة »^(١) ، وتألّف أهل فارس ، ومن كان في ملكهم من الأمم » .

وفي رواية أخرى أنه كتب إليه :

« إن الله فتح عليك فَعَارِقَ^(٢) حتى تَلْقَى عِيَاضًا » . (تاريخ الطبري ٤ : ٤٢)

٨١ - كتاب أبي بكر إلى عياض بن غنم

وكتب إلى عِيَاض بن غَنَم وهو بين النَّبَاجِ^(٣) والحِجَاز أن : « سر حتى

(١) ثغر على الخليج الفارسي عند مصب دجلة ، وهي قرب البصرة من جانبها البحري .

(٢) معناه : ادخل العراق ، ولم توردّه كتب اللغة ، وفي اللسان : « أعرقنا : أخذنا في العراق وأعرق القوم : أتوا العراق » وقد جاءت صيغة أفعل وفاعل وفعل في كلام العرب في هذا المعنى . من ذلك أنجبنا وأثمنا وأعرقنا وأعمنا ، من نجد وتهامة والعراق وعمان ، وأيمنا ويمنا ويامنا ، من اليمن وأشأمنا من الشام ، وكوفنا وبصرنا من الكوفة والبصرة ، وشرقنا وغربنا من الشرق والغرب ، وأسهلنا وأحزنا من السهل والحزن ، وعالينا أئينا العالية ، وأحجزنا أئينا الحجاز ، وساحلنا أخذنا على الساحل ، وأسبغنا أخذنا على السيف (بكسر السين وهو الساحل) وأرئفنا صرنا إلى الريف ، وأبررنا ركبنا البر ، وأبحرنا ركبنا البحر - انظر المخصص ج ١٢ ص ٥٠ .

(٣) النّباج : بين مكة وبصرة ، والمصيخ : في بادية الشام بين حوران والفرات .

تَأْتِي الْمُصَيِّخَ فَاِبْدَأُ بِهَا، ثُمَّ ادْخَلَ الْعِرَاقَ مِنْ أَعْلَاهَا، وَعَارَقَ حَتَّى تَلَقَى خَالِدًا،
وَأَذْنَا لِمَنْ شَاءَ بِالرَّجُوعِ، وَلَا تَسْتَفْتِحَا بِمُتْكَارِهِ». (تاريخ الطبري ٤ : ٤)

٨٢ - كتاب أبي بكر إلى خالد و عياض

فَقَفَلَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ وَمَا حَوْلَهَا، فَاسْتَمَدَا أَبَا بَكْرٍ فَأَمَدَهُمَا، وَكُتِبَ إِلَيْهِمَا
أَنْ : « اسْتَنْفِرَا مَنْ قَاتَلَ أَهْلَ الرِّدَّةِ، وَمَنْ ثَبَّتَ عَلَى الْإِسْلَامِ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَا يَغْزُونَ مَعَكُمْ أَحَدًا رَتَدَ حَتَّى أَرَى رَأْيِي ». فلم يشهد الأيام^(١) مرتدًا.
(تاريخ الطبري ٤ : ٤)

وفي رواية أخرى :

أَنْ أَبَا بَكْرٍ كُتِبَ إِلَى خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ - إِذْ أَمَّرَهُ عَلَى حَرْبِ الْعِرَاقِ - أَنْ
يَدْخُلَهَا مِنْ أَسْفَلِهَا، وَإِلَى عِيَاضٍ - إِذْ أَمَّرَهُ عَلَى حَرْبِ الْعِرَاقِ - أَنْ يَدْخُلَهَا
مِنْ أَعْلَاهَا، ثُمَّ يَسْتَبِقَا إِلَى الْحِيرَةِ^(٢)، فَأَيُّهُمَا سَبَقَ إِلَى الْحِيرَةِ فَهُوَ أَمِيرٌ
عَلَى صَاحِبِهِ.

وَقَالَ : إِذَا اجْتَمَعَتَا بِالْحِيرَةِ وَقَدْ فَضَضْتُمَا مَسَاحِ^(٣) فَارِسَ، وَأَمِيتُمَا أَنْ
يُؤْتِيَ الْمَسَامُونَ مِنْ خَلْفِهِمْ، فَلْيَكُنْ أَحَدُكُمَا رِدْءًا^(٤) لِلْمُسْلِمِينَ وَلِصَاحِبِهِ بِالْحِيرَةِ،
وَلْيَقْتَحِمِ الْآخَرُ عَلَى عَدُوِّ اللَّهِ وَعَدُوِّكُمْ مِنْ أَهْلِ فَارِسَ دَارَهُمْ، وَمُسْتَقَرَّ عِزِّهِمْ
« الْمَدَائِنُ^(٥) ». (تاريخ الطبري ٤ : ٥)

- (١) العرب تقول الأيام في معنى الوقائع ، والمراد بالأيام هنا وقائع خالد بن الوليد في فتح العراق .
(٢) غربي الفرات بالقرب من الكوفة :
(٣) المساح : جمع مسلحة بالفتح : وهي الثغر والقوم ذوو سلاح . (٤) أي عوناً وعماداً وقوة .
(٥) مدائن كسرى على نهر دجلة ، وكانت قاعدة فارس .

٨٣ - كتاب خالد بن الوليد إلى هرمز

وكتب خالد بن الوليد قبل خروجه إلى الأُبُلَّةِ كتاباً إلى هُرْمُزٍ صاحب ذلك الشَّعر :

« أما بعد ، فأَسْلِمَ تَسْلِمٌ ، أو اعتقد لنفسك وقومك الذمة ، وأَقْرِرْ بالجزية ، وإلا فلا تَلُومَنَّ إلا نَفْسَكَ ، فقد جئتك بقوم يحبُّون الموت كما تحبُّون الحياة » .

وجمع هرمز جموعه ونشبت الحرب بينه وبين خالد في « كاظِمة ^(١) » وانجلت عن قتل هرمز وهزيمة الفرس . (تاريخ الطبري ٤ : ٥)

٨٤ - عهد خالد بن الوليد لأهل الحيرة

وتقدم خالد في فتح العراق شمالاً حتى بلغ الحيرة ، فحاصر قصورها ^(٢) ، ودعا أهلها أن يختاروا واحدة من ثلاث : الإسلام أو الجزية أو المنابذة ، فاختاروا الجزية ، فكتب بينه وبين أمرائها كتاباً فيه :

« بسم الله الرحمن الرحيم : هذا ما عاهد عليه خالد بن الوليد عَدِيًّا وَعَمْرًا ابْنَيْ عَدِيٍّ ، وَعَمْرَو بْنَ عَبْدِ الْمَسِيحِ ، وَإِيَّاسَ بْنَ قَبِيصَةَ وَحَيْرِيَّ ^(٣) »

(١) على الخليج الفارسي بينها وبين البصرة مرحلتان .

(٢) أمر خالد بكل قصر رجال من قواده يحاصر أهله ويقاتلهم ، فكان ضرار بن الأزور محاصراً القصر الأبيض ، وفيه إيَّاس بن قبيصة الطائي ، (وكان كسرى ولاد الحيرة بعد النعمان بن المنذر) وكان ضرار بن الخطاب محاصراً قصر العدسين ، وفيه عدى بن عدى ، وكان ضرار بن مقرن المزني محاصراً قصر بني مازن وفيه حيرى بن أكال ، وكان المثني بن حارثة محاصراً قصر ابن بقله وفيه عمرو ابن عبد المسيح . (٣) وقيل « جبري » .

ابن أَكَّال - وهم تُقَبَّاءُ أهل الحيرة - ورضى بذلك أهل الحيرة وأمروهم به .
عاهدَهم على تسعين ومائة ألف درهم ، تقبل في كل سنة ، جزاءً^(١) عن
أيديهم في الدنيا ، رُهبانهم وقسيسهم ، إلا من كان منهم غير ذى يَدٍ^(٢)
حَبِيسًا عن الدنيا تاركًا لها ، وسائحًا تاركًا للدنيا ، وعلى المنعة ، فإن لم يمنعهم
فلا شئ عليهم حتى يمنعهم ، وإن غدروا بفعل أو قول فالذمة منهم بريئة .
وكتب في شهر ربيع الأول من سنة اثنتى عشرة . (تاريخ الطبرى ٤ : ١٤)

صورة أخرى

وأورد القاضى أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم صاحب الإمام أبى حنيفة
هذا العهد فى كتابه « الخراج » بصورة أخرى ، وهى :
« بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا كتاب من خالد بن الوليد لأهل الحيرة ،
إن خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر الصديق رضى الله تعالى عنه
أمرنى أن أسير بعد مُنْصَرَفِي من أهل اليمامة إلى أهل العراق من العرب
والعجم ، بأن أدعُوهم إلى الله جل ثناؤه ، وإلى رسوله عليه الصلاة السلام ،
وأبشّرهم بالجنة ، وأنذِرهم من النار ، فإن أجابوا فلهم ما للمسلمين ، وعليهم
ما على المسلمين .

وإنى انتهيت إلى الحيرة فخرج إلى إِيَّاسُ بن قَبِيصة الطائى فى أناس من
أهل الحيرة من رؤسائهم ، وإنى دعوتهم إلى الله وإلى رسوله ، فأبَوْا أن
يحيبوا ، فَعَرَضْتُ عليهم الجزية أو الحرب ، فقالوا : لا حاجة لنا بحربك ،

ولكن صالحنا على ما صالحت عليه غيرنا من أهل الكتاب في إعطاء الجزية ،
وإني نظرت في عِدَّتِهِمْ فوجدت عِدَّتَهُمْ سبعة آلاف رجل ، ثم ميزتهم
فوجدت مَنْ كانت به زمانة^(١) ألف رجل ، فأخرجتهم من العدة فصار مَنْ
وقعت عليه الجزية ستة آلاف ، فصالحوني على ستين ألفاً^(٢) ، وشرطتُ عليهم
أن عليهم عَهْدَ اللَّهِ وميثاقه الذي أخذ على أهل التوراة والإنجيل أن
لا يخالفوا ، ولا يعينوا كافرين على مسلم من العرب ولا من العجم ، ولا يدلُّوهم
على عَوْرَاتِ الْمُسْلِمِينَ ، عليهم بذلك عهد الله وميثاقه الذي أَخَذَهُ أَشَدَّ
ما أَخَذَهُ على نبي من عهد أو ميثاق أو ذِمَّة ، فإن هم خالفوا فلا ذمة لهم
ولا أمان ، وإن هم حفظوا ذلك وَرَعَوْهُ وَأَدَّوْهُ إِلَى الْمُسْلِمِينَ فلهم ما للمعاهد ،
وعلينا المنع لهم ، فإن فتح الله علينا فهم على ذمتهم ، لهم بذلك عهد الله
وميثاقه أَشَدَّ ما أَخَذَ على نبي من عهد أو ميثاق ، وعليهم مثل ذلك لا يخالفوا
فإن غلبوا فهم في سَعَةِ يَسْعُهُمْ ما وَسِعَ أهل الذمة ، ولا يحلُّ فيما أُمِرُوا به أن
يخالفوا ، وجعلتُ لهم : أَيْمًا شَيْخَ ضَعْفٍ عن العمل ، أو أصابته آفة من الآفات ،
أو كان غنيا فافتقر وصار أهل دينه يتصدقون عليه ، طَرَحْتُ جَزِيَّتَهُ ، وعِيل^(٣)
من بيت مال المسلمين وعياله ، ما أقام بدار الهجرة ودار الإسلام ، فإن
خرجوا إلى غير دار الهجرة ودار الإسلام فليس على المسلمين النفقة على
عيالهم ، وأَيْمًا عَبْدٍ من عبيدهم أسلم أُقيم في أسواق المسلمين فبيع بأعلى
ما يُقَدَّرُ عَليهِ في غير وَكْسٍ ولا تمبيل ، ودُفِعَ ثمنه إلى صاحبه ، ولهم كل

(١) الزمانة : العاهة ، وفعله كفرح . (٢) وفي نسخة أخرى من كتاب الحراج أنه صالحهم
على تسعين ألفاً . (٣) عاله : مانه وكفاه .

ما لبسوا من الزّيِّ إلا زىَّ الحرب من غير أن يتشبهوا بالمسلمين في لباسهم ،
وأئما رجل منهم وُجد عليه شيء من زى الحرب سئل عن لِبْسِهِ^(١) ذلك ،
فإن جاء منه بمخرَج ، وإلاَّ عوقب بقدر ما عليه من زى الحرب ، وشرطُ
عليهم جباية ما صالحتهم عليه حتى يؤدوه إلى بيت مال المسلمين ، عمَّالُهم
منهم ، فإن طلبوا عَوْنًا من المسلمين أعينوا به ، ومثونة العون من بيت مال
المسلمين . (كتاب الخراج ص ١٧١)

٨٥ - عهد خالد بن الوليد لصاحب بانقيا

وروى ياقوت في معجم البلدان قال :
وسار خالد بن الوليد من الحيرة ، فلما نزل « بَانِقِيَا »^(٢) على شاطئ
الفرات قاتلوه ليلة حتى الصباح ، فلما رأوا أنه لا طاقة لهم بحربه طلبوا منه
الصلح فصالحهم ، وكتب لهم كتابا فيه :
« بسم الله الرحمن الرحيم : هذا كتاب من خالد بن الوليد لصلو بن
بُصْبُرَى ، ومنزله بشاطئ الفرات .
إنك آمنٌ بأمان الله على حقن دمك في إعطاء الجزية عن نفسك
وجيوتك وأهل قريتك بَانِقِيَا وَسُمِّيَا »^(٣) ، على ألف درهم جزية ، وقد قبلنا
منك ، ورضى من معي من المسلمين بذلك ، فلك ذِمَّةُ الله ، وذمة النبي محمد
صلى الله عليه وسلم ، وذمة المسلمين على ذلك » .

(١) اللبس بالكسر : ما يلبس ، واللبس بالضم مصدر . (٢) ناحية من نواحي الكوفة .
(٣) ضبطت في معجم البلدان بتشديد الميم في (ج ٢ ص ٥١) ، وبضم السين ، وتشديد الياء في
(ج ٥ : ص ١٣٤) .

شهد هشام بن الوليد ، وجريير بن عبد الله بن أبي عوف ، وسعيد
ابن عمرو ، وكتب سنة ١٢ هـ . (معجم البلدان ج ٢ : ص ٥١)



وروى الطبري هذا الخبر قال :

ومضى خالد حتى نزل بقرّياتٍ من السّواد يقال لها « بانيقيا ، وبارُشما ،
والنّيس » فصالحه أهلها ، وكان الذي صالحه عليها ابن صلّوبا ، وذلك في سنة
اثنى عشرة ، فقبلَ منهم خالد الجزية ، وكتب لهم كتاباً فيه :
« بسم الله الرحمن الرحيم : من خالد بن الوليد لابن صلّوبا السّواديّ ،
ومنزله بشاطيء الفرات .

إنك آمن بأمان الله إذ حقن دمه بإعطاء الجزية ، وقد أعطيتَ عن
نفسك ، وعن أهل خَرَجِكَ^(١) وجزيرتك^(٢) ، ومن كان في قريرتك بانيقيا
وبارُشما ألف درهم ، فقبلتها منك ، ورَضِيَ من معي من المسلمين بها منك ،
ولك ذمة الله ، وذمة محمد صلى الله عليه وسلم ، وذمة المسلمين على ذلك » .
وشهد هشام بن الوليد . (تاريخ الطبري ٣ : ٤)

٨٦ - عهد خالد لصاحب قس الناطف

وروى أنه : لما صالح أهل الحيرة خالداً ، خرج صلّوبا بن نسطونا
صاحب قُسِّ الناطف^(٣) ، حتى دخل على خالدٍ عسكره ، فصالحه على بانيقيا
وبسما^(٤) ، وضمّن له ما عليهما ، وعلى أرضيهما من شاطيء الفرات جميعاً ،

(١) الخرج : الإتاوة . (٢) إذا تأملت مصور العراق إبان الفتح وجدت فروعا لنهر الفرات
تكوّن في تلك الجهة جزرا . (٣) بقرب الكوفة على شاطيء الفرات الشرقي .
(٤) لم ترد في معجم البلدان ، والظاهر أنها هي باروسما .

واعتقد لنفسه وأهله وقومه على عشرة آلاف دينار ، سوى الخَرْزَةِ خَرْزَةِ كَسْرَى^(١) ، وكانت على كل رأس أربعة دراهم ، وكتب لهم كتاباً نصه :
« بسم الله الرحمن الرحيم . هذا كتاب من خالد بن الوليد لصلوبا
ابن نَسْطُونَا وقومه .

إني عاهدتكم على الجزية والمنعة ، على كل ذى يدٍ ، باتقيا وبسما جميعاً ،
على عشرة آلاف دينار ، سوى الخَرْزَةِ ، القويُّ على قدر قوته ، والمُقلُّ على
قدر إقلاله ، في كل سنة ، وإنك قد نُقِّبْتُ^(٢) على قومك ، وإن قومك قد
رَضُوا بك ، وقد قَبِلْتُ ومن معي من المسلمين ، ورضيتُ ورضى قومك ،
فلك الذمة والمنعة ، فإن مَنَعْنَاكم فلنا الجزية ، وإلا فلا حتى نَنَعَمَكم .

« شهد هشام بن الوليد ، والقَعْقَاع بن عمرو ، وجريير بن عبد الله
الحِمَيرى ، وحنظلة بن الربيع .

وكتب سنة اثنتى عشرة في صفر^(٣) . (تاريخ الطبرى ٤ : ١٦)

(١) خرزات الملك : جواهر تاجه ، ويقال : كان الملك إذا ملك عاماً زيدت في تاجه خرزة ، ليعلم
عدد سنى ملكه .

(٢) أى نصبت هيباً عليهم ، وقد نقب الرجل على الفوم نقابة ككتب كتابة .

(٣) تقدم لك أن عهد خالد لأهل الحيرة كتب في ربيع الأول من سنة ١٢ ، وهنا ترى أن عهده
لصاحب قس الناطف كتب في صفر من هذه السنة ، وكذا العهد التالى - عهده للدهاقين - فكيف
يكون ذلك ، وهذان العهدان كتباً بعد صلح الحيرة ؟ اللهم إلا أن يقال إن خالداً كان قد صالح أهل
الحيرة في أواخر صفر دون أن يكتب لهم عهداً ، ثم جاء صاحب قس الناطف ودهاقين العراق فكتب
لهم عهد الصلح ، ثم كتب لأهل الحيرة عهدهم في أوائل ربيع الأول .

٨٧ - عهد خالد لدهاقين العراق

وروى الطبرى أيضاً قال :

كان الدهاقين^(١) يترَبِّصون بخالد وينظرون ما يصنع أهل الحيرة ، فلما استقام ما بين أهل الحيرة وبين خالد واستقاموا له ، أتته دَهَاقِينُ الْمِلْطَاطِينِ^(٢) وأتاه زاذ بن بُهَيْش دُهَقَانِ قُرَاتِ سِرْيَا^(٣) ، وصلوبا بن نَسْطُونَا بن بصهرى^(٤) فصالحوه على ما بين الفلّاليج^(٥) إلى هُرْمُزْجِرْدَ على ألفى ألف ، وأن للمسلمين ما كان لآل كسرى ، ومن مال معهم عن المُقَامِ في داره فلم يدخل في الصلح ، وكتب لهم كتاباً هذا نصه :

«بسم الله الرحمن الرحيم . هذا كتاب من خالد بن الوليد لزاذ بن بُهَيْش وصلوبا بن نسطونا .

إن لكم الذمة وعليكم الجزية ، وأنتم ضامنون لمن نقبتم عليه من أهل البَهْقَبَاذِ^(٦) الأسفل والأوسط على ألفى ألف تقبل في كل سنة ، ثم كل ذى يد - سوى ما على بَانَقِيَا وبِسْمَا - وإنكم قد أرضيتُمونى والمسلمين ، وإننا قد أرضيناكم ، وأهل البَهْقَبَاذِ الأسفل ، ومن دخل معكم من أهل البَهْقَبَاذِ الأوسط

(١) الدهاقين جمع دهقان بالكسر والضم ، وهو زعيم فلاحى العجم ورئيس الإقليم ، معرَّب .

(٢) المِلْطَاط : حافة الوادى وساحل البحر ، والمراد هنا شاطئ الفرات .

(٣) سريا : صقع بالعراق بالسواد قريب من بغداد .

(٤) وفى رواية « وصلوبا بن بصهرى ونسطونا » .

(٥) فلاليج السواد : قراها ، إحداها فلوجة فتحت الفاء وتشديد اللام المضمومة . وهرمزجرد : ناحية بأطراف العراق .

(٦) البَهْقَبَاذ : اسم لثلاث كور من أعمال سقى الفرات منسوبة إلى قباز بن فيروز : وهى البَهْقَبَاذ الأعلى ، والأوسط ، والأسفل (وفى هذا الأخير الكوفة وهرمزجرد) .

على أموالكم ليس فيها ما كان لآل كسرى ، ومن مال ميلهم » .
شهد هشام بن الوليد ، والقعقاع بن عمرو ، وجريير بن عبد الله الحميري ،
وبشير بن عبيد الله ، وحنظلة بن الربيع .
وكتب سنة اثنتى عشرة فى صفر . (تاريخ الطبرى ٤ : ١٧)

٨٨ - كتاب البراءة لأهل الخراج

وجي الخراج إلى خالد فى خمسين ليلة ، وكان الذين ضمنوه - وهم رؤوس
الرساتيق^(١) - رهنًا فى يديه ، وكتب عمّال الخراج البراءات لأهل الخراج
من نسخة واحدة ، وهى :

« بسم الله الرحمن الرحيم . براءة لمن كان من كذا وكذا من
الجزية التى صالحهم عليها الأمير خالد بن الوليد ، وقد قبضت الذى صالحهم
عليه خالد ، وخالد والمسامون لكم يد على من بدّل صلح خالد ، ما أقررتم
بالجزية وكففتهم ، أمانكم أمان ، واصلحكم صلح ، نحن لكم على الوفاء » .
وأشهدوا لهم النفر من الصحابة الذين كان خالد أشهدهم .
(تاريخ الطبرى ٤ : ١٨)

(١) الرساتيق : جمع رستاق بالضم ، وهو الناحية التى هى طرف الإقليم ، معرب .

٨٩ - كتاب خالد إلى ملوك فارس

ولما غلب خالد بن الوليد على أحد جانبي السّواد بعث بكتاب إلى ملوك فارس ، وفيه :

« بسم الله الرحمن الرحيم . من خالد بن الوليد إلى ملوك فارس ،
أما بعدُ : فالحمد لله الذي حلَّ نِظَامَكُمْ^(١) ، ووَهَّنَ كَيْدَكُمْ ، وفرَّقَ كَلْتَكُمْ ،
ولو لم يفعل ذلك بكم كان شرًّا لكم ، فادخلوا في أمرنا ندْعَكم وأَرْضَكم
ونَجُوزُكم إلى غيركم ، وإلَّا كان ذلك وأنتم كارهون على غلب ، على أيدي
قومٍ يحبُّون الموت كما تحبون الحياة » . (تاريخ الطبري ٤ : ١٨)

٩٠ - كتاب خالد إلى مرازبة فارس

وبعث إلى أهل المدائن كتاباً فيه :

« من خالد بن الوليد إلى مَرَاذِبَةِ^(٢) أهل فارس ، سلام على من اتبع
الهدى . أما بعد : فالحمد لله الذي فَضَّ خَدَمَتَكُمْ^(٣) وسَلَبَ ملككم ، ووَهَّنَ

(١) النظام في الأصل : الحيط الذي ينظم به اللؤلؤ ونحوه .

(٢) المرازبة جمع مرزبان بفتح الميم وضم الزاي ، وهو الرئيس من الفرس ، والمرازبة كمرحلة : رئاسة الفرس . (٣) يقال : فض الله خدمتهم : أي فرق جماعتهم ، والخدمة بالتحريك : سير غليظ مضفور مثل الحلقة يشد في رسغ البعير ، ثم يشد إليه سرائع النعل (أي سيورها ، جمع سريجة) فإذا انقضت الخدمة انحلت السرائع وسقطت النعل ، فضرَبَ ذلك مثلاً لذهاب ما كانوا عليه وتفرقه ، وشبه اجتماع أمرهم واتساقه بالحلقة المستديرة ، وفي العقد انفراد وفتوح الشأم « حرمتكم » وهو تحريف ، وفي العقد « الحمد لله الذي فض خدمتكم ، وفرق جمعكم ، وأوهن بأسكم ، وسلب ملككم ، وأذل عزكم ، فإذا أتاكم كتابي . . » وفي كتاب الحراج « الحمد لله الذي فض خدمتكم ، وفرق جمعكم ، وخالف بين كلتكم وأوهن بأسكم ، وسلب ملككم ، فإذا جاءكم كتابي هذا » .

كيدكم ، وإنه من صَلَّى صَلَاتَنَا ، واستقبل قِبَلَتَنَا ، وأكل ذبيحتنا ، فذلك المسلم الذي له مَالُنَا ، وعليه مَاعِلُنَا .

أما بعدُ : فإذا جاءكم كتابي فابعثوا إلى بالرُّهُنْ ، واعتقدوا مني الذِّمَّةَ ، وأدُّوا إلى الجزيةَ ، وإلاَّ فوالله الذي لا إله غيره ، لأبعثنَّ إليكم قومًا يحبون الموت كما تحبون الحياة ، ويرغبون في الآخرة كما ترغبون في الدنيا .
فلما قرءوا الكتاب أخذوا يتعجبون .

(تاريخ الطبري ٤ : ٤ ، والعقد الفريد ١ : ٤٠ ، وفتوح الشام ص ٥٥ ، وكتاب الخراج ص ١٧٣)

٩١ — كتاب خالد إلى مرازمة فارس

وكتب إلى مرازمة فارس كتاباً فيه :

« بسم الله الرحمن الرحيم . من خالد بن الوليد إلى مرازمة فارس .
أما بعدُ : فأسلموا تسلموا ، وإلاَّ فاعتقدوا مني الذمة ، وأدُّوا الجزية ، وإلاَّ
فقد جئتكم بقوم يحبون الموت كما تحبون شرب الخمر » . (تاريخ الطبري ٤ : ١٨)

٩٢ — كتاب أبي بكر إلى خالد بن الوليد

وبعد أن تمَّ النصر لخالد بن الوليد في وقعة الفِراض^(١) أمر الجيش بالقفل^(٢) إلى الحيرة ، وتخلَّف هو مظهرًا أنه في السَّاقَةِ ، وخرج حاجًا لخمسين بقين من ذى القعدة سنة ١٢ هـ ، مكتتبًا بحجَّه ، ومعه عدَّة من أصحابه حتى أتى مكة ، ثم عاد إلى الحيرة لم يعلم بحجَّه إلا من أفضى إليه بذلك من السَّاقَةِ ،

(١) تخوم الشام والعراق والجزيرة على الشاطئ الشرقي للفرات .

(٢) القفل والقفول : الرجوع ، وساقاة الجيش : مؤخره .

ولم يعلم أبو بكر بذلك إلا بعد ، فعَتَبَ عليه ، ووافاه كتاب أبي بكر بالحيرة مُنْصَرَفَهُ من حجّه أن :

« سِرُّ حَتَّى تَأْتِيَ جُمُوعُ الْمَسَامِينِ بِالْيَرْمُوكِ ، فَإِنَّهُمْ قَدْ شَجُّوا وَأَشَجُّوا^(١) وَإِيَّاكَ أَنْ تَعُودَ لِمِثْلِ مَا فَعَلْتَ ، فَإِنَّهُ لَمْ يُشَجَّ الْجُمُوعُ مِنَ النَّاسِ بِعَوْنِ اللَّهِ شَجَاكَ^(٢) ، وَلَمْ يُنْزَعِ الشَّجَى^(٣) مِنَ النَّاسِ نَزْعَكَ ، فَلْيَهْنِئْكَ أبا سُلَيْمَانَ النِّيَّةُ وَالْحِطْوَةُ^(٤) ، فَأَتَمَّ يُتَمِّمِ اللَّهُ لَكَ ، وَلَا يَدْخُلُكَ عُجْبٌ فَتَخَسَّرَ وَتَذِلَّ ، وَإِيَّاكَ أَنْ تُذِلَّ بِعَمَلٍ ، فَإِنَّ اللَّهَ لَهُ الْمَنَ ، وَهُوَ وَلِيُّ الْجَزَاءِ » (تاريخ الطبري ٤ : ٢٦ ، ٤٠)

٩٣ - كتاب أبي بكر إلى أهل اليمن

ولما أزمَعَ أبو بكر رضى الله عنه فَتَحَ الشَّامَ ، اسْتَنْفَرَ النَّاسَ لَجِهَادِ الرُّومِ ، فَنفَرُوا إِلَيْهِ ، ثُمَّ رَأَى أَنْ يَكْتُبَ كِتَابًا إِلَى أَهْلِ الْيَمَنِ يَدْعُوهُمْ إِلَى الْجِهَادِ ، وَيَرْغِبُهُمْ فِي ثَوَابِهِ ، فَكُتِبَ إِلَيْهِمْ :

« بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . مِنْ خَلِيفَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى مَنْ قُرِئَ عَلَيْهِ كِتَابِي هَذَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَسَامِينِ مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ ، سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ، فَإِنِّي أَحْمَدُ إِلَيْكُمْ اللَّهَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ . أَمَا بَعْدُ : فَإِنَّ اللَّهَ كَتَبَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ الْجِهَادَ ، وَأَمَرَهُمْ أَنْ يَنْفَرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا ، وَقَالَ : « جَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ » فَالْجِهَادُ فَرِيضَةٌ مَفْرُوضَةٌ ، وَثَوَابُهُ عِنْدَ

(١) أشجاء قرنه : قهره وغلبه حتى شجى به (كفرح) شجى (كفتى) .
(٢) أى لم تقهر الجموع قهرك ، وفي الأصل « شجيك » وهو تحريف ، ولعله كان في الأصل المنقول عنه هكذا « شجك » بألف قصيرة فوق الجيم .
(٣) والشجى أيضا : ما اعترض في خلق الإنسان من عظم وغيره .
(٤) الحطوة : المكاة . أى منزلتك عند الله .

الله عظيم ، وقد استنفرنا من قبلنا من المسلمين إلى جهاد الروم بالشام ، وقد سارعوا إلى ذلك وعسكروا وخرجوا ، وحسنت في ذلك نيتهم ، وعظمت في الخير حسبتهم^(١) ، فسارعوا عباد الله إلى ماسارعوا إليه ، واتحسن نيتكم فيه ، فإنكم إلى إحدى الحسنتين : إما الشهادة ، وإما الفتح والغنيمة ، فإن الله تبارك وتعالى لم يرض من عبادة بالقول دون العمل ، ولا يترك أهل عداوته حتى يدينوا بدين الحق ، ويقرّوا بحكم الكتاب ، أو يؤدّوا الجزية عن يد^(٢) وهم صاغرون ، حفظ الله لكم دينكم ، وهدى قلوبكم ، وزكى أعمالكم ، ورزقكم أجر المجاهدين الصابرين ، والسلام عليكم .

(فتوح الشام ص ٥ ، وتهذيب تاريخ ابن عساكر ١ : ١٢٨)

٩٤ - كتاب أبي بكر إلى عمرو بن العاص

كان أبو بكر رضى الله عنه قد ردّ عمرو بن العاص على عمالة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ولأها إياه من صدقات سعد هذيم وعذرة قبل ذهابه إلى عُمان ، فخرج إلى عُمان^(٣) وهو على عِدّة من عمله إذا هو رجع ، فأُنجز له ذلك أبو بكر .

فلما احتاج أبو بكر لفتح الشام كتب إلى عمرو :

« إني قد كنت رددتك على العمل الذي كان رسول الله صلى الله عليه

(١) الحسبة : الأجر ، واسم من الاحتساب . احتسب بكذا أجرا عند الله : اعتده ينوي به وجه الله

(٢) انظر هامش ص ٣٥ .

(٣) كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بعث عمرو بن العاص إلى جيفر (ملك عمان) منصرفه .

من حجة الوداع (سنة عشر) فبات رسول الله وعمرو بعمان (انظر تاريخ الطبري ٣ : ٢٢١) .

وسلم وَلَا كَهْ مَرَّةً، وَسَمَّاهُ لَكَ أُخْرَى، مَبْعَثَكَ إِلَى عُثْمَانَ، إِنْجَازًا لِمَوَاعِيدِ رَسُولِ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَدْ وُلِّيْتَهُ ثُمَّ وَلِّيْتَهُ^(١)، وَقَدْ أَحْبَبْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ أَنْ
أَفْرَغَكَ لِمَا هُوَ خَيْرُكَ فِي حَيَاتِكَ وَمَعَادِكَ مِنْهُ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ الَّذِي أَنْتَ فِيهِ
أَحَبُّ إِلَيْكَ» .

٩٥ - رد عمرو على كتاب أبي بكر

فكتب إليه عمرو:

« إِنِّي سَهَمْتُ مِنْ سَهَامِ الْإِسْلَامِ، وَأَنْتَ بَعْدَ اللَّهِ الرَّامِي بِهَا، وَالْجَامِعُ لَهَا،
فَانْظُرْ أَشَدَّهَا وَأَخْشَاهَا وَأَفْضَلَهَا، فَأَرْؤِمَ بِهِ شَيْئًا إِنْ جَاءَكَ مِنْ نَاحِيَةِ
مِنَ النَّوَاحِي » .

وكتب إلى الوليد بن عُقْبَةَ - وكان على النصف من صَدَقَاتِ قُضَاعَةِ -
بنحو ذلك، فَأَجَابَهُ بِإِثَارِ الْجِهَادِ .

فكتب إليهما . « اسْتَخْلِفَا عَلَى أَعْمَالِكُمَا ، وَأَنْدُبَا مِنْ يَلِيكُمَا » فندبا
الناس فتنام إليهما بشر كثير .

ثم جَهَّزَ أَبُو بَكْرٍ الْجِيُوشَ لِفَتْحِ الشَّامِ، فَجَعَلَهَا أَرْبَعَةً: عَلَى أَحَدِهَا عَمْرُو
ابْنُ الْعَاصِ، وَوَجِهُتُهُ فَلَسْطِينُ، وَعَلَى الثَّانِي الْوَلِيدُ بْنُ عَقْبَةَ، وَوَجِهُتُهُ الْأَرْدُنُّ،
وَعَلَى الثَّلَاثِ يَزِيدُ بْنُ أَبِي سَفْيَانَ، وَوَجِهُتُهُ الْبَلْقَاءُ، وَعَلَى الرَّابِعِ أَبُو عُبَيْدَةَ عَامِرُ
ابْنُ الْجَرَّاحِ، وَوَجِهُتُهُ جَمْصُ، وَقَدِيمُ شُرَحْبِيلِ بْنِ حَسَنَةَ وَافِدًا مِنْ عِنْدِ خَالِدِ
ابْنِ الْوَلِيدِ، فَاسْتَعْمَلَهُ أَبُو بَكْرٍ عَلَى عَمَلِ الْوَلِيدِ بْنِ عَقْبَةَ، وَكَانَ ذَلِكَ أَوَّلَ سَنَةِ ١٣ هـ
(تاريخ الطبري ٤: ٢٩، وتاريخ الكامل لابن الأثير ٢: ١٩٦ وتهذيب تاريخ ابن عساكر ١: ١٣١)

(١) أي وليته مرة ق عهد الرسول صلى الله عليه وسلم . ثم وليته مرة أخرى في عهدي .

٩٦ - كتاب أبي بكر إلى خالد بن سعيد بن العاص

ولما انهزم خالد بن سعيد بن العاص أمام جيش الروم ، وهرب إلى
ذى المروة^(١) ، وأتى أبا بكر الخبزي كتب إليه :
« أقيم مكانك ، فلعمري إنك مقدم محجّام ، نَجَّاهُ مِنَ النِّعَمَاتِ ،
لا تخوضها إلى حق ، ولا تصبر عليه » . (تاريخ الطبري ٤ : ٣١)

٩٧ - كتاب أبي عبيدة بن الجراح إلى أبي بكر

وسار أبو عبيدة بن الجراح إلى الشام ، حتى إذا دنا من « الجابية » أتاه
آتي فقال : إن هرقل ملك الروم « بأنطاكية » وإنه قد جمع لكم من الجموع
فما لم يجمعه أحد كان قبله من آبائه لأحد من الأمم قبلكم ، فكتب أبو عبيدة
إلى أبي بكر رضى الله عنهما :

(١) ذو المروة : قرية بوادي القرى ، وذلك أن أبا بكر رضى الله عنه لما عقد الألوية لقتال أهل
الردة ، عقد له فيمن عقد ، ووجهه إلى مشارف الشام ، وأمره أن ينزل تيماء لا يبرحها ، وأن يدعو
من حوله إلى الانضمام إليه ، وألا يقبل إلا من لم يرتد ، ولا يقاتل إلا من قاتله ، حتى يأتيه أمره ،
فاجتمع إليه جموع كثيرة ، وبلغ خبره الروم ، فجهزوا إليه جيشا من العرب التابعين لهم ، فكتب خالد
إلى أبي بكر بذلك ، فكتب إليه أبو بكر أن أقدم ولا تحجم واستنصر الله ، فسار إليهم خالد ، فلما دنا
منهم تفرقوا وأعرؤا منزلهم ، فزله ودخل عاملة من كان تجمع له في الاسلام ، وكتب إلى أبي بكر بذلك
فكتب إليه : « أقدم ولا تقتحم حتى لا تؤثق من خلفك » فتقدم ، وسار إليه بطريق من بطارقة
الروم يدعى باهان ، فهزمه خالد وقتل جنده ، وكتب بذلك إلى أبي بكر واستمده فأمدّه ، ثم لما علم خالد
أن أبا بكر أمر الأمراء وجيش الجيوش لفتح الشام - كما تقدم - اقتحم على الروم طلبا للحظوة وأعرى
ظهره ، واستطردله باهان وتراجع هو ومن معه إلى دمشق ، واقتحم خالد في الجيش ، فانطوت مسالح
باهان عليه ، وأخذوا عليه الطرق ولا يشعر ، فخرج خالد هاربا في جريدة إلى ذي المروة ، وأقام عكرمة
في الناس رداء لهم ، فرد عنهم باهان وجنوده .

« بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . لعبد الله أبي بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم من أبي عبيدة بن الجراح ، سلام عليك ، فإني أحمدُ إليك الله الذي لا إله إلا هو ، أما بعدُ : فإننا نسأل الله أن يُعزِّزَ الإسلامَ وأهله عزًّا متينًا ، وأن يفتحَ لهم فتحًا يسيرًا ، فإنه بلغنى أن هِرَقْلَ ملك الروم نزل قرية من قرى الشام تدعى « أنطاكية » وأنه بعث إلى أهل مملكته ، فحشَرهم إليه ، وأنهم نفرُوا إليه على الصَّعبِ والذَّلُولِ ، وقد رأيتُ أن أعلمَكَ ذلك ، فترى فيه رأيك ، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته . »
(فتوح الشام ص ٢٤)

٩٨ - رد أبي بكر على أبي عبيدة

فكتب إليه أبو بكر رضى الله عنه :
« بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . أما بعدُ ، فقد بلغنى كتابك ، وفهمتُ ما ذكرتَ فيه من أمر هِرَقْلَ ملك الروم ، فأما منزله « بأنطاكية » فهزيمة له ولأصحابه ، وفتحٌ من الله عليك وعلى المسلمين ، وأما ما ذكرتَ من حشَره لكم أهل مملكته ، وجمعه لكم الجموع ، فإن ذلك ما قد كنا وكنتم تعلمون أنه سيكون منهم ، وما كان قومٌ ليدعُوا سلطانهم ، ولا يخرجوا من ملكهم ، بغير قتال ، وقد علمت - والحمد لله - أن قد غزاكم رجال كثير من المسلمين يُحبُّون الموت حبَّ عدوهم الحياة ، ويُجزَّون^(١) من الله في قتالهم الأجر العظيم ، ويحبُّون الجهاد في سبيل الله أشدَّ من حبِّهم أبنائهم نساءهم ، وعقائِلَ^(٢) أموالهم ،

(١) فى الأصل : « ويجذبون » وهو تحريف وقد أصلحته كما ترى .

(٢) أى وخيارها : جمع عقيلة كمفينة ، وهى من كل شىء أكرمه .

الرجل منهم عند الفتح خير من ألف رجل من المشركين ، فآلقهم بجندی
ولا تشتو حش لمن غاب عنك من المسامین ، فإن الله معك ، وأنا مع ذلك
ممدك بالرجال حتى تكتفي ، ولا تريد أن ترداد إن شاء الله ، والسلام عليك
ورحمة الله . (فتوح الشام ص ٢٤)

٩٩ — كتاب يزيد بن أبي سفيان إلى أبي بكر

وكتب يزيد بن أبي سفيان إلى أبي بكر رضى الله عنه :
« بسم الله الرحمن الرحيم . أما بعد ، فإن ملك الروم هرقل لما بلغه
مسيرنا إليه ، ألقى الله الرعب في قلبه ، فتحمل^(١) قنزل أنطاكية ، وخلف
أمراء من جنده على مدائن الشام ، وأمرهم بقتالنا ، وقد تيسرُوا لنا واستعدُوا ،
وقد أخبرنا مسالمة الشام أن هرقل استنفر أهل مملكته ، وأنهم قد جاءوا
يحرُونَ الشوك والشجر^(٢) ، فرُنا بأمرك ، وعجل علينا في ذلك برأيك تتبعه
إن شاء الله ، ونسأل الله النصر والصبر والفتح ، وعافية المسامین ، والسلام
عليك ورحمة الله . (فتوح الشام ص ٢٥)

١٠٠ — ردّ أبي بكر على يزيد بن أبي سفيان

فكتب إليه أبو بكر :
« بسم الله الرحمن الرحيم . أما بعد ، فقد بلغني كتابك تذكر فيه

(١) تحمل : ارتحل . (٢) من أمثال العرب : « جاء بالشوك والشجر » وهو مثل يضرب
لن جاء بالشيء الكثير من كل ما كان من جيش عظيم وغيره .

تَحْمَلُ^(١) ملك الروم إلى أنطاكية ، وإلقاء الله الرعب في قلبه من جموع المسلمين ، فإن الله - وله الحمد - قد نصرنا ونحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالرعب^(٢) ، وأمدنا بجلائكته الكرام ، وإن ذلك الدين الذي نصرنا الله به بالرعب ، هو هذا الدين الذي ندعو الناس إليه اليوم ، فَوَرَبَّكَ لَا يَجْعَلُ اللهُ المسلمين كالمجرمين ، وَلَا مَنْ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ كَمَنْ يَعْبُدُ مَعَهُ آلِهَةً أُخْرَى ، وَيَدِينُ بِعِبَادَةِ آلِهَةٍ شَتَّى ، فَإِذَا لَقِيتَهُمْ فَانْهَدْ^(٣) إِلَيْهِمْ بِمَنْ مَعَكَ وَقَاتِلْهُمْ ، فَإِنَّ اللهَ أَنْ يَخْذُلَكَ ، وَقَدْ نَبَأْنَا اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَّ الْفِتْنَةَ الْقَلِيلَةَ تَغْلِبُ الْفِتْنَةَ الْكَثِيرَةَ بِإِذْنِ اللهِ ، وَأَنَا مَعَ ذَلِكَ مُمِذِّكُ بِالرَّجَالِ فِي إِثْرِ الرِّجَالِ ، حَتَّى تَكْتَفُوا وَلَا تَحْتَاجُوا إِلَى زِيَادَةِ إِنْسَانٍ إِنْ شَاءَ اللهُ ، وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللهِ .

وجعل أبو بكر يبعث بالأمداد إلى الشام مَدَدًا تَلَوَّ مَدَدَ .

(فتوح الشام ص ٢٦)

١٠١ - كتاب هرقل إلى أهل الشام

فلما رأى أهل مدائن الشام أن العرب قد جاشت^(٤) عليهم من كل وجه ، وكثرت جموعهم بها ، بعثوا رسلهم إلى ملكهم يُعْلِمُونَهُ ذَلِكَ ، وَيَسْأَلُونَهُ الْمَدَدَ ، فَكُتِبَ إِلَيْهِمْ :

« إِنِّي قَدْ عَجِبْتُ لَكُمْ حِينَ تَسْتَمِدُّونَنِي^(٥) ، وَحِينَ تَكْثُرُونَ عَلَى عَدَدِ

(١) في الأصل : « تحويل » وهو تحريف .

(٢) في الأصل : « بالمرعب » وهو تحريف أيضا . (٣) أى انهض .

(٤) من جاش البحر إذا هاج ، وجاشت القدر إذا غلت ، وفي الحديث : « ستكون فتنة لا يهدأ منها جانب إلا جاش منها جانب » أى فار وارفع . (٥) في الأصل : « تستهدونني » وهو تحريف .

مَنْ جَاءَكُمْ مِنَ الْعَرَبِ ، وَأَنَا أَعْلَمُ بِهِمْ وَبِمَنْ جَاءَ مِنْهُمْ ، وَلَأَهْلُ مَدِينَةٍ وَاحِدَةٍ
مِنْ مَدَائِنِكُمْ أَكْثَرُ مِمَّا جَاءَكُمْ أَضْعَافًا مِثْلَ أَضْعَافِ قَاتِلِهِمْ ، وَلَا تَظُنُّوا
أَنِّي كَتَبْتُ إِلَيْكُمْ بِهَذَا ، وَأَنَا أُرِيدُ إِلَّا أَمِدَّكُمْ ، لِأَبْعَثَنَّ إِلَيْكُمْ مِنَ الْجُنُودِ
مَا تَضِيقُ بِهِمُ الْأَرْضُ الْفُضَاءُ » .

فَكَتَبَ أَهْلُ مَدَائِنِ الشَّامِ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ ، وَأَرْسَلُوا إِلَى كُلِّ مَنْ
كَانَ عَلَى دِينِهِمْ مِنَ الْعَرَبِ فَدَعَوْهُمْ إِلَى قِتَالِ الْمُسْلِمِينَ فَأَجَابُوهُمْ .
(فتوح الشام ص ٢٦)

١٠٢ - كِتَابُ أَبِي عُبَيْدَةَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ

وَبَلَغَ أَبَا عُبَيْدَةَ مِرَاسِلُهُمْ وَخَبَرَهُمْ فَكَتَبَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ :
« بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . أَمَّا بَعْدُ ، فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَعَزَّنَا بِالْإِسْلَامِ ،
وَأَكْرَمَنَا بِالْإِيمَانِ ، وَهَدَانَا لِمَا اخْتَلَفَ الْمُخْتَلِفُونَ فِيهِ بِإِذْنِهِ ، إِنَّهُ يَهْدِي مَنْ
يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ، وَإِنْ عُيُونِي مِنْ أَنْبَاطِ أَهْلِ الشَّامِ أَخْبَرُونِي أَنَّ
أَوَائِلَ أُمْدَادِ مَلِكِ الرُّومِ قَدْ وَقَعُوا إِلَيْهِ ، وَأَنَّ أَهْلَ مَدَائِنِ الشَّامِ بَعَثُوا رُسُلَهُمْ
إِلَيْهِ يَسْتَمِدُّونَهُ ، وَأَنَّهُ كَتَبَ إِلَيْهِمْ : « إِنْ أَهْلُ مَدِينَةٍ مِنْ مَدَائِنِكُمْ أَكْثَرُ
مِمَّنْ قَدِمَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْعَرَبِ ، فَانْهَضُوا إِلَيْهِمْ فَقَاتِلُوهُمْ فَإِنْ مَدَدَ يَأْتِيَكُمْ مِنْ
وَرَائِكُمْ » فَهَذَا مَا بَلَّغْنَا عَنْهُمْ ، وَأَنْفُسُ الْمُسْلِمِينَ لَيِّنَةٌ بِقِتَالِهِمْ ، وَقَدْ أَخْبَرُونَا
أَنَّهُمْ قَدْ تَهَيَّأُوا لِقَاتِنَا ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ نَصْرَهُ ، وَعَلَى الْمَشْرِكِينَ
رِجْزَهُ ، ^(١) إِنَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ، وَالسَّلَامُ » . (فتوح الشام ص ٢٧)

(١) الرِّجْزُ : الْعَذَابُ .

١٠٣ - رد أبي بكر على أبي عبيدة

فكتب أبو بكر إلى أبي عبيدة رضى الله عنهما :

« بسم الله الرحمن الرحيم . أما بعد ، فقد جاءني كتابك تذكر فيه تسخير عدوك لمواقعتكم ، وما كتب به ملككم إليهم من عِدته إياهم أن يُمِدَّهم من الجنود ما تضيق به الأرضُ الفضاء ، ولعمُرُ الله لقد أصبحت الأرض ضيقة عليه وعليهم برُحْبها^(١) بمكانكم فيهم ، وأيمُ الله ما أنا بآيسٍ أن تُزِيلوه من مكانه الذى هو به عاجلا إن شاء الله ، فَبُتَّ خيلك فى القرى والسَّواد ، وضيقُ عليهم بقطع الميرة والمادة ، ولا تحاصرَنَّ المدائن حتى يأتيتك أمرى ، فإن ناهضوك فانهِذ إليهم وأستعين بالله عليهم ، فإنه ليس يأتيتهم مددٌ إلا أمددناك بمثلهم أو ضعفهم^(٢) ، وليس بكم - والحمد لله - قلةٌ ولا ذلة ، فلا أعرفنَّ ما جُبِنتُم عنهم ، ولا ما خِفْتُم منهم ، فإن الله فاتح لكم ومُظهِركم^(٣) على عدوك بالنصر ، وملتَمَس منكم الشكر لينظر كيف تعملون ، وعمرو

(١) الرحب : الاتساع ، وفى الأصل « برحبها » وهو تحريف .

(٢) جاء فى المصباح المنير : « قال الأزهري : الضعف فى كلام العرب المثل ، هذا هو الأصل ، ثم استعمل الضعف فى المثل ومازاد وليس الزيادة حد ، يقال هذا ضعف هذا أى مثله ، وهذان ضعفاه أى مثلاه ، قال : وجاز فى كلام العرب أن يقال هذا ضعفه أى مثلاه وثلاثة أمثاله ، لأن الضعف زيادة غير محصورة » . وجاء فى لسان العرب فى هذا الصدد : « ألا ترى قوله تعالى « فَأُولَئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضَّعْفِ بِمَا عَمِلُوا » لم يرد به مثلا ولا ماثين ، وإنما أراد بالضعف الأضعاف ، وأولى الأشياء به أن نجعل عشرة أمثاله لقوله سبحانه « مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلُهَا » فأقل الضعف محصور وهو المثل ، وأكثره غير محصور » .

(٣) أى ناصركم .

فأوصيك به خيراً ، وقد أوصيته أن لا يضيع حقاً يراه ويعرفه ، فإنه ذو رأى وتجربة ، والسلام عليك ورحمة الله . (فتوح الشام ص ٤٢)

١٠٤ - كتاب أبي عبيدة إلى أبي بكر

وكتب أبو عبيدة وهو بالجالية إلى أبي بكر رضى الله عنهما :
« بسم الله الرحمن الرحيم . أما بعد ، فإن الروم وأهل البلد ومن كان على دينهم من العرب ، قد اجتمعوا على حرب المسلمين ، ونحن نرجو النصر وإنجاز موعود الرب وعادته الحسنى ، أحبيت إعلامك ذلك لترى فيه رأيك إن شاء الله ، والسلام » . (فتوح الشام ص ٥٧)

١٠٥ - كتاب أبي بكر إلى خالد بن الوليد

فكتب أبو بكر إلى خالد بن الوليد رضى الله عنهما :
« أما بعد : فإذا جاءك كتابي هذا فدع العراق وخلف فيه أهله الذين قدمنت عليهم وهم فيه ، وامض متخففاً في أهل القوة من أصحابك الذين قدّموا العراق معك من اليمامة ، وصحبوك من الطريق ، وقدّموا عليك من الحجاز ، حتى تأتى الشام ، فتلق أبا عبيدة بن الجراح ، ومن معه من المسلمين ، فإذا التقيتم فأنت أمير الجماعة ، والسلام عليك » . (فتوح الشام ص ٥٧)

١٠٦ — كتاب خالد بن الوليد إلى المسلمين بالشام

فلما أقبل خالد إلى الشام كتب إلى المسلمين بها :

« بسم الله الرحمن الرحيم . من خالد بن الوليد إلى من بأرض العرب من المؤمنين والمسلمين ، سلام عليكم ، فإنني أحمدُ إليكم الله الذي لا إله إلا هو ، أما بعدُ : فإنني أسأل الله الذي أعزَّنَّا بالإسلام ، وشرَّفنا بدينه ، وأكرمنا بنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، وفضَّلنا بالإيمان ، رحمةً من ربنا لنا واسِعَةً ، ونِعْمَةً منه علينا سَابِغَةً ،^(١) أن يُتِمَّ ما بنا وبكم من نعمته ، واحمدوا الله عبادَ الله يَزِدْكم ، وارغبوا إليه في تمام العافية يُدْمِها لكم ، وكونوا له على نعمه من الشاكرين .

وإن كتاب خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاني يأمرني بالسير إليكم ، وقد شَمَرْتُ وانكَمَشْتُ^(٢) ، وكانَّ خيلي قد أَطَلَّتْ عليكم في رجال ، فأبشروا بإنجاز موعود الله ، وحُسنِ ثوابه ، عَصَمْنَا الله وإياكم بالإيمان ، وثَبَّتْنَا وإياكم على الإسلام ، ورَزَقْنَا وإياكم حُسنَ ثواب المجاهدين ، والسلام عليكم » .
(فتوح الشام ص ٦١)

١٠٧ — كتاب خالد إلى أبي عبيدة

وكتب إلى أبي عبيدة :

« بسم الله الرحمن الرحيم . لأبي عبيدة بن الجراح من خالد بن الوليد :

(١) أى تامة وافية . (٢) انكش وتكش : أسرع .

سلام عليك ، فَإِنِّي أَحْمَدُ إِلَيْكَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ . أما بعدُ : فَإِنِّي أَسْأَلُ اللَّهَ
لَنَا وَلَكَ الْأَمْنَ يَوْمَ الْخَوْفِ ، وَالْعِصْمَةَ فِي دَارِ الدُّنْيَا ، فَقَدْ أَتَانِي كِتَابُ خَلِيفَةِ
رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَأْمُرُنِي بِالْمَسِيرِ إِلَى الشَّامِ ، وَبِالْمُقَامِ عَلَى جَنْدِهَا ،
وَالْتَوَلَّى لِأَمْرِهَا ، وَاللَّهُ مَا طَلَبْتُ ذَلِكَ وَلَا أَرَدْتُهُ ، وَلَا كَتَبْتُ إِلَيْهِ فِيهِ ، وَأَنْتَ
- رَحِمَكَ اللَّهُ - عَلَى حَالِكَ الَّتِي كُنْتُ بِهَا لَا يُعْصَى أَمْرُكَ ، وَلَا يَخَالَفُ رَأْيُكَ ،
وَلَا يَقْطَعُ أَمْرُ دُونِكَ ، فَإِنَّكَ سَيِّدُ مَنْ سَادَاتِ الْمُسْلِمِينَ لَا يُنْكَرُ فَضْلُكَ ، وَلَا
يُسْتَغْنَى عَنْ رَأْيِكَ ، تَمَّ اللَّهُ مَا بَنَّا وَبَكَ مِنْ نِعْمَةِ الْإِحْسَانِ ، وَرَحِمَنَا وَإِيَّاكَ
مِنْ عَذَابِ النَّارِ ، وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ » . (فتوح الشام ص ٦٢)

١٠٨ - كِتَابُ أَبِي بَكْرٍ إِلَى أَبِي عُبَيْدَةَ

وَكُتِبَ أَبُو بَكْرٍ إِلَى أَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ الْجَرَّاحِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا :
« بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . أما بعدُ : فَإِنِّي قَدْ وَلَّيْتُ خَالِدًا قِتَالَ الرُّومِ
بِالشَّامِ ، فَلَا تَخَالِفْهُ ، وَاسْمَعْ لَهُ وَأَطِعْ أَمْرَهُ ، فَإِنِّي وَلِيَّتُهُ عَلَيْكَ ، وَأَنَا أَعْلَمُ أَنَّكَ
خَيْرٌ مِنْهُ ، وَلَكِنْ ظَنَنْتُ أَنَّ لَهُ فِطْنَةً فِي الْحَرْبِ لَيْسَتْ لَكَ ، أَرَادَ اللَّهُ بِنَا
وَبِكَ سَبِيلَ الرِّشَادِ ، وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ » . (فتوح الشام ص ٧٤)

١٠٩ - كِتَابُ خَالِدٍ إِلَى الْأَمْرَاءِ

وَوَلَّى خَالِدٌ أَمْرَ النَّاسِ ، فَلَمَّا أَرَادَ الشَّخْصُ مِنْ أَرْضِ دِمَشْقٍ إِلَى الرُّومِ
الَّذِينَ اجْتَمَعُوا بِأَجْنَادَيْنِ^(١) ، كَتَبَ نَسْخَةً وَاحِدَةً إِلَى الْأَمْرَاءِ .

(١) قَالَ يَاقُوتٌ فِي مَعْجَمِهِ : « وَتَفْتَحُ الدَّالُ فَتَكْسِرُ مَعَهَا النُّونَ الْأَخِيرَةَ فَيَصِيرُ بِلَفْظِ الثَّنِيَّةِ ، وَتَكْسِرُ
الدَّالُ وَتَفْتَحُ النُّونَ بِلَفْظِ الْجَمْعِ » .

« بسم الله الرحمن الرحيم . أما بعدُ : فإنه قد نزل بأجنادين جموع من جموع الروم غير ذى عدد ولا قوة ، والله قاصمهم ^(١) ، وقاطع دابرهم ^(٢) ، وجاعل دائرة ^(٣) السوء عليهم ، وقد شخصت إليهم يوم سرحت رسولى إليكم ، فإذا قدم عليكم فانهضوا إلى عدوكم رحمكم الله فى أحسن عذتكم ، وأصح نيتكم ، ضاعف الله لكم أجوركم ، وحط أوزاركم ، والسلام عليكم ورحمة الله . »
(فتوح الشام ص ٧٤)

١١٠ — كتاب خالد إلى أبى بكر

فأقبلوا حتى اجتمعوا جميعاً بأجنادين ، وحملوا على الروم فهزموهم وقتلوا منهم عدداً كثيراً ، فلحقوا بإيليا ، وقيسارية ، ودمشق ، وحمص ، فتحصنوا فى المدائن العظام ، وكتب خالد بن الوليد إلى أبى بكر رضى الله عنهما : بفتح الله عز وجل عليه ، وعلى المسلمين :

« بسم الله الرحمن الرحيم . لعبد الله أبى بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم من خالد بن الوليد سيف الله المصبوب على المشركين ، سلام عليك فإننى أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو ، أما بعدُ ، فإننى أخبرك أيها الصديق أنا التقينا نحن والمشركون ، وقد جمعوا لنا جموعاً جمّة كثيرة بأجنادين ، وقد رفعوا صلبهم ، ونشروا كتبهم ، وتقاسموا بالله لا يفرّون حتى يُفنوننا ، أو يخرجونا من بلادهم ، فخرجنا إليهم واثقين بالله متوكلين على الله ، فطاعناهم بالرماح ، ثم صرنا إلى السيوف فقارَعناهم بها ، ثم إن الله أنزل نصره ، وأنجز

(١) قصمه : كسره . (٢) الدابر : آخر كل شيء ، والأصل . (٣) الدائرة : الهزيمة .

وعده ، وهزم الكافرين ، فقاتلناهم في كل فجٍ وشعبٍ وغائطٍ^(١) ، فاحمد الله على إعزاز دينه ، وإذلال عدوه ، وحسن الصنع لأوليائه ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

وكانت وقعة أجنادين أول وقعة عظيمة بالشأم ، وكانت في مجادى الأولى سنة ١٣ هـ ، ثم جمع هرقل للمسلمين فالتقوا باليرموك ، وجاهم الرسل وهم متصافون بخبر وفاة أبي بكر ، واستخلاف عمر ، وولاية أبي عبيدة حرب الشأم ، وعزل خالد بن الوليد ، فكتبوا الخبر الناس حتى ظفروا المسلمون وذلك في رجب سنة ١٣ هـ . (فتوح الشام ص ٨٠)

١١١ - عهد أبي بكر عند موته لعمر بن الخطاب

ولما حضرت الوفاة أبا بكر الصديق دعا عثمان بن عفان رضى الله عنهما فقال : اكتب عهدى ، فكتب عثمان ، وأملى عليه :

« بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ما عهد به أبو بكر بن أبي قحافة خليفة محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم عند آخر عهده بالدنيا نازحاً عنها ، وأول عهده بالآخرة داخلها فيها ، فى الحال التى يؤمن فيها الكافر ، ويتقى فيها الفاجر ، ويصدق الكاذب : إني استخلفت عليكم عمر بن الخطاب ، فإن برّ وعدل فذلك علمي به ورأى فيه ، وإن جار وبدل فلا علم لى بالغيب ، والخير أردت ، ولكل أمرى ما اكتسب ، وسيعلم الذين ظلموا أىّ منقلب ينقلبون » . (الكامل للمبرد ١ : ٦ ، وصبح الأعشى ٩ : ٣٥٩ والإمامة والسياسة ١ : ١٦ ، والعقد الفريد ٢ : ٢٠٧ ، وإيجاز القرآن ص ١١٥)

(١) الفج : الطريق الواسع بين الجبلين . الشعب : الطريق فى الجبل ، ومسيل الماء فى بطن أرض ، أو ما انخرج بين الجبلين . الفائط : المطمئن الواسع من الأرض .

خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه

١١٢ - كتابه إلى أبي عبيدة بن الجراح

روى الطبرى أن أول كتاب كتبه عمر بن الخطاب رضى الله عنه حين ولى الخلافة هو كتابه إلى أبي عبيدة عامر بن الجراح يوليه على جند خالد ابن الوليد^(١)، وهو :

« أوصيك بتقوى الله الذى يَبْقَى وَيَفْنَى ما سواه ، الذى هدانا من الضلالة وأخرجنا من الظلمات إلى النور .

(١) كان عمر قبل أن يلى الخلافة غاضبا على خالد بن الوليد ، وسبب ذلك : أن خالد لما فرغ من أمر طليحة - كما قدمنا - سار لقتال المرتدين من بنى تميم بالبطاح (كغراب) وعليهم مالك ابن نويرة ، وقد تردد عليه أمره ، فلما قدمها بث السرايا وأمرهم بداعية الإسلام . وأن يأتيوه بكل من لم يحب ، وإن امتنع أن يقتلوه ، فجاءته الخيل بمالك بن نويرة في نفر معه من بنى ثعلبة بن يربوع ، فاختلفت السرية فيهم - وفيهم أبو قتادة - فكان فيمن شهد أنهم قد أذنوا وأقاموا وصلوا ، وشهد آخرون أنه لم يكن من ذلك شيء . فلما اختلّفوا فيهم أمر بهم خبسوا في ليلة باردة لا يقوم لها شيء ، وجعلت تردد برداً ، فأمر خالد مناديا فنادى : أذفقوا أسراكم - وكانت في لغة كنانة بمعنى القتل - فظن القوم أنه أراد القتل فقتلوه ، وسمع خالد الواعية (الصراخ) فخرج وقد فرغوا منهم ، فقال : إذا أراد الله أمراً أصابه ، وقد اختلف القوم فيهم ، فقال أبو قتادة : هذا عمالك . فنهزه خالد . ففصّب ومضى حتى أتى أبا بكر ، ثم تزوج خالد امرأة مالك ، وقد ألح عمر على أبى بكر فى خالد أن يعزله . وقال إن فى سيف خالد رهقا (بالتحريك وهو السفة والحفة وركوب الشر والظلم) . فإن لم يكن هذا حقاً حق عليه أن تقبده ، وأكثر عليه فى ذلك ، فقال : هيه يا عمر ، تأوّل فأخطأ ، فأرفع لسانك عن خالد ، لم أكن لأشيم (أى أئتمد) سيفاً سله الله على الكافرين ، وودى مالكا (أى أعطى دينه) وكتب إلى خالد أن يقدم عليه ، وأقبل خالد إلى المدينة حتى دخل المسجد معتجراً بعمامة له قد غرز فيها أسهما ، فقام إليه عمر فانتزع الأسهم من رأسه فطمها ثم قال : أرئاء ؟ قتلت امرأة مسلماً ثم تزوت على امرأته ! والله لأرجنك بأحجارك ، وخالد لا يكلمه حتى دخل على أبى بكر ، فأخبره الخبر واعتذر إليه فمذره ، وخرج خالد حين رضى عنه أبو بكر فقال لعمر وهو جالس فى المسجد : هلم إلى يابن أم شملة ، فعرف عمر أن أبا بكر قد رضى عنه ، فلم يكلمه ودخل بيته . فلما ولى عمر الخلافة عزله عن قيادة جند الشام . وولى مكانه أبا عبيدة .

وقد استعملتكم على جند خالد بن الوليد ، فقم بأمرهم الذي يحقُّ عليك ،
لا تُقدِّم المسلمين إلى هلكةٍ رجاء غنيمةٍ ، ولا تُنزِلْهم منزلاً قبل أن
تستريده^(١) لهم ، وتعلَّم كيف مأتاه ، ولا تبغث سريةً إلا في كُفٍّ^(٢) من
الناس ، وإياك وإلقاء المسلمين في الهلكة ، وقد أبلأك^(٣) الله بي وأبلاني
بك ، فغمضُ بصرك عن الدنيا ، وألَّه قلبك عنها ، وإياك أن تهلكك كما
أهلكك من كان قبلك ، فقد رأيت مصارعهم » . (تاريخ الطبري ٤ : ٥٤)

١١٣ - كتاب عمر إلى الأمصار

وكتب عمر إلى الأمصار :

« إني لم أعزل خالدًا عن سخطٍ ولا خيانة ، ولكن الناس فتنوا به
نخفت أن يوكّلوا إليه ويبتلوا به ، فأحببت أن يعلموا أن الله هو الصانع ،
وأن لا يكونوا بعرض فتنَةٍ » . (تاريخ الطبري ٤ : ٢٠٦)

١١٤ - كتاب عمر بن الخطاب إلى أبي عبيدة

وفي رواية : أن أبا بكر توفّي ، وخالد بن الوليد على حصار دمشق ، فكتب
عمر إلى أبي عبيدة بن عبي بن بكر ، واستعماله أبا عبيدة ، وعزله خالدًا :
« بسم الله الرحمن الرحيم . من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى أبي عبيدة

(١) الرائد : الذي يتقدم القوم يبصر لهم الكلاء ومسائط الغيث ، وقد راد أهله منزلاً وكلاء ،
وراد لهم ، وارتاد ، واستراد .

(٢) السرية : قطعة من الجيش . الكف : الجماعة . (٣) أبلأه : امتحنه كابتلاه .

ابن الجراح ، سلام عليك ، فإنني أحمّد إليك الله الذي لا إله إلا هو ،
أما بعد: فإن أبا بكر الصديق خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم قد توفّي ،
فإنّا لله وإنّا إليه راجعون ، ورحمة الله وبركاته على أبي بكر الصديق
العامل^(١) بالحق ، والأمر بالقسط^(٢) ، والآخذ بالعرف ، اللّين السّتير الوادع^(٣) ،
السّهل القريب الحكيم ، نحتسب مصيبتنا فيه ومصيبة المسلمين عامّة عند الله
تعالى ، وإنّا نرغب إلى الله في العِصمة برحمته من كل معصية ، ونسأله العمل
بطاعته ما أحيانا ، والحلول في جنته إذا توفّانا ، إنه على كل شيء قدير .

وقد بلغنا حصاركم لأهل دِمَشق ، وقد وليتكم جماعة المسلمين فبُتَّ
سراياكم^(٤) في نواحي أهل حمص ودمشق وما سواها من أرض الشام ، وانظر
في ذلك برأيك ، ومن حَضَرَكَ من المسلمين ، ولا يحمِلَنَّكَ قولي هذا على
أن تُغريَ عسكريك فيطمع فيك عدوك ، ولكن من استغنى عنه فسيّره ،
ومن احتجت إليه في حصارك فاحتبسّه ، وليكن فيمن يُحتبس خالد بن الوليد ،
فإنه لا غنى بك عنه ، والسلام عليك ورحمة الله .

(تهذيب تاريخ ابن عساكر ١ : ١٥١ ، وفتوح الشام ص ٨٦)

١١٥ - كتاب أبي عبيدة بن الجراح ومعاذ بن جبل

إلى عمر بن الخطاب

فكتب أبو عبيدة بن الجراح ، ومعاذ بن جبل إلى عمر بن الخطاب
رضي الله عنهم كتاباً واحداً ، وهو :

(١) في فتوح الشام « الفائل » . (٢) القسط : العدل .

(٣) الستير : العفيف . الوادع : الوديع أي الساكن . وفعله : ككرم . وفي فتوح الشام « والآخذ

بالعرف والبر الشيم السهل القريب ... » .

(٤) جمع سرية كغنية : وهي القطعة من الجيش .

« بسم الله الرحمن الرحيم . من أبي عُبَيْدَةَ بْنِ الْجَرَّاحِ ، وَمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ
إِلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ، سَلَامٌ عَلَيْكَ ، فَإِنَّا نَحْمَدُ إِلَيْكَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ،
أَمَّا بَعْدُ : فَإِنَّا عَاهِدُنَاكَ ، وَأَمْرُ نَفْسِكَ لَكَ مُهِمٌّ ، وَإِنَّا يَا عُمَرُ أَصْبَحْتَ وَقَدْ
وَلَّيْتَ أَمْرَ أُمَّةٍ مُحَمَّدٌ : أَحْمَرُهَا ^(١) وَأَسْوَدُهَا ، يَقْعُدُ بَيْنَ يَدَيْكَ الصَّدِيقُ وَالْعَدُوُّ ،
وَالشَّرِيفُ وَالْوَضِيعُ ، وَالشَّدِيدُ وَالضَّعِيفُ ، وَلِكُلِّ عَلَيْكَ حَقٌّ وَحِصَّةٌ ^(٢)
مِنَ الْعَدْلِ ، فَانْظُرْ كَيْفَ أَنْتَ يَا عُمَرُ عِنْدَ ذَلِكَ ، وَإِنَّا نَذَكِّرُكَ يَوْمًا تُبْلَى ^(٣)
فِيهِ السَّرَائِرُ ، وَتُكْشَفُ فِيهِ الْعَوْرَاتُ ، وَتُظْهِرُ فِيهِ الْمُخَبَّاتُ ، وَتَعْنُو فِيهِ
الْوُجُوهُ لِلْمَلِكِ قَاهِرٍ ، قَهَرَهُمْ بِجَبَرُوتِهِ ، وَالنَّاسُ لَهُ دَاخِرُونَ يَنْتَظِرُونَ قَضَاءَهُ ،
وَيَخَافُونَ عِقَابَهُ ، وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ .

وإنه بلغنا أنه يكون في هذه الأمة رجال يكونون إخوان العلانية ،
أعداء السرية ، وإننا نعوذ بالله أن تُنْزَلَ كتابنا من قلبك سوى المنزل
الذي نزل من قلوبنا ، فإننا إنما كتبنا إليك نصيحة لك ، والسلام عليك
ورحمة الله وبركاته . (فتوح الشام ص ٨٨ : وإعجاز القرآن ص ١١٦)

(١) الحمراء : العجم لأن الغالب على ألوانهم البياض والحمرة .

(٢) الحصّة : النصيب . وفي إعجاز القرآن « ولكل حصته من العدل » .

(٣) تبلى أى تختبر وتكشف . تعنو : تدل وتضع . داخرون : صاغرون ذليلون . من دخر
كنع وفرح دخورا ودخرا بالتحريك أى صغر وذل ، وفي إعجاز القرآن « فإننا نخذرك يوما تعنو فيه
الوجوه ، وتجب فيه القلوب (أى تضطرب) وإننا كنا نتحدث أن هذه الأمة ترجع في آخر زمانها
أن يكون إخوان العلانية أعداء السرية » .

١١٦ - رد عمر على أبي عبيدة ومعاذ

فكتب عمر رضى الله عنه جواب كتابهما :

« بسم الله الرحمن الرحيم . من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى أبي عبيدة ابن الجراح ، ومُعَاذ بن جبل ، سلام عليكما ، فَإِنِّى أَحْمَدُ إِلَيْكُمَا اللَّهَ الَّذِى لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ، أَمَا بَعْدُ : فَإِنِّى أُوصِيكُمَا بِتَقْوَى اللَّهِ ، فَإِنَّهُ رِضَا رَبِّكُمَا ، وَحِظُّ أَنْفُسِكُمَا . وَغَنِيمَةُ الْأَكْيَاسِ لَا أَنْفُسَهُمْ عِنْدَ تَفْرِيطِ الْعَجْزَةِ ، وَقَدْ بَلَغْنِى كِتَابُكُمَا تَذْكَرَانِ أَنَّكُمَا عَهْدُتُمَانِى وَأَمْرُ نَفْسِى لِي مُهِمٌّ ، فَمَا يُدْرِيكُمَا ؟ وَهَذِهِ تَرْكِيَةٌ مِنْكُمَا لِي ، وَتَذْكَرَانِ أَنِّى وَلَيْتَ أَمْرُ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَقَعْدُ بَيْنَ يَدَيْ الصَّدِيقِ وَالْعَدُوِّ ، وَالشَّرِيفِ وَالْوَضِيعِ ، وَالْقَوَى وَالضَّعِيفِ ، وَلِكُلِّ حِصَّةٍ مِنَ الْعَدْلِ ، وَكُتِبْتُمَا أَنْ أَنْظُرَ كَيْفَ أَنْتَ يَا عُمَرُ عِنْدَ ذَلِكَ ، وَإِنَّهُ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ لِعُمَرَ عِنْدَ ذَلِكَ إِلَّا بِاللَّهِ ، وَكُتِبْتُمَا تَخَوُّفَانِى^(١) يَوْمًا هُوَ آتٍ ، وَذَلِكَ بِاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ، فَإِنَّهُمَا يُبْلِيَانِ كُلَّ جَدِيدٍ ، وَيُقَرِّبَانِ كُلَّ بَعِيدٍ ، وَيَأْتِيَانِ بِكُلِّ مَوْعُودٍ ، حَتَّى يَأْتِيَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ ، يَوْمَ تُبْلَى فِيهِ السَّرَائِرُ ، وَتُكْشَفُ الْعُورَاتُ ، وَتَعْنُو فِيهِ الْوُجُوهُ ، لِعِزَّةِ مَلِكٍ قَهَرَهُمْ بِجَبَرُوتِهِ ، فَالنَّاسُ لَهُ دَاخِرُونَ يَخَافُونَ عِقَابَهُ ، وَيَنْتَظِرُونَ قَضَاءَهُ ، وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ ، وَذَكَرْتُمَا أَنَّهُ بَلَغَكُمَا أَنَّهُ يَكُونُ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ رِجَالٌ يَكُونُونَ إِخْوَانُ الْعِلَانِيَةِ أَعْدَاءُ السَّرِيرَةِ ، فَلَيْسَ هَذَا بِزَمَانٍ ذَلِكَ ، إِنَّمَا ذَلِكَ فِي آخِرِ الزَّمَانِ إِذَا كَانَتِ الرَّغْبَةُ وَالرَّهْبَةُ رَغْبَةَ النَّاسِ

(١) وفى إيجاز القرآن : « وَكُتِبْتُمَا تَحْذَرَانِ مَا حَذَرْتُ بِهِ الْأُمَّةَ قَبْلُنَا ، وَقَدِيمًا كَانَ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ بِأَجَالِ النَّاسِ يَقْرَبَانِ كُلَّ بَعِيدٍ ، وَيُبْلِيَانِ كُلَّ جَدِيدٍ ، وَيَأْتِيَانِ بِكُلِّ مَوْعُودٍ ، حَتَّى يَصِيرَ النَّاسُ إِلَى مَنَازِلِهِمْ مِنَ الْجَنَّةِ أَوْ النَّارِ ، ثُمَّ تَوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ » .

بعضهم إلى بعض

(١)

لولا أنك عامته من غيري ، وما سلطان الدنيا وإمارتها ! فإن كل ما ترى
يصير إلى زوال ، وإنما نحن إخوان ، فأيننا أم أخاه أو كان أميراً عليه لم
يضره ذلك في دينه ولا دنياه ، بل لعل الوالي أن يكون أقربهما إلى الفتنة ،
وأوقعهما بالخطيئة لأنه بعرض هلكة إلا من عصم الله عز وجل ، وقليل
ما هم ، وكتبتما تعوذاني بالله أن أنزل كتابكما مني سوى المنزل الذي نزل من
قلوبكما ، وإنما كتبتما نصيحة لي ، وقد صدقتما ، فتعهداني منكما بكتاب ،
ولا غنى بي عنكما . (فتوح الشام ص ٨٩ . وإعجاز القرآن ص ١١٧)

١١٧ - كتاب عمر إلى أبي عبيدة

وبعد أن تم الظفر للمسلمين في وقعة « اليرموك » بلغ أبا عبيدة أن الروم
أرزوا^(٢) إلى « فحل » ، وأن المدد قد أتى أهل دمشق من حمص ، فكتب
إلى عمر بن الخطاب يستشيره : أبدوامشق يبدأ أم بفحل من بلاد الأردن ؟
فكتب إليه عمر :

(١) ياض بالأصل في فتوح الشام . وفي إعجاز القرآن : « وكتبتما ترعمان أن أمر هذه الأمة يرجع
في آخر زمانها أن يكون إخوان العلانية أعداء السريرة ، ولستم بذلك ، وليس هذا ذلك الزمان ،
ولكن زمان ذلك حين تظهر الرغبة والرغبة ، فتكون رغبة بعض الناس إلى بعض إصلاح دينهم ،
ورغبة بعض الناس لإصلاح دنياهم » .

(٢) أرز كضرب : تجمع ونبث . أرزت الحية : لاذت بجحرها ورجعت إليه وثبتت في مكانها .

«أما بعدُ ، فابدءوا بدمشق فانهدوا^(١) لها ، فإنها حصن الشام ، ويدت مملكتهم ، واشغلوها عنكم أهل فيحل بخيل تكون يازائهم في نحورهم ، وأهل فلسطين وأهل حمص ، فإن فتحها الله قبل دمشق فذاك الذي نحب ، وإن تأخر فتحها حتى يفتح الله دمشق فليَنزل بدمشق من يُمسك بها ، ودعوها وانطلق أنت وسائر الأمراء حتى تُغيروا على فحل ، فإن فتح الله عليكم فانصرف أنت وخالد إلى حمص ، ودع سُرحبيل وعمراً وأخْلِهما بالأردن وفلسطين ، وأمير كل بلد وجُنْدٍ على الناس حتى يخرجوا من إمارته » .
(تاريخ الطبري ٤ : ٥٧)

١١٨ - عهد خالد بن الوليد لأهل دمشق

وسار المسلمون إلى دمشق وحاصروها ، فنزل خالد بن الوليد على الباب الشرقى ، وعمرو بن العاص على باب توما ، وسُرحبيل على باب الفراديس ، وأبو عبيدة على باب الجابية ، ويزيد بن أبي سفيان على باب كيسان ، وألحوا عليها ، فقال الأسقف يوماً لخالد : صالحني على هذه المدينة ، فدعا خالد بدواة وقرطاس وكتب :

« بسم الله الرحمن الرحيم : هذا ما أعطى خالد بن الوليد أهل دمشق إذا دخلها^(٢) ، أعطاهم أماناً على أنفسهم وأموالهم وكنائسهم وسُور مدينتهم

(١) أى انهضوا .

(٢) وفي تاريخ ابن عساكر « يوم فتحها » وذلك يدل على أن هذا العهد كتب بعد الفتح ، كما يدل على ذلك أيضاً ماورد في رواية ابن عساكر من قوله عقب إيراد الكتاب : « شهد هذا الكتاب يوم كتب عمرو بن العاص وعياض بن غنم ويزيد بن أبي سفيان وأبو عبيدة بن الجراح ومعمربن عتاب وسرحبيل بن حسنة وعمير بن سعد ويزيد بن نيشة وعبد الله بن الحارث وقضاة بن عامر » .

لا يُهْدَم ولا يُسَكَن شَيْءٌ مِنْ دُورِهِمْ ، لَهُمْ عَلَى ذَلِكَ عَهْدُ اللَّهِ وَذِمَّةُ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالخلفاء والمؤمنين ، لا يُعْرَضُ لَهُمْ إِلَّا بِخَيْرٍ إِذَا أُعْطُوا الْجِزْيَةُ »
وكتب في رجب من سنة أربع عشرة .

(فتوح البلدان للبلاذري ص ١٢٧ ، وتهذيب تاريخ ابن عساكر ١ : ١٤٨ ، ٢ : ١٠٥)

١١٩ - عهد أبي عبيدة لأهل دمشق

وشمر خالد لفتح المدينة ، فدخلها من جهته غنوةً ، فلما رأى ذلك الروم قصدوا أبا عبيدة ، وبذلوا له الصلح ، فقبل منهم ، وفتحوا له الباب ، فالتقى خالد والقواد في وسطها^(١) ، ثم كتب لهم أبو عبيدة كتاب الصلح ، وهو :
« بسم الله الرحمن الرحيم . هذا كتاب لأبي عبيدة بن الجراح ممن أقام بدمشق وأرضها ، وأرض الشام من الأعاجم ، إنك حين قدمت بلادنا سألناك الأمان على أنفسنا وأهل ملتنا ، وإنا اشترطنا لك على أنفسنا أن لا تُحدث في مدينة دمشق ، ولا فيما حولها كنيسةً ، ولا ديراً ولا قلايةً^(٢) ، ولا صومعةً راهب ، ولا نجدد ما خرب من كنائسنا ، ولا شيئاً منها مما كان في خطط^(٣) المسامين ، ولا نمنع كنائسنا من المسلمين أن ينزلوها في الليل والنهار ، وأن توسع أبوابها للمارة ، وأبناء السبيل ، ولا نُؤوي فيها ، ولا في منازلنا جاسوساً . ولا نكتم على من غش المسامين ، وعلى أن

(١) وجاء في فتوح البلدان للبلاذري ص ١٢٨ : « لما رأى الأسقف أن أبا عبيدة قد قارب دخول المدينة بدر إلى خالد فصالحه ، وفتح له الباب الشرقي ، فدخل والأسقف معه نائراً كتابه الذي كتبه له ، فقال بعض المسلمين : والله ما خالد بأمر فكيف يجوز صلحه ؟ فقال أبو عبيدة : إنه يعيز على المسلمين أديانهم ، وأجاز صاحبه وأمضاء ... » .

(٢) القلاية : من بيوت عبادات النصارى كالصومعة ، وفي الأصل : « قلامة » وهو تحريف .

(٣) الخطط جمع خطة بالكسر . وهي الأرض التي يخططها الرجل لنفسه .

لا نضرب بنوا قيسنا إلا ضرباً خفيفاً في جوف كنائسنا ، ولا نظهر الصليب عليها ، ولا نرفع أصواتنا في صلاتنا وقراءتنا في كنائسنا ، ولا نُخرج صليتنا ولا كتابنا ، ولا نُخرج باعوثاً ولا سَعَانِينَ^(١) ، ولا نرفع أصواتنا ببوتانا ، ولا نظهر النيران معهم في أسواق المسلمين ، ولا نجاورهم بالخنازير ، ولا نبيع الحنور ، ولا نظهر شرّاً كافياً في نادى المسلمين ، ولا نرغب مسلماً في ديننا ، ولا ندعو إليه أحداً ، وعلى أن لا نتخذ شيئاً من الرفيق الذين جرّت عليهم سيئاتهم المسلمين ، ولا نمنع أحداً من قرابتنا إن أرادوا الدخول في الإسلام ، وأن نلزم ديننا حيثما كنا ، ولا نتشبه بالمسلمين في لبس قلنسوة ولا عمامة ولا نعلين ، ولا فرّق شعر ، ولا في مراكبهم ، ولا نتكلم بكلامهم ، ولا نتسمّى بأسمائهم ، وأن نجزّ مقدّم رءوسنا ، ونفريق نواصيتنا ، ونشدّ الزنابير^(٢) على أوساطنا ، وأن لا ننقش في خواتيمنا بالعربية ، ولا نركب الشروج ، ولا نتخذ شيئاً من السلاح ، ولا نجعله في بيوتنا ، ولا نتقلد السيوف ، وأن نوقر المسلمين في مجالسهم ، ونرشدهم الطريق ، ونقوم لهم من المجالس إذا أرادوها ، ولا نطلع عليهم في منازلهم ، ولا نعلم أولادنا القرآن ، ولا نشارك أحداً من المسلمين إلا أن يكون للمسلم أمر التجارة ، وأن نُضيف كل مسلم عابر سبيل من أوسط ما نجد ، ونُطعمه فيها ثلاثة أيام ، وعلينا أن لا نشتم مسلماً ومن ضرب مسلماً فقد خلّع عهده .

صَمْنًا ذَلِكَ لَكَ عَلَى أَنْفُسِنَا وَذَرَارِينَا وَأَرْوَاحِنَا وَمَسَاكِينِنَا ، وَإِنْ نَحْنُ

(١) الباعوث عند النصارى كالاستشفاء عندنا ، وهو اسم سرياني ، والسعانيين : عيد لهم قبل عيدهم الكبير بأسبوع وهو سرياني أيضاً .

(٢) الزنابير جمع زنار كرمان : وهو ما يشد على وسط النصارى والمجوس .

غَيَّرْنَا أَوْ خَالَفْنَا عَمَّا اشْتَرَطْنَا لَكَ وَقَبِلْنَا الْأَمَانَ عَلَيْهِ ، فَلَا ذِمَّةَ لَنَا ، وَقَدْ حَلَّ
لَكَ مِنَّا مَا حَلَّ مِنْ أَهْلِ الْمَعَانِدَةِ وَالشَّقَاقِ ، عَلَى ذَلِكَ أُعْطِينَا الْأَمَانَ لَأَنْفُسِنَا
وَأَهْلِ مِلَّتِنَا ، فَأَقْرَأُونَا فِي بِلَادِكُمُ الَّتِي وَرَّثَكُمُ اللَّهُ بِهَا .

شَهِدَ اللَّهُ عَلَى مَا شَرَطْنَا لَكُمْ عَلَى أَنْفُسِنَا ، وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا .
(تهذيب تاريخ ابن عساکر ١ : ١٤٩)

١٢٠ - كتاب عمرو بن العاص إلى أبي عبيدة

ولما ظهر أبو عبيدة على دمشق أمرَ عمرو بن العاص بأن يسير إلى
أرض الأَرْدُنَّ وفلسطين فيكون بينهما ، ففعل ما أمر به ، وبلغه وهو هناك
أن الروم قد جمعوا جموعهم ، وتأهبوا لقتال المسلمين ، فكتب إلى أبي عبيدة
ابن الجراح :

« بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . أَمَا بَعْدُ : فَإِنَّ الرُّومَ قَدْ أَعْظَمَتْ فَتْحَ
دِمَشْقَ ، واجتمعوا من نواحي الأَرْدُنَّ وفلسطين ، فكتائبوا وتواثقوا
وتعاقدوا أَنْ لَا يَرْجِعُوا إِلَى النِّسَاءِ وَالْأَوْلَادِ حَتَّى يُخْرِجُوا الْعَرَبَ مِنْ بِلَادِهِمْ ،
وَاللَّهُ مُكَذِّبُ قَوْلِهِمْ وَأَمَلَهُمْ ، وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ
سَبِيلًا ، فَاصْبِرْ إِلَى بَرَاءِيكَ فِي هَذَا الْحَدَثِ ، أُرْسِدَ اللَّهُ أَمْرَكَ ، وَسَدَّدَكَ وَأَدَامَ
رُسْدَكَ ، وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ . »

فأمده أبو عبيدة بجيش عظيم . (فتوح الشام ص ٩٤)

١٢١ - كتاب أبي عبيدة إلى عمر بن الخطاب

وكتب أبو عبيدة بن الجراح إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنهما :
« بسم الله الرحمن الرحيم . لعبد الله عمر أمير المؤمنين من أبي عبيدة
ابن الجراح ، سلامٌ عليك ، فإنى أحمدُ إليك الله الذى لا إله إلا هو ، أما بعدُ :
فإن الروم قد أقبلت فنزلت « فِجْل » طائفةٌ منهم مع أهلها ، وقد سارع
إليهم أهل البلد ، ومن كان على دينهم من العرب ، وقد أرسلوا إلى أن :
« اخرج من بلادنا التى تُنبِت الحنطة والشعير والفواكه والأعشاب ، وإنكم
لستم لها بأهل ، والحقوا ببلادكم بلاد الشقاء والبؤس ، فإن أنتم لم تفعلوا
سيرنا إليكم بما لا قبل لَكُمْ به ، ثم أعطينا الله عهداً أن لا ننصرف عنكم ،
ومنكم عين تطرف »^(١) فأرسلت إليهم :

« أمّا قولكم : « اخرجوا من بلادنا ، فلستم لها بأهل » فلعمرى
ما كنا لنخرج منها ، وقد دخلناها وورثناها الله منكم ، ونزعناها من أيديكم
وإنما البلاد بلاد الله ، والعباد عبادَه ، وهو ملك الملوك ، يؤتى الملك من
يشاء ، وينزع الملك ممن يشاء ، ويعز من يشاء ، ويذل من يشاء ، وأمّا
ما ذكرتم من بلادنا وزعمتم أنها بلاد البؤس والشقاء ، فقد صدقتم ، وقد
أبدلنا الله بها بلادكم بلاد العيش الرفيع^(٢) ، والسَّعَر الرِّخِيس ، والفواكه
الكثيرة ، فلا تحسبونا بتاركيها ، ولا منصرفين عنها ، وإن كن أقيموا لنا

(١) طرفت العين كضرب : تحرك جفناها . (٢) الرفاعة والرفاغية : سعة العيش والخصب
والسعة . وعيش أرفع ورافع ورفيع : خصب واسع طيب ، وفعله ككرم ، وفى الأصل « العيش
الرفيع » بالعين ، والمعنى عليه مستقيم ، ولكنه بالعين أحسن .

فوالله لا نجشكم إتياننا ، ولنا تينكم إن أقمت لنا .
فكتبت إليك حين نهضت إليهم ، متوكلاً على الله ، راضياً بقضاء
الله ، واثقاً بنصر الله ، كفانا الله وإياك والمؤمنين مكيدة كل كائد ، وحسد
كل حاسد ، ونصر الله أهل دينه نصراً عزيزاً ، وفتح لهم فتحاً يسيراً ،
وجعل لهم من لدنه سلطاناً نصيراً » . (فتوح الشام ص ١٠٩)

١٢٢ - رد عمر على أبي عبيدة

فكتب إليه عمر رضى الله عنه :

« بسم الله الرحمن الرحيم . من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى أبي عبيدة
ابن الجراح ، سلام عليك ، فإنني أحمدك الله الذي لا إله إلا هو ، أما بعد :
فإن كتابك جاءني بنفير الروم إليك ، ومنزلهم الذي نزلوا به ، ورسالتهم التي
أرسلوا ، وبالذي رجعت إليهم فيما سألوك ، وقد سددت بحجتك ، وأوتيت
رشدك ، فإن أتاك كتابي هذا وأنتم الغالبون ، فكثيراً ما نذكر من ربنا
الإحسان إلينا وإليكم ، وإن أتاكم وقد أصابكم نكب^(١) ، أو قرح فلا تنهوا
ولا تحزنوا ولا تستكبنوا ، فإنكم الأئمة ، وإنها دار الله ، وهو فاتحها عليكم
تصديقاً منا لقول نبينا صلى الله عليه وسلم^(٢) فاصبروا إن الله مع الصابرين .

(١) النكب والنكبة : المصيبة . القرح : الجرح وعض السلاح ونحوه . وهن يهن : ضعف .
(٢) جاء في سيرة ابن هشام في السكلام في غزوة الخندق ج ٢ : ص ١٥٨ . « قال ابن إسحاق :
وحدثت عن سلمان الفارسي أنه قال : ضربت في ناحية من الخندق ففاظت على صخرة ، ورسول الله
صلى الله عليه وسلم قريب مني ، فلما رأي أني أضرب ورأى شدة المكان عليّ ، نزل فأخذ المعول من
يدي فضرب به ضربة لمعت تحت المعول برقة (والبرقة بالضم ذات حجارة وتراب وحجارتها الغالب
عليها البياض وفيها حجارة حمراء وسود) . ثم ضرب به ضربة أخرى فلمعت تحته برقة أخرى ، ثم
ضرب به الثالثة فلمعت تحته برقة أخرى . قال قلت : بأبي أنت وأمي يا رسول الله ، ما هذا الذي رأيت

واعلم أنك متى ما لقيتَ عدوك ، فاستعنتَ بالله عليهم ، وعلم منك
الصدق ، نصرك عليهم ، قتل إذا أنت لقيتهم : اللهم إنك الناصرُ لدينك ،
والمُعزُّ لأوليائك قديماً وحديثاً ، اللهم فتولَّ نصرهم ، وأظهرْ فلجهم^(١) ، ولا
تكلمهم إلى أنفسهم فيعجزوا عنها ، وكن الصانعَ لهم ، والدافعَ عنهم
برحمتك ، إنك الوليُّ الحميد » . (فتوح الشام ص ١١١)

١٢٣ - كتاب أبي عبيدة إلى عمر

ونهض المسلمون لقتال الروم فهزموهم ، وقتلوا منهم مقتلة عظيمة ،
وغلبوا على سواد الأردنّ وعلى أرضها ، وكتب أبو عبيدة إلى عمر رضى
الله عنهما .

« بسم الله الرحمن الرحيم . لعبد الله عمر أمير المؤمنين من أبي عبيدة
ابن الجراح ، سلام عليك ، فإنني أحمّد إليك الله الذي لا إله إلا هو ، أما بعدُ :
فالحمد لله الذي أنزل على المسلمين المؤمنين نصره ، وعلى الكافرين رجزه ،
أخبر أمير المؤمنين - أصلحه الله - أنا التقينا نحن والروم ، وقد جمعوا لنا الجموع
العظام ، فجاءونا من رءوس الجبال ، وأسياف^(٢) البحار ، وظنوا أنه لا غالبَ
لهم من الناس ، فبرزوا لنا وبغوا علينا ، وتوكلنا على الله ، ورفعنا رغبتنا إليه ،
وقلنا : حسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ، ونهضنا إليهم بخيلنا ورجّالتنا ، وكان القتال بين

يلم تحت المعول وأنت تضرب ؟ قال : أو قد رأيت ذلك ياسلمان ، قلت : نعم ، قال : أما الأول
فإن الله فتح على بها اليمن ، وأما الثانية فإن الله فتح على بها الشام والمغرب ، وأما الثالثة فإن الله فتح
على بها المشرق » . (١) الفلج : الظفر والفوز .

(٢) سيف البحر بالكسر : ساحله .

الفریقین مَلِيًّا^(١) من النهار ، أهدى الله فيه الشهادة لرجال من المسلمين ، منهم عمرو بن سعيد بن العاص ، وضرب الله وجوه المشركين ، واتبعهم المسلمون يقتلونهم ويأسروهم ، حتى اعتصموا بحصونهم ، فأصاب المسلمون عسكرهم ، وغلبوا على بلدهم ، وأنزلهم الله من صياصيهم^(٢) ، وقذف في قلوبهم الرُّعبَ ، فاحمد الله يا أمير المؤمنين أنت ومن قبلك من المسلمين على إغزادينه ، وإظهار الفلج على المشركين ، وادعوا الله لنا بتمام النعمة ، والسلام عليك . (فتوح الشام ص ١٢٢)

١٢٤ - كتاب أبي عبيدة إلى عمر

فلما رأى أهل « فِخْل » أن المسلمين قد غلبوا على أرض الأَرْدُنَّ ، سألوهم الصلح فصالحوهم ، وأما أهل الأَرْدُنَّ وأهل القرى ، فإن المسلمين أخذوا ذلك عَنوةً بغير صلح ، فاختلفوا فيهم ، فقالت طائفة : تقتسمهم ، وقالت طائفة : تتركهم ، وكتب أبو عبيدة بن الجراح إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنهما :

« بسم الله الرحمن الرحيم . أما بعد : فإن الله ذا المنّ والفضل والنعم العظام فتح على المسلمين من أرض الروم ، فرأت طائفة من المسلمين أن يُقَرِّوا أهلها على أن يؤدّوا الجزية إليهم ، ويكونوا عُمارَ الأرض ، ورأت طائفة منهم أن يقتسموهم ، فليكتب إلينا أمير المؤمنين برأيه في ذلك ، ادام الله لك التوفيق في^(٣) جميع الأمور . (فتوح الشام ص ١٢٣)

(١) أى زماناً طويلاً . (٢) الصياصى : الحصون وكل ما امتنع به جمع صيصية .

(٣) فى الأصل : « وجميع الأمور » .

١٢٥ - رد عمر على أبي عبيدة

فكتب إليه عمر رضى الله عنه :

« بسم الله الرحمن الرحيم . من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى أبي عبيدة ابن الجراح ، سلام عليك ، فإنى أحمدُ إليك الله الذى لا إله إلا هو ، أما بعدُ : فإنه بلغنى كتابك تذكرُ إعزازَ الله أهلَ دينه ، وخِذلانَ أهلِ عداوته ، وكفايته إيانا مؤنةً من عادانا ، فالحمد لله على إحسانه إلينا فيما مضى ، وحُسنِ صنيعه لنا فيما غبر^(١) ، الذى عافى جماعةَ المسلمين ، وأكرمَ بالشهادة فريقاً من المؤمنين ، فهنئنا لهم برضا ربهم ، وكرامته إياهم ، ونسأله ألاَّ يحرمنا أجرهم ، وألاَّ يفتننا بعدهم ، فقد نصحوا الله ، وقضوا ما عليهم ، ولربهم كانوا يعملون ، ولأنفسهم كانوا يهتدون . وقد فهمتُ ما ذكرتَ من الأرض التى ظهرَ عليها وعلى أهلها المسلمون ، فقالت طائفة : نُقرِّأُ أهلها على أن يؤدُّوا الجزية إلى المسلمين ، ويكونوا عُمرارَ الأرض ، وقالت طائفة : نقتسمهم ، وإنى قد نظرتُ فيما كتبتَ إلى من هذا ، ففرِّقْ رأى فيما سألتنى عنه ، إلاَّ أنى قد رأيتُ أن تُقرِّمهم ، وأن تحملَ الجزيةَ عليهم ، وتقسيمها بين المسلمين ، ويكونوا عُمرارَ الأرض ، فهم أعلمُ بها ، وأقوى عليها من غيرهم ، أرأيتم لو أننا أخذنا أهلها واقتسمناهم ، من كان يكون لمن يأتى بعدنا من المسلمين ؟ والله ما كانوا إذن ليجدوا إنساناً يكلمونه ، ولا يكلمهم ، ولا ينتفعون بشيء من ذات يده ، وإن هؤلاء يأكلهم المسلمون ماداموا أحياء ،

(١) غبر الشيء كدخل : بقى ومضى ، ضد .

فَإِذَا هَلَكْنَا وَهَلَكُوا أَكُلَ أَبْنَاؤُنَا أَبْنَاءَهُمْ أَبَدًا مَا بَقُوا ، وَكَانُوا عبيدًا لِأَهْلِ
الإِسْلَامِ أَبَدًا مَا دَامَ دِينُ الإِسْلَامِ ظَاهِرًا ، فَضَعُ عَلَيْهِمُ الْجُزْيَةَ ، وَكَفَّ عَنْهُمْ
السَّيِّئَ ، وَامْنَعِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ ظُلْمِهِمْ ، وَالْإِضْرَارَ بِهِمْ ، وَأَكْلَ أَمْوَالِهِمْ
إِلَّا بِحَقِّهَا .

فَلَمَّا جَاءَ أَبُو عبيدة هَذَا الرَّأْيَ مِنْ عَمْرِو بْنِ الْعَمْرِ . (فتوح الشام ص ١٢٤)

صورة أخرى

وجاء في كتاب الخراج لأبي يوسف :

وكتب أبو عبيدة إلى عمر رضي الله عنه بهزيمة المشركين ، وبما أفاء الله
على المسلمين ، وما أعطى أهل الذمة من الصلح ، وما سأل المسلمون من
أَنْ يَقْسِمَ بَيْنَهُمُ الْمَدَنُ وَأَهْلُهَا ، وَالْأَرْضَ وَمَا فِيهَا مِنْ شَجَرٍ أَوْ زَرْعٍ ،
وَأَنَّهُ أَبَى ذَلِكَ عَلَيْهِمْ ، حَتَّى كَتَبَ إِلَيْهِ فِيهِ ، لِيَكْتُبَ إِلَيْهِ بِرَأْيِهِ فِيهِ ،
فَكَتَبَ إِلَيْهِ عَمْرُ :

« إِنِّي نَظَرْتُ فِيمَا ذَكَرْتَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ ، وَالصَّلَاحَ الَّذِي صَالَحَتْ
عَلَيْهِ أَهْلُ الْمَدَنِ وَالْأَمْصَارِ ، وَشَاوَرْتُ فِيهِ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ ، فَكُلُّ قَدْ قَالَ فِي ذَلِكَ بِرَأْيِهِ ، وَإِنْ رَأَيْتَ تَبَعُ لِكِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى ، قَالَ
اللَّهُ تَعَالَى : « وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ »^(١) عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ
وَلَا رِكَابٍ وَلَا كِنَ اللَّهُ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ
مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِلَّذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى

(١) أفاء عليه : أعاده عليه ورده بمعنى صيره له . ووجف الفرس كوعد وجيفاً : عدا . أوجفته :
أعديته . ومن في الآية زائدة : أى لم تقاسوا فيه مشقة .

وَالْمَسَاكِينَ وَأَبْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً^(١) بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ، لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ «
 هُمُ الْمُهَاجِرُونَ الْأُولُونَ » وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ^(٢) وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ « فَإِنَّهُمْ الْأَنْصَارُ « وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ » وَلَدَ آدَمَ الْأَحْمَرُ وَالْأَسْوَدَ ، فَقَدْ أَشْرَكَ اللَّهُ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ فِي هَذَا النَّفْيِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ .
 فَأَوْقَرَ مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ فِي أَيْدِي أَهْلِهِ ، وَاجْعَلِ الْجِزْيَةَ عَلَيْهِمْ بِقَدْرِ طاقَتِهِمْ تَقْسِمُهَا بَيْنَ الْمَسَامِينِ ، وَيَكُونُونَ عُمَّارِ الْأَرْضِ ، فَهُمْ أَعْلَمُ بِهَا وَأَقْوَى عَلَيْهَا ، وَلَا سَبِيلَ لَكَ عَلَيْهِمْ ، وَلَا لِلْمَسَامِينِ مَعَكَ أَنْ تَجْعَلَهُمْ فَيْئًا وَتَقْسِمَهُمْ ، لِلصِّلَحِ الَّذِي جَرَى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ ، وَلِأَخْذِكَ الْجِزْيَةَ مِنْهُمْ بِقَدْرِ طاقَتِهِمْ ، وَقَدْ بَيَّنَّ اللَّهُ لَنَا وَلَكُمْ فَقَالَ : فِي كِتَابِهِ « قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ » .
 فَإِذَا أَخَذْتَ مِنْهُمْ الْجِزْيَةَ فَلَا شَيْءَ لَكَ عَلَيْهِمْ وَلَا سَبِيلَ ، أَرَأَيْتَ لَوْ أَخَذْنَا أَهْلَهَا فَاقْتَسَمْنَاهُمْ ، مَا كَانَ يَكُونُ لِمَنْ يَأْتِي مِنْ بَعْدِنَا مِنَ الْمَسَامِينِ ؟ وَاللَّهُ مَا كَانُوا يَجِدُونَ إِنْسَانًا يَكْلُمُونَهُ ، وَلَا يَنْتَفِعُونَ بِشَيْءٍ مِنْ ذَاتِ يَدِهِ ، وَإِنْ

(١) أى يتداوله الأغنياء ويدور بينهم كما كان في الجاهلية . (٢) الخصاصة : الحاجة والفقر .

هؤلاء يا كلهم المسلمون ما داموا أحياء ، فإذا هلكنا وهلكوا أكل أبنائنا
أبناءهم أبداً ما بقوا ، فهم عبيد لأهل دين الإسلام ما دام دين الإسلام ظاهراً
فاضرب عليهم الجزية ، وكُفَّ عنهم السَّيِّئُ ، وامنع المسلمين من ظلمهم
والإضرار بهم ، وأكل أموالهم إلا بحِلِّها ، ووَفَّ لهم بشرطهم الذى
شَرَطْتَ لهم فى جميع ما أعطيتهم .

وأما إخراج الصُّلْبَانِ فى أيام عيدهم فلا تمنعهم من ذلك خارج المدينة
بلا رايات ولا بُنُود^(١) ، على ما طلبوا منك يوماً فى السنة ، فأما داخل البلد
بين المسلمين ومساجدهم فلا تظهر الصُّلْبَانِ .

فأذن لهم أبو عبيدة فى يوم من السنة ، وهو يوم عيدهم الذى فى صومهم
فأما فى غير ذلك اليوم فلم يكونوا يخرجون صلبانهم . (كتاب الحراج ص ١٦٧)

١٢٦ — عهد أبى عبيدة لأهل بعلبك

ثم خرج أبو عبيدة نحو جَمْعٍ فَمَرَّ بِبَعْلَبَكْ ، فطلب أهلها الأمان
والصلح ، فصالحهم ، وكتب لهم :

« بسم الله الرحمن الرحيم . هذا كتابُ أمان لفلان بن فلان وأهل
بعلبك ، رُؤوسها وقُرُوسها وعَرَبُها ، على أنفسهم وأموالهم وكنائسهم ودُورهم
داخلَ المدينة وخارجها ، وعلى أَرْحَائِهِمْ ، وَلِلرُّومِ أَنْ يَرْعَوْا سَرَاحَهُمْ^(٢)
ماينهم وبين خمسة عشر ميلاً ، ولا ينزلوا قريةً عامرة ، فإذا مضى شهر
ربيع وجمادى الأولى ، ساروا إلى حيثُ شاءوا ، ومن أسلم منهم فله مالنا

(١) البنود جمع بند كشمس وهو العلم الكبير . (٢) السرح : المال السائم .

وعليه ما علينا ، ولتجّارهم أن يسافروا إلى حيث أرادوا من البلاد التي صالحنا عليها ، وعلى من أقام منهم الجزية والخراج ، شهيد الله ، وكفى بالله شهيداً .
(فتوح البلدان للبلاذري ص ١٠٦)

١٢٧ - كتاب أبي عبيدة إلى عمر

ثم دخل أبو عبيدة حمص وطلب أهلها الصلح ، فصالحهم المسلمون ، وكتبوا لهم كتاباً بالأمان على أنفسهم وأموالهم وكنائسهم ، وكتب أبو عبيدة بن الجراح إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنهما .

« بسم الله الرحمن الرحيم . لعبد الله عمر أمير المؤمنين من أبي عبيدة ابن الجراح ، سلام عليك ، فإني أحمدُ إليك الله الذي لا إله إلا هو ، أما بعدُ ، فالحمد لله الذي أفاء علينا وعليك يا أمير المؤمنين أفضلَ كورة في الشام أهلاً وقلاعاً ، وأكثَرهم عدداً وجمعاً وخراجاً ، وأكتبهم للمشركين كتباً^(١) ، وأيسره على المسلمين فتحاً ، أخبرك يا أمير المؤمنين - أصلحك الله - أنا قدّمنا بلاد حمص وبها من المشركين عدد كثير ، والمسلمون يزفونهم^(٢) بآس شديد ، فلما دخلنا بلادهم ألقى الله الرعب في قلوبهم ، ووهن كيدهم ، وقلم أظفارهم ، وسألوا الصلح وأذعنوا بأداء الجزية ، فقبّلنا منهم وكففتنا عنهم ، وفتحوا لنا الحصون ، واكتبوا منا الأمان ، وقد وجهنا الخيول إلى الناحية التي فيها مملكتهم وجنوده ، فنسأل الله ملك الملوك ، وناصر الجنود ، أن يعزّ المسلمين بنصره ، وأن يُسلم^(٣) المشرک الخاطي بذنبيه ، والسلام عليك .
(فتوح الشام ص ١٢٨)

(١) الكتب خمس : الجمع . أى وأكثَرهم جمعاً وجندا .

(٢) زفاه بزفيه زفياً وزفياً : طرده ودفنه ، يقال : زفت الريح السحاب إذا طردته واستخفته . وزفت الأمواج السفينة . (٣) أسلمه : خذله .

١٢٨ - رد عمر على أبي عبيدة

فكتب إليه عمر :

« أما بعدُ : فقد بلغني كتابك تأمرني فيه بحمد الله على ما أفاء الله علينا من الأرض ، وفتح علينا من القلاع ، ومكّن لنا في البلاد ، وصنع لنا ولكم وأبلانا وإياكم من حسن البلاء ، فالحمد لله حمداً كثيراً ليس له نفاذ ، ولا يُحصى له تعداد ، وذكرت أنك وجهت الخيول نحو البلاد التي فيها ملك الروم وجوعهم ، فلا تفعل ، وابعث إلى خيلك فاضمها إليك ، وأقم حتى يَمْضِيَ هذا الحول ، ونرى من رأينا ، ونستعين بالله ذي الجلال والإكرام على جميع أمورنا ، والسلام » . (فتوح الشام ص ١٢٩)

١٢٩ - كتاب أبي عبيدة إلى ميسرة بن مسروق

وكان أبو عبيدة رضى الله عنه قد قدّم ميسرة بن مسروق إلى ناحية

حلب ، فكتب إليه :

« أما بعدُ : فإذا لقيك رسولي فأقبل معه ، ودع ما كنت وجهتك فيه ، حتى نرى من رأينا ، وننظر فيما يأمر به خليفتنا ، والسلام عليك » .

فأقبل ميسرة في أصحابه حتى انتهى إلى أبي عبيدة بجمص فنزل معه .

(فتوح الشام ص ١٣٠)

١٣٠ - كتاب أبي عبيدة إلى عمر

وبعث أبو عبيدة بن الجراح ليلة غداً من حمص إلى دمشق سفيان ابن عوف بن معقل رسولا إلى عمر رضى الله عنه ، وكتب معه :
« أما بعد : فإن عيوني قدّمت على من أرض عدونا من القرية التي فيها ملك الروم ، فحدثوني بأن الروم قد توجهوا إلينا ، وجمعوا لنا من الجموع ما لم يجمعوه لأمة قط كانت قبلنا ، وقد دعوت المسلمين ، وأخبرتهم الخبر ، واستشرتهم في الرأي ، فأجمع رأيهم على أن ينتحوا عنهم حتى يأتينا رأيك ، وقد بعثت إليك رجلا عنده علم ما قبلنا ، فسله عما بدا لك ، فإنه بذلك عليم ، وهو عندنا أمين ، ونستعين بالله العزيز العليم ، وهو حسبنا ونعم الوكيل ، والسلام عليك . » (فتوح الشام ص ١٣٨)

١٣١ - رد عمر على أبي عبيدة

فكتب إليه عمر رضى الله عنه :
« بسم الله الرحمن الرحيم . من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى أبي عبيدة ابن الجراح ، وإلى الذين معه من المهاجرين والأنصار ، والتابعين بإحسان ، والمجاهدين في سبيل الله ، سلام عليكم ، فإنى أحمّد إلكم الله الذى لا إله إلا هو ، أما بعد : فإنه بلغنى توجهكم من أرض حمص إلى أرض دمشق ، وترككم بلاداً قدفتحها الله عليكم ، وخليتموها^(١) لعدوكم وخرجتم منها طائعين

(١) فى الأصل « وفليتموها » بالفاء وهو تحريف .

فَكَرِهْتُ هَذَا مِنْ رَأْيِكُمْ وَفِعْلِكُمْ ، وَسَأَلْتُ رَسُولَكُمْ : أَعَنْ رَأْيٍ مِنْ جَمِيعِكُمْ
كَانَ ذَلِكَ ؟ فَزَعَمَ أَنْ ذَلِكَ كَانَ مِنْ رَأْيِ خِيَارِكُمْ وَأُولَى النَّهْيِ ^(١) مِنْكُمْ
وَجَمَاعَتِكُمْ ، فَعَلِمْتُ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَمْ يَكُنْ لِيَجْمَعَ رَأْيَكُمْ إِلَّا عَلَى تَوْفِيقٍ
وَصَوَابٍ وَرُشْدٍ فِي الْعَاجِلَةِ وَالْعَاقِبَةِ ، فَهُوََنَّ ذَلِكَ عَلَى مَا كَانَ دَخَلَنِي مِنْ
الْكِرَاهِيَةِ قَبْلَ ذَلِكَ لِتَحْوِيلِكُمْ ^(٢) ، وَقَدْ سَأَلَنِي رَسُولُكُمْ الْمَدَدَ لَكُمْ ، وَأَنَا
مُمِدُّكُمْ قَبْلَ أَنْ يُقْرَأَ عَلَيْكُمْ كِتَابِي هَذَا ، وَأَشْخِصُ إِلَيْكُمْ الْمَدَدَ مِنْ قِبَلِي إِنْ
شَاءَ اللَّهُ ، وَاعْلَمُوا أَنَّهُ لَيْسَ بِالْجَمْعِ الْكَثِيرِ كَمَا نَهَزِمُ الْجَمْعَ الْكَثِيرَ ، وَلَا بِالْجَمْعِ
الْكَثِيرِ كَانَ اللَّهُ يُنْزِلُ النَّصْرَ عَلَيْهِمْ ، وَلَرَبَّمَا خَذَلَ اللَّهُ الْجَمْعَ الْكَثِيرَ ،
فَوَهَنْتَ وَقُلْتَ وَفَشِلْتَ ، وَلَمْ تُغْنِ عَنْهُمْ فَتْنَتُهُمْ شَيْئًا ، وَلَرَبَّمَا نَصَرَ اللَّهُ
الْعِصَابَةَ الْقَلِيلَ عَدَدُهَا عَلَى الْكَثِيرِ عَدَدُهَا مِنْ أَعْدَاءِ اللَّهِ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ
نَصْرَهُ ، وَعَلَى الْمُشْرِكِينَ مِنْ أَعْدَاءِ اللَّهِ وَأَعْدَاءِ الْمُسْلِمِينَ بِأَسَهِ وَرَجَزِهِ ،
وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ . (فتوح الشام ص ١٤١)

١٣٢ - كتاب عمرو بن العاص إلى أبي عبيدة

وَخَرَجَ أَبُو عُبَيْدَةَ حَتَّى قَدِمَ دِمَشْقَ ، وَبِهَا خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ ، فَأَتَاهُ خَالِدٌ
وَضَمَّ عَسْكَرَهُ إِلَى عَسْكَرِهِ ، ثُمَّ قَدِمَ عَلَى أَبِي عُبَيْدَةَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو
ابْنِ الْعَاصِ بِكِتَابٍ مِنْ أَبِيهِ :

(١) النهي : العقل يكون واحدا وجمعا لنهي كفرصة .

(٢) في الأصل « لتحويلكم » وهو تحريف .

« بسم الله الرحمن الرحيم . أما بعدُ : فإن أهل إيليا وكثيراً ممن كنا صالحناهم من أهل الأرذُن قد تقضوا العهد فيما بيننا وبينهم ، وذكروا أن الزوم قد أقبلت إلى الشام بقضها وقضيضها^(١) ، وأنكم قد خليتم لهم عن الأرض ، وخرجتم منها ، وأقبلتم منصرفين عنها ، وقد جرّأهم ذلك على وعلى من قبلي من المسلمين ، وقد ترأسوا وتواثقوا وتعاقدوا ليسيرن إلى ، فاكتب إليّ برأيك ، فإن كنت تريد القدوم على أقمت لك حتى تقدّم ، وإن كنت تريد أن تنزل منزلاً من الشام ، أو من غيرها ، وأن أقدم عليك ، فأعلمني برأيك أو أفك فيه ، فإني صائر إليك أينما كنت ، فابعث إليّ مدداً أقوى بهم على عدوى ، وعلى ضبط ما قبلي ، فإنهم قد أرّجفوا^(٢) بنا ، وأغتمزوا فينا^(٣) ، واستعدّوا لنا ، ولو يجدون فينا ضعفاً أو يرون فينا فرصة ما ناظرونا^(٤) ، والسلام عليك » . (فتوح الشام ص ١٤٣)

١٣٣ - رد أبي عبيدة على عمرو

فكتب إليه أبو عبيدة بن الجراح :

« أما بعدُ : فقد قدّم على عبد الله بن عمرو بكتابك ، تذكر فيه إرّجاف المرجفين ، واستعدادهم لك ، وجُرأتهم عليك ، للذي^(٥) بلغهم من انصرافنا عن الروم ، وما خَلينا لهم من الأرض ، وإن ذلك - والحمد لله - لم يكن من

(١) الفض : ما كبر من الحجارة . القضيض : ما تكسر وصغر منها . أي جاءوا بالكبير والصغير .

(٢) أرّجف القوم : خاضوا في أخبار الفتن . (٣) اغتمزه : طعن عليه ووجد بذلك مغمزا .

(٤) المراد : ما أنظرونا . أي ما أخرونا بل سارعوا بالهجوم علينا .

(٥) في الأصل « الذي » وهو تحريف .

المسلمين عن ضعف من بصائرهم ولا وهن من عدوهم ولكنه كان رأيا من جماعتهم كادوا به عدوهم من المشركين ليخرجوهم من مدائنهم وحصونهم وقلاعهم وليجتمع بعض من المسلمين إلى بعض ، ويجمعوا من أطرافهم ، وينضم إليهم من كان قُرْبَهُمْ ، وينتظرون قدوم أمدادهم عليهم ، ثم يناهضونهم إن شاء الله ، وقد اجتمعت خيلهم وتماثمت فرسانهم ، ووثقنا بنصر الله أوليائه ، وإنجاز موعده ، وإعزاز دينه ، وإذلال المشركين ، حتى لا يمنع أحدهم أمه ، ولا حليته ، ولا نفسه ، حتى يتوقلوا^(١) في رؤوس الجبال ، ويعجزوا عن منع الحصون ، ويحجوا للسلام^(٢) ، ويلتمسوا الصلح ، « سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا » .

ثم أعلم من قبلك من المسلمين أنى قادم عليهم بجماعة أهل الإسلام إن شاء الله ، فليُحْسِنُوا بِاللَّهِ الظَّنَّ ، ولا يجدن أهل حربكم وعدوكم فيكم ضعفاً ، ولا وهناً ، ولا فشلاً ، فيغتمزوا فيكم ، ويتجرءوا عليكم ، أعزنا الله وإياكم بنصره ، وألبسنا وإياكم عافيته وعفوه ، والسلام عليكم . (فتوح الشام ص ١٤٤)

١٣٤ — كتاب عمرو بن العاص إلى بطارقة إيلياء

فلما ورد على عمرو كتاب أبي عبيدة سار إلى إيلياء « بيت المقدس » وكتب إلى بطارقتها :

« بسم الله الرحمن الرحيم من عمرو بن العاص إلى بطارقة إيلياء ، سلام على من اتبع الهدى ، وآمن بالله العظيم الذى لا إله إلا هو ، ومحمد صلى الله عليه وسلم ، أما بعد : فإننا نثني على ربنا خيراً ، ونحمده حمداً كثيراً

(١) وقل في الجبل كوعد وتوقل : صعد . (٢) السلم : الصلح .

كما رَحِمْنَا بِنَبِيِّهِ ، وَشَرَّفْنَا بِرِسَالَتِهِ ، وَأَكْرَمْنَا بِدِينِهِ ، وَأَعَزَّزْنَا بِطَاعَتِهِ ،
وَأَكْرَمْنَا بِتَوْحِيدِهِ وَالْإِخْلَاصِ بِمَعْرِفَتِهِ ، فَلَسْنَا - وَالْحَمْدُ لِلَّهِ - نَجْعَلُ لَهُ نِدَاءً ،
وَلَا نَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ إِلَهًا ، لَقَدْ قُلْنَا إِذْ نَسَطَطْنَا ، سُبْحَانَهُ وَبِحَمْدِهِ وَجَلَّ ثَنَاؤُهُ ،
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ شَرِيعًا ، وَجَعَلَ لَكُمْ فِي دِينِكُمْ أَحْزَابًا بَكَفَرِكُمْ بِرَبِّكُمْ ، فَكُلُّ
حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ . فَمَنْكُمْ مَنْ يَزْعُمُ أَنَّ اللَّهَ وَلَدٌ ، وَمَنْكُمْ مَنْ يَزْعُمُ أَنَّ اللَّهَ
ثَانِي اثْنَيْنِ ، وَمَنْكُمْ مَنْ يَزْعُمُ أَنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ ، فَبِمُذَّأ لِمَنْ أَشْرَكَ بِاللَّهِ وَسُخِّقًا ،
تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي قَتَلَ بِطَارِقَتِكُمْ ، وَسَلَبَ
عِزَّكُمْ ، وَطَرَدَ مِنْ هَذِهِ الْبِلَادِ مَلُوكَكُمْ ، وَأَوْرَثَنَا أَرْضَكُمْ وَدِيَارَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ ،
وَأَذَلَّكُمْ بِكَفَرِكُمْ بِاللَّهِ ، وَشَرِّكُمْ بِهِ ، وَتَرَكِكُمْ مَا دَعَوْنَاكُمْ إِلَيْهِ مِنَ الْإِيمَانِ ،
بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ، فَأَغْقَبَكُمْ اللَّهُ الْجُوعَ وَالْخَوْفَ وَالذَّلَّ بِمَا كُنتُمْ تَصْنَعُونَ ، فَإِذَا
أَتَاكُمْ كِتَابِي هَذَا فَاسْلُمُوا تَسْلَمُوا ، وَإِلَّا فَأَقْبِلُوا إِلَيْنَا حَتَّى أَكْتُبَ لَكُمْ
كِتَابًا أَمَانًا عَلَى دِمَائِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ ، وَأَعْقِدَ لَكُمْ عَقْدًا تَوَدُّوْا إِلَى الْجُزْيَةِ عَنْ
يَدِ وَأَنْتُمْ صَاغِرُونَ ، وَإِلَّا فَوَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَا زِمِيَّتَكُمْ بِالْخَيْلِ بَعْدَ
الْخَيْلِ ، وَبِالرِّجَالِ بَعْدَ الرِّجَالِ ، ثُمَّ لَا أَقْبَلُ عَنْكُمْ حَتَّى أَقْتُلَ الْمُقَاتِلَةَ ، وَأُسْبِيَ
الذَّرِيَّةَ ، وَتَكُونُوا كَأَمَةِ كَانَتْ ، فَأَصْبَحَتْ كَأَنَّهَا لَمْ تَكُنْ .

(فتوح الشام ص ١٤٧)

١٣٥ - كتاب أهل إيلياء إلى عمرو بن العاص

وكان أهل إيلياء قد بعثوا عينًا لهم ، فَأَتَاهُمْ فَأَخْبَرَهُمْ أَنَّ بَاهَانَ قَدْ أَقْبَلَ مِنْ
قَبْلِ مَلِكِ الرُّومِ فِي ثَلَاثَةِ عَسَاكِرَ ، كُلِّ عَسْكَرٍ مِنْهَا أَكْثَرُ مِنْ مِائَةِ أَلْفٍ
مُقَاتِلٍ ، وَأَنَّ الْعَرَبَ لَمَّا بَلَغَهُمْ مَسَارُ إِلَيْهِمْ مِنْ تِلْكَ الْجُمُوعِ ، عَمِلُوا أَنَّهُ لَا قِبَلَ

لهم بما جاءهم ، فانصرفوا راجعين ، وقد كان أوائل العرب دخلوا أرض
قَسْرِينَ فأخرجوهم منها ، ثم أتوا أرض حمص فأخرجوهم منها ، ثم أتوا
أرض دمشق فأخرجوهم منها ، ثم أقبلت العرب نحو الأُرْدُنَّ نحو صاحبهم
الذي كتب إليكم ، والروم في آثارهم يسوقونهم سوقاً عَنِيفاً سريعاً إلى
ما قبلكم من البلاد ، فتبأشروا بذلك وسُروا به ، وكتبوا إلى عمرو :
« أما بعدُ : فإنك كتبت إلينا كتاباً تُرَكِّي فيه نفسك ، وتعييب ما نحن
عليه ، والقولُ بالباطل لا ينفع به أحد نفسه ، ولا يضرُّ به عدوُّه ، وقد فهمنا
مادعوتنا إليه ، وهؤلاء ملوكنا وأهل ديننا قد جاءوكم ، فإن أظهركم الله
عليكم فذلك بلاؤه عندنا في القديم ، وإن ابتلانا بظهوركم علينا ، فلعمري
لنُقَرِّنَ^(١) لكم بالصَّغَار ، وما نحن إلا كمن ظهَرْتُم عليهم من إخواننا ، ثم
دانوا لكم ، فأعطوكم ما سألتهم . » (فتوح الشام ص ١٤٩)

١٣٦ - كتاب أبي عبيدة إلى عمر

وخرج أبو عبيدة من دمشق بالمسلمين إلى بلاد الأُرْدُنَّ ، وعلى مقدمته
خالد بن الوليد حتى نزل اليرموك وأقبل عمرو حتى نزل معه ، وجاشت الروم
على المسلمين ودنوا منهم ، فقال مُعَاذُ بْنُ جَبَل ، ورجال معه من المسلمين لأبي
عبيدة : أَلَا تَكْتُبُ إلى أمير المؤمنين تُعلمه علم هذه الجيوش التي قد جاءتنا
وتسأله المدد ؟ فكتب إليه مع عبد الله بن قُرْطُ الثُمَالِي :
« أما بعدُ : أخبر أمير المؤمنين - أكرمهم الله - أن الروم تفرَّت إلى

(١) في الأصل « لنقرب » وهو تحريف ، والصغار : الذل ، ودانوا : خضعوا .

المسلمين برًا وبحرًا ، ولم يخلفوا وراءهم رجلاً يُطيق حمل السلاح إلا جاشوا به ، وأخرجوا معهم القسيسين والأساقفة ، ونزلت إليهم الرهبان من الصوامع ، واستجاشوا بأهل أرمينية ، وأهل الجزيرة ، وجاءونا وهم نحو من أربعمئة ألف رجل ، وإنه لما بلغني ذلك من أمرهم كرهت أن أغرّ المسلمين من أنفسهم ، أو أكتمهم ما بلغني عنهم ، فكشفت لهم عن الخبر ، وشرحت لهم عن الأمر ، وسألتهم عن الرأي ، فرأى المسلمون أن يتنحّوا^(١) إلى أرض من أرض الشام ، ثم يضم إلينا أطرافنا وقواصينا ، وتكون بذلك المكان جماعتنا حتى يقْدَم علينا من قبل أمير المؤمنين المدد لنا ، فالعجل العجل يا أمير المؤمنين بالرجال بعد الرجال ، وإلا فاحتسب أنفس المؤمنين إن هم أقاموا ، ودينهم منهم إن هم تفرقوا ، فقد جاءهم مالا قبل لهم به ، إلا أن يُعِدَّهم الله بملائكته ، أو يأتيهم بغيث من قبله ، والسلام عليك . (فتوح الشام ص ١٦٠)

١٣٧ - رد عمر على أبي عبيدة

فكتب عمر إلى أبي عبيدة :

« أما بعد : فقد قدِم عليّ أخو ثُمالة بكتابك يخبرني فيه بنفير الروم إلى المسلمين برًا وبحرًا ، وبما جاشوا عليكم من أساقفتهم وقسيسهم ورهبانهم ، وإن ربنا المحمود عندنا ، والصانع لنا ، والعظيم ذا المنّ والنعمة الدائمة علينا ، قد رأى مكان هؤلاء الأساقفة والرهبان حيث بعث محمدًا صلى الله عليه وسلم بالحق ، وأعزه بالنصرة ، ونصره بالرعب على عدوه ، وقال - وهو لا يخلف

(١) في الأصل « تنحوا » .

الميعاد : « هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ » فلا تهوئلك كثرة ما جاءك منهم ، فإن الله منهم برىء ، ومن برىء الله منه كان قنأً^(١) أن لا تنفعه كثرة ، وأن يكيله الله إلى نفسه ويخذه ، ولا توحشك قلة المسلمين في المشركين^(٢) فإن الله معك ، وليس قليلاً من كان الله معه ، فأقيم بمكانك الذي أنت به حتى تلقى عدوك وتناجزهم ، وتستظهر بالله عليهم ، وكفى به ظهيراً وولياً ونصيراً ، وقد فهمت مقالتك : « احتسب أنفس المسلمين إن هم أقاموا ، ودينهم إن هم تفرقوا ، فقد جاءهم ما لا قبل لهم به ، إلا أن يمدَّهم الله بملائكته ، ويأتيهم بغيث من قبله » وايم الله لولا استئناؤك بهذا لقد كنت أسأت ، واعمرى إن أقام^(٣) لهم المسلمون وصبروا فأصيبوا ، لما عند الله خير للأبرار . ولقد قال الله عز وجل : « فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ^(٤) وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا » ، فطوبى^(٥) للشهداء ، وإن لمن عَقَلَ عن الله بمن معك من المسلمين لأُسوةً بالمُصرَّعين حول رسول الله صلى الله عليه وسلم في موطنه ، فما عجز الذين قاتلوا في سبيل الله ، ولا هابوا الموت في جنب الله ، ولا وهن الذين بقوا من بعده ، ولا استكانوا لمصيبتهم ، ولكنهم تأسَّؤا بهم ، وجاهدوا في الله من خالفهم منهم ، وفارق دينهم ، ولقد أثنى الله على قوم بصبرهم فقال : « وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِيثُونَ^(٦) كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا

(١) القمين كأمين ، والقمين ككنف وجبل : الخلق الجدير (والحركة لا ثنى ولا تجمع) .

(٢) أى في جنب المشركين . (٣) في الأصل « أقاموا » وهو تحريف .

(٤) النحب : الأجل . (٥) الطوبى : الحسن والخير .

(٦) قيل الريون : العلماء الأتقياء الصبر ، وقيل : الجماعات الكثيرة .

أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا أَسْتَكَاثُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ، وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبَّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ » فَأَمَّا ثَوَابُ الدُّنْيَا فَالْغَنِيمَةُ وَالْفَتْحُ ، وَأَمَّا ثَوَابُ الْآخِرَةِ فَالْمَغْفِرَةُ وَالْجَنَّةُ .

وَأَقْرَأُ كِتَابِي هَذَا عَلَى النَّاسِ ، وَمُرَّهْمُ فَلْيَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَلْيَصْبِرُوا كَمَا يُؤْتِيهِمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا ، وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ .

فَأَمَّا قَوْلُكَ : إِنَّهُمْ قَدْ جَاءَهُمْ مَا لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهِ ، فَإِنْ لَا يَكُنْ لَكُمْ بِهِمْ قِبَلٌ ، فَإِنَّ لِلَّهِ بِهِمْ قِبَلًا ، وَلَمْ يَزَلْ رَبُّنَا عَلَيْهِمْ مُقْتَدِرًا ، وَلَوْ كُنَّا وَاللَّهُ إِنَّمَا نَقَاتِلُ النَّاسَ بِحَوْلِنَا وَقُوَّتِنَا وَكَثْرَتِنَا ، لَهِيَّاتَ مَا قَدْ أَبَادُونَا^(١) وَأَهْلَكُونَا ، وَلَكِنْ نَتَوَكَّلُ عَلَى اللَّهِ رَبِّنَا ، وَنَبْرَأُ إِلَيْهِ مِنَ الْحَوْلِ وَالْقُوَّةِ ، وَنَسْأَلُهُ النَّصْرَ وَالرَّحْمَةَ ، وَإِنَّكُمْ مَنْصُورُونَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ حَالٍ ، فَأَخْلَصُوا لِلَّهِ نِيَّتَكُمْ ، وَارْفَعُوا إِلَيْهِ رَغَبَتَكُمْ ، وَاصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ » . (فتوح الشام ص ١٦٢)

وَبَعَثَ إِلَيْهِ عُمَرُ سَعِيدَ بْنَ عَامِرٍ بْنِ حَذِيمٍ فِي جَيْشٍ مَدَّاهُ .

(١) ما مصدرية ، والمصدر المؤول فاعل هيئات ، أى لوقعت لإبادتهم لنا منذ زمن بعيد .

١٣٨ - كتاب باهان إلى قيصر

وكتب باهان إلى قيصر :

« أما بعدُ : فإننا نسأل الله لك أيها الملك ولجندك وأهل مملكته النصر ، ولدينك وأهل سلطانك العزَّ ، فإنك قد بعثتني فيما لا يُخصِّيه من العدد إلا الله ، فَقَدِمْتُ على قوم فأرسلت إليهم ، وهَيَّيْتُهم فلم يهابوا ، وأطمعتهم فلم يطمعوا ، وخوَّفْتهم فلم يخافوا ، وسألتهم الصلح فلم يقبلوا ، وجعلت لهم الجُعْلَ على أن ينصرفوا فلم يفعلوا ، وقد دُعِرَ منهم جندك دُعرًا شديدًا ، وقد خَشِيت أن يكونوا الفشل قد غَمَّهم ، والرعبُ قد دخل في قلوبهم ، إلا أن منهم رجالًا قد عَرَفْتهم ليدوا بفُرَّار عن عدوهم ، ولا شُكَّاك^(١) في دينهم ، ولو قد لَقَوْهم لم يَفِرُّوا حتى يظهروا أو يُقْتلوا ، وقد جمعتُ أهل الرأي من أصحابي ، وأهل النصيحة للكننا وديننا ، فاجتمع رأيهم على النهوض إليهم جميعًا في يوم واحد ، ثم لا تُزِيلهم حتى يحكم الله بيننا وبينهم » .

ونُسِبت بين الفريقين وقعة اليرموك ، وكانت النصرَة فيها للمسلمين ، والدَّبرَة^(٢) على المشركين ، ولما انتهى خبر الهزيمة إلى ملك الروم وهو بأنطاكية ، نادى في أصحابه بالرحيل إلى القُسْطَنْطِينِيَّة راجعًا ، فلما خرج من أرض الشام ، وأشرف على أرض الروم ، استقبل الشام بوجهه ، فقال : السلام عليك يا سُورِيَّة سلامَ مودِّع لا يرى أنه يرجع إليك أبداً » .

وكانت وقعة اليرموك في رجب سنة خمس عشرة^(٣) . (فتوح الشام ص ١٨٧)

(١) فرار وشكاك جمع فارّ وشاك . (٢) الدبرَة : الهزيمة .

(٣) هذا في رواية ، وفي رواية أخرى أن وقعة اليرموك كانت في أواخر خلافة أبي بكر رضي الله عنه كما قدمنا انظر ص ١٥٤ .

١٣٩ - كتاب أبي عبيدة إلى ميسرة بن مسروق

ثم إن أبا عبيدة دعا ميسرة بن مسروق فسرحه في ألني فارس ، فضى
في آثار القوم حتى قطع الدروب^(١) ، وبلغ مرج القبائل وهي ناحية أنطاكية
والمصيصة ، ثم انصرف راجعاً ، وكان أبو عبيدة قد أشفق عليهم حين بلغه
أنهم أدرّبوا وجزع جزعاً شديداً ، وندم على إرساله إياهم في طلب الروم ،
فكتب إلى ميسرة :

« أما بعدُ : فإذا أتاك رسولى هذا فأقبل إلىّ حين تنظر في كتابى هذا ،
ولا تُعرجنّ على شيء ، فإن سلامة رجل واحد من المسلمين أحبّ إلىّ من
جميع أموال المشركين ، والسلام عليك . »
فوفاه كتاب أبي عبيدة وقد هبط من الدروب راجعاً ، وأقبل حتى قدم
على أبي عبيدة . (فتوح الشام ص ٢١٨)

١٤٠ - كتاب أبي عبيدة إلى أهل إيلياء

وكتب أبو عبيدة إلى أهل إيلياء :
« بسم الله الرحمن الرحيم . من أبي عبيدة بن الجراح إلى بطارقة أهل
إيلياء وسكّانها ، سلام على من اتبع الهدى ، وآمن بالله العظيم ورسوله ، أما
بعدُ : فإننا ندعوكم إلى شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً عبده ورسوله ،
« وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَّارَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ » فإذا

(١) الدروب : جمع درب بالفتح : وهو كل مدخل إلى الروم ، وأدرّبوا : دخلوا الدرب .

شَهِدْتُمْ بِذَلِكَ حَرُمْتْ عَلَيْنَا دِمَاؤُكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ ، وَكُنْتُمْ إِخْوَانَنَا فِي دِينِنَا ،
وَإِنْ أُيِّنْتُمْ فَأَقْرِئُوا لَنَا بِإِعْطَاءِ الْجُزْيَةِ عَنْ يَدٍ وَأَنْتُمْ صَاغِرُونَ ، وَإِنْ أُيِّنْتُمْ
سِرْتُ إِلَيْكُمْ بِقَوْمٍ هُمْ أَشَدُّ حُبًّا لِلْمَوْتِ مِنْكُمْ لِلْحَيَاةِ وَاشْرَبَ الْحَمْرِ ، وَأَكَلَ لَحْمَ
الْخَنَزِيرِ ، ثُمَّ لَا أَرْجِعُ عَنْكُمْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ حَتَّى أَقْتُلَ مُقَاتِلَتَكُمْ ، وَأُسَبِّحَ ذَرَارِيَّكُمْ» .
(فتوح الشام ص ٢١٩)

١٤١ - كتاب أبي عبيدة إلى عمر

وكتب أبو عبيدة إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنهما حين أظهره الله
على أهل اليرموك وخرج يطلبهم :

« بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . لِعَبْدِ اللَّهِ عُمَرَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَبِي عُبَيْدَةَ
ابْنِ الْجَرَّاحِ ، سَلَامٌ عَلَيْكَ ، فَإِنِّي أَحْمَدُ إِلَيْكَ اللَّهَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ، أَمَا بَعْدُ
فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَهْلَكَ الْمُشْرِكِينَ ، وَنَصَرَ الْمُسْلِمِينَ ، وَقَدِيمًا مَا تَوَلَّى اللَّهُ أَمْرَهُمْ ،
وَأَظْهَرَ فَلَجَهُمْ ، وَأَعَزَّ دَعْوَتَهُمْ ، فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ .

أَخْبَرَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ - أَكْرَمَهُ اللَّهُ - أَنَّا لَقِينَا الرُّومَ ، وَهُمْ فِي جُمُوعٍ لَمْ
تَلْقَ الْعَرَبُ مِثْلَهَا جُمُوعًا قَطُّ ، فَأَتَوْا وَهُمْ يَرَوْنَ أَنَّ لَا غَالِبَ لَهُمْ مِنَ النَّاسِ
أَحَدٌ ، فَقَاتَلُوا الْمُسْلِمِينَ قِتَالًا شَدِيدًا مَا قُوتِلَ الْمُسْلِمُونَ مِثْلَهُ فِي مَوْطِنٍ قَطُّ ،
وَرَزَقَ اللَّهُ الْمُسْلِمِينَ الصَّبْرَ ، وَأَنْزَلَ عَلَيْهِمُ النَّصْرَ ، فَقَتَلَهُمُ اللَّهُ فِي كُلِّ قَرْيَةٍ ،
وَكُلِّ شِعْبٍ ^(١) ، وَكُلِّ وَادٍ وَجَبَلٍ وَسَهْلٍ ، وَغَنِمَ الْمُسْلِمُونَ عَسَاكِرَهُمْ ، وَمَا كَانَ
فِيهِ مِنْ أَمْوَالِهِمْ وَمَتَاعِهِمْ ، ثُمَّ إِنِّي أَتَبِعْتُهُمْ بِالْمُسْلِمِينَ حَتَّى بَلَغْتُ أَقَاصِي بِلَادِ

الشَّامَ ، وقد بعثت إلى أهل الشَّامَ عُمَّالِي ، وقد بعثتُ إلى أهل إيلياء أدعوهم إلى الإسلام ، فَإِنْ قَبِلُوا وَإِلَّا فَلْيُؤَدُّوا إِلَيْنَا الْجَزِيَّةَ عَنْ يَدِهِمْ صَاغِرُونَ ، فَإِنْ أَبَوْا سَرْتُ إِلَيْهِمْ حَتَّى أَنْزِلَ بِهِمْ ، ثُمَّ لَا أَزِيلُهُمْ حَتَّى يَفْتَحَ اللَّهُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ » . (فتوح الشَّام ص ٢٢٠)

١٤٢ - رد عمر على أبي عبيدة

فكتب إليه عمر رضى الله عنه :

« من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى أبي عبيدة بن الجراح ، سلام عليك فَإِنِّي أَحْمَدُ إِلَيْكَ اللَّهَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ، أَمَا بَعْدُ : فَإِنَّهُ آتَانِي كِتَابُكَ وَفَهِمْتُ مَا ذَكَرْتَ فِيهِ مِنْ إِهْلَاكِ اللَّهِ الْمُشْرِكِينَ ، وَنُصْرَةِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَمَا صَنَعَ اللَّهُ لِأَوْلِيَائِهِ ، وَأَهْلِ طَاعَتِهِ ، فَأُحْمَدُ اللَّهَ عَلَى حَسَنِ صَنِيعِهِ إِلَيْنَا ، وَأَسْتَغْنِي اللَّهَ ذَلِكَ بِشُكْرِهِ ، ثُمَّ أَعْلَمُوا أَنْكُمْ لَمْ تَظْهَرُوا عَلَى عَدُوِّكُمْ بِعَدَدٍ ، وَلَا عُذَّةٍ ، وَلَا حَوْلٍ وَلَا قُوَّةٍ ، وَلَكِنَّهُ بِعَوْنِ اللَّهِ وَنَصْرِهِ وَمَنْتُهُ وَفَضْلِهِ ، فَاللَّهُ الطَّوْلُ وَالْمَنْ وَالْفَضْلُ الْعَظِيمُ ، فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، وَالسَّلَامُ » . (فتوح الشَّام ص ٢٢١)

١٤٣ - كتاب سعيد بن زيد إلى أبي عبيدة

وانتظر أبو عبيدة أهل إيلياء فأبوا أَنْ يَأْتَوْهُ فَيُصَالِحُوهُ ، فَأَقْبَلَ إِلَيْهِمْ حَتَّى نَزَلَ بِهِمْ ، فَحَاصَرَهُمْ حِصَارًا شَدِيدًا ، وَضَيَّقَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ، فَخَرَجُوا إِلَيْهِ ذَاتَ يَوْمٍ فَقَاتَلُوا الْمُسْلِمِينَ سَاعَةً ، ثُمَّ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ شَدُّوا عَلَيْهِمْ

من كل جانب فقاتلهم ساعة ، ثم انهزموا فدخلوا حصنهم ، فكان الذي ولى قتالهم خالد بن الوليد ، ويزيد بن أبي سفيان ، كل واحد منهما فى جانب ، فبلغ ذلك سعيد بن زيد بن عمرو بن نُفَيْل ، وهو على دمشق ، فكتب إلى أبي عبيدة :

« من سعيد بن زيد إلى أبي عبيدة بن الجراح ، سلام عليك ، فإنى أحمَدُ إليك الله الذى لا إله إلا هو ، أما بعدُ : فإنى لَعَمْرِي ما كنتُ لأُوثِرَكَ وأصحابك بالجهاد فى سبيل الله على نفسى ، وعلى ما يقرَّبُنِي من مَرْضَاة ربي عز وجل ، فإذا أتاك كتابي هذا فابعث إلى عمك مَنْ هو أرغبُ فيه مني ، فليَعْمَلْ لك عليه ما بدا لك ، فإنى قادم عليك وشيكاً إن شاء الله والسلام . »
فلما وصل كتابه إلى أبي عبيدة قال : أشهد ليعْمَلَنَّهَا ، فقال ليزيد ابن أبي سفيان : اكفني دمشق ، فوجهه إليها ، فسار يزيد إليها فَوَلَّيَهَا .
(فتوح الشام ص ٢٢١)

١٤٤ - كتاب أبي عبيدة إلى عمر

فلما حصر أبو عبيدة أهل إيلياء ورأوا أنه غير مُقْلِع عنهم ، وأنهم لا طاقة لهم بحربه ، سألوه الصالح ، فقبل منهم فقالوا : أرسِلْ إلى خليفتكُم عمر فيكون هو الذى يعطينا العهد ، وهو يصالحنا ويكتب لنا الأمان ، فقبل ذلك أبو عبيدة منهم وهم بالكتاب ، فقال له مُعَاذ بن جبل . تكتب إلى أمير المؤمنين ، وتسأله القدوم عليك فلعَلَّه يَقْدَم عليك ، ثم يَأْتِي هؤلاء الصلح ، فيكون مسيره عناء وفضلاً^(١) ، فلا تكتب إليه حتى تتوثق من هؤلاء ،

(١) الفضل : الزيادة .

وتستحلفهم بأيمانهم المغلظة : لئن أنت سألت أمير المؤمنين القدوم عليهم ،
وكتبت إليه بذلك فقدم عليهم فأعطاهم الأمان ، وكتب لهم كتابا على
الصلح ليقبلن ذلك ، ففعل أبو عبيدة ما أشار به معاذ ، ثم كتب إلى عمر
رضي الله عنه :

« بسم الله الرحمن الرحيم . لعبد الله عمر أمير المؤمنين من أبي عبيدة
ابن الجراح ، سلام عليك فإنني أحمدُ إليك الله الذي لا إله إلا هو ، أما بعد :
فإننا أقمنا على إيلياء ، وظنوا أن لهم في المطاولة بهم فرجا ورجاء ، فلم يزدِهم
الله بها إلا ضيقاً وتقصاً وهزلاً وأزلاً^(١) ، فلما رأوا ذلك سألونا أن نعطيهـم
ما كانوا به ممتنعين قبل ذلك ، وله كارهين ، وإنهم سألوا الصلح على أن
يقدم عليهم أمير المؤمنين فيكون هو المؤمن لهم ، والكتاب لهم كتابا ، وإننا
خشينا أن يقدم أمير المؤمنين ، ثم يغدر القوم ، فيرجعون ، فيكون مسيرك
- أصلحك الله - عناء وفضلاً ، فأخذنا عليهم المواثيق المغلظة بأيمانهم : لئن
أنت قدمت عليهم فأمتتهم على أنفسهم وأموالهم ليقبلن ذلك ، وليؤذن
الجزية ، وليدخلن فيما دخل فيه أهل الذمة ، ففعلوا وأخذنا عليهم الأيمان
بذلك ، فإن رأيت يا أمير المؤمنين أن تقدم علينا فافعل ، فإن في مسيرك
أجراً وصلاًحاً وعافيةً للمسلمين ، أراك الله مرشداً ، ويسر أمرك ،
والسلام عليك . » (فتوح الشام ص ٢٢٤)

(١) الأزل : الضيق والشدة .

١٤٥ - كتاب عمر إلى معاوية

قال الطبري : وكتب عمر إلى يزيد بن أبي سفيان أن يسرّح معاوية إلى قيسارية ، وكتب إلى معاوية :

« أما بعد : فإنني قد وليتك قيسارية ، فسرّ إليها وأستنصر الله عليهم وأكثر من قول : لا حول ولا قوة إلا بالله ، الله ربنا وثقتنا ورجاؤنا ومولانا ، نعم المولى ، ونعم النصير . »

فسار معاوية إلى قيسارية وفتحها سنة ١٥ هـ . (تاريخ الطبري ٤ : ١٥٦)

١٤٦ - كتاب أرتابون الرومي إلى عمرو بن العاص

وقال : وكتب عمر إلى عمرو بن العاص يأمره بصدم أرتابون - وكان أدهى الروم وأبعدها غوراً وأنكأها فعلاً - فصمد إليه^(١) ، والتقوا بأجنادين ، فاقتلوا قتلاً شديداً كقتال اليرموك ، حتى كثرت القتلى بينهم^(٢) ، ثم انهزم أرتابون فأوى إلى إيلياء ، وتزل عمرو أجنادين ، وكتب أرتابون إلى عمرو : « إنك صديق ونظيري ، أنت في قومك مثلي في قومي ، والله لا تفتح من فلسطين شيئاً بعد أجنادين ، فارجم ولا تغترّ فتدقّ مالتقى الذين قبلك من الهزيمة » .

(١) وقد كتب إلى عمر يخبره أن أرتابون أعد لقتاله جنداً عظيماً ، فلما جاءه كتاب عمرو قال : قد رمينا أرتابون الروم بأرتابون العرب ، فانظروا عمّ تنفرج .

(٢) ذكر الطبري خبر تلك الموقعة في حوادث سنة ١٥ ، وفي رواية أخرى له ولغيره أنها كانت في أواخر خلافة أبي بكر في جمادى الأولى سنة ١٣ ، كما قدمنا انظر ص ١٥٤ .

١٤٧ - رد عمرو على كتاب أربطون

فكتب إليه عمرو :

« جاءني كتابك ، وأنت نظيري ومثلي في قومك لو أخطأتك خصلة ،
تجاهلت فضيلتي ، وقد علمت أني صاحب فتح هذه البلاد ، وأستعدي^(١)
عليك فلانا وفلانا وفلانا - لوزرائه - فأقرئهم كتابي ، ولينظروا فيما بيني
وبينك^(٢) » . (تاريخ الطبري ٤ : ١٥٨)

١٤٨ - عهد عمر بن الخطاب لأهل إيلياء

ولما قدم عمر بن الخطاب رضى الله عنه الشام ، ونزل بالجالية ، أتاه
أهل إيلياء ، فصالحهم عمر ، وكتب لهم أمانا ، نصه :
« بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين
أهل إيلياء من الأمان .

أعطاهم أمانا لأنفسهم وأموالهم ، ولكنائسهم وصلبانهم ، وسقيمهم
وبريتهم ، وسائر ملتهم ، أنه لا تسكن كنائسهم ، ولا تهدم ، ولا ينقص

(١) استعداه : استعانه واستنصره .

(٢) ذكر الطبري أن عمرا لما جاءه كتاب أربطون ، دعا رجلا يتكلم بالرومية ، فأرسله إلى
أربطون ، وأمره أن يغرب ويتنكر ، وقال : استمع ما يقول حتى تخبرني به إذا رجعت إن شاء الله ،
فخرج الرسول إلى أربطون ، فدفع إليه الكتاب بعشده من نفر ، فاقرأه فضحكوا ، وأقبلوا على
أربطون ، فقالوا : من أين علمت أنه ليس بصاحبها ؟ قال : صاحبها رجل اسمه عمر ، ثلاثة أحرف ،
فرجع الرسول إلى عمرو فعرف أنه عمر ، وكتب إلى عمر يستمده ويقول : « إني أعالج حربا كثودا
صدوما وبلادا ادخرت لك فرأيك » فإدى عمر في الناس . ثم خرج فيهم حتى نزل بالجالية ، وكتب
إلى أمراء الأجناد أن يوافوه بها ليوم سماه لهم ، وأن يستخفوا على أعمالهم ، وقد قدمنا أن عمر قدم
إلى الشام ، لأن أهل إيلياء طلبوا أن يكون هو المتولي لعقد الصلح وهو الأرجح .

منها ، ولا من حيزها ، ولا من صليبهم ، ولا من شيء من أموالهم ، ولا يُكرهون على دينهم ، ولا يُضارُّ أحد منهم ، ولا يسكن بإيلياء معهم أحد من اليهود .

وعلى أهل إيلياء أن يُعطوا الجزية ، كما يعطى أهل المدائن ^(١) ، وعليهم أن يُخْرِجُوا منها الروم واللُّصُوت ^(٢) ، فمن خرج منهم . فإنه آمِنٌ على نفسه وماله ، حتى يبلغوا مَأْمَنَهُمْ ، ومن أقام منهم فهو آمِنٌ ، وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية .

ومن أحبَّ من أهل إيلياء أن يسير بنفسه وماله مع الروم ، ويُخَلِّيَ بَيْعَهُمْ وَصُلْبَهُمْ ، فإنهم آمنون على أنفسهم ، وعلى بَيْعِهِمْ وَصُلْبِهِمْ حتى يبلغوا مَأْمَنَهُمْ .

ومن كان بها من أهل الأرض قبل مَقْتَلِ « فلان » فمن شاء منهم قعد ، وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية ، ومن شاء سار مع الروم ، ومن شاء رجع إلى أهله ، فإنه لا يؤخذ منهم شيء حتى يُحْصَدَ حَصَادُهُمْ .

وعلى ما في هذا الكتاب عَهْدُ اللَّهِ ، وذمة رسوله ، وذمة الخلفاء ، وذمة المؤمنين ، إذا أعطوا الذي عليهم من الجزية .

شهد على ذلك خالد بن الوليد ، وعمرو بن العاص ، وعبد الرحمن ابن عوف ، ومعاوية بن أبي سفيان .

(١) أى مدائن الشام .

(٢) اللصوت: جمع لصت مثالث اللام، وهو اللص ، قال رافع بن عميرة الطائي :

رعى الضأن أحبها بكلي من اللصت الحقي وكل ذيب

(انظر أسد الغابة ٢ : ١٥٦) .

وكتب وحضر سنة خمس عشرة
وكتب لأهل « لُدَّ » ومن دخل معهم من أهل فلسطين أمانا كأمان
أهل إيلياء . (تاريخ الطبري ٤ : ١٥٩)

وروى القلقشندي في صبح الأعشى ج ١٣ : ص ٣٥٧ كتابا كتبه عمر
لنصارى الشام حين صالحهم ، ونصّه نص عهد أبي عبيدة لأهل دمشق الذي
ورد آنفاً مع تغيير يسير .

١٤٩ - كتاب عمر إلى عمار بن ياسر

ولما كان عمر رضى الله عنه بالشَّام قال له عمرو بن العاص : يا أمير
المؤمنين . إن أهل هذه البلاد يأتوننا بعصير قد عَصَرُوهُ وطبخوه قبل أن
يَغْلِي ، فيأتون به حُلُوا كأنه الرُّبُّ^(١) ، قد طبخوه حتى ذهب ثلثاه ، وبقي
الثالث ، فنظر إليه عمر وقال : لا أظن بهذا بأساً ، ذهب حرامه وبقي حلاله
ثم قال : اشرب منه يا عمرو فلا بأس به ، وقال : كأن هذا طلاء الإبل ،
فسمى يومئذ « الطلاء » .

ثم إن عمر كتب فيه بعد ذلك إلى عمار بن ياسر^(٢) . « أما بعد : فإنني
هبطت أرض الشام ، فأتوني بشراب لهم ، فسألتهم كيف تصنعون به ؟
فأخبروني أنهم يطبخونه حتى يذهب ثلثاه ، ويبقى ثلثه ، وذلك حين يذهب
رَبَّتُهُ^(٣) ، وريحُ حَنُونِهِ ، ويذهب حرامه ، ويبقى حلاله والطيب منه ، فَرُّ مِنْ
قَبْلِكَ مِنَ الْمَسَامِينِ فليستعينوا به في شرابهم ، والسلام » . (فتوح الشام ص ٢٣٠)

(١) ارب : سلافة كل ثمرة بعد اعتصارها . (٢) وكان عمر ولاء الكوفة سنة ٢١ هـ .

(٣) الرتب بالتحريك : الشدة ، وفي الأصل « رتبته » وأراه محرفاً ، والحنون : الريح التي لها
حين كنين الإبل .

١٥٠ - كتب بين عمر وبين خالد

وبلغ عُمرَ أن خالد بن الوليد دخل الحَمَّام فتدلَّك بعد النُّورة^(١) بشَخِين عُصْفُرٍ معجونٍ بِخَمَرٍ ، فكتب إليه :

« بلغني أنك تدلَّكت بِخَمَرٍ ، وإن الله قد حرَّم ظاهرَ الحُرِّ وباطنه ، كما حرَّم ظاهرَ الإِثم وباطنه ، وقد حرَّم مَسَّ الحُرِّ إلا أن تُغسَلَ كما حرَّم شربها ، فلا تُمَسِّوها أجسادكم فإنها نجسٌ ، وإن فعلتم فلا تعودوا » .



فكتب إليه خالد :

إنا قتلناها فعادت غسولا^(٢) غير خمر » .



فكتب إليه عمر :

« إني أظن آلَ المَغيرةِ^(٣) قد ابتلوا بِالْجَفَاءِ ، فلا أماتكم الله عليه » .

(تاريخ الطبري ٤ : ٢٠٤ ، وتاريخ الكامل لابن الأثير ٢ : ٢٦٣)

١٥١ - كتاب عمر إلى أبي عبيدة

وكان خالد بن الوليد بعد أن فتح قِنَسْرِينَ أَدْرَبَ وَرَاءَ هِرَقْلٍ^(١) هو وعياض بن غَنَمٍ (سنة ١٧ هـ) فأصابا أموالا عظيمة ، فلما قفل خالد ، انتجعه

(١) النورة : حجر يحرق ويسوى منه السكس ويخلق به شعر العانة .

(٢) قتل الحُرِّ : مزجها بالماء فأزال بذلك حدتها والفسول : ما يغسل به .

(٣) المغيرة : جد خالد .

(٤) ولما بلغ عمر ما فعل خالد قال : أمر خالد نفسه ، يرحم الله أبا بكر ، هو كان أعلم بالرجال مني

رجال من أهل الآفاق ، فكان الأشعث بن قيس ممن انتجعه بقنسرين ، فأجازه بعشرة آلاف - وكان عمر لا يَخْفَى عليه شيء في عمله : كُتِبَ إليه من العراق بخروج من خرج ، ومن الشام بجائزة من أُجيزَ فيها - فدعا البريد ، وكتب معه إلى أبي عبيدة :

« أن يقيم خالدًا وَيَعْقِلَه بعمامته ، وينزعَ عنه قَلَنَسُوتَه ، حتى يُعْلَمَهم من أين إجازة الأشعث : أَمِنْ مَالِهِ أَمْ مِنْ إصَابَةٍ أَصَابَهَا ؟ فَإِنْ زَعَمَ أَنَّهَا مِنْ إصَابَةٍ أَصَابَهَا ، فَقَدْ أَقْرَبَ بِخِيَانَةٍ ، وَإِنْ زَعَمَ أَنَّهَا مِنْ مَالِهِ فَقَدْ أَسْرَفَ ، وَأَعَزَلَه عَلَى كُلِّ حَالٍ ، وَأَضْمَمَ إِلَيْكَ عَمَلَهُ » .

فكتب أبو عبيدة إلى خالد ، فقدم عليه ثم جمع الناس ، فقام البريد فقال : يا خالد ، أَمِنْ مَالِكَ أَجَزْتَ بعشرة آلاف أَمْ مِنْ إصَابَةٍ ؟ فلم يجبه حتى أَكْثَرَ عليه ، وأبو عبيدة ساكت لا يقول شيئًا ، فقام بلال إليه ، فقال : إن أمير المؤمنين أَمَرَ فَيْكَ بِكَذَا وَكَذَا ، ثم تناول قَلَنَسُوتَه فَعَقَلَه بعمامته ، وقال ما تقول : أَمِنْ مَالِكَ أَمْ مِنْ إصَابَةٍ ؟ قال : لا ، بل من مالى ، فأطلقه وأعاد قَلَنَسُوتَه ثم عَمَّمَه بيده ، ثم قال : نسمع ونطيع لوُلَاتِنَا ، ونفخَم ، ونُخْدِمُ مَوَالِيَنَا^(١) . (تاريخ الطبرى ٤ : ٢٠٥)

(١) قالوا : وأقام خالد متحيرا لا يدري : أمعزول أَمْ غير معزول ، وجعل أبو عبيدة لا يخبره ، حتى إذا طَالَ عَلَى عَمْرِ أَنْ يَقْدَمَ ، ظَنَّ الَّذِي قَدْ كَانَ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ بِالْإِقْبَالِ ، فَأَتَى خَالِدَ أَبَا عُبَيْدَةَ فَقَالَ : رَحِمَكَ اللَّهُ ، مَا أَرَدْتَ إِلَيَّ مَا صَنَعْتَ ؟ كَتَمْتَنِي أَمْرًا كُنْتُ أَحِبُّ أَنْ أَعْلَمَهُ قَبْلَ الْيَوْمِ ، فَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ : إِنِّي وَانْتَهَ مَا كُنْتُ لِأَرْوَعَكَ مَا وَجَدْتُ لَذَلِكَ بَدَأَ ، وَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّ ذَلِكَ يَرْوَعُكَ ، فَرَجَعَ خَالِدٌ إِلَى قَنْسَرِينَ فَنَظَرَ أَهْلَ نَهْلِهِ وَوَدَّعَهُمْ وَتَحَمَّلَ ، ثُمَّ أَقْبَلَ إِلَى حِمصٍ فَنَظَرَهُمْ وَوَدَّعَهُمْ ، ثُمَّ خَرَجَ نَحْوَ الْمَدِينَةِ حَتَّى قَدِمَ عَلَى عَمْرِ فَشَكَاهُ وَقَالَ : لَقَدْ شَكَوْتُكَ إِلَى الْمُسْلِمِينَ ، وَبِإِنَّكَ فِي أَمْرٍ غَيْرٍ بِجَلٍّ يَا عَمْرُ . فَقَالَ عَمْرُ : مِنْ أَيْنَ هَذَا الْبُخْبُخُ ؟ قَالَ : مِنَ الْأَهْقَالِ وَالسَّهْمَانِ (بِالضَّمِّ جَمْعُ سَهْمٍ) وَمَا زَادَ عَلَى السَّهْمَانِ أَلْفًا فَلَمْ يَكُنْ ، فَقَوِّمَ عَمْرُ عَرُوضَهُ ، فَخَرَجَتْ إِلَيْهِ عَشْرُونَ أَلْفًا ، فَأَدْخَلَهَا بَيْتَ الْمَالِ ، ثُمَّ قَالَ : يَا خَالِدُ وَانْتَهَ إِنَّكَ عَلَى لِسْكَرِيمٍ ، وَإِنَّكَ إِلَى الْحَبِيبِ ، وَلَنْ تَعَانِيَنِي بَعْدَ الْيَوْمِ عَلَى شَيْءٍ ، وَمَاتَ خَالِدٌ رَحِمَهُ اللَّهُ سَنَةَ ٢١ هـ .

١٥٢ - كتب بين أبي عبيدة وبين عمر

وكتب أبو عبيدة إلى عمر :

« إن نفرًا من المسلمين أصابوا الشراب ، منهم ضرارٌ وأبو جندل ، فسألناهم فتأولوا ، وقالوا : خيرنا فاخترنا ، قال : « فهل أنتم مُتَّهَنُونَ »^(١) ولم يعزم علينا . »



فكتب إليه عمر :

« فذلك بيننا وبينهم ، « فهل أنتم متتهون » يعني فانتهموا . »



وجمع الناس ، فاجتمعوا على أن يضربوا فيها ثمانين جلدة ، ويضمنوا الفسق ، ومن تأول عليها بمثل هذا ، فإن أبي قُتِل ، فكتب عمر إلى أبي عبيدة :

« أن ادعهم على رؤوس الناس واسألهم : أحرام الخمر أم حلال ؟ فإن قالوا : حرام ، فاجلدهم ثمانين جلدة واستتبهم ، وإن قالوا : حلال فاضرب أعناقهم . »

(١) قال تعالى : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ أَعَلَّكُمْ تَفْلَحُونَ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ » .



فدعاهم فسألهم ، فقالوا : بل حرام ، فجلدتم ، وحُدد القوم وندموا على
لجاجتهم ، واستحيوا فلزموا البيوت ، ووسوس أبو جندل ، فكتب
أبو عبيدة إلى عمر :

« إن أبا جندل قد وسوس ، إلا أن يأتيه الله على يدك بفرج ،
فاكتب إليه وذكره » .



فكتب إليه عمر وذكره :

« من عمر إلى أبي جندل :

« إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ » .

فتب وارفع رأسك ، وابرز ولا تقنط ، فإن الله عز وجل يقول : « يَا عِبَادِيَ
الَّذِينَ اسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ
جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ » .



فلما قرأه عليه أبو عبيدة ، تطلق وأسفر وجهه ، وكتب إلى الآخرين

بمثل ذلك فبرزوا ، وكتب إلى الناس :

« عليكم أنفسكم ، ومن استوجب التغير فغيروا عليه ، ولا تعيروا

أحدا فيفشو فيكم البلاء » .

١٥٣ - كتاب عمر إلى أبي عبيدة

وقد كان أهل الشام حَصَرُوا أبا عبيدة وأصحابه فأصابهم جَهْدٌ ، فكتب إليه عمر :

« سلام عليك ، أما بعدُ : فإنه لم تكن شدة إلا جعل الله بعدها فَرَجًا ، ولن يغلب عُسْرُ يُسْرَيْنِ^(١) » يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ .

١٥٤ - رد أبي عبيدة على عمر

فكتب إليه أبو عبيدة :

« سلام عليك ، أما بعدُ : فإن الله تبارك وتعالى قال : « إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُوَ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ

(١) أى أن الله يبدل المؤمن بعسره يسراً في الدنيا ويسراً في الآخرة ، أى فرجاً عاجلاً في الدنيا وثواباً آجلاً في الآخرة .

« وجاء في لسان العرب : قال الله تعالى : « فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ، إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا » روى عن ابن مسعود أنه قرأ ذلك وقال : لا يغلب عسر يسرين ، وسئل أبو العباس عن تفسير قول ابن مسعود ومراده من هذا القول . فقال : قال الفراء : العرب إذا ذكرت نكرة ثم أعادتها بنكرة مثلها صارتا اثنتين ، وإذا أعادتها بمعرفة فهي هي : تقول من ذلك : إذا كسبت درهما فأنتفق درهما ، فالثاني غير الأول ، وإذا أعدته بالالف واللام فهي هي تقول من ذلك : إذا كسبت درهما فأنتفق الدرهم فالثاني هو الأول قال أبو العباس : وهذا معنى قول ابن مسعود ، لأن الله تعالى لما ذكر العسر ثم أعاده بالالف واللام علم أنه هو ، ولما ذكر يسراً ثم أعاده بلا ألف ولام علم أن الثاني غير الأول ، فصار العسر الثاني العسر الأول ، وصار يسر ثان غير يسر بدأً بذكره .

وجاء في حاشية الصبان في أول باب النكرة والمعرفة : « قالوا إن النكرة إذا أعيدت نكرة كانت غير الأولى ، وإن أعيدت معرفة أو أعيدت المعرفة معرفة أو نكرة كانت نفس الأولى ، وحملوا على ذلك ما روى : لن يغلب عسر يسرين ، . . . الخ » .

كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهْبِجُ فَتَرَاهُ مُضْفَرًا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا
وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا
مَتَاعُ الْغُرُورِ سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ
وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ .

فلم يلبث أن ورد البشير على عمر بفتح الله على أبي عبيدة وهزم المشركين
(كتاب الحراج ص ١٧٧)

١٥٥ - كتب بين أبي عبيدة وبين عمر

ولما وقع بالشأم طاعون عمواس^(١) سنة ١٨ هـ - ، وقيل سنة ١٧ هـ -
واشتعل الوجع في الناس ، وبلغ ذلك عمر ، كتب إلى أبي عبيدة
ليستخرجه منه :

« سلام عليك ، أما بعدُ : فإنه قد عَرَضَتْ لِي إِلَيْكَ حاجةٌ أريد أن
أُشَافِيكَ فيها ، فعَزَمْتُ عَلَيْكَ إِذَا نظرتَ في كتابي هذا ألاَّ تَضَعَهُ مِنْ يَدِكَ
حتى تُقْبَلَ إِلَيَّ » .



فَعَرَفَ أَبُو عبيدة أنه إنما أراد أن يستخرجه من الوباء ، وقال : يغفر الله
لأُمير المؤمنين ! ثم كتب إليه :

(١) « ضبط في لسان العرب بفتح أوله وسكون ثانيه ، وقال ياقوت في معجمه : رواه الزمخشري
بكسر أوله وسكون الثاني ، ورواه غيره بفتح أوله وثانيه ، وهي كورة من فلسطين بالقرب من بيت
القدس على ستة أميال من الرملة ، ومنها كان ابتداء الطاعون في أيام عمر بن الخطاب ثم فشا
في أرض الشام » .

« يا أمير المؤمنين إني قد عَرَفْتُ حاجَتَكَ إِلَيَّ ، وإني في جُنْدٍ من المسلمين لا أجد بنفسى رَغْبَةً عَنْهُمْ ، فليستُ أريدُ فِرَاقَهُمْ حتى يَقْضِيَ اللَّهُ فِيَّ وفيهم أَمْرَهُ وقضاءه ، فخلَّني من عَزْمَتِكَ يا أمير المؤمنين ودَعْنِي في جُنْدِي » .



فلما قرأ عمر الكتاب بكى ، فقال الناس : يا أمير المؤمنين ، أَمَات أبو عبيدة ؟ قال : لا ، وكانَ قَدْ ، ثم كتب إليه :
« سلام عليك ، أما بعدُ : فَإِنَّكَ أَنْزَلْتَ النَّاسَ أَرْضًا غَمَقَةً ^(١) ، فارفعهم إلى أرض مرتفعة نَزْهَةً ^(٢) » .

(تاريخ الطبرى ٤ : ١ : ٢ ، وتاريخ الكامل لابن الأثير ٢ : ٢٧٥)

وفي لسان العرب - في مادة غمق - أنه كتب إليه :
« إِنَّ الْأَرْضَ أَنَّ أَرْضَ غَمَقَةٍ ، وَإِنَّ الْجَايِئَةَ أَرْضَ نَزْهَةٍ ، فَاطْهَرِ بَيْنَ مَعَكَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ إِلَيْهَا » .

١٥٦ - كتاب معاذ بن جبل إلى عمر

وعَمَّ طَاعُونَ عُمَاسِ أَهْلِ الشَّامِ ، ومَاتَ فِيهِ بَشَرٌ كَثِيرٌ ، مِنْهُمْ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ رَحِمَهُ اللَّهُ ، وَكَانَ قَدْ اسْتَخْلَفَ مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فَكَتَبَ إِلَى عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَرْغُو أبا عُبَيْدَةَ :
« لَعَبَدَ اللَّهُ عُمَرَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ . سَلَامٌ عَلَيْكَ ، فَإِنِّي

(١) أرض غمقة كفرحة : ذات ندى وتقل ووخامة ، أو قريبة من المياه ، وفي الأصل « عميقة » وهو تحريف . (٢) أرض نزهة بفتح فسكون وتكسير الزاى ، ونزبهة : أى بعيدة عن الريف وغنى المياه وذبان القرى وومد البحار وفساد الهواء .

أَحْمَدُ إِلَيْكَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ، أَمَا بَعْدُ : فَاحْتَسِبِ امْرَأَ كَانَ اللَّهُ أَمِينًا ،
وَكَانَ اللَّهُ فِي عَيْنِهِ عَظِيمًا ، وَكَانَ عَلَيْنَا وَعَلَيْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَزِيزًا : أَبَا عُبَيْدَةَ
ابْنَ الْجَرَّاحِ ، غَفَرَ اللَّهُ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ : « وَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ
رَاجِعُونَ » وَعِنْدَ اللَّهِ نَحْتَسِبُهُ ، وَبِاللَّهِ نَتَّقِي لَهُ ، كَتَبْتُ إِلَيْكَ ، وَقَدْ فَشَا الْمَوْتُ
وَهَذَا الْوَبَاءُ فِي النَّاسِ ، وَلَنْ يُخْطِيَّ أَحَدًا أَجَلُهُ مِنَ الْمَوْتِ ، وَمَنْ لَمْ يَمُتْ
فَسَيَمُوتُ ، جَعَلَ اللَّهُ لَهُ مَا عِنْدَهُ خَيْرًا لَنَا مِنَ الدُّنْيَا ، إِنْ أَبْقَانَا أَوْ أَهْلَكَنَا ،
فَإِذَاكَ اللَّهُ عَنْ جَمَاعَةِ الْمُسْلِمِينَ ، وَعَنْ خَاضَتِنَا وَعَامَّتِنَا رَحْمَتَهُ وَمَغْفِرَتَهُ وَرِضْوَانَهُ
وَجَنَّتَهُ ، وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ .

(فتوح الشام ص ٢٤٧)

١٥٧ - كتاب عمرو بن العاص إلى عمر

ثُمَّ طَعِنَ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ فَمَاتَ رَحِمَهُ اللَّهُ ، وَكَانَ قَدْ اسْتَخْلَفَ عَمْرَوُ
ابْنَ الْعَاصِ ، فَكَتَبَ إِلَى عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ مُعَاذًا :

« لَعَبَدَ اللَّهُ عَمْرَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ ، سَلَامٌ عَلَيْكَ ، فَإِنِّي
أَحْمَدُ إِلَيْكَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ، أَمَا بَعْدُ : فَإِنْ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ رَحِمَهُ اللَّهُ
هَلَكَ ، وَقَدْ فَشَا الْمَوْتُ فِي الْمُسْلِمِينَ ، وَقَدْ اسْتَأْذَنُونِي فِي التَّنَحِّي عَنْهُ إِلَى الْبَرِّ ،
وَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّ إِقَامَةَ الْمُقِيمِ لَا تَقْرُبُهُ مِنْ أَجَلِهِ ، وَأَنْ هَرَبَ الْهَارِبُ مِنْهُ
لَا يُبَاعِدُهُ مِنْ أَجَلِهِ ، وَلَا يَدْفَعُ بِهِ قَدَرَهُ ، وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ . »

(فتوح الشام ص ٢٤٧)

١٥٨ - كتاب عمر إلى يزيد بن أبي سفيان

ثم إن عمر رضى الله عنه كتب إلى يزيد بن أبي سفيان :
« أما بعد ، فقد وليتكَ أجناد الشام كله ، وكتبت إليهم أن يسمعوا لك
ويطيعوا ، وألا يخالفوا لك أمراً ، فاخرج فمسكر بالمسلمين ثم سر إلى
قيسارية ، فانزل عليها ثم لا تفارقها حتى يفتحها الله عليك ، فإنه لا ينبغي
افتتاح ما أقتحمت من أرض الشام مع مقام أهل قيسارية فيها ، وهم عدوكم
وإلى جانبكم ، وإنه لا يزال قيصر طامعاً في الشام ما بقي فيها أحد من أهل
طاعته منيعاً^(١) ، ولو قد فتحتموها قطع الله رجاءه من جميع الشام ، والله
عز وجل فاعل ذلك وصانع للمسلمين إن شاء الله .
(فتوح الشام ص ٢٥٠)

١٥٩ - كتاب عمر إلى أمراء الأجناد

فخرج يزيد بن أبي سفيان فمسكر بالمسلمين ، وجاء كتاب من عمر
رضى الله عنه إلى أمراء الأجناد نسخة واحدة :
« أما بعد : فقد وليت يزيد بن أبي سفيان أجناد الشام كله ، وأمرته أن
يسير إلى أهل قيسارية ، فلا تعصوا له أمراً ، ولا تخالفوا له رأياً ، والسلام »
(فتوح الشام ص ٢٥٠)

(١) في الأصل « متبعا » ، وهو تحريف .

١٦٠ - كتاب يزيد بن أبي سفيان إلى أمراء الأجناد

وكتب يزيد بن أبي سفيان إلى أمراء الأجناد نسخة واحدة :
« أما بعدُ : فإنني قد ضربتُ على الناسَ بَعَثًا أريدُ أن أسير بهم إلى
قيسارية ، فأخرجوا من كل ثلاثة رجلًا ، وعجلوا إشخاصهم إلىَّ والسلام .
فلم يلبث إلا قليلًا حتى تَوَافَتَ عنده عساكر الأجناد فسار إلى قيسارية
وكان بها جموع من بطارقة الروم وفُرسانهم وأشدائهم كثيرة ، وكل من
كُرِه الدخول في دين الإسلام من النصاري ، ومن كُرِه الجزية ، فحمل
عليهم ، وقتل منهم مَقْتَلَةً عظيمة ، وانهزموا انهزامًا شديدًا ^(١) .
(فتوح الشام : ص ٢٥١)

١٦١ - كتاب عمر إلى معاوية

وكتب عمر رضى الله عنه إلى معاوية ^(٢) كتابًا في القضاء يقول فيه :
« أما بعدُ ، فإنني كتبت إليك بكتاب في القضاء لم آلك ^(٣) ونفسي فيه
خيرًا ، ألزم خمس خصال يسلم لك دينك ، وتأخذ فيه بأفضل حظك : إذا
تقدم إليك الخصمان فعليك بالبيّنة العادلة ، أو اليمين القاطعة ، وأدّن الضعيفَ
حتى يشدَّ قلبه ، وينبسط لسانه ، وتعهّد ^(٤) الغريب ، فإنك إن لم تتعهده

(١) وفي رواية الطبري أن عمر كتب إلى يزيد بن أبي سفيان أن يسرح معاوية إلى قيسارية ، وأن
فجها كان سنة ١٥ هـ ، انظر ما قدمناه في ص ١٩١ .

(٢) ذكر الطبري أن يزيد بن أبي سفيان توفي في طاعون عمواس ، فلما انتهى مصابه إلى عمر ، أمر
أخاه معاوية بن أبي سفيان على جند دمشق وخراجها .

(٣) ألا كمدا : قصر ، وهو لا يألوك نصحا أي لا يقصر .

(٤) وفي العقد الفريد « وتعاهد » وتعهد وتعاهده واعتّده : تفقده .

تَرَكَ حَقَّهُ ، وَرَجَعَ إِلَى أَهْلِهِ ، وَإِنَّمَا ضَيَّعَ حَقَّهُ مَنْ لَمْ يَرْفُقْ بِهِ ، وَأَسِيبُ بَيْنَ
النَّاسِ فِي لَحْظِكَ وَطَرَفِكَ ، وَعَلَيْكَ بِالصَّلَاحِ بَيْنَ النَّاسِ مَا لَمْ يَسْتَبِينَ لَكَ
فَصَلُّ الْقَضَاءُ^(١) .

(البيان والبيان ٢ : ٧٥ ، والعقد القريد ١ : ٢٧ ، وكتاب الحراج لأبي يوسف ص ١٤٠)

١٦٢ - كتاب عمر إلى عمرو بن العاص

وَلَمَّا قَدِمَ عُمَرُ الشَّامَ سَنَةَ ١٨ هـ خَلَا بِهِ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ ، وَجَعَلَ يَرْغِبُهُ
فِي فَتْحِ مِصْرَ ، وَمَا زَالَ بِهِ حَتَّى أَجَابَهُ فَعَقَّدَ لَهُ عَلَى أَرْبَعَةِ آلَافِ رَجُلٍ ، وَقَالَ لَهُ :
سِرْ وَأَنَا مُسْتَخِيرٌ اللَّهَ فِي مَسِيرِكَ ، وَسَيَأْتِي كِتَابِي إِلَيْكَ سَرِيعًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ ،
فَإِنْ أَدْرَكَكَ كِتَابِي وَأَمَرْتُكَ فِيهِ بِالْإِنْصِرَافِ عَنْ مِصْرَ قَبْلَ أَنْ تَدْخُلَهَا ، أَوْ
شَيْئًا مِنْ أَرْضِهَا فَانْصَرَفْ ، وَإِنْ أَنْتَ دَخَلْتَهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتِيكَ كِتَابِي فَامْضِ
لِوَجْهِكَ ، وَاسْتَعِزْ بِاللَّهِ وَاسْتَنْصِرْهُ ، فَسَارَ إِلَيْهَا عَمْرُو ، وَاسْتَخَارَ عُمَرُ اللَّهَ
فَكَأَنَّهُ تَخَوَّفَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ فِي وَجْهِهِمْ ذَلِكَ ، فَكَتَبَ إِلَى عَمْرُو بْنِ الْعَاصِ
أَنْ يَنْصَرِفَ بَعْنٍ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، فَأَدْرَكَ الْكِتَابَ عَمْرًا وَهُوَ بَرْفَحٌ ،
فَتَخَوَّفَ إِنْ هُوَ أَخَذَ الْكِتَابَ وَفَتَحَهُ أَنْ يَجِدَ فِيهِ الْإِنْصِرَافَ كَمَا عَهْدَ إِلَيْهِ
عُمَرُ ، فَلَمْ يَأْخُذْ الْكِتَابَ مِنَ الرِّسُولِ وَدَافَعَهُ وَسَارَ حَتَّى نَزَلَ قَرْيَةَ فِيمَا بَيْنَ
رَفَاحٍ وَالْعَرِيشِ ، فَسَأَلَ عَنْهَا فَقِيلَ إِنَّهَا مِنْ مِصْرَ ، فَدَعَا بِالْكِتَابِ فَقَرَأَهُ عَلَى

(١) رَوَى أَبُو يُوسُفَ فِي كِتَابِ الْحَرَجِ هَذَا الْكِتَابَ ، وَذَكَرَ أَنَّهُ كَتَبَهُ عُمَرُ إِلَى أَبِي عُبَيْدَةَ بِالشَّامِ ،
وَقَدْ جَاءَ فِيهِ مَوْضِعُ قَوْلِهِ : « وَإِنَّمَا ضَيَّعَ حَقَّهُ مَنْ لَمْ يَرْفُقْ بِهِ » هَذِهِ الْعِبَارَةُ « وَإِنْ الَّذِي أَبْطَلَ مَنْ لَمْ
يَرْفُقْ بِهِ رَأْسًا » وَهُوَ تَحْرِيفٌ ، وَصَوَابُهُ « وَإِنَّمَا الَّذِي أَبْطَلَ حَقَّهُ مَنْ لَمْ يَرْفُقْ لَهُ رَأْسًا » أَوْ هُوَ :
« وَإِنَّمَا الَّذِي أَبْطَلَ حَقَّهُ مَنْ لَمْ يَرْفُقْ بِهِ ، وَأَسِيبُ بَيْنَ النَّاسِ » ثُمَّ حُرِّفَ « وَأَسِيبُ » إِلَى « رَأْسًا » .
وَرَوَاهُ ابْنُ أَبِي الْحَدِيدِ فِي شَرْحِهِ جُزْءًا مِنْ كِتَابِ كَتَبَهُ عُمَرُ إِلَى أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ كَمَا سَيَرِدُ عَلَيْكَ بَعْدَ

المسلمين ، ثم قال : أستم تعلمون أن هذه القرية من مصر؟ قالوا : بلى ، فقال
إن أمير المؤمنين عهد إليّ وأمرني إن لحقني كتابه ولم أدخل مصر أن أرجع ،
وإن لم يلحقني كتابه حتى دخلنا أرض مصر فسيروا وأمضوا على بركة الله ،
وكان كتاب عمر إليه :

« من عمر بن الخطاب إلى عمرو بن العاص ، أما بعدُ : فإنك سرت
إلى مصر ومن معك ، وبها جموع الروم ، وإنما معك نفر يسير ، ولعمري
لو نُكِّل بك ما سرت بهم ، فإن لم تكن بلغت مصر فارجع » .
(خطط المفريزي ١ : ٢٨٨ ، وحسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة ١ : ٤٦)

١٦٣ - كتاب عمر إلى عمرو بن العاص

وسار عمرو بن العاص إلى أن بلغ « الفرما » فقاتله بها الروم قتالا
شديداً ثم فتحها الله على يديه ، وتقدم إلى بليئس ففتحها ، ومضى حتى أتى أمَّ
دُنين^(١) فناهضوه مناهضة عنيفة وأبطأ عليه الفتح ، فكتب إلى عمر
يستمدّه فأمدّه بأربعة آلاف ، فسار بمن معه حتى نزل على حصن بابليون^(٢)
وقاتلهم قتالاً شديداً يصبّحهم ويعسيهم ، فلما أبطأ عليه الفتح كتب إلى عمر
يستمدّه ، فأمدّه بأربعة آلاف رجل ، على كل ألف رجلٍ منهم رجلٌ
وكتب إليه :

(١) هي قرية كانت على النيل ، وموقعها الآن ما بين عابدين والأزكية بالقاهرة - ومن ذلك تعلم أن
النيل غير مجراه منذ ذلك العهد وتحول إلى الغرب . (٢) هو حصن قديم لا يعرف مؤسسه
وقيل بناء الفرس أيام ملكوا مصر ، وقد جدده الإمبراطور تراجان على الطراز الروماني ، ولا ترا
بعض مبانيه باقية إلى الآن بالقرب من كنيسة ماري جرجس بمصر القديمة ، وكان العرب يسمو
قصر الشمع .

« إني قد أمددتك بأربعة آلاف رجل ، منهم رجال مقام الألف :
الزبير بن العوام ، والمقداد بن الأسود ، وعُباد بن الصّامِت ، ومَسْلَمَة
ابن مَخْلَد ، واعلم أن معك اثني عشر ألفاً ، ولا يُغَلَب اثنا عشر ألفاً من قِلَّة » .
وحاصر عمرو الحصن سبعة أشهر حتى فتحه .

(حسن المحاضرة ١ : ٤٧ ، وخطط القرظي ١ : ٢٨٩)

١٦٤ - عهد عمرو بن العاص لأهل مصر

ولما رأى القبط أن لا طاقة لهم بحرب قومٍ فُلُّوا كسرى وقيصر
وغلبوهم على بلادهم ، طلبوا الصلح ، فقبل منهم عمرو بن العاص ، وكتب
لهم كتاباً . صورته :

« بسم الله الرحمن الرحيم : هذا ما أعطى عمرو بن العاص أهل مصر من
الأمان على أنفسهم وملّتهم وأموالهم ، وكنائسهم وتسلّبتهم ، وبرّهم وبحرهم ،
لا يُدْخِل عليهم شيء من ذلك ، ولا يُنْتَقَص ، ولا تُساكنهم التوبة .

وعلى أهل مصر أن يُعْطُوا الجزية - إذا اجتمعوا على هذا الصلح
وانتهت زيادة نهرهم - خمسين ألف ألف ، وعليهم ما جئى لصوتهم^(١) ، فإن
أبى أحدٌ منهم أن يُجيبَ رُفِعَ عنهم من الجزاء^(٢) بقدرهم ، وذمّتنا ممن
أبى بريئة .

وإن نقص نهرهم عن غايته إذا انتهى ، رُفِعَ عنهم بقدر ذلك ، ومن

(١) اللصوت جمع لصت مثلث اللام وهو اللص ، وفي رواية صبح الأعشى « وعليه من جئى نصرتهم »
أى وعلى عمرو أن ينصرهم ويعينهم على من اعتدى عليهم ، مقابل دفعهم الجزية .
(٢) الجزية ما يؤخذ من الذمى ، والجمع جزى كالى وجزى كعمل وجزاء كجبال

دَخَلَ فِي صَلَاحِهِمْ مِنَ الرُّومِ وَالثُّوبَةِ ، فَلَهُ مِثْلُ مَا لَهُمْ ، وَعَلَيْهِ مِثْلُ مَا عَلَيْهِمْ ،
وَمَنْ أَبَى وَاخْتَارَ الذَّهَابَ فَهُوَ مِّنْ حَتَّى يَبْلُغَ مَأْمَنَهُ ، أَوْ يُخْرِجَ مِنْ سُلْطَانِنَا ،
وَعَلَيْهِمْ مَا عَلَيْهِمْ أَثْلَاثًا ، فِي كُلِّ ثُلَاثٍ جَبَايَةٌ ثَلَاثٌ مَا عَلَيْهِمْ .

على ما في هذا الكتاب عهدُ الله وذمته ، وذمة رسوله ، وذمة الخليفة
أمير المؤمنين ، وذمم المؤمنين .

وعلى الثُّوبَةِ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا أَنْ يُعِينُوا بِكَذَا وَكَذَا رَأْسًا ، وَكَذَا وَكَذَا
فَرَسًا ، وَعَلَى أَنْ لَا يُغْزَوْا ، وَلَا يُمْنَعُوا مِنْ تِجَارَةٍ صَادِرَةٍ وَلَا وَارِدَةٍ » .

شهد الزُّبَيْرُ ، وَعَبْدُ اللَّهِ ، وَمُحَمَّدُ ابْنَاهُ ، وَكَتَبَ وَرَدَانُ وَحَضَرَ .

(تاريخ الطبري ٢٢٩: ٤ ، وصباح الأعشى ٣١٤: ١٣ ، والنجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ٢٤: ١)

١٦٥ - كتاب عمرو إلى عمرو بن العاص

ثم خرج عمرو إلى الإسكندرية لقتال من تجمع بها من الروم ، وأقام
على حصارها أربعة عشر شهراً ، حتى فتحها يوم الجمعة مستهلاً المحرم
سنة عشرين هـ .

وذكروا أنه لما أبطأ على عمرو بن الخطاب فتح مصر (يعني الإسكندرية)
كتب إلى عمرو بن العاص .

« أما بعدُ : فقد عَجِبْتُ لِإِبْطَائِكُمْ عَنْ فَتْحِ مِصْرَ ، إِنْ كُنْتُمْ تَقَاتِلُونَهُمْ
مِنْذُ سَنَتَيْنِ ، وَمَا ذَاكَ إِلَّا لِمَا أَحْدَثْتُمْ وَأَحْبَبْتُمْ مِنَ الدُّنْيَا مَا أَحَبَّ عَدُوَّكُمْ ،
وَإِنْ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَا يَنْصُرُ قَوْمًا إِلَّا بِصِدْقِ نِيَاتِهِمْ ، وَقَدْ كُنْتُ وَجَّهْتُ
إِلَيْكَ أَرْبَعَةَ نَفَرٍ : وَأَعْلَمْتُكَ أَنَّ الرَّجُلَ مِنْهُمْ مَقَامُ أَلْفِ رَجُلٍ عَلَى مَا كُنْتُ

أعرف ، إلا أن يكون غيرهم ما غيرهم ، فإذا أتاك كتابي فاخطب الناس ،
وحضهم على قتال عدوهم ورغبهم في الصبر والنية ، وقدم أولئك الأربعة في
صدور الناس ، ومُر الناس جميعاً أن يكون لهم صدمة كصدمة رجل واحد ،
وليكن ذلك عند الزوال يوم الجمعة ، فإنها ساعة تنزل الرحمة فيها ، ووقتُ
الإجابة ، وليعج^(١) الناس إلى الله ، ويسألوه النصر على عدوهم .
فلما أتى عمرًا الكتابُ جمع الناس وقرأ عليهم كتاب عمر ، ثم دعا
أولئك نفر فقدهم أمام الناس ، وأمر الناس أن يتطهروا ويصلوا ركعتين
ثم يرغبوا إلى الله تعالى ، ويسألوه النصر على عدوهم ، ففعلوا ، ففتح
الله عليهم . (حسن المحاضرة ١ : ٥٣ ، وخطب القريري ١ : ١٦٥)

١٦٦ - كتاب عمرو بن العاص

وأرسل صاحب الإسكندرية إلى عمرو بن العاص : إن أحبيت أن
أعطيك الجزية على أن تردَّ عليَّ ما أصبتم من سببايا أرضي فعلت ،
فبعث إليه عمرو : إنَّ ورائي أميراً لا أستطيع أن أصنع أمراً دونه . فإن
شئت أن أمسك عنك وتمسك عني حتى أكتب إليه بالذي عرَّضت عليَّ ،
فإن هو قبل ذلك منك قبلتُ ، وإن أمرني بغير ذلك مضيتُ لأمره ، فقال :
نعم ، فكتب عمرو إلى عمر بن الخطاب في ذلك ، فجاءه كتاب عمر ، وفيه :
« أما بعدُ : فإنه جاءني كتابك تذكُّرُ أن صاحب الإسكندرية

(١) عَجَّ يَعْجُ كَفَرَّ وَمَلَّ : صاح ورفع صوته .

عَرَضَ أَنْ يُعْطِيكَ الْجِزْيَةَ ، عَلَى أَنْ تَرُدَّ عَلَيْهِ مَا أُصِيبَ مِنْ سَبَايَا أَرْضِهِ ، وَلَعَمْرِي لَجِزْيَةٌ قَائِمَةٌ تَكُونُ لَنَا وَلِمَنْ بَعْدَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ فِئَةٍ يُقْسَمُ ، ثُمَّ كَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ ، فَأَعْرِضْ عَلَى صَاحِبِ الْإِسْكَانْدَرِيَّةِ أَنْ يُعْطِيكَ الْجِزْيَةَ ، عَلَى أَنْ تُخَيِّرُوا مَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنْ سَبْيِهِمْ بَيْنَ الْإِسْلَامِ وَبَيْنَ دِينِ قَوْمِهِ ، فَمَنْ اخْتَارَ مِنْهُمْ الْإِسْلَامَ ، فَهُوَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، لَهُ مَا لَهُمْ وَعَلَيْهِ مَا عَلَيْهِمْ ، وَمَنْ اخْتَارَ دِينَ قَوْمِهِ وَوَضَعَ عَلَيْهِ مِنَ الْجِزْيَةِ مَا يَوْضَعُ عَلَى أَهْلِ دِينِهِ ، فَأَمَّا مَنْ تَفَرَّقَ مِنْ سَبْيِهِمْ بِأَرْضِ الْعَرَبِ فَبَلِغْ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةَ وَالْيَمَنَ ، فَإِنَّا لَا نَقْدِرُ عَلَى رَدِّهِمْ ، وَلَا نَحِبُّ أَنْ نَصَالِحَهُ عَلَى أَمْرٍ لَا تَنَفِي لَهُ بِهِ .

فَبَعَثَ عَمْرُو إِلَى صَاحِبِ الْإِسْكَانْدَرِيَّةِ يُعْلِمُهُ الَّذِي كَتَبَ بِهِ أَمِيرُ

الْمُؤْمِنِينَ ، فَقَالَ قَدْ فَعَلْتُ . (تَارِيخُ الطَّبَرِيِّ ٤ : ٢٢٧)

١٦٧ - كِتَابُ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ

وَرَوَى أَنَّ عَمْرُو بْنَ الْعَاصِ لَمَّا فَتَحَ الْإِسْكَانْدَرِيَّةَ هَمَّ أَنْ يَسْكُنَهَا ، فَكَتَبَ إِلَى عَمْرِو بْنِ الْخَطَّابِ يَسْتَأْذِنُهُ فِي ذَلِكَ ، فَسَأَلَ عَمْرُو الرِّسُولَ : هَلْ يَحُولُ بَيْنِي وَبَيْنَ الْمُسْلِمِينَ مَاءٌ ؟ قَالَ : نَعَمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا جَرَى النِّيلُ ، فَكَتَبَ إِلَى عَمْرُو :

« إِنِّي لَا أَحِبُّ أَنْ تُنْزَلَ الْمُسْلِمِينَ مَنْزِلًا يَحُولُ الْمَاءُ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فِي شَتَاءٍ وَلَا صَيْفٍ . »

فَتَحَوَّلَ عَمْرُو مِنَ الْإِسْكَانْدَرِيَّةِ إِلَى الْفُسْطَاطِ .

(خَطَّاطُ الْمَرْيُوزِيِّ ١ : ١٦٧ ، حَسَنُ الْمَحَاضِرَةِ ١ : ٥٧)

١٦٨ - كتاب عمرو بن العاص إلى عمر

ولما استقرَّ عمرو بن العاص على ولاية مصر، كتب إليه عمر بن الخطاب رضى الله عنه أن يصف لي مصر، فكتب إليه :

« وَرَدَ كِتَابُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ - أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَهُ - يَسْأَلُنِي عَنْ مِصْرَ :
اعلم يا أمير المؤمنين أن مصر قَرْيَةٌ غَبْرَاءُ^(١) ، وشجرة خضراء ، طُولُهَا
شَهْرٌ ، وَعَرْضُهَا عَشْرٌ^(٢) ، يَكْنُفُهَا جَبَلٌ أَغْبَرٌ ، وَرَمْلٌ أَغْفَرٌ^(٣) ، يَخْطُ وَسَطُهَا
نَيْلٌ مُبَارَكٌ الْغُدُوات ، مَيْمُونُ الرِّوْحَاتِ ، تَجْرِي فِيهِ الزِّيَادَةُ وَالنَّقْصَانُ
كَجَرْيِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ ، لَهُ أَوَانٌ يَدْرَجُ حِلَابُهُ^(٤) ، وَيَكْثُرُ فِيهِ ذُبَابُهُ ، تُمَدُّهُ
عَيُونُ الْأَرْضِ وَيَنَابِيعُهَا ، حَتَّى إِذَا مَا أَصْلَحَ عَجَاجُهُ^(٥) ، وَتَعَظَّمَتْ أُمُوجُهُ ،
فَاضَ عَلَى جَانِبَيْهِ ، فَلَمْ يُمْكِنِ التَّخْلُصُ مِنَ الْقُرَى بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ إِلَّا
فِي صَفَارِ الْمَرَاكِبِ ، وَخِفَافِ الْقَوَارِبِ ، وَزَوَارِقِ كَأَنَّهُنَّ فِي الْمَخَايِلِ
وُزُقُ الْأَصَائِلِ^(٦) ، فَإِذَا تَكَامَلَ فِي زِيَادَتِهِ نَكْصٌ عَلَى عَقَبَيْهِ كَأَوَّلِ
مَا بَدَأَ فِي جَرِيَّتِهِ ، وَطَمًا فِي دِرَّتِهِ^(٧) ، فَعِنْدَ ذَلِكَ تَخْرُجُ أَهْلُ مِلَّةٍ مُحَقُّورَةٌ ،

(١) غبراء وصف من الغبرة بالضم ، وهى لون الغبار ، مثل صحارى مصر بقرية غبراء ، وواديها الحصب بشجرة خضراء . (٢) المراد عشرة أيام (وإذا حذف العدود جاز تذكر العدد وتأنيته كحديث : وأتبعه ستا من شوال) والمعنى أن عرضها أقل من طولها .

(٣) الأغفر : الرمل الأحمر ، والأغفر أيضاً : الأبيض وليس بالشديد البياض .
(٤) الدر بالفتح اللين ، وقد درّ الضرع كنصر وضرب ، والحلاب : استخراج ما فى الضرع من اللبن كالحلب (واستعمل هنا لما يحلب) والمعنى : له وقت يغزر فيه ماؤه ويقبض .

(٥) اصلح : اشتد . بعير مصلح : أى جسيم شديد مض ، ونهر عجاج : أى كثير الماء تسمع لمائه التدفق عجباً أى صوتاً . (٦) المخابيل جمع مخيلة كعيشة ، خال الشيء مخيلة : ظنه ، والأصائل جمع أصيل وهو العشى ، والورق جمع ورقاء ، وهى الحمامة فى لونها بياض إلى سواد ،

(٧) نكس : رجع ، وطما الماء يطمو ويظمى : علا ، والدر بالفتح : اسم من الدر بالفتح وهو اللبن كما تقدم ، والمعنى فى زيادته وفيضه .

وَذِمَّةٌ مَحْفُورَةٌ^(١) ، يَحْرُثُونَ الْأَرْضَ ، وَيَبْذُرُونَ بِهَا الْحَبَّ ، يَرْجُونَ بِذَلِكَ
النَّمَاءَ مِنَ الرَّبِّ ، لَغَيْرِهِمْ مَا سَعَوْا مِنْ كَدِّهِمْ ، فَنَالَهُ مِنْهُمْ بَغِيرَ جِدِّهِمْ^(٢) ، فَإِذَا
أَحْدَقَ^(٣) الزَّرْعَ وَأَشْرَقَ ، سَقَاهُ النَّدَى ، وَغَذَاهُ مِنَ تَحْتِهِ التَّرَى ، فَبَيْنَمَا مَصْرُ
يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَوْلُؤَةٌ بَيضاء ، إِذَا هِيَ عَنَبَةٌ سَوْدَاءَ ، فَإِذَا هِيَ زُرْدَةٌ خَضراءَ ،
فَإِذَا هِيَ دِيْبَاجَةٌ رَقْشَاءُ^(٤) ، فَتَبَارَكَ اللَّهُ الْخَالِقُ لِمَا يَشَاءُ ، وَالَّذِي يُصْلِحُ هَذِهِ
الْبِلَادَ وَيُنَمِّيْهَا ، وَيُقَرِّ قَاطِنِيهَا فِيهَا ، أَلَّا يَقْبَلَ قَوْلُ خَسِيْسِهَا فِي رَأْسِهَا ،
وَأَلَّا يُسْتَأْدَى^(٥) خَرَاجُ ثَمَرَةٍ إِلَّا فِي أَوَانِهَا ، وَأَنْ يُصْرَفَ ثَلَاثُ ارْتِفَاعِهَا فِي

(١) خفريه كضرب : تقض عهده وغدره كأخفريه ، ومعنى قوله « أهل ملة محفورة » وذمة محفورة .
أن الرومان كانوا يحفرونهم ويتهنونهم ويستذلونهم ، ولا يرجعون لهم عهداً ولا ذمة ، وكذا قوله
« لغيرهم ما سعوا من كدِّهم » أى لأنهم كانوا يكفون في حرث الأرض وزرعها ثم يستحوذ الرومان على
محصولها ، وقد ذكر المؤرخون أن أهل مصر في آخر الحكم الرومان كانوا بمثابة آلات لإبانت
القمح ، وأن مصر كانت مزرعة تصدره إلى رومة .

(٢) الضمير فيه يعود على « لغيرهم » وأعاد الضمير مجموعاً مراعاة لمعنى غير ، فهي مفردة لفظاً متعددة
معنى ولعل الأصل « بغير جده » ثم حرف ، وهو الأظهر .

(٣) أحدق : أى استدار ، وأشرق : تفتح نوره . (٤) الديباجة : الحد ، والرقشاء المنقطة
بسواد وبياض ، يصف بذلك طريقة إرواء الحياض التي كانت مستعملة في ذلك العهد (وما زالت حتى
اليوم في أعلى الصعيد) إذ تطلق المياه في الحياض فتغمر الأرض فتبين كأنها لؤلؤة بيضاء ، ثم تصفى منها
وقد رسب على وجهها ما حملته المياه من الغرين الأسود (والغرين : كأمر ودرهم : الطين) فتبدو
كأنها عنبرة سوداء ، ثم ينبت فيها الزرع الأخضر وينمو ، فكأنها زمردة خضراء ، ثم يتلون بألوانه
المختلفة فتظهر كأنها صفحة رقشاء ، وقد جاء في خطط المقرئى (١ : ٢٦) .

« ووصف بعضهم مصر فقال : ثلاثة أشهر لؤلؤة بيضاء ، وثلاثة أشهر مسكة سوداء ، وثلاثة
أشهر زمردة خضراء ، وثلاثة أشهر سبيكة ذهب حمراء ، فأما اللؤلؤة البيضاء فإن مصر في أشهر
أبيب ومسرى وتوت يركبها الماء فترى الدنيا بيضاء ، وضياؤها على روابي وتلال مثل الكواكب
قد أحيطت بالمياه من كل وجه ، فلا سبيل إلى قرية من قرأها إلا في الزوارق ، وأما المسكة السوداء
فإن في أشهر بابه وهاتور وكيهك ينكشف الماء عن الأرض فتصير أرضاً سوداء ، وفي هذه الأشهر
تقع الزراعات ، وأما الزمردة الخضراء فإن في أشهر طوبة وأمشير وبرمبات يكثر نبات الأرض وربيعها
فتصير خضراء كأنها زمردة ، وأما السبيكة الحمراء فإن في أشهر برمودة وبشنس وبثونة يتورد العشب
ويبلغ الزرع الحصاد ، فيكون كالسبيكة التي من الذهب منظراً ومنفعة » (٥) أى يطلب إليه أدائه .

عَمَلُ جُسُورِهَا وَثُرْعَمُهَا ، فَإِذَا تَقَرَّرَ الْحَالُ مَعَ الْعَمَالِ عَلَى هَذِهِ الْأَحْوَالِ ،
تَضَاعَفَ ارْتِفَاعُ الْمَالِ ، وَاللَّهُ تَعَالَى يُوَفِّقُ فِي الْمَبْدَأِ وَالْمَأَلِ .

فلما ورد الكتاب على عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : لله دَرُكُ
يابن العاص ! لقد وَصَفْتَ لى خَبِراً كَأَنى أَشَاهِدُهُ .

(النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ١ : ٣٢)

١٦٩ - كتاب معاوية إلى عمر

وَأَلَحَّ مُعَاوِيَةُ عَلَى عُمَرَ فِي غَزْوِ الْبَحْرِ ، وَكَتَبَ إِلَيْهِ كِتَابًا يَرْغَبُهُ
فِيهِ ، وَيَقُولُ :

« يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنْ بِالشَّامِ قَرْيَةً يَسْمَعُ أَهْلُهَا نُبَاحَ كَلَابِ الرُّومِ ،
وَصِيَّاحَ دِيُوكِهِمْ ، وَهُمْ تِلْقَاءَ سَاحِلٍ مِنْ سِوَا حِلِّ حِمَصٍ ^(١) » .

فَاتَّهَمَهُ عُمَرُ ، لِأَنَّهُ الْمُشِيرُ ، فَكَتَبَ إِلَى عُمَرُو بْنِ الْعَاصِ وَهُوَ عَامِلُهُ عَلَى
مِصْرَ أَنْ صِيفَ لى الْبَحْرِ وَرَاكِبَهُ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ عُمَرُو .

١٧٠ - كتاب عمرو بن العاص إلى عمر

« يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنْ الْبَحْرُ خَلَقَ عَظِيمٌ ، يَرَكِبُهُ خَلْقٌ صَغِيرٌ ، إِنْ
رَكُنَ ^(٢) خَرَّقَ الْقُلُوبَ ، وَإِنْ تَحَرَّكَ أَزَاغَ الْعُقُولَ ، يَزِدَادُ فِيهِ الْيَقِينَ قِلَةً
وَالشُّكَّ كَثْرَةً ، لَيْسَ إِلَّا السَّمَاءُ وَالْمَاءُ . وَإِنَّمَا فِيهِ كَدُودٌ عَلَى عُودٍ ، إِنْ مَالَ
غَرِقَ ، وَإِنْ نَجَا بَرِقَ ^(٣) » .

(١) يعنى جزيرة « قبرس » وقد غزاها معاوية وفتحها فى خلافة عثمان سنة ٢٨ هـ .

(٢) أى هداً وسكناً ، ويقال رجل ركن إذا كان ساكناً وقوراً رزينا ، وقد ركن

ركانة كفصح . (٣) برق كفرح ونصر : تحيية حتى لا يطفرف ، أو دهش فلم يبصر .

فلما قرأه عمر كتب إلى معاوية : « لا ، والذي بعث محمداً بالحق لا أُحِلُّ فيه مُسَلِّماً أبداً » .

(تاريخ الطبري ٥ : ٥١ ، والعقد الفريد ١ : ٢٨ ، والبيان والتبيين ٢ : ٥٧)

١٧١ - كتاب عمر إلى عمرو بن العاص

وروى أنه لما ولي عمرو بن العاص مصرَ ، أتاه أهلها حين دخل شهر بؤونة ، فقالوا : أيها الأمير ، إن لنيلنا سنةً لا يجري إلا بها ، فقال لهم : وما ذاك ؟ قالوا : إنه إذا كان في اثنتي عشرة ليلة تخلو من هذا الشهر عمداً إلى جارية بكر من عند أبويها ، فأرضينا أبويها وأخذناها وجعلنا عليها من الحلي والياب أفضل ما يكون ، ثم ألقيناها في النيل فيجري ، فقال لهم عمرو بن العاص : إن هذا لا يكون في الإسلام ، وإن الإسلام يهدم ما كان قبله . فأقاموا بؤونة ، وأيب ، ومسرَى ، لا يجري النيل قليلاً ولا كثيراً . حتى هموا بالجلأ ، فلما رأى ذلك عمرو كتب إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، فكتب إليه عمر بن الخطاب أن :

« قد أصبت ، إن الإسلام يهدم ما قبله ، وقد بعثت إليك ببطاقةٍ فألقها في النيل إذا أتاك كتابي » .

فلما قدِم الكتاب على عمرو بن العاص ، فتح البطاقة ، فإذا فيها : « من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى نيل مصر :

أما بعدُ ، فإن كنت تجرى من قبلك فلا تجر ، وإن كان الله الواحد القهار هو الذي يُجريك ، فنسأل الله الواحد القهار أن يجريك » .

فعرّفهم عمرو بكتاب أمير المؤمنين ، وبالبطاقة ، ثم ألقى البطاقة في النيل قبل يوم عيد الصليب يوم ، وقد تهيأ أهل مصر للجلاء والخروج منها ، لأنه لا يقوم بمصالحهم فيها إلا النيل ، فأصبحوا يوم عيد الصليب ، وقد أجراه الله ستة عشر ذراعاً في ليلة واحدة ، وقطع تلك السنة القبيحة عن أهل مصر ببركة سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه .

(النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ١ : ٣٦ ، وخطط المقرئى ١ : ٥٨)

١٧٢ - كتاب عمر إلى عمرو

وأصاب الناس بالمدينة جهد شديد في خلافة عمر ، فكتب إلى عمرو بن العاص وهو بمصر :

« من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى عمرو بن العاص ، سلام عليك . أما بعد : فَلَعَمْرِي يا عمرو ما تُبَالِي إِذَا شَبِعْتَ أَنْتَ ، وَمَنْ مَعَكَ أَنْ أَهْلِكَ أَنَا وَمَنْ مَعِي ، فَيَا غَوْثَاهُ ، ثُمَّ يَا غَوْثَاهُ » .

(حسن المحاضرة ١ : ٦٨ ، وخطط المقرئى ٢ : ١٤١)

١٧٣ - رد عمرو على عمر

فكتب إليه عمرو بن العاص :

« لعبد الله عمر أمير المؤمنين من عبد الله عمرو بن العاص ، أما بعد ، فَيَا لَبَّيْكَ ثُمَّ يَا لَبَّيْكَ ، قَدْ بَعَثْتُ إِلَيْكَ بِعِيرٍ^(١) أَوْلَهَا عِنْدَكَ ، وَآخَرَهَا عِنْدِي وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ » .

(١) العير : القافلة ، أو الإبل تحمل الميرة بلا واحد من لفظها .

فبعث إليه بعير عظيم ، فكان أولها بالمدينة وآخرها بمصر يتبع بعضها بعضاً . (حسن المحاضرة ١ : ٦٨ ، وخط القرظي ٢ : ١٤١)

١٧٤ - كتاب عمرو إلى عمرو

وذكروا أن أول من بنى غرفة بمصر خارجة بن خذافة ، فبلغ ذلك عمرو بن الخطاب رضى الله عنه ، فكتب إلى عمرو بن العاص : « سلام عليك ، أما بعد : فإنه بلغنى أن خارجة بن خذافة بنى غرفة أراد أن يطلع على عورات جيرانه ، فإذا أتاك كتابى هذا فاهدئها إن شاء الله ، والسلام » . (حسن المحاضرة ١ : ٥٩)

١٧٥ - كتاب عمرو إلى عمرو ورده عليه

ولما اختطت القبائل استحببت همدان ومن والاهما « الجيزة » وكتب عمرو بن العاص إلى عمرو بن الخطاب يُعلمه بما صنع الله للمسلمين ، وما فتح الله عليهم ، وما صنعوا في خططهم ، وما استحببت همدان ، ومن والاهما من النزول بالجيزة ، فكتب إليه عمرو : « يَحْمَدُ الله على ما كان من ذلك ويقول له : كيف رضيت أن تفرق أصحابك ، ولم يكن ينبغى لك أن ترضى لأحد من أصحابك أن يكون بينك وبينهم بحر ، لا تدري ما يفجؤهم فلعلك لا تقدر على غياثهم حين ينزل بهم ما تكره ، فاجمعهم إليك ، فإن أبوا ، وأعجبهم موضعهم ، فابن عليه من فيء المسلمين حصنا » .

فعرض ذلك عمرو عليهم ، فأبوا وأعجبهم موضعهم بالجيزة ومن والاهم
على ذلك من رهطهم نافع وغيرها ، وأحبوا ما هنالك ، فبنى لهم عمرو بن
العاص الحصن بالجيزة في سنة إحدى وعشرين ، وفرغ من بنائه في سنة
اثنين وعشرين . (حسن المحاضرة ١ : ٥٩)

١٧٦ - كتاب عمر إلى عمرو

وكتب عمر إلى عمرو بن العاص :

« أما بعد : فإنني فرضتُ لمن قبلي في الديوان^(١) ، ولن ورد علينا في
المدينة من أهل المدينة وغيرهم ممن توجه إليك وإلى البلدان ، فانظر من
فرضتُ له ، ونزل بك فاردد عليه العطاء وعلى ذريته ، ومن نزل بك ممن لم
أفرض له فافرض له على نحو مما رأيته فرضتُ لأشباهه ، وخذ لنفسك
مائتي دينار^(٢) ، فهذه فرائض أهل بدر من المهاجرين والأنصار ، ولم أبلغ
بهذا أحداً من نظرائك غيرك ، لأنك من عمال المسلمين فألحقك
بأرفع ذلك .

(١) أي فرضت لهم عطاءهم .

(٢) علق على ذلك صاحب « أشهر مشاهير الإسلام » قال : « لعل هذا الفرض الذي فرضه
لعمر هو جريته » (مرتبته) على عماله لافرض العطاء ، إذ أن عمر رضى الله عنه كان يجرى على الأعمال
جراية هي غير نصيبهم من العطاء ، فقد ذكر في « سراج الملوك » أن عمر أجرى على عمار في كل شهر
ستمائة درهم مع عطائه لولائه وكتابه ومؤذنيه ومن كان يلي معه لما بعته وبعث معه عثمان بن حنيف ،
وابن مسعود إلى العراق وأجرى عليه في كل يوم نصف شاة ورأسها وجلدها وأكارعها ، ونصف
جريب كل يوم ، وأجرى على عثمان بن حنيف ربع شاة وخمسة دراهم كل يوم مع عطائه (وكان
عطائه خمسة آلاف درهم) وأجرى على عبد الله بن مسعود مائة درهم في كل شهر وربع شاة في كل
يوم ، وأجرى على شريح القاضي مائة درهم في كل شهر وعشرة أجرة ومن هذا يعلم أن عماله كان
لهم جرايات على هذه النسبة وهي غير العطاء ، كما يتضح ذلك من قوله مع عطائه اه .

وقد علمت أن مؤنَّا تلزُمك ، فوفّر الخراج وخذه من حقّه ، ثم عَفَّ عنه بعد جمعه ، فإذا حصل إليك وجمعتَه أخرجتَ عطاء المسلمين وما يحتاج إليه مما لا بُدَّ منه ، ثم أنظر فيما فضّل بعد ذلك فأحمله إلى .

وأعلم أن ما قبلك من أرض مصر ليس فيها خمسٌ . وإنما هي أرض صلح^(١) ، وما فيها للمسلمين في^(٢) : تبدأ بمن أغنى عنهم^(٣) في ثُورهم ، وأجزأ عنهم في أعمالهم ، ثم أفض ما فضّل بعد ذلك على من سَمَّى الله .

وأعلم يا عمرو أن الله يراك ويرى عملك ، فإنه قال تبارك وتعالى في كتابه : « وَأَجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا » يريد أن يقتدى به ، وأن معك أهل ذمّة وعَهْد ، وقد أوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم بهم وأوصى بالقبض فقال : « استوصوا بالقبض خيراً فإن لهم ذمّةً ورَحْمًا^(٤) » ورَحْمُهُم أن أم إسماعيل^(٥) منهم ، وقد قال صلى الله عليه وسلم : « من ظلم معاهداً أو كلفه فوق طاقته فأنا خصمه يوم القيامة » احذر يا عمرو أن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم لك خصماً ، فإنه من خصمه خصمه^(٥) والله يا عمرو لقد ابتليت بولاية

(١) اختلف المؤرخون في فتح مصر : هل فتحت صلحاً أو عنوة ، ومما قيل في ذلك إن مصر فتحت صلحاً (للعهد الذي كتبه عمرو بن العاص لأهلها وقد تقدم) غير الأسكندرية وثلاث قرى ظاعروا الروم على المسلمين فانها فتحت عنوة ، فجعلها عمر بن الخطاب جميعاً ذمة ، وأجرى ما فتح عنوة مجرى الصلح (اقرأ فصلاً في ذلك في خطط المقرئى « ١ : ٢٩٤ » وفي حسن المحاضرة « ١ : ٥٥ »)

(٢) أغنى عنهم ، أى ناب عنهم وكفاهم مئونة الدفاع ، وكذا أجزأ عنهم .

(٣) ورد في الحديث الشريف أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إذا افتتحت مصر فاستوصوا بالقبض خيراً فإن لهم ذمة ورَحْمًا » وفي رواية أخرى : « إن الله سيفتح عليكم بعدى مصر فاستوصوا بقبضها خيراً فإن لكم منهم صهرًا وذمة » .

(٤) هى هاجر (بفتح الجيم) وهى جارية مصرية أعطاها ملك مصر (ويظن أنه أحد ملوك الأسرة التاسعة أو العاشرة اللتين حكمتا من سنة ٢٤٤٥ إلى سنة ٢١٦٠ قبل الميلاد) اسارة زوج إبراهيم فتسراها إبراهيم فولدت له ابنه إسماعيل أبا العرب المستعربة .

(٥) أى غلبه في الحصومة .

هذه الأمة ، وآنسْتُ من نفسى ضَعْفًا ، وانتَشَرْتُ^(١) رِعيتى ، وَرَقَّ عَظْمى ،
فَأَسْأَلُ اللهَ أَنْ يَقْبِضَنى إِلَيْهِ غَيْرَ مُفَرِّطٍ ، واللهُ إِنى لأَخْشَى لَوَمَاتِ جَمَلٍ بِأَقْصَى
عَمَلِكَ ضَيَاعًا أَنْ أُسْأَلَ عَنْهُ » . (أشهر مشاهير الإسلام : ج ٣ : ص ٦١٤)

١٧٧ - كتاب عمر بن الخطاب إلى عمرو بن العاص

ولما استبطناً عمر بن الخطاب رضى الله عنه الخراج من قبل عمرو بن
العاص كتب إليه :

« بِسْمِ اللهِ الرحمن الرحيم : من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى عمرو بن
العاص ، سلام عليك ، فَإِنى أَحْمَدُ إِلَيْكَ اللهَ الَّذى لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ، أَمَّا بَعْدُ :
فإِنى فَكَّرْتُ فى أَمْرِكَ وَالَّذى أَنْتَ عَلَيْهِ ، فَإِذَا أَرْضُكَ أَرْضٌ وَاسِعَةٌ ، عَرِيضَةٌ
رَفِيعَةٌ ، قَدْ أَعْطَى اللهَ أَهْلَهَا عَدَدًا وَجَدًا وَقُوَّةً فى بَرٍّ وَبَحْرٍ ، وَإِنِهَا قَدْ عَاجَلَتْهَا
الْفَرَاغَةُ ، وَعَمِلُوا فِيهَا عَمَلًا مُحْكَمًا مَعَ شِدَّةِ عُتُومٍ وَكُفْرِهِمْ ، فَعَجِبْتُ مِنْ
ذَلِكَ ، وَأَعْجَبُ مِمَّا عَجِبْتُ أَنَّهَا لَا تُؤَدِّى نَصَفَ مَا كَانَتْ تُؤَدِّيه مِنَ الْخَرَاجِ
قَبْلَ ذَلِكَ عَلَى غَيْرِ قُحُوطٍ وَلَا جَدْبٍ ، وَلَقَدْ أَكْثَرْتُ فى مَكَاتِبِكَ فى الَّذى
على أَرْضِكَ مِنَ الْخَرَاجِ ، وَظَنَنْتُ أَنَّ ذَلِكَ سَيَأْتِينَا عَلَى غَيْرِ تَرِيثٍ^(٢) ،
وَرَجَوْتُ أَنْ تُفَيِّقَ فَيَرْفَعَ إِلَى ذَلِكَ ، فَإِذَا أَنْتَ تَأْتِينى بِمَعَارِيضٍ^(٣) تَعْبَأُ بِهَا ،

(١) أى تفرقت وتناثرت .

(٢) التريث والريث : الإبطاء ، وفى حسن المحاضرة « تراث » وهو تحريف وقد أصلحته كما
ترى ، وفى خطط المقرئى « نزر » ونزر الشيء ككرم نزرًا كشمس : قل .

(٣) التعريض : خلاف التصريح ، والمعاريض : التورية بالشيء عن الشيء ، والمعاريض من الكلام
ما عرّض به ولم يصرح ، جمع معارض من التعريض ، وأعراض الكلام ، ومعارضه ومعاريضه :
كلام يشبه بعضه بعضًا فى المعانى ، كالرجل تسأله : هل رأيت فلانا فيكره أن يكذب وقد رآه . فيقول

لا توافقُ الذي في نفسى ، ولستُ قابلاً منك دون الذى كانت تؤخذ به من
الخراج قبل ذلك ، ولست أدرى مع ذلك ، ما الذى نفّرك من كتابى
وقبضك ، فلئن كنت مجرباً كافياً صحيحاً إن البراءة لنافعة ، ولئن كنت مُضيّعاً
نطعاً^(١) إن الأمر لعلّى غير ما تحدّث به نفسك ، وقد تركتُ أن أبتلى^(٢) ذلك
منك فى العام الماضى ، رجاء أن تُفَيّقَ فتُرفعَ إلىّ ذلك ، وقد علمتُ أنه لم
يمنعك من ذلك إلا عمّالك عمال السوء ، وما تُوالسُ^(٣) عليك وتُلففُ ،
اتخذوك كهفًا ، وعندى بإذن الله دواء فيه شفاء عما أسألك عنه ، فلا تجزعُ
أبا عبد الله أن يؤخذ منك الحق وتُعطاه ، فإن النهر يُخرج الدّرّ ، والحق
أبلج^(٤) ، ودعنى وما عنه تلجلجُ ، فإنه قد برّح الخفاء ، والسلام .

(حسن المحاضرة ١ : ٦٤ ، خطط الميرزى ١ : ٧٨)

١٧٨ - رد عمرو بن العاص على عمر بن الخطاب

فكتب إليه عمرو بن العاص :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، لعبد الله عمر أمير المؤمنين من عمرو بن
العاص ، سلام عليك ، فإنى أحمّدُ إليك الله الذى لا إله إلا هو ، أما بعدُ فقد

ان فلانا ليرى ، وفى حديث عمر : أما فى المعارض ما يغنى المسلم عن الكذب ! وقوله : تعبأ بها : أى
أنت تعبأ بها وتظنها مما يقبل لدى ، ولكنها ليست عندى بشئ .

(١) تنطع فى الكلام فهو منطع : وهو المنعق فى الكلام المغالى فيه الذى يتكلم بأقصى حلقه تكبراً ،
قال ابن الأعرابى : النطع كعق المنشدقون فى كلامهم ، ولم أعثر له على مفرد ، والظاهر أنه بصيغة
واحدة للمفرد والجمع . (٢) أى أمتحن ، وفى حسن المحاضرة : « أبتنى » .

(٣) الموالسة : الحداق والمداينة ، وتوالسوا عليه : أى تناصروا عليه فى خب وخديعة ، وتلف :
جمع من هاهنا وهاهنا كما تلف الرجل شهادة الزور ، وفى حسن المحاضرة : « وما تواليت عليه
وتلف الجدول كيفاً » وهو تحريف . (٤) أى واضح مضى مشرق من بلج الصبح كدخل
إذا أضاء وأشرق ، والجلجة والتجلج : التردد فى الكلام ، وبرح الخفاء : أى وضح الأمر .

بلغنى كتاب أمير المؤمنين ، فى الذى استبطأنى فيه من الخراج ، والذى ذكر فيه من عمل الفراعنة قبلى ، وإعجابه من خراجها^(١) على أيديهم ، ونقص ذلك منها منذ كان الإسلام ، ولعمري للخراج يومئذ أوفر وأكثر ، والأرض أعمر ، لأنهم كانوا على كفرهم وعُتُوهم أرغب فى عمارة أرضهم منّا منذ كان الإسلام ، وذكرت أن النهر يخرج الدرّ فحلبتها حلباً قطع درّها ، وأكثر فى كتابك وأنبئت وعرضت وترّبت^(٢) ، وعلمت أن ذلك عن شيء تخفيه على غير خبر^(٣) ، فجئت لعمري بالمفطعات المقدّعات ، ولقد كان لك فيه من الصواب من القول رصين صارم ، بليغ صادق ، وقد عملنا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولن بعده ، فكنا بحمد الله مؤدّين لأماناتنا ، حافظين لما عظم الله من حق أمتنا ، نرى غير ذلك قبيحاً والعمل به شيناً ، فيُعرف ذلك لنا ، ويصدق فيه قلبنا ، معاذ الله من تلك الطعم ، ومن شر الشيم ، والاجترأ على كل مائمه ، فاقبض عملك فإن الله قد نرّهنى عن تلك الطعم الدنيّة والرغبة فيها ، بعد كتابك الذى لم تستبق فيه عرضاً ، ولم تُكرم فيه أخاً ، والله يابن الخطاب : لأننا حين يُراد ذلك منى أشدّ لنفسى غضباً ، ولها إنزاهاً^(٤) وإكراماً ، وما عملت من عمل أرى على فيه مُتعلّقاً ، ولكنى حفظت ما لم تحفظ ، ولو كنت من يهود يثرب ما زدت ، يغفر الله

(١) أى من خراج مصر . (٢) ترّبه : جعل عليه التراب ، فترب أى تلوث وتلطخ بالتراب والمعنى : وصحتى بالمعائب والثالب ، وفى نسخة أخرى من حسن المحاضرة « وتربت » من ترب الظي كضرب إذا صوت . أقول : وربما كان الأصل « وتزيت » أى توثبت وتسهرت .
(٣) أى خبرة ومعرفة ، ونظم الأمر ككرم ، وأفطع : اشتدت شناعته وجاوز المقدار فى ذلك وقذعه كمنه ، وأقذعه وأقذع له : رماه بالفحش وسوء القول ، وقول مقذع بكسر الذال : فيه غش وقذف وسب يقبح نشره . (٤) أى لإبعادا وتنحية عن القبايح .

لك ولنا وسكتُ عن أشياء كنتُ بها عالماً ، وكان اللسان بها منى ذُلُولا ،
ولكن الله عظم من حَقِّكَ ما لا يُجْهَل ، والسلام .

(حسن المحاضرة ١ : ٦٤ ، خطط المقرئى ١ : ٧٨)

١٧٩ - رد عمر على عمرو

فكتب إليه عمرو بن الخطاب :

« من عمر بن الخطاب إلى عمرو بن العاص ، سلام عليك ، فإنى أحمدُ
إليك الله الذى لا إله إلا هو ، أما بعد فقد عَجِبْتُ من كثرة كُتُبِي إليك فى
إبطائك بالخراج ، وكتابك إلى بُيُوتِ الطُّرُق^(١) ، وقد علمت أنى لست
أرضى منك إلا بالحق البين ، ولم أقدمك إلى مصر أجعلها لك طُعْمَةً ولا
لقومك ، ولكنى وجهتك لما رجوتُ من توفيرك الخراج وحُسن سياستك ،
فإذا أتاك كتابى هذا فاحمل الخراج فائتاً هو فىء المسلمين ، وعندى مَنْ قد
تعلم ، قوم محصورون ، والسلام » (حسن المحاضرة ١ : ٦٥ ، خطط المقرئى ١ : ٧٨)

١٨٠ - رد عمرو على عمر

فكتب إليه عمرو بن العاص :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، لعمر بن الخطاب من عمرو بن العاص ، سلام
عليك ، فإنى أحمدُ إليك الله الذى لا إله إلا هو ، أما بعد فقد أتانى كتاب أمير
المؤمنين يستبطننى فى الخراج ، ويزعم أنى أعندُ^(٢) عن الحق ، وأنكُب عن

(١) بُيُوتِ الطُّرُق : هى الطرق الصغار تنشعب من الجادة وهى الترهات (جمع ترهة كقبرة) أى
الأباطيل ، وفى الأصل « بُيُوتِ الطُّرُق » وهو تحريف . (٢) عند عن الطريق كنصر ومع
وكرم عنودا : مال ، ونكب عنه كنصر وفرح نكبا (كشمس وسبب) ونكوبا : عدل .

الطريق ، وإني والله ما أرغبُ عن صالح ما تعلم ، ولكن أهل الأرض
استنظروني إلى أن تُدرك غلَّتْهم ، فنظرتُ للمسلمين ، فكان الرِّفقُ بهم خيراً
من أن نَحْرُقَ^(١) بهم فيصيروا إلى بيع ما لا غنى بهم عنه ، والسلام» .
(حسن المحاضرة ١ : ٦٥ ، خطط القرينى ١ : ٧٩)

١٨١ - كتاب عمر بن الخطاب إلى عمرو بن العاص

وروى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه كتب إلى عمرو بن العاص -
وهو يومئذ أمير مصر - :

« من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى عمرو بن العاص ، سلام عليك ،
أما بعدُ : فقد بلغني أنه فَشَتْ لك فاشية^(٢) من خيل وإبل وغنم وبقر وعبيد ،
وعَهْدِي بك قبل ذلك ولا مَالَ لك ، فاكتبْ إليَّ : من أين أصلُ هذا المال ،
ولا تكتمه» . (صبح الأعشى ٦ : ٣٨٦ ، والعقد الفريد ١ : ١٦)

١٨٢ - رد عمرو بن العاص على عمر

فكتب إليه عمرو بن العاص :

« لعبد الله عمر أمير المؤمنين ، سلامٌ عليك ، فإني أحمدُ إليك الله الذي
لا إله إلا هو ، أما بعدُ ، فإنه أتاني كتابُ أمير المؤمنين يذكُر فيه فاشية مَالٍ
فشالى ، وأنه يعرفني قبل ذلك ولا مالى لى .

(١) الحرق كقفل وسبب : ضد الرفق وفعله كفرح .

(٢) الفاشية : كل ما انتشر من المال كالغنم السائمة والإبل وغيرها ، لأنها تفشو أى تنتشر فى
الأرض ، وجمعها الفواشى .

وإني أعلم أمير المؤمنين أني ببلدٍ، السَّعْرُ فيه رخيصٌ، وأنى أعالجُ من الحُرْفَةِ^(١) والزراعة ما يعالجُ أهله، وفي رزق أمير المؤمنين^(٢) سَعَةٌ، ووالله لو رأيتُ خيانتك حلالاً ما خنتك، فأقصر^(٣) أيها الرجلُ، فإن لنا أحساباً هي خير من العمل لك، إن رجَعْنَا إليها عِشْنَا بها، ولَعَمْرِي إن عندك مَنْ لا تُدَمُّ معيشتَه، ولا تُدَمُّ له^(٤) فإن كان ذلك فلم تَفْتَحْ قُفْلَكَ، ولم نَشْرَكَكَ في عملك» (صبح الأعشى ٦ : ٤٧٧، والعقد الفريد ١ : ١٦)

١٨٣ - رد عمر على عمرو بن العاص

فكتب إليه عمر :

«أما بعد، فإنني والله ما أنا من أساطيرك التي تسطر^(٥)، ونسبك الكلام في غير مرجع، لا يُغْنِي عنك أن تُرَكِّيَ نفسك، وقد بعثتُ إليك محمد بن مسلمة فشاطرَه مالك، فإنكم أيها الرَهْطُ الأمراء جلستم على عُيُون^(٦) المال لم يُفزعكم عذر، تجمعون لأبنائكم، وتتهدون لأنفسكم، أما إنكم تجمعون العار، وتورثون النار، والسلام» (العقد الفريد ١ : ٦)

- (١) الحُرْفَةُ : كل ما اشتغل الانسان به . يريد بها هنا التجارة كما سيأتي .
- (٢) أي أن الرزق الذي فرضه لي أمير المؤمنين عظيم يسع حاجاتي ويفضل عنها فأدخر الفضل وأتقّره .
- (٣) أقصر عن الشيء : كَفَّ عنه وانتهى .
- (٤) في هذه العبارة وما بعدها تحريف في صبح الأعشى والعقد، وقد أصلحتها بما يستقيم به المعنى وسيوضح لك المراد حينما تقرأ الروايات التالية .
- (٥) الأساطير : الأباطيل والأحاديث لا نظام لها جمع إسطار وإساطر بالكسر، وأسطور بالضم وبالفاء في السك، وقيل جمع أسطار بالفتح وأسطار جمع سطر، وسطر فلان علينا : أتانا بالأساطير وفي الأصل : « من أساطيرك أنسطر » وهو تحريف، ونسق الشيء كنصر نسقا ونسقه : نظمته على السواء، وربما كان الأصل « وتشقيقك الكلام » كما سيأتي في الرواية الثالثة . في غير مرجع : أي في غير فائدة . يقال رجع كلامي فيه أي أفاد، وهو متعلق بنسبك وخبر ما محذوف أي في شيء كما سيأتي (٦) أي خياره .

رواية ثانية

ورويت هذه المكاتبات بصورة ثانية ، وهى :

كتب عمر إلى عمرو بن العاص :

« إنه قد فشّت لك فاشيةٌ من متاع ورقيقٍ وآنيةٍ وحيوانٍ لم يكن

حين ولّيت مصر »

فكتب إليه عمرو :

« إن أرضنا أرض مُزْدَرَعٍ ومُتَجَرٍّ^(١) ، فنحن نصيب فضلا عما نحتاج

إليه لنفقتنا »

فكتب إليه عمر :

« إني قد خبرت من عمال السوء ما كفى ، وكتابك إلى كتاب من

أقلقه الأخذ بالحق ، وقد سؤّت بك ظنا^(٢) ، وقد وجهت إليك محمد بن مسلمة

ليقاسمك مالك ، فأطْلَعَهُ طِلْعَهُ^(٣) وأخرج إليه ما يطالبك ، وأغْفِه من الغلظة

عليك فإنه قد برح الخفاء » . (فتوح البلدان للبلاذرى ص ٢٢٦)

رواية ثالثة

وفى رواية ثالثة : أنه لما قلد عُمرُ عمرو بن العاص مصرَ ، بلغه أنه قد

صار له مال عظيم من ناطق وصامتٍ ، فكتب إليه :

(١) مصدران ميبان ، أى أرض زراعة وتجارة ، والفضل : الزيادة .

(٢) يقولون ؛ سؤّت به ظنا وأسأت به الظن ، يثبتون الهمة إذا جاءوا بالآف واللام ، وإنما نكر ظنا فى الأول لأنه منصوب على التمييز ، وأما الظن ففعل به .

(٣) أطْلَعَهُ على الأمر : أعلمه به ، والاسم الطلع بالكسر ، وأطْلَعَهُ طْلَعَهُ : أعلمه إياه .

« أما بعدُ ، فقد ظهر لي من مالك ما لم يكن في رزقك ، ولا كان لك مال قبل أن أستعملك ، فأني لك هذا ؟ فوالله لو لم يهمني في ذات الله إلا من اختان^(١) في مال الله أكثر همي ، وانتثر أمري ، ولقد كان عندي من المهاجرين الأولين من هو خير منك ، ولكني قلدتك رجاء غنائك^(٢) ، فاكتب إلي : من أين لك هذا المال ؟ وعجل » .

فكتب إليه عمرو :

« أما بعدُ : فقد فهمت كتاب أمير المؤمنين ، فأما ما ظهر لي من مال فإننا قديمنا بلاداً رخيصة الأسعار كثيرة الغزو ، فجعلنا ما أصابنا في الفضول التي اتصل بأمر المؤمنين نبؤها ، ووالله لو كانت خيانتك حلالاً ما خنتك ، وقد ائتمنتني ، فإن لنا أحساباً إذا رجعنا إليها أغنتنا عن خيانتك ، وذكرت أن عندك من المهاجرين الأولين من هو خير مني ، فإذا كان ذلك فوالله ما دقت لك يا أمير المؤمنين باباً ، ولا فتحت لك قفلاً » .

فكتب إليه عمر :

« أما بعدُ ، فأني لست من تسطيرك الكتاب وتشقيقك^(٣) الكلام في شيء ، ولكنكم معشر الأمراء قعدتم على عيون المال ، ولن تعدموا عُذراً ، وإنما تأكلون النار ، وتتعجلون العار ، وقد وجهت إليك محمد بن مسلمة ، فسلم إليه شطر مالك »
(شرح ابن أبي الحديد ١ : ص ٥٨)

(١) خان واختان بمعنى . (٢) أي كفايتك .

(٣) شق الكلام : أخرجه أحسن مخرج .

رواية رابعة

وفي رواية رابعة أن عمر كتب إلى عمرو :

« أما بعد ، فقد بلغني أنه قد ظهر لك مال من إبل وغنم وخدم وغلمان ، ولم يكن لك قبله مالٌ ، ولا ذلك من رزقك ، فأنت لك هذا ؟ ولقد كان لي من السابقين الأولين مَنْ هو خيرٌ منك ، ولكنني استعملتك لغنائك ، فإذا كان عملك لك وعلينا^(١) فبِمِ نُؤْثِرُكَ عَلَى أَنْفُسِنَا ؟ فَاكْتُبْ إِلَيَّ : مَنْ أَيْنَ مَالُكَ ؟ وَعَجِّلْ ، والسلام »

فكتب إليه عمرو بن العاص :

« قرأت كتاب أمير المؤمنين ، ولقد صدق ، فأما ما ذكره من مالي فإنني قدِمْتُ بلدةَ الأسعارِ فيها رخيصةٌ ، والغزو فيها كثير ، فجعلتُ مُضُولَ ما حصل لي من ذلك فيما ذكره أمير المؤمنين ، واللهِ يا أمير المؤمنين لو كانت خيانتك لنا حلالاً ما خُتَّاك حيث ائتمنتنا ، فأقصر عنا عناك ، فإن لنا أحساباً إذا رَجَعْنَا إِلَيْهَا أَغْنَتْنا عن العمل لك ، وأما من كان لك من السابقين الأولين فَهَلَّا اسْتَعْمَلْتَهُمْ ! فوالله ما دَقَّقْتُ لَكَ بَاباً »

فكتب إليه عمر :

« أما بعد ، فإنني لست من تَسْطِيرِكَ وتشقيقك الكلام في شيء ، إنكم مَعْشَرَ الْأُمَرَاءِ أَكَلْتُمُ الْأَمْوَالَ ، وَأَخْلَدْتُمْ إِلَى الْأَعْذَارِ ، فَإِنَّمَا تَأْكُلُونِ

(١) أى لك غنمه وعلينا جرمه .

النار وتورثون العار ، وقد وجهت إليك محمد بن مسلمة ليشاطرك ما في يديك ، والسلام» ^(١) .
(شرح ابن أبي الحديد م ٣ ص : ١٠٤)

١٨٣ - كتاب أبي عبيد بن مسعود الثقفي إلى عمر

ولما انتصر أبو عبيد بن مسعود الثقفي على جيش الفرس في وقعة السَّقَاطِيَّة ^(٢) سنة ١٣ هـ ، وجمع الغنائم بعث بِحُمُوسِهَا إلى عمر بن الخطاب ، وكتب إليه :

«إِنَّ اللَّهَ أَطْعَمَنَا مَطَاعِمَ ، كَانَتْ الْأَكْسَرَةُ يَحْمُونُهَا ، وَأَحْيَيْنَا أَنْ تَرَوْهَا ،
لِتَذْكُرُوا إِنْعَامَ اللَّهِ وَإِفْضَالَه»
(تاريخ الطبري : ٤ : ٦٥)

(١) فلما قدم عليه محمد بن مسلمة صنع له عمرو طعاما كثيرا وقدمه اليه ، فأبى أن يأكل منه شيئا ، فقال له عمرو : مالك لا تأكل ! أتحرمون طعامنا ؟ فقال : لو قدمت إلى طعام الضيف لأكلته ، ولكنك قدمت إلى طعاما هو مقدمة للشر ، نزع عني طعامك ! وأحضر لي مالك واكتب لي كل شيء ، هو لك ولا تنكحه . فشاطره ماله بأجمعه حتى بقيت لعلاء فأخذ إحداها وترك الأخرى ، فلما رأى عمرو ما حاز محمد من المال غضب وقال : قبح الله زمانا عمرو بن العاص لعمر بن الخطاب فيه عامل ! والله إنني لأعرف الخطاب يحمل فوق رأسه حزمة من الحطب وعلى ابنه مثلها ، وما منهما إلا في غمرة لا تبلغ رسغيه (والتمره بفتح فكسر : شملة فيها خطوط بيض وسود ، أو بردة من صوف يلبسها الأعراب) والله ما كان العاص بن وائل يرضى أن يلبس الديباج مزورا بالذهب . فقال له محمد : إنها يا عمرو ، فعمر والله خير منك ، وأما أبوك وأبوه في النار ، والله لولا ما دخلت فيه من الاسلام لأنفيت معتقلا عنزا بفناء دارك يسرك غزرها ، ويسوءك بكؤها (غزرت الماشية ككرم غزارة وغرارا بالفتح وغزرا بالضم : درت ألبانها ، وبكأت الشاة والناقة كجعل وكرم ، بكأ وبكأة بالفتح وبكروا وكاء بالضم : قل ابنها) فقال له عمرو : أنشدك الله أن تخبر عمر بقولي فإن المجالس بالأمانة . فقال : لأذكر شيئا مما جرى بيننا وعمر حتى .

(٢) كان أول ما عمله عمر رضي الله عنه في خلافته أن ندب الناس إلى أهل فارس مع المشي بن حارثة الشيباني أمير جند العراق ، فكان أول منتدب أبو عبيد بن مسعود الثقفي . فقدم العراق وهو الأمير على المشي وغيره ، وكان الفرس قد عسكروا بالنمارق ، فقاتلهم أبو عبيد قتالا شديدا ، وهزم الفرس ، وأخذوا نحو كسكر (كجعفر) وكانت قطعة لنزى ابن خالة كسرى ، فسار إليهم أبو عبيد والنقوا بالسقراطية أسفل من كسكر ، ودارت الدائرة على جيش الفرس ، وهرب نرسي وغلب على عسكره وأرضه ، وجمع أبو عبيد الغنائم ، وأخذت خزائن نرسي وفيها النرسيان بكسر النون والسين وهو نمر كان لنرسي يحميه . لا يأكله إلا ملوك الفرس ، أو من أكرموه بشيء منه ، ولا يفرسه غيرهم - فجعلوا يطعمونه الفلاحين ، وبعث أبو عبيد بخمسه إلى عمر ، وكتب إليه الكتاب المذكور .

١٨٤ - كتاب عمر إلى المثني بن حارثة الشيباني

ولما ملكَ الفرسُ يَزْدَجَرْدَ بنَ كسرى، واطمأنت فارس واستوثقت^(١)،
كتبَ المثنيُّ بنَ حارثة^(٢) إلى عمر بما ينتظر المسلمون ممن بينَ ظَهْرَانِيهِمْ^(٣)،
فجاءه كتاب عمر :

« أما بعدُ ، فاخْرُجُوا من بينَ ظَهْرِي الأعاجم ، وتفرَّقُوا في المياه التي
تلى الأعاجم على حدود أرضكم وأرضهم ، ولا تدعوا في ربيعة ولا مُضَرَ ولا
خُلَفَاءَهُمْ أحداً من أهل النَّجْدَات ولا فارساً إلا أجتلبتموه ، فإن جاء طائفاً
والأحشَرَتُمُوهُ ، احمِلُوا العرب على الجِدِّ إِذْ جَدَّ الْعَجَمُ ، فلتلقوا جدَّهم بِجَدِّكم
فكانوا في أمواه العراق من أولها إلى آخرها مَسَاحٍ^(٤) يُغِيثُ
بعضهم بعضاً إن كان كَوْنٌ . (تاريخ الطبري ٤ : ٨٢)

(١) كان الفرس قد شغلوا عن المسلمين بما شجر بينهم من خلاف على من يلى أمر الملك، ثم نصبوا
بوران بنت كسرى . فدعت رستم إلى القيام بأمر أهل فارس ، وشكت إليه تضعفهم وإدبار أمرهم
على أن تملكه عشر سنين ، ثم يكون الملك في آل كسرى ، وأمرت أهل فارس أن يسمعوا له
ويطيعوا . فدانت له فارس بعد قدوم ابن عبيد ، ولكنهم لم يلبثوا حتى انشعبوا فرقتين : فرقة معه ،
وفرقة مع الفيرزان ، فلما رأوا المسلمين يخرون السواد ويتقدمون في الفتح . قالوا لرستم والفيرزان :
أين يذهب بكما ؟ لم يرح بكما الاختلاف حتى وهنتا أمر فارس وأطعنا فيهم عدوهم ، والله لتجتمعان
أو لنبدأن بكما قبل أن يشمت بنا شامت . فبجئوا حتى وجدوا غلاماً يدعى يزدجرد من ولد شهربار
ابن كسرى ، فجاءوا به فلكوه واجتمعوا عليه واتحدت كلمتهم .

(٢) وكان أبو عبيد بن مسعود قدماء في « وقعة الجسر » التي نشبت بين الفرس والمسلمين بعد
وقعة السقاطية . إذ كانت الفيلة كثيرة في جيش الفرس ، فهايتها خيل المسلمين واشتد الأمر عليهم ،
فقال أبو عبيد : احتوشوا الفيلة واقطعوا بجانها واقبلوا عنها أهلها ، ووثب هو على الفيل الأبيض
ف فعل به ذلك ، فخطه الفيل بيده فسقط ، ووطئه الفيل فأت .

(٣) ولم يصل الكتاب إلى عمر حتى كفر أهل السواد : من كان له منهم عهد ، ومن لم يكن ،
ويقال : هو بين ظهريهم وظهرانيهم (ولا تكسر النون) وبين أظهرهم : أي وسطهم وفي معظمهم .

(٤) مساح جمع مسلحة كمرحلة : وهي القوم ذوو سلاح .

١٨٥ — كتاب عمر إلى عماله

وكان أول ما عمل به عمر حين بلغه أن فارس قد ملكوا يزدجرد أن كتب إلى عمّال العرب على الكُور والقبائل - وذلك في ذى الحِجَّة سنة ثلاث عشرة - :
« لَا تَدْعُوا أَحَدًا لَهُ سِلَاحٌ أَوْ فَرَسٌ أَوْ نَجْدَةٌ أَوْ رَأْيٌ إِلَّا اتَّخَبْتُمُوهُ ، ثُمَّ وَجَّهْتُمُوهُ إِلَيَّ ، وَالْعَجَلَ الْعَجَلَ »
(تاريخ الطبري ٤ : ٨٢)

١٨٦ — كتاب سعد بن أبي وقاص إلى عمر

وكان سعد بن أبي وقاص على صدقات هَوَازِن ، فكتب إليه عمر فيمن كتب إليه بانتخاب ذوى الرأى والنجدة ممن كان له سلاح أو فرس ، فجاءه كتاب سعد :

« إِنِّي قَدْ اتَّخَبْتُ لَكَ أَلْفَ فَارِسٍ مُؤَدٍّ^(١) ، كُلُّهُمْ لَهُ نَجْدَةٌ وَرَأْيٌ ، وَصَاحِبٌ حَيْطَةٌ يَحْطُوطُ حَرِيمَ قَوْمِهِ ، وَيَمْنَعُ ذِمَّارَهُمْ ، إِلَيْهِمْ انْتَهَتْ أَحْسَابُهُمْ وَرَأْيُهُمْ ، فَشَأْنُكَ بِهِمْ . »

وقد أرسل عمر إلى سعد فقدم عليه ، فأمره على حرب العراق^(٢) .

(تاريخ الطبري ٤ : ٨٤)

(١) أدى فهو مؤد : قوى ، ويحوط : يصون ، والذمار : ما يلزمك حفظه وحمايته .
(٢) لما كتب عمر إلى عماله يستجدهم ، وافاه بالمدينة مرجعه من الحج كثير من أهل النجدة - ومن كان أقرب من العراق انضم إلى الثنى بن حارثة - وخرج عمر بمن اجتمعوا لديه من المدينة ، بعد أن استخلف عنها على بن أبي طالب ، حتى نزل على ماء يدعى صراراً ، فعسكر به ولا يدري الناس ما يريد أنيسير أم يقيم ، فسأله عثمان عن وجهته ، فأخبرهم الخبر ، ثم نظر ما يقولون ، فثقلت العامة : سر وسرنا معك ، وأشار عليه ذوو الرأى أن يقيم ويبعث رجلاً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ويرميه بالجنود . فقال عمر : فأشيروا على رجل ، ووافى كتاب سعد بن أبي وقاص إليه مشورتهم ، فقالوا : قد وجدته ، قال : فمن ؟ قالوا : الأسد عادياً ، قال : من ؟ قالوا : سعد ، فانتهى إلى قوهم .

١٨٧ - كتاب عمر إلى سعد بن أبي وقاص

وكتب عمر إلى سعد مُرْتَحِلَهُ مِنْ زَرْوَد^(١) :
« أَنْ أبعث إلى فَرْج الهند رجلاً ترضاه يكون بحِيَاله ، ويكون رِدْءاً لك من شيء إن أتاك من تلك التَّخُوم » .
فبعث المغيرة بن شُعْبَةَ في خمسمائة ، فكان بحِيَال الأُبُلَّة من أرض العرب .

١٨٨ - كتاب عمر إلى سعد

فلما نزل سعد بِشَراف^(٢) كتب إلى عمر بمنزله ، فكتب إليه عمر :
« إِذَا جاءك كتابي هذا ، فعشِّر الناس وعرفَّ عليهم ، وأمر على أجنادهم ، وعبَّهم ، ومُر رؤساء المسلمين فليشْهَدوا وقدرْهم وهم شهود ، ثم وجهْهم إلى أصحابهم ، وواعِدْهم القادِسيَّة^(٣) واضمِّم إليك المغيرة بن شُعْبَةَ في خِيَله ، واكتب إلى بالذي يستقر عليه أمرهم » .
فأنفذ سعد ما أمره به عمر^(٤) . (تاريخ الطبري ٤ : ٨٧)

(١) على طريق الحاج من الكوفة ؛ والردء : العون .
ومما كان سعد بزروء بانه أن المثنى بن حارثة مات من جراحة كان جرحها يوم الجسر .
(٢) ماء بنجد . (٣) بقرب الكوفة . (٤) فبعث إلى المغيرة فانضم إليه ، وإلى رؤساء القبائل فأتوه ، فقدر الناس وعبَّاهم ، وأمر أمراء الأجناد ، وعرفَّ العرفاء ، فعرف على كل عشرة رجلاً كما كانت العرافات زمن النبي صلى الله عليه وسلم ، وأمر على الرايات رجلاً من أهل السابقة وعشر الناس ، وأمر على الأعشار رجلاً لهم وسائل في الإسلام ، وولى الحروب رجلاً ، فلم يفصل إلا عن تعبئة ، ولم يفصل منها إلا بكتاب عمر وإذنه .

١٨٩ - كتاب عمر إلى سعد

وقدّم على سعد وهو بشراف كتاب عمر بن الخطاب ، وفيه :
« أما بعد : فسرّ من شراف نحو فارس بمن معك من المسلمين ،
وتوكّل على الله ، واستعن به على أمرك كلّّه ، واعلم فيما لديك أنك تقدّم على
أمة عدّدهم كثير ، وعُدَّتْهم فاضلة^(١) ، وبأسهم شديد ، وعلى بلد منيع وإن -
كان سهلاً - كثود^(٢) ، لبُحُوره وفُيُوضه ودَادِيه^(٣) إلا أن تُوافِقوا غِيضاً
من فيض^(٤) .

وإذا لقيتم القوم ، أو أحداً منهم فأبدءوهم الشّدّ والضرب ، وإياكم
والمناظرة لجمعهم ، ولا يخذعنكم فإنهم خدعة مكررة ، أمرهم غير أمركم ،
إلا أن تبادوهم ، وإذا أنهيت إلى القادسيّة - والقادسية باب فارس في الجاهلية ،
وهي أجمع تلك الأبواب لمادّتهم ، ولما يريدونه من تلك الأصل^(٥) ، وهو
منزل رغيّب^(٦) ، خصب حصين ، دونه قناطر ، وأنهار ممتنعة - فتكون
مسالحك^(٧) على ألقابها ، ويكون الناس بين الحَجَر والمدَر ، على حافات
الحَجَر ، وحافات المدَر ، والجِراع بينهما ، ثم الزم مكانك فلا تبرّحه ، فإنهم
إذا أحسوك أنقضتْهم^(٨) رموك يجمعهم الذي يأتي على خيلهم ورجلهم ،

(١) زائدة . (٢) عقبة كثود وكأداء : صعبة .

(٣) الدادى جمع دأء ، وهو الفضاء وما اتسع من التلاع والأودية .

(٤) غاض الماء غيضاً : قل ، وفاض فيضاً : كثير ، والمعنى قليلاً من كثير .

(٥) الأصل والأصول : جمع أصل ، ورغيّب : أى يرغب فيه للملاءمة .

(٦) المسالح : جمع مسلحة كمرحلة ، وهى القوم ذوو سلاح . والألقاب : جمع لقب بالفتح ، وهو الطريق

بين الجبلين . والمدَر : قطع الطين اليابسة ، والمدن والحضر ، والجِراع : جمع جرعة كوردة وتحرك :

وهى الرملة الطيبة المنبت لاوعوثة فيها . (٧) أى حركتهم وأثرتهم .

وَحَدَّثَهُمْ وَجِدَّهُمْ ، فَإِنْ أَنْتُمْ صَبَرْتُمْ لَعَدُوَّكُمْ ، وَاحْتَسَبْتُمْ لِقِتَالِهِ ، وَنُوتِمَ الْأَمَانَةُ ، رَجَوْتُ أَنْ تُنْصَرُوا عَلَيْهِمْ ، ثُمَّ لَا يَجْتَمِعَ لَكُمْ مِثْلُهُمْ أَبَدًا ، إِلَّا أَنْ يَجْتَمِعُوا وَلَيْسَتْ مَعَهُمْ قُلُوبُهُمْ ، وَإِنْ تَكُنِ الْأُخْرَى كَأَنَّ الْحَجَرَ فِي أَدْبَارِكُمْ ، فَانْصَرَفْتُمْ مِنْ أَدْنَى مَدْرَةٍ مِنْ أَرْضِهِمْ ، إِلَى أَدْنَى حَجَرٍ مِنْ أَرْضِكُمْ ، ثُمَّ كُتِمَ عَلَيْهَا أَجْرًا ، وَبِهَا أَعْلَمَ ، وَكَانُوا عَنْهَا أَجْبَنَ ، وَبِهَا أَجْهَلَ ، حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِالْفَتْحِ عَلَيْهِمْ ، وَيُرَدَّ لَكُمْ الْكَرَّةُ .

وَكُتِبَ إِلَيْهِ أَيْضًا بِالْيَوْمِ الَّذِي يَرْتَحِلُ فِيهِ مِنْ شَرَافٍ .
« فَإِذَا كَانَ يَوْمٌ كَذَا وَكَذَا ، فَارْتَحِلْ بِالنَّاسِ حَتَّى تَنْزِلَ فِيمَا بَيْنَ عُذَيْبِ الْهَجَانَاتِ ، وَعُذَيْبِ الْقَوَادِسِ ، وَشَرِّقِ بِالنَّاسِ ، وَغَرِّبْ بِهِمْ » .

(تاريخ الطبري ٤ : ٨٩)

١٩٠ - كتاب عمر إلى سعد

وَكُتِبَ عُمَرُ إِلَى سَعْدٍ ، وَمِنْ مَعَهُ مِنَ الْأَجْنَادِ :
« أَمَّا بَعْدُ : فَإِنِّي أَمُرُّكَ ، وَمَنْ مَعَكَ مِنَ الْأَجْنَادِ بِتَقْوَى اللَّهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ ، فَإِنَّ تَقْوَى اللَّهِ أَفْضَلُ الْمُدَّةِ عَلَى الْعَدُوِّ ، وَأَقْوَى الْمَسْكِيْدَةِ فِي الْحَرْبِ ، وَأَمُرُّكَ وَمَنْ مَعَكَ أَنْ تَكُونُوا أَشَدَّ احْتِرَاسًا مِنَ الْمَعَاصِي مِنْكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ ، فَإِنَّ ذُنُوبَ الْجَيْشِ أَخَوْفُ عَلَيْهِمْ مِنْ عَدُوِّهِمْ ، وَإِنَّمَا يُنْصَرُّ الْمَسَامُونَ بِمَعْصِيَةِ عَدُوِّهِمْ لِلَّهِ ، وَلَوْلَا ذَلِكَ لَمْ تَكُنْ لَنَا بِهِمْ قُوَّةٌ ، لِأَنَّ عَدَدَنَا لَيْسَ كَعَدَدِهِمْ ، وَلَا عُدَّتَنَا كَعُدَّتِهِمْ ، فَإِنْ اسْتَوَيْنَا فِي الْمَعْصِيَةِ ، كَانَ لَهُمُ الْفَضْلُ عَلَيْنَا فِي الْقُوَّةِ ، وَإِلَّا نُصَرَّ عَلَيْهِمْ بِفَضْلِنَا لَمْ نَعْلَمِهِمْ بِقُوَّتِنَا ، فَاعْلَمُوا أَنَّ عَلَيْكُمْ فِي سَيْرِكُمْ حَفَظَةً

من الله يعلمون ما تفعلون ، فاستحيوا منهم ، ولا تعملوا بمعاصي الله وأنتم في سبيل الله ، ولا تقولوا : إن عدونا شرٌّ منا ، فلن يُسلَّط علينا ، فربَّ قومٍ سلَّط عليهم شرٌّ منهم ، كما سلَّط على بني إسرائيل - لما عملوا بمساخط الله - كفَّارُ المَجُوسِ ، فجاسُوا خلال الدِّيَارِ ، وكان وعدًا مَفْعُولًا ، وأسألوا الله العَوْنَ على أنفسكم ، كما تسألونه النصر على عدوكم ، أسأل الله تعالى ذلك لنا ولكم .

وترَفَّقَ بالمسلمين في مسيرهم ، ولا تُجشِّمهم مَسِيرًا يُتَعَبِهم ، ولا تُقَصِّرَ بهم عن مَنْزِلٍ يَرْفُقُ بهم ، حتى يبلغوا عدوَّهم (والسَّفَرُ لم يَنْقُصْ قُوَّتَهُم) فإنهم سائرون إلى عدوِّ مُقِيمٍ ، حَامِي الأَنْفُسِ والكِرَاعِ^(١) ، وأَقِمْ بمن معك في كل جمعة يومًا وليلة ، حتى تكون لهم راحةٌ يُحْيُونَ فيها أنفسهم ، ويرْمُونَ^(٢) أسلحتهم وأمتعتهم ، ونَحِّ منازلتهم عن قرى أهل الصلح والذِّمَّةِ فلا يدخلوها من أصحابك إلا من تَتَقُّ بدينه ، ولا يَرْزَأُ^(٣) أحداً من أهلها شيئاً ، فإن لهم حُرْمَةً وَذِمَّةً أُبْلِيتَ بالوفاء بها ، كما أُبْتُلُوا بالصبر عليها ، فما صَبَرُوا لِمِ قَتَلُوهم خيراً ، ولا تستنصروا على أهل الحرب بظلم أهل الصلح ، وإذا وَطِئَتْ أَرْضَ العدوِّ فَأَذْكِ^(٤) ، العُيُونَ بينك وبينهم ، ولا يَخْفَ عليك أمرهم ، وليكن عندك من العرب أو من أهل الأرض مَنْ تَطْمِئِنُّ إلى نُصْحِهِ وصدقه ، فإن الكذب لا ينفعك خبره ، وإن صدَّقَكَ في بعضه ، والغاشَّ عَيْنَ عليك ، وليس عينا لك ، وليكن منك عند دُؤُوك من أرض العدو أن

(١) الكِرَاع من كل شيء طرفه ، واسم يجمع الخيل . (٢) رَمِه كضرب ونصر : أصله .

(٣) رَزَأَ ماله : أصاب منه شيئاً . (٤) أَذْكَى عليه العيون : أرسل عليه الطلائع .

تُكثِّرُ الطَّلَاعَ ، وَتُبْتُ السَّرَايَا^(١) يَبْنِيكَ وَيَنْبِهِمْ ، فَتَقْطَعُ السَّرَايَا أُمْدَادَهُمْ
وَمَرَّافِقَهُمْ ، وَتَتَّبِعُ الطَّلَاعُ عَوْرَاتِهِمْ ، وَتَنْقُ^(٢) لِلطَّلَاعِ أَهْلَ الرَّأْيِ وَالْبَأْسِ
مِنْ أَصْحَابِكَ ، وَتَخَيِّرُ لَهُمْ سَوَاقِ الْخَيْلِ ، فَإِنْ لَقُوا عَدُوًّا كَانَ أَوَّلَ مَا تَلْقَاهُمْ
الْقُوَّةُ مِنْ رَأْيِكَ ، وَأَجْعَلْ أَمْرَ السَّرَايَا إِلَى أَهْلِ الْجِهَادِ ، وَالصَّبْرِ عَلَى الْجِلَادِ ،
وَلَا تَخْصُصْ بِهَا أَحَدًا بِهَوَى فَتَضِيعَ مِنْ رَأْيِكَ وَأَمْرِكَ أَكْثَرَ مِمَّا حَاطَتْ
بِهِ أَهْلُ خَاصَّتِكَ ، وَلَا تَبْعَثَنَّ طَلِيعَةً ، وَلَا سَرِيَّةً فِي وَجْهِ تَتَخَوَّفُ فِيهِ غَلَبَةً
أَوْ ضِيعَةً أَوْ نِكَايَةً ، فَإِذَا عَايَنْتَ الْعَدُوَّ ، فَاصْطُمِ إِلَيْكَ أَقَاصِيكَ وَطَلَائِعَكَ
وَسَرَايَاكَ ، وَاجْمَعْ إِلَيْكَ مَكِيدَتَكَ وَتَوَاتَكَ ، ثُمَّ لَا تَعَاجِلْهُمْ الْمَنَاجِزَةَ ، مَا لَمْ
يَسْتَكْرِهْكَ قِتَالُ ، حَتَّى تُبْصِرَ عَوْرَةَ عَدُوِّكَ وَمَقَاتِلَهُ ، وَتَعْرِفَ الْأَرْضَ كُلَّهَا
كَمَعْرِفَةِ أَهْلِهَا ، فَتَصْنَعْ بِعَدُوِّكَ كَصُنْعِهِ بِكَ ، ثُمَّ أَذْكَ أَحْرَاسِكَ عَلَى عَسْكَرِكَ ،
وَتَيْقِظُ مِنَ الْبَيَاتِ جُهْدَكَ ، وَلَا تُؤْتِيَ بِأَسِيرٍ لَيْسَ لَهُ عَقْدٌ^(٣) إِلَّا ضَرَبْتَ عُقْبَهُ ،
لِتُرْهَبَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوُّكَ ، وَاللَّهُ وَلِيُّ أَمْرِكَ وَمَنْ مَعَكَ ، وَوَلِيُّ النِّصْرِ
لَكُمْ عَلَى عَدُوِّكُمْ ، وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ « (العقد الفريد ١ : ٤٠)

١٩١ - كتاب عمر إلى سعد

وكتب إليه :

« أَمَّا بَعْدُ : فَتَعَاهَدُ قَلْبِكَ ، وَحَادِثُ جَنْدِكَ بِالْمَوْعِظَةِ وَالنِّيَّةِ وَالْحِسْبَةِ^(٤) ،
وَمَنْ غَفَلَ فَلْيُحْدِثْهُمَا ، وَالصَّبْرَ الصَّبْرَ ، فَإِنَّ الْمَعُونَةَ تَأْتِي مِنَ اللَّهِ عَلَى قَدَرٍ

(١) سرية كغلبة : وهي النخبة من الجيش . (٢) تنقاه وانتقاه : اختاره . (٣) عهد .

(٤) الحسبة : اسم من الاحتساب ، احتسب بكذا أجراً عند الله : اعتد به ينوي به وجه الله .

النية ، والأَجَرَ عَلَى قَدَرِ الْحِسْبَةِ ، وَالْحَذَرَ الْحَذَرَ عَلَى مَنْ أَنْتَ عَلَيْهِ ، وَمَا أَنْتَ بِسَبِيلِهِ ، وَأَسْأَلُوا اللَّهَ الْعَافِيَةَ ، وَأَكْثِرُوا مِنْ قَوْلِ « لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ » وَأَكْتُبْ إِلَى : أَيْنَ بَلَغَكَ جَمْعُهُمْ ؟ وَمَنْ رَأَاهُمْ الَّذِي يَلِي مُصَادَمَتَكُمْ ؟ فَإِنَّهُ قَدْ مَنَعَنِي مِنْ بَعْضِ مَا أَرَدْتُ الْكِتَابَ بِهِ ، قَلَّةٌ عَامِي بِمَا هَجَمْتُمْ عَلَيْهِ ، وَالَّذِي اسْتَقَرَّ عَلَيْهِ أَمْرُ عَدُوِّكُمْ ، فَصِيفٌ لَنَا مَنَازِلَ الْمُسْلِمِينَ ، وَالْبَلَدَ الَّذِي بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ « الْمَدَائِنِ » صِفَةً كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهَا ، وَاجْعَلْنِي مِنْ أَمْرِكُمْ عَلَى الْجَلِيَّةِ^(١) وَخَفِ اللَّهَ وَارْجُهُ ، وَلَا تُدِلَّ بِشَيْءٍ ، وَأَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ وَعَدَكُمْ ، وَتَوَكَّلْ لِهَذَا الْأَمْرِ بِمَا لَا خُلْفَ لَهُ ، فَاحْذَرُوا أَنْ تَصْرِفَهُ عَنْكُمْ ، وَيَسْتَبْدِلَ بِكُمْ غَيْرَكُمْ .
(تاريخ الطبري ٨٩ : ٤)

١٩٢ - رد سعد على كتاب عمر

فكتب إليه سعد بصفة البلدان :

« الْقَادِسيَّةُ بَيْنَ الْخَنْدَقِ وَالْعَتِيقِ ، وَإِنْ مَا عَنِ يَسَارِ الْقَادِسيَّةِ بِحَرٍّ أَخْضَرُ فِي جَوْفٍ^(٢) لَاحٍ إِلَى الْحِيرَةِ بَيْنَ طَرِيقَيْنِ ، فَأَمَّا أَحَدُهُمَا فَعَلَى الظَّهْرِ ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَعَلَى شَاطِئِ نَهْرٍ يُدْعَى « الْحَضُوضُ »^(٣) » يَطْلُعُ مِنْ سَلَكِهِ عَلَى مَا بَيْنَ الْخَوَرِثَقِ وَالْحِيرَةِ ، وَإِنْ مَا عَنِ يَمِينِ الْقَادِسيَّةِ إِلَى الْوَلَجَةِ فَيَبُضُّ مِنْ فَيُؤُوسِ مِيَاهِهِمْ ، وَإِنْ جَمِيعُ مَنْ صَالَحَ الْمُسْلِمِينَ مِنْ أَهْلِ السَّوَادِ قَبْلِي ، أَلْبُ^(٤) لِأَهْلِ فَارَسٍ قَدْ خَفُّوا لَهُمْ ، وَاسْتَعَدُّوا لَنَا ، وَإِنْ الَّذِي أَعَدُّوا

(١) الجلية : الخبر اليقين . (٢) الجوف : المظمن من الأرض ، ومكان لاح ولحج ككف ولحج كجعفر : أي ضيق . (٣) ضبطه صاحب القاموس فقال : كصبور : نهر كان بين القادسية والحيرة . (٤) يقال : هم عليه ألب واحد : أي مجتمعون عليه بالظلم والعداوة .

لمصادمتنا رُسْتَمَ في أمثالٍ له منهم ، فهم يحاولون إنْغَاضَنَا^(١) وإِقْحَامَنَا ، ونحن نحاول إنْغَاضَهُمْ وإِبرازَهُمْ ، وأمرُ اللَّهِ بعدُ ماضٍ ، وقضاؤه مُسَلَّمٌ إلى ما قُدِّرَ لنا وعلينا ، فنسألُ اللهَ خيرَ القضاء ، وخيرَ القَدَرِ في عافيةٍ .
(تاريخ الطبري ٤ : ٩٠ ، ومعجم البلدان ٦ : ٧)

١٩٣ - رد عمر على كتابه

فكتب إليه عمر

« قد جاءني كتابك وفهمتهُ ، فأقيم بمكانك حتى يُنْغِضَ اللَّهُ لك عدوك ، وأعلم أن لها ما بعدها ، فإن مَنَحَكَ اللَّهُ أديارَهُمْ ، فلا تَنْزِعْ^(٢) عنهم حتى تقتحم عليهم « المدائن » ، فإنه خرابها إن شاء الله . » (تاريخ الطبري ٤ : ٩٠)

١٩٤ - كتاب عمر إلى سعد

وكتب عمر إلى سعد رضى الله عنهما :

« إني قد أُلْقِيَ في رُوعِي^(٣) أنكم إذا لَقِيتُم العدو هزمتوهم ، فاطَّرحُوا الشكَّ ، وآثَرُوا التَّحِيَّةَ عليه ، فإن لَاعَبَ أحدُ منكم أحداً من العجم بأمان ، أو قَرَفَهُ^(٤) بإشارة ، أو بلسان كان لا يدرى الأعجمي ما كَلَّمَهُ به ، وكان عندهم أماناً ، فأَجْرُوا ذلك له مُجَرِّى الأمان ، وإياكم والضَّحِكُ ، والوفاء الوفاء ، فإن الخطأ بالوفاء بَقِيَّةٌ ، وإن الخطأ بالغدر الهلكة ، وفيها وهنُكم ، وقوة

(١) أنْغَضَهُ : حرَّكه . (٢) أى فلا تكف .

(٣) الروع : القلب . (٤) أى دانه .

عدوكم ، وذهابُ رِيحِكُمْ^(١) ، وإقبال رِيحهم ، واعلموا أني أحذّرُكم أن تكونوا
شَيْنًا على المسلمين ، وَسَبًّا لتوهينهم » .

(تاريخ الطبري ٤ : ٩٠ ، وتاريخ الكامل لابن الأثير ٢ : ١٧٤)

١٩٥ - كتاب سعد إلى عمر

ونزل سعد القادسية ، فأقام بها شهرًا ، ثم كتب إلى عمر : « لم يوجّه
القوم إلينا أحدًا ، ولم يُسندوا حربًا إلى أحدٍ عَمِنَاهُ ، ومتى ما يَبْلُغُنَا ذلك
نكتبُ به ، وأستنصرُ اللهَ فَإِنَا بِمَنْحَاةٍ^(٢) دُنْيَا عَرِيضَةٍ دُونَهَا بَأْسٌ شَدِيدٌ ، قد
تقدّم إلينا في الدعاء إليهم ، فقال : « سَتُدْعَوْنَ إِلَى قَوْمٍ أُولَى بَأْسٍ شَدِيدٍ »
(تاريخ الطبري ٤ : ٩١)

١٩٦ - كتاب عمر إلى سعد

وبعث سعد عيونًا ليعلموا له خبر أهل فارس ، فرجعوا إليه بالخبر بأن
الملك قد ولى رستم حربًا به ، فكتب سعد بذلك إلى عمر ، فكتب إليه عمر :
« لَا يَكْرَهُ بَنَّا^(٣) مَا يَأْتِيكَ عَنْهُمْ ، وَلَا مَا يَأْتُونَكَ بِهِ ، واستعن بالله ،
وتوكل عليه ، وبعث إليه رجالًا من أهل المَنْظَرَةِ^(٤) والرأى والجلد يدعونه ،
فإن الله جاعلُ دعاءهم توهينًا لهم ، وقد جأ عليهم ، واكتبُ إليَّ في كل يوم » .
(تاريخ الطبري ٤ : ٩٢)

(١) أي قوتكم . (٢) أي بناحية . (٣) كرية الغم كنصر : اشتد عليه

(٤) المنظرة : منظر الرجل إذا نظرت إليه فأعجبك .

١٩٧ - كتاب سعد إلى عمر

ولما عسكر رستم بساباط ، كتب سعد إلى عمر .
« إن رستم قد عسكر بساباط ، وزحف إلينا بالخيول والفيول ، وزُهَاء^(١) فارس ، وليس شيء أهم إليّ ، ولا أئالهُ أكثر ذكر أمني ، لما أحببت أن أكون عليه ، ونستعين بالله وتوكل عليه ، وقد بعثتُ فلاناً وفلاناً وهم كما وصفت^(٢) » . (تاريخ الطبري ٤ : ٩٢)

١٩٨ - كتاب عمر إلى سعد

وسار رستم بجيشه حتى نزل القادسية ، ونشبت الحرب بين الفريقين ، فدارت الدائرة على جيش الفرس ، وحمل هلال بن عُلفة على رستم فقتله ، وحمل زُهْرَة بن الحَوَيْية على الجالينوس - أحد عظماء الفرس - فقتله ، وجاء بسلبه^(٣) إلى سعد بن أبي وقاص فنقله^(٤) سلبه .
وكان سعد قد استكثر له سلبه ، فكتب فيه إلى عمر ، فكتب إليه عمر « تَعْمِدْ إلى مثل زُهْرَة ، وقد صَلَّى بِمِثْلِ مَا صَلَّى بِهِ ، وقد بقي عليك من حَرْبِكَ ما بقي ، تكسير قرنه ، وتُفْسِدُ قلبه ! أَمْضِ لَهُ سَلْبَهُ ، وفضله على أصحابه عند العطاء بخمسمائة » .

(١) يقال : هم قوم ذوو زهاء : أي ذوو عدد كثير ، والزهاء أيضاً : الكبر والفخر كالزهو
(٢) جمع سعد جماعة من وجوه أصحابه ، منهم النعمان بن مقرن وحنظلة بن الربيع والمغيرة بن زرارَة ابن النباش وعطارد بن حاجب والأشعث بن قيس وعاصم بن عمرو وعمرو بن معديكرب والمغيرة بن شعبة ، وبعثهم دعاة إلى يزدجرد بالدائن ، وقد جرى بينه وبينهم حوار أوردناه في جهرة خطب العرب ج ١ ص ١١٣ . (٣) السلب : ما يسلب .
(٤) النفل بالتحريك : الغنيمة ، وقله النفل ، وقله وأقله : أعطاه إياه .

وفي خبر آخر أن عمر كتب إلى سعد :

« أنا أعلم بزهرة منك ، وإن زهرة لم يكن ليغيّب من سلب سلبه شيئاً ، فإن كان الذي سعى به إليك كاذباً فلقاه الله ، مثل زهرة في عضديه يارقان^(١) ، وإني قد نفّلت كل من قتل رجلاً سلبه » .

فدفعه إليه فباعه بسبعين ألفاً . (تاريخ الطبري ٤ : ١٣٥)

١٩٩ - كتاب سعد إلى عمر

وبعد أن تم الظفر للمسلمين في هذه الواقعة « وقعة القادسية » ، وكانت سنة ١٤ هـ « كتب سعد إلى عمر : بالفتح .

« أما بعد : فإن الله نصرنا على أهل فارس ، ومنّهم سنن من كان قبلهم من أهل دينهم ، بعد قتال طويل ، وزلزال شديد ، وقد لقوا المسلمين ، بعدة لم ير الرّاءون مثل زهائها^(٢) ، فلم ينفعهم الله بذلك ، بل سلبهم موه ونقله عنهم إلى المسلمين .

واتّبعهم المسلمون على الأنهار ، وعلى طفوف^(٣) الآجام ، وفي الفجّاج ، وأصيب من المسلمين سعد بن عبّيد القارئ ، وفلان وفلان ، ورجال من المسلمين لا نعلمهم ، الله بهم عالم ، كانوا يدوون بالقرآن إذ جنّ عليهم الليل

(١) اليارق : السوار ، كنى بذلك عن عظم شأنه ، أى ومن كان في مثل منزله فلا يغيب من سلب سلبه شيئاً . (٢) يقال : هم زهاء مائة بضم الزاى وكسر ها : أى قدر مائة . (٣) الطفوف : جمع طف بالفتح . وهو الجانب والشاطئ . الآجام : جمع أجمة بالتحريك ، وهي الشجر الكثير المثلث . الفجّاج : جمع فج ، وهو الطريق الواسع .

دَوِيَّ النحل ، وهم آسادُ الناس لا يُشبههم الأسود ، ولم يفضلْ مَنْ مَضَى منهم
مَنْ بَقِيَ إِلَّا بِفَضْلِ الشَّهَادَةِ ، إِذْ لَمْ يُكْتَبْ لَهُمْ . (تاريخ الطبري ٤ : ١١٤)

٢٠٠ - كتاب سعد إلى عمر

وكتب سعد إلى عمر مع أنس بن الحليّس يستفتيه في شأن أهل السّواد
وقد نقضوا عهودهم مُدَّعين أن الفرس أكرهوهم وحشروهم :
« إن أقواما من أهل السّواد ادَّعَوْا عهوداً ، ولم يُقِمَّ على عهد أهل الأيّام
لنا ولم يف به أحدٌ علمناه ، إلا أهلُ بانيقيا وبسما وأهلُ ألبس الآخرة ، وادَّعى
أهل السّواد أن فارس أكرهوهم وحشروهم ، فلم يُخالفوا إلينا ولم يذهبوا
في الأرض » . (تاريخ الطبري ٤ : ١٤٥)

٢٠١ - كتاب سعد إلى عمر

وكتب إليه أيضاً مع أبي الهياج بن مالك الأسدي :
« إن أهل السّواد جَلَّوْا فجاءنا من أمسك بعهدده ولم يُجلب علينا ، فتَمَمْنَا
لهم ما كان بين المسلمين قَبْلَنا وبينهم ، وزعموا أن أهل السّواد قد لحقوا
بالمدائن ، فأحدث إلينا وفيمن تَمَّ^(١) وفيمن جَلَّأ ، وفيمن ادَّعى أنه استُكْرِه
وحُشِرَ فَهَرَبَ ولم يقاتل أو استسلم ، فأنا بأرض رَغِيبةٍ ، والأرضُ خَلَاءُ من أهلها ،
وعددنا قليل ، وقد كثر أهلُ صلحنا ، وإنَّ أعمرَ لها وأوهنَ لعدونا تَأْلَفُهُمْ » .
(تاريخ الطبري ٤ : ١٤٥)

(١) تَمَّ على الأمر وتِمَّ عليه باظهار الإدغام : استمر عليه .

٢٠٢ - كتاب عمر الى سعد

فجمع عمر الناس ، واستشارهم في الأمر ، فأشاروا عليه بما يرون ،
فكتب إلى سعد جواب كتاب أنس بن الحليس :

« أما بعد ، فإن الله جل وعلا أنزل في كل شيء رُخْصَةً في بعض
الحالات ، إلا في أمرين : العدل في السيرة ، والذكْر ، فأما الذكْر فلا
رُخْصَةَ فيه في حالة ، ولم يَرْضَ منه إلا بالكثير ، وأما العدل فلا رُخْصَةَ
فيه في قريب ولا بعيد ، ولا في شدة ولا رخاء ، والعدل وإن رُئِيَ لِينًا فهو
أقوى وأطفاً للجور ، وأقمع للباطل من الجور ، وإن رُئِيَ شديداً ، فهو
أنكش^(١) للكفر ، فمن تمَّ على عهد من أهل السواد ، ولم يُعِنْ عليكم بشيء ،
فلهم الذمة وعليهم الجزية ، وأما من ادَّعى أنه استُكْرِه ممن لم يخالفهم
إليك ، أو يذهب في الأرض فلا تصدِّقهم بما ادَّعوا من ذلك ، إلا أن تشاء وا
وإن لم تشاء وا فأنبذ إليهم ، وأبلغوهم ما منهم » .

٢٠٣ - كتاب عمر إلى سعد

وأجاب في كتاب أبي الهياج :

« أما من أقام ولم يجُلْ وليس له عهد فلهم ما لأهل العهد بمقايهم لكم
وكفَّهم عنكم إجابة ، وكذلك الفلاحون إذا فعلوا ذلك ، وكل من ادَّعى ذلك
فصدِّق فلهم الذمة ، وإن كُذِّبوا نبذ إليهم ، وأما من أعان وجلا فذلك أمر

(١) 'نكشه كنصر وضرب : استخرج ما فيه .

جعلهُ الله لكم ، فإن شئتم فادعوه إلى أن يُقيموا لكم في أرضهم ، ولهم الذمة وعليهم الجزية ، وإن كرهوا ذلك فاقسموا ما أفاء الله عليكم منهم » .

(تاريخ الطبري ٤ : ١٤٥)

٢٠٤ - كتاب عمر الى سعد بن أبي وقاص

وكتب عمر رضى الله عنه إلى سعد بن أبي وقاص حين افتتح السَّوَادَ :
« أما بعدُ : فقد بلغني كتابك تذكر فيه أن الناس قد سألوك أن تقسم بينهم مغانمهم وما أفاء الله عليهم ، فإذا أتاك كتابي هذا ، فانظر ما أجلب الناس عليك به إلى العسكر من كراع^(١) ، ومال ، فأقسمه بين من حضر من المسلمين ، وأترك الأرضين والأنهار لمأهلها^(٢) ، ليكون ذلك في أعطيات المسلمين ، فإنك إن قسمتها بين من حضر لم يكن لمن بعدهم شيء .

وقد كنت أمرتك أن تدعو من لقيت إلى الإسلام قبل القتال ، فمن أجاب إلى ذلك قبل القتال فهو رجل من المسلمين ، له ما لهم وعليه ما عليهم ، وله سهم في الإسلام ، ومن أجاب بعد القتال ، وبعد الهزيمة فهو رجل من المسلمين ، وماله لأهل الإسلام ، لأنهم قد أحرزوه قبل إسلامه ، فهذا أمري وعهدي إليك » .

(كتاب الخراج ص ٢٨ ، وفتوح البلدان ص ٢٧٤ ، ومعجم البلدان ٥ : ١٦٣)

(١) الكراع : اسم يجمع الخيل ، وفي فتوح البلدان ومعجم البلدان : « فانظر ما أجلب عليه أهل العسكر بخيلهم وركابهم من مال أو كراع فأقسمه بينهم بعد المحس » .
(٢) وفي معجم البلدان « بمأهلها » .

٢٠٥ - كتاب عمر الى قطبة بن قتادة

وكان قُطْبَةُ بن قَتَادَةَ السَّدُوسِيّ يُغِيرُ بِنَاحِيَةِ الْخُرَيْبَةِ مِنَ الْبَصْرَةِ (١) كما كان المثنى بن حارثة يغير بناحية الحيرة (٢) فكتب إلى عمر يُعَلِّمُهُ مَكَانَهُ ، وَأَنَّهُ لو كان معه عدد يسير ظَفِرَ بَن قَبْلَهُ مِنَ الْعَجَم ، فَنَفَاهُمْ مِنْ بِلَادِهِمْ ، فَكُتِبَ إِلَيْهِ عَمْرٌ :

« إِنَّهُ أَتَانِي كِتَابُكَ أَنَّكَ تُغِيرُ عَلَيَّ مِنْ قَبْلِكَ مِنَ الْأَعَاجِمِ ، وَقَدْ أَصَبْتَ وَوَقَّعْتَ ، أَقِمْ مَكَانَكَ وَاحْذَرْ عَلَيَّ مِنْ مَعَكَ مِنْ أَصْحَابِكَ حَتَّى يَأْتِيكَ أَمْرِي (٣) »
(تاريخ الطبري ٤ : ١٥٠)

٢٠٦ - كتاب عمر الى عتبة بن غزوان

ووجه عمر بن الخطاب عُتْبَةُ بن غَزَوَانَ إِلَى الْبَصْرَةِ سَنَةَ ١٤ هـ (٤) وَأَمْرَهُ بِنَزْوِلِهَا بَيْنَ مَعَهُ ، وَقَطْعُ مَادَّةِ أَهْلِ فَارَسَ عَنِ الَّذِينَ بِالْمَدَائِنِ وَنَوَاحِيهَا مِنْهُمْ .
وَرَوَى صَاحِبُ الْعَقْدِ قَالَ :

كُتِبَ عَمْرُ بْنُ الْخَطَّابِ إِلَى عُتْبَةَ بْنِ غَزَوَانَ عَامِلِهِ عَلَى الْبَصْرَةِ :
« أَمَّا بَعْدُ : فَقَدْ أَصْبَحْتَ أَمِيرًا تَقُولُ فَيُسْمَعُ لَكَ ، وَتَأْمُرُ فَيُنْفَذُ أَمْرُكَ ،
فِيَا لَهَا نِعْمَةً إِنْ لَمْ تَرْفَعْكَ فَوْقَ قَدْرِكَ ، وَتُطْفِعَكَ عَلَى مَنْ دُونَكَ ، فَاحْتَرَسْ

(١) وقد وجه عمر شريح بن عامر إلى البصرة ليكون رداء المسلمين ، فأقبل إليها ثم مضى إلى الأهواز فقتله الأعاجم ، وبعث عمر عتبة بن غزوان .

(٢) قال الطبري : هذا في قول المدائني وروايته ، وزعم سيف أن البصرة مصرت في ربيع سنة ١٦ هـ ، وأن عتبة بن غزوان لما خرج إلى البصرة من المدائن بعد فراغ سعد من جلوسه ، وتكريت والحصنين ، وجهه إليها سعد بأمر عمر .

من النعمة أشدَّ من احتراسك من المعصية ، وإياك أن تسقطَ سَقَطَةً
لاشوى^(١) لها ، وتعثرُ عَثْرَةً لا لعلها^(٢) « (العقد الفريد ١ : ٣٠٠)



وروى الطبرى قال :

قال عمر لعُتْبَةُ بنِ غَزْوَانَ إِذْ وَجَّهَهُ إِلَى البصرة :
« يَا عْتَبَةُ : إني قد استعملتك على أرضِ الهند^(٣) ، وهى حَوْمة^(٤) من
حَوْمة العدو ، وأرجو أن يكفيك الله ما حَوْلَهَا ، وَأَنْ يُعِينَكَ عَلَيْهَا ، وقد
كُتِبَتْ إِلَى العلاءِ بنِ الحَضْرَمِيِّ أَنَّ يُمِدَّكَ بِعَرْفَجَةَ بنِ هَرَثَمَةَ ، وهو ذو
مُجَاهِدَةٍ للعدو ومكيدة ، فإذا قَدِمَ عَلَيْكَ فاستشره وقرِّبه ، وادعُ إِلَى الله ، فَمَنْ
أَجَابَكَ فَأَقْبِلْ مِنْهُ ، وَمَنْ أَبَى فَالْجِزِيَّةُ عَنْ صَغَارٍ وَذِلَّةٍ ، وَإِلَّا فَالْسَيْفُ فِي
غَيْرِ هَوَادَةٍ .

وَاتَّقِ اللَّهَ فِيمَا وُئِيتَ . وإياك أن تنازعَكَ نَفْسُكَ إِلَى كِبَرٍ يُفْسِدُ عَلَيْكَ
إِخْوَتَكَ ، وقد صَحِبْتَ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم ، فَعَزَزْتَ بِهِ بَعْدَ الذَّلَّةِ ،
وَقَوَّيْتَ بِهِ بَعْدَ الضَّعْفِ ، حَتَّى صَرْتَ أَمِيرًا مُسَلِّطًا ، وَمَلِكًا مُطَاعًا تَقُولُ فَيُسْمَعُ
مِنْكَ ، وَتَأْمُرُ فَيُطَاعُ أَمْرُكَ ، فَيَالَهَا نِعْمَةً إِنْ لَمْ تَرْفَعْكَ فَوْقَ قُدْرِكَ ، وَتُبْطِرَكَ
عَلَى مَنْ دُونَكَ ، أَحْتَفِظُ مِنَ النِّعْمَةِ احْتِفَاطَكَ مِنَ الْمَعْصِيَةِ ، وَلِهَيْ أَخَوْفُهُمَا

(١) أشوى من الشيء : أبغى منه بعضاً ، والاسم الشوى ، ولا شوى لها : أى لا إبقاء لها ،
أو لا بقاء لها . (٢) لما : كلمة يدعى بها للأثر معناها الارتفاع ، فإذا دعى له بأن يتعش قيل : لعلها
ويقال : لا لعلها أى لا أقامه الله . (٣) وكانت البصرة يومئذ تدعى أرض الهند ، فيها حجارة بيض
خشن ، والبصرة كل أرض حجارتهما جس - انظر الطبرى ٤ : ١٤٩ ومروج الذهب ١ : ٤٢٦ .
(٤) حومة القتال وغيره : أشد موضع فيه .

عندى عليك أن تستدرجك وتخدعك ، فتسقط سقطة تصير بها إلى جهنم ،
أعيزك بالله ونفسى من ذلك ، إن الناس أسرعوا إلى الله حين رفعت لهم
الدنيا فأرادوها ، فأرد الله ولا تُرد الدنيا ، واتفق مصارع الظالمين » .
وكانت إمارة عتبة على البصرة ستة أشهر . (تاريخ الطبرى ٤ : ١٥٠)

٢٠٧ - كتاب عمر إلى عتبة بن غزوان

وكان العلاء بن الحضرمي على البحرين ، وكان يبارى سعد بن أبي وقاص ،
فلما رأى ما أحرزه سعد من الظفر والفتح ، رام أن يبلغ مكانته ، فندب أهل
البحرين إلى فارس ، وطمعهم في البحر إليها بغير إذن عمر - وكان عمر لا يأذن
لأحد في ركوبه غازياً ، يكره التغيرير بجنده - وعبرت جنود العلاء إلى
فارس فخرجوا في إصطخر ، وأقبلهم الفرس ، خالوا بينهم وبين سفنهم ،
وأقتلوا قتالا شديداً ، قتل فيه بعض قواد جيش العلاء ، وكثير من الفرس .
ثم رأى المسلمون أن يقصدوا إلى البصرة ، ولم يجدوا إلى الرجوع في
البحر سبيلاً إذ غرقت سفنهم ، ووجدوا الفرس قد أخذوا عليهم الطرق ،
فمكروا وامتنعوا .

ولما بلغ عمر ماصنع العلاء ، كتب إلى عتبة بن غزوان :

« إن العلاء بن الحضرمي حمل جنداً من المسلمين فأقطعهم أهل فارس
وعصاني ، وأظنه لم يرد الله بذلك ، نخشيت عليهم إن لا ينصروا أن يغلبوا
وينشبوا^(١) ، فاندب إليهم الناس ، وأضمتهم إليك من قبل أن يجتاحوا » .

(١) أى يؤسروا ، من نشب الصيد في الحباله كفرح إذا علق بها .

فندب عتبة جيشاً لقي الفرس فهزمهم، وأصاب المسلمون منهم ماشاءوا،
وأشدت غضب عمر على العلاء، وكتب إليه بعزله، وأمره بأنقل الأشياء،
وأبغض الوجوه إليه، بتأمر سعد عليه، وقال: الحَقُّ بسعد فيمن قبلك،
فخرج بمن معه نحو سعد. (تاريخ الطبري ٤ : ٢١٣)

٢٠٨ — كتاب عمر إلى عتبة بن غزوان

« وكتب عمر إلى عتبة بن غزوان :

« أَنْ أَعْزِبَ^(١) النَّاسَ عَنِ الظُّلْمِ ، وَاتَّقُوا واحذروا أَنْ يُدَالَ^(٢) عَلَيْكُمْ
لِفَعْدَرٍ يَكُونُ مِنْكُمْ أَوْ بَعْنَى ، فَإِنَّكُمْ إِنَّمَا أَدْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا أَدْرَكْتُمْ ، عَلَى عَهْدٍ
عَاهَدْتُمْ عَلَيْهِ ، وَقَدْ تَقَدَّمْ إِلَيْكُمْ فِيمَا أَخَذَ عَلَيْكُمْ ، فَأَوْفُوا بعهده الله ، وقوموا على
أمره يَكُنْ لَكُمْ عَوْنًا وَنَاصِرًا » . (تاريخ الطبري ٤ : ٢١٢)

٢٠٩ — كتاب عمر إلى المغيرة بن شعبة

واستعمل عمر على البصرة بعد عتبة بن غزوان المغيرة بن شعبة . فبقى بها
سنتين ، ثم رُمِيَ بِمَا رُمِيَ^(٣) بِهِ ، فعزله عمر وولى مكانه أبا موسى الأشعري

(١) أبعد . (٢) الإدالة : الغلبة . يقال : اللهم أدلني على فلان وانصرني عليه .
(٣) وذلك أن أبا بكره — أخا زياد بن أبيه — ونفرا معه اتهموه بأنه زنى بأُم جيل بنت الأفقم ،
وكتبوا بذلك إلى عمر . فعزله وولى مكانه أبا موسى الأشعري ، وارتحل المغيرة وخصومه وهم أبو بكره
وزياد ونافع بن كلدة وشبل بن معبد ، حتى قدموا على عمر ، فجمع بينهم وبين المغيرة ، وقد أقسم بين
يدي عمر أنه ما أتى إلا امرأته — وكانت شبهها — فبدأ عمر بأبي بكره فشهد عليه أنه زنى بأُم جيل ،
وشهد شبل ونافع بمثل ذلك ، ولم يشهد زياد بمثل شهادتهم ، إذ سأله هل تعرف المرأة ؟ قال : لا

سنة ١٧ هـ وكتب إلى المغيرة - قال الطبري : وإنه لأوجز كتاب كتب به أحد من الناس : أربع كلم عزل فيها وعاتب واستحث وأمر -
« أما بعد : فإنه بلغني نبأ عظيم . فبعثت أبا موسى أميراً ، فسلم ما في يدك ، والعجل » .

(تاريخ الطبري ٤ : ٢٠٧ ، وتاريخ الكامل لابن الأثير ٢ : ٢٦٦)

٢١٠ - كتاب عمر الى أهل البصرة

وكتب إلى أهل البصرة :

« أما بعد : فإنني قد بعثت أبا موسى أميراً عليكم ، ليأخذ لضعيفكم من فويكم ، وليقاتل بكم عدوكم ، وليدفع عن دمتكم ، وليخصي لكم فيئكم ، ثم ليقسمه بينكم ولينقي لكم طرقكم » . (تاريخ الطبري ٤ : ٢٠٧)

٢١١ - كتاب عمر الى أبي موسى الأشعري

وكتب عمر رضى الله عنه إلى أبي موسى الأشعري :

أما بعد : فإن للناس نفرة عن سلطانهم ، فأعوذ بالله أن تدركني ، وإياك عمياء^(١) مجهولة ، وضغائن محمولة ، وأهواء متبعة ، ودنيا مؤثرة^(٢) ، فأقيم الحدود ولو

ولكن أشبهها . فنعاه وأمر بالثلاثة لجلدوا الحد وقرأ : « فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ » فقال المغيرة : اشفى من الأبعد . فقال : اسكت أسكت الله نأمنك (والثأمة كوردة : الصوت أى أمانك الله) أما والله لو تمت الشهادة لرجتك بأحبارك .

(١) العمياء والعماية : الفواية والضلال ، واللجاجة في الباطل .

(٢) آثره : فضله وقدمه .

ساعةً من النهار ، وإذا عَرَضَ لك أمران : أحدهما لله ، والآخر للدنيا ، فآثرْ نصيبك من الآخرة على نصيبك من الدنيا . فإن الدنيا تَنفَدُ ، والآخرة تَبْقَى ، وكن من خَشِية الله على وَجَلٍ ، وأخِفِ الفُسَّاقَ وأَجْعَلْهُمْ يَدًا يَدًا ، ورجلاً رجلاً^(١) وإذا كانت بين القبائل نائرة^(٢) ، وتَدَاعَوْا ، يا لفلان ، فإنما تلك نَجْوَى^(٣) الشيطان : فاضربهم بالسيف حتى يَفِئُوا^(٤) إلى أمر الله ، وتكون دعوتهم إلى الله والإسلام ، واستدِمْ النعمة بالشكر ، والطاعة بالنألف ، والمقدرة والنُصرة بالتواضع والمحبة للناس .

وقد بلغ أمير المؤمنين أن ضَبَّةً تدعوا يا لَضَبَّة ، وإني والله ما أعلم أن ضَبَّةً ساق الله بها خيراً قطُّ ، ولا مَنَعَ بها من سوء قطُّ ، فإذا جاءك كتابي هذا فانتَهكهم عُقُوبَةً^(٥) ، حتى يَتَفَرَّقُوا إن لم يَفْقَهُوا ، والصقْ بَغِيلَانَ بن خَرَشَةَ من بينهم ، وعُدْ مَرَضَى المسلمين ، وأشْهَدْ جنائزهم ، وافتح بابك لهم ، وبأشِرْ أمرهم بنفسك ، فإنما أنت أمروءٌ منهم . غَيْرَ أن الله جَعَلَكَ أَثْقَلَهُمْ حِمْلًا .

وقد بلغ أمير المؤمنين أنه فَشَّتْ لك ولأهل بيتك هيئةٌ في لباسك ومطعمك ومركبك ليس للمسلمين مثُلها ، فإياك يا عبد الله أن تكون بمنزلة البهيمة التي مَرَّتْ بِوَادٍ خِصْبٍ ، فلم يكن لها هِمَّةٌ إلا السَّمَنُ ، وإنما حَتَفُها في السَّمَنِ .

واعلم أن للعامل مَرَدًّا إلى الله ، فإذا زَاغَ الْعَامِلُ زَاغَتْ رَعِيَّتُهُ . وأن أَشَقَّ الناسِ من شَقِيَّتْ به رَعِيَّتُهُ ، والسلام .

(البيان والتبيين ٢ : ١٥٥ ، والعقد الفريد ١ : ٢٨)

(١) أى كبل أيديهم وأرجلهم بالأغلال والقيود . (٢) النائرة : العداوة والشحناء . (٣) النجوى : اسم من المناجاة وهى المسارة ، وفى العقد «فإنما تلك نخوة من الشيطان» والنخوة : الكبر والعظمة . (٤) أى يرجعوا . (٥) نهك السلطان عقوبة من بابى نفع وتعب وأنهك : بالغ فى عقوبته .



وجاء في كتاب الخراج لأبي يوسف :

كتب عمر رضى الله عنه إلى أبي موسى :

«أما بعد : فَإِنَّ أَسْعَدَ الرُّعَاةِ عِنْدَ اللَّهِ مَنْ سَعِدَتْ بِهِ رَعِيَّتُهُ ، وَإِنْ أَشَقَّ الرُّعَاةِ مَنْ شَقَّيْتُ بِهِ رَعِيَّتَهُ ، وَإِيَّاكَ أَنْ تَزِيغَ فَيَزِيغَ عُمَّالُكَ ، فَيَكُونُ مِثْلَكَ عِنْدَ اللَّهِ مِثْلَ الْبَهِيمَةِ : نَظَرْتُ إِلَى خُضْرَةٍ مِنَ الْأَرْضِ فَرَتَعَتْ فِيهَا ، تَبْتَغِي بِذَلِكَ السَّمْنَ ، وَإِنَّمَا حَتَفُهَا فِي سَمْنِهَا ، وَالسَّلَامُ^(١) » . (كتاب الخراج ص ١٧)

٢١٢ — كتاب عمر إلى أبي موسى

وكتب إلى أبي موسى وهو بالبصرة :

« بلغنى أنك تأذن للناس الجماء الغفير^(٢) ، فَإِذَا جَاءَكَ كِتَابِي هَذَا فَأُذِّنْ لِأَهْلِ الشَّرَفِ ، وَأَهْلِ الْقُرْآنِ وَالتَّقْوَى وَالدِّينِ ، فَإِذَا أَخَذُوا مَجَالِسَهُمْ فَأُذِّنْ لِلْعَامَةِ ، وَلَا تُؤَخِّرْ عَمَلَ الْيَوْمِ لَعَدٍ ، فَتَتَدَاكَ^(٣) عَلَيْكَ الْأَعْمَالُ فَتَضِيعَ ، وَإِيَّاكَ وَاتِّبَاعَ الْهَوَى ، فَإِنَّ لِلنَّاسِ أَهْوَاءَ مُتَّبَعَةً ، وَدُنْيَا مُؤَثَّرَةً ، وَضَفَائِنَ مَحْمُولَةً وَحَاسِبِ نَفْسِكَ فِي الرَّخَاءِ قَبْلَ حِسَابِ الشَّدَةِ ، فَإِنَّهُ مِنْ حَاسِبِ نَفْسِهِ فِي الرَّخَاءِ قَبْلَ حِسَابِ الشَّدَةِ كَانَ مَرْجِعُهُ إِلَى الرِّضَا وَالْغِبْطَةِ ، وَمِنْ أَلْهَتُهُ حَيَاتُهُ ،

(١) أورد ابن أبي الحديد أيضا هذا الكتاب في شرحه (م ٣ : ص ١١٩) وقال في ديباجته كتبه عمر إلى بعض عماله ، وفيه « فزيغ رعيته » محل « فزيغ عمالك » .

(٢) تقول : جاءوا الجماء الغفير : أى جاءوا مجتمعين كثيرين ، وأصل الجماء من الجوم وهو الاجتماع والكثرة ، والغفير من الغفر (كشمس) وهو التغطية والستر ، فجئت الكلمتان في موضع الشمول والإحاطة . (٣) أى تردحم ، من تذاك الناس عليه إذا ازدحموا .

وَشَغَلَتْهُ أَهْوَاؤُهُ ، عاد أمره إلى الندامة والحسرة ، إنه لا يقيمُ أمرَ الله في الناس إلا حَصِيفُ^(١) العُقْدَةِ ، بعيدُ القَرَارَةِ^(٢) ، لا يُحْنِقُ على جِرَّةٍ^(٣) ، ولا يَطَّلِعُ الناسُ منه على عَوْرَةٍ ، ولا يخاف في الحقِّ لَوَمَةَ لائِمٍ .

الزَّم أَرْبَعَ خِصَالٍ يَسْلَمُ لَكَ دِينُكَ ، وَتَحْظُ بِأَفْضَلِ حِظِّكَ : إذا حضر الخَصْمَانِ فَعَمِلَكَ بِالْبَيِّنَاتِ الْمُدُولِ ، أَوِ الْإِيمَانِ الْقَاطِعَةِ ، ثُمَّ أَذِنُ لِلضَّعِيفِ حَتَّى يَنْبَسِطَ لِسَانُهُ وَيَجْتَرِئَ قَلْبُهُ ، وَتَعَاهَدَ الْغَرِيبَ فَإِنَّهُ إِذَا طَالَ حَبْسُهُ تَرَكَ حَاجَتَهُ ، وَانصَرَفَ إِلَى أَهْلِهِ ، وَاحْرِصْ عَلَى الصَّلَاحِ مَا لَمْ يَبَيِّنْ لَكَ الْقَضَاءُ^(٤) .
(شرح ابن أبي الحديد م ٣ : ص ١١٩)

٢١٣ - كتاب عمر إلى أبي موسى

وكتب عمر إلى أبي موسى :

« إِنَّهُ لَمْ يَزَلْ لِلنَّاسِ وَجُوهٌ^(٥) يَرْفَعُونَ حَوَائِجَهُمْ ، فَأَكْرَمُ مَنْ قَبَلَكَ مِنْ وَجْهِهِ النَّاسِ ، وَبِحَسَبِ الْمُسْلِمِ الضَّعِيفِ مِنَ الْعَدْلِ أَنْ يُنْصَفَ فِي الْحُكْمِ وَفِي الْقَسَمِ » .
(تاريخ الطبري ٥ : ١٨)

(١) حصف ككرم : استحكم عقله فهو حصيف ، وأحصف الجبل : أحكم فتاه .

(٢) في الأصل « الثرة » وأراد محرفاً عن الثرة ، والقرارة والقرار : ما قر فيه الماء ، كنى بذلك عن حصافة عقله وبعد نظره . (٣) أحنق : حقد حقداً لا ينجل . والجرة : ما يفيض به البعير فياً كله ثانية ، والمراد أنه لا يضم الحقد والحنق .

(٤) انظر ص ٢٠٤ . (٥) سادة وكبراء .

٢١٤ - كتاب عمر بن الخطاب إلى أبي موسى الأشعري في القضاء

وكتب عمر بن الخطاب رضى الله عنه إلى أبي موسى الأشعري :
« بسم الله الرحمن الرحيم : من عبد الله عمر بن الخطاب أمير المؤمنين
إلى عبد الله بن قيس : سلام عليك ، أما بعدُ : فإن القضاء فريضة مُحْكَمَةٌ ،
وَسُنَّةٌ مُتَّبَعَةٌ ، فَافْهَمْ إِذَا أُدْلِيَ^(١) إِلَيْكَ ، وَانْقُذْ إِذَا تَبَيَّنَ لَكَ ، فَإِنَّهُ لَا يَنْبَغُ تَكَلُّمُ
بِحَقِّ لَا نَفَازَ لَهُ ، آس^(٢) بَيْنَ النَّاسِ فِي وَجْهِكَ وَعَدْلُكَ وَمَجْلِسُكَ حَتَّى لَا يَطْمَعَ
شَرِيفٌ فِي حَيْفِكَ^(٣) ، وَلَا يَيْأَسَ ضَعِيفٌ مِنْ عَدْلِكَ^(٤) ، الْبَيِّنَةُ عَلَى مَنْ ادَّعَى
وَالْيَمِينَ عَلَى مَنْ أَنْكَرَ ، وَالصَّلْحُ جَائِزٌ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ ، إِلَّا صَلَاحًا أَحَلَّ حَرَامًا ،
أَوْ حَرَّمَ حَلَالًا ، وَلَا يَنْعَنَّكَ قَضَاؤُهُ فَضِيَّتَهُ الْيَوْمَ^(٥) فَرَاغَتْ فِيهِ عَقْلُكَ ،
وَهَدَيْتَ فِيهِ لِرُشْدِكَ ، أَنْ تَرْجِعَ إِلَى الْحَقِّ^(٦) ، فَإِنَّ الْحَقَّ قَدِيمٌ ، وَمُرَاجَعَةٌ
الْحَقِّ خَيْرٌ مِنَ التَّمَادِي فِي الْبَاطِلِ .

الفهم الفهم فيما تَدَجَّلَجَ^(٧) في صدرك مما ليس في كتاب الله ولا سنة
النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم اعرِفِ الْأَشْبَاهَ وَالْأَمْثَالَ ، فَقَسِ الْأُمُورَ عِنْدَ
ذَلِكَ بِنظَائِهَا ، وَاعْمِدْ إِلَى أَقْرَبِهَا إِلَى اللَّهِ ، وَأَشْبِهَا بِالْحَقِّ ، وَاجْعَلْ لِمَنْ ادَّعَى

(١) أدلى بحجته : احتج بها .

(٢) آس : سوء بينهم ، وتقديره : اجعل بعضهم أسوة بعض .

(٣) أى في ملكك معه لشرفه . (٤) وفي البيان والتبيين والعقد الفريد : « ولا يخاف ضعيف
من جورك » وفي صبح الأعشى : « ولا ييأس ضعيف من عونك » .

(٥) في البيان والتبيين ، والعقد الفريد وصبح الأعشى وإيجاز القرآن : « بالأمس » .

(٦) في البيان والتبيين والعقد الفريد « أن ترجع عنه » . (٧) تلجلج : تردد ، وأصل ذلك
المضغة والأكلة يرددها الرجل في فمه ، فلا تزال تتردد إلى أن يسيغها أو يقذفها ، والكلمة يرددها
الرجل إلى أن يصلها بأخرى ، ويقال للميِّج لجلج ، ومن أمثال العرب : « الحق أبلج والباطل لجلج »
أى يتردد فيه صاحبه فلا يصيب مخرجا .

حقاً غائباً أو بينة أمداً ينتهى إليه ، فإن أحضر بينته أخذت له بحقه ، وإلا
استحللت عليه القضية ، فإن ذلك أنفى للشك ، وأجلى للعمى ، وأبلغ
فى العذر .

المسلمون عُدُولٌ بعضهم على بعض إلا مجلوداً فى حدّ ، أو مجرباً عليه
شهادة زور ، أو ظنيماً^(١) فى ولاء أو نسب ، فإن الله قد تولى منكم البسرائر ،
ودراً^(٢) بالبينات والأيمان ، وإياك والغلق^(٣) ، والضجر ، والتأذى
بالخصوم ، والتنكر عند الخصومات ، فإن الحق فى مواطن الحق يُعظم الله به
الأجر ، ويُحسن به الذخر ، فمن صحّت نيته ، وأقبل على نفسه ، كفاه الله
ما بينه وبين الناس ، ومن تخلق^(٤) للناس بما يعلم الله أنه ليس من نفسه ،
شانه الله ، فما ظنك بثواب عند الله^(٥) عز وجل فى عاجل رزقه . وخزان
رحمته ! والسلام .

(الكامل للمبرد ١ : ٧ ، والبيان والتبيين ٢ : ٢٤ ، والعقد الفريد ١ : ٢٧ ، وصبح الأعشى
١٠ : ١٩٣ ، وشرح ابن أبي الحديد ٣ : ١١٩ ، وإيجاز القرآن ص ١١٧ ، وكتاب الحراج ص ١٤٠)

(١) ظنيماً : متهما ، وهو فعيل بمعنى مفعول من ظنّ المتعدية إلى واحد ، تقول ظننت زيدا وظننت
يزيد أى اتهمته ، وفى قراءة : « وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِظَنِّينٍ » وإنما قال عمر رضى الله عنه ذلك
لما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم : « ملعون ملعون من انتفى إلى غير أبيه ، وأودعى إلى غير مواليه »
(٢) درأ : دفع . قال صلى الله عليه وسلم : « ادروا الحدود بالشبهات » وفى البيان والتبيين :
« ودراً عنكم بالشبهات » وفى العقد الفريد : « ودراً عنكم الهنات » .

(٣) الغلق : ضيق الصدر وقلة الصبر ، وأصله من أغلق عليه أمره إذا لم يتضح ولم يفتح ،
ومن ذلك قولهم « غلق الرهن » كفتح : أى استحققه المرتهن ، وذلك إذا لم يفتكك فى الوقت
المشروط ، وفى البيان والتبيين : « ثم إياك تغلق والضجر ، والتأذى بالناس ، والتنكر للخصوم فى
مواطن الحق التى يوجب الله بها الأجر ، ويحسن بها الذخر ، فانه من يخلص نيته فيما بينه وبين الله
تبارك وتعالى ولو على نفسه ، يكفه الله ما بينه وبين الناس ، ومن تزين للناس بما يعلم الله خلافه منه ،
هتك الله ستره ، وأبدى فعله ، والسلام عليك » وكذا فى العقد الفريد .

(٤) أى تكلف وتصنع . (٥) فى الكامل للمبرد « بثواب غير الله » وهو تحريف .

٢١٥ - كتاب سعد بن أبي وقاص إلى عمر

وسار سعد بن أبي وقاص بعد انتصاره في وقعة القادسية ، حتى نزل على بهرسيير^(١) ، فبث الخيول ، فأغارت على ما بين دجلة إلى من له عهد من أهل الفرات ، فأصابوا مائة ألف فلاح ، فكتب سعد إلى عمر :
« إنا وردنا بهرسيير بعد الذي لقينا فيما بين القادسية وبهرسيير . فلم يأتنا أحد لقتال ، فبثت الخيول . فجمعت الفلاحين من القرى والآجام ، فرأيتك » .

٢١٦ - رد عمر على كتاب سعد

فأجابه عمر :
« إن من أتاكم من الفلاحين ، إذا كانوا مقيمين لم يُعينوا عليكم ، فهو أمانهم ، ومن هرب فأدر كتموه فشأ نكم به » .
فلما جاءه الكتاب خلى عنهم . (تاريخ الطبري ٤ : ١٦٨)

٢١٧ - كتاب عمر إلى سعد

وفتح سعد المدائن (سنة ١٦ هـ) وغادرها يزدجرد هاربا إلى حلوان ، ثم أتاه الخبر أن الفرس قد عسكروا بجلولاء بقيادة مهزان ، وأن أهل الموصل قد عسكروا بتكريت بقيادة الأنطاق .

(١) هي المدينة الدنيا الغرية من مدائن كسرى على نهر دجلة .

فكتب بذلك إلى عمر ، فكتب إلى سعد :

« أن سَرَّحَ هاشم بن عُتبة إلى جُلُولاء في اثني عشر ألفاً . واجعل على
مقدمته القَعْقَاعَ بن عمرو ، وعلى ميمنته سِعْرُ بن مالك ، وعلى ميسرته عمرو
ابن مالك بن عُتبة ، واجعل على ساقته عمرو بن مُرَّة الجُهَنِيّ » .
فسار إليها هاشم وافتتحها سنة ١٦ هـ ، وبلغ ذلك يزدجرد ، فخرج من
حلوان سائراً نحو الرّبيّ . (تاريخ الطبري ٤ : ١٧٩)

٢١٨ - كتاب عمر إلى سعد

وكتب عمر إلى سعد :

« إِنَّ هَزَمَ الله الجندين : جند مِهْرَان وجند الأنطاق ، فَقَدَّمَ القَعْقَاعَ
حتى يكون بين السَّوَاد وبين الجبل على حَدِّ سوادكم » (تاريخ الطبري ٤ : ١٧٩)
وفي خبر آخر أنه كتب إلى سعد :

« إِنَّ فَتَحَ الله عليكم جُلُولاء ، فَسَرَّحَ القَعْقَاعَ بن عمرو في آثار القوم ،
حتى ينزل بِحُلُوان ، فيكون رِذَاءَ الْمَسَامِين ، وَيُحْزِرَ الله لكم سوادكم » .
فلما فتح هاشم بن عُتبة جُلُولاء ، أقام بها ، وخرج القَعْقَاع في آثار
القوم إلى خَائِقِينَ ، فهزمهم وقتل مهران ، ثم سار إلى حُلُوان ، وافتتحها
سنة ١٦ هـ . (تاريخ الطبري ٤ : ١٨٥)

٢١٩ - كتاب عمر إلى سعد

وجمع سعدٌ مَنْ وراء المدائن ، وكتب في ذلك إلى عمر ، فكتب إليه عمر :

« أَنْ أَقِرَّ الْفَلَاحِينَ عَلَى حَالِهِمْ ، إِلَّا مَنْ حَارَبَ أَوْ هَرَبَ مِنْكَ إِلَى عَدُوكَ فَأَدْرَكَتَهُ ، وَأَجْرَ لَهُمْ مَا أَجَرَيْتَ لِلْفَلَاحِينَ قَبْلَهُمْ ، وَإِذَا كَتَبْتُ إِلَيْكَ فِي قَوْمٍ ، فَأَجْرُوا أَمْثَلَهُمْ مُجْرَاهُمْ » .

فكتب إليه سعد فيمن لم يكن فلاحا ، فأجابه :

« أَمَّا مَنْ سِوَى الْفَلَاحِينَ ، فَذَلِكَ إِلَيْكُمْ مَا لَمْ تَغْنَمُوهُ » يعني تَقْتَسِمُوهُ « وَمَنْ تَرَكَ أَرْضَهُ مِنْ أَهْلِ الْحَرْبِ نَفْلًا فَهِيَ لَكُمْ ، فَإِنْ دَعَوْتَهُمْ وَقَبِلْتُمْ مِنْهُمْ الْجِزَاءَ ، وَرَدَدْتَهُمْ قَبْلَ قِسْمَتِهَا فَذِمَّةٌ ، وَإِنْ لَمْ تَدْعُوهُمْ فَقَدْ لَكُمْ ، لِمَنْ أَفَاءَ اللَّهُ ذَلِكَ عَلَيْهِ » . (تاريخ الطبري ٤ : ١٨٣)

٢٢٠ - كتاب عمر إلى سعد

وكتبوا إلى عمر في الصَّوافي^(١) ، فكتب إليهم :
« أَنْ أَعْمِدُوا إِلَى الصَّوافي الَّتِي أَصْفَا كُموها^(٢) اللَّهُ ، فَوَزَّعُوهَا عَلَى مَنْ أَفَاءَهَا اللَّهُ عَلَيْهِ ، أَرْبَعَةَ أَخْمَاسٍ لِلْجَنْدِ ، وَخُمْسٌ فِي مَوَاضِعِهِ إِلَى ، وَإِنْ أَحْبَبُوا أَنْ يَنْزِلُوهَا فَهُوَ الَّذِي لَهُمْ » . (تاريخ الطبري ٤ : ١٨٤)

(١) الصَّوافي : الأملاك والأرض التي جلا عنها أهلها ، أو ماتوا ولا وارت لها ، واحداها صافية وذلك أنه لم يثبت أحد من أهل السواد على العهد إلا أهل قريات أخذت عنوة ، فلما دعوا إلى الرجوع صاروا ذمة وعليهم الجزاء إلا ما كان لآل كسرى ومن لج معهم فانه صافية فيما بين حلوان والعراق .
(٢) أصفاه بكذا : آثره .

٢٢١ - كتاب عمر إلى سعد

وكتب عمر :

« أن احتازوا فيئكم ، فإنكم إن لم تفعلوا فتقادم الأمر يلحج^(١) ، وقد قضيت الذي على ، اللهم إني أشهدك عليهم فاشهد » . (تاريخ الطبري ٤ : ١٨٤)

٢٢٢ - كتاب عمر إلى سعد

وكتب عمر إلى سعد :

« أن سرح إلى الأنطاك عبد الله بن المَعْتَم ، واستعمل على مقدمته رُبْعِي بن الأفكل العنزي ، وعلى ميمته الحارث بن حسان الدهلي ، وعلى ميسرته فرات بن حيّان العجلي ، وعلى ساقته هاني بن قيس ، وعلى الخيل عرفة بن هرثة » .

ففصل عبد الله بن المَعْتَم من المدائن إلى تكريت ففتحها سنة ١٦ هـ .
(تاريخ الطبري ٤ : ١٨٦)

٢٢٣ - كتاب عمر إلى سعد

ولما رجع هاشم بن عتبة من جلولاء إلى المدائن ، بلغ سعداً أن ابن الهرمزان قد جمع جمعاً ، فخرج بهم إلى سهل ماسبذان ، فكتب بذلك إلى عمر ، فكتب إليه عمر :

(١) لحج بينهم شر (كفرح) نسب ، فعني يلحج : يدعو إلى الخلاف عليه لنسيان حدوده وضوابطه ، ويفضي إلى نشوب الشر .

«أبعث إليهم ضرار بن الخطاب في جند ، واجعل على مقدمته ابن الهذيل الأسدي ، وعلى مجنبتيه عبد الله بن وهب الراسبي ، والمضارب العجلي » .
نخرج ضرار إليهم فهزمهم وقتل ابن الهرمزان . (تاريخ الطبري ٤ : ١٨٧)

٢٢٤ - كتاب عمر إلى سعد

واجتمعت جموع أهل الجزيرة بعد وقعة جلولاء ، فأمدوا هرقل على أهل حمص ، وبعثوا جنداً إلى أهل هيت ، وكتب بذلك سعد إلى عمر ، فكتب إليه عمر :

« أن أبعث إليهم عمر بن مالك بن عتبة بن نوفل بن عبد مناف في جند ، وأبعث على مقدمته الحارث بن يزيد العامري ، وعلى مجنبتيه ربيعة ابن عامر ، ومالك بن حبيب » .

فسار إليها عمر بن مالك وفتحها . (تاريخ الطبري ٤ : ١٨٧)

٢٢٥ - كتب بين سعد وبين عمر

وقدِمَت الوفود على عمر رضى الله عنه بفتح جلولاء وحُلوان وتكريت فلما رآهم قال : والله ما هيئتكم بالهيئة التي أبدأتم بها ، ولقد قدِمَت وفود القادسية والمدائن ، وإنهم لكما أبدءوا ، فما غيَّركم ؟ قالوا : وخُومة البلاد ، فنظر في حوائجهم ، وعجل سراحهم .

وكتب حذيفة بن اليمان - وهو يومئذ مع سعد - إلى عمر :
« إن العرب قد أثرت بطونها ، وخفت أعضادها ، وتغيَّرت ألوانها »

فكتب عمر إلى سعد : « أنبئني : ما الذى غيّر ألوان العرب ولحومهم ؟ » ،
فكتب إليه سعد : « إن العرب خدّهم^(١) ، وكفأ ألوانهم ، وخومة المدائن
ودجلة » ، فكتب إليه عمر : « إن العرب لا يوافقها إلا ما وافق إبلها من
البلدان » فابعث سلمان رائداً وخديفة - وكانا رائدى الجيش - فليترادا
منزلاً برياً بحرياً . ليس بينى وبينكم فيه بحر ولا جسر » .

فبعث سعد خديفة وسلمان - الفارسي - فسار كل من جهة حتى اجتمعا
بالكوفة ، والكوفة على حصباء^(٢) ، فأعجبتهما البقعة وأخبرا سعداً بها ،
فتحول بالناس من المدائن إليها .

ولما نزل سعد الكوفة كتب إلى عمر :
« إني قد نزلت بكوفةً منزلاً بين الحيرة والفرات برياً بحرياً يُنبِت
الحلّى والنصى^(٣) ، وخيرت المسامين بالمدائن ، فمن أعجبه المقيم فيها تركته فيها
كالمسلحة : فبقى أقوام من الأفاء^(٤) ، وأكثرهم بنو عبس » .

وكان اختطاط الكوفة سنة ١٧ هـ . (تاريخ الطبرى ٤ : ١٨٩)

٢٢٦ - كتاب عمر إلى سعد

وخرج الروم وقد تكاثبوا هم وأهل الجزيرة يريدون أبا عبيدة والمسامين
بجمّص ، فكتب إلى عمر بخروجهم عليه ، فكتب عمر إلى سعد بن أبى وقاص :

-
- (١) أى هزل لحمهم ، وكفأ ألوانهم : أى غيرها من كفأ الاناء إذا كبته وقلبه .
(٢) وكل رملة حمراء يقال لها سملة (بالسكر) ، وكل حصباء ورمل هكذا مختاطين فهو كوفة .
(٣) النصى : نبت ، يقال له نصى مادام رطباً ، فإذا ضخم وييس فهو الحلّى ، وهو من خير مراعى
أهل البادية للنعم والخبيل . (٤) الأفاء : الأخلاط جمع فتو بالسكر ، ويقال هو من أفاء
القبائل : أى لا يدري من أى قبيلة هو .

« أن انڈب الناس مع القعقاع بن عمرو ، وسرّحهم من يومهم الذى يأتىك فيه كتابى إلى حمص ، فإن أبا عبيدة قد أحيط به ، وتقدّم إليهم فى الجند والحث » . (تاريخ الطبرى ٤ : ١٩٥)

٢٢٧ - كتاب عمر إلى سعد

وكتب أيضاً إليه :

« أن سرّح سهيل بن عدى إلى الجزيرة فى الجند ، وليأت الرقة ، فإن أهل الجزيرة هم الذين استثاروا الروم على أهل حمص ، وإن أهل قرقيسياء لهم سلف ، وسرّح عبد الله بن عتبّان إلى نصيبين ، فإن أهل قرقيسياء لهم سلف ، ثم لينفضاً^(١) حرّان والرّهاء ، وسرّح الوليد بن عقبة على عرب الجزيرة من ربيعة وتنوخ ، وسرّح عياضاً فإن كان قتال فقد جعلت أمرهم جميعاً إلى عياض بن غنم » . (تاريخ الطبرى ٤ : ١٩٥)

٢٢٨ - كتاب عمر إلى أبى عبيدة

ولما بلغ أهل الجزيرة الذين أعانوا الروم ، واستثاروهم أن الجنود قد ضربت من الكوفة ولم يدروا : الجزيرة يريدون أم حمص ، تفرقوا إلى بلدانهم ، وخلّوا الروم ، وعندئذ قاتل أبو عبيدة الروم فانتصر عليهم ، وقدم القعقاع فى أهل الكوفة فى ثلاث من يوم الوقعة ، فكتب أبو عبيدة إلى عمر بالفتح ، وبقدوم المدد عليهم فى ثلاث ، وبالحكم فى ذلك ، فكتب إليه عمر :

(١) أى ليعركا ، والمعنى ليقاتلا .

« أَنْ أَشْرِكُوهُمْ فَإِنَّهُمْ قَدْ نَفَرُوا إِلَيْكُمْ ، وَتَفَرَّقَ لَهُمْ عَدُوُّكُمْ » وقال :
« جَزَى اللَّهُ أَهْلَ الْكُوفَةِ خَيْرًا ، يَكْفُونُ حَوَزَتَهُمْ وَيُعِدُّونَ أَهْلَ الْأَمْصَارِ »
(تاريخ الطبري ٤ : ١٩٦)

٢٢٩ - كتاب عمر إلى سعد

وفي خبر أن عمر كتب إلى سعد :
« إِنَّ اللَّهَ قَدْ فَتَحَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ الشَّامَ وَالْعِرَاقَ ، فَابْعَثْ مِنْ عِنْدِكَ جُنْدًا
إِلَى الْجَزِيرَةِ ، وَأَمِّرْ عَلَيْهِمْ أَحَدَ الثَّلَاثَةِ : خَالِدَ بْنَ عُرْفُطَةَ ، أَوْ هَاشِمَ بْنَ عُثْبَةَ ،
أَوْ عِيَاضَ بْنَ غَنَمٍ » .
فلما انتهى إلى سعد كتاب عمر ، قال : مَا أَخَّرَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عِيَاضُ
ابْنَ غَنَمٍ آخِرَ الْقَوْمِ إِلَّا أَنَّهُ لَهُ فِيهِ هَوًى أَنْ أَوْلِيَهُ ، وَأَنَا مُؤَلِّيهِ .
وخرج عياض هو ومن معه إلى الجزيرة فافتتحوها سنة ١٧ هـ .
(تاريخ الطبري ٤ : ١٩٦)

٢٣٠ - عهد عياض بن غنم لأهل البصرة

وكتب عياض بن غنم لأهل الرقة كتابا ، وهو :
« بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . هَذَا مَا أَعْطَى عِيَاضُ بْنُ غَنَمٍ أَهْلَ الرِّقَّةِ يَوْمَ
دَخَلَهَا : أَعْطَاهُمْ أَمَانًا لَا أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَكُنَائِسَهُمْ لَا تُخْرَبُ وَلَا تُسَكَّنُ إِذَا
أَعْطَوْا الْجِزْيَةَ الَّتِي عَلَيْهِمْ ، وَلَمْ يُحْدِثُوا غِيلَةً^(١) ، وَعَلَى أَنْ لَا يُحْدِثُوا كَنِيسَةً

(١) الغيلة : الخديعة والاعتتيال ، وفي الأصل « مغيلة » ولم أجدها ، وفي لسان العرب : فلان قايل
العائلة والمغالة : أى النمر .

وَلَا بَيْعَةً، وَلَا يُظْهِرُوا نَاقُوسًا، وَلَا بَاغُوثًا^(١)، وَلَا صُلْبًا، وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا .
(فتوح البلدان للبلاذرى ص ١٨١)

٢٣١ - كتاب عياض إلى أسقف الرها

وكتب عياض إلى أسقف الرها :

« بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . هذا كتاب من عياض بن غنم لأُسقف الرها ، إنكم إن فتحتم لى باب المدينة على أن تُؤدّوا إلى عن كل رجل ديناراً ومُدَى^(٢) قَمِيح ، فَأَنْتُمْ آمِنُونَ عَلَى أَنْفُسِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ وَمَنْ تَبِعَكُمْ ، وَعَلَيْكُمْ إِرْشَادُ الضَّالِّ ، وَإِصْلَاحُ الْجُسُورِ وَالطَّرِيقِ ، وَنَصِيحَةُ الْمَسَامِينِ ، شَهِدَ اللَّهُ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا » (فتوح البلدان للبلاذرى ص ١٨٢)

٢٣٢ - عهد عياض لأهل الرها

وكتب لأهل الرها :

« بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . هذا كتاب من عياض بن غنم ومن معه من المسلمين لأهل الرها ، إِنِّي أَمَتُّهُمْ عَلَى دِمَائِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ ، وَذَرَارِيَّتِهِمْ وَنِسَائِهِمْ ، وَمَدِينَتِهِمْ وَطَوَاحِينِهِمْ ، إِذَا أَدَّوْا الْحَقَّ الَّذِي عَلَيْهِمْ ، وَلَنَا عَلَيْهِمْ أَنْ يُصْلَحُوا جُسُورُنَا ، وَيَهْدُوا ضَالَّتَنَا ، شَهِدَ اللَّهُ وَمَلَائِكَتُهُ وَالْمُسْلِمُونَ » .
(فتوح البلدان للبلاذرى ص ١٨٢)

(١) الباعوث عند النصارى كالأستقاء عندنا . (٢) المد : مكيال ، وهو ملء كفى الانسان المعتدل إذا ملأها ومد يديه بهما .

٢٣٣ - كتاب عمر إلى ملك الروم

وفي أثناء فتح الجزيرة ارتحلت إباد بن زرار ، واقتحموا أرض الروم ، فكتب بذلك الوليد بن عُقبة إلى عمر ، فكتب عمر إلى ملك الروم :
« إنه بلغني أن حيًّا من أحياء العرب ترك دارنا وأتى دارك ، فوالله لتُخرجَنَّهُ ، أولنَبِذَنَّ^(١) إلى النصارى ، ثم لنُخْرِجَنَّهُمْ إِلَيْكَ » .
فأخرجهم ملك الروم . (تاريخ الطبرى ٤ : ١٩٨)

٢٣٤ - كتاب عمر إلى حرقوص بن زهير

وافتح حُرْقُوص بن زُهَيْر السَّعْدِي سُوقَ الْأَهْوَازِ ، وَأَنْهَزَ الْهَرُمُزَانَ وَتَوَجَّهَ إِلَى رَامَهْرُمُزٍ ، ثُمَّ طَلَبَ الصَّلَحَ فَأَجِيبَ إِلَيْهِ ، وَبَلَغَ عُمَرَ أَنَّ حُرْقُوصًا نَزَلَ جَبَلَ الْأَهْوَازِ ، وَالنَّاسُ يَخْتَلِفُونَ إِلَيْهِ ، وَالْجَبَلُ كَثُودٌ^(٢) يَشْقُ عَلَى مَنْ رَامَهُ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ :
« بَلَّغْنِي أَنَّكَ نَزَلْتَ مَنْزِلًا كَثُودًا ، لَا تُؤْتَى فِيهِ إِلَّا عَلَى مَشَقَّةٍ ، فَأَسْهَلِ^(٣) ، وَلَا تَشْقَ عَلَى مُسْلِمٍ ، وَلَا مُعَاهَدٍ ، وَقُمْ فِي أَمْرِكَ عَلَى رِجْلٍ^(٤) تُدْرِكُ الْآخِرَةَ ، وَتَصِفُ لَكَ الدُّنْيَا ، وَلَا تُدْرِكَنَّكَ قَتْرَةٌ ، وَلَا عَجَلَةٌ ، فَتُكَدَّرَ دُنْيَاكَ ، وَتُذْهَبَ آخِرَتُكَ . (تاريخ الطبرى ٤ : ٢١٢)

(١) يقال : نابذناهم الحرب ، ونَبَذْنَا إِلَيْهِمُ الْحَرْبَ عَلَى سِوَاءٍ ، وَالنَّابِذَةُ : أَنْ يَكُونَ بَيْنَ فَرِيقَيْنِ مُخْتَلِفَيْنِ عَهْدٍ وَهَدَنَةٍ بَعْدَ اقْتِتَالٍ ، ثُمَّ أَرَادَا قَضَ ذَلِكَ الْعَهْدَ ، فَيَنْبِذُ كُلُّ فَرِيقٍ مِنْهُمَا إِلَى صَاحِبِهِ الْعَهْدَ الَّذِي تَهَادَنَا عَلَيْهِ . (٢) كَثُودٌ : صَعْبٌ .

(٣) أى أنزل السهل ، وشق عليه الأمر : صعب ، وشق على فلان أوقعه في المشقة .

(٤) الرجل بالكسر : الخوف والفرع من فوت الشيء ، يقال : أنا من أمرى على رجل : أى على خوف من فوته .

٢٣٥ - كتاب عمر إلى سعد

ولم يزل يزدجر دُيُثِيرَ أهل فارس ، أسفًا على ما خرج منهم ، فتحركوا
وكتبوا أهل الأهواز ، وتعاقدوا وتواثقوا على النصرة ، وبلغ ذلك عمر ،
فكتب إلى سعد - أمير الكوفة - :

أن أبعث إلى الأهواز بعثًا كثيفًا مع النعمان بن مقرن وعجل ، وأبعث
سويد بن مقرن ، وعبد الله بن ذى السهمين ، وجريير بن عبد الله الحميري ،
وجريير بن عبد الله البجلي ، فلينزِلوا بإزاء الهرمزان حتى يتبيّنوا أمره .
(تاريخ الطبري ٤ : ٢١٥)

٢٣٦ - كتاب عمر إلى أبي موسى

وكتب إلى أبي موسى - أمير البصرة -

« أن أبعث إلى الأهواز جنودًا كثيفًا ، وأمر عليهم سهل بن عديّ أخا
سهيل بن عديّ ، وابعث معه البراء بن مالك ، وعاصم بن عمرو ، ومجزة
ابن ثور ، وكعب بن سور ، وعرفجة بن هرثمة ، وحذيفة بن محصن ،
وعبد الرحمن بن سهل ، والحصين بن مَعْبِد ، وعلى أهل الكوفة ، وأهل
البصرة جميعًا أبو سبرة بن أبي رهم ، وكل من أتاه مُدُّله » .

وخرجت جيوش المسلمين إلى الأهواز ، والهرمزان يومئذ براءهرمزان ،
فلما سمع بمسيرهم إليه بادَرهم الشدة ، واقتتل الفريقان قتالًا شديدًا ، وهزم
الهرمزان ، ولحق بِسُتَر ، فتبعه المسلمون إليها ، وحاصروها ثم فتحوها
وأسروا الهرمزان ، وأوفده أبو سبرة إلى عمر ، وقد أسلم بين يديه .

(تاريخ الطبري ٤ : ٢١٥)

٢٣٧ - كتاب عمر إلى أبي سبرة

وساروا إلى الشَّوسِ ففتحوها ، ثم نزلوا على جُنْدَيْسَابُورِ فحاصروها ، وما زالوا مقيمين عليها ، حتى رُمِيَ إِلَيْهِمْ بِالْأَمَانِ مِنْ عَسْكَرِ الْمُسْلِمِينَ ، فَإِذَا أَبْوَابُهَا تَفْتَحُ ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِمُ الْمُسْلِمُونَ أَنْ مَا لَكُمْ ؟ قَالُوا : رَمَيْتُمْ إِلَيْنَا بِالْأَمَانِ فَقَبَلْنَاهُ ، فَقَالُوا : مَا فَعَلْنَا ، فَقَالُوا : مَا كَذَبْنَا ، فَسَأَلَ الْمُسْلِمُونَ فِيمَا بَيْنَهُمْ ، فَإِذَا عَبْدٌ يُدْعَى مُكْنِفًا كَانَ أَصْلَهُ مِنْهَا هُوَ الَّذِي كَتَبَ لَهُمْ ، فَقَالُوا : إِنَّمَا هُوَ عَبْدٌ ، فَقَالُوا : إِنَّا لَا نَعْرِفُ حُرَّكُمْ مِنْ عِبْدِكُمْ ، قَدْ جَاءَ أَمَانٌ فَنَحْنُ عَلَيْهِ قَدْ قَبَلْنَاهُ وَلَمْ نُبَدِّلْ ، فَإِنْ شِئْتُمْ فَاغْدِرُوا ، فَأَمْسَكُوا عَنْهُمْ ، وَكَتَبُوا بِذَلِكَ إِلَى عُمَرَ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِمْ :

« إِنَّ اللَّهَ عَظَّمَ الْوَفَاءَ ، فَلَا تَكُونُونَ أَوْفِيَاءَ حَتَّى تَقُؤُوا مَا دَمْتُمْ فِي شَكِّ ، أَجِيزُوهُمْ وَفُؤُوا لَهُمْ . »

فَوَفُؤُوا لَهُمْ وَانْصَرَفُوا عَنْهُمْ . (تاريخ الطبري ٤ : ١٢١)

٢٣٨ - كتاب النعمان بن مقرن إلى عمر

وكان النُّعْمَانُ بْنُ مَقْرَنٍ عاملاً على كَشْكَرٍ ، فَكَتَبَ إِلَى عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يُخْبِرُهُ « أَنْ سَعْدَ بْنَ أَبِي وَقَّاصٍ اسْتَعْمَلَهُ عَلَى جَبَايَةِ الْخِرَاجِ ، وَقَدْ أُحْبِيتُ الْجِهَادَ ، وَرَغِبْتُ فِيهِ . » (تاريخ الطبري ٤ : ٢٣١)



وروى أنه كتب إلى عمر :

« يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنْ مَثَلِي وَمَثَلُ كَشْكَرٍ كَمَثَلِ رَجُلٍ شَابٍ إِلَى

جَنَّبَهُ مُومِسَةٌ^(١) تَلَوَّنُ لَهُ وَتَعَطَّرُ ، فَأَنْشُدُكَ اللَّهَ لَمَّا عَزَلْتَنِي عَنْ كَسْكَرٍ ،
وَبَعَثْتَنِي إِلَى جَيْشٍ مِنْ جِيُوشِ الْمُسْلِمِينَ » .

(تاريخ الطبري ٤ : ٢٣٩ ، وكتاب الخراج ص ٣٨)

٢٣٩ - كتاب عمر إلى سعد

فكتب عمر إلى سعد :

« إِنْ النِّعْمَانُ كَتَبَ إِلَيَّ يَذْكُرُ أَنَّكَ اسْتَعْمَلْتَهُ عَلَى جَبَايَةِ الْخِرَاجِ ، وَأَنَّهُ
قَدْ كَرِهَ ذَلِكَ وَرَغِبَ فِي الْجِهَادِ ، فَأَبْعَثْ بِهِ إِلَى أَهْمِ وَجُوهِكَ : إِلَى نَهَاوَنْدٍ » .
(تاريخ الطبري ٤ : ٢٣١)

٢٤٠ - كتاب عبد الله بن عبد الله بن عتبان إلى عمر

وكانت جموع الفرس قد تجمعت بنهاوند ، وتأهبوا لقتال المسلمين ،
وبلغ الخبر سعداً ، وقد استخلف عبد الله بن عبد الله بن عتبان على الكوفة ،
وشخص إلى عمر فلقية بالخبر مُشافهةً ، وقد كان كتب إلى عمر بذلك وقال :
إِنْ أَهْلَ الْكُوفَةِ يَسْتَأْذِنُونَكَ فِي الْإِنْسِيَاكِ فِي أَنْ يَبَادِرُوهُمْ الشَّدَّةَ - وَقَدْ كَانَ
عُمَرُ مَنَعَهُمْ مِنَ الْإِنْسِيَاكِ فِي الْجَبَلِ - وَكَتَبَ إِلَيْهِ أَيْضاً عَبْدُ اللَّهِ :

« إِنَّهُ قَدْ تَجَمَّعَ مِنْهُمْ خَمْسُونَ وَمِائَةً أَلْفٍ مُقَاتِلٍ ، فَإِنْ جَاءَ وَنَا قَبْلَ أَنْ
نُبَادِرَهُمُ الشَّدَّةَ ، أَزْدَادُوا جُرْأَةً وَقُوَّةً ، وَإِنْ نَحْنُ عَاجِلُنَا هُمْ كَانَ لَنَا ذَلِكُمْ عَلَيْهِمْ »
(تاريخ الطبري ٤ : ٢٣٧)

(١) امرأة مومس ومومسة : فاجرة أو مجاهرة بالفجور ، من المومس كوعد ، وهو احتكاك الشيء بالشيء حتى ينجرد ، وأومست : أمكنت من المومس .

٢٤١ - كتاب عمر إلى النعمان بن مقرن

فكتب عمر إلى النعمان بن مقرن :

« بسم الله الرحمن الرحيم . من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى النعمان ابن مقرن ، سلام عليك ، فإنني أحمدُ إليك الله الذي لا إله إلا هو ، أما بعد : فإنه قد بلغني أن جموعاً من الأعاجم كثيرة قد جمَعوا لكم بمدينة نهاوند ، فإذا أتاك كتابي هذا ، فسرّ بأمر الله ، وبعوّن الله ، وبنصر الله بمن معك من المسلمين ، ولا تُوطئهم وعرّاً فتؤذيهم ، ولا تمنعهم حقهم فتكفرهم ، ولا تدخلهم غيضةً ، فإن رجلاً من المسلمين أحبُّ إليّ من مائة ألف دينار ، والسلام عليك » . (تاريخ الطبري ٤ : ٢٣٢)

٢٤٢ - كتاب عمر إلى النعمان بن مقرن

وكتب عمر إليه أيضاً :

« إني قد وليتك حربهم ، فسرّ من وجهك ذلك ، حتى تأتي «مئة» فإنني قد كتبتُ إلى أهل الكوفة أن يوافوك بها ، فإذا اجتمع لك جنودك فسرّ إلى الفيرزان ، ومن تجمّع إليه من الأعاجم من أهل فارس وغيرهم ، واستنصروا الله ، وأكثرُوا من قول : لا حولَ ولا قوّةَ إلا بالله » .

(تاريخ الطبري ٤ : ٢٣٩)

٢٤٣ - كتاب عمر إلى عبد الله بن عبد الله بن عتبان

وكتب عمر إلى عبد الله بن عبد الله بن عتبان :

« أَنْ اسْتَنْفِرَ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ مَعَ النِّعْمَانِ كَذَا وَكَذَا ، فَإِنِّي قَدْ كَتَبْتُ إِلَيْهِ بِالتَّوَجُّهِ مِنَ الْأَهْوَازِ إِلَى « مَاه » فَلْيُؤَافِقُوهُ بِهَا ، وَلْيَسِرْ بِهِمْ إِلَى نِهَازِنْد ، وَقَدْ أَمَرْتُ عَلَيْهِمْ حُذَيْفَةَ بْنَ الْيَمَانِ ، حَتَّى يَنْتَهِيَ إِلَى النِّعْمَانِ بْنِ مُقَرَّرٍ ، وَقَدْ كَتَبْتُ إِلَى النِّعْمَانِ إِنَّا حَدَّثَ بَكَ حَدَّثَ فَعَلَى النَّاسِ حُذَيْفَةُ بْنُ الْيَمَانِ ، فَإِن حَدَّثَ بِحُذَيْفَةَ حَدَّثَ . فَعَلَى النَّاسِ نُعَيْمُ بْنُ مُقَرَّرٍ » . (تاريخ الطبري ٤ : ٢٢٩)

٢٤٤ - كتاب عمر إلى القواد بفارس

وكتب عمر إلى قواد فارس الذين كانوا بين فارس والأهواز :

« أَنْ أَشْغَلُوا فَارِسَ عَنْ إِخْوَانِكُمْ ، وَحُوطُوا بِذَلِكَ أُمَّتَكُمْ وَأَرْضَكُمْ ، وَأَقِيمُوا عَلَى حُدُودِ مَا بَيْنَ فَارِسَ وَالْأَهْوَازِ حَتَّى يَأْتِيَكُمُ أَمْرِي »
(تاريخ الطبري ٤ : ٢٢٩)

٢٤٥ - عهد النعمان بن مقرن لأهل ماه بهراذان

وأتى النعمان بن مقرن ماه بهراذان فجاءه أهلها يطلبون الصلح فأجابهم وكتب لهم كتاباً ، نصه :

« بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، هَذَا مَا أَعْطَى النِّعْمَانُ بْنُ مُقَرَّرٍ أَهْلَ مَاهِ بَهْرَازَانَ : أَعْطَاهُمُ الْأَمَانَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ وَأَرْضِهِمْ ، لَا يُغَيِّرُونَ عَنْ مِلَّةٍ ،

ولا يُحال بينهم وبين شرائعهم ، ولهم المنعة ما أدّوا الجزية في كل سنة إلى من وليهم ، على كل حالمٍ في ماله ونفسه على قدر طاقته ، وما أرشدوا ابن السبيل ، وأصلحوا الطرق ، وقرأوا^(١) جنود المسلمين ممن مرّ بهم فأوى إليهم يوماً وليلة ، ووفّوا ونصّحوا ، فإن غشوا وبدّلوا فذمّتنا منهم بريئة »
شهد عبد الله بن ذى السّهمين والققعاق بن عمرو وجريّر بن عبد الله .
وكتب في المحرم سنة تسع عشرة .



وكتب حذيفة بن اليمان لأهل ماه دينار كتاباً صورته كذلك .
(تاريخ الطبرى ٤ : ٢٤٥)

٢٤٦ - كتاب عمر إلى النعمان بن مقرن

ولما قدّم أهل الكوفة على النعمان بالطّزّر جاءه كتاب عمر :
« إن معك حدّ العرب ورجالهم في الجاهلية فأدخلهم دون من هم دونهم في العلم بالحرب ، واستعنّ بهم ، وأشرب^(٢) برأيهم ، وسلّ طليحة وعمراً وعمراً^(٣) ، ولا تولّهم شيئاً » .
(تاريخ الطبرى ٤ : ٢٤٠)

(١) أى أضافوهم وأكرمهم .

(٢) شرب : أى روى ، والمعنى : وتقرّ برأيهم .

(٣) هم طليحة بن خويلد الأسدى ، وعمرو بن أبى سلمى العنزى ، وعمرو بن معديكرب الزيدى ، وقد بعث بهم النعمان طليعة من الطزّر ليكشفوا له الطريق إلى نهاوند ، ونجح منهم فى ذلك طليحة ، فأثنى النعمان وأعلمه أن ليس بينه وبين نهاوند شيء يكرهه .

٢٤٧ - كتاب عمر إلى النعمان

وسار النعمان بجيشه إلى نهاوند حتى نزل عليها ، وكتب إليه عمر :
« إِذَا لَقِيتُمُ الْعَدُوَّ فَلَا تَقِرُّوْا ، وَإِذَا غَنِمْتُمْ فَلَا تَغْلُوْا ^(١) » .

(كتاب الحراج ص ٤٠)

ونشب القتال بين الفريقين ، ودارت الدائرة على جيش الفرس ،
وفتحت نهاوند سنة ١٩ هـ ، غير أن النعمان أُسْتُشْهِدَ في أثناء المعركة ،
فَسَجَّاهُ ^(٢) أخوه نعيم بن مُقَرَّنْ شوب ، وكتب قتلَه عن الجند لئلا يهزوا حتى
فَتَحَ اللهُ عليهم .

٢٤٨ - كتاب عمر إلى نعيم بن مقرن

وانهزم الفرس هاربين نحو همدان فكتب عمر إلى نعيم بن مُقَرَّنْ :
« أَنْ سِرَّ حَتَّى تَأْتِيَ هَمْدَانَ ، وَابْعَثْ عَلَى مُقَدِّمَتِكَ سُوَيْدَ بْنَ مُقَرَّنْ ،
وَعَلَى مَجَنَّبَتَيْكَ رَبِيعِ بْنَ عَامِرٍ وَمُهْلِلَ بْنَ زَيْدٍ
فَسَارَ إِلَيْهَا نَعِيمٌ وَافْتَتَحَهَا
(تاريخ الطبري ٤ : ٢٥١)

٢٤٩ - كتاب عمر إلى عبد الله بن عبد الله بن عتبان

ولما أتى عمر فتح نهاوند ، ورأى أن يزدجرد يبعث عليه في كل عام حرباً ،
أَذِنَ لِلنَّاسِ فِي الْإِنْسِيَاكِ فِي أَرْضِ الْعَجَمِ ، فَكَتَبَ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ
اللَّهِ بْنِ عِثْبَانَ :

(١) غل : كنصر . وأغل : خان . (٢) تسجية الميت : تغطيته .

« أَنْ سِرَ مِنْ الْكَوْفَةِ حَتَّى تَنْزَلَ الْمَدَائِنَ ، فَأَنْذِبُهُمْ وَلَا تَنْتَجِبَهُمْ ،
وَاصْبِرْ إِلَى ذَلِكَ » ثُمَّ سَيَّرَهُ إِلَى أَصْبَهَانَ ، (تاريخ الطبري ٤ : ٢٤٦)

٢٥٠ - كتاب عمر إلى أهل الكوفة

وكتب عمر إلى أهل الكوفة :

« إِنِّي بَعَثْتُ إِلَيْكُمْ عَمَّارَ بْنَ يَاسِرٍ أَمِيرًا ، وَجَعَلْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ
مُعَاوَنًا وَوَزِيرًا ، وَوَلَّيْتُ حُذَيْفَةَ بْنَ الْيَمَانِ مَا سَقَتْ دِجْلَةُ وَمَا وُورَاءَهَا ،
وَوَلَّيْتُ عُثْمَانَ بْنَ حُنَيْفٍ الْفُرَاتَ وَمَا سَقَى » . (تاريخ الطبري ٤ : ٢٤٧)

٢٥١ - عهد عبد الله بن عبد الله للفاذوسفان وأهل أصبهان

وسار عبد الله بن عبد الله إلى أصبهان ، وَمَلَكَهَا يَوْمَئِذٍ الْفَاذُوسَفَانُ ،
وَنَزَلَ بِالنَّاسِ عَلَى « جَيْ » فَخَاصَرَهُمْ ، ثُمَّ طَلَبَ الْفَاذُوسَفَانَ الْمَصَالِحَةَ ، فَصَالَحَهُ
عَبْدُ اللَّهِ ، وَكَتَبَ لَهُ كِتَابًا ، نَصَهُ :

« بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . كِتَابٌ مِنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ لِلْفَاذُوسَفَانِ
وَأَهْلِ أَصْبَهَانَ وَمَا حَوْلَئِهَا .

إِنَّكُمْ آمَنُونَ مَا أُدِّيتُمُ الْجُزْيَةَ ، وَعَلَيْكُمْ مِنَ الْجُزْيَةِ بِتَقْدِيرِ طَائِفَتِكُمْ فِي كُلِّ
سَنَةٍ ، تُؤَدُّونَهَا إِلَى الَّذِي يَمْلِكُ بِبِلَادِكُمْ ، عَنْ كُلِّ حَالٍ ، وَدَلَالَةِ الْمُسْلِمِ ، وَإِصْلَاحِ
طَرِيقِهِ ، وَقِرَاءَةِ يَوْمًا وَلَيْلَةً ، وَمُخْلَانٍ^(١) الرَّاجِلَةَ إِلَى مَرْحَلَةٍ ، لَا تُسَلِّطُوا
عَلَى مُسْلِمٍ .

(١) المخلان مصدر حمل كالحمل . والمرحلة : المسافة التي يقطعها المسافر في نحو يوم .

وللمسلمين، نُصَحُّكم وأداء ما عليكم ، ولكم الأمانُ ما فعلتم ، فإذا غيَّرتم شيئاً أو غيَّره مغيرٌ منكم ولم تُسأموه فلا أمانَ لكم ، ومن سبَّ مسلماً بُلغ منه فإنَّ ضربه قتلناه .

وكتب وشهد عبد الله بن قيس ، وعبد الله بن ورقاء وعصمة بن عبد الله (تاريخ الطبري ٤ : ٢٤٨)

٢٥٢ - كتاب عمر إلى عبد الله بن عبد الله

وكتب عبد الله بن عبد الله بذلك إلى عمر ، فكتب إليه عمر :
« أن سِرَّ حتى تَقْدَم على سُهيل بن عديٍّ ، فتجَامِعَهُ على قتال من بكرَّ مان ، وخلف في جِيٍّ مَنْ يَبْقَى عن جِيٍّ ، واستخلف على أصبهان السائب ابن الأقرع . » (تاريخ الطبري ٤ : ٢٤٨)

٢٥٣ - كتب بين عمر وبين حذيفة بن اليمان

وبعث عمر إلى حذيفة بن اليمان بعد ما ولَّاه المدائن :
« إنه بلغني أنك تزوجت امرأة من أهل المدائن من أهل الكتاب فطَلَّقْهَا » فكتب إليه :
« لا أفعلُ حتى تُخْبِرَنِي : أَحَلالٌ أم حَرَامٌ ؟ وما أردتَ بذلك » فكتب إليه :
« لا ، بل حلال ، ولكن في نساء الأعاجم خِلابة^(١) ، فإن أقبلتم عليهن غلبنكم على نسائكم . »

فقال : الآن « فَطَلَّقْهَا » : (تاريخ الطبري ٤ : ١٤٧)

(١) خلبه كنصره : خلبا بالفتح وخبلا بالضم والكسر : خدعه .

٢٥٤ - كتب بين عمر وبين عثمان بن حنيف

وأقطع عمر رضى الله عنه نفرأ منهم جرير بن عبد الله ، فكتب إلى عثمان بن حنيف مع جرير :

« أما بعدُ : فأقطع جرير بن عبد الله قدر ما يقوته ، لا وكس^(١) ، ولا شطط » ، فكتب عثمان إلى عمر :

« إن جريراً قدِم على بكتاب منك تُقطعه ما يقوته ، فكرهت أن أمضي ذلك حتى أراجعك فيه » .

فكتب إليه عمر :

« أن قد صدق جرير فأنفذ ذلك ، وقد أحسنت في مؤامرتي^(٢) » .

(تاريخ الطبري ٤ : ١٤٨)

٢٥٥ - كتاب عمر إلى نعيم بن مقرن

وبينا نعيم بن مقرن في همدان ، تكاتب الدَّيْلَمُ ، وأهل الرِّى ، وأهل أذربيجان ، واجتمعت جموعهم بواج رُود ، وبلغ الخبر نعيماً فاستخلف يزيد ابن قيس ، وخرج إليهم ، واقتتلوا قتالاً شديداً كان النصر فيه حليف المسلمين ، ثم كتب إلى عمر بالفتح ، فكتب إليه عمر :

« أما بعدُ : فاستخلف على همدان ، وأمد بكثير بن عبد الله بسمائك »

(١) الوكس : التنقيص . (٢) المؤامرة : المشاورة .

ابن خَرَشَةَ^(١)، وسِرَّ حتى تَقْدَمَ الرِّىَّ، فَتَلَقَى جَمْعَهُمْ، ثُمَّ أَقِمَّ بِهَا فَإِنِهَا أَوْسَطُ
تلك البلاد وأَجْمَعُهَا لِمَا تَرِيدُ .

فَأَقَرَّ نَعِيمَ يَزِيدَ بنِ قَيْسِ الهمداني على همدان، وسار إلى الرى ففتحها،
وكتب إلى عمر بالفتح . (تاريخ الطبرى ٤ : ٢٥٢)

٢٥٦ - عهد نعيم بن مقرن لأهل الرى

وكتب نعيم لأهل الرى كتابا، نصه :

« بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . هذا ما أعطى نعيم بن مقرن الزينى
ابن قوله ، أعطاه الأمان على أهل الرى ، ومن كان معهم من غيرهم ، على
الجزاء طاقة كل حالم في كل سنة ، وعلى أن ينصحوا ويدلوا ، ولا يغلوا
ولا يسئلوا^(٢) ، وعلى أن يقرؤا المسلمين يوما وليلة ، وعلى أن يفحّموا المسلم ،
فمن سب مسلما ، أو استخفَّ به ، نُهِكَ عُقُوبَةً^(٣) ، ومن ضربه قُتِلَ ، ومن
بدّل منهم فلم يُسَلِّمْ بِرُمَّتْهُ فَقَدْ غَيَّرَ جَمَاعَتَكُمْ » ، وكتب وشهد :

(تاريخ الطبرى ٤ : ٢٥٣)

٢٥٧ - عهد نعيم بن مقرن لأهل دنباوند

وأرسله المصنغان في الصلح على شيء يفتدى به منهم من غير أن يسأله
النصر والمنعة ، فقبل منه ، وكتب بينه وبينه كتابا ، نصه :

(١) ليعينه على فتح أذربيجان .

(٢) غل كنصر ، وأغل : خان ، وسل كنصر أيضا وأسل : سرق .

(٣) أى بولغ في عقوبته .

« بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . هذا كتاب من نعيم بن مقرن لمرءٍ دأبناه
مصمغان دُباؤند ، وأهل دُباؤند ، والخوار ، واللاز ، والشرز :
« إنك آمنٌ ومن دخل معك ، على الكف : أن تكفَّ أهل أرضك ،
وتتق من ولي الفرج^(١) بمائتي ألف درهمٍ وزن سبعة^(٢) في كل سنة ، لا يُغار
عليك ، ولا يُدخل عليك إلا بإذن ، ما أقت على ذلك حتى تغير ، ومن غير
فلا عهد له ، ولا لمن لم يُسلمه » .

وكتب وشهد . (تاريخ الطبري ٤ : ٢٥٣)

٢٥٨ - كتاب عمر إلى نعيم بن مقرن

ولما كتب نعيم بفتح الرئي إلى عمر ، كتب إليه عمر :
« أَنْ قَدَّمْتُ سُوَيْدَ بْنَ مُقَرِّنٍ إِلَى قَوْمِيسَ ، وَابْعَثْ عَلَى مَقْدَمَتِهِ سِمَاكَ
ابن مخزومة ، وعلى مجنبتيه عتيبة بن النّساس ، وهند بن عمرو الجملي » .
ففصل سُويد نحو قوميس وفتحها . (تاريخ الطبري ٤ : ٢٥٤)

(١) الفرج : الثغر وموضع الخفاة .

(٢) أي وزن كل عشرة دراهم سبعة مثاقيل ، وذلك أن الدراهم في عهد عمر كانت مختلفة ، فنها
ما كان وزن عشرة دراهم منه [على وزن عشرة مثاقيل ، ومنها ما وزن العشرة منه على وزن ست
مثاقيل ، ومنها وزن العشرة منه على وزن خمسة مثاقيل ، فاختلف أصحاب الأموال وعمل بيت المال ،
فأراد الأولون أن يؤدوها من النوع الثالث ، وأبى الآخرون أن يأخذوها إلا من النوع الأول ،
فجمع عمر رضي الله عنه الأنواع الثلاثة وأخذ ثلثها فكان سبعة ، فصار المعتبر من ذلك الوقت أن وزن
عشرة دراهم سبعة مثاقيل في كل المفدرات الشرعية ، حتى في الزكاة ونصاب السرقة والمهر وتقدير
الديات ، منعاً للخصومة في المعاملة . انظر حاشية ابن عابدين على الدرر ج ٢ : ص ٢٨ ، وشرح العناية على
الهداة ، وشرح فتح القدير ج ١ ص ٥٢١ وفتح البلدان للبلاذري من ٤٧١ .

٢٥٩ - عهد سويد بن مقرن لأهل قومس

وكتب سويد لأهل قومس كتاباً نصه :
« بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ما أعطى سويد بن مقرن أهل قومس ،
ومن حشوا ، من الأمان على أنفسهم ومملهم وأموالهم ، على أن يؤدوا الجزية
عن يدٍ ، عن كل حالم بقدر طاقته ، وعلى أن ينصحوا ، ولا يفسدوا ، وعلى أن
يدلوا ، وعليهم نزل^(١) من نزل بهم من المسلمين يوماً وليلةً من أوسط
طعامهم ، وإن بدلوا واستخفوا بعهدهم فالذمة منهم بريئة » .
وكتب وشهد . (تاريخ الطبري ٤ : ٢٥٤)

٢٦٠ - عهد سويد بن مقرن لأهل جرجان

وسار سويد إلى جرجان فبادره ملكها بالصلح على أن يؤدي الجزاء
فأجابته ، وكتب له كتاباً ، نصه :
« بسم الله الرحمن الرحيم . هذا كتاب من سويد بن مقرن لرؤبان
صول بن رؤبان ، وأهل دِهستان ، وسائر أهل جرجان .
إن لكم الذمة وعلينا المنعة ، على أن عليكم من الجزاء في كل سنة على
قدر طاقتكم على كل حالم ، ومن استعنا به منكم فله جزاؤه في معونته عوضاً
من جزائه ، ولهم الأمان على أنفسهم وأموالهم ومملهم وشرائعهم ، ولا
يغير شيء من ذلك هو إليهم ، ما أدوا وأرشدوا ابن السبيل ، ونصحوا وقرأوا

(١) النزل كمنق وقفل : ما هي للضيف أن ينزل عليه ، أى القرى .

المسلمين ولم يَبْد منهم سَلٌّ ولا غَلٌّ ، ومن أقام فيهم فله مثلُ ما لهم ، ومن خرج فهو آمن حتى يبلغ مأمنه ، وعلى أن من سَبَّ مسلماً بُلغَ جهده ، ومن ضربه حَلَّ دمه .

شهد سَواد بن قُطَبة ، وهند بن عمرو ، وسِمَاك بن مَخْرمة ، وعُتَيْبَةُ ابن النَّهَّاس ، وكتب في سنة ثمانى عشرة . (تاريخ الطبرى ٤ : ٢٥٤)

٢٦١ — عهد سويد بن مقرن لأهل طبرستان

وراسله صاحب طَبْرِسْتَان فى الصلح ، فقبل منه ، وكتب له كتاباً نصه :
« بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . هذا كتاب من سَويد بن مُقَرَّنَ للفرُّخان أَصْبَهَنَدُ خُرَاسَان على طَبْرِسْتَان وَجِيلِ جَيْلان من أهل العدو .
إِنَّكَ آمِنٌ بِأَمَانِ اللَّهِ عز وجل على أَنْ تَكُفَّ لُصُوتَكَ^(١) ، وأهل حَوَاشِي أَرْضِكَ ، ولا تُؤْوِي لَنَا بُغْيَةً ، وَتَتَّقِ من وَلِيِّ فَرَجِ أَرْضِكَ ، بِخَمْسَمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ من دِراهِمِ أَرْضِكَ ، فَإِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ فَلَيْسَ لِأَحَدٍ مِنَّا أَنْ يُغَيِّرَ عَلَيْكَ ، ولا يَطْرُقَ أَرْضَكَ ، ولا يَدْخُلَ عَلَيْكَ إِلَّا بِإِذْنِكَ ، سَبِيلُنَا عَلَيْكُمْ بِالْإِذْنِ آمِنَةٌ ، وكذلك سَبِيلُكُمْ ، ولا تُؤْوُونَ لَنَا بُغْيَةً ، ولا تَسْلُونَا إلى عَدُوٍّ ولا تَعْلُونَا ، فَإِنْ فَعَلْتُمْ فَلَا عَهْدَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ » .

شهد سَواد بن قُطَبة التَّمِيمى ، وهند بن عمرو المُرَادى ، وسِمَاك بن مَخْرمة الأَسَدى ، وسِمَاك بن عُبيد العبسى ، وعُتَيْبَةُ بن النَّهَّاس البكرى ، وكتب سنة ثمانى عشرة . (تاريخ الطبرى ٤ : ٢٥٤)

(١) اللصوت : اللصوص جمع لصت مثلك اللام .

٢٦٢ — عهد عتبة بن فرقد لأهل أذربيجان

وسار بُكَيْر بن عبد الله إلى أذربيجان ، وأمدّه نعيم بن مقرن بِسِمَاك
ابن خَرَشَةَ ، وَعُتْبَةَ بن فرقد ففتحوها ، ثم وَلَّى عمر عتبة على أذربيجان ،
فكتب بينه وبين أهلها كتاباً ، نصه :

« بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . هذا ما أعطى عُتْبَةُ بن فرقد عامل عمر
ابن الخطاب أمير المؤمنين أهلَ أذربيجان سَهْلَهَا ، وَجَبَلَهَا ، وَحَوَاشِيَهَا ،
وَشِفَارِهَا^(١) ، وَأَهْلَ مِلَلِهَا كُلِّهِمْ ، الْأَمَانَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ ، وَأَمْوَالِهِمْ ، وَمِلَلَهُمْ ،
وَشَرَائِعِهِمْ ، عَلَى أَنْ يُؤَدُّوا الْجُزْيَةَ عَلَى قَدْرِ طَاقَتِهِمْ ، لَيْسَ عَلَى صَبِيٍّ ، وَلَا أَمْرَأَةٍ
وَلَا زَمَنِ^(٢) لَيْسَ فِي يَدَيْهِ شَيْءٌ مِنَ الدُّنْيَا ، وَلَا مُتَعَبِدٌ مُتَخَلِّلٌ لَيْسَ فِي يَدَيْهِ
مِنَ الدُّنْيَا شَيْءٌ ، لَهُمْ ذَلِكَ وَلَمْ يَسْكُنْ مَعَهُمْ ، وَعَلَيْهِمْ قَرَى الْمُسْلِمِ مِنْ جُنُودِ
الْمُسْلِمِينَ يَوْمًا وَلَيْلَةً وَدَلَالَتُهُ ، وَمِنْ حُسَيْرٍ^(٣) مِنْهُمْ فِي سَنَةٍ وَضِعَ عَنْهُ جِزَاءُ تِلْكَ
السَّنَةِ ، وَمَنْ أَقَامَ فَلَهُ مِثْلُ مَا لِمَنْ أَقَامَ مِنْ ذَلِكَ ، وَمَنْ خَرَجَ فَلَهُ الْأَمَانُ حَتَّى
يَلْجَأَ إِلَى حِرْزِهِ » .

وكتب جُنْدُبٌ ، وشهد بكير بن عبد الله الليثي ، وسماك بن خَرَشَةَ
الأنصاري ، وكتب في سنة ثمانٍ عشرة . (تاريخ الطبري ٤ : ٢٥٥)

(١) الشفر بالضم والشفير : ناحية كل شيء . (٢) الزمانة بالفتح : العاهة ، زمن كفرح
هو زمن وزمين . (٣) أي ندب إلى المغازي .

٢٦٣ - عهد سُرَاقَة بن عمرو أهل لأرمينية

وسار سُرَاقَة بن عمرو إلى الباب - وملكها يومئذ شهر برّاز - فكتب سُرَاقَة في الصلح فأجابه ، وكتب لهم كتاباً نصه :

« بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ما أعطى سُرَاقَة بن عمرو عاملُ أمير المؤمنين عمر بن الخطاب شهر برّاز ، وسُكَّان أرمينية والأرمن ، من الأمان ، أعطاهم أماناً لأنفسهم ، وأموالهم ، ومِلَّتَهُمْ : ألاَّ يُضَارَّوْا ، ولا يُنْتَقَصَوْا ، وعلى أهل أرمينية والأبواب : الطُّرَّاءُ منهم والثَّنَاءُ^(١) ، ومن حَوْلِهِمْ فَدَخَلَ مَعَهُمْ أَنْ يَنْفِرُوا لِكُلِّ غَارَةٍ ، وَيَنْفُذُوا لِكُلِّ أَمْرٍ نَابٍ أَوْ لَمْ يَنْبُ رَأَاهُ الْوَالِي صَلاَحًا ، عَلَى أَنْ تَوْضَعَ الْجِزَاءَ عَنْهُمْ أَجَابَ إِلَى ذَلِكَ : إِلَى^(٢) الْحَشْرِ ، وَالْحَشْرُ عِوَضٌ مِنْ جِزَائِهِمْ ، وَمَنْ اسْتُغْنَى عَنْهُمْ وَقَعْدَ فَعَلِيهِ مِثْلُ مَا عَلَى أَهْلِ أَذْرَبَجَانٍ مِنَ الْجِزَاءِ وَالذَّلَالَةِ ، وَالتَّزَلُّ يَوْمًا كَامِلًا ، فَإِنْ حُشِرُوا وَضِعَ ذَلِكَ عَنْهُمْ ، وَإِنْ تَرَكَوْا أَخَذُوا بِهِ . »

شهد عبد الرحمن بن ربيعة ، وسلمان بن ربيعة ، وبُكَيْرُ بن عبد الله ، وكتب مَرْضِيُّ بن مُقَرَّرٍ وشهد .

ووجه سُرَاقَة بعد ذلك ، بُكَيْرُ بن عبد الله ، وحبیب بن مَسْلَمَة ، وحُذَيْفَة ابن أَسِيد ، وسلمان بن ربيعة إلى أهل الجبال المحيطة بأرمينية ، فوجه بكيراً إلى مُوقَانَ ، وحبیباً إلى تَقْلِس ، وحُذَيْفَة إلى جبال اللان ، وسلمان إلى الوجه الآخر . (تاريخ الطبری ٤ : ٢٥٧)

(١) طرأ على القوم كنع : طلع عليهم من بلد آخر ، فهو طارئ والجمع طرّاء ، وتناً بالسكان كنع أيضاً فهو تاني ، والجمع تناء . (٢) في الأصل «إلا» وهو تحريف .

٢٦٤ - عهد بكير بن عبد الله لأهل موقان

ومضى أولئك القواد ، فلم ينتح أحد منهم ما وجه له إلا بكير ، فإنه
فضّ موقان ، ثم تراجعوا على الجزية ، فكتب لهم كتاباً ، نصه :

« بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ما أعطى بُكَيْرُ بن عبد الله أهل موقان
من جبال القَبَج : الأمان على أموالهم وأنفسهم وملتهم وشرائعهم على الجزاء
دينار عن كل حالم أوقيمة ، والنصح ودلالة المسلم ، ونزله يومه وليلته ، فلهم
الأمان ما أقرؤوا ونصّحوا ، وعلينا الوفاء ، والله المستعان ، فإن تركوا ذلك
واستبان منهم غش فلا أمان لهم إلا أن يسأموا الغششة برمتهم ، وإلا فهم
متالمئون^(١) . »

شهد الشّماخ بن ضرار ، والرّسارسُ بن جُنَادِب ، وحملة بن جُويّة ،
وكتب سنة إحدى وعشرين . (تاريخ الطبري ٤ : ٢٥٧)

٢٦٥ - كتاب عمر إلى الأحنف بن قيس

وسار الأحنف بن قيس إلى خراسان لملاقاة يزدجرد - وقد نزل
بمرو ويثير أهل فارس على المساميين - فلاقى جموعه ، وانهزم يزدجرد حتى عبّر
النهر ، وكتب الأحنف إلى عمر بفتح خراسان ، فكتب إليه عمر :

« أما بعد : فلا تجوزنّ النهر ، واقتصر على ما دونه ، وقد عرفتكم بأى
شئ دخلتم خراسان ، فداوموا على الذى دخلتم به خراسان يدّم لكم النصر ،
وإياكم أن تعبّروا فتنفضوا » . (تاريخ الطبري ٤ : ٢٦٤)

(١) ماله على الأمر : ساعده وشابعه ، وتماثلوا عليه .

٢٦٦ - كتاب عمر بن الخطاب إلى ابنه عبد الله

وكتب عمر بن الخطاب إلى ابنه عبد الله رضى الله عنهما :

« أمّا بعدُ : فإنه من اتقى الله وقاه ، ومن توكل عليه كفاه ، ومن شكر له زاده ، ومن أقرضه^(١) جزاه ، فاجعل التقوى عماد قلبك ، وجلاء بصرك ، فإنه لا عمل لمن لا نية له ، ولا أجر لمن لا حسنة له ، ولا مال لمن لا رفق له ، ولا جديد لمن لا خلق له . »

(زهر الآداب ١ : ٤١ ومجمع الأمثال ٢ : ٢٧٧)

٢٦٧ - كتاب عمر إلى شريح

وعن شريح^(٢) بن الحارث أن عمر رضى الله عنه كتب إليه :

« لا تُشار^(٣) ، ولا تُمار ، ولا تبِعْ ، ولا تبتَغِ في مجلس القضاء ، ولا تقضِ بين اثنين وأنت غضبان . » (البيان والتبيين ٢ : ٧٥)

(١) أى أفق ماله في سبيل الله ، وقدم العمل الصالح الذى يطلب به ثواب الله فى الآخرة ، قال تعالى : « مَنْ ذَا الَّذِى يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً » . وقال : « وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ، وَمَا تُنْمِدُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ وَأَعْظَمُ أَجْرًا » .

(٢) كان من كبار التابعين وأدرك الجاهلية ، واستقضاءه عمر على الكوفة ، فأقام قاضيا خمسًا وسبعين سنة لم يتعطل فيها إلا ثلاث سنين امتنع فيها من القضاء فى فتنة ابن الزبير ، واستعفى الحاجب ابن يوسف من القضاء فأعفاه ، وتوفى سنة ٨٧ هـ وهو ابن مائة سنة ، وقيل غير ذلك .

(٣) المشارة : الملاجة ، يقال هو يشارى فلانا أى يلاجه .

٢٦٨ - كتاب عمر إلى النعمان بن عدى

واستعمل عمر النعمان بن عدى بن نضلة على ميسان^(١) ، فبلغه عنه الشعر الذى قاله ، وهو :

وَمَنْ مُبْلِغُ الْحَسَنَاءِ أَنَّ خَلِيلَهَا بِمَيْسَانَ يُسْقَى مِنْ زُجَاجٍ وَحَتَمٍ^(٢)
إِذَا شَتَّتْ غَتَّتْنِي دَهَاقِينَ قَرْيَةٍ وَصَنَاجَةٌ يُحْدُو عَلَى كُلِّ مَنْسِمٍ^(٣)
فَإِنْ كُنْتَ نَدْمَانِي فَبِالْأَكْبَرِ اسْقِنِي وَلَا تَسْقِنِي بِالْأَصْغَرِ الْمَشْتَمِ^(٤)
أَعْلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ يَسُوءُهُ تَنَادُمُنَا بِالْجَوْسَقِ الْمَتَهْدَمِ^(٥)

فكتب إليه :

« بسم الله الرحمن الرحيم . حُمِ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنْ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ
غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ^(٦) لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَهُ
الْمَصِيرِ » ، أما بعد : فقد بلغنى قولك : « لعل أمير المؤمنين يسوءه
البيت ، وإيم الله إنه ليسوءنى ، فاقدم فقد عزلتك » فلما قدم عليه ، قال :
يا أمير المؤمنين ، والله ما شربتها قط ، وإنما هو شعر طَفَحَ على لسانى ، وإنى
لشاعر ، فقال عمر : أظن ذاك ، ولكن لا تعمل لى على عمل أبداً .

(شرح ابن أبي الحديد م ٣ : ص ٩٨)

(١) اسم كورة واسعة بين البصرة وواسط .

(٢) الحتم : جرار خضر تضرب إلى الحرة كانت تحمل الحجر فيها إلى المدينة ، ثم اتسع فيها فليل للغزف كله حتم ، واحدها حتمة . (٣) الدهاقين جمع دهقان بالكسر والضم : وهو زعيم فلاحى العجم ، ورئيس الاقليم ، معرب ، والصنيج كشمس : شئ يتخذ من صفر (بالضم أى نحاس) يضرب أحدهما على الآخر ، وآلة بأوتار يضرب بها ، معرب ، واللاعب به يقال له : الصناج والصناجة (وكان أعشى بكر يسمى صناجة العرب لجودة شعره) وحدا الإبل وحدا بها : غنى لها ، والمنسم الطريق والمذهب والوجه (والمنسم أيضا : خف البعير) .

(٤) الندمان : المدام وجمعه ندامى (وقد يكون الندمان جمعا) .

(٥) الجوسق : القصر . (٦) الطول : الفضل والقدرة .

٢٦٩ - كتاب نصر بن حجاج إلى عمر

وروى أنه بينما كان عمر بن الخطاب يَعْصُ^(١) ذات ليلة في سكك المدينة
إذ سمع امرأة تقول :

هل من سبيل إلى خمرٍ فَأَشْرَبَهَا أم من سبيل إلى نصر بن حجاج؟
فقال عمر : أمّا ما عِشْتُ فلا ، لا أَدْرِي مَعِيَ في المدينة رجلاً تَهْتَفُ به
العَوَاتِقُ^(٢) في خُدُورهن ، علىَّ بنصر بن حجاج ، فلما أصبح أتى به ، فإذا هو
من أحسن الناس وجهاً وعيناً وشِعْراً ، فقال له : فَتَنَّتْ نساء المدينة
يَا بن حجاج ، والله لا تساكنني ببلدة أنا فيها ، فقال يا أمير المؤمنين :
ما ذنبي ؟ قال : هو ما أقول لك ، وسيّره إلى البصرة .

وأبردَ عمر بَريداً إلى عُتْبَةَ بن أبي سفيان بالبصرة فأقام بها أياماً ، ثم
نادى منادى عُتْبَةَ : من أراد أن يكتب إلى أهله بالمدينة أو إلى أمير المؤمنين
شيئاً فليكتب ، فإن بريد المسلمين خارج ، فكتب الناس ، ودسَّ نصر
ابن حجاج كتاباً فيه :

« بسم الله الرحمن الرحيم . لعبد الله عمر أمير المؤمنين من نصر
ابن حجاج ، سلام عليك ، أما بعد يا أمير المؤمنين :

لَعَمْرِي لئن سَيَّرْتَنِي أَوْ حَرَمْتَنِي لَمَّا نِلْتَ من عِرْضِي عليكِ حرامٌ
أَنَّ غَنَّتِ الذَّلْفَاءُ يوماً بِغُنْيَةٍ وبعضُ أمانِي النساءِ غَرامٌ^(٣)

(١) عَصَ كَرَدَ : راف بالليل .

(٢) العَوَاتِقُ ، جمع عاتق : وهي الجارية أول ما أدركت ، أو التي لم تتزوج .

(٣) الذَّلْفَاءُ : اسم امرأة ، وأصله من الذلف بالتحريك وهو صغر الأنف واستواء الأرنبة .

ظننتَ بى الظنَّ الذى ليس بعده بقاءً ، وما لى جُرمُهُ فألَامُ^(١)
 فأصبحتُ منفيًا على غير رِية وقد كان لى بالكَتَنِ مُقَامُ^(٢)
 سيمنعنى مما تظنُّ تكرُّمى وآباءُ صدقٍ سالفون كِرامُ
 ويعنمها مما تمتَّتْ صلاتُها وحالٌ لها فى دينها وصيامُ
 فهاتان حالانا، فهل أنت راجعى ؟ فقد جُبَّ منى كاهلٌ وسَنَامُ^(٣)
 فقال عمر : أما ولى ولايةٌ فلا ، وأقطعه أرضًا بالبصرة ودارًا ، فلما قتل عمر
 ركب راحلته ، ولحق بالمدينة .

(شرح ابن أبى الحديد م ٣ : ص ٩٩ ، وثمرات الأوراق ص ٢٤٦)

٢٧٠ — كتاب عمر لأنس بن مالك

عن أنس بن مالك قال : بعثنى عمر بن الخطاب رضى الله عنه على
 العشور ، وكتب لى عهدًا : « أن آخذ من المسلمين مما اختلفوا فيه
 لتجاراتهم ربع العُشر، ومن أهل الذمَّة نصف العشر، ومن أهل الحرب العشر »
 (كتاب الخراج ص ١٦١)

(١) وفى شرح ابن أبى الحديد « بقاء ، فما لى فى الندى كلام » .

(٢) أى مكة والمدينة ، على التغليب .

(٣) راجعى : أى رادى ، وجب : قطع ، والكاهل : مقدم أعلى الظهر مما يلى العنق ، عبر
 بذلك عما لقيه فى غربته من الشدة والشقاء .

وذكروا أن التمنية : هى الفارعة أم الحجاج ، ولما تمتت كانت تحت المغيرة بن شعبة ، وقيل إن
 التمنية هى جدة الحجاج أم أبيه وهى كنانية — انظر ابن خلكان ١ : ١٢٤ .

٢٧١ - كتاب أبي موسى الأشعري إلى عمر

وكتب أبو موسى الأشعري إلى عمر بن الخطاب :

« إن تجارا من قبلنا من المسلمين يأتون أرض الحرب فيأخذون منهم العشر » .

٢٧٢ - رد عمر عليه

فكتب إليه عمر :

« خذ أنت منهم كما يأخذون من تجار المسلمين ، وخذ من أهل الذمة نصف العشر ، ومن المسلمين من كل أربعين درهماً درهماً ، وليس فيما دون المائتين شيء ، فإذا كانت مائتين ففيها خمسة دراهم ، وما زاد فبحسابه » .
(كتاب الخراج ص ١٦١)

٢٧٣ - كتاب عمر إلى عماله

وكتب عمر إلى عماله يوصيهم ، فقال في جملة الكتاب :

« أَرْتَدُّوا وَأَنْزَرُوا وَأَتَعَلُّوا ، وَأَلْقُوا الْخِفَافَ وَالسَّرَاوِيلَ ^(١) ، وَأَلْقُوا الرُّكْبَ ^(٢) ، وَأَنْزُوا نَزْوًا عَلَى الْخَيْلِ ، وَاخْشَوْشِنُوا وَعَلَيْكُمْ بِالْمَعَدَّةِ - أَوْ قَالَ

(١) السراويل : فارسي معرب ، مؤنث ويذكر على لفظ الجماعة ، وهو مفرد وجمعه سراويلات وقيل جمع سراويل وسروالة ، وأنشدوا :

عليه من اللؤم سروالة فليس يرقّ لمستعطف

والسراويل بالنون لغة فيه ، والسروال بالشين لغة أيضا .

(٢) الركب جمع ركاب ككتاب وهو للسرّج كالفرز للرحل ، ونزا ينزو : وثب .

وَتَعَمَّدُوا^(١) - وَأَرْمُوا الْأَغْرَاضَ ، وَعَلِّمُوا فِتْيَانَكُمْ الْعَوْمَ وَالرَّمَايَةَ ، وَذَرُّوا
التَّعْنَمَ وَزِيَّ الْعَجَمَ ، وَإِيَّاكُمْ وَالْحَرِيرَ ، فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ
نَهَى عَنْهُ وَقَالَ : لَا تَلْبَسُوا مِنَ الْحَرِيرِ^(٢) إِلَّا مَا كَانَ هَكَذَا وَأَشَارَ بِإِصْبَعِيهِ .
(شرح ابن أبي الحديد م ٣ : ص ١١٩)

٢٧٤ - كتاب أمير الطائف إلى عمر

وكتب بعض أمراء الطائف إلى عمر :
« إن أصحاب النخل لا يؤذون إلينا ما كانوا يؤذون إلى النبي صلى الله
عليه وسلم ، ويسألون مع ذلك أن نحمي أوديتهم ، فكتب إلى برأيك في ذلك » .

٢٧٥ - رد عمر عليه

فكتب إليه عمر :
« إن أدوا إليك ما كانوا يؤذون إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فاحمهم
لهم أوديتهم ، وإن لم يؤدوا إليك ما كانوا يؤذون إليه فلا تحم لهم » .
(كتاب الخراج ص ٦٦)

(١) تعمدوا : تشبهوا بعيش معد بن عدنان ، وكانوا أهل قشف وغلظ في المعاش ، يقول : كونوا
مثلهم ودعوا التعمع وزى العجم ، وهكذا هو في حديثه الآخر : « عليكم باللبسة المعدية » أى خشونة
اللباس . (٢) وفي صحيح البخارى عن عمر رضى الله عنه « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
نهى عن الحرير إلا هكذا ، وأشار بإصبعيه اللتين تليان الابهام (أى السبابة والوسطى) يعنى الأعلام
(جمع علم بالتحريك وهو رسم الثوب ورقه فى أطرافه) - انظر باب اللباس .

٢٧٦ — كتاب عمر إلى يعلى بن أمية

عن يَعْلَى بْنِ أُمَيَّةَ قَالَ : لما بعثني عمر بن الخطاب رضي الله عنه على خراج أرض نَجْرَان - يعني نجران التي قُرْبَ اليمن - كتب إليّ أن :
« انظر كل أرض جَلَا أهلها عنها ، فما كان من أرض يبضاء تُسْقَى سَيْحًا^(١) ، أو تسقيها السماء ، فما كان فيها من نخيل أو شجر ، فادفعه إليهم يقومون عليه ويسقونه ، فما أخرج الله من شيء فاعْمُرَ والمسلمين منه الثلثان ، ولهم الثلث ، وما كان منها يُسْقَى بَغْرَبٍ^(٢) ، فلهم الثلثان ، ولعُمَرُ والمسلمين الثلث .

وادفع إليهم ما كان من أرض يبضاء يزرعونها ، فما كان منها يُسْقَى سَيْحًا أو تسقيه السماء ، فلهم الثلث ، ولعُمَرُ والمسلمين الثلثان ، وما كان من أرض يبضاء تُسْقَى بَغْرَبٍ ، فلهم الثلثان ، ولعمر والمسلمين الثلث » .
(كتاب الخراج ص ٨٩)

٢٧٧ — كتاب غلام لعبد الله بن عمر إليه

وكتب غلام لعبد الله بن عمر إلى عبد الله بن عمر :
« أما بعدُ : فقد أُعْطِيتَ بفضل^(٣) مائتي ثلاثين ألفًا بعدما أرويت زَرْعِي ونَخْلِي وأصلي ، فَإِنْ رَأَيْتَ أَنَّ أبيعَه وأشتري به رَقِيقًا أستمينُ بهم في عملي ففعلت » .

(١) السَّيْحُ : الماء الجاري الظاهر . (٢) الْبَغْرَبُ : الدلو . (٣) الْفَضْلُ : الزيادة .

٢٧٨ - رد عبد الله بن عمر على غلامه

فكتب إليه :

« قد جاءني كتابك ، وفهمتُ ما كتبتَ به إليّ ، وإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من مَنَعَ فَضْلَ ماءٍ لِمَنَعَ به فَضْلَ كَلٍّ مَنَعَهُ الله فَضْلَهُ يومَ القيامة » فإذا جاءك كتابي فاسقٍ نَحْلِكَ وزرعك وأصلك ، وما فَضْلَ فاسقٍ جيرانك الأقربَ فالأقربَ ، والسلام .
(كتاب الخراج ص ١١٤)

٢٧٩ - كتاب عمر إلى الحصين بن الحر

وكتب الحصين بن الحرُّ كتابًا إلى عمر ، فَلَحَنَ في حرف منه ، فكتب إليه عمر : « أَنْ قَنَعُ^(١) كَاتِبَكَ سَوْطًا » . (البيان والتبيين ٢ : ١١٢)

٢٨٠ - كتاب عمر إلى المغيرة بن شعبة

وكتب عمر إلى المغيرة بن شعبة :

« إِنْ النِّسَاءُ يُعْطَيْنَ عَلَى الرَّغْبَةِ وَالرَّهْبَةِ ، وَأَيُّمَا امْرَأَةٍ نَحَلْتُ^(٢) زَوْجَهَا فَأَرَادَتْ أَنْ تَعْتَصِرَ^(٣) فَهُوَ لَهَا » . (لسان العرب ٦ : ٢٥٦)

(١) قنع رأسه بالسوط : غشاه به .

(٢) نَحَلَهُ : أعطاه . (٣) أعطيت فلانا عطية فاعتصرتها : أى رجعت فيها .

٢٨١ - كتاب المغيرة بن شعبة إلى عمر

وكان عمر رضى الله عنه لا يترك أحداً من العجم يدخل المدينة ، فكتب إليه المغيرة بن شُعبَة :

« إن عندى غلاماً نقّاشاً نجّاراً حداداً فيه منافع لأهل المدينة ، فإن رأيت أن تأذن لى فى الإرسال به فعلتُ » .

فأذن له ، وكان يدعى أباً لؤلؤة ، وكان مجوسياً من أهل نهاوند ، وهو الذى قتل عمر^(١) . (مروج الذهب ١ : ٤٢٦)

خلافة عثمان بن عفان رضى الله عنه

سنة ٢٤ - ٣٥

٢٨٢ - كتابه إلى عماله

كان أول كتاب كتبه عثمان بن عفّان رضى الله عنه إلى عماله :
« أما بعد : فإن الله أمر الأئمة أن يكونوا رُعاةً ، ولم يتقدّم^(٢) إليهم أن يكونوا جُباةً ، وإن صدرَ هذه الأمة خُلُقوا رعاة لم يُخلَقوا جُباةً ، وليوشِكَنَّ أئمتكم

(١) كان المغيرة جعل عليه كل يوم درهمين فلبث ما شاء الله ، ثم أتى عمر يشكو إليه ثقل خراجهم فقال له عمر : وما تحسن من الأعمال ؟ قال : نقّاش نجّار حداد ، فقال له عمر : ما خراجك بكثير على ما تصنع من الأعمال ، قد بلغنى أنك تقول : لو أردت أن أعمل رضى تطحن بالريح فعلت ، قال : نعم ، قال : فاعمل لى رضى ، قال : لأصنعن لك رضى يتحدث بها من بالشرق والغرب ، ثم انصرف عنه وقد أضمر له سوء ، فقال عمر : لقد توعدتنى العبد آفياً ، وتربص له وهو خارج لصلاة الفجر فقتله .

(٢) تقدم إليه فى كذا : أمره وأوصاء به .

أن يصيروا جُباة ، ولا يكونوا رُعاة ، فإذا عادوا كذلك انقطع الحياء والأمانة والوفاء ، ألا وإن أَعْدَلَ السَّيْرة أن تنظروا في أمور المسلمين ، وفيما عليهم فتعطوهم ما لهم ، وتأخذوهم بما عليهم ، ثم تَتَنُّوا بِالذِّمَّةِ فتعطوهم الذي لهم ، وتأخذوهم بالذي عليهم ، ثم العدو الذي تَتَنَابُونَ فاستفتحوا عليهم بالوفاء » . (تاريخ الطبري ٥ : ٤٤)

٢٨٣ - كتابه إلى أمراء الأجناد

وكان أول كتاب كتبه إلى أمراء الأجناد في الفروج ^(١) :
« أما بعدُ : فإنكم مُحمَّاة المسلمين وذاتهم ^(٢) ، وقد وضع لكم عُمر ما لم يَنْبِ عُنَا ، بل كان عن مَلَأ ^(٣) منا ، ولا يَبْلُغُنِي عن أحد منكم تغيير ، ولا تبديل ، فيغيِّر الله ما بكم ، ويستبدل بكم غيركم ، فانظروا كيف تكونون ، فإنني أنظر فيما أُلزمني الله أنظر فيه ، والقيام عليه » . (تاريخ الطبري ٥ : ٤٤)

٢٨٤ - كتابه إلى عمال الخراج

وكان أول كتاب كتبه إلى عمال الخراج :
« أما بعدُ : فإن الله خالق الخلق بالحق ، فلا يقبل إلا الحق ، خذوا الحق وأعطوا الحق ، والأمانة الأمانة قوموا عليها ، ولا تكونوا أول من يُسَلَّبها ، فتكونوا شركاء مَنْ بَعْدَكُمْ إلى ما اكتسبتم ، والوفاء الوفاء ، لا تظالموا اليتيم ولا المعاهد فإن الله خَصَمَ لِمَنْ ظَلَمَهُمْ » . (تاريخ الطبري ٥ : ٤٤)

(١) فروج : جمع فرج وهو الثغر وموضع الخيانة .

(٢) ذادة جمع ذائد من ذاد عنه أى دفع . (٣) المَلَأ : النشاور ، والجماعة .

٢٨٥ - كتابه إلى العامة

وكان كتابه إلى العامة :

« أما بعدُ : فإنكم إنما بلغتُم ما بلغتُم بالافتداء والاتباع ، فلا تُلَفِتَنَّكم الدنيا عن أمركم ، فإن أمرَ هذه الأمة صائرٌ إلى الابتداع بعد اجتماع ثلاثٍ فيكم : تكاملُ النعم ، وبلوغُ أولادكم من السَّبَابِيَا ، وقراءة الأعرابِ والأعاجمِ القرآنَ ، فإن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قال : « الكفر في العُجْمَةِ » فإذا استعجمَ عليهم أمرَ تكلفوا وابتدعوا » . (تاريخ الطبري ٥ : ٤٥)

٢٨٦ - كتابه إلى عماله

وكتب إلى عماله :

« أما بعدُ : استعينوا على الناس وكلِّ ما ينوبكم بالصَّبر والصلاة ، وأمرَ الله أقيمُوه ، ولا تُذهِنُوا^(١) فيه ، وإياكم والعَجَلَةُ فيما سوى ذلك ، وارضُوا من الشرِّ بأيسره ، فإن قليلَ الشرِّ كثيرٌ ، واعلموا أن الذي أَلَفَ بين القلوب هو الذي يفرِّقها ، ويباعدُ بعضها من بعض ، سيرُوا سيرة قومٍ يريدون الله لئلا تكون لهم على الله حُجَّةٌ » .

(١) الإذهان : إظهار خلاف ما يضمَر والغش .

٢٨٧ - كتابه إلى عماله

وكتب إليهم أيضاً :

« إن الله أَلَفَ بين قلوب المسلمين على طاعته ، وقال سبحانه : « لَوْ أَنفَقْتُ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَفْتُ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ » وهو مُفَرَّقُهَا على معصيته ، وَلَا تَعْجَلُوا على أَحَدٍ بِحَدِّ قَبْلِ اسْتِجَابِهِ ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ : « لَسْتُ عَلَيْهِمْ بِمُسَيِّطِرٍ إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ » من كفر داوينا بدوائه ، ومن تَوَلَّى عن الجماعة أَنْصَفناه وَأَعْطَيْنَاهُ حَتَّى نَقْطَعَ حُجَّتَهُ وَعُذْرَهُ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ . (أشهر مشاهير الإسلام ج ٤ : ص ٧٥٥)

٢٨٨ - كتاب عثمان إلى الوليد بن عقبة

وَوَلَّى عثمانُ الْوَلِيدَ بْنَ عُقْبَةَ الْكُوفَةَ ، وَمَنَعَ أَهْلُ أَدْرِيجَانَ وَأَرْمِينِيَةَ مَا كَانُوا صَالِحُوا الْمُسْلِمِينَ عَلَيْهِ أَيَّامَ عَمْرِ ، فَغَزَاهُمُ الْوَلِيدُ وَوَطَّنَهُمْ بِجَيْشِهِ ، فَانْقَادُوا لَهُ ، وَطَلَبُوا إِلَيْهِ أَنْ يَتِمَّ لَهُمْ عَلَى ذَلِكَ الصَّلَاحُ ، فَقَبِلَ وَقَبَضَ مِنْهُمْ الْمَالَ - وَكَانَ ذَلِكَ سَنَةَ ٢٤ هـ -

ولما أصاب حاجته من أرمينية ، ودخل الموصل فنزل الحديثه ، أتاه كتاب من عثمان رضى الله عنه :

« أما بعدُ : فَإِنَّ مَعَاوِيَةَ بْنَ أَبِي سُفْيَانَ كَتَبَ إِلَيَّ يُخْبِرُنِي أَنَّ الرُّومَ قَدْ أَجْلَبَتْ عَلَى الْمُسْلِمِينَ بِجَمُوعٍ عَظِيمَةٍ ، وَقَدْ رَأَيْتُ أَنَّ مُعِدَّهُمْ إِخْوَانُهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ ، فَإِذَا أَتَاكَ كِتَابِي هَذَا ، فَابْعَثْ رَجُلًا مِمَّنْ تَرْضَى نَجْدَتَهُ وَبَأْسَهُ

وشجاعته وإسلامه ، في ثمانية آلاف ، أو تسعة آلاف ، أو عشرة آلاف إليهم ، من المكان الذي يأتيك فيه رسولى والسلام » .

فسير الوليد إلى الشام ثمانية آلاف رجل بقيادة سلمان بن ربيعة الباهلي ، فشنوا الغارات مع جند الشام على أرض الروم ، فأصاب الناس ما شاءوا من سبي ، وملئوا أيديهم من المغنم ، وافتتحوا بها حصوناً كثيرة .
(تاريخ الطبرى ، ٥ : ٤٦)

٢٨٩ - كتابه إلى عماله

وكتب عثمان إلى عماله :

« أما بعد : فقوموا على ما فارقتم عليه عمر ولا تبدلوا ، ومهما أشكل عليكم فردوه إلينا نجتمع عليه الأمة ثم نرده عليكم ، وإياكم وأن تغيروا فإنى لست قابلاً منكم إلا ما كان عمر يقبل » .
(تاريخ الطبرى ، ٥ : ٥٣)

٢٩٠ - كتابه إلى أهل الأمصار

وكتب عثمان إلى الناس في الأمصار :

« أن اتعمروا بالمعروف ، وتناهوا عن المنكر ، ولا يذل المؤمن نفسه ، فإنى مع الضعيف على القوى ما دام مظلوماً ، إن شاء الله » .

(تاريخ الطبرى ، ٥ : ١٣٤)

٢٩١ - كتاب عثمان إلى أهل الكوفة

وعزل عثمان الوليد بن عقبة عن الكوفة حين اتهم بشرب الخمر^(١) سنة ٣٠ هـ -
 وولاه سعيد بن العاص ، وكتب إلى أهل الكوفة :
 « أما بعد : فإنني كنت وليتكم الوليد بن عقبة غلاما حين ذهب شرهه
 وثاب حلمه ، وأوصيته بكم ولم أوصيكم به ، فلما أعيتكم علانيته طعنتم في سريره
 وقد وليتكم سعيد بن العاص وهو خير عشيرته ، وأوصيكم به خيرا ، فاستوصوا
 به خيرا » . (العقد الفريد ٢ : ٢٢٣)

٢٩٢ - كتاب سعيد بن العاص إلى عثمان

ولما قدم سعيد بن العاص الكوفة سأل عن أهلها ، فأقيم على حالهم ،
 فكتب إلى عثمان بالذي انتهى إليه :
 « إن أهل الكوفة قد اضطرب أمرهم ، وغلب أهل الشرف منهم
 والبيوتات والسابقة والقُدْمة^(٢) ، والغالب على تلك البلاد روادف^(٣) رِدْفَتْ ،
 وأعراب لحقت ، حتى ما يُنظر إلى ذى شرف ولا بلاء من نازلتها ،
 ولا نابتها » .

(١) روى أنه شرب الخمر بالكوفة وسكر حتى دخل عليه ، وأخذ خاتمه من إصبغه وهو لا يعلم ،
 وصلى بالناس الصبح ثلاث ركعات وهو سكران ثم التفت إليهم فقال : وإن شئتم زدناكم ، وقامت
 عليه البيعة بذلك عند عثمان ، فجلده على ثمانين .

(٢) القُدْمة : السابقة في الأمر .

(٣) الروادف : أتباع القوم المؤخرون ، وردفه بالكسر : تبعه .

٢٩٣ - رد عثمان على كتاب سعيد

فكتب إليه عثمان :

«أما بعدُ : ففضلُ أهلِ السابقة والقُدْمة ممن فتَحَ اللهُ عليه تلكَ البلادَ .
وليكن من نزلها بسببهم تبعاً لهم ، إلا أن يكونوا تتأقّلوا عن الحق ، وتركوا
القيام به وقام به هؤلاء ، واحفظ لكلٍ منزلته ، وأعطهم جميعاً بقسطهم من الحق ،
فإن المعرفة بالناس بها يُصاب المدلُّ » . (تاريخ الطبري ٥ : ٦٣)

٢٩٤ - كتب بين عثمان وبين سعيد بن العاص

وروى أن سعيد بن العاص تزوج وهو على الكوفة هند بنت
الفرافصة ^(١) بن الأحوص بن عمر بن ثعلبة الكلبي ، فبلغ ذلك عثمان
فكتب إليه :

« أما بعد : فإنه قد بلغني أنك تزوجت امرأة من كلب ، فاكتب إلى
بنسبها وجمالها » .

فكتب إليه :

« أما بعدُ : فإن نسبها أنها بنت الفرافصة بن الأحوص ، وجمالها أنها
بيضاء مديدة » .

فكتب إليه :

« إن كانت لها أخت فزوّجنيها » .

فبعث سعيد إلى الفرافصة يخطب إحدى بناته على عثمان ، فأمر الفرافصة

ابنه ضباً فزوجها إياه . (الأغانى ١٥ : ٦٧)

(١) قال صاحب اللسان : « ليس في العرب من يسمى بالفرافصة بالألف واللام غيره » .

٢٩٥ - كتاب معاوية إلى عثمان

وقام أبو ذرّ الغفاري^(١) بالشام - سنة ٣٠ هـ - وجعل يقول : « يامعشرَ الأغنياء ، واسئوا الفقراء ، بشر الذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله بمكاوم من نار تُسكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم » فما زال حتى وَلِعَ الفقراء بمثل ذلك ، وأوجبوه على الأغنياء ، وحتى شكّا الأغنياء ما يلقون من الناس^(٢) ، فكتب معاوية إلى عثمان :

« إن أبا ذرّ قد أعْضَلَ^(٣) بي ، وإنه تجتمع إليه الجموع ، ولا آمن أن يُفسدَهم عليك ، فإن كان لك في القوم حاجةٌ فأَجْمِلْهُ إليك .

(تاريخ الطبري ٥ : ٦٦ ، ومروج الذهب ١ : ٤٣٨)

٢٩٦ - كتاب عثمان إلى معاوية

فكتب إليه عثمان :

« إن الفتنة قد أخرجتْ خُطْمَهَا^(٤) وعَيْنَيْهَا ، فلم يبقَ إلَّا أن تَتَبَّ ،

(١) هو جندب بن جنادة أسلم والنبي صلى الله عليه وسلم بمكة أول الاسلام ، فكان رابع أربعة ، وقيل خامس خمسة ، وقد هاجر إلى الشام بعد وفاة أبي بكر ، وتوفي بالربذة سنة ٣٢ هـ - انظر ترجمته في أسد الغابة ١ : ٣٠١ ، والاصابة ٧ : ٦٠ .

(٢) كان الذي بعث أبا ذر هو عبد الله بن سبأ ، وهو يهودي من أهل صنعاء أمه سوداء ، وقد أسلم في زمان عثمان ، ثم تنقل في بلدان المسلمين يحاول ضلالتهم ، فلما ورد الشام لقي أبا ذر . فقال : يا أبا ذر ألا تعجب إلى معاوية . يقول : المال مال الله ، ألا إن كل شيء لله ، كأنه يريد أن يحتجبه دون المسلمين ويمحو اسم المسلمين ، فأتاه أبو ذر فقال : ما يدعوك إلى أن تسمى مال المسلمين مال الله ؟ قال : يرحمك الله يا أبا ذر ، ألسنا عباد الله ، والمال ماله ، والخلق خلقه ، والأمر أمره ؟ قال : فلا تقله ، قال : فاني لأقول إنه ليس لله ، ولكن سأقول : مال المسلمين .

(٣) أعضل به الأمر ، وأعضله وعضل به : اشتد وغلظ واستغلق .

(٤) الخطم . جمع خطام ككتاب وهو الزمام .

فَلَا تَنْكَأُ^(١) الْقَرْحَ ، وَجَهَّزْ أَبَا ذَرٍّ إِلَى وَابِعِثْ مَعَهُ دَلِيلًا وَزَوِّدْهُ ، وَارْفُقْ بِهِ ،
وَكَفِّفِ النَّاسَ وَنَفْسَكَ مَا اسْتَغْطَتْ ، فَإِنَّمَا تُنْصِيكَ مَا اسْتَمْسَكَتَ .

فَأَشْخَصَهُ مَعَاوِيَةَ إِلَى عُثْمَانَ ، فَقَالَ لَهُ : يَا أَبَا ذَرٍّ مَا لِأَهْلِ الشَّامِ يَشْكُونَ
ذَرْبَكَ^(٢) ؟ فَأَخْبَرَهُ أَنَّهُ لَا يَنْبَغِي أَنْ يَقَالَ مَا لَ اللَّهِ ، وَلَا يَنْبَغِي لِلْأَغْنِيَاءِ أَنْ
يَقْتَنُوا مَالًا ، فَقَالَ : يَا أَبَا ذَرٍّ عَلَيَّ أَنْ أَقْضِيَ مَا عَلَيَّ وَأَخْذُ مَا عَلَى الرَّعِيَةِ ، وَلَا
أَجْبِرُهُمْ عَلَى الزَّهْدِ . وَأَنْ أَدْعُوهُمْ إِلَى الْأَجْتِهَادِ وَالْاِقْتِصَادِ ، قَالَ : فَتَأْذَنُ لِي فِي
الْخُرُوجِ ، فَإِنَّ الْمَدِينَةَ لَيْسَتْ لِي بَدَارٌ ؟ فَأَذِنَ لَهُ فَخَرَجَ فَتَزَلَّ الرَّبْدَةُ^(٣) .

(تاريخ الطبري ٥ : ٦٦)

٢٩٧ - كتاب عثمان إلى عبد الرحمن بن ربيعة

وَكُتِبَ عُثْمَانُ إِلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ رِبِيعَةَ وَهُوَ عَلَى « الْبَابِ » .
« إِنْ الرَّعِيَةُ قَدْ أَبْطَرَتْ كَثِيرًا مِنْهُمْ الْبِطْنَةُ^(٤) ، فَقَصِّرْ وَلَا تَقْتَحِمِ بِالْمُسْلِمِينَ ،
فَإِنِّي خَاشٍ أَنْ يُبْتَلَوْا » .

فَلَمْ يَزُجِرْ ذَلِكَ عَبْدَ الرَّحْمَنِ عَنْ غَايَتِهِ ، وَكَانَ لَا يَقْصُرُ عَنْ بَلَنْجَرٍ ،
فَحَصَرَهَا وَقَاتَلَهُ التُّرُكُ فَأَصِيبَ وَانْهَزَمَ الْمُسْلِمُونَ وَتَفَرَّقُوا .

وَكَانَ ذَلِكَ سَنَةَ ٣٢ هـ . (تاريخ الطبري ٥ : ٧٨)

(١) نَكَأُ الْفَرْحَةَ كَنَعَمَ : قَصَرَهَا قَبْلَ أَنْ تَبْرَأَ فَنَدِيتَ .

(٢) ذَرْبٌ كَفَرْحٍ ذَرْبًا : صَارَ حَدِيدًا مَاضِيًا . (٣) قُرْبُ الْمَدِينَةِ .

(٤) الْبِطْنَةُ : الْإِمْتِلَاءُ الشَّدِيدُ مِنَ الطَّعَامِ ، وَالْبَطَرُ وَالْأَشْرُ .

٢٩٨ — كتاب مرزبان مرو إلى الأحنف بن قيس

وسار الأحنف بن قيس سنة ٣٢ هـ إلى مَرَوْرُودٍ فحَصَرَ أَهْلَهَا ، فخرجوا إليهم فقاتلوهم ، فهزمهم المسلمون حتى اضطروهم إلى حِصْنِهِمْ ، فأشرفوا عليهم فقالوا : أمهلونا ننظرُ يومنا وارجعوا إلى عسكركم ، فرجع الأحنف ، فلما أصبح غاداهم ، فخرج رجل من العجم معه كتاب من المدينة فإذا رسول من مَرَزُبَانَ مَرَو : ابن أخيه وترُجمانه ، وإذا كتاب المرزبان إلى الأحنف . فقرأ الكتاب فإذا هو :

« إلى أمير الجيش :

إنا نحمد الله الذي بيده الدُّولُ يغيّر ما شاء من الملك ، ويرفع من شاء بعد الدِّلة ، ويضع من شاء بعد الرِّفعة :

إنه دعاني إلى مصالحتك وموادعتك ما كان من إسلام جدّي ، وما كان رأي من صاحبكم من الكرامة والمنزلة ، فَرَحَبًا بكم وَأَبْشَرًا ، وأنا أدعوكم إلى الصلح فيما بينكم وبيننا ، على أن أؤدّي إليكم خراجًا ستين ألفَ درهم : وأن تُقرّوا يدي ما كان ملك الملوك كسرى أقطع جدّ أبي ، حيث قتل الحية التي أكلت الناس ، وقطعت السُّبُح من الأرضين والقرى بما فيها من الرجال ، ولا تأخذوا من أحد من أهل بيتي شيئًا من الخراج ، ولا تخرج المرزبة^(١) من أهل بيتي إلى غيرهم : فإن جعلت ذلك لي خرجتُ إليك وقد بعثتُ إليك ابن أخي «ماعك» ليستوثق منك بما سألت .

(١) المرزبة كمرحلة : رئاسة الفرس .

٢٩٩ - رد الأحنف على كتابه

فكتب إليه الأحنف :

« بسم الله الرحمن الرحيم . من صخر بن قيس أمير الجيش إلى باذان
مرزبان مرو رود ، ومن معه من الأساورة^(١) والأعاجم :
سلام على من اتبع الهدى ، وآمن واتقى ، أما بعد : فإن ابن أخيك
ماهلك قديم على ، فنصح لك جهده ، وأبلغ عنك ، وقد عرضت ذلك على من
معي من المسلمين ، وأنا وهم فيما عليك سواء ، وقد أجبناك إلى ما سألت
وعرضت ، على أن تؤدي عن أكرتك^(٢) وفلاحيك والأرضين ستين ألف درهم ،
إلى وإلى الوالى من بعدى من أمراء المسلمين ، إلا ما كان من الأرضين التى
ذكرت أن كسرى الظالم لنفسه أقطع جد أيبك ، لما كان من قتله الحية التى
أفسدت الأرض ، وقطعت السبل ، والأرض لله ولرسوله يؤريها من يشاء
من عباده ، وإن عليك نصرة المسلمين ، وقتال عدوهم بمن معك من الأساورة
إن أحب المسلمون ذلك ، وأرادوه ، وإن لك على ذلك نصرة المسلمين على من
يقاتل من وراءك من أهل ملتك ، جار لك بذلك منى كتاب يكون لك
بعدى ، ولا خراج عليك ، ولا على أحد من أهل بيتك من ذوى الأرحام .
وإن أنت أسامت واتبعت الرسول ، كان لك من المسلمين العطاء
والمنزلة والرزق ، وأنت أخوهم ، ولك بذلك ذمتى وذمة أبى ، وذمم المسلمين
وذمم آبائهم » .

(١) الأساورة : قوم من العجم .

(٢) الأكار بالنشيد : الحرات وجمعه أكرة كأنه جمع آكر فى التقدير .

شهد على ما في هذا الكتاب جَزء بن معاوية السَّعدي ، وحمزة
ابن الهَرَماس ، وحميد بن الخِيار المازِنِيَّان ، وعِياض بن وَرَقاء الأَسِيدِيَّ .
وكتب كِنسان مولى بنى ثعلبة ، يوم الأحد من شهر الله المحرم سنة ٣٢ هـ
وختم أمير الجيش الأحنف بن قيس ، ونَقَش خاتم الأحنف « نعبد الله »
(تاريخ الطبري ٥ : ٨١)

٣٠٠ - عهد حبيب بن مسلمة لأهل دِيبِل

وكتب عثمان إلى معاوية وهو عامله على الشام يأمره أن يوجِّه حَبِيب
ابن مَسْلَمَةَ الفِهْرِي إلى أَرْمِينِيَّة - وقيل بل كتب عثمان إلى حبيب يأمره
بغزو أَرْمِينِيَّة - فنهض إليها ففتح ما مرَّ به إلى أن وصل إلى دِيبِل فغَلَبَ
عليها وعلى قُرَاحا ، فطلب أهلها منه الأمان والصلح ، فصالحهم ، وكتب
لهم كتاباً نسخته :

« بسم الله الرحمن الرحيم . هذا كتابٌ من حبيب بن مَسْلَمَةَ الفِهْرِي
لنصارى أهل دِيبِل ومَجُوسِها ويهودها ، شاهدٍهم وغائبهم : إني أُمَتِّتكم على
أنفسكم وأموالكم وكنائسكم وبيعكم وسُور مدينتكم ، فأنتم آمنون ، وعلينا
الوفاء لكم بالعهد ما وقَّيتم وأدَّيتم الجزية والخراج ، شهد الله وكفى بالله شهيداً »
وختم حبيب بن مسلمة .

٣٠١ - كتاب حبيب بن مسلمة إلى أهل جرجان

وافتح حبيب أكثر مدن أرمينية، ثم سار يريد جرجان^(١)، فجاءه بالطريق رسول بطريق جرجان وأهلها يسأله الصلح وأماناً يكتبه لهم، فكتب حبيب إليهم:

أما بعد : فإن « نقلي » رسولكم قدّم على وعلى الذين معي من المؤمنين، فذكر عنكم أنكم قلتم إنا أمة أكرمنا الله وفضلنا، وكذلك فعل الله بنا، وله الحمد كثيراً، وصلى الله على سيدنا محمد نبيه وخيرته من خلقه وعليه السلام.

وذكرتم أنكم أحببتم سائماً، وقد قوّمت هديتكم وحسبتم^(٢) من جزيتكم، وكتبت لكم أماناً، واشترطت فيه شرطاً فإن قبلتموه ووفيتم به، وإلا فاذنوا بحرب من الله ورسوله، والسلام على من اتبع الهدى .
(فتوح البلدان للبلاذري ص ٢٠٩ ، ومعجم البلدان ٢ : ٣٩٦)

٣٠٢ - عهد حبيب لأهل جرجان

ثم ورد تفليس، وكتب لهم كتاباً بالصلح والأمان، وهو:

« بسم الله الرحمن الرحيم . هذا كتاب من حبيب بن مسلمة لأهل تفليس من رستاق^(٣) منجّليس من جرجان الهرمزر ، بالأمان على أنفسهم

(١) اسم لناعية بأرمينية، وكانت قصبتها تفليس . (٢) حسب كنصر : عدد .

(٣) الرستاق : يستعمل في الناحية التي هي طرف الافليم ، مغرب .

وَيَعِيَهُمْ وَصَوَاهِمَهُمْ وَصَلَوَاتِهِمْ وَدِينَهُمْ ، عَلَى إِقْرَارٍ بِالصَّغَارِ^(١) وَالْجِزْيَةِ عَلَى كُلِّ أَهْلِ بَيْتٍ دِينَارًا ، وَلَيْسَ لَكُمْ أَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ أَهْلِ الْبُيُوتَاتِ تَخْفِيفًا لِلْجِزْيَةِ ، وَلَا لَنَا أَنْ نَفَرِّقَ بَيْنَهُمْ اسْتِكْثَارًا مِنْهَا .

وَلَنَا نَصِيحَتُكُمْ وَضَلَعُكُمْ^(٢) عَلَى أَعْدَاءِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ، وَقَرَى الْمُسْلِمَ الْمَحْتَاجَ لَيْلَةً بِالْمَعْرُوفِ مِنْ حَلَالِ طَعَامِ أَهْلِ الْكِتَابِ لَنَا ، وَإِنْ انْقَطَعَ^(٣) بِرَجُلٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ عِنْدَكُمْ فَعَلَيْكُمْ أَدَاؤُهُ إِلَى أَذَنِّ فِئَةٍ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِلَّا أَنْ يُحَالِ دُونَهُمْ .

وَإِنْ أَنْبَأْتُمْ وَأَقْتَمْتُمْ الصَّلَاةَ فَاِخْوَانُنَا فِي الدِّينِ ، وَإِلَّا فَالْجِزْيَةُ عَلَيْكُمْ ، وَإِنْ عَرَضَ لِلْمُسْلِمِينَ شُغْلٌ عَنْكُمْ فَقَهَرَكُمْ عَدُوُّكُمْ فَمَغِيرٌ مَأْخُودِينَ بِذَلِكَ ، وَلَا هُوَ نَاقِضٌ عَهْدَكُمْ ، هَذَا لَكُمْ ، وَهَذَا عَلَيْكُمْ ، شَهِدَ اللَّهُ وَمَلَائِكَتُهُ وَكَفَى .
بِاللَّهِ شَهِيدًا^(٤) . (فتوح البلدان للبلاذري ص ٢٠٩ ، ومعجم البلدان ٢ : ٢٩٧)

٣٠٣ - كتاب سعيد بن العاص إلى عثمان

وَلَمَّا قَدِمَ سَعِيدُ بْنُ الْعَاصِ الْكُوفَةَ ، جَعَلَ يَخْتَارُ وَجُوهَ النَّاسِ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِ وَيَسْتَمُرُّونَ عِنْدَهُ فَسَمَرَ عِنْدَهُ لَيْلَةً وَجُوهُ أَهْلِ الْكُوفَةِ ، وَفِيهِمْ مَالِكٌ

(١) الذل . (٢) الضلع بالتحريك : القوة واحتمال الثقل ، والمعنى وتقويتكم .

(٣) انقطع - بالبناء للمجهول - محز عن سفره .

(٤) هذه رواية البلاذري في فتوح البلدان ، وياقوت في معجم البلدان ، وفيها التصريح بأن كتاب حبيب بن مسلمة لأهل جرجان وعهده لهم كتباً في خلافة عثمان ومعاوية أمير على الشام ، وروى الطبري في تاريخه (ج ٤ : ص ٢٦٠) قال : « وكفر أهل أرمينية زمان معاوية ، وقد أمر حبيب بن مسلمة على الباب ، وحبيب يومئذ بجرجان ، وكانت أهل تفلح وتلك الجبال ثم ناجزهم حتى استجابوا واعتقدوا من حبيب وكتب بينه وبينهم كتاباً بعد ما كاتبهم » ثم أورد الكتاب والعهد - وفيهما اختلاف عن الصورة التي أوردناها - ومن ذلك ترى أنهما كتباً في خلافة معاوية ، وتورد لك رواية الطبري في الجزء الثاني إن شاء الله .

الأشتر في رجال ، فقال سعيد : إنما هذا السّواد بُسْتان لقريش ، فقال الأشتر :
أترعّم أن السّواد الذي أفاءه الله علينا بأسيافنا بستان لك ولقومك ؟ والله
ما يزيد أوفاءكم فيه نصيباً إلاّ أن يكون كأحدنا ، وتكلّم معه القوم ، فقال
عبد الرحمن الأسديّ - وكان على شُرطة سعيد - أتردّون على الأمير مقالته ؟
وأغلظّ لهم ، فقال الأشتر : من هاهنا لا يفوتنكم الرجل ، فوثبوا عليه ،
فوطئوه وطاً شديداً حتى غشي عليه ، ثم جرّ برجله فألقى فنضج^(١) بماء فأفاق ،
فقال له سعيد : أبك حياة ؟ فقال : قتلتني من انتخبّت - زعمت - للإسلام ،
فقال : والله لا يسمرّ منهم عندى أحد أبداً ، فجعلوا يجلسون في مجالسهم
ويبوتهم يشتمون عثمان وسعيداً ، واجتمع الناس إليهم ، حتى كثر من
يختلف إليهم ، فكتب سعيد إلى عثمان يخبره بذلك ، ويقول :
« إن رهطاً من أهل الكوفة سمّاهم له ، عشرة ، يؤلبون^(٢) ويجمعون
على عيبك وعيبي ، والطعن في ديننا ، وقد خشيت أن ثبت أمرهم أن يكثروا »
فكتب عثمان إلى سعيد أن سيّرهم إلى معاوية - وهو يومئذ على الشام -

٣٠٤ - كتاب عثمان إلى معاوية

وكتب عثمان إلى معاوية .

« إن أهل الكوفة قد أخرجوا إليك نقرأ خلّقوا للفتنة ، فراعهم وقمّ
عليهم ، فإن آنست منهم رُشداً فاقبل منهم ، وإن أعْيوك فاردّدهم عليهم .
فأما قدّموا على معاوية أنزلهم ، وأجرى عليهم بأمر عثمان ما كان يجري

(١) أي رش . (٢) يمرضون .

عليهم بالعراق ، وجعل ينصح لهم بلزوم الجماعة ، وكرهة الفرقة ، وأن يوقروا
أئمتهم ، ويدلّوهم على كل حسن ما قدروا ، ويعظوم في لين ولطف في شيء
إن كان منهم ، وطال بينه وبينهم الجدل واللباج ، حتى وثبوا عليه فأخذوا
برأسه ولحيته .

٣٠٥ - كتاب معاوية إلى عثمان

فكتب إلى عثمان :

« بسم الله الرحمن الرحيم . لعبد الله عثمان أمير المؤمنين من معاوية
ابن أبي سفيان : أما بعد ، يا أمير المؤمنين فإنك بعثت إلى أقواما يتكلمون
بالسنة الشياطين وما يملكون عليهم ، ويأتون الناس - زعموا - من قبل
القرآن ، فيُشَبِّهُونَ^(١) على الناس ، وليس كل الناس يعلم ما يريدون ، وإنما
يريدون فُرْقَةً ، ويقربون فتنة ، قد أثقلهم الإسلام وأضجرهم ، وتمكنت رُقَى^(٢)
الشيطان من قلوبهم ، فقد أفسدوا كثيراً من الناس ممن كانوا بين ظهرائهم
من أهل الكوفة ، ولست آمن إن أقاموا وسط أهل الشام أن يغروهم
بسحرهم وجورهم ، فارددهم إلى مصرهم ، فلتكن دارهم في مصرهم الذي
نَجَّم^(٣) فيه نفاقهم والسلام . »

وفي خبر آخر أن معاوية كتب إلى عثمان :

« إنه قدم على أقوام ليست لهم عقول ولا أديان ، أثقلهم الإسلام

(١) أي يلبسون عليهم ويأتون لهم بالشبه . (٢) الرقى جمع رقية كغرفة وهي العوذة .

(٣) أي ظهر .

وأضجرهم العدل ، لا يريدون الله بشيء ، ولا يتكلمون بحجة ، إنما همهم الفتنه وأموال أهل الذمة ، والله مُبْتَلِيهِمْ ومُخْتَبِرُهُمْ ، ثم فاضحهم ومُخْزِيهِمْ ، وليسوا بالذين يَنْكُونُ^(١) أحداً إلا مع غيرهم ، فإنه سعيداً ومن قبله عنهم ، فإنهم ليسوا إلا أكثر من شَغَب أو نَكِير .

فكتب إليه عثمان يأمره أن يردهم إلى سعيد بن العاص بالكوفة ، فردهم إليه ، فلم يكونوا إلا أطلقَ السنة منهم حين رجعوا ، وكتب سعيد إلى عثمان يضيحُ منهم ، فكتب عثمان إلى سعيد :
« أن سيّرهم إلى عبد الرحمن بن خالد بن الوليد » وكان أميراً على حمص .

٣٠٦ - كتاب عثمان إلى الأشر وأصحابه

وكتب إلى الأشر وأصحابه :

« أما بعد : فإنني قد سيّرتكم إلى حمص ، فإذا أتاكم كتابي هذا فأخرجوا إليها ، فإنكم لستم تألّون الإسلام وأهلَه شراً ، والسلام .
فلما قرأ الأشر الكتاب ، قال : اللهم أسوأنا نظراً للرعية ، وأعملنا فيهم بالمعصية ، فعجّل له النّعمة ، وسار الأشر وأصحابه إلى حمص ، فأنزلهم عبد الرحمن بن خالد الساحل ، وأجرى عليهم رزقاً .

وكان ذلك سنة ٣٣ هـ . (تاريخ الطبري ٥ : ٩٠)

(١) نكى العدو ، وفيه : قتل وجرح .

٣٠٧ - كتاب عثمان إلى أهل الكوفة

واستغوى يزيد بن قيس الناس على سعيد بن العاص ، واستغفوا عثمان منه ، وطلبوا أبا موسى الأشعري ، فكتب إليهم عثمان :

« بسم الله الرحمن الرحيم . أما بعد ، فقد أمرتُ عليكم من اخترتم ، وأعفيتكم من سعيد ، والله لأفرشَنَّكم^(١) عِرْضِي ، ولأبدلَنَّ لكم صَبْرِي ، ولأستصلحَنَّكم بجهدي ، فلا تدعوا شيئاً أحبتموه لا يُعَصَى الله فيه إلا سألتموه ، ولا شيئاً كرهتموه لا يُعَصَى الله فيه إلا استغفيتم منه . أنزل فيه عند ما أحببتم حتى لا يكون لكم على حُجَّةٌ » .

وكتب بمثل ذلك في الأمصار - وكان ذلك سنة ٣٤ هـ .

(تاريخ الطبري ٥ : ٩٦)

٣٠٨ - كتاب عثمان إلى أهل الأمصار

وفشَّت المقالة في الطعن على عثمان ووُلَاتِه ، ونسبوا إليه أموراً ، ونَقَمُوا منه أحداثاً - أهمُّها إِيثارُ أقربائه - ونَمَتْ هذه الأنباء إلى أهل المدينة فاتوا عثمان ، فقالوا : يا أمير المؤمنين أيأتيك عن الناس الذي يأتينا ؟ قال : لا والله ، ما جاءني إلا السلامة ، فأخبروه بما نَحَى إليهم ، فكتب إلى أهل الأمصار :

« أما بعد : فَإِنِّي آخِذُ الْعَمَالَ بِمُؤَافَاتِي فِي كُلِّ مَوْسِمٍ ، وَقَدْ سَلَّطْتُ الْأُمَّةَ مِنْذُ وَلِيْتُ عَلَى الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ ، فَلَا يُرْفَعُ عَلَيَّ شَيْءٌ »

(١) تقول : فرشت فلاناً بساطاً ، وأفرشته وفرشته : أى بسطته له .

ولا على أحد من عُمَالِي إِلَّا أُعْطِيَتْهُ ، وليس لي ولِعِيَالِي حَقٌّ قَبْلَ الرِّعْيَةِ إِلَّا مَتْرُوكٌ لَهُمْ ، وَقَدْ رَفَعَ إِلَى أَهْلِ الْمَدِينَةِ أَنْ أَقْوَامًا يُشْتَمُونَ ، وَآخَرُونَ يُضْرَبُونَ ، فَيَأْمَنُ ضَرْبَ سَرًّا ، وَشْتِمَ سَرًّا ، مَنْ ادَّعَى شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ فَلْيُؤَافِ الْمَوْسِمَ ، فَلْيَأْخُذْ بِحَقِّهِ حَيْثُ كَانَ : مَنِي ، أَوْ مِنْ عُمَالِي ، أَوْ تَصَدَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ » .

فلما قرئ الكتاب في الأمصار أبكى الناس ودعوا لعثمان ، وقالوا : إن الأمة لتَمَحَضُ بِشَرِّ . (تاريخ الطبري ٥ : ٩٩)

٣٠٩ - كتاب أهل المدينة إلى من بالآفاق

وروى الطبري قال :

« لما رأى الناس ما صنع عثمان كتب من بالمدينة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم إلى من بالآفاق منهم ، وكانوا قد تفرقوا في الثغور :
« إنكم إنما خرجتم أن تجاهدوا في سبيل الله عز وجل تطلبون دين محمد صلى الله عليه وسلم ، فإن دين محمد قد أفسد من خلفكم وترك ، فهاموا فأقيموا دين محمد صلى الله عليه وسلم »
فأقبلوا من كل أفق حتى قتلوه .

(تاريخ الطبري ٥ : ١١٥)

٣١٠ - كتاب أهل المدينة إلى أهل مصر

وروى ابن قتيبة في الإمامة والسياسة أنه جاء أهل مصر كتاب من المدينة صورته :

« بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . من المهاجرين الأولين ، وبقية الشورى إلى من بمصر من الصحابة والتابعين :

أما بعدُ : أَنْ تَعَالَوْا إِلَيْنَا وَتَدَارِكُوا خِلَافَةَ رَسُولِ اللَّهِ قَبْلَ أَنْ يُسَلِّبَهَا أَهْلُهَا ، فَإِنَّ كِتَابَ اللَّهِ قَدْ بُدِّلَ ، وَسُنَّةُ رَسُولِهِ قَدْ غُيِّرَتْ ، وَأَحْكَامُ الْخُلَفَاءِ قَدْ بُدِّلَتْ ، فَتَنْشُدُ اللَّهُ مَنْ قَرَأَ كِتَابَنَا مِنْ بَنِيهِ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ وَالتَّابِعِينَ بِإِحْسَانٍ إِلَّا أَقْبَلَ إِلَيْنَا ، وَأَخَذَ الْحَقُّ لَنَا وَأَعْطَانَاهُ ، فَأَقْبِلُوا إِلَيْنَا إِنْ كُتِمَ تَوَمُّنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ، وَأَقِيمُوا الْحَقَّ عَلَى الْمِنْهَاجِ الْوَاضِعِ الَّذِي فَارَقْتُمْ عَلَيْهِ نَبِيِّكُمْ وَفَارَقَكُمْ عَلَيْهِ الْخُلَفَاءُ ، غُلِبْنَا عَلَى حَقِّنَا ، وَاسْتُولِيَ عَلَى فَيْئَتِنَا ، وَحِيلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ أَمْرِنَا ، وَكَانَتِ الْخِلَافَةُ بَعْدَ نَبِينَا خِلَافَةً نُبُوَّةٍ وَرَحْمَةٍ ، وَهِيَ الْيَوْمَ مُلْكُ عَضُوضٍ^(١) ، مِنْ غَلَبَ عَلَى شَيْءٍ أَكَّهْ . (الإمامة والسياسة ١ : ٢٩)

٣١١ - كتاب مفتعل على عثمان

وتكاتب أهل الأمصار المنحرفون عن عثمان ، وتواعدوا جميعاً أَنْ يَخْرُجُوا فِي شَوَّالِ (سنة ٣٥ هـ) مُظْهِرِينَ الْحَجَّ ، فَخَرَجَتْ جُمُوعُهُمْ مِنَ الْبَصْرَةِ وَالْكُوفَةِ وَمِصْرَ ، وَنَزَلُوا فِي ضَوَاحِي الْمَدِينَةِ ، وَعَلِمَ بِأَمْرِهِمْ عُثْمَانُ فَبَعَثَ إِلَى عَلِيٍّ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ ، وَسَأَلَهُ أَنْ يَخْرُجَ إِلَيْهِمْ ، وَيَضْمَنَ لَهُمْ عَنْهُ كُلَّ مَا يُرِيدُونَ مِنَ الْعَدْلِ ، وَحَسَنِ السَّيْرِ ، فَركب إليهم ، وردد عنهم ، فسمعوا لِقَوْلِهِ ، وَانصرفوا مظْهِرِينَ الرُّجُوعَ إِلَى بِلَادِهِمْ ، ثُمَّ كَرُّوا رَاجِعِينَ ،

(١) ملك عضوض . أى شديد فيه عسف وعنف ، وفي الحديث « ثم يكون ملك عضوض » أى يعصب الرعية فيه عسف وظلم ، كأنهم يعضون فيه عضاء وفي الأصل « عضود » بالذال ، وهو تحريف .

فلم يفجأ أهل المدينة إلا والتكبيرُ في نواحي المدينة ، وأحاطوا بعثمان ، فأَتاهم الناس فكلّموهم وفيهم على فقال : ما ردّكم بعد ذهابكم ؟ قال المصريون : أخذنا مع بريدٍ كتابا بقتلنا ، وذكروا أنهم بيناهم سائرون إذا بعلام على بغير وهو مُقبل من المدينة ، فتأمّلوه فإذا هو ورش غلام عثمان ، ففتّشوه فوجدوا معه كتابا إلى عبد الله بن أبي سرح عامل مصر ، ونصه (كما ورد في مروج الذهب) .

« إذا قَدِمَ عليك الجيش فاقطع يد فلان ، واقتل فلاناً ، وافعل بفلان كذا » وأحصى أكثر من في الجيش وأمر فيهم بما أمر .
وفي إحدى روايتي الطبري : « أما بعد ، فانظر فلاناً وفلاناً فاضرب أعناقهم إذا قَدِمُوا عليك ، وانظر فلاناً وفلاناً فعاقبهم بكذا وكذا » .
وفي روايته الأخرى :

« بسم الله الرحمن الرحيم . أما بعدُ : فإذا قَدِمَ عليك عبد الرحمن ابن عُدَيْس فاجلده مائةً ، وأحلق رأسه ولحيته ، وأطِلْ حَبْسَهُ حتى يَأْتِيكَ أمرى ، وعمر بن الحَمِق فافعل به مثل ذلك ، وسودان بن مُحران مثل ذلك وعروة بن النُّبَاع اللَّيْثي مثل ذلك ^(١) » .

وفي رواية العقد الفريد : « إذا جاءك محمد ^(٢) وفلان وفلان ، فاحْتَلْ لقتلهم ، وأبطلْ كتابهم ، وقرّ على عملك حتى يَأْتِيكَ رأيي ، واحتبس من جاء يتظلم منك . ليأتيك في ذلك رأيي إن شاء الله » .

(١) هؤلاء الأربعة : هم رؤساء الخارجين من المصريين .

(٢) يعني محمد بن أبي بكر ، وكان النّاثرون من المصريين طلبوا إلى عثمان أن يستعمله عليهم ، فكتب عهده وولاه ، ورواية الامامة والسياسة نحو من رواية العقد وتنقص عنها الفقرة الأخيرة .

وسألوا عثمان عن الكتاب ، فأقسم أنه ما كتب ، ولا أمر ، ولا علم ، فقال عليّ ومن معه من كبار الصحابة : صدق عثمان ، وقال محمد بن مسلمة ، والله إنه لصادق ، ولكن هذا عمل مروان ، قالوا : يكتب إلى عاملك بهذه الأمور العظام ، وأنت لا تدري ؟ قال : نعم ، قالوا : ما أنت إلا صادق ، أو كاذب ، فإن كنت كاذباً فقد استحققت الخلع ، لما أمرت به من سفك دمائنا بغير حقها ، وإن كنت صادقاً فقد استحققت الخلع ، لضعفك وغفلتك وخُبث بطانتك ، ولا ينبغي لنا أن نترك على رقابنا من يُقتطع مثل هذا الأمر دونه .

(تاريخ الطبري ٥ : ١١٥ ، ١١٩ ، والعقد الفريد ٢ : ٢١٦ ،
ومروج الذهب ١ : ٤٤٠ ، والإمامة والسياسة ١ : ٣١)

٣١٢ - كتاب عثمان إلى أهل الأمصار

وكتب عثمان إلى أهل الأمصار يستمدهم :

« بسم الله الرحمن الرحيم . أما بعد ، فإن الله عز وجل بعث محمداً بالحق بشيراً ونذيراً ، فبلغ عن الله ما أمره به ، ثم مضى وقد قضى الذى عليه ، وخلف فينا كتابه ، فيه حلاله وحرامه وبيان الأمور التى قدر ، فأمضاها على ما أحب العباد وكرهوا ، فكان الخليفة أبو بكر رضى الله عنه ، وعمر رضى الله عنه ، ثم أدخلت في الشورى عن غير علم ولا مسألة ، عن ملا من الأمة ، ثم أجمع أهل الشورى عن ملا منهم ، ومن الناس على غير طلب منى ولا محبة ، فعملت فيهم ما يعرفون ، ولا ينكرون ، تابعاً غير مستتبِع ، متبِعاً غير مُبتَدِع ، مقتدياً غير متكلف ، فلما انتهت الأمور ،

وانتكت^(١) الشرُّ بأهله ، بدت ضغائنٌ وأهواءٌ على غير إجماع ، ولا ترة^(٢) فيما مضى إلا إمضاء الكتاب ، فطلبوا أمراً ، وأعلنوا غيره بغير حجة ، ولا عُذر ، فعابوا على أشياء مما كانوا يرضون ، وأشياء عن ملائمة أهل المدينة لا يصلح غيرها ، فصبرت لهم نفسى ، وكففتها عنهم منذ سنين ، وأنا أرى وأسمع ، فازدادوا على الله عز وجل جرأة ، حتى أغاروا علينا فى جوار رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وحرّمه ، وأرض الهجرة ، وثابت إليهم الأعراب ، فهم كالأحزاب^(٣) أيام الأحزاب ، أو من غزانا بأحدٍ إلا ما يُظهرون^(٤) ، فمن قدر على اللحاق بنا فليلحق . (تاريخ الطبرى ٥ : ١٠٥)

٣١٣ - كتاب أهل مصر إلى عثمان

وكتب أهل مصر - الذين ساروا إلى عثمان - بكتاب ، فكان فيما كتبوا إليه :

« بسم الله الرحمن الرحيم . أما بعدُ فاعلم أن الله لا يُغيّر ما بقوم حتى يغيّروا ما بأنفسهم ، فالله الله ، ثم الله الله ، فإنك على دنيا فاستتم إليها معها آخرة ، ولا تنس نصيبك من الآخرة فلا تسوغ^(٥) لك الدنيا . وأعلم أنا والله لله نغضب ، وفي الله نرضى ، وإننا لن نضع سيوفنا عن عواتقنا ، حتى

(١) من انتكت الحبل إذا انتفض . (٢) الترة : الثأر .

(٣) هم فريش وغطفان وبنو مرة وأشجع وسليم وأسد الذين تحزّبوا واجتمعوا لقتال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة الأحزاب (غزوة الخندق) وكانت سنة خمس للهجرة ، وكانت عدتهم عشرة آلاف فأقدم العام أبو سفيان .

(٤) أى من الاسلام ، فلا فرق بينهم وبين هؤلاء إلا إظهارهم الاسلام .

(٥) ساغ الصراب : سهل مدخله فى الخلق .

تأتينا منك توبة مُصرَّحة^(١) ، أو ضلالة مُجلَّحة مُبلَّجة ، فهذه مقالتنا لك ، وقضيتنا إليك ، والله عذيرنا منك والسلام .

وكتب أهل المدينة إلى عثمان يدعونه إلى التوبة ويحتجون ويُقسمون له بالله لا يُمسكون عنه أبداً حتى يقتلوه ، أو يعطيهم ما يلزمه من حق الله .
(تاريخ الطبري ٥ : ١١٦)

٣١٤ - كتاب عثمان إلى الإمام علي

وتفاقت الفتنة واستطار شررها ، حتى حصر الثوار عثمان في داره ، وكانوا يهتفون بأسم الإمام علي كرم الله وجهه للخلافة ، فبعث عثمان عبد الله ابن عباس إلى الإمام علي وقال : قل له فليخرج إلى ماله يذنب^(٢) فلا أغتم به ولا يفتنم بي ، فخرج علي إلى ينبع ، فكتب إليه عثمان حين اشتد الأمر : «أما بعد: فإنه قد بلغ السيل الزبي^(٣)، وجاوز الحزام الطُّبِّيَّين^(٤)، وتجاوز الأمر بي قدره^(٥)» ، وطمع في من لا يدفع عن نفسه^(٦) .

(١) مصرحة : أى خالصة ، يقال صرحت الحرج نصريحا : أنجلي زبدها نخلصت . قال الأعشى :

كمينا تكشف عن حمرة إذا صرحت بعد لإزادها

والتجليح : المكاشفة في الكلام ، والاقدام الشديد والتصميم في الأمر والمضى فيه والجرأة ، وضلالة مجلحة : أى مجلح صاحبها ، ومبلجة : أى واضحة ظاهرة ، بلج الصبح وأبلج : أضاء وأشرق . (٢) وكان فيها نخل للإمام علي . (٣) الزبي جمع زبية كفرصة : وهي حفرة تحفر في ربوة من الأرض وتغطى ويجعل عليها طعم ، فيراه الأسد من بعيد فيأتيه . فاذا استوى عليها انقض غطاؤها فيهوى فيها ، وأصل الزبية : الراية لا يعلوها الماء ، فاذا بلغها السيل كان جارفاً مجحفاً ، وهو مثل يضرب للأمر يبلغ غايته في الشدة والصعوبة .

(٤) الطبي بالضم والكسر لذات الحافر والسباع كالضرع لغيرها والجمع أطباء ، وهو مثل يضرب أيضا عند بلوغ الشدة منهاها ، ورواية الكامل للبرد : « فانه قد جاوز الماء الزبي ، وبلغ الحزام الطبيين » . (٥) ورواية الامامة والسياسة : « وارتفع أمر الناس في شأني فوق قدره ، وزعموا أنهم لا يرضون دون دمي » .

(٦) ورواية العقد : « وطمع في من كان يضمن عن نفسه » .

وإنك لم يَفْخَرْ عليك كَفَاخِرٍ : ضَعِيفٌ ، ولم يَغْلِبْكَ مثلُ مُغْلَبٍ^(١)
ورأيت القوم لا يَقْصِرُونَ دون دمي ، فَأَقْبِلْ إِلَيَّ ، على أَى أمريك أَحَبَّتْ :
معى كنت أو على ، صديقاً كنت أو عدوًّا .
فإن كنتُ مأْكولاً فكن أنت آكِلِي وإِلَّا فَأَذْرِكْنِي وَلَمَّا أَمَزَقِ^(٢)
فرجع على .

(الكامل للمبرد ١ : ٩ ، والمقد الفريد ٢ : ٢٢٤ ، وزهر الآداب ١ : ٤٤ ،
ومجمع الأمثال ١ : ١١١ ، وجهرة الأمثال ١ : ١٥٥ ، وصبح الأعشى ٦ : ٣٨٨ ،
والإمامة والسياسة ١ : ٢٨ ، وإعجاز القرآن ص ١١٩)



ثم جاءه ابن عباس برسالة من عثمان وهو محصور ، يسأله فيها الخروج
إلى ماله لينبع ، ليقْلَّ هَتَفُ الناس بأسمه للخلافة - بعد أن كان سألَه مثل
ذلك من قبل ، كما رأيت - فقال :
« يا بن عباس ، ما يريد عثمان إِلَّا أن يجعلنى جِلاً ناضِحاً بالغرب^(٣) أَقْبِلْ
وأَذِرْ ، بعث إلى أن أخرج ، ثم بعث إلى أن أقدِّم ، ثم هو الآن يبعث إلى
أن أخرج ، والله لقد دفعتُ عنه ، حتى خَشِيتُ أن أكون آثماً .
(نهج البلاغة ١ : ٢٩٥)

(١) المغلب : المغلوب مرارا (وهو أيضاً المحكوم له بالقلبة ، ضد) ورواية زهر الآداب بدل هذا
البيت : « ولم يعجزك كلثيم ، ولم يغلبك كغلب » ورواية الإمامة والسياسة بين هذا البيت والذي
بعده : « وقد كان يقال : أكل السبع خير من اقتراس الثعلب ، فأقبل على أولى » .
(٢) ورواية الكامل للمبرد والعقد وإعجاز القرآن وصبح الأعشى والإمامة والسياسة « فكن
خير آكل » وقال صاحب زهر الآداب : « وهذا البيت للمعزق العبدى ، وبه سمى المعزق ، واسمه شاس
ولمّا تمثّل به عثمان رضى الله عنه ، وحذاق أهل النظر يدفعون هذا ويستشهدون على فساده بأحاديث
تناقضه ليس هذا موضعها » .
(٣) نضح الجمل الماء : حمله ليسقى به الزرع ، والغرب : الدلو العظيمة .

٣١٥ - كتاب عثمان إلى معاوية وأهل الشام والبصرة

وروى الطبري قال :

فلما رأى عثمان ما قد نزل به وما قد أنبعث عليه من الناس ، كتب إلى معاوية بن أبي سفيان وهو بالشام :

« بسم الله الرحمن الرحيم : أما بعدُ ، فإن أهل المدينة قد كفروا وأخلفوا الطاعة ، ونكثوا البيعة ، فابعث إليّ من قبلك من مقاتلة أهل الشام على كل صعب وذلول . »

فلما جاء معاوية الكتابُ تربّص به ، وكره إظهار مخالفة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد علم اجتماعهم . فلما أبطأ أمره على عثمان كتب إلى يزيد بن أسد بن كرز وإلى أهل الشام « يستنفرهم ويعظم حقه عليهم ، ويدكر الخلفاء وما أمر الله عزّ وجلّ به من طاعتهم ومناصحتهم ، ووعدهم أن يتخذهم جنداً أو بطانةً دون الناس ، وذكرهم بلاءه عندهم وصنيعه إليهم ، فإن كان عندهم غيابة فالعجب العجّل ، فإن القوم مُعاجليّ » .

فلما قرئ كتابه عليهم قام يزيد فعظم حق عثمان ، وحضّهم على نصره ، وأمرهم بالمسير إليه ، فتابعه ناس كثير ، حتى إذا كانوا بوادي القرى بلغهم قتل عثمان فرجعوا .

وكتب عثمان إلى عبد الله بن عامر أمير البصرة أن أندب إلى أهل البصرة - نسخة كتابه إلى أهل الشام - فصار إليه جمع كثير حتى إذا نزلوا الرّبذة^(١) ونزلت مقدّماتهم عند صرّار أتاهم قتل عثمان . (تاريخ الطبري ٥ : ١١٥)

(١) الرّبذة : قرب المدينة ، وكذا صرار .

٣١٦ - كتاب عثمان إلى معاوية وأهل الشام

وروى ابن قتيبة في الإمامة والسياسة قال :
وكتب عثمان إلى أهل الشام عامة ، وإلى معاوية وأهل دمشق خاصة :
« أما بعدُ : فإنني في قوم طال فيهم مُقَامِي ، وأستعجلوا القَدَرَفِيَّ ، وقد
خَيَّرُونِي بين أن يَحْمِلُونِي على شَارِفٍ^(١) من الإبل الدَّخِيلِ^(٢) ، وبين أن أُنْزِعَ
لهم رداء الله الذي كساني ، وبين أن أُقيدهم^(٣) بمن قتلْتُ ، ومن كان على
سُلْطَانٍ يَخْطِئُ وَيَصِيبُ ، فَيَا غوثاه يا غوثاه ، ولا أمير عليكم دوني ، فالعَجَل
العَجَل يا معاوية ، وأدرك ثم أدرك ، وما أراك تُدرك » (الإمامة والسياسة : ٢٠٠)

٣١٧ - كتاب عثمان إلى أهل الموسم

وأمر عثمانُ عبد الله بن عباس أن يحجَّ بالناس في السنة التي قتل فيها -
سنة ٣٥ هـ - وكتب معه إلى أهل المَوْسِمِ بكتاب يسألهم أن يأخذوا له
بالحق ممن حَصَرَهُ ، وهو :

« بسم الله الرحمن الرحيم . من عبد الله عثمان أمير المؤمنين إلى المؤمنين
والمسلمين : سلامٌ عليكم ، فإنني أحمَدُ اللهَ إليكم الذي لا إلهَ إلا هو ، أما بعدُ :

(١) الشارف من النوق : السنة المهرمة كالشارفة .

(٢) الدخيل : أي الغريبة ، يعني : من الإبل الضعيفة المهزولة . يقال فلان دخيل في بني فلان :
إذا كان من غيرهم فتدخل فيهم ، والأنتى دخيل ، وكلمة دخيل : أدخلت في كلام العرب وليست منه
ويقال أيضا : بعير مدخول أي مهزول داخل في جوفه الهزال ، فيجوز أن يكون فعيل هنا بمعنى
مفعول ، والمعنى : من الإبل الدخيل : أي المدخولة المهزولة ، ولم تلحقه الناء لأنه تبع موصوفه - وفي
نسخة من الإمامة والسياسة «الدخيل» بالحاء وهو تحريف .

(٣) أقاد القاتل بالقتيل : قتله به .

فإني أذكركم بالله جل وعز الذي أنعم عليكم ، وعلمكم الإسلام ، وهداكم من الضلالة ، وأنقذكم من الكفر ، وأراكم البيّنات ، وأوسع عليكم من الرزق ، ونصركم على العدو ، وأسبغ عليكم نعمه ، فإن الله عز وجل يقول ، وقوله الحق : « وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ » ، وقال عز وجل : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ ^(١) وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ، وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا ^(٢) حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ، وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ، وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ » وقال وقوله الحق : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذْ كُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا » ، وقال وقوله الحق : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِمِثَالِهِ فَتُصِيبُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ ، نَادِمِينَ ، وَأَعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُمْ ^(٣) وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ، فَضَلَّ مِنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ » وقال عز وجل : « إِنَّ

(١) أى حق تقواه ، وأصل تقاة : وقية ، قابت واوها المضبوطة تاء كما فى تودة وتخمة ، وقلت الياء لأنها لتحركها وافتتاح ما قبلها . (٢) الشفا : الحرف . (٣) أى لوقعت فى العنت ، والعنت بالتحريك : دخول المشقة على الانسان .

الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ^(١) لَهُمْ فِي
الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ
عَذَابٌ أَلِيمٌ^(٢) ، وقال وقوله الحق : « فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَأَسْمِعُوا
وَأَطِيعُوا وَأَنْتَقِوا خَيْرًا لَأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقْ شَحْخَ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ »
وقال وقوله الحق : « وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ
عَلَيْنَكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ، وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِي نَقَضَتْ^(٣)
غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ
أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبُلُوكُمْ اللَّهُ بِهِ وَلِيُبَيِّنَ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ، وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُضِلُّ
مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَلِنُسْأَلَنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ . وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ
دَخَلًا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُوا الشَّوْءَ بِمَا صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ
اللَّهِ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ، وَلَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا إِنَّمَا عِنْدَ اللَّهِ هُوَ
خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ، مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ
الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ » وقال وقوله الحق :
« أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ

(١) الخلاق : النصيب من الخير .

(٢) نقضت : أفست ، أنكاثا جمع نكت بالكسر : وهو ما ينكت أى ينقض لبغزل ثانية ، وأنكاثا
منصوب على الحال ، أو مفعول ثان لنقضت فإنه بمعنى صيرت ، والمراد به تشبيه الناقض بمن هذا شأنه ،
وقيل هي ربطة بنت سعد بن تيم القرشية فإنها كانت خرقاء تفعل ذلك ، دخلا : أى مفسدة وخديعة ،
ومعنى الآية : تتخذون أيمانكم فساداً ودخلا بينكم لأن تكون جماعة أزيد عدداً ، وأوفر مالا من
جماعة ، أى لاتعدروا بقوم أكثرتم وقلتم ، أو لكثرة منابذهم وقوتهم ، وذلك أن قريشاً كانوا
يخالفون الحلفاء ، فإذا رأوا شوكة فى أعادى حلفائهم نقضوا عهدهم ، وحالفوا أعداءهم ، يبلوكم : أى
يختبركم ، فتزل قدم ، أى فتزل أقدامكم عن محبة الإسلام ، ينفد : أى يفنى وينقضى .

فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا» وقال وقوله الحق : « وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ، وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ » وقال وقوله الحق : « إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا » .

« أما بعدُ : فإن الله جلَّ وعزَّ رضى لكم السَّمْعَ وَالطَّاعَةَ والجماعة ، وحذركم المعصية والفرقة والاختلاف ، ونبأكم ما قد فعله بالذين من قبلكم ، وتقدَّم إليكم فيه ، ليكون له الحُجَّةُ عليكم إن عصيتموه ، فأقبلوا نصيحة الله جلَّ وعزَّ واحذروا عذابه ، فإنكم لن تجدوا أُمَّةً هلكَتْ إلا من بعد أن تختلف ، إلا أن يكون لها رأسٌ يَجْمَعُها ، ومتى ما تفعلون ذلك لا تقيموا الصلاة جميعاً ، وسلَّطَ عليكم عدوكم ، ويستحلَّ بعضكم حُرْمَ بعض ، ومتى يفعل ذلك لا يقيم الله سبحانه دين ، وتكونوا شيعاً ، وقد قال الله جلَّ وعزَّ لرسوله صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا أَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ » وإني أوصيكم بما أوصاكم الله ، وأحذركم عذابه ، فإن شُعْبًا صلى الله عليه وسلم قال لقومه : « وَيَا قَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ^(١) شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ

(١) لا يجرمنكم : أى لا يعملكم .

أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمَ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ ، وَأَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ
إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ .

أما بعدُ : فإن أقواما مَن كان يقول في هذا الحديث أَظْهَرُوا للناس
أَنَّمَا يَدْعُونَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَالْحَقِّ ، ولا يريدون الدنيا ولا مُنَازَعَةً
فيها ، فلما عُرِضَ عليهم الحقُّ إِذَا النَّاسُ في ذلك شَتَّى ^(١) ، منهم آخِذٌ لِلْحَقِّ
وَنَازِعٌ ^(٢) عنه حين يُعْطَاهُ ، ومنهم تَارِكٌ لِلْحَقِّ وَنَازِلٌ عنه في الأمر يريد أن
يَبْتَزَّهُ ^(٣) بغير الحق ، طال عليهم عُمرى ، وَرَأَتْ ^(٤) عليهم أَمَلُهُمُ الْإِمْرَةَ ،
فَاسْتَعْجَلُوا الْقَدَرَ ، وقد كتبوا إليكم أَنَّهُمْ قد رَجَعُوا بِالَّذِي أُعْطِيَتْهُمْ ، ولا أعلم
أَنَّى تَرَكْتُ من الذى عَاهَدْتُهُمْ عليه شيئا ، كانوا زَعَمُوا أَنَّهُمْ يَطْلُبُونَ الْحُدُودَ
فَقُلْتُ : أَقِيمُوهَا عَلَى مَنْ عَلِمْتُمْ تَعَدَّاهَا فى أَحَدٍ ، أَقِيمُوهَا عَلَى مَنْ ظَلَمَكُمْ مِنْ
قَرِيبٍ أَوْ بَعِيدٍ ، قالوا : كِتَابُ اللَّهِ يُتَمَلَّى ، فَقُلْتُ : فَلْيَتْلُهُ مَنْ تَلَاهُ غَيْرَ غَالٍ
فيه بغير ما أَنْزَلَ اللَّهُ فى الْكِتَابِ ، وقالوا : الْمَحْرُومُ يُرْزَقُ ، وَالْمَالُ يُوفَّى
لِإِسْتِنَافِهِ السُّنَّةُ الْحَسَنَةُ ، ولا يُعْتَدَى فى الْخُمْسِ ولا فى الصَّدَقَةِ ، وَيَوْمَرُ
ذُو الْقُوَّةِ وَالْأَمَانَةِ ، وَتُرَدُّ مَظَالِمُ النَّاسِ إِلَى أَهْلِهَا ، فَرَضِيتُ بِذَلِكَ وَاصْطَبَرْتُ
لَهُ ، وَجِئْتُ نِسْوَةَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى كَلَّمْتُهُنَّ فَقُلْتُ : مَا تَأْمُرُنَنِ ؟
فَقُلْنَ : تُوَمِّرُ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ ^(٥) ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ قَيْسٍ ^(٦) ، وَتَدْعُ مَعَاوِيَةَ ،

(١) أى مختلفون مفترقون ، وهو جمع شتت .

(٢) نزع عن الأمر كضرب : كَفَّ وَأَبَى . (٣) أى يستلبه .

(٤) رأت : أَبْطَأَ ، وأمر عليهم إِذا وَلى ، والاسم الْإِمْرَةَ .

(٥) مات عمر وعلى مصر وعمر بن العاص ، فلما وَلى عُثْمَانُ أَقْرَه على عمله أربع سنين أو نحوها ،

ثم عزله وولى مكانه عبد الله بن سعد بن أبى سرح - وهو أخو عُثْمَانَ من الرضاع .

(٦) هو أبو موسى الأشعرى ، وكان عاملا على البصرة لما قتل عمر ، فأقره عُثْمَانُ عليها ، وظل

فَإِنَّمَا أَمْرُهُ أَمِيرٌ قَبْلَكَ ، فَإِنَّهُ مُصْلِحٌ لَأَرْضِهِ ، رَاضٍ بِهِ جُنْدُهُ ، وَارْدُدْ عُمَرَا فَإِنَّ جُنْدَهُ رَاضُونَ بِهِ ، وَأَمْرُهُ فَلْيُصْلِحْ أَرْضَهُ ، فَكُلٌّ ذَلِكَ فَعَلْتُ^(١) ، وَإِنَّهُ اعْتَدَى عَلَيَّ بَعْدَ ذَلِكَ ، وَعُدِي عَلَى الْحَقِّ ، كَتَبْتُ إِلَيْكُمْ وَأَصْحَابِي الَّذِي زَعَمُوا فِي الْأَمْرِ اسْتَعْجَلُوا الْقَدَرُ ، وَمَنَعُوا مِنِّي الصَّلَاةَ^(٢) ، وَحَالُوا بَيْنِي وَبَيْنَ الْمَسْجِدِ ، وَابْتَزُّوا مَا قَدَرُوا عَلَيْهِ بِالْمَدِينَةِ ، كَتَبْتُ إِلَيْكُمْ كِتَابِي هَذَا وَهُمْ يَخَيِّرُونَنِي إِحْدَى ثَلَاثَ : إِمَّا يُقَيِّدُونَنِي بِكُلِّ رَجُلٍ أَصَابَتْهُ خَطَأٌ أَوْ صَوَابًا غَيْرَ مَتْرُوكٍ مِنْهُ شَيْءٌ ، وَإِمَّا أَعْتَزِلُ الْأَمْرَ فَيَوْمَرُونَ آخَرَ غَيْرِي ، وَإِمَّا يُرْسِلُونَ إِلَى مَنْ أَطَاعَهُمْ مِنَ الْأَجْنَادِ ، وَأَهْلِ الْمَدِينَةِ فَيَتَبَرَّءُونَ مِنَ الَّذِي جَعَلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ لِي عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ ، فَقُلْتُ لَهُمْ : أَمَّا إِقَادَتِي مِنْ نَفْسِي فَقَدْ كَانَ مِنْ قَبْلِي خَلَفَاءُ تُخْطِئُ وَتُصِيبُ ، فَلَمْ

عامل عثمان على البصرة ست سنين ، ثم عزله عنها سنة ٢٩ وولاهها عبد الله بن عامر - وهو ابن خال عثمان - فسار أبو موسى من البصرة إلى الكوفة فلم يزل بها حتى أخرج أهل الكوفة سعيد بن العاص وطلبوا من عثمان أن يستعمل أبا موسى عليهم فاستعمله سنة ٣٤ ، فلم يزل على الكوفة حتى قتل عثمان فعزله على عنها - انظر تاريخ الطبري ٥ : ٥٤ وأسد الغابة ٢ : ٢٤٦ -

(١) إن كان المراد بهذا القول وهو « اردد عمرا » تثبيتته في ولايته ، فالأمر ظاهر ، إذ قد أفره عثمان على ولاية مصر أربع سنين أو نحوها ثم عزله كما قدمنا ، وإن كان المراد به رده بعد عزله ، فلا يعرف في التاريخ أن عثمان رد عمرا إلى ولاية مصر - ولا إلى غيرها - بل الثابت أنه لما عزله عن مصر قدم المدينة وجعل يطعن على عثمان ، فلما حصر عثمان الحصر الأول خرج عمرو من المدينة إلى أرض له بفلسطين فنزل بها وكان يقول : والله إن كنت لألقي الراعي ، فأحرضه عليه - كما سيأتي - فقول عثمان في تلك الرسالة « فكل ذلك فعات » لم يتحقق بالنسبة لعمر بن العاص ، ولعله كان قد أزمع أن يرده إلى مصر تهدئة لثورة الثائرين عليه ، ثم حالت الظروف دون تنفيذ ذلك ، أو لعله يقصد الحادث الآتي :

روى أنه لما عزل عمرو عن مصر وولى عبد الله بن سعد ، نزلت الروم بالإسكندرية ، فسأل أهل مصر عثمان أن يقرَّ عمرا حتى يفرغ من قتال الروم ، فإن له معرفة بالحروب وهيبة في قلب العدو ففعل ، وخرج عليهم عمرو في البر والبحر ، فلما انهزم الروم أراد عثمان عمرا أن يكون على الحرب وعبد الله ابن سعد على الحراج ، فقال عمرو : أنا إذن ككاسك البقرة بقرنيها وآخر يحملها ، وأبى ذلك - انظر حسن المحاضرة ١ : ٦٩ - .

(٢) معناه : لم يمكنوني من الصلاة .

يُسْتَقَدُّ^(١) من أحدٍ منهم ، وقد علمتُ أنما يريدون نفسي ، وأما أن أتبرأ من الإمارة فأن يكلموني^(٢) أحبُّ إليَّ من أتبرأ من عملِ الله عزَّ وجلَّ وخلافته ، وأما قولهم : يُرْسِلُونَ إلى الأجناد وأهل المدينة فيتبرءون من طاعتي ، فلست عليهم بوكيل ، ولم أكن استكرهتهم من قبلُ على السَّمْع والطاعة ، ولكن أتوها طائعين يبتغون مَرْضَاةَ الله عزَّ وجلَّ وإصلاحَ ذاتِ البين ، ومن يكن منكم إنمَّا يبتغي الدنيا فليس بنائِلٍ منها إلا ما كَتَبَ اللهُ عزَّ وجلَّ له ، ومن يكن إنمَّا يريد وَجْهَ اللهِ والدارَ الآخرةَ وصَلاحَ الأُمَّةِ وابتغاءَ مَرْضَاةِ اللهِ عزَّ وجلَّ ، والسُّنَّةَ الحَسَنَةَ التي استَنَّ بها رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم والخليفَتان من بعده رضى اللهُ عنهما ، فإنمَّا يَجْزِي بِذلكم اللهُ ، وليس بيدي جزاؤكم ، ولو أعطيتكم الدنيا كلَّها ، لم يكن في ذلك ثمن لدينكم ، ولم يُغْنِ عنكم شيئاً ، فاتقوا اللهَ واحتسبوا ما عنده ، فمن يَرْضَ بِاللَّكْثِ منكم فإنِّي لا أرضاه له ، ولا يرضى اللهُ سبحانه أن تنكثوا عَهْدَهُ ، وأما الذي يخبرونني فإنمَّا كله النَّزْعُ والتأثير ، فَلَكْتُ نفسي ومن معي ، ونظرتُ حُكْمَ اللهِ وتغيير النعمة من الله سبحانه ، وكرهتُ سُنَّةَ السَّوءِ وشقاقَ الأُمَّةِ وسفكَ الدماء .

فإنِّي أَنشُدُكُمْ^(٣) بالله والإسلام أن لا تأخذوا إلا الحقَّ وتُعْطُوهُ مني ، وتركَ البَغْيِ على أهله ، وخذوا بيننا بالعدل كما أمركم اللهُ عزَّ وجلَّ ، فإنِّي

(١) استقاد الحاكم : سأله أن يقيد الفاتل بالقتيل أى يقتله به .

(٢) كلبه : ضربه بالكلاب ، والكلاب كرمات : المهاز ، أى الحديدية التي على خف الرائص

يقال ساط الدابة يسوطها أى ضربها بالسوط ، وكلبها أى ضربها بالكلاب .

(٣) نشدتك بالله ونشدتك الله : استخلفتك

أَنشَدُكُمْ اللهُ سُبْحَانَهُ الَّذِي جَعَلَ عَلَيْكُمْ الْعَهْدَ وَالْمُؤَاذَرَةَ^(١) فِي أَمْرِ اللهِ ، فَإِنَّ
اللهَ سُبْحَانَهُ قَالَ وَقَوْلُهُ الْحَقُّ : « وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا » فَإِنَّ
هَذِهِ مُعْذَرَةٌ إِلَى اللهِ وَلَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ .

« أَمَا بَعْدُ : فَإِنِّي لَا أَبْرِيءُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ
رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ » ، وَإِنْ عَاقَبْتُ أَقْوَامًا فَمَا أَتَبَغَى بِذَلِكَ إِلَّا الْخَيْرَ ،
وَإِنِّي أَتُوبُ إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ كُلِّ عَمَلٍ عَمِلْتُهُ وَأَسْتَغْفِرُهُ ، إِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ
إِلَّا هُوَ ، إِنَّ رَحْمَةَ رَبِّي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ، إِنَّهُ لَا يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ إِلَّا الْقَوْمُ
الضَّالُّونَ ، وَإِنَّهُ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا يَفْعَلُونَ .
وَأَنَا أَسْأَلُ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَغْفِرَ لِي وَلَكُمْ ، وَأَنْ يُؤَلِّفَ قُلُوبَ هَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى
الْخَيْرِ ، وَيَكْرِهَ إِلَيْهَا الْفُسْقَ ، وَالسَّلَامَ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةَ اللهِ وَبَرَكَاتِهِ أَيُّهَا
الْمُؤْمِنُونَ وَالْمَسَامُونَ » .

فَقَرَأَ ابْنُ عَبَّاسٍ هَذَا الْكِتَابَ عَلَى النَّاسِ قَبْلَ التَّرْوِيَةِ^(٢) بِمَكَّةَ يَوْمَ ، ثُمَّ
قَفَلَ إِلَى الْمَدِينَةِ وَإِذَا عُثْمَانُ قَدْ قُتِلَ . (تاريخ الطبري ٥ : ١٤٠)

٣١٨ - كِتَابُ آخِرٍ إِلَى أَهْلِ الْمَوْسِمِ

وَرَوَى ابْنُ قَتِيبَةَ فِي الْإِمَامَةِ وَالسِّيَاسَةِ . قَالَ :
وَكُتِبَ عُثْمَانُ كِتَابًا بَعَثَهُ مَعَ نَافِعِ بْنِ طَرِيفٍ إِلَى أَهْلِ مَكَّةَ وَمَنْ جَضَرَ
الْمَوْسِمَ يَسْتَغِيثُهُمْ ، فَوَافَى بِهِ نَافِعٌ يَوْمَ عَرَفَةَ بِمَكَّةَ ، وَابْنُ عَبَّاسٍ يَخْطُبُ - وَهُوَ

(١) المؤازرة : المساعدة والمعاونة .

(٢) يوم التروية : ثامن ذي الحجة . لأن الماء كان قليلا بمكة ، فكانوا يرتوون من الماء لما بعد

يومئذ على الناس كان قد استعمله عثمان على الموسم - فقام نافع ففتح الكتاب
فقرأه فإذا فيه:

« بسم الله الرحمن الرحيم . من عبد الله عثمان أمير المؤمنين إلى من
حضر الحج من المسلمين .

أما بعدُ : فأني كتبت إليكم كتابي هذا ، وأنا محصور ، أشرب من
بئر القصر ، ولا آكل من الطعام ما يكفيني ، خيفة أن تنفذ ذخيرتي فأموتَ
جوعاً أنا ومن معي ، لا أدعى إلى توبة أقبلاها ، ولا تسمع مني حجة أقولها ،
فأنشدُ الله رجلاً من المسلمين بلغه كتابي إلا قديم عليّ ، فأخذ الحق فيّ ،
ومنعني من الظلم والباطل » . (الإمامة والسياسة ١ : ٢٩)

٣١٩ - كتاب أبي الدرداء إلى معاوية

وكتب أبو الدرداء^(١) إلى معاوية :

« أما بعدُ : فإنه من يلتبس رضا الله بسخط الناس ، كفاه الله مؤنة
الناس ، ومن التمس رضا الناس بسخط الله وكله الله إلى الناس »
(العقد الفريد ١ : ٢٠)

(١) هو أبو الدرداء عويمر الأنصاري الخزرجي . اختلف في اسمه ف قيل هو عامر ، وعويمر لقب ،
واختلف في اسم أبيه ف قيل عامر أو مالك أو ثعلبة أو عبد الله أو زيد ، وقد أسلم أبو الدرداء يوم
بدر وشهد غزوة أحد وأبلى فيها ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد : نعم الفارس عويمر
وقال : هو حكيم أمتي ، وقد ولاء معاوية قضاء دمشق في خلافة عمر ، ومات لستين بيتاً من خلافة
عثمان وقيل مات سنة ٣٢ هـ ، وقيل مات بعد صفين سنة ٣٨ أو سنة ٣٩ هـ - انظر ترجمته في
الاصابة في تمييز الصحابة ٥ : ٤٦ وأسد الغابة في معرفة الصحابة ٤ : ١٥٩ .

٣٢٠ - كتاب أبي الدرداء إلى سلمان الفارسي

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد آخى بين سلمان الفارسي^(١) ،
وبين أبي الدرداء ، فسكن أبو الدرداء الشام ، وسكن سلمان العراق ، فكتب
أبو الدرداء إلى سلمان :
« سلام عليك ، أما بعدُ : فإن الله رزقني بعدك مالا وولداً ، ونزلت
الأرض المقدسة » .

٣٢١ - رد سلمان الفارسي على أبي الدرداء

فكتب إليه سلمان :
« سلام عليكم ، أما بعدُ : فإنك كتبت إليّ أن الله رزقك مالا وولداً ،
فاعلم أن الخير ليس بكثرة المال والولد ، ولكن الخير أن يكثر حلمك ، وأن
ينفعك علمك ، وكتبت إليّ أنك نزلت الأرض المقدسة ، وإن الأرض
لا تعمل لأحد ، تعمل كأنك ترى ؛ واعدد نفسك من الموتى » .
(أسد الغابة ٢ : ٢٣١)

٣٢٢ - كتاب سلمان الفارسي إلى أبي الدرداء

وكتب سلمان الفارسي إلى أبي الدرداء :
« أما بعدُ : فإنك لن تنال ما تريد إلا بترك ما تشتهي ، ولن تنال ما تأملُ

(١) هو سلمان الفارسي أبو عبد الله ويعرف بسلمان الخير مولى رسول الله صلى الله عليه و لم ،
وسئل عن نسبه فقال : أنا سلمان بن الإسلام ، أصله من فارس ، وكان اسمه قبل الإسلام مابه بن
بوذخشان ، وكان يبلاد فارس مجوسياً سادن النار ، وهو الذي أشار على رسول الله بحفر الخندق
لما جاءت الأحزاب ، وتوفي سنة ٣٥ هـ في آخر خلافة عثمان ، وقيل في خلافة عمر ، والأول أكثر
- انظر ترجمته في أسد الغابة ٢ : ٢٢٨ ، والإصابة ٣ : ١١٣ .

إِلَّا بِالصَّبْرِ عَلَى مَا تَكْرَهُ ، فَلَیْكَ كَلَامُكَ ذِكْرًا ، وَصَمْتُكَ فِكْرًا ، وَنَظْرُكَ عِبْرًا ، فَإِنَّ الدُّنْيَا تَتَقَلَّبُ ، وَبَهْجَتُهَا تَتَغَيَّرُ ، فَلَا تَغْتَرَّ بِهَا ، وَلَیْكَ يَدُوكَ الْمَسْجِدُ وَالسَّلَامُ .

٣٢٣ - رد أبي الدرداء على سلمان

فأجابه أبو الدرداء :

« سَلامٌ عَلَیْكَ ، أَمَّا بَعْدُ : فَإِنِّی أَوْصِیْكَ بِتَقْوَى اللَّهِ ، وَأَنْ تَأْخُذَ مِنْ صِحَّتِكَ لِسَقَمِكَ ، وَمِنْ شَبَابِكَ لَهَرَمِكَ ، وَمِنْ فَرَاغِكَ لَشُغْلِكَ ، وَمِنْ حَیَاتِكَ لَمَوْتِكَ ، وَمِنْ جَفَائِكَ لَمَوَدَّتِكَ ، وَاذْكُرْ حَیَاةً لَا مَوْتَ فِیْهَا فِی إِحْدَى الْمَنْزِلَتَيْنِ إِمَّا فِی الْجَنَّةِ ، وَإِمَّا فِی النَّارِ ، فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي إِلَى أَيِّهِمَا تُصِيرُ ^(١) » .

(العقد الفريد ١ : ٣٠٠)

٣٢٤ - كتاب نائلة بنت الفرافصة إلى معاوية

وَرَوَى أَنَّ نَائِلَةَ بِنْتَ الْفَرَاغِصَةِ زَوْجَ عُمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَتَبَتْ إِلَى مُعَاوِيَةَ ، وَبَعَثَتْ بِقَمِيصِ عُمَانَ مَعَ الثُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ ، أَوْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ابْنِ حَاطِبٍ بْنِ أَبِي بَلْتَعَةَ :

« مِنْ نَائِلَةَ بِنْتَ الْفَرَاغِصَةِ إِلَى مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سَفْيَانَ :

أَمَّا بَعْدُ : فَإِنِّی أَذْكُرُّكُمْ بِاللَّهِ الَّذِي أَنْعَمَ عَلَیْكُمْ ، وَعَلَّمَكُمْ الْإِسْلَامَ ، وَهَدَاكُمْ مِنَ الضَّلَالَةِ ، وَأَنْقَذَكُمْ مِنَ الْكُفْرِ ، وَنَصَرَكُمْ عَلَى الْعَدُوِّ ، وَأَسْتَبِغُ ^(٢) عَلَیْكُمْ النِّعْمَةَ ، وَأَنْشُدُكُمْ ^(٣) بِاللَّهِ وَأَذْكُرُّكُمْ حَقَّهُ وَحَقَّ خَلِيفَتِهِ الَّذِي لَمْ تَنْصُرُوهُ

(١) لیس لدينا ما يؤكد لنا : فی أى تاریخ صدرت كتب أبی الدرداء وسلمان الفارسی المذكورة ، ولكننا أوردناها فی خلافة عثمان باعتبار أنهما توفيا فی عهده .

(٢) أسبغ الله النعمة : أعما . (٣) نشدتك الله وبالله : استحلقتك به .

وبعزيمة الله عليكم فإنه قال : « وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا
بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَبْغِيَ^(١) إِلَىٰ
أَمْرِ اللَّهِ » وإن أمير المؤمنين بُغِيَ عليه ، ولو لم يكن له عليكم حقٌّ إلا حق
الولاية ، ثم أتى إليه ما أتى ، لحقَّ على كل مسلم يرجو أيامَ الله أن ينصره
لقدّمه في الإسلام ، وحُسن بلاءه ، وأنه أجاب داعيَ الله ، وصدق رسوله ،
والله أعلم به إذ انتخبه فأعطاه شرفَ الدنيا ، وشرف الآخرة .

وإني أقصُّ عليكم خبره لأنني كنت مشاهدةً أمره كله ، حتى قضى الله
عليه ، إن أهل المدينة حصّروه في داره ، يحرسونه ليلاً ونهاراً قيماً على
أبوابه بسلاحهم ، يمنعونه كلَّ شيءٍ قدّروا عليه حتى منعه الماء ، يُحضرونه
الأذى ، ويقولون له الإِفْكُ^(٢) ، فكث هو ومن معه خمسين ليلةً ، وأهلُ
مصر قد أسندوا أمرهم إلى محمد بن أبي بكر ، وعُمّار بن ياسر ، وكان على مع
الحَصْرَيْنِ من أهل المدينة ، ولم يقاتل مع أمير المؤمنين ، ولم ينصره ، ولم
يأمر بالعدل الذي أمر الله تبارك وتعالى به ، فظَلَّتْ تُقَاتِلُ خُزَاعَةً ، وسعد
ابن بكر ، وهذيل ، وطوائفٌ من مُزَيْنَةٍ وَجُهَيْنَةٍ ، وأنباطٍ^(٣) يَثْرِبَ ، ولا
أدرى سائرهم ، ولكني سمّيت لكم الذين كانوا أشد الناس عليه في أول
أمره وآخره .

ثم إنه رُمِيَ بالنبل والحجارة فقتل ممن كان في الدار ثلاثة نفر ، فأتوه
بصرخون إليه ليتأذن لهم في القتال ، فنهاهم عنه وأمرهم أن يردّوا عليهم
نبلهم ، فردوها إليهم ، فلم يزدْهم ذلك على القتال إلا جرأةً ، وفي الأمر

(١) أى ترجع . (٢) الافك : الكذب .

(٣) الأنباط : جيل كانوا ينزلون بالبطائح بين العراقيين .

إلا إغراءً ، ثم أحرقوا باب الدار فجاءهم ثلاثة نفر من أصحابه فقالوا : إن في المسجد ناساً يريدون أن يأخذوا أمر الناس بالعدل ، فاخرج إلى المسجد حتى يأتوك ، فانطلق جلس فيه ساعة ، وأسلحهُ القوم مُظَلَّةً عليه من كل ناحية ، وما أرى أحداً يَعْدِلُ ، فدخل الدار وقد كان نفر من قريش على عامتهم السلاح ، فلبس دِرْعَهُ ، وقال لأصحابه : لولا أنتم ما لبستُ درعاً ، فوثب عليه القوم فكلهم ابن الزبير ، وأخذ عليهم ميثاقاً في صحيفة وبعث بها إلى عثمان : إن عليكم عهد الله وميثاقه ألا تَغْرُوهُ بشيء ، فكلموه وتحرجوا فوضع السلاح فلم يكن إلا أن وَضَعَهُ حتى دخل عليه القوم يَقْدُمُهُم^(١) ابن أبي بكر ، حتى أخذوا بلحيته ودَعَوْهُ بِاللَّقَبِ^(٢) ، فقال أنا عبد الله وخليفته ، فضربوه على رأسه ثلاث ضَرَبَاتٍ ، وطعنوه في صدره ثلاث طَعَنَاتٍ ، وضربوه على مقدم الجبين فوق الأنف ضربة أسرعَتْ في العظم فسَقَطَتْ عليه وقد أثنوه^(٣) وبه حياة ، وهم يريدون قطع رأسه ليذهبوا به ، فَأَتَتْني بنت شَيْبَةَ ابن ربيعة ، فَأَلَقَتْ نفسها معي عليه ، فَتَوَطَّأْنَا^(٤) وطأاً شديداً ، وعُرِّيْنَا من ثيابنا^(٥) ، وحرمة أمير المؤمنين أعظم ، فقتلوه رحمة الله عليه في بيته وعلى فراشه ، وقد أرسلت إليكم بثوبه وعليه دمه ، وإنه والله لئن كان أُمِّمَ مَنْ

(١) قدمهم من باب نصر : تقدمهم .

(٢) اللقب الذي تشير إليه هو « نعل » كجعفر ، وهو اسم رجل من أهل مصر ، كان طويل اللحية قيل : إنه كان يشبه عثمان ، فكان شائعوه يسمونه نعلًا تشبيهاً بذلك الرجل ، قال الطبري : في تاريخه (٥ : ١٣١) « فتقدمهم محمد بن أبي بكر ، فأخذ باجبة عثمان ، فقال : قد أخزأك الله يا نعل ، فقال عثمان : لست بنعل ، ولكنني عبد الله وأمير المؤمنين » .

(٣) أثنوه : أوهنه بالجراحة وأضعفه . (٤) وطئه بالكسر ووطأه وتوطأه : داسه .

(٥) قال الطبري : « وجاء النجبي مختطاً سيفه ليضعه في بطنه ، فوقته نائلة فقطع يدها » وفي

الأغانى « فقطع أصبعين من أصابعها » .

قَتَلَهُ لَمَّا سَلِمَ مِنْ خَذَلِهِ ، فَاَنْظُرُوا أَيْنَ أَنْتُمْ مِنَ اللَّهِ جَلَّ وَعَزَّ ، فَإِنَّا نَتَشَكَّى
مَا مَسَّنَا إِلَيْهِ ، وَنَسْتَنْصِرُ وَلِيَّهِ وَصَالِحِي عِبَادِهِ ، وَرَحْمَةُ اللَّهِ عَلَى عَثْمَانَ ، وَلَعَنَ اللَّهُ
مَنْ قَتَلَهُ ، وَصَرَّعَهُمْ فِي الدُّنْيَا مَصَارِعَ الْخِزْيِ وَالْمَذَلَّةِ ، وَشَفَى مِنْهُمْ الصَّدُورَ
خَلْفَ رِجَالٍ مِنْ أَهْلِ الشَّأْمِ أَنْ لَا يَطْئُوا النِّسَاءَ حَتَّى يَقْتُلُوا قَتْلَتَهُ ، أَوْ
تَذْهَبَ أَرْوَاحُهُمْ . (الْأَغَانِي ١٥ : ٦٨)

خلافة الامام علي بن أبي طالب

كَرَّمَهُ اللَّهُ وَجْهَهُ

٣٢٥ - كتاب الامام علي إلى عثمان بن حنيف

وَبَوَّعَ الْإِمَامُ عَلِيٌّ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ بِالْخِلَافَةِ ، لِحُمْسِ بَقِيَّةٍ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ
سَنَةِ ٤٣٥ هـ ، فَبِعَثَ عَمَّالَهُ عَلَى الْأَمْصَارِ ، فَكَانَ عَامِلَهُ عَلَى الْبَصْرَةِ عَثْمَانُ بْنُ حُنَيْفٍ
الْأَنْصَارِيُّ ، ثُمَّ بَلَغَهُ أَنَّ ابْنَ حُنَيْفٍ دُعِيَ إِلَى وَلِيَّةٍ قَوْمٍ مِنْ أَهْلِهَا فَمَضَى إِلَيْهَا ،
فَكُتِبَ إِلَيْهِ الْإِمَامُ عَلِيٌّ :

«أَمَّا بَعْدُ : يَا ابْنَ حُنَيْفٍ ، فَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ رَجُلًا مِنْ فِتْيَةِ^(١) أَهْلِ الْبَصْرَةِ دَعَاكَ
إِلَى مَادَّةٍ فَأَسْرَعْتَ إِلَيْهَا ، تُسْتَطَابُ لَكَ الْأَلْوَانُ^(٢) ، وَتُنْقَلُ إِلَيْكَ الْجِفَانُ ،

(١) أَيُّ مِنْ شَبَابِهَا أَوْ مِنْ أَسْخِيائِهَا ، يُقَالُ لِلشَّيْءِ : هَذَا فِتْيٌ ، وَيُرْوَى « أَنَّ رَجُلًا مِنْ قَطَانَ
الْبَصْرَةِ » أَيُّ سَكَانِهَا ، وَالْمَادَّةُ : طَعَامٌ يُصْنَعُ لِدَعْوَةِ أَوْ عَرَسٍ ، وَأَدْبَهُمْ كَضَرْبٍ : دَعَاهُمْ إِلَى طَعَامِهِ .
(٢) تَسْتَطَابُ : يُطَلَبُ لَكَ طَيِّبُهَا ، وَالْأَلْوَانُ : أَصْنَافُ الطَّعَامِ ، وَالْجِفَانُ : جَمْعُ جَفَنَةٍ بِالْفَتْحِ وَهِيَ الْقَصْعَةُ
وَيُرْوَى « وَكَثُرَتْ عَلَيْكَ الْجِفَانُ فَكَرَعْتَ وَأَكَلْتَ أَكْلَ ذَنْبٍ نَهَمَ ، أَوْ ضَبَعَ قَرَمَ » وَكَرَعَ فِي الْمَاءِ
أَوْ فِي الْإِنَاءِ كَنَعَ وَسَمِعَ : تَنَاوَلَهُ بَقِيَّةً مِنْ مَوْضِعِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَشْرَبَ بِكَفَيْهِ وَلَا بِإِنَاءٍ ، وَقَرَمَ كَفَرَحَ :
شَدِيدُ شَهْوَةِ اللَّحْمِ .

وما ظننتُ أنك تجيبُ إلى طعام قوم^(١) ، عائلهم مجفؤ^(٢) ، وغنيهم مدعو^(٣) ،
فانظر إلى ما تقضمه^(٤) من هذا المقضم ، فما اشتبه عليك علمه فالفظه ، وما
أيقنت بطيب وجوهه فتل منه .

ألا وإن لكل مأموم إماما يقتدى به ، ويستضيء بنور علمه ، ألا
وإن إمامكم قد اكتفى من دنياه بطمريه^(٥) ، ومن طعمه بقرصيه ، ألا وإنكم
لا تقدرون على ذلك ، ولكن أعينوني بوزع واجتهاد ، وعفة وسداد ، فوالله
ما كنزت من دنياكم تبرا ، ولا ادخرت من غنائمها وفرا ، ولا أعددت
لبالي ثوبي طمرا^(٦) ، ولا حزت من أرضها شبرا ، ولا أخذت منها إلا
كقوت أتان دبرة^(٧) ، ولهي في عيني أوهى وأهون من عفصة مقررة ،
بلى كانت في أيدينا « فذك^(٨) » من كل ما أظلمت السماء ، فشحت عليها

(١) وروى « وما حسبتك تأكل طعام قوم . . . » والعائل : الفقير .
(٢) قضم كسمع : أكل بأطراف أسنانه (أو أكل يابساً) والمراد الأكل مطلقاً ، والمقضم :
المأكل ، ولفظه وبه كضرب وسمع : رماه وطرحه .
(٣) الطمر : الثوب الخلق البالي ، والطعم : الطعام ، وروى « فداكتفى من الدنيا بطمريه ،
وسده فورة جوعه بقرصيه ، لا يطعم الغلظة في حويله إلا في يوم أضحيتيه » - والغلظة بالكسر :
القطعة من اللحم . والتبر : فئات الذهب والفضة قبل أن يصاغ ، والوفر : المال الكثير الواسع .
(٤) يقسم أنه ما أعد ثوباً بالبالي بلبسه بدلاً عن ثوبه الذي يبلى ، فضلاً عن أن يعد ثوباً قشيباً جديداً
كما يفعل الناس . (٥) هي التي عقر ظهرها فقل أكلها ، أوهى أضعف ، وأهون : أخس .
والعفص : الذي يتخذ منه الخبز ، ويدبغ به ، ومقرة : أى مرة ، مقر الشيء بالكسر وأمقر :
صارمرا .

(٦) فذك : قرية بخير فيها عين ونخل كثير ، بينها وبين المدينة يومان ، أفاءها الله على رسوله
صلى الله عليه وسلم سنة سبع صلحا ، فكانت خالصة له ينفق ما يأتيه منها في أبناء السبيل ، فلما
قبض عليه السلام جاءت فاطمة رضي الله عنها أبا بكر رضي الله عنه تطلب ميراثها من أبيها ، وهو
أرضه من فذك وسهمه من خير ، فقال لها أبو بكر : أما إنى سمعت رسول الله يقول : نحن معاشر
الأنبياء لا نورث ، ما تركنا فهو صدقة ، إنما يأكل آل محمد من هذا المال ، وإنى والله لا أدع
أمراً رأيت رسول الله يصنعه إلا صنفته ، فهجرته فاطمة فلم تكلمه في ذلك حتى مات ، وروى أنه قال
لها : سمعت رسول الله يقول : إنما هي طعمة أطعمنيها الله تعالى حياتي ، فإذا مت فهي بين المسلمين

نفوس قوم^(١)، وسَخَتْ عنها نفوس قوم آخرين، ونِعِمَّ الْحَكَمُ اللَّهُ، وما أصنع بفدك وغير فذك؟ والنفوس مظانها في غدٍ جَدَتْ^(٢)، تنقِطِعُ في ظلمته آثارها، وتَغِيبُ أخبارها، وحُفْرَةُ لوزيدٍ في فُسْحَتِها، وأوسَعَتِ يدا حافِرِها، لأَضْغَطَها الحجرُ والمدَرُ، وسَدَّ فُرْجَها الترابُ المتراكِمُ، وإنما هي نفسى أروضها^(٣) بالتقوى، لِتَأْتِيَ آمِنَةً يومَ الخوفِ الأكبر، وتثبت على جوانب المزلتِ.

ولو شئتُ لاهتديتُ الطريقَ إلى مُصَنِّى هذا العسل. ولُبَّاب هذا القمح، ونَسَائِجُ هذا القَزِّ، ولكن هيهات أن يَغْلِبَنِي هواي، ويقودَنِي جَشَعِي^(٤) إلى

وروى أيضا أنها قالت له: إن رسول الله جعل لى فذك فأعطني إياها، وشهد لها على بن أبي طالب رضى الله عنه، فسألها شاهدا آخر، فشهدت لها أم أيمن مولاة رسول الله، فقال: قد علمت يا بنت رسول الله أنه لا يجوز إلا شهادة رجلين أو رجل وامرأتين، فانصرفت، كما روى أيضا أن فاطمة سألت أباه أن يهبها لها، فأبى وقال: ما كان لك أن تسألني، وما كان لى أن أعطيك، ثم أدى اجتهد عمر لما ولى الخلافة وفتحت الفتوح واتسعت على المسلمين أن يردها إلى ورثة رسول الله، فكان على والعباس بن عبدالمطلب يتنازعان فيها، فكان على يقول: إن رسول الله جعلها في حياته لفاطمة، وكان العباس يأبى ذلك ويقول: هي ملك رسول الله وأنا وارثه، فكانا يتخاصمان إلى عمر فبأبى أن يحكم بينهما ويقول: أنما أعرف بشأنكما، أما أنا فقد سلمتها إليكما، وسنعود إلى استيفاء الكلام في هذا الموضوع في الجزء الثاني (في خلافة عمر بن عبد العزيز) إن شاء الله.

(١) يعنى العباس كما تقدم لك، وسخت عنها: أى أغضت وساحت، يعنى نفسه.

(٢) مظان جمع مظنة: وهى الموضع الذى يظن فيه وجود الشيء، والجدت: القبر، والمدَر قطع الطين اليابس، وضغطة: زحمة وعصره وضيق عليه، وأضغطها الحجر: أى جعلها ضاغطة للبيت عاصرة له.

(٣) أروضها: أذلها، والمزاق: أى الموضع الذى يخشى فيه الزلق والرل وهو الصراط.

(٤) الجشع: شدة الحرص، والبطان: الذى لا يزال عظيم البطن من كثرة الأكل، وغرثى: جائعة، مؤث غرثان، وفعله كفرح، وجرثى: عطشى، مؤث حران وفعله كظل، وروى «ولو شئت لاهتديت إلى هذا العسل المصقى، ولباب هذا البر المنقى، فضرث هذا بذاك حتى ينضج وقودا، ويستحكم معقودا» وروى «ولعل بالمدينة يتما تريا، يتصور سفيا، أبيت مبطانا وحول بطون غرثى. إذن يحضرنى يوم القيامة وهم من ذكر وأنى» - والتراب كفرح: الفقير، والتصور التلوى من وجع الجوع، والسغب كسبب وشمس: الجوع.

تخير الأظعمة ، ولعلّ بالحجاز وباليمامة من لا طمع له في القُرص ، ولا عهد له بالشَّبع ، أو أبيت مبطانا وحولى بطون غرثي ، وأكباد حرّى ، أو أكون كما قال القائل :

وَحَسْبُكَ عَارًا أَنْ تَبَيْتَ بِبِطْنَةٍ وَحَوَّلَكَ أَكْبَادُ تَحْنٍ إِلَى الْقِدِّ^(١)
أَقْنَعُ مِنْ نَفْسِي بَأَنْ يَقَالَ : هَذَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ، وَلَا أَشَارِكُهُمْ فِي مَكَارِهِ
الدَّهْرِ ، أَوْ أَكُونَ أُسْوَةً لَهُمْ فِي جُشُوبَةِ الْعَيْشِ^(٢) ؟ فَمَا خُلِقْتُ لِشَغْلِي
أَكْلُ الطَّيِّبَاتِ . كَالْبَهِيمَةِ الْمَرْبُوطَةِ ، هَمُّهَا عِلْفُهَا ، أَوِ الْمُرْسَلَةِ شُغْلُهَا تَقْمَعُهَا^(٣) ،
تَكْتَرِشُ مِنْ أَعْلَافِهَا ، وَتَلْهَوْ عَمَّا يُرَادُ بِهَا ، أَوْ أَتْرَكَ سُدًى وَأُفْهِمَ عَابِتًا ، أَوْ
أَجْرًا حَبْلَ الضَّلَالَةِ ، أَوْ أَعْتَسِفَ طَرِيقَ الْمَتَاهَةِ^(٤) .

وَكَأَنِّي بِقَائِلِكُمْ يَقُولُ : إِذَا كَانَ هَذَا قَوْتُ ابْنِ أَبِي طَالِبٍ ، فَقَدْ قَعَدَ بِهِ
الضَّعْفُ عَنْ قِتَالِ الْأَقْرَانِ ، وَمَنَازِلَةِ الشُّجْعَانِ ، أَلَا وَإِنَّ الشَّجَرَةَ الْبَرِّيَّةَ أَصْلَبُ
عُودًا^(٥) ، وَالرَّوَائِعَ الْخَضِرَةَ أَرْقُ جُلُودًا ، وَالنَّابِتَاتِ الْبِدْوِيَّةَ^(٦) أَقْوَى وَقُودًا :
وَأَبْطَأُ خُمُودًا ، وَأَنَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ كَالصَّنَوِ^(٧) ، وَالذَّرَاعِ مِنَ الْعَصْدِ ،

(١) البطنة : الكظة بالكسر وذلك أن يعتلى الإنسان من الطعام امتلاءً شديداً ، والقِد بالكسر الشيء المقدود : أى المقطوع ، من قدّه قداً بالفتح إذا قطعه ، والقدة بالكسر : القطعة من الشيء والمعنى أنها تحن إلى كسرة من خبز أو فلة من لحم . . . ، والبيت لحاتم بن عبد الله الطائي .

(٢) الأسوة بالضم والكسر : القدوة ، والجشوبة : الحشونة .

(٣) تقمعهما : أى تتبعها القمامات : أى الكناسات والتقاطها ، أو أكلها ما بين يديها بتقمعها والمقمة (كمكسة ويفتح) لذوات الظلف كالثور : الشفة ، وتكثرش : أى تملأ كرشها .

(٤) اعتسف : ركب الطريق على غير هدى ، والمتاهة : الأرض يتاه فيها .

(٥) الشجرة البرية التى تنبت فى البر الذى لا ماء فيه ، فهى أصلب عوداً من الشجرة التى تنبت فى الأرض الندية ، والروائع الخضرة : أى الأشجار والأعشاب التى يروعك (أى يعجبك) حسنها .

(٦) ورواية ابن أبى الحديد « والنابتات العذبة » والعذبة بكسر نسين : الزرع الذى لا يسقى إلا من ماء المطر لبعده من المياه ، وهو يأخذ من الماء أقل من التبت سقياً .

(٧) إذا خرجت نخلتان أو ثلاث من أصل واحد ، فكل واحدة منهن صنو ، والاثنان صنوان ، والجمع صنوان برف التون ، ورواه ابن أبى الحديد « كالضوء من الضوء » وشرحه فقال : « وذلك لأن

والله لو تظاهرت العرب على قتالي لما وليت عنها ، ولو أمكنت الفُرسُ من رقابها لسارعتُ إليها ، وسأجهدُ في أن أظهر الأرض من هذا الشخص المعكوس^(١) ، والجسم المركوس ، حتى تخرج المدرة من بين حب الحصيد . إليك عني يا دنيا ، فبئلك على غاربك^(٢) ، قد أنسلت من مخالبك ، وأفت من حباتك ، واجتبت الذهب في مداحضك ، أين القوم الذين غررتهم بمداعبك ؟ أين الأمم الذين فتنتهم بزخارفك ، هاهم رهائن القبور ، ومضامين اللحد ، والله لو كنت شخصاً مرئياً ، وقالباً حسياً ، لأقت عليك حدود الله في عباد غررتهم بالأمانى ، وأمم أقيتهم في المهاوى ، وملوك أسلمتهم إلى التلّف ، وأوردتهم موارد البلاء ، إذ لاورد ولا صدر^(٣) ، هيهات ! من وطئ دحضك زلق ، ومن ركب لججك غرق ، ومن ازور عن حباتك وفق ، والسلام منك لا يبالي إن ضاق به مُناخه ، والدنيا عنده كيوم حان انسلاخه ، اعزبى^(٤) عني ، فوالله لا أذل لك فتستذلني ، ولا أسلس لك فتقوديني ، وإيم الله يميناً أستثنى فيها بمشيئة الله ، لأروضن نفسي رياضة تَهشُّ معها إلى القرص إذا قدرت عليه مطعموماً ، وتقنع بالملح مأدوماً ،

الضوء الأول يكون علة في الضوء الثاني . . الخ « وأفاض في ذلك وأطرب ، وتكلف فيه تكلفاً لا داعي إليه . (١) عني به معاوية ، والمراد انعكاس عقيدته وأنها ليست عقيدة هدى ، بل هي معاكسة للحق والصواب ، والمركوس من الركب : وهو رد الشيء مقلوباً ، وقلب أوله على آخره ، والمدرة : قطعة الطين اليابس ، وحب الحصيد : أى حب النبات المحصود ، والمعنى : حتى يتظهر الدين وأهله منه .

(٢) الغارب : السكاهل وما بين السام والعنق ، والجملة كناية من كنايات الطلاق : أى اذهبي حيث شئت ، والداحض : المزالق ، والداعب جمع مدعية ، من الدعاية بالضم وهى المزاح ، ومضامين اللحد : أى قد تضمنتهم اللحد وحوتهم .

(٣) الورد : ورود الماء ، والصدر : الصدر عنه بعد الشرب ، ومكان دحض : أى زلق لا تثبت فيه الأرجل ، وازور : مال وانحرف .

(٤) عزب كدخل : بعد ، وسلس كتعب : لان وسهل قياده .

وَلَا دَعْنَ مُقْلَى كَعِينِ مَاءِ نَضَبٍ^(١) مَعِينُهَا ، مُسْتَفْرِغَةً دُمُوعُهَا .
 أَمْتَلَى السَّاعَةُ مِنْ رَغِيهَا^(٢) فَتَبَرَّكَ ، وَتَشَبَعَ الرِّيبُضَةُ مِنْ عُشْبِهَا
 فَتَرَبُّضَ ، وَيَأْكُلُ عَلَى مَنْ زَادَهُ فَيَهْجَعُ ؟ قَرَّتْ إِذْنُ عَيْنُهُ إِذَا اقْتَدَى بَعْدَ
 السَّنِينَ الْمُتَطَاوِلَةِ بِالْبَهِيمَةِ الْهَامِلَةِ^(٣) ، وَالسَّاعَةُ الْمَرْعِيَّةُ !
 طُوبَى لِنَفْسٍ أَدَّتْ إِلَى رَبِّهَا فَرَضَهَا ، وَعَرَّكَتْ بِجَنْبِهَا بَوَسَّهَا^(٤) ،
 وَهَجَرَتْ فِي اللَّيْلِ مُنْمَضَهَا ، حَتَّى إِذَا غَلَبَ الْكَرَى عَلَيْهَا ، اقْتَرَشَتْ أَرْضَهَا ،
 وَتَوَسَّدَتْ كَفَّهَا ، فِي مَعْشَرِ أَشْهَرِ عَيُونِهِمْ خَوْفُ مَعَادِهِمْ ، وَتَجَافَتْ عَنْ
 مُضَاجِعِهِمْ جُنُوبُهُمْ ، وَهَمَّهَتْ^(٥) بِذِكْرِ رَبِّهِمْ شَفَاهُهُمْ ، وَتَقَشَّعَتْ بِطُولِ
 اسْتِغْفَارِهِمْ ذُنُوبُهُمْ ، أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ ، أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ .
 فَاتَّقِ اللَّهَ يَا بَنِي حَنِيفٍ ، وَلِتَكْفِكَ أَقْرَاصُكَ ، لِيَكُونَ مِنَ النَّارِ خَلَاصُكَ
 (نهج البلاغة ٢ : ٥٠)

٣٢٦ - كتاب معاوية إلى الزبير بن العوام

وكان أول الأحداث في خلافة الإمام علي ، أن السيدة عائشة وطلحة
 والزبير ومن تبعهم خرجوا إلى البصرة يطلبون بدم عثمان رضي الله عنه .
 وروى ابن أبي الحديد أن عليا عليه السلام لما بويع بالخلافة كتب إلى

(١) نضب الماء كدخل . غار .
 (٢) الرعى : السكلاء ، والريبضة : الغنم برعاتها المجمععة في مرايضها ، وربضت الغنم (مجلس)
 كبركت الابل . (٣) الهاملة : السارحة بغير راع .
 (٤) أى صبرت على بؤسها والمشقة التي تناولها ، يقال عرك فلان بجنبه الأذى : أى صبر عليه
 كأنه حكه حتى عفاه . النوم : وكذا الكرى . (٥) الهمهمة : الكلام الخفى ، وترديد
 الصوت في الصدر . نقشمت : انكشفت وزالت كما ينقشع السحاب .

معاوية يأمره أن يبايع له^(١) ، فلما قَدِمَ رسوله على معاوية وقرأ كتابه ، بعث رجلاً من بني مُعَمِّس ، وكتب معه كتاباً إلى الزبير بن العوّام ، وفيه :

« بسم الله الرحمن الرحيم . لعبد الله الزبير أمير المؤمنين من معاوية بن أبي سفيان سلام عليك ، أما بعدُ : فَإِنِّي قد بايعت لك أهل الشام ، فأجابوا واستوسقوا^(٢) كما يستوسقُ الحَلَب ، فدَوْنَكَ الكوفة والبصرة لا يسبقُك إليهما ابنُ أبي طالب ، فإنه لا شيء بعد هذين المصيرين ، وقد بايعت لطلحة ابن عُبيد الله من بعدك ، فأظهرنا الطلبَ بدم عثمان ، وادعوا الناس إلى ذلك ، وليكن منك الجِدُّ والتشمير ، أظفَرَ كما الله ، وخَذَلَ مُنَاوئكما^(٣) » .

فسرّ الزبير بهذا الكتاب ، وأعلم به طلحة ، ولم يشكّا في النصّح لهما من قبل معاوية ، وأجمعا عند ذلك على خلاف على عليه السلام .

(شرح ابن أبي الحديد م ١ : ص ٧٧)

(١) سيرد كتابه بعد . (٢) أى اجتمعوا ، الحلب : الذين المحلوب ، وروى الطبرى أن طلحة والزبير سألا علياً أن يؤمرهما على الكوفة والبصرة ، فقال : تكونان عندي فأجمعا بكما فإنى وحش لفراقكما (انظر ج ٥ : ص ١٥٣) .

وروى ابن أبي الحديد أنهما طلبا من على أن يولييهما المصيرين البصرة والكوفة . فقال حتى أنظر ، ثم استشار المغيرة بن شعبه فقال له : أرى أن توليهما إلى أن يستقيم لك أمر الناس ، فخلا بين عباس ، وقال : ما ترى ؟ قال : يا أمير المؤمنين إن الكوفة والبصرة عين الخلافة ، وهما كنوز الرجال ، ومكان طلحة والزبير من الإسلام ما قد علمت ، ولست آمنهما إن وليتهما أن يحدثا أمراً ، فأخذ على برأى ابن عباس (انظر ج ١ : ص ٧٧) .

فلما يشا منه استأذناه في العمرة ، فقال : لعلكما تريدان البصرة أو الشام ! فأقسما أنهما لا يقصدان غير مكة ، فأذن لهما ، فلحقا بعائشة (انظر مروج الذهب ج ٢ : ص ٦) .

وروى الطبرى أيضاً أن سعيد بن العاص لقي مروان بن الحكم وأصحابه بذات عرق — حين خرجوا إلى البصرة — فقال : أين تذهبون ؟ قالوا : نسير فلعلنا نقتل قتلة عثمان جميعاً ، فخلا سعيد بطلحة والزبير ، فقال : إن ظفرتما من تجمعان الأمر ؟ اصدقاني ، قال : لأحدثنا ، أينما اختاره الناس ، قال : بل اجعلوه لولد عثمان ، فإنكم خرجتم تطلبون بدمه ، قال : ندع شيوخ المهاجرين ونجعلها لأبنائهم !! (انظر ج ٥ : ص ١٦٨) .

وروى أنه لما تواقف الفريقان بالبصرة (أصحاب على وأصحاب عائشة) خرج على على فرسه فدعا الزبير فتواقفا ، فقال على له : ما جاء بك ؟ قال : أنت ، ولا أراك لهذا الأمر أهلاً ، ولا أولى به منا ، فقال على : لست له أهلاً بعد عثمان !!! (انظر ج ٥ : ص ١٦٨) .

(٣) المناوى : المعادى .

٣٢٧ - كتاب مروان بن الحكم إلى معاوية

وإلى يعلى بن منية

وروى ابن أبي الحديد عن الزبير بن بكار قال :

لما حُصِرَ عثمان أبرَدَ مروانُ بن الحكمَ بخَبْرِهِ بِرَيْدَيْنِ^(١) : أحدهما إلى الشام ، والآخر إلى اليمن - وبها يومئذ يَعْلَى بن مُنِيَّة - ومع كل واحد منهما كتاب فيه :

« إن بني أُمَيَّةَ في الناس كالشَّامَةِ^(٢) الحمراء ، وإن الناس قد قَمَدُوا لهم برأس كلِّ مَحَجَّةٍ^(٣) ، وعلى كل طريق ، فجعلوهم مَرَحَى العَرِّ والعَضِيَّةِ^(٤) ، ومَقْدَفِ القَشْبِ والأَفِيكَةِ^(٥) ، وقد عَلِمَ أنها لم^(٦) تأتِ عثمانَ إلا كَرَهَا تُجْبَذُ من ورائها ، وإني خائف - إن قُتِلَ - أن تكون من بني أُمَيَّةَ بِمَنَاطِ الثَّرَيَا^(٧) ، إن لم نَصِرْ كَرَصِيفِ^(٨) الأساس المُحَكَّم ، ولئن وَهَى^(٩) عَمُودُ البيت لَتَتَدَاعَيْنِ جُذْرَانُهُ ، والذي عِيبَ عليه إطعامُكما^(١٠) الشامَ واليمنَ ، ولا

(١) البريد : الرسول ، ومنه قول بعض العرب : الحَيَّ بريد الموت أى رسوله ، وقيل : البريد البغلة المرتبة في ارتباط ، ثم سمي به الرسول المحمول عليها ، ثم سميت به المسافة التي تقطعها ، وقد أبرد إليه فهو مبرد أى أرسل . (٢) الشامَة : علامة تخالف البدن الذي هي فيه .

(٣) المحجة : الطريق الواضح . (٤) عَرَّه كنصره : ساءه ، وعَرَّه بشر : لطمه به ، وفي الأصل « العَرَّ » وهو تصحيف ، والعَضِيَّة : البهينة ، وهي الافك والبهتان ، عضه كمنعه عضها وعَضِيَّة : قال فيه ما لم يكن . (٥) القشب : الإصابة بالمكروه المستقذر ، والافتراء ، قشبه بالقبيح كضرب : لطمه به وعيره وذكره بسوء ، والأفِيكة : الكذب .

(٦) الضمير في أنها للخلافة ، وكذا في تكون ، وتجبذ : تنجذب .

(٧) مناط الشيء : نوطا : علقه ، وهو منى مناط الثريا أى بعيد .

(٨) رصيف : فعيل بمعنى مفعول . وهو من إضافة الصفة للموصوف . أى كالأساس المرصوف

بعضه إلى بعض ، والمعنى : إن لم تناسك كالبيان المرصوف . (٩) وهى : ضعف .

(١٠) أى أنه ولا كما الشام واليمن وتركهما طعمة لكما .

شك أنكما تابعا^(١) إن لم تحذرا ، وأما أنا فساعف كل مستشير ، ومعين كل مستصر^(٢) ، ومجيب كل داع ، أنوق الفرصة فأثب وثبة الفهد أبصر غفلة مقتنصه ، ولولا مخافة عطب البريد وضياح الكتب ، لشرحت لكما من الأمر مالا تفرعان معه إلى أن يحدث الأمر ، فجدا في طلب ما أتيا وليآه ، وعلى ذلك فليكن الممل إن شاء الله ، وكتب في آخره :

وما بلغت عثمان حتى تخطمت رجال ودانت للصغار رجال^(٣)
لقد رجعت عودا على بدء كونها وإن لم تجدا فالمصير زوال
سيبدي مكنون الضمائر قولهم ويظهر منهم بعد ذاك فعال
فإن تقعدا لا تطلبا ما ورثتما فليس لنا طول الحياة مقال
نعيش بدار الدل في كل بلدة وتظهر منا كآبة وهزال^(٤)

٣٣٨ - كتاب مروان بن الحكم إلى معاوية

فلما ورد الكتاب على معاوية أذن في الناس : الصلاة جامعة ، ثم خطبهم خطبة المستنصر المستصرخ ، وفي أثناء ذلك ورد عليه قبل أن يكتب الجواب كتاب مروان بقتل عثمان ، وكانت نسخته :
« وهب الله لك - أبا عبد الرحمن^(٥) - قوة العزم ، وصلاح النية ، ومن

(١) أى صائران إلى مصيره . (٢) استصرخه : استغاثه .
(٣) خطمه بالخطام وخطمه به : جملة على أفقه ، أو جرت أفقه ليضع عليه الخطام ، وخطمه بالكلام : قهره ومنعه حتى لا ينس ولا يحير (والخطام بالكسر : الزمام) .
(٤) الكآبة والكآبة : الغم وسوء الحال والانكسار من حزن .
(٥) كان معاوية يكنى أبا عبد الرحمن باسم ابنه عبد الرحمن الذى ولد له من زوجته فاختة بنت قرظة بن عمرو بن نوفل بن عبد مناف ، وقد مات عبد الرحمن صغيرا .

عليك بمعرفة الحق واتّباعه ، فإنّي كتبتُ إليك هذا الكتاب بعد قتل عثمان أمير المؤمنين ، وأيّ قتلة قُتل ؟ نُحَرِّكُما يُنَحِّرُ البعير الكبير عند اليأس من أن يتوّء^(١) بالجلل ، بعد أن تَقَبَّتْ صَفْحَتُهُ بِطَيِّ المَراحِل ، وَسَيَّرَ الهَجِير ، وإني مُعَلِّمُكَ مِنْ خَبَرِهِ غَيْرَ مُقَصِّرٍ وَلَا مُطِيلٍ :

إن القوم استطالوا مُدَّتَهُ ، واستقلُّوا ناصِرَهُ ، واستضعفوه في بدنه ، وأملّوا بقتله بَسْطَ أَيْدِيهِمْ فِيمَا كَانَ قَبْضَهُ عَنْهُمْ ، وَاغْصَوْا صَبَوا^(٢) عليه ، فَظَلَّ مُحَاصِرًا قَدْ مُنِعَ مِنْ صَلَاةِ الْجَمَاعَةِ ، وَرَدَّ الْمَظَالِمَ ، وَالنَّظَرَ فِي أُمُورِ الرِّعْيَةِ ، حَتَّى كَأَنَّهُ هُوَ فَاعِلٌ لِمَا فَعَلُوهُ ، فَلَمَّا دَامَ ذَلِكَ أَشْرَفَ عَلَيْهِمْ ، نَخَوْا فَهَمَّ اللَّهُ وَنَاشَدَهُمْ وَذَكَرَهُمْ مَوَاعِيدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَوْلِهِ فِيهِ^(٣) ، فَلَمْ يَجْحَدُوا

(١) ناء بالجلل : نهض مثقلا ، وقب الخف كفرح : رق وتخرق ، وصفحة كل شئ : جانبه ، والمراحل جمع مرحلة : وهي المسافة التي يقطعها المسافر في نحو يوم ، وطى المراحل : قطعها ، والهجير والمهاجرة : نصف النهار عند زوال الشمس . (٢) من اغصوصت الإبل : أي اجتمعت . (٣) روى الطبري قال : « أشرف عليهم عثمان رضي الله عنه ذات يوم ، فقال : أنشدكم بالله هل علمتم أني اشتريت رومة من مال يستعذب بها (ورومة بالضم : بئر بالمدينة) فجئت رشائي منها كرشاء رجل من المسلمين ؟ قيل : نعم ، قال : فما يمنعني أن أشرب منها حتى أفطر على ماء البحر ؟ قال : أنشدكم الله هل علمتم أني اشتريت كذا وكذا من الأرض فزدته في المسجد ؟ قيل : نعم ، قال : فهل علمتم أحدا من الناس منع أن يصلي فيه قبلي ؟ قال : أنشدكم الله هل سمعتم نبي الله صلى الله عليه وسلم يذكر كذا وكذا ، أشياء في شأنه ... الخ » - ج ٥ : ص ١٢٥ .

وروى ابن الأثير في أسد الغابة (ج ٣ : ص ٣٨٠) قال ؟ « أشرف عثمان من القصر وهو محصور فقال : أنشد بالله ، من سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حراء إذا اهتز الجبل فركله برجله ، ثم قال : اسكن حراء ، ليس عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد ، وأنا معه ، فانتشد له رجال ، ثم قال : أنشد بالله ، من شهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بيعة الرضوان ، إذا بعثني إلى المشركين إلى أهل مكة ، قال : هذه يدي وهذه يد عثمان ، فبايع لي ؟ فانتشد له رجال ، قال : أنشد بالله ، من شهد رسول الله قال : من يوسع لنا هذا البيت في المسجد يبيت له في الجنة ؟ فابتهت من مالي فوسعت به في المسجد ، فانتشد له رجال ، ثم قال : وأنشد بالله ، من شهد رسول الله يوم جيش العسرة قال : من ينفق اليوم نفقة متقبلة ؟ فجهزت نصف الجيش من مالي ، فانتشد له رجال ، قال : وأنشد بالله ، من شهد رومة يباع ماؤها من ابن السبيل ، فابتهت من مالي فأباحتها ابن السبيل ؟ فانتشد له رجال »

فضله ولم يُنكرِوه ، ثم رَمَوْه بأباطيل اختلقوها ، ليجعلوا ذلك ذريعةً إلى قتله ، فأظهر لهم التوبة مما كَرِهُوا ، ووَعَدَهُم الرَّجْعَةَ إلى ما أَحَبُّوا ، فلم يقبلوا ذلك ، ونهبوا داره ، وانتهكوا حُرْمَتَه ، ووَثَبُوا عليه فسَفَكُوا دمه ، وانتشَمُوا^(١) عنه اتقشاع سحابةٍ قد أفرغت ماءها ، مُنْكَفِئِينَ قِبَلَ ابن أبي طالب انكفاء الجرادِ أَبْصَرَ المَرْعَى ، فأخْلَقَ بِنَى أُمِيَّة أن يكونوا من هذا الأمر بِمَجْرَى العَيُوقِ^(٢) ، إن لم يثَّارْه ثَأْرُهُ ، فَإِنْ شئتَ أبا عبد الرحمن أن تكونَه فكنْه ، والسلام .

فلما ورد الكتاب على معاوية أمر بجمع الناس ، ثم خطبهم خطبةً أبكى منها العيون ، وقلقل القلوب ، حتى علَّتِ الرِّئَةَ^(٣) ، وارتفع الضجيجُ ، وطم النساء أن يتسلَّخْنَ .
ثم كتب إلى طلحة بن عبيد الله ، والزبير بن العوام ، وسعيد بن العاص ، وعبد الله بن عامر ، والوليد بن عُقْبَةَ ، ويعلى بن مُنِيَّة^(٤) .

٣٣٩ - كتاب معاوية إلى طلحة بن عبيد الله

فكان كتاب طلحة :

« أما بعدُ : فإنك أقلّ قريش في قريش وثراً^(٥) ، مع صَبَاحَةِ وجهك ، وسَمَاحَةِ كَفِّكَ^(٦) ، وفصاحة لسانك ، فأنت يَأْزَاءُ مَنْ تَقَدَّمَكَ

(١) أي تفرقوا . (٢) العيوق : نجم يتلو الثريا ، وثَّار به كنع وثَّارَه : طلب دمه وقتل قاتله

(٣) الرئة : الصوت . (٤) منية : اسم أمة ، وإنما اسم أبيه أُمِيَّة .

(٥) الوتر (كالذحل بالفتح) الثَّار . قال صاحب المصباح « والوتر : الفرد . والوتر : الذحل بالكسر فيهما لتمي ، وفتح العدد وكسر الذحل لأهل العالية ، وبالعكس وهو فتح الذحل وكسر العدد لأهل الحجاز » والصباحه : الجمال . (٦) وقد قال عمرو بن العاص حين بلغه مقتل عثمان : من يلي هذا الأمر من بعده ؟ إن يله طلحة فهو فني العرب سيباً أي عطاء (تاريخ الطبري ٥ : ٢٣٤) .

في السابقة^(١) ، وخامسُ المبشرين بالجنة^(٢) ، ولك يومٌ أُحْد وشرفُهُ وفضله^(٣) ، فسارِعْ - رحمك الله - إلى ما تُقَلِّدُك الرعيةُ مِنْ أمرها ، مما لا يَسْعُكَ التخلفُ عنه ، ولا يَرْضَى اللهُ مِنْكَ إلا بالقيام به ، فقد أَحْكَمْتُ لك الأمرَ قَبْلِي ، والزَّيْرُ فقيرٌ متقدِّمٌ عليك بفضْل ، وأيُّكُمْ قَدَّم صاحبه فالْمُقَدَّمُ الإمام ، والأمرُ من بعده للمقدَّم له ، سَلَكَ اللهُ بِكَ قَصْدَ^(٤) المهتدين ، ووهب لك رُشْدَ الموقِّنين ، والسلام .

٣٣٠ - كتاب معاوية إلى الزبير بن العوام

وكتب إلى الزبير :

« أما بعد : فإنك الزبير بن العوام ، ابنُ أبي خديجة^(٥) ، وابن عمَّة^(٦) رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وحواريَّة^(٧) وسلفه^(٨) ، وصهرُ أبي بكر ،

(١) كان طلحة من السابقين الأولين إلى الإسلام ، دعاه أبو بكر إلى الإسلام فأخذه ودخل به على رسول الله صلى الله عليه وسلم . (٢) قال صلى الله عليه وسلم : « عشرة في الجنة : أبو بكر في الجنة ، وعمر في الجنة ، وعثمان في الجنة ، وعلي في الجنة ، وطلحة في الجنة ، والزبير في الجنة ، وعبد الرحمن بن عوف في الجنة ، وسعد بن أبي وقاص في الجنة ، وسعيد بن زيد في الجنة ، وأبو عبيدة ابن الجراح في الجنة » - انظر أسد الغابة ٣ : ٣١٤ .

(٣) أبلى طلحة يوم أحد بلاء عظيماً ، ووقى رسول الله بنفسه ، واتفق عنه النبيل بيده حتى شلت أصبعه ، وضرب ضربة على رأسه ، وحمل رسول الله على ظهره حتى صعد الصخرة ، وقال عليه الصلاة والسلام : « أوجب طلحة » وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : سمعت أذن رسول الله يقول : « طلحة والزبير جاراى في الجنة » - أسد الغابة ٣ : ٥٩ .

(٤) التقصد : استقامة الطريق . (٥) هو الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى ابن قصي بن كلاب ، فالسيدة خديجة بنت خويلد زوج الرسول عليه الصلاة والسلام عمته .

(٦) أم الزبير هي صفية بنت عبد المطلب عمه رسول الله .

(٧) الحواري : الناصر ، أو ناصر الأنبياء ، وعن علي رضي الله عنه قال : قال رسول الله : « إن لكل نبي حواريًا ، وحواريَّ الزبير بن العوام » . (٨) سلفه : أى زوج أخت امرأته ، فقد تزوج الزبير أسماء بنت أبي بكر ، وتزوج رسول الله عائشة أختها .

وفارسُ المسلمين ، وأنت البازلُ في الله مُهْجَتَه بِمَكَّةَ عند صَيْحَةِ الشيطان ، بعثك المنبعث ، فخرجت كالثعبان المنسلخ بالسيف المنصَلت ، تَخْبِطُ خَبْطَ الجمل الرديع^(١) ، كل ذلك قوة إيمان وصدق يقين ، وسبقت لك من رسول الله صلى الله عليه وسلم البشارة بالجنة ، وجعلك عمرُ أحدَ المستخلفين^(٢) على الأمة . واعلم يا أبا عبد الله أن الرعية أصبحت كالغنم المتفرقة لِغَيْبَةِ الراعي ، فسارع - رحمك الله - إلى حَقْنِ الدماء ، ولمَّ الشَّعَثِ^(٣) ، وجمع الكلمة ، وصلاح ذات البين ، قبل تفاقمِ الأمر ، وانتشارِ الأمة ، فقد أصبح الناس على شَفَا جُرْفٍ هارٍ^(٤) ، عما قليل ينهارُ إن لم يُرَأَب ، فشمِّر لتأليف الأمة وابتغ إلى ربك سبيلا ، فقد أحكمتُ الأمر من قبلي لك ولصاحبك على أن الأمر للمقدَّم ، ثم لصاحبه من بعده ، جعلك الله من أئمة الهدى ، وبُغَاةِ الخير والتقوى ، والسلام .

٣٣١ - كتاب معاوية إلى مروان

وكتب إلى مروان بن الحكم :

« أما بعدُ : فقد وصل إلي كتابك بشرح خبر أمير المؤمنين ، وما

(١) كان الزبير أول من سل سيفاً في الله عز وجل . وسبب ذلك أن المسلمين لما كانوا مع النبي صلى الله عليه وسلم بمكة ، وقع الخبر أن النبي قد أخذه الكفار ، فأقبل الزبير يشق الناس بسيفه ، والنبي بأعلى مكة . فقال له . مالك يا زبير ؟ قال : أخبرت أنك أخذت ، فصلى عليه النبي ودعا له ولسيفه - أسد الغابة ٢ : ١٩٦ - والسيف المنصلت : أى الصقيل الماضى ، والرديع : (بالعين والفين) الصريع يركب ظله .

(٢) لما طعن عمر أوصى أن تكون الخلافة شورى في ستة نفر توفي رسول الله وهو عنهم راض : وم عثمان وعلى والزبير وطلحة وسعد بن أبي وقاص وعبد الرحمن بن عوف .

(٣) الشعث : انتشار الأمر .

(٤) شما : أى حرف ، وهار الجرف هوراً كقال : انصدع ولم يسقط ، فهو هار - وهو مقلوب هائر - فإذا سقط فقد انهار ، ويرأب : يصلح .

رَكِبُوهُ بِهِ ، وَنَالُوهُ مِنْهُ ، جَهْلًا بِاللَّهِ ، وَجَرَاءَةً عَلَيْهِ ، وَاسْتِخْفَافًا بِحَقِّهِ ، وَلَأْمَانًا
لَوْحِ الشَّيْطَانِ بِهَا فِي شَرِّكَ الْبَاطِلِ ، لِيُدْهَدِهِمْ^(١) فِي أَهْوِيَّاتِ الْفِتَنِ ،
وَوَهْدَاتِ الضَّلَالِ ، وَلَعَمْرِي لَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ ، وَلَقَدْ
اِقْتَنَصَهُمْ^(٢) بِأَنْشُوطَةِ فَنِّهِ ، فَعَلَى رِسْلِكَ^(٣) أَبَا عَبْدِ اللَّهِ تَمَشَّى الْهُوَيْنَى وَتَكُونُ
أَوَّلًا ، فَإِذَا قَرَأْتَ كِتَابِي هَذَا فَكُنْ كَالْفَهْدِ لَا يَصْطَادُ إِلَّا غِيْلَةً^(٤) ، وَلَا
يَتَشَاوَرُ إِلَّا عَنْ حِيلَةٍ ، وَكَالثَّعْلِبِ لَا يُقْلِتُ إِلَّا رَوْغَانًا ، وَأُخْفِ نَفْسَكَ مِنْهُمْ
إِخْفَاءَ الْقُنْفُذِ رَأْسَهُ عِنْدَ لَمَسِ الْأَكْفِ ، وَامْتَهِنْ^(٥) نَفْسَكَ امْتِهَانًا مَنْ
يَأْسُ الْقَوْمِ مِنْ نَصْرِهِ وَاتِّصَارِهِ ، وَابْحَثْ عَنْ أُمُورِهِمْ بَحْثَ الدُّجَاجَةِ عَنْ
حَبِّ الدُّخْنِ عِنْدَ فَقَاسِهَا^(٦) ، وَأَنْغِلِ^(٧) الْحِجَازَ ، فَإِنِّي مُنْغِلُ الشَّامِ ، وَالسَّلَامُ

٣٣٢ - كتاب معاوية إلى سعيد بن العاص

وكتب إلى سعيد بن العاص :

« أما بعدُ : فَإِنْ كَتَابَ مَرْوَانَ وَرَدَّ عَلَىَّ مِنْ سَاعَةِ وَقَعَتِ النَّازِلَةُ ،

تَقْبِلْ بِهِ الْبَرْدَ^(٨) بِسَيْرِ الْمَطِيِّ الْوَجِيفِ ، تَتَوَجَّسُ^(٩) تَوَجُّسَ الْحَيَّةِ الذِّكْرِ

(١) دهمه الحجر فتدهده : دحرجه فتدحرج ، والأهوية : الهوة .

(٢) في الأصل « اقتضهم » وهو تحريف ، وصوابه « اقتنصهم » بدليل ما بعده - واقتنص المرأة : افترعها - والأنشوط : عقدة يسهل انحلالها . (٣) أى على مهلك وتؤدتك .

(٤) الغيلة : الاغتيال ، وتشاور القوم : نظر بعضهم إلى بعض شزرا ، والشزر : النظر بمؤخر العين ، وأكثر ما يكون النظر الشزر في حال الغضب . (٥) امتهنه : احتقره وابتذله .

(٦) الذى فى كتب اللغة « فقس » فقس الطائر يفضه فقساً : كسرها وأخرج ما فيها .

(٧) أى أفسده عليهم ، نغل الأديم كفرح : فسد فى الدباغ ، وأنغله : أفسده .

(٨) البرد جمع بريد ، ووجف الفرس والبعر وجيفاً : عدا .

(٩) توجس : تسمع إلى الصوت الخفى ، ورجل حاو وحواء : يجمع الحيات .

خَوْفَ ضَرْبَةِ الْفَأْسِ ، وَقَبْضَةِ الْحَاوِي ، وَمَرْوَانُ الرَّائِدُ^(١) لَا يَكْذِبُ أَهْلَهُ ،
فَعَلَامَ الْإِفْكَاكِ^(٢) يَا بَنِي الْعَاصِ وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ ؟ دَلَّكَ أَنْكُمْ يَا بَنِي أُمِيَّةَ
عَمَّا قَلِيلٍ تَسْأَلُونَ أَذْنَى الْعَيْشِ مِنْ أَعْبَدِ الْمَسَافَةِ ، فَيُنْكَرُكُمْ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ
عَارِفًا ، وَيَصُدُّ عَنْكُمْ مَنْ كَانَ لَكُمْ وَاصِلًا ، مُتَفَرِّقِينَ فِي الشَّعَابِ^(٣) ، تَتَمَنَّوْنَ
لُمَازَةً^(٤) الْمَعَاشِ .

إِنْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عُمَيْبَ عَلَيْهِ فَيْكُم ، وَقُتِلَ فِي سَبِيلِكُمْ ، فَفِيمَ الْقَعُودُ عَنْ
نُصْرَتِهِ ، وَالطَّلَبُ بِدَمِهِ ؟ وَأَنْتُمْ بَنُو أَبِيهِ وَذُؤُورِ جِهَةِ ، وَأَقْرَبُوهَ وَطُلَّابُ ثَأْرِهِ ،
أَصْبَحْتُمْ مُسْتَمْسِكِينَ بِشَطَفِ^(٥) مَعَاشٍ زَهِيدٍ ، عَمَّا قَلِيلٍ يُنْزَعُ مِنْكُمْ عِنْدَ
التَّخَاذُلِ ، وَضَعْفِ الْقُوَى ، فَإِذَا قَرَأْتَ كِتَابِي هَذَا فَدَبَّ دَيْبُ الْبُرْءِ فِي
الْجَسَدِ النَّحِيفِ ، وَسِرَّ سِرِّ النُّجُومِ تَحْتَ الْغَمَامِ ، وَاحْشُدْ حَشْدَ^(٦) الذَّرَّةِ فِي
فِي الصَّيْفِ لِأَنْبَحَارِهَا فِي الصَّرْدِ ، فَقَدْ أَيْدَتْكُمْ بِأَسَدٍ وَتَيْمٍ .

وَكُتِبَ فِي الْكِتَابِ :

تَاللَّهِ لَا يَذْهَبُ شَيْخِي بَاطِلًا حَتَّى أُبِيرَ مَالِيكََا وَكَأْهِلَا^(٧)
الْقَاتِلِينَ الْمَلِكَ الْحَلَّاحِلَا خَيْرَ مَعَدٍّ حَسْبًا وَنَائِلَا

(١) الرائد : أصله المرسل في طاب السكّال . (٢) أى التراخي ، من أفكت الناقة إذا أقربت

فاسترخى صلواها (والصل : وسط الظهر أو ما على يمين الذنب وشماله) والمناص : الفرار .

(٣) الشعب بالكسر : الطريق في الجبل . ومسيل الماء في بطن أرض .

(٤) اللماظة : ما يبقى في الفم من الطعام ، ويستعار لبقية الشيء القليل ، وفي الأصل « لمظة » وهو

تحريف - واللمظة بالضم : بياض في جفلة الفرس السفلى . (٥) الشطف : ييس العيش وشدة

(٦) أى اجمع جمع الذرّة ، وفي الأصل « واحسد حسد الذرة » وهو تصحيف ، والصرّد بالفتح

وبالتحريك : البرد ، وقيل : شدته ، وانبحر : دخل في جحره .

(٧) شيخى ، يعنى به عثمان ، أباه : أهاسكه . والحلال : السيد الشجاع الركين ، والنائل : العطاء

٣٣٣ - كتاب معاوية إلى عبد الله بن عامر

وكتب إلى عبد الله بن عامر :

« أما بعدُ : فإن المنبر مَرَكِبٌ ذُلُولٌ سهل الرياضة لا يَنَارِ عَكَ اللُّجَامِ ،
وهيهات ذلك إلا بعد ركوب أثباج^(١) المَهَالِكِ ، واقتحام أمواج المَعَاطِبِ ،
وكأنى بكم يا بني أُمَيَّةَ شَعَارِيرَ كالأوارق تقودها الحُدَاة^(٢) ، أو كَرَحَمِ
الْحُنْدَمَةِ^(٣) تَذْرِفُ خَوْفَ الْعُقَابِ ، فَبِالْآنِ - رَحِمَكَ اللَّهُ - قبل أن
يَسْتَشْرِىَ^(٤) الفساد ، وَنَدَبُ السَّوْطِ جَدِيدٌ ، وَالْجُرْحُ لَمَّا يَنْدَمِلُ ، ومن
قبل استضرأ^(٥) الأسد ، وَالتَّقَاءُ لَحِيئُهُ عَلَى فَرِيستِهِ ، وساورِ الأَمْرَ مساورَةَ
الذَّنْبِ الْأَطْلَسِ كَسِيرَةِ الْقَطِيعِ ، وَنَازِلِ الرَّأْيِ ، وَأَنْصِبِ الشَّرْكَ ، وَأُزِمَ عَنْ
تَمَكُّنِ ، وَضَمَّ الْهِنَاءِ مَوَاضِعَ الثَّقَبِ^(٦) ، وَاجْعَلْ أَكْبَرَ عُذَّتِكَ الْحَذَرَ ، وَأَحَدًا
سَلَا حِكِّ التَّحْرِيطِ ، وَأَغْضِ عَنِ الْعَوْرَاءِ ، وَسَامِحِ اللَّجُوجَ ، وَاسْتَعْطِفِ
الشَّارِدَ ، وَلا يَنْ الْأَشْوَسَ^(٧) ، وَقَوِّ عِزْمَ الْمُرِيدِ ، وَبَادِرِ الْعَقَبَةَ ، وَازْحَفْ زَحْفَ

(١) أثباج جمع ثبج بالتحريك : وهو ما بين السكاهل إلى الظهر ، ووسط الشيء ومعظمه .

(٢) يقال : ذهبوا شعايل وشعارير أى متفرقين ، واحده شعور كصفور ، والأوارق جمع أورك ، وجل أورك : أى لونه لون الرماد ، والحاداة جمع الحادى : وهوسائق الإبل ، وهذه العبارة فى الأصل : « وكأنى بكم يا بني أُمَيَّةَ شَعَارِيرِكَ كالأوراك تقودها الحداة » وأراها محرفة - والأوراك جمع أورك : وهو العظيم الوركين -

(٣) الحندمة : جبل بحكة ، وذرفت عينه : سال دمعها . (٤) استشترى الأمر : عظم وتفاقم ، والنذب : جمع ندبة : وهى أثر الجرح الباقى على الجلد بعد البرء ، وفى الأصل « يدب » وهو تحريف واندمل الجرح : تماثل .

(٥) أى من قبل أن يصير ضاريا ، ضرى به كرضى ضراوة : لهج ، وأضرأه : أغراه ، وساوره : واثبه وأخذ برأسه ، والذنب الأطلس : الذى فى لونه غبرة إلى السواد .

(٦) الهناء : القطران ، والنقب بضم فسكون ، والنقب بضم ففتح : القطع المتفرقة من الجرب الواحدة نقة كغرفة ، وفى قول دريد بن الصمة : « يضع الهناء مواضع الثقب » .

(٧) الشوس بالتحريك : النظر بمؤخر العين تكبرا أو تغيظا ، وقد شوس كفرح فهو أشوس .

الحَيَّةَ ، واسْبِقْ أَنْ تُسْبَقَ ، وقم قبل أن يقامَ لك ، واعلم أنك غيرُ متروك
ولا مُهْمَلٍ ، فَإِنِّي لَكُمْ ناصح أمين ، والسلام .

وكتب في أسفل الكتاب أبياتاً :

عليك سلامُ الله قيسَ بن عاصمٍ ورَحْمَتُهُ ، ما شاء أَنْ يَتَرَحَّمَا^(١)
تَحِيَّةً مَنْ أَهْدَى السَّلامَ لِأَهْلِهِ إِذَا شَطَّ دَاراً عَنْ مَزَارِكِ سَلَمًا
فَمَا كَانَ قَيْسٌ هُلُكُهُ هُلُكَ وَاحِدٍ وَلَكِنَّهُ بَنِيانُ قَوْمٍ تَهْدَمًا

٣٣٤ - كتاب معاوية إلى الوليد بن عقبة

وكتب إلى الوليد بن عُقْبَةَ :

« يَا بَنَ عُقْبَةَ : كُنْ الْجِيْشَ ، وَطِيبُ الْعَيْشِ ، أَطِيبُ مَنْ سَفَعَ سَمُومَ^(٢)
الْجَوْزَاءِ عِنْدَ اعْتِدَالِ الشَّمْسِ فِي أَفْقِهَا ، إِنَّ عُثْمَانَ أَخَاكَ^(٣) أَصْبَحَ بَعِيداً مِنْكَ ،
فَاطْلُبْ لِنَفْسِكَ ظِلًّا تَسْتَكِنُ بِهِ ، إِنِّي أُرَاكَ عَلَى التَّرَابِ رَقُوداً ، وَكَيْفَ
بِالرُّقَادِ بِكَ ؟ لَا رُقَادَ لَكَ ! فَلَوقَدْ اسْتَبَبَّ هَذَا الْأَمْرُ لِمُرِيدِهِ الْفَيْتَ كَشْرِيْدِ
النَّعَامِ يَفْزَعُ مِنْ ظِلِّ الطَّائِرِ ، وَعَنْ قَلِيلٍ تَشْرَبُ الرَّثْقُ^(٤) ، وَتَسْتَشْعِرُ الْخَوْفَ ،
أُرَاكَ فَسِيحَ الصَّدْرِ ، مُسْتَرْخِيَ اللَّبِّ^(٥) ، رِخْوَ الْحِزَامِ ، قَلِيلَ الْاِكْتِرَاثِ ،
وَعَنْ قَلِيلٍ يُجْتَثُّ أَصْلُكَ ، وَالسَّلَامُ » :

(١) الأبيات لعبد بن الطيب (وعبد بسكون الباء) يرثي بها قيس بن عاصم ، وشط كضرب
ونصر : بعد ، والمزار : موضع الزيارة ، وفي رواية الأغاني :

تَحِيَّةً مِنْ أَوَّلِيَّتِهِ مِنْكَ نَعْمَةً إِذَا زَارَ عَنْ شَحَطِ بِلَادِكَ سَلَمًا

(ج ١٨ : ص ١٦٢) وفي الشعر والشعراء ص ٢٨٠ : « تَحِيَّةً مِنْ أَلْبَسْتِهِ ... » وفي ديوان
الحماسة ج ١ : ص ٢٣٦ « تَحِيَّةً مِنْ غَادَرْتِهِ غَرَضُ الرَّدَى : ... » والشحط بالسكون
والتعريك : البعد ، وهي هنا بالسكون .

(٢) السموم : الريح الحارّة ، وسفعتها السموم : لفتحته لفتحاً يسيراً ففيرت لون البشرة ، والجوزاء :
من بروج السماء - ونجم يعترض في جوز السماء . (٣) الوليد بن عقبة أخو عثمان لأمه .

(٤) ماء رثق : أي كدر ، واستشعر الخوف جعله شعاراً له . والشعار ككتاب : ما يلبس على
شعر الجسد . (٥) اللب : ما يشد في صدر الدابة لينع استئخار الرحل ، ويجث : يقتلع .

وكتب في آخر الكتاب :

اخترت نومك أن هبت شامية^(١) عند الهجير وشربا بالعشيات^(٢)
على طلابك ثاراً من بنى حكم هيات من راقد طالب ثارات

٣٣٥ - كتاب معاوية إلى يعلى بن أمية

وكتب إلى يعلى بن أمية :

« حاطك الله بكلاءته^(٣) ، وأيدك بتوفيقه ، كتبت إليك صبيحة ورد
على كتاب مروان بخبر قتل أمير المؤمنين ، وشرح الحال فيه ، وإن أمير
المؤمنين طال به العمر حتى نقصت قواه ، وثقلت نهضته ، وظهرت
الرغشة في أعضائه ، فلما رأى ذلك أقوام لم يكونوا عنده موضعاً للإمامة
والأمانة ، وتقليد الولاية ، وثبوا به وألبوا عليه^(٤) : فكان أعظم ما أنقموا عليه
وعابوه به ، ولايتك اليمن ، وطول مدتك عليها ، ثم ترامى بهم الأمر حالاً بعد
حال ، حتى ذبحوه ذبح النطيحة^(٥) مبادراً بها الموت ، وهو مع ذلك صائم ،
معا نقي المصحف ، يتلو كتاب الله فيه ، عظمت مصيبة الإسلام بصهر^(٦)
الرسول ، والإمام المقتول على غير جرم ، سفكوا دمه ، وانتهكوا حرمة ،
وأنت تعلم أن بيعته في أعناقنا ، وطلب ثأره لازم لنا ، فلا خير في دنيا تعدل
بنا عن الحق ، ولا في إمرة تُوردنا النار ، وإن الله جل ثناؤه لا يرضى

(١) شامية : أى ربح شامية ، وشربا معطوف على نومك .

(٢) كلاءه كمنعه كلاً وكلاءة وكلاء بكسرهما : حرسه . (٣) التأليب : التحريض .

(٤) النطيحة : التى ماتت من النطح . (٥) تزوج سيدنا عثمان السيدة رقية بنت رسول الله

صلى الله عليه وسلم ، ثم تزوج بعد موتها أختها السيدة أم كلثوم .

بالتَّعْذِيرِ^(١) في دينه ، فشرَّ لدخول العراق ، فأما الشام فقد كفيْتُك أهلها ،
وأحكمتُ أمرها ، وقد كتبتُ إلى طلحة بن عبيد الله أن يلقاك بمكة ، حتى
يُجتمع رأيُكما على إظهار الدعوة ، والطلب بدم عثمان أمير المؤمنين المظلوم ،
وكتبت إلى عبد الله بن عامر ، يمهّد لكم العراق ، ويسهّل لكم حُزُونَةَ
عِقَابِهَا^(٢) ، واعلم يا بن أمية أن القوم قاصِدُوك باديءَ بدءٍ ، لاستنزاف ماحَوْتُهُ
يداك من المال ، فاعلم ذلك واعمل على حَسَبِهِ إن شاء الله .

وكتب في أسفل الكتاب :

ظَلَّ الخليفةُ محصورًا يناشِدُهُم بالله طَوْرًا ، وبالقرآن أحيانًا
مَقْد تَأَلَّفَ أَقْوَامٌ عَلَى حَقِّ عَنْ غَيْرِ جُرْمٍ ، وقالوا فيه بُهْتَانًا
فَقَامَ يُذَكِّرُهُم وَعَدَ الرُّسُولَ لَهُ وَقَوْلُهُ فِيهِ إِسْرَارًا وَإِعْلَانًا
فَقَالَ : كُفُّوا ، فَإِنِّي مُعْتَبٍ لَكُمْ وَصَارِفٌ عَنْكُمْ يَغْلَى وَمَرَوَانًا^(٣)
فَكَذَّبُوا ذَاكَ مِنْهُ ، ثُمَّ سَاوَرَهُ مَنْ حَاضَ لَبَّثَهُ ظُلْمًا وَعُدُوَانًا^(٤)

٣٣٦ - كتاب مروان إلى معاوية

فكتب إليه مروان جوابا عن كتابه :

« أما بعدُ : فقد وصل كتابك ، فنعم كتابُ زعيم المشيرة ، وحامي الدِّمارِ^(٥) »

(١) العذر : المقصر الذي لا عذر له ولكن يتكاف عذرا .

(٢) حُزُونَةُ الأرض : غلظها وخشونتها . والعقاب جمع عقبة بالتحريك : وهي المرق الصعب من الجبال

(٣) أعتبه : أرضاه وسرّاه بعد ما ساءه . (٤) اللبة : النحر ، وساوره : واتبعه وأخذ

برأسه ، وحاض السيل : إذا سال - واستعمل هنا بمعنى أسال .

(٥) الدمار : ما يلزمك حفظه وحايته .

وأخبرك أن القوم على سنن استقامةٍ إلا شظايا^(١) شُعب ، شَنَنْتُ بينهم
مِقُولِي على غير مجابَهَةٍ ، حَسَبَ ما تقدَّم من أمرك ، وإنما كان ذلك
دَسِيسَ^(٢) العُصاة ، ورَمَى الجَذر من أغصان الدَّوْحَةِ ، ولقد طَوَيْتُ أَدِيمَهُمْ^(٣)
على نَغْلٍ يَحْمِلُ منه الجِلْدُ ، كَذَبَتْ نَفْسُ الظَّانِّ بنا تَرَكَ المَظْلِمَةَ ، وَحُبَّ
المُجْبُوعِ إِلَّا تَهْوِيَةً^(٤) الرَّاكِبِ العَجَلِ ، حتَّى تُجَذَّ الجَاحِمُ جَذَّ العَرَّاجِينَ
المَهْدَلَةِ حين ابتياعها ، وأنا - على صحَّة نِيَّتِي ، وقوة عَزِيْمَتِي ، وتحريك الرِّجَمِ لِي
وَعَلَيَّانِ الدَّمِ مِنِّي - غير سَابِقِكَ بقول ، ولا مُتَقَدِّمِكَ بفعل ، وأنت ابن
حَرْبٍ طَلَّابُ التَّرَاتِ^(٥) ، وآبِي الضَّيْمِ ، وكتابي إِلَيْكَ وأنا كَحَرْبَاءِ السَّبَسَبِ
فِي المَحْجِرِ تَرْقُبُ عَيْنَ الغَزَالَةِ ، وكالَسَبْعِ المُفْلِتِ مِنَ الشَّرْكِ يَفْرُقُ من صوت
نَفْسِهِ ، منتظراً لِمَا تَصِحُّ بِهِ عَزِيْمَتُكَ ، وَيَرِدُ بِهِ أَمْرُكَ ، فيكون العمل به
والمُحْتَدَى عَلَيْهِ .

وكتب في أسفل الكتاب :

أَيُقْتَلُ عُمَانٌ وَتَرْقَأَ دَمُوعُنَا وَنَرَقُدُ هَذَا اللَّيْلَ لَا نَتَفَرَّعُ؟^(٦)

(١) الشظايا جمع شظية : وهي كل فلفة من شيء ، والمقول : اللسان ، وشنه : صبه ، وأصله من
شن الماء على الشراب إذا فرقه ، وجبهه كمنعه : استقبله بما يكره .

(٢) الدسيس : إخفاء السكر ، وفي الأصل « رسيس » وهو تحريف « ورس الحمى ورسيسها :
بدؤها وأول مسها ، وذلك إذا تخطى الحموم من أجلها وفت جسمه وتخرت » .

(٣) الأديم : الجلد المدبوغ ، ونغل الأديم كفرح : فسد في الدباغ ، وحلم الجلد كفرح : وقع فيه
الحلم ، والحلم بالتحريك دود يقع في الجلد فيأكله ، وهو الفراد ، واحدته حلمة ، وفي المثل :
« كدابة وقد حلم الأديم » . (٤) التهويم : هنأ الرأس من الناس ، وتجذ : تقطع ، والعراجين
جمع عرجون كمصفور ، وهو أصل العنق (بالكسر) الذي يعوج ويقطع منه الشماريخ فيبقى على
النخل يابساً ، والرحم : القراية .

(٥) الترات جمع ترة وهي النار ، والسبب : المفازة ، والغزاة : الشمس ، ويفرق : يخاف .

(٦) رناً الدمع كجعل : جفّ وسكن .

ونشربُ بَرْدَ الْمَاءِ رِيًّا ، وقد مَضَى على ظَمًا ، يتلو القرآن ويركعُ ؟
فإني ومن حَجَّ المَلَبُّونَ بَيْتَهُ وطافوا به سَعْيًا ، وذو العرش يسمعُ
سَأَمَنَعَ نَفْسِي كُلًّا ما فيه لَذَّةٌ من العيش حتى لا يرى فيه مَطْمَعُ
وأَقْتُلُ بِالْمَظْلُومِ مَنْ كان ظالِمًا وذلك حُكْمُ اللَّهِ ما فيه مَدْفَعُ

٣٣٧ - كتاب عبد الله بن عامر إلى معاوية

وكتب إليه عبد الله بن عامر :

« أما بعد ، فإن أمير المؤمنين كان لنا الجَنَاحَ الحَاضِنَةَ تَأْوِي إليها فِراخها
تحتها ، فلما أَقْصَدَهُ ^(١) السَّهْمُ صِرْنَا كالنَّعامِ الشَّارِدِ ، ولقد كنتُ مشرَّدَ
الفِكرِ ، ضالَّ الفِهمِ ، أَلْتَمِسُ دَرِيَّةً أَسْتَجِنُ بها من خَطَأِ الحِوَاثِ ، حتى
دُفِعَ إلَيَّ كِتَابُكَ فانتبهُتُ من غَفْلَةٍ طال فيها رُقَادِي ، فأنا كواجدِ المَحْجَةِ
كان إلى جانبها حائراً ، وكأني أعاينُ ما وصفتَ من تصرُّفِ الأحوالِ ،
والذي أُخْبِرُكَ به أن الناسَ في هذا الأمرِ : تسعةٌ لك ، وواحدٌ عليك ،
وواللهَ للموتِ في طلبِ العِزِّ أحسنُ من الحياةِ في الذَّلَّةِ ، وأنت ابنُ حَرْبٍ
فَتَى الحروبِ ، ونصَّارِ بني عبد شمس ، والهِمَمُ بك منوطةٌ وأنت مُنْهَضُها ،
فإذا نهضتَ فليس حينَ قعودٍ ، وأنا اليومَ على خلافٍ ما كانت عليه عزيمتي :
من طلبِ العافية ، وحُبِّ السلامة ، قبلَ قرَعِكَ سُوَيْدَاءَ ^(٢) القَلْبِ بِسَوَاطِ
الْمَلَامِ ، ولنِعَمَ مؤدَّبُ العشيرة أنت ، وإنا لَنرجوك بعد عثمان ، وهأنا متوقع

(١) أقصد السهم : أصاب فقتل مكانه ، والدرية والدرية : كل ما استتر به من الصيد ليختل ،
واستجن : استتر ، والمحجة : الطريق الواضح . (٢) سويداء القلب وسوداؤه : حبه .

ما يكون منك لِأَمْتِئِلَهٗ^(١) وأَعْمَلْ عَلَيْهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ :

وكتب في أسفل الكتاب :

لاخيرَ في العيش في ذلٍّ وَمَنْقَصَةٍ والموتُ أَحْسَنُ مِنْ ضَيْمٍ وَمِنْ عَارٍ
إِنا بنو عبد شمس مَعَشَرٌ أَنْفٌ غُرٌّ جَعَّاجَةٌ طُلَّابٌ أوتارٌ^(٢)
وَاللَّهِ لو كان ذِمِّيًّا مُجَاوِرُنَا ليطلبَ العزَّ، لم نقعد عن الجار
فكيف عثمان لم يُدْفَنَ بِمَزَبَلَةٍ على القمامة مطروحا بها عارى^(٣)
فازحفَ إلىَّ فَإِنِّي زاحِفٌ لَهُمْ بكلِّ أَيْضَ ماضٍ الحدُّ بَتَّارٍ

٣٣٨ - كتاب الوليد بن عقبة إلى معاوية

وكتب إليه الوليد بن عقبة :

« أما بعدُ : فَإِنَّكَ أَسَدٌ قَرِيشٌ عَقْلًا ، وَأَحْسَنُهُمْ فَهْمًا ، وَأَصَوْبُهُمْ رَأْيًا ،
مَعَكَ حُسْنُ السِّيَاسَةِ ، وَأَنْتَ مَوْضِعُ الرِّيَاسَةِ ، تُورِدُ بِمَعْرِفَةٍ ، وَتُصْدِرُ عَنْ
مَنْهَلٍ رَوِيٍّ ، مُنَاوِيكَ^(٤) كَالْمَنْقَلِبِ مِنَ الْعَيُوقِ ، فَهَوَى بِهِ عَاصِفُ الشَّمَالِ إِلَى
جُلَّةِ الْبَحْرِ .

كُتِبَتْ إِلَى تَذَكُّرِ كِنِّ الْجَيْشِ ، وَلِإِنِّ الْعَيْشَ ، فَلَأْتُ بَطْنِي عَلَى حَرَامٍ ،
إِلَّا مُسْكَةً^(٥) الرَّمَقِ ، حَتَّى أَفْرِي أَوْدَاجَ قَتْلَةِ عُثْمَانَ فَرِيَّ الْأَهْبِ بِشَبَا
الشَّفَارِ ، وَأَمَّا اللَّيْنُ فَهِيَهَاتَ ، إِلَّا خُفْيَةَ الْمَرْتَقِبِ يَرْتَقِبُ غَفْلَةَ الطَّالِبِ ، إِنْ

(١) امثل طريقته : اتبعها فلم يعدما . (٢) ربما كان : « إنا بنو عبد شمس » منصوبا على الاختصاص ، ورجل أنوف : شديد الأنفة والجمع أنف ، غر : مشهورون جمع أغر ، وججاجعة جمع ججاج بالفتح وهو السيد . (٣) القمامة الكناسية .

(٤) المناوى : المعادى ، وعاصف الشمال : أى ريح الشمال العاصفة .

(٥) المسكة : ما يسك الأبدان من الغذاء والشراب أو ما يبلغ به منهما ، وفري كرمى : شق وقطع ، والأوداج جمع ودج كسبب وهو عرق فى العنق ، وهما ودجان ، والأهب جمع إهاب ككتاب وهو الجلد ، وشبا جمع شبة وهى حد كل شىء ، والشفار جمع شفرة بالفتح وهى السكين العظيم .

على مُدَاجاة^(١)، وَلَمَّا بُدِ صَفَحَاتِنَا بَعْدُ، وَلَيْسَ دُونَ الدَّمِّ بِالدَّمِّ مَزْحَلٌ، إِنْ الْعَارُ
مُنْقَصَةٌ، وَالضَّعْفُ ذَلٌّ، أَيْخُبُطُ قَتْلُهُ عُثْمَانَ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَيُسْقَوْنَ
بَرْدَ الْمَصِيرِ، وَلَمَّا يَتَطَوَّأ^(٢) الْخَوْفَ، وَيَسْتَحْلِسُوا الْحَذَرَ بَعْدَ مَسَافَةِ الطَّرْدِ،
وَامْتِطَاءِ الْعَقْبَةِ الْكَثُودِ فِي الرَّحْلَةِ؟ لَا دُعِيْتُ لِعُقْبَةٍ إِنْ كَانَ ذَلِكَ، حَتَّى
أَنْصِبَ لَهُمْ حَرْبًا تَضَعُ الْحَوَامِلُ لَهَا أَطْفَالَهَا، قَدْ أَلَوْتُ^(٣) بِنَا السَّاقَةَ، وَوَرَدْنَا
حِيَاضَ الْمَنَايَا، وَقَدْ عَقَلْتُ نَفْسِي عَلَى الْمَوْتِ عَقْلَ الْبَعِيرِ، وَاحْتَسَبْتُ أَنِّي لِمَا نِي
عُثْمَانَ أَوْ أَقْتُلَ قَاتِلَهُ، فَعَجَّلَ عَلَيَّ مَا يَكُونُ مِنْ رَأْيِكَ، فَإِنَّا مَنُوطُونَ بِكَ
مُتَّبِعُونَ عَقْبِكَ، وَلَمْ أَحْسِبِ الْحَالَ تَتَرَاخَى بِكَ إِلَى هَذِهِ الْغَايَةِ لِمَا أَخَافُهُ مِنْ
إِحْكَامِ الْقَوْمِ أَمْرَهُمْ.

وكتب في أسفل الكتاب :

نَوِي عَلَى مُحَرَّمٍ إِنْ لَمْ أَقُمْ بدم ابن أُمِّي مِنْ بَنِي الْعَلَاتِ^(٤)
قَامَتْ عَلَيَّ (إِذَا قَعَدْتُ وَلَمْ أَقُمْ بِطِلَابِ ذَاكَ) مَنَاحَةُ الْأُمُوتِ
عَذَّبْتُ حِيَاضَ الْمَوْتِ عِنْدِي بَعْدَمَا كَانَتْ كَرِيهَةً مَوْرِدَ النَّهَلَاتِ^(٥)

(١) المداجاة : المداراة ، وأبدى له صفحته : جاهره بالعداوة ، ومزحل : مبعذ : من زحل كنع .
(٢) امتطى الدابة : جعلها مطية ، وفي الأصل « ولما يتمطوا » وهو تحريف ، واستحلس فلان
الخوف : إذا لم يفارقه الخوف ، وعقبة كثود وكأداء : صعبة . (٣) ألوى بهم الدهر : أهلكهم ،
والساقة جمع سائق : يعنى من صار يدهم زمام الأمر ، وفي الأصل « الساقة » وأراء محرفا ، وعقل
البعير : شد وظيفه إلى ذراعه . (٤) بنو العلات . بنو أميات شتى من رجل واحد .
(٥) نهل كتمرح نهلا بالتحريك : شرب الشرب الأول حتى روى .

٣٣٩ - كتاب يعلى بن أمية إلى معاوية

وكتب إليه يعلى بن أمية :

« إنا وأنتم يا بني أمية كالحجر، لا يُبْنَى بغير مدر^(١) ، وكالسيف لا يقطع إلا بضاربه ، وصل كتابك بخبر القوم وحالهم ، فلئن كانوا ذبحوه ذبح النطيحة بؤدربها الموت ، لينحرن ذابحه نحر البدنة^(٢) وافى بها الهدى الأجل ، شككتي من أنا ابنها إن نمت عن طلب وتر عثمان ، أو يقال لم يبق فيه رمق ، إني أرى العيش بعد قتل عثمان مرًا ، إن أدلج^(٣) القوم فإني مُدْج ، وأما قصدُهم ما حوته يدي من المال ، فالمال أيسرُ مفقود إن دفعوا إلينا قتلة عثمان ، وإن أبوا ذلك أنفقنا المال على قتالهم ، وإن لنا ولهم معركة تتناحر فيها نحر الجزار النقائع^(٤) عن قليل تصل لحومها . »

وكتب في أسفل الكتاب :

لمثل هذا اليوم أوصى الناس لا تعط ضيًا أو يخز الرأس
فكل هؤلاء كتبوا إلى معاوية يحرضونه ويغرونه ويحركونه ، إلا سعيد
ابن العاص ، فإنه كتب بخلاف ما كتب به هؤلاء ، كان كتابه :

(١) المدر : قطع الطين اليابس .

(٢) البدنة من الإبل والبقر كالأضحية من الغنم تهدي إلى مكة وتنحر بها . والهدى : ما يهدي إلى مكة ، وتكلمته أمه كفرح : فقدته .

(٣) أدلج : سار من أول الليل .

(٤) النقائع : جمع نقبة كسفينة ، وهي كل جزور جزرت للضيافة ، ومنه : « الناس نقائع الموت » أي يحزرم : جزر الجزار النقية ، وصل اللحم كضرب صلولا وأصل . أنتن

٣٤٠ - كتاب سعيد بن العاص إلى معاوية

« أما بعدُ : فإن الحزم في التثبت ، والخطأ في العجلة ، والشؤم في البدار ، والسهم سَهْمُكَ ما لم يَنْبِضْ به الوترُ ، ولن يَرُدَّ الحالبُ في الصَّرْعِ اللبنُ ، ذكرتَ حقَّ أمير المؤمنين علينا ، وقرابتنا منه ، وأنه قُتِلَ فينا ، فَخَصَلْتانِ ذِكْرُهما نَقْصٌ ، والثالثة تكذُّبٌ ^(١) ، وأمرتنا بطلب دم عثمان ، فأَيَّ جهة نسُلك فيها أبا عبد الرحمن ؟ رُدِمَتِ الفِجَاجُ ^(٢) ، وأُحْكِمِ الأمرُ عليك ، وولِي زِمَامَه غيرك ، فدعْ مُناوأةَ مَنْ لو كَانَ افترش فراشه صدر الأمرِ لم يُعَدَّلْ به غيره ، وقلتَ : كأنا عن قليل لا نتعارف ، فهل نحن إلا حَيٌّ من قريش ، إن لم تَتَلْنَا الولاية لم يَضِقْ عنا الحقُّ ؛ إنها خِلَافَةٌ مَنَافِيَّةٌ ^(٣) ، وبالله أقسم قَسَمًا مبروراً لئن صَحَّتْ عزيمتك على ما ورد به كتابك لأُفَيِّنَكَ بين الحالبين طَلِيحاً ^(٤) ، وهَبْنِي إِخْلَاكَ بعد خَوْضِ الدماء تنالُ الظَّفَرَ ، هل في ذلك عَوْضٌ من ركوب المأثم ، ونَقْصُ الدين ؟ أمّا أنا فلا على بنِي أُمَيَّة ولا لهم ، أجعلُ الحَزَمَ دارى ، والبيتَ سِجْنِي ، وأتوسَّدُ الإسلام ، وأستشعرُ العافية ، فأَعْدِلْ أبا عبد الرحمن زِمَامَ راحلتك إلى مَحَبَّةِ الحق ، واستَوْهَبِ العافية

(١) تكذب : تكلف الكذب . (٢) الفِجَاج : تَجَمُّعُ فِجٍ بالفتح وهو الطريق الواسع ، وردم الباب والثلمة كضرب : سدّه ، والمناوأة . المعادة .

(٣) نسبة إلى عبد مناف جد معاوية وعلى ، فالأول هو معاوية بن أبي سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ، والثاني هو على بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ، يعني بذلك أن الخلافة إن صارت إلى على فهي لم تخرج عن قبيلتنا .

(٤) طَلَحَ كَنَعَ طَلَحاً وطلاحة إذا أَعْيَا وَكَلَّ فهو طَلِيحٌ .

لأهلك ، واستعطف الناس على قومك ، وهيهات من قبولك ما أقول حتى
يفجّر مروانُ ينابيعَ الفتنِ تأجّجُ في البلاد ، وكأني بكأ عند ملاقة
الأقران تعتذران بالقدر ، ولبئس العاقبةُ الندامةُ ، وعمّا قليل يضحُّ لك
الأمرُ والسلام . (شرح ابن أبي الحديد م ٢ : ص ٥٧٩)

٣٤١ - كتاب السيدة أم سلمة إلى السيدة عائشة

وكانت السيدة عائشة خرجت إلى مكة للحجّ عامَ مقتلِ عثمان ، فلما
قضت حجّها بلغها وهي عائدة مقتلُ عثمان ، فارتدت إلى مكة ، وأزمعت أن
تطلب بدمه ، وجاءت إلى السيدة أم سلمة زوج رسول الله صلى الله عليه
وسلم - وكانت أم سلمة بمكة في هذا العام - تُغريها بالخروج معها للطلب بدم
عثمان ، فأبت أن تُجيبها ، وأظهرت موالاته على عليه السلام ونُصرتَه .
وكتبت إلى السيدة عائشة إذ عازمت على الخروج إلى البصرة :

« من أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم إلى عائشة أم المؤمنين :
سلام عليكِ فإني أحمّدُ إليك الله الذي لا إله إلا هو ، أما بعد :
فإنك سُدّة^(١) بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين أمّته ، وحجابك
مضروب على حرّمته^(٢) ، قد جمَعَ القرآن ذيلك فلا تندحيه^(٣) ، وسكّن

(١) السدة : الباب ، والمعنى . أنت باب بين رسول الله وبين أمّته ، فبئس أصيب ذلك الباب بشيء ،
فقد دخل على رسول الله في حرمة وحوزته واستبيح حماه ، فلا تكون أنت سبب ذلك بالخروج الذي
لا يجب عليك فتحوّجى الناس إلى أن يفعلوا ذلك ، وهذا مثل قول النعمان بن مقرن للمسلمين في غزاة
نهاوند . « ألا وإنكم باب بين المسلمين والمشركين إن كسر ذلك الباب دخل عليهم منه » ، وروى
« إنك جنة » والجنة بالضم : الوقاية .

(٢) الحرمة ما لا يحل انتهاكها . (٣) أى فلا تفتحيه ولا توسعيه بالحركة والخروج إلى

عُقَيْرَاكَ^(١) فلا تُصَحِّرِيهَا ، الله من وراء هذه الأمة^(٢) ، لو علم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن النساء يحتملن الجهاد عَمَدَ إِلَيْكَ^(٣) ، عُلَّتِ عُلَّتِ^(٤) ! بل قد نهاك عن الفرطة^(٥) في البلاد ، إن عمود الدين لا يثأب^(٦) بالنساء إن مال ،

البصرة ، يقال : ندحت الشيء كفتح إذا وسعته ، ومنه يقال : فلان في مندوحة عن كذا أى في سعة ، تريد قول الله تعالى « وَقرْنِ فِي بُيُوتِكُنَّ »

وروى « فلان بدحيه » بالباء من باب فتح أيضاً ، من البداح كسحاب وهو المتسع من الأرض وهو بمعنى الأول . (١) عقر الدار : أصلها (وأهل الحجاز يضمون العين ، وأهل نجد يفتحونها) وعقيرى مقصوراً : اسم مبنى من عقر الدار ، على صيغة التصغير ، (ومثله مما جاء مصغراً : الثريا ، والحيا : وهى سورة الشراب) قال ابن قتيبة : ولم أسمع بعقيرى إلا فى هذا الحديث ، قال الزمخشري : كأنها تصغير العقرى على فعلى بالفتح ، من عقر كفرح إذا بقي مكانه لا يتقدم ولا يتأخر فزعا أو أسفاً أو خجلاً ، وأصله من عقرت به بفتح القاف إذا أطلت حبسه كأنك عقرت راحلته فبقى لا يقدر على البراج ، أرادت أم سلة بعقيراك نفس عائشة ، أى سكنى نفسك التى حقها أن تلزم مكانها ، ولا تصحريها : أى لا تبرزها وتجعلها بالصحراء ، يقال : أصحركما يقال : أنجد وأسهل وأحزن ، وفى العقد الفريد : « قد جمع القرآن ذبولك فلا تسحبها ، وكن خفارتك فلا تبتذليها » والحفارة بالفتح والخفر بالتحريك : شدة الحياء ، خفرت المرأة كفرح فهى خفرة ، وابتذله : ضد صانه .

(٢) أى محيط بهم وحافظ لهم كقوله تعالى « وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ » .

(٣) وفى رواية ابن أبى الحديد عن ابن قتيبة فى كتابه المصنف فى غريب الحديث : « لو أراد رسول الله أن يعهد إليك عهداً » قال فى شرحه : الجواب محذوف أى لفعل ولعهد ، كقوله تعالى : « وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ » . أى لكان هذا القرآن

(٤) عال عولا : جار ومال عن الحق ، قال تعالى « ذَلِكَ أَذْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا » أى جرت فى

هذا الخروج وعدت عن الصواب ، ومن الناس من يرويه : « علت علت » بكسر العين ، أى ذهبت فى البلاد وأبعدت السير ، يقال : عال فلان فى البلاد عيلاً أى ذهب وأبعد ودار .

(٥) فى رواية ابن أبى الحديد عن ابن قتيبة « نهاك عن الفرطة فى البلاد » وفى تفسيره : « أى عن السفر والشخص ، من الفرط (كالضرب) وهو السبق والتقدم » وفى رواية العقد « نهاك عن الفرطة فى الدين » وقال صاحب اللسان : الفرطة بالضم : اسم للخروج والتقدم ، وأورد الروائين المذكورين ثم قال : يعنى السبق والتقدم ومجاوزة الحد

(٦) أى لا يرد ولا يعاد بهن إلى استوائه إن مال ، من قولك ثاب فلان إلى كذا يشوب : أى رجع إليه وعاد ، وفى ابن أبى الحديد « لا يثأب » مهموزاً ، وفى العقد « لا يثبت » وفى الإمامة والسياسة « لا يثيب » وكل ذلك تحريف .

ولا يُرأب^(١) بهنَّ إنَّ صُدِعَ ، مُحَادَيَاتٍ^(٢) النساءِ غَضُّ الأطرافِ ، وَخَفَضُ الأصواتِ ، وَخَفَرُ الأعراضِ ، وَضَمُّ الديولِ ، وَقِصَرُ الوَهَاذَةِ^(٣) ، مَا كُنْتَ قَائِلَةً لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَوْ عَارَضَكَ بِبَعْضِ الْقَلَوَاتِ ، نَاصَّةً^(٤) قَعُوداً مِنْ مَنْهَلٍ إِلَى مَنْهَلٍ ، قَدْ وَجَّهَتْ سِدَافَتَهُ^(٥) ، وَتَرَكْتَ عُهَيْدَاهُ^(٦) ، إِنَّ بَعَيْنِ اللَّهِ مَهْوَالِكِ^(٧) ، وَعَلَى رَسُولِهِ تَرْدِينَ ، وَأَقْسِمُ لَوْ سِرْتُ مَسِيرَكَ هَذَا ثُمَّ قِيلَ لِي : يَا أُمَّ سَلَمَةَ : أَدْخَلِي الْفِرْدَوْسَ ، لِأَسْتَحْيِدْتُ أَنْ أَلْقَى مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ

(١) رَأَبُ الصَّدْعِ كَنَعَ : أَصْلَحَهُ ، وَالصَّدْعُ : الشَّقُّ ، وَيُرْوَى « إِنَّ صُدِعَ » بِتَجْهِدِ الصَّادِ وَالْدَّالِ ، أَجْرُوهُ مَجْرَى قَوْلِهِمْ : جَبَرْتَ الْعِظَمَ خَبِرَ . (٢) يُقَالُ : حَادَاكَ أَنْ تَفْعَلَ كَذَا أَيْ مَبْلَغُ جَهْدِكَ وَغَايَتِكَ ، مِثْلُ قَصَارَاكَ وَزَنَا وَمَعْنَى وَجْهَهُ حَادِيَاتٍ أَيْ غَايَةُ مَا يَحْمَدُ مِنْهُمْ ، وَالْخَفَرُ : شِدَّةُ الْحَيَاءِ كَمَا قَدَمْنَا ، وَالْأَعْرَاضُ جَمْعُ عَرَضٍ بِالسَّكْسَرِ : وَهُوَ : النَّفْسُ وَالْجَسَدُ .

(٣) قَالَ فِي اللِّسَانِ « وَقِصَرُ الْوَهَاذَةِ » أَيْ قِصْرُ الْخَطِي ، وَالْوَهَاذَةُ : الْخَطْوُ ، وَقَدْ تَوَهَّزَ بِتَوَهُّزٍ : إِذَا وَطِئَ وَطْئًا ثَقِيلًا ، وَعَلَى هَامِشِهِ « الْوَهَاذَةُ ضُبُطَتْ بِفَتْحِ الْوَاوِ فِي الْأَصْلِ وَمَتْنُ الْقَامُوسِ شَكْلًا ، وَضُبُطَتْ فِي النَّهَايَةِ بِكَسْرِهَا ، وَقَالَ السَّكْسَرِيُّ شَارِحُ الْقَامُوسِ عَنْ الصَّاعِقَانِي أَيْ مَصْحُوحِهِ « وَقَالَ شَارِحُ الْقَامُوسِ « وَضُبُطَةُ الصَّاعِقَانِي بِالْكَسْرِ وَقَالَ : وَهُوَ قَوْلُ ابْنِ الْأَعْرَابِيِّ « . أَقُولُ : وَقَدْ جَاءَتْ هَذِهِ الْكَلِمَةُ فِي لِسَانِ الْعَرَبِ أَيْضًا فِي مَادَّةِ « حَمْد » : « وَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ حَادِيَاتِ السَّاءِ غَضُّ الطَّرْفِ وَقِصْرُ الْوَهَادَةِ » وَضُبُطَتْ كَلِمَةُ قِصْرٍ بِفَتْحِ الْتَّاءِ وَسُكُونِ الصَّادِ ، وَالْوَهَادَةُ بِالْدَّالِ ، وَهُوَ تَحْرِيفٌ ، وَفِي الْعَقْدِ « جِهَادُ السَّاءِ غَضُّ الْأَطْرَافِ ، وَضَمُّ الدِّيُولِ ، وَقِصْرُ الْمَوَادَةِ » وَفِي الْإِمَامَةِ وَالسِّيَاسَةِ « خِرَاتُ السَّاءِ » وَكُلُّ ذَلِكَ تَحْرِيفٌ أَيْضًا . (٤) نَفْسُ نَافَتِهِ : اسْتَخْرَجَ أَنْصَبَ مَا عِنْدَهَا مِنَ السَّيْرِ ، وَالتَّعْوُدُ : الْبَعِيرُ الشَّابُّ ، سُمِّيَ بِذَلِكَ لِأَنَّهُ ظَهَرَ اقْتَعَدَ أَيْ رَكِبَ ، وَفِي رِوَايَةِ ابْنِ أَبِي الْحَدِيدِ « قَالُوا صَا » وَالْقُلُوصُ : النَّاقَةُ الشَّابَّةُ أَيْضًا .

(٥) السِّدَافَةُ : الْحِجَابُ وَالسِّتْرُ ، مِنْ أَسْدَفَ اللَّيْلُ إِذَا أَرَخَى سِتْوَرَهُ وَأَظْلَمَ ، وَأَسْدَفَتِ الْمَرْأَةُ الْقِنَاعَ أَيْ أَرْسَلَتْهُ ، وَسَدَفَتْهُ أَيْضًا وَيُرْوَى بِفَتْحِ السَّيْنِ ، وَيُرْوَى سَجَافَتُهُ بِكَسْرِ السَّيْنِ وَفَتْحِهَا أَيْضًا ، وَالسِّدَافَةُ وَالسَّجَافَةُ بِمَعْنَى ، وَتَوَجَّيْهَهَا : كَشَفَهَا ، فَعْنَى وَجَّهَتْ سِدَافَتَهُ : أَيْ هَتَكَتْهَا وَكَشَفَتْهَا وَأَخَذَتْ وَجْهَهَا ، وَقِيلَ مَعْنَاهُ : أَزَلَّتِ السِّدَافَةَ عَنْ مَكَانِهَا الَّذِي أَمَرَتْ أَنْ تَلْزِمِيهِ ، وَقِيلَ مَعْنَاهُ : أَخَذَتْ وَجْهَهَا هَتَكَتْ سِتْرَكَ فِيهِ ، ذَكَرَ صَاحِبُ اللِّسَانِ هَذِهِ الْمَعْنَى فِي مَدَّةِ « سَجَفَ » وَ « سَدَفَ » وَ « وَجَّهَ » وَقَالَ ابْنُ أَبِي الْحَدِيدِ فِي شَرْحِهِ : « وَوَجَّهَتْ سِدَافَتَهُ » أَيْ نَظَّمَتْهَا بِالْخَرْزِ ، وَالْوَجْهَةُ : خَرْزَةٌ مَعْرُوفَةٌ ، وَعَادَةُ الْعَرَبِ أَنْ تَنْظُمَ عَلَى الْحَمَلِ خَرْزَاتٍ إِذَا كَانَ لِلنِّسَاءِ .

(٦) الْعُهَيْدَى بِالتَّشْدِيدِ وَالْقِصْرِ فَعِيلٌ مِنَ الْعَهْدِ ، كَالْجُهَيْدَى مِنَ الْجَهْدِ ، وَالْعَجِيلَى مِنَ الْعَجَلَةِ . (٧) أَيْ أَنَّ اللَّهَ يَرَى سِيرَكَ وَحَرَكَتَكَ ، وَالْمَهْوَى كَقَضَى : الْإِنْخِدَارُ فِي السَّيْرِ مِنَ التَّجِدِّ إِلَى الْغَوْرِ ، وَالْإِسْرَاعُ فِي السَّيْرِ .

عليه وسلم هاتيك حجاباً قد ضرب به عليّ .

اجعلي بيتك حصنك ، ووقاعة^(١) الستر قبرك ، حتى تلقينه وأنت على تلك ، أطوع ما تكونين لله إذا لزمته ، وأنصر ما تكونين للدين ما حلت فيه ، ولو ذكررتك قولاً من رسول الله صلى الله عليه وسلم تعرفينه ، لنهشت به نهش الرقشاء المطرقة^(٢) ، والسلام .

(شرح ابن أبي الحديد ٢ : ٧٩ ، والعقد الفريد ٢ : ٢٢٧ ، والإمامة والسياسة ١ : ٤٥)

٣٤٢ - رد السيدة عائشة على السيدة أم سلمة

فأجابتها السيدة عائشة :

« من عائشة أم المؤمنين إلى أم سلمة :

سلام عليك فإني أحمدُ إليك الله الذي لا إله إلا هو ، أما بعد : فما

(١) الوقاعة بالكسر: موضع وقوع طرف الستر على الأرض إذا أرسل ، وهي موقعه وموقعه ، ويروى بفتح الواو أى ساحة الستر ، وأنت على تلك ، أى على تلك الحال خذف ، والضمير في « لزمته » راجع إلى « بيتك » وفي العقد الفريد « فاجعلي سترك ، وقاعة البيت حصنك ، فإنك أنصح ما تكونين لهذه الأمة ما قعدت عن نصرتهم » وفي الإمامة والسياسة : « فاجعلي حجابك الذي ضرب عليك حصنك ، فابقيه منزلاً لك حتى تلقيه ، فإن أطوع ما تكونين إذا مالزته وأنصح ما تكونين إذا ما قعدت فيه » .

(٢) وفي الإمامة والسياسة : « ولو ذكرتك كلاماً قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم لنهشتي نهش الحية » وفي العقد الفريد « ولو أتى حديثك بحديث سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم لنهشت نهش الرقشاء المطرقة » والمعنى : لعضك ونهشك ما أذكركه لك وأذكرك به ، كما نهشك أفعو رقشاء . والحية ارقشاء : هي النقطة بسواد وبياض ، والأفعى توصف بالإطراق ، قال الشاعر :
فأطرق لإطراق الشجاع ولو رأى مساعداً لئاباه الشجاع الصمما

(والشجاع : الحية) ، هذا وقد أوردنا ذلك الكتاب والذي يليه في عداد الرسائل ، وفاقاً لما ورد في العقد الفريد ، والإمامة والسياسة ، وإلحدي روايتي ابن أبي الحديد ، وفي الأخرى قال : وقد ذكر هذا الحديث أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة في كتابه المصنف في غريب الحديث ، قال : لما أراد عائشة الخروج إلى البصرة ، أتتها أم سلمة فقالت لها « ومنه ترى أن ذلك الحديث كان مشافهاً لا مكانة ، وقد وجدت صاحب اللسان عند تفسير كل كلمة يوردها من هذا الحديث يقول : « وأحدث أم سلمة أنها قالت لعائشة لما أرادت الخروج إلى البصرة » .

أَقْبَلَنِي لَوْ عَظِّكَ ، وَأَعْرِفَنِي لِحَقِّ نُصْحِكَ ، وَمَا أَنَا بِعَمِيَّةٍ عَنْ رَأْيِكَ ، وَلَيْسَ مَسِيرِي عَلَى مَا تَظُنِّينَ ، وَلَنَعْمَ الْمَسِيرُ مَسِيرٌ فَرَعَتْ فِيهِ إِلَى فِئَتَانِ مُتَنَاجِزَتَانِ^(١) مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، فَإِنْ أَقْعُدْ فِي غَيْرِ حَرَجٍ^(٢) ، وَإِنْ أَمْضِ فَإِلَى مَا لَا بُدَّ لِي مِنَ الْإِزْدِيَادِ مِنْهُ ، وَالسَّلَامُ »

(شرح ابن أبي الحديد م ٢ : ص ٧٩ ، والعقد الفريد ٢ : ٢٢٧ ، والإمامة والسياسة ١ : ٤٥)

٣٤٣ - كتاب السيدة أم سلمة إلى علي

وَكُتِبَتْ السَّيِّدَةُ أُمُ سَلَمَةَ إِلَى عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ مَكَّةَ :
« أَمَا بَعْدُ : فَإِنْ طَلَحَ وَالزَّيْبُ وَأَشْيَاعُهُمْ أَشْيَاعَ الضَّلَالَةِ يُرِيدُونَ أَنْ يَخْرُجُوا بِعَائِشَةَ إِلَى الْبَصْرَةِ ، وَمَعَهُمُ ابْنُ الْحِزَانِ^(٣) عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَامِرِ بْنِ كُرَيْزٍ ، وَيَذْكُرُونَ أَنَّ عُمَانَ قُتِلَ مَظْلُومًا ، وَأَنَّهُمْ يَطْلُبُونَ بَدْمَهُ ، وَاللَّهُ كَافِيهِمْ بِحَوْلِهِ وَقُوَّتِهِ ، وَلَوْلَا مَا نَهَانَا اللَّهُ عَنْهُ مِنَ الْخُرُوجِ ، وَأَمَرَنَا بِهِ مِنْ لُزُومِ الْبُيُوتِ^(٤) ، لَمْ أَدَعِ الْخُرُوجَ إِلَيْكَ ، وَالنُّصْرَةَ لَكَ ، وَلَكِنِّي بِأَعِيَّةٍ نَحْوِكَ ابْنِي ، عَدَلٌ^(٥) نَفْسِي ، عَمْرَ بْنَ أَبِي سَلَمَةَ ، فَاسْتَوْصِ بِهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ خَيْرًا » .
فَلَمَّا قَدِمَ عَمْرٌ عَلَى عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، أَكْرَمَهُ وَلَمْ يَزَلْ مُقِيمًا مَعَهُ حَتَّى شَهِدَ مَشَاهِدَهُ كُلَّهَا ، وَوَجَّهَهُ أَمِيرًا عَلَى الْبَحْرَيْنِ . (شرح ابن أبي الحديد م ٢ : ص ٧٨)

(١) وفي رواية « متناحرتان » ، وفي العقد والإمامة والسياسة : « ولنعم المطلاع مطلع فرقت فيه بين فئتين متناحرتين من المسلمين » . (٢) أى فى غير إثم .

(٣) هكذا فى الأصل ، أقول : ولعل صوابه « ابن الجزار » أو « ابن الجراز » من جز الصوف أو ابن الجرّان أى الطحان من جرن الحب أى طاحنه ، أو « ابن الحزان » من خزن المال واكتنزه وقد ورد فى ترجمة عبد الله بن عامر (فى أسد الغابة ج ٣ : ص ١٩١) « أنه أول من لبس الحزّ بالبصرة - وكان عثمان قد استعمله عليها بعد أبي موسى الأشعرى - لبس جبة دكاء ، فقال الناس : لبس الأمير جلد دب ، فلبس جبة حمراء » فاعل صواب الكلمة « ابن الحراز » تكبى أم سلمة بذلك عن أنه امتلأت يده من بيت مال البصرة ، فعدا مترفاً منعماً يرتدى الحز ويرفل فيه (وليست تعنى أن أباه كان يبيع الحز) . (٤) تشير إلى قوله تعالى « وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ »

(٥) العدل بالفتح والكسر والعديل : المثل والنظير .

٣٤٤ - كتاب الأشر إلى السيدة عائشة

وكتب الأشر من المدينة إلى السيدة عائشة ، وهى بمكة :
« أما بعدُ : فإنك ظعينة^(١) رسول الله صلى الله عليه وآله ، وقد أمرك
أن تقرى فى بيتك ، فإن فعلت فهو خير لك ، وإن أبيت إلا أن تأخذى
منسأتك^(٢) ، وتلقى جلبابك ، وتبدى للناس شعيراتك ، قاتلتك حتى
أردك إلى بيتك ، والموضع الذى يرضاه لك ربك » .
(شرح ابن أبى الحديد م ٢ : ص ٨٠)

٣٤٥ - رد السيدة عائشة على الأشر

فكتبت إليه فى الجواب :
« أما بعدُ : فإنك أول العرب شبّ الفتنه ، ودعا إلى الفرقة ، وخالف
الأمة ، وسعى فى قتل الخليفة ، وقد علمت أنك لن تعجز الله حتى يصيبك
منه بنقمة ينتصر بها منك للخليفة المظلوم ، وقد جاءنى كتابك ، وفهمت
ما فيه ، وسيكفينيك الله ، وكل من أصبح مماثلاً لك فى ضلالك ، وغيبك إن
شاء الله » . (شرح ابن أبى الحديد م ٢ : ص ٨٠)

(١) يقال للمرأة ظعينة ، فعيلة بمعنى مفعولة ، لأن زوجها يظعن بها ، والظعينة فى الأصل وصف
للرأة فى هودجها ، ثم سميت بهذا الاسم وإن كانت فى بيتها ، لأنها تصير مظعونة .
(٢) المنسأة : العصا . لأن الدابة تنسأ بها أى ترجر وتساق .

٣٤٦ - كتاب طلحة والزبير إلى كعب بن سور

ولَمَّا أَجْمَعَتْ عَائِشَةُ وَطَلْحَةُ وَالزَّبِيرُ وَأَشْيَاعُهُمْ عَلَى الْمَسِيرِ إِلَى الْبَصْرَةِ ،
قَالَ الزَّبِيرُ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَامِرٍ - وَكَانَ عَامِلَ عُثْمَانَ عَلَى الْبَصْرَةِ ، وَهَرَبَ عَنْهَا حِينَ
مَصِيرِ عُثْمَانَ بْنِ حُنَيْفٍ عَامِلٍ عَلَى إِلَيْهَا - : مَنْ رَجُلُ الْبَصْرَةِ ؟ قَالَ : ثَلَاثَةٌ ،
كُلُّهُمْ سَيِّدُ مَطَاعٍ : كَعْبُ بْنُ سُورٍ فِي الْيَمَنِ ، وَالْمُنْذِرُ بْنُ رَيْعَةَ فِي رَيْعَةَ ،
وَالْأَحْنَفُ بْنُ قَيْسٍ فِي الْبَصْرَةِ .

فَكَتَبَ طَلْحَةُ وَالزَّبِيرُ إِلَى كَعْبِ بْنِ سُورٍ .

« أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّكَ قَاضِيُ عَمْرِ بْنِ الْخَطَّابِ ، وَشَيْخُ أَهْلِ الْبَصْرَةِ ، وَسَيِّدُ
أَهْلِ الْيَمَنِ ، وَقَدْ كُنْتَ غَضِبْتَ لِعُثْمَانَ مِنَ الْأَذَى ، فَاغْضَبْ لَهُ مِنَ الْقَتْلِ ،
وَالسَّلَامِ » . (الإمامة والسياسة ١ : ٤٧)

٣٤٧ - كتابهما إلى الأحنف بن قيس

وَكَتَبَا إِلَى الْأَحْنَفِ بْنِ قَيْسٍ :

« أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّكَ وَافِدُ عَمْرٍ^(١) ، وَسَيِّدُ مُضَرَ ، وَحَلِيمُ أَهْلِ الْعِرَاقِ ، وَقَدْ
بَلَغَكَ مُصَابُ عُثْمَانَ ، وَنَحْنُ قَادِمُونَ عَلَيْكَ ، وَالْعِيَانُ^(٢) أَشْفَى لَكَ مِنْ
الْخَبَرِ ، وَالسَّلَامِ » . (الإمامة والسياسة ١ : ٤٨)

(١) كَانَ الْأَحْنَفُ وَفَدَ فِي أَهْلِ الْبَصْرَةِ وَأَهْلِ الْكُوفَةِ عَلَى عَمْرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَخَطَبَ بَيْنَ يَدَيْهِ ،
وَقَدْ أوردنا خطبته في جبهة خطب العرب ج ١ : ص ١١٢ . (٢) الْعِيَانُ : الْمَعَايِنَةُ وَالْمُشَاهَدَةُ .

٣٤٨ - كتابهما إلى المنذر بن ربيعة

وكتبنا إلى المنذر :

«أما بعدُ : فإن أباك كان رئيساً في الجاهلية ، وسيّدا في الإسلام ، وإنك من أيك بمنزلة المصلي^(١) من السابق ، يقال كاد أو لحق^(٢) ، وقد قتل عثمان من أنت خير منه ، وغضب له من هو خير منك ، والسلام .»

(الإمامة والسياسة ١ : ٤٨)

٣٤٩ - رد كعب بن سور على طلحة والزبير

فكتب كعب بن سور إلى طلحة والزبير :

«أما بعد : فإننا غضبنا لعثمان من الأذى والغير^(٣) باللسان ، فجاء أمرُ الغير فيه بالسيف ، فإن يكن عثمان قتلَ ظالماً فالكمأ وله ؟ وإن كان قتل مظلوماً فغير كما أولى به ، وإن كان أمره أشكل على من يشهده ، فهو على من غاب عنه أشكل .» (الإمامة والسياسة ١ : ٤٨)

٣٥٠ - رد الأحنف عليهما

وكتب الأحنف إليهما :

«أما بعدُ : فإنه لم يأتنا من قبلكم أمرٌ لا نشك فيه إلا قتل عثمان ،

(١) المصلي . التالي السابق .

(٢) هذه العبارة رواها صاحب العقد في كتاب عائشة إلى زيد بن صوحان كما سترى .

(٣) غير الدعوى : أحداثه .

وأنتم قادمون علينا ، فإن يكن في العيان فضل نظرنا فيه ونظرتم ، وإلا
يكن فيه فضل فليس في أيدينا ولا أيديكم ثقة ، والسلام .

(الإمامة والسياسة ١ : ٤٨)

٣٥١ - رد المنذر عليهما

وكتب المنذر إليهما :

« أما بعد : فإنه لم يُلْحِقْنِي بأهل الخير إلا أن أكون خيراً من أهل
الشر ، وإنما أوجب حقَّ عثمان اليومَ حقه أُمس ، وقد كان بين أظهركم
نخذلتموه ، فتى استنبطتم هذا العلم ، وبدا لكم هذا الرأي ؟) .

فلما قرأوا كتب القوم ساءها ذلك وغضبوا . (الإمامة والسياسة ١ : ٤٨)

٣٥٢ - كتاب السيدة عائشة إلى زيد بن صوحان

وكتبت السيدة عائشة إلى زيد بن صوحان العبدى^(١) إذ قَدِمَت البصرة :

« من عائشة أُنْثَى أَبِي بكر أم المؤمنين حَبِيبَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

وسلم إلى ابنها الخالص زيد بن صوحان :

سلام عليك ، أما بعدُ : فإن أباك كان رَأْساً في الجاهلية ، وسَيِّداً في
الإسلام ، وإنك من أهلك بمنزلة المصلّى من السابق ، يقال : كاد أولُ حَقِّ ،
وقد بلغك الذي كان في الإسلام من مُصَابِ عثمان بن عفان ، ونحن قادمون
عليك ، والعِيَانُ أَشْفَى لك من الخبر .

(١) هو من أشرف الكوفة .

فَإِذَا أَتَاكَ كِتَابِي هَذَا ، فَاقْدَمْ فَانْصُرْنَا عَلَى أَمْرِنَا هَذَا ، فَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ
فَخَبِّطُ^(١) النَّاسَ عَنْ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ، وَكُنْ مَكَانَكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ
أَمْرِي ، وَالسَّلَامُ .



وَفِي رَوَايَةِ ابْنِ أَبِي الْحَدِيدِ :
« أَمَّا بَعْدُ : فَأَقِمَّ فِي بَيْتِكَ ، وَخَذَلِ النَّاسَ عَنْ عَلِيٍّ ، وَلْيَبْلُغْنِي عَنْكَ
مَا أَحَبَّ ، فَإِنَّكَ أَوْثَقُ أَهْلِي عِنْدِي وَالسَّلَامُ » .
(العقد الفريد ٢ : ٢٢٧ ، وتاريخ الطبري ٥ : ١٨٣ ، وشرح ابن أبي الحديد م ٢ : ص ٨١)

٣٥٣ - رد زيد بن صوحان على السيدة عائشة

فَكُتِبَ إِلَيْهَا زَيْدٌ :
« مِنْ زَيْدِ بْنِ صَوْحَانَ إِلَى عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ :
سَلَامٌ عَلَيْكَ ، أَمَّا بَعْدُ : فَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَكَ بِأَمْرٍ ، وَأَمَرَنَا بِأَمْرٍ : أَمَرَكَ أَنْ
تَقَرَّيَ فِي بَيْتِكَ ، وَأَمَرَنَا أَنْ تَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً^(٢) ، فَتَرَكْتَ
مَا أَمَرَ بِهِ ، وَكُتِبَتْ تَنْهِيْنَانَا عَمَّا أَمَرْنَا بِهِ^(٣) ، فَأَمَرُكَ عِنْدِي غَيْرُ مُطَاعٍ ،
وَكِتَابُكَ غَيْرُ مُجَابٍ ، وَالسَّلَامُ » .

(١) وَفِي رَوَايَةِ الطَّبْرِيِّ : « نَخَذَلُ » وَالْمَعْنَى وَاحِدٌ .

(٢) يُشِيرُ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى : « وَقَارِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ »

(٣) وَفِي ابْنِ أَبِي الْحَدِيدِ : « وَقَدْ أَتَانِي كِتَابُكَ ، فَأَمَرْتَنِي أَنْ أَصْنَعَ خِلَافَ مَا أَمَرَنِي اللَّهُ ، فَأَكُونُ
قَدْ صَنَعْتُ مَا أَمَرَكَ اللَّهُ بِهِ ، وَصَنَعْتُ مَا أَمَرَنِي اللَّهُ بِهِ » .



وفي رواية الطبرى :

فكتب إليها :

من زيد بن صوحان إلى عائشة أبنة أبي بكر الصديق رضى الله عنه ،
حبيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم :

أما بعدُ : فأنا ابنك الخالص إن اعتزلتِ هذا الأمر ، وَرَجَعْتَ إلى
بيتك ، وإلا فأنا أولُ من نأبدك^(١) .

(العقد الفريد ٢ : ٢٢٧ ، وتاريخ الطبرى ٥ : ١٨٤ ، وشرح ابن أبي الحديد ٢ : ص ٨١)

٣٥٤ - كتاب الصلح بين أصحاب الجمل وبين عثمان بن حنيف

وخطب طلحة والزبير والسيدة عائشة أهل البصرة ، وحثوهم على
مؤازرتهم فى الطلب بدم الخليفة المظلوم ، حتى استمالوا فريقاً منهم ، ونشِبَ
القتال بين أصحاب عائشة وبين أصحاب ابن حنيف ، وفشت الجراحات فى
الفريقين ، حتى إذا مسَّ الشرُّ أصحاب ابن حنيف وعَضَّهم ، نادوا أصحاب عائشة
إلى الصلح ، فأجابوهم ، وكتبوا بينهم كتاباً على أن يبعثوا رسولاً إلى المدينة ،
وحتى يرجع الرسول من المدينة ، فإن كان طلحة والزبير أكرها على بيعه
على ، خرج ابن حنيف عنهما ، وأخلى لهما البصرة ، وإن لم يكونا أكرها
خرج طلحة والزبير ، ونص الكتاب :

(١) وفى الطبرى بعد ذلك : « قال زيد بن صوحان : رحم الله أم المؤمنين ، أمرت أن تلزم بيتها ،
وأمرنا أن نقاتل ، فترك ما أمرت به وأمرتنا به ، وصنعت ما أمرنا به ونهتنا عنه » .

« بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ما اصطلاح عليه طلحة والزبير ومن معهما من المؤمنين والمسلمين ، وعثمان بن حنيف ، ومن معه من المؤمنين والمسلمين : أنَّ عثمان يُقيم حيثُ أدركه الصَّلح على ما في يده ، وأنَّ طلحة والزبير يقيمان حيثُ أدركهما الصَّلح على ما في أيديهما ، حتى يرجع أمينُ الفريقين ورسولُهم كعبُ بن سُور من المدينة ، ولا يضارَّ واحد من الفريقين الآخر في مسجد . ولا سُوق ، ولا طريق ، ولا فُرْضة^(١) ، بينهم عَيْبة^(٢) مفتوحة ، حتى يرجع كعب بالخبر ، فإنَّ رجوعه بأنَّ القوم أكرهوا طلحة والزبير ، فالأمرُ أمرُهما ، وإن شاء عثمان خرج حتى يُلحَقَ بطيئته^(٣) ، وإن شاء دخل معهما ، وإن رجع بأمرهما لم يُكْرَها فالأمرُ أمرُ عثمان ، فإن شاء طلحة والزبير أقاما على طاعة عليٍّ ، وإن شاءا خرجا حتى يُلحَقا بطيئتهما ، والمؤمنون أعوانُ الفالَج^(٤) منهما » .

نخرج كعب حتى قدِم المدينة ، واجتمع الناس لقدمه ، فقال : « يا أهل المدينة إني رسولُ أهل البصرة إليكم : أأكره هؤلاء القوم هذين الرجلين على بيعه عليٍّ ، أم أتياها طائعين ؟ فلم يُجبه أحد من القوم ، إلا ما كان من أسامة بن زيد ، فإنه قام فقال : اللهم إنهما لم يبايعا إلا وهما كارهان » . (تاريخ الطبري ٥ : ١٧٧)

(١) الفُرْضة : من التمر ثلثة يستقى منها ، ومن البحر : محط السفن .

(٢) هكذا في الأصل ، والتعبير الوارد عن العرب في هذا الصدد « عيبة مكفوفة » انظر تفسيرها .

في ص ٣١ . (٣) يقال : مضى لطيته أى لوجهه الذى يريد به ولابته التى انتواها .

(٤) أى الظافر الفائر .

٣٥٥ - كتاب عليّ إلى عثمان بن حنيف

وبلغ عليّاً الخبرُ ، فبادَرَ بالكتاب إلى عثمان بن حنيف يعجزّه ويقول :
« والله ما أُكرِّها إلا كَرِّهاً على فُرقة ، ولقد أُكرِّها على جماعة
وفَضْل^(١) ، فإن كانا يريدان الخلع ، فلا عُذرَ لهما ، وإن كانا يريدان غير ذلك
نَظَرْنَا ونَظَرَا » :

فقدِم الكتاب على عثمان بن حنيف ، وقدم كعب ، فأرسلوا إلى عثمان
أن أخرج عنا ، فاحتجّ بالكتاب ، وقال : هذا أمر آخر غير ما كنا فيه ،
فجمع طلحة والزبير الرجال ، ثم قصدا المسجد وقت صلاة العشاء ، وأبطأ ابن
حنيف ، فقدمّا عبد الرحمن بن عتّاب ، فشهر الزُّطُّ والسَّبَاجَةُ^(٢) السلاح ،
ووضعوه فيهم ، فأقبلوا عليهم فأقتلوا في المسجد .
ثم أخذ أصحاب عائشة ابن حنيف فضربوه أربعين سوطاً ، وנתفوا
شعر لحيته ، ورأسه وحاجبيه ، وأشفار عينيّه وحبسوه . (تاريخ الطبري ٥ : ١٧٨)

(١) روى أن الناس لما بايموا علياً تشاوروا فيما بينهم ، وقالوا : إن دخل طلحة والزبير فقد
استقامت ، فبعثوا إليهما وجاءوا بهما يحدونهما بالسيف للبيعة ، فتلكا طلحة فقال له مالك الأشر -
وسل سيفه - والله لتبايعن أو لأضربن به ما بين عينيك ، فقال طلحة : وأين المهرب عنه ؟ فبايعه
وبايع الزبير والناس ، وروى أن علياً قال لها : إن أحببنا أن تبايعا لي ، وإن أحببنا بايعتكما ، فقالا :
بل نبايعك ، وقالا بعد ذلك : إنما صنعنا ذلك خشية على أنفسنا ، وقد عرفنا أنه لم يكن ليبايعنا «
(تاريخ الطبري ٥ : ١٥٣) .

(٢) الزُّطُّ : قوم سود من أهل السند والهند ، وكذا السَّبَاجَةُ : قوم ذوو جلد من السند والهند
يكونون مع رئيس السفينة البحرية يخفرونها ، وكانوا بالبصرة جلاوزة وحراس السجن .

٣٥٦ - كتاب طلحة والزبير إلى أهل الأمصار

وأصبح طلحة والزبير ويئت المال في أيديهما ، والناسُ معهما ،
وبعث عائشة : لا تحبسوا عثمان بن حنيف ودعاه ، ففعلوا فخرج عثمان فمضى
لطيته ، وثار حكيم بن جبلة فيمن تبعه لنصرة ابن حنيف ، وهو يقول : لست
بأخيه إن لم أنصره ، وجعل يشتم عائشة ، وقالت عائشة : لا تقاتلوا إلا من
قاتلكم ، ونادوا من لم يكن من قتلة عثمان فليكف عنا ، فإننا لا نريد إلا
قتلة عثمان ، ولا نبداً أحداً ، فأنشَبَ حكيم القتال ، واقتتل الفريقان شديداً ،
وكان النصر لأصحاب عائشة .

ثم كتبوا إلى أهل الشام بما صنعوا وصاروا إليه .

« إنا خرجنا لوضع الحرب ، وإقامة كتاب الله عز وجل بإقامة حدوده
في الشريف والوضيع ، والكثير والقليل ، حتى يكون الله عز وجل هو الذى
يردنا عن ذلك ، فبايعنا خيار أهل البصرة ومجاوهم ، وخالفنا شرارهم
ونزاعهم ^(١) ، فردونا بالسلاح ، وقالوا فيما قالوا : نأخذ أم المؤمنين رهينة أن
أمرتهم بالحق وحثتهم عليه ، فأعطاهم الله عز وجل سنة المسلمين مرة بعد
مرة ، حتى إذا لم يبق حجة ولا عذر استبسل قتلة أمير المؤمنين ، فخرجوا
إلى مضاجعهم ، فلم يفلت منهم مخبر ^(٢) إلا خر قوص بن زهير ، والله
سبحانه مقيد ^(٣) إن شاء الله ، وكانوا كما وصف الله عز وجل ^(٤) .

(١) نزاع القبائل : غزواهم الذين يجاورون قبائل ليسوا منهم . الواحد نزيع ونازع .

(٢) أى لسان يخبر بخبرهم . (٣) أقاد القاتل بالقتيل : قتله به .

(٤) قال تعالى « فمُطِيعَ دَابِرِ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ » .

وإنا نُنَاشِدُكُمْ اللهُ في أنْفُسِكُمْ إِلَّا نَهَضْتُمْ بِمَثَلِ مَا نَهَضْنَا بِهِ فَتَلَقَى اللهُ عَزَّ وَجَلَّ وَتَلَقَّوْهُ وَقَدْ أَعْدَرْنَا ، وَقَضَيْنَا الَّذِي عَلَيْنَا .

وكتبوا إلى أهل الكوفة بمثله ، وكذا إلى أهل اليمامة وأهل المدينة .
(تاريخ الطبري ٥ : ١٨١)

٣٥٧ - كتاب السيدة عائشة إلى أهل الكوفة

وكتبت السيدة عائشة رضى الله عنها إلى أهل الكوفة :
« أما بعدُ : فَإِنِّي أَذْكُرُّكُمْ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ وَالْإِسْلَامَ ، أَقِيمُوا كِتَابَ اللهِ بِإِقَامَةِ مَا فِيهِ ، اتَّقُوا اللهَ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِهِ وَكُونُوا مَعَ كِتَابِهِ ، فَإِنَّا قَدِمْنَا الْبَصْرَةَ فَدَعَوْنَاهُمْ إِلَى إِقَامَةِ كِتَابِ اللهِ بِإِقَامَةِ حُدُودِهِ ، فَأَجَابَنَا الصَّالِحُونَ إِلَى ذَلِكَ وَاسْتَقْبَلْنَا مَنْ لَا خَيْرَ فِيهِ بِالسَّلاحِ ، وَقَالُوا : لَنُتَّبِعَنَّكُمْ عُمَانًا ، لِيَزِيدُوا^(١) الْحُدُودَ تَعْطِيلًا ، فَعَانَدُوا فَشْهَدُوا عَلَيْنَا بِالْكَفْرِ ، وَقَالُوا لَنَا الْمُنْكَرُ ، فَقَرَأْنَا عَلَيْهِمْ : « أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ » فَأَذَعَنَ لِي بَعْضُهُمْ ، وَاخْتَلَفُوا بَيْنَهُمْ فَتَرَكْنَاهُمْ وَذَلِكَ ، فَلَمْ يَمْنَعْ ذَلِكَ مَنْ كَانَ مِنْهُمْ عَلَى رَأْيِهِ الْأَوَّلِ مِنْ وَضْعِ السَّلاحِ فِي أَصْحَابِي ، وَعَزَمَ عَلَيْهِمْ عُثْمَانُ بْنُ حُنَيْفٍ إِلَّا قَاتَلُونِي ، حَتَّى مَنَعَنِي اللهُ عَزَّ وَجَلَّ بِالصَّالِحِينَ ، فَردَّ كَيْدَهُمْ فِي نَحُورِهِمْ ، فَكُشْنَا سِتًّا وَعِشْرِينَ لَيْلَةً نَدْعُوهُمْ إِلَى كِتَابِ اللهِ ، وَإِقَامَةِ حُدُودِهِ ، وَهُوَ حَقُّ الدِّمَاءِ أَنْ تُهْرَاقَ^(٢) دُونَ مَنْ قَدْ حَلَّ دَمُهُ ، فَأَبَوْا وَاحْتَجُّوا بِأَشْيَاءٍ فَاصْطَلَحْنَا عَلَيْهَا ، نَخَانُوا وَغَدَرُوا ، وَحَافُوا وَخَشَرُوا ، فَجَمَعَ

(١) فِي الْأَصْلِ « لِيَرْتَدُّوا » وَهُوَ تَصْحِيفٌ .

(٢) هَرَاقَ الدَّمَاءَ يَهْرِيقُهُ بِفَتْحِ الدَّمَاءِ هَرَاقَةً بِالْكَسْرِ ، وَأَصْلُهُ أَرَاقٌ .

الله عز وجل لعثمان رضى الله عنه ثأره ، فأقادهم فلم يُفْلِت منهم إلا رجل ، وأردأنا^(١) الله ، وَمَنَعْنَا مِنْهُمْ بُعْثِرَ بِنِ مَرْتَد ، وَمَرْتَدُ بِنِ قَيْس ، ونقر من قيس ، ونقر من الرّباب والأزد ، فالزَمُوا الرّضا إلا عن قتلة عثمان بن عفان حتى يأخذ الله حقه ، ولا تُخَاصِمُوا عن الخائنين ، ولا تمنعوا ، ولا ترضوا بدوى حُدُودِ الله فتكونوا من الظالمين .



وكتبتُ إلى رجال بأسمائهم : « أما بعد : فبَطَّوْا النَّاسَ عَنْ مَنَعِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ وَنَصْرَتِهِمْ ، واجلسوا فى بيوتكم ، فإن هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَمْ يَرْضُوا بِمَا صَنَعُوا بِعُثْمَانَ بْنِ عَفَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَفَرَّقُوا بَيْنَ جَمَاعَةِ الْأُمَّةِ ، وَخَالَفُوا الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ ، حَتَّى شَهِدُوا عَلَيْنَا - فِيمَا أَمَرْنَا بِهِ ، وَحَثَّنَاهُمْ عَلَيْهِ مِنْ إِقَامَةِ كِتَابِ اللَّهِ وَإِقَامَةِ حُدُودِهِ - بِالْكَفْرِ ، وَقَالُوا لَنَا الْمَنَكِرُ ، فَأَنكَرَ ذَلِكَ الصَّالِحُونَ ، وَعَظَّمُوا مَا قَالُوا ، وَقَالُوا مَا رَضِيتُمْ أَنْ قَتَلْتُمُ الْإِمَامَ حَتَّى خَرَجْتُمْ عَلَى زَوْجَةِ نَبِيِّكُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ أَمَرْتُمْ بِالْحَقِّ لَتَقْتُلُوهَا ، وَأَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَأَتَمَّةَ الْمُسْلِمِينَ ، فَعَزَمُوا وَعُثْمَانَ بْنَ حَنِيفٍ مَعَهُمْ عَلَى مَنْ أَطَاعَهُمْ مِنْ جُهَالِ النَّاسِ وَغَوَفَائِهِمْ عَلَى زُطُهِمْ وَسَبَائِحَتِهِمْ ، فَلَدُّنَا مِنْهُمْ بِطَائِفَةٍ مِنَ الْفُسْطَاطِ^(٢) ، فَكَانَ ذَلِكَ الدَّأْبُ سِتَّةَ وَعَشْرِينَ يَوْمًا نَدْعُوهُمْ إِلَى الْحَقِّ ، وَالْأَلَّا يَحُولُوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْحَقِّ ، فَعَدُّوْا وَخَانُوا فَلَمْ تَقَايِسْهُمْ^(٣) ، وَاحْتَجُّوا بِبَيْعَةِ

(١) أردأه : أغانه ، والردء بالكسر : العون .

(٢) الفسطاط : مجتمع أهل الكورة . (٣) قاس الشيء قدره على مثاله ، والمقايضة : مفاعلة من القياس ، والمعنى لم نتما كهم ولم ننسج على منوالهم فى ذلك .

طلحة والزبير فأبردوا بريداً فجاءهم بالحجة ، فلم يعرفوا الحق ، ولم يصبروا عليه ،
فغادوني في الغلس^(١) ليقتلوني ، والذي يحاربهم غيري ، فلم يبرحوا حتى بلغوا
سدة^(٢) بيتي ، ومعهم هادي يهديهم إليّ ، فوجدوا نقراً على باب بيتي ، منهم
عمير بن مرثد ، ومرثد بن قيس ، ويزيد بن عبد الله بن مرثد ، ونفر من
قيس ، ونفر من الرباب والأزد ، فدارت عليهم الرحى ، فأطاف^(٣) بهم
المسلمون ، فقتلهم ، وجمع الله عز وجل كلمة أهل البصرة على ما أجمع عليه
الزبير وطلحة ، فإذا قتلنا بثأرنا وسعنا العذر ، وكانت الوقعة لخمس ليال بقين
من ربيع الآخر سنة ٣٦ هـ .

وكتب عبيد بن كعب في جمادى . (تاريخ الطبري ٥ : ١٨١)

٣٥٨ — كتاب علي إلى أهل الكوفة

أما علي فإنه حين نمي إليه أن عائشة وأشياها قد توجهوا نحو العراق ،
خرج في أثرهم وهو يرجو أن يذكركم ويردّهم ، فلما انتهى إلى الربذة أتاه
عنهم أنهم قد أمعنوا يريدون البصرة ، فأقام بالربذة أياماً ، وكتب إلى
أهل الكوفة .

« بسم الله الرحمن الرحيم . أما بعد فإني قد اخترتكم ، وآثرت النزل
بين أظهركم ، لما أعرف من مودّتكم وحبّكم لله عز وجل ، ولرسوله صلى

(١) الغلس : ظلمة آخر الليل . وغاداه : باكره .

(٢) السدة : كالظلة على الباب لتقي الباب من المطر ، وقيل : هي الباب نفسه . (٣) أطاف .

الله عليه وسلم ، فمن جاءني ونصرني فقد أجاب الحق ، وقضى الذي عليه .
(تاريخ الطبري ٥ : ١٨٤ ، وشرح ابن أبي الحديد ٣ : ص ٢٩٤)



وفي رواية أخرى رواها الطبري أيضاً أنه لما قدم الرّبذة أقام بها
وسرح منها إلى الكوفة محمد بن أبي بكر الصديق ، ومحمد بن جعفر بن أبي
طالب ، وكتب إليهم :

« إني اخترتكم على الأمصار ، وفزعتُ إليكم لما حدث ، فكونوا لدين
الله أعواناً وأنصاراً ، وأيدُّونا وانهضوا إلينا ، فالإصلاح ما تُريد ، لتعود
الأمّة إخواناً ، ومن أحبّ ذلك وآثره ، فقد أحبّ الحقّ وآثره ، ومن
أبغض ذلك فقد أبغض الحقّ ونغمصه^(١) » . (تاريخ الطبري ٥ : ١٨٥)

٣٥٩ - كتاب على إلى أهل الكوفة

وروى أنه لما نزل الرّبذة متوجّهاً إلى البصرة بعث إلى الكوفة
المحمّدين : محمد بن أبي بكر الصديق ، ومحمد بن جعفر بن أبي طالب ،
وكتب إليهم :
« من عبد الله على أمير المؤمنين إلى أهل الكوفة ، جبهة الأنصار^(٢) ،
وسنّام العرب^(٣) .

(١) غمّصه كضرب وسمع وفرح : احتقره وعابه وتهاون بحقه كاغمّصه .

(٢) الأنصار هنا : الأعوان ، وليس المراد بهم بني قيلة (وقيلة بالفتح : أم الأوس والخزرج)

وجبهة القوم : سيدهم ، على المثل ، لأن جبهة الإنسان أعلى أعضائه ، فالمعنى « سادة الأنصار وأشرافهم »
والجبهة أيضاً : الجماعة من الناس ، والمعنى « جماعة الأنصار » والأول أرجح يؤيده ما بعده .

(٣) أي أهل الرفعة منهم ، لأن السنام أعلى أعضاء البعير .

أما بعد ، فإنني أخبركم عن أمر عثمان حتى يكون سمعته كميانه : إن الناس طعنوا عليه ، فكنت رجلاً من المهاجرين أكره استعبابه^(١) وأقل عتابه ، وكان طلحة والزبير أهون سيرة فيهما فيه الوجيف^(٢) ، وأزفق خداهما العنيف^(٣) ، وكان من عائشة فيه قلعة غضب^(٤) ، فأتيح^(٥) له قوم فقتلوه ، وبايعني الناس غير مستكرهين ولا مخبرين ، بل طائعين مخيرين .
واعلموا أن دار الهجرة^(٦) قد قلعت بأهلها وقلعوا بها ، وجاشت^(٧)

(١) استعبه : طلب إليه العتي (بالضم وهي الرضا) . (٢) وجف الفرس والبعر وجيفا : عدا . والجملة خير كان ، ومعناها هي وما بعدها أنها بلغا في الشدة عليه أقصى حد ، والحداء : سوق الإبل . (٣) جاء في شرح ابن أبي الحديد ٢ . ص ٧٧ : « قال كل من صنف في السير والأخبار : إن عائشة كانت من أشد الناس على عثمان ، حتى إنها أخرجت ثوباً من ثياب رسول الله صلى الله عليه وآله ، فنصبت في منزلها ، وكانت تقول للدخائن إليها : هذا ثوب رسول الله صلى الله عليه وآله لم يبل ، وعثمان قد أبلى سنته ، قالوا : وأول من سمى عثمان نعلًا عائشة ، وكانت تقول : اقتلوا نعلًا ، قتل الله نعلًا » اهـ . وقد تقدم لك تفسيره في ص ٣٢٧ - وجاء في لسان العرب أيضاً : « وفي حديث عائشة : اقتلوا نعلًا ، قتل الله نعلًا ، تعني عثمان ، وكان هذا منها لما غاضبت وذبحت إلى مكة » اهـ . وذلك أنه لما اشتد الحصار على عثمان جاءت إليه أم حبيبة زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فضرب الثور وجه بقلتها ، فقالت : إن وصايا بني أمية إلى هذا الرجل ، فأحببت أن ألقاه فأسأله عن ذلك ، كيلا تهلك أموال أيتام وأرامل ، قالوا : كاذبة وأهوا لها وقطعوا جبل البقلة بالسيف ، فذبت بأم حبيبة ، فتلقاها الناس وقد مالت رحلتها فتعلقوا بها وأخذوها وقد كادت تقتل فذهبوا بها إلى بيتهم ، وتجهزت عائشة خارجة إلى الحج هاربة ، وجاءها مروان بن الحكم فقال : يا أم المؤمنين ، لو أقت كان أجدر أن يراقبوا هذا الرجل ، فقالت : أتريد أن يصنع بي كما صنع بأم حبيبة ثم لا أجدم مني ؟ لا والله .

فلما قضت حبها لقيها وهي عائدة عبد بن أم كلاب فأذنأها بقتل عثمان وخلافة علي ، فقالت : ردوني ردوني فانصرفت إلى مكة وهي تقول : قتل والله عثمان مظلوما والله لأطلين بدمه ، فقال لها ابن أم كلاب : ولم ؟ فوالله إن أول من أمال حرفه لأنت ، ولقد كنت تقولين : اقتلوا نعلًا فقد كفر ، قالت : انهم استتابوه ثم قتلوه وقد قلت وقالوا ، وقولي الأخير خير من قولي الأول ، فقال لها ابن أم كلاب أبياتاً منها :

منك البداء ومنك الغير ومنك الرياح ومنك المطر
وأنت أمرت بقتل الإمام وقلت لنا إنه قد كفر

انظر تاريخ الطبري ج ٥ ص ١٢٧ ، وص ١٧٣ (٤) أي قدر له .

(٥) دار الهجرة : المدينة وقلعت بأهلها وقلعوا بها : فارقت أهلها وفارقوها .

(٦) جاشت القدر : غات ، والمرجل : القدر ، والقطب حديدة تدور عليها الرحى .

جَيْشَ الْمَرْجِلِ ، وقامت الفتنة على القطب ، فأُسْرِ عُوا إِلَى أَمِيرِكُمْ ، وبادروا جهاد
عدوكم إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، فَحَسْبِي بِكُمْ إِخْوَانَا ، وَلِلدِّينِ أَنْصَارًا ، فَأَنْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا
وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ^(١) .
(نهج البلاغة ٢ : ٢ ، وشرح ابن أبي الحديد م ٣ : ص ٢٩١)

٣٦٠ - كتاب علي إلى أبي موسى الأشعري

وروى أيضاً أنه لما نزل الرِّبْذَةُ بعث هاشم بن عُتْبَةَ بن أبي وقَّاص
إلى أبي موسى الأشعري - وهو يومئذ أمير الكوفة - لِيُنْفِرَ إِلَيْهِ النَّاسُ ،
وكتب إليه معه :

« من عبد الله على أمير المؤمنين إلى عبد الله بن قيس :
أما بعد : فَإِنِّي قَدْ بَعَثْتُ إِلَيْكَ هَاشِمَ بْنَ عُتْبَةَ ، لِتُشْخِصَ إِلَيَّ مَنْ قَبْلَكَ
مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، لِيَتَوَجَّهُوا إِلَى قَوْمٍ نَكَّثُوا بَيْعَتِي ، وَقَتَلُوا شِيعَتِي ، وَأَحْدَثُوا فِي
الْإِسْلَامِ هَذَا الْحَدَثَ الْعَظِيمَ ، فَأَشْخِصَ النَّاسَ إِلَيَّ مَعَهُ حِينَ يَتَقَدَّمُ عَلَيْكَ ،
فَإِنِّي لَمْ أَؤَلِّكَ الْمِصْرَ الَّذِي أَنْتَ فِيهِ ، وَلَمْ أَقِرَّكَ عَلَيْهِ ، إِلَّا لِتَكُونَ مِنْ أَعْوَانِي
عَلَى الْحَقِّ ، وَأَنْصَارِي عَلَى هَذَا الْأَمْرِ ، وَالسَّلَامُ . »

(شرح ابن أبي الحديد م ٣ : ص ٢٩١ ، وتاريخ الطبري ٥ : ١٩٨)

٣٦١ - كتاب هاشم بن عتبة إلى علي

وجاء أهل الكوفة أبا موسى يستشيرونه في الخروج ، فثَبَّطَهُمْ وَقَالَ
لَهُمْ : أَمَّا سَبِيلُ الْآخِرَةِ فَأَنْ تُقِيمُوا ، وَأَمَّا سَبِيلُ الدُّنْيَا فَأَنْ تَخْرُجُوا ، وَأَبَى

(١) الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ « أَنْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ
اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ » .

أن يتبع ما كتب به إليه ، وبعث إلى هاشم يتوعده ويخوِّفه ، فكتب هاشم إلى عليّ :

« لعبد الله عليّ أمير المؤمنين من هاشم بن عتبة :

أما بعدُ : يا أمير المؤمنين ، فَإِنِّي قَدِمْتُ بِكِتَابِكَ عَلَى أَمْرٍ غَالٍ^(١) مُشَاقٍّ ، بِعِيدِ الرَّدِّ ، ظَاهِرِ الْغِلِّ وَالشَّنَّانِ ، فَتَهَدَّدَنِي بِالسَّجْنِ ، وَخَوَّفَنِي بِالْقَتْلِ ، وَقَدْ كَتَبْتُ إِلَيْكَ هَذَا الْكِتَابَ مَعَ الْمُحِلِّ بْنِ خَلِيفَةَ أَخِي طَيِّئٍ ، وَهُوَ مِنْ شِيعَتِكَ وَأَنْصَارِكَ ، وَعِنْدَهُ عِلْمٌ مَا قَبَلْنَا ، فَاسْأَلْهُ عَمَّا بَدَا لَكَ ، وَاكْتُبْ إِلَيَّ بِرَأْيِكَ وَالسَّلَامِ » . (شرح ابن أبي الحديد ٣ : ص ٢٩١ ، وتاريخ الطبري ٥ : ١٩٨)

٣٦٢ - كتاب علي إلى أبي موسى

فلما جاء عليّاً كتابُ هاشم وعلم ما كَانَ مِنْ أَمْرِ أَبِي مُوسَى قَالَ : وَاللَّهِ مَا كَانَ عِنْدِي بِمَوْثِقٍ وَلَا نَاصِحٍ ، وَلَقَدْ أُرِدْتُ عِزْلَهُ ، فَأَتَانِي الْأَشْتَرُ فَسَأَلَنِي أَنْ أَقِرَّهُ ، وَذَكَرَ أَنَّ أَهْلَ الْكُوفَةِ بِهِ رَاضُونَ فَأَقَرَرْتَهُ ، وَبَعَثَ إِلَيْهِ عَلِيٌّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَبَّاسٍ ، وَمُحَمَّدَ بْنَ أَبِي بَكْرٍ وَكُتِبَ مَعَهُمَا :

« مِنْ عَبْدِ اللَّهِ عَلِيٌّ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ قَيْسٍ :

أما بعد يا ابن الحائك فوالله إني كنت لأرى أن بُعدك من هذا الأمر الذي لم يجعلك الله له أهلاً ، ولا جعل لك فيه نصيباً ، سيمنعك من ردّ أَمْرِي وَالْإِنْتِزَاءِ^(٢) عَلَيَّ ، وَقَدْ بَعَثْتُ إِلَيْكَ ابْنَ عَبَّاسٍ

(١) غال : وصف من الغلو ، ومشاق : مخالف ، والشنّان : البغض .

(٢) انتزى : وثب .

وابن أبي بكر نخلهما والمِصرَ وأهله ، واعتزل عملنا مَذْمُومًا^(١) مَذْحُورًا ، فإن فعلت ، وإلا فإني قد أمرتهما أن ينادياك على سواء ، إن الله لا يَهْدِي كَيْدَ الخائنين ، فإذا ظهرا عليك قطعاًكَ إِرْبًا إِرْبًا^(٢) ، والسلام على من شكر النعمة ، ووفى بالبيعة ، وعَمِلَ برجاء العاقبة .

وبعث إليه على^٣ الأشتَر ، فأخرجه من الكوفة .

(شرح ابن أبي الحديد م ٣ : ص ٢٩١)

وهذا الكتاب في رواية مروج الذهب : « اعتزل عملنا يا ابن الحائد مذمومًا مدحورًا ، فما هذا أول يومنا منك ، وإن لك فيها لهنات وهنات^(٤) » (مروج الذهب ٢ : ٧)

وفي تاريخ الطبري : أن عليًا بعث الحسن ابنه ، وعمار بن ياسر يستنفران له الناس ، وبعث قرظة بن كعب الأنصاري أميراً على الكوفة ، وكتب معه إلى أبي موسى : « أما بعد : فقد كنت أرى أن تُعَذِّب^(٥) عن هذا الأمر الذي لم يجعل الله عز وجل لك منه نصيباً ، سيمنعك من ردّ أمري ، وقد بعث الحسن بن علي ، وعمار بن ياسر يستنفران الناس ، وبعث قرظة بن كعب والياً على مصر ، فأعتزل عملنا مذمومًا مدحورًا ، فإن لم تفعل فإني قد أمرته أن يناديك ، فإن نأبذته فظفرك بك أن يقطعك آرابًا . »

فلما قدم الكتاب على أبي موسى اعتزل . (تاريخ الطبري ٥ : ١٩٨)

(١) ذامه كنهه : حقره وذمه وطرده وخزاه ، ودحره كنهه : طرده أيضاً وأبده .

(٢) الإرب : البضو . (٣) جاء في حديث سطيح « تم تكون هنات وهنات » أي أمور عظام شدائد « وفي الحديث « ستكون هنات وهنات فمن رأيتموه يمشى إلى أمة مجد ليفرق جماعتهم فانتلوه » أي شرور وفساد ، واحدها هنت كشمس وقد يجمع على هنات ، وقيل واحدها هنة كسنة تأنيث هن .

(٤) الاعذاب : المنع والكف والترك .

٣٦٣ - كتاب علي إلى أبي موسى

وروى الشريف الرضي رحمه الله في نهج البلاغة أن عليا عليه السلام كتب إلى أبي موسى وهو عامله على الكوفة ، وقد بلغه عنه تضييطة الناس عن الخروج إليه لما ندبهم لحرب أصحاب الجمل :
« من عبد الله على أمير المؤمنين، إلى عبد الله بن قيس :

أما بعد ، فقد بلغني عنك قولٌ هو لك وعليك ، ^(١) فإذا قدِمَ عليك رسولِي فارفع ذيلك ^(٢) ، وأشدُّ مِرْزَكَ ، وأخرج من جُحْرِكَ ^(٣) ، وأندب من مَعْلِكَ ، فإن حَقَّقْتَ فانفذ وإن تَفَشَّلتَ فأبعد ^(٤) ، وأيمُ اللَّهِ لثَوَّتَيْنِ حيثُ أنت ^(٥) ، ولا تُتْرَكَ حتى يُخْلَطَ زُبْدُكَ بخائرك ^(٦) ، وذائبُك بِجامدِكَ ، وحتى تُعْجَلَ عن قِعْدَتِكَ ، وتَحْذَرَ مَنْ أَمَامَكَ كحذرك مَنْ خَلْفَكَ ، وما هي بالهُوَيْنِي ^(٧) التي ترجو، ولكنها الداهية الكبرى يُرْكَبُ جَمَلُهَا ، ويُذَلَّ صَعْبُهَا ،

(١) وذلك أن أبا موسى كان يقول لأهل الكوفة : إن عليا إمام هدى وبيته صحيحة إلا أنه لا يجوز القتال معه لأهل القبلة . (٢) هذه الجملة وما بعدها كناية عن التمشير للجهاد .

(٣) كناية فيها غش من أبي موسى واستهانة به ، ولو أراد إعظامه لقال : وأخرج من خيسك أو من غيلك كما يقال للأسد ، ولكنه جعله ثعلباً أو ضبا .

(٤) أي إن أمرك معي مبني على الشك ، فإن حققت لزوم طاعتك لي فانفذ وسر إلى ، وإن أقت على الشك فاعتزل العمل ، وأراد بتفشلت : فشلت أي ضعفت وجبت وتراخيت (وتفشل الماء :

سال) . (٥) أي إن أقت على الاسترابة والتضييطة وقولك لأهل الكوفة : لا يحمل لكم سُلَّ السيف لا مع علي ولا مع طاعة والزموا بيوتكم واكسروا سيوفكم ، ليأتينكم أهل البصرة مع طلحة، أو لتأتينكم نحن بأهل المدينة .

(٦) الخائر : اللبن الغليظ ، وأخترت الزبد تركته خائراً وذلك إذا لم تدبه ، وفي المثل : « ما يدري أينخر أم يذيب » يضرب للمتخير المتردد في الأمر ، وأصله أن المرأة تسأل السنن (أي تذيبه) فيختلط خائره بريقه فلا يصفو ، فتبرم بأمرها فلا تدري أتوقد تحته حتى يصفو ؟ وتمشى إن هي أوقدت أن يحترق ، فتحار لذلك .

(٧) القعدة : هيئة القعود ، والمعنى : ليشتنن عليك الأمر حتى يحال بينك وبين جلستك في الولاية

(٨) الهوينى تصغير الهوى بالضم مؤنث أهون .

وَيُسَهِّلْ جَبَلُهَا ، فَاعْقِلْ^(١) عَقْلَكَ ، وَأَمْلِكْ أَمْرَكَ ، وَخِذْ نَصِيْبَكَ وَحَظَّكَ ، فَإِنْ كَرِهْتَ فَتَنْحَ إِلَى غَيْرِ رُحْبٍ^(٢) وَلَا فِي نَجَاةٍ ، فَبِأَلْحَرَى^(٣) لَتُكْفَيْنَ وَأَنْتِ نَائِمٌ حَتَّى لَا يُقَالَ أَيْنَ فُلَانٌ ، وَاللَّهِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مَعَ مُحَقِّقٍ ، مَا يُبَالِي مَا صَنَعَ الْمُلْجِدُونَ ، وَالسَّلَامُ » (نهج البلاغة ٢ : ٨٨)

٣٦٤ - كتاب على إلى أهل الكوفة

وَرَوَى أَنَّهُ لَمَّا أَبْطَأَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَابْنُ أَبِي بَكْرٍ عَنْ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَلَمْ يَدِرْ مَا صَنَعَا ، رَحَلَ عَنِ الرَّبَذَةِ إِلَى ذِي قَارٍ . فَلَمَّا نَزَلَهَا بَعَثَ إِلَى الْكُوفَةِ ابْنَهُ الْحُسَيْنَ وَعُمَّارَ بْنَ يَاسِرٍ وَزَيْدَ بْنَ صُوحَانَ وَقَيْسَ بْنَ سَعْدِ بْنِ عَبَادَةَ ، وَمَعَهُمْ كِتَابٌ إِلَى أَهْلِ الْكُوفَةِ ، وَفِيهِ :

« مِنْ عَبْدِ اللَّهِ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى مَنْ بِالْكَوْفَةِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي خَرَجْتُ مَخْرَجِي هَذَا إِمَّا ظَالِمًا وَإِمَّا مَظْلُومًا ، وَإِمَّا بَاطِلًا وَإِمَّا مَبْعُوثًا عَلَى ، فَأَنْشُدُ اللَّهَ رَجُلًا بَلَغَهُ كِتَابِي هَذَا لَمَّا^(٤) نَفَرَ إِلَيَّ ، فَإِنْ كُنْتُ مَظْلُومًا أَعَانِي ، وَإِنْ كُنْتُ ظَالِمًا اسْتَعْتَبَنِي ، وَالسَّلَامُ » .

(شرح ابن أبي الحديد م ٣ : ص ٢٩٢ ، ونهج البلاغة ٢ : ٨٢)

(١) أى فقيهه بالعزيمة ، ولا تدعه يذهب مذاهب التردد من الخوف .

(٢) رحب المكان رحبا بالضم : أى اتسع ، فهو رحب بالفتح .

(٣) يقال : بالحرى أن يكون كذا : أى جدير وخليق ، والمعنى لجدير أنا نكفيك القتال ونظفر وأنت نائم خامل لا يسأل عنك .

(٤) لما هنا بمعنى إلا كقوله تعالى « إِنَّ كُلَّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ »

٣٦٥ — كتاب السيدة عائشة إلى السيدة حفصة بنت عمر

ولما نزل على عليه السلام ذا قار . كتبت السيدة عائشة إلى السيدة حفصة بنت عمر :

«أما بعدُ ، فإنني أخبرك أن عليا قد نزل ذا قار ، وأقام بها مرعوباً خائفاً ، لما بلغه من عُدتنا وجماعتنا ، فهو بمنزلة الأشقر ، إن تقدم نحر ، وإن تأخر عُقر^(١) » . (شرح ابن أبي الحديد م ٣ : ص ٢٩٢)

٣٦٦ — كتاب علي إلى طلحة والزبير

ولما تبعاً القوم للقتال كتب علي عليه السلام إلى طلحة والزبير :

« أما بعدُ : فقد علمتُما - وإن كنتما - أنني لم أريد الناس حتى أرادوني^(٢) ، ولم أبايعهم حتى بايعوني ، وإنكما لممن أرادني وبايعني ، وإن العامة لم تبايعني لسُلطانٍ غالبٍ ، ولا لعرضٍ حاضرٍ^(٣) ، فإن كنتما بايعتماني طائعتين فارجعا وتوبا إلى الله من قريب ، وإن كنتما بايعتماني كارهين ، فقد جعلتما لي عليكما السبيل بإظهاركما الطاعة وإسراركما المعصية ، ولعمري

(١) الشقرة (بالضم) في الخيل : حمرة صافية يحمر معها العرف والذنب ، والعرب تقول : أكرم الخيل وذوات الخير منها شقرها ، وفي الأمثال « كالأشقر إن تقدم نحر ، وإن تأخر عُقر » وهو مثل يضرب لما يكره من وجهين ، والعرب تنشاء من الأفراس بالأشقر ، قالوا : كان لقيط بن زرارة يوم جبلة على فرس أشقر ، فجعل يقول : أشقر ، إن تقدم تنحر ، وإن تأخر تنقر ، وذلك أن العرب تقول شقر الخيل سراعها ، وكتبها صلابها ، فهو يقول لفرسه : يا أشقر إن جريت على طبعك فتقدمت إلى العدو فتلوك ، وإن أسرعت فتأخرت منهزماً أتوك من ورائك فعقروك ، فاثبت والزم الوفار وانف عنك العار - انظر مجمع الأمثال للميداني ج ٢ : ص ٥٨ .

(٢) أي لم أرد الولاية عليهم حتى أرادوا هم ذلك مني .

(٣) أي لم تبايعني خوفاً من قوة قهرتم بها ، ولا طمعا في مال حاضر فرقته عليهم ، وفي رواية ابن أبي الحديد « ولا لحرص حاضر » والمعنى واحد .

ما كنتم بأحقّ المهاجرين بالتَّقيّة والكتمان ، إنك يا زبير لفارسُ رسول الله صلى الله عليه وسلم وحواريّه ، وإنك يا طلحة لشيخُ المهاجرين . وإنّ دفعكما هذا الأمر من قبل أن تدخلوا فيه ، كان أوسعَ عليكم من خروجكما منه بعد إقراركما به .

وقد زعمتما أنّي قتلْتُ عثمان ، فيبني وبينكما من تخلفَ عني وعنكما من أهل المدينة^(١) ، ثم يُلزم كلُّ امرئٍ بقدر ما احتَمَل ، وزعمتما أنّي آويتُ قتلةَ عثمان ، فهو لاء بنو عثمان فليدخلوا في طاعتي ، ثم يخاصِمُوا إلى قَتَلَةِ أبيهم ، وما أنتما وعثمان ، إن كان قُتلَ ظالماً أو مظلوماً ؟ ولقد بايعتاني وأنتم بين خصلتين قبيحتين : نكثِ بيّعتكما ، وإخراجكما أمّكما . فارجعاً أيها الشيخان عن رأيكما ، فإن الآن أعظمُ أمركما العارُ ، من قبل أن يتجمع العارُ والنارُ ، والسلام » . (نهج البلاغة ٢ : ٨٠ / الإمامة والسياسة ١ : ٥٥)

٣٦٧ - كتاب علي إلى السيدة عائشة

وكتب إلى السيدة عائشة :

« أما بعدُ : فإنك خرجتِ غاضبةً لله ولرسوله تطلبين أمراً كان عنك موضوعاً ، ما بالُ النساء والحرب والإصلاح بين الناس ؟ تطلبين بدم عثمان ، ولعمري لئن عرّضَكَ للبلاء ، وحَمَلَك على المعصية أعظمُ إليك ذنباً من قتل عثمان ، وما غضبتِ حتى أغضبتِ ، وما هجبتِ حتى هيّجتِ ، فاتقِ الله وارجمي إلى بيتك » . (الإمامة والسياسة ١ : ٥٥)

(١) أي جعلت الحكم بيني وبينكما من تخلف عن نصري ونصركما من أهل المدينة كمحمد بن مسلمة وأسماء بن زيد وعبد الله بن عمر وغيرهم .

٣٦٨ - رد طلحة والزبير على

فأجابه طلحة والزبير :

« إِنَّكَ سَرْتَ مَسِيرًا لَهُ مَا بَعْدَهُ ، وَلَسْتَ رَاجِعًا وَفِي نَفْسِكَ مِنْهُ حَاجَةٌ ،
فَامْضِ لِأَمْرِكَ ، أَمَا أَنْتَ فَلَسْتَ رَاضِيًا دُونَ دُخُولِنَا فِي طَاعَتِكَ ، وَلَسْنَا
بِدَاخِلِينَ فِيهَا أَبَدًا ، فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ » . (الإمامة والسياسة ١ : ٥٥)

٣٦٩ - رد السيدة عائشة على

وكتبت السيدة عائشة :

« جَلَّ الْأَمْرُ عَنِ الْعِتَابِ ، وَالسَّلَامُ » . (الإمامة والسياسة ١ : ٥٥)

٣٧٠ - كتاب على إلى عامله بالكوفة

وَنَشِبَ الْقِتَالُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَصْحَابِ السَّيِّدَةِ عَائِشَةَ فِي وَقْعَةِ الْجَلِّ الْمَشْهُورَةِ -
فِي جُمَادَى الْآخِرَةِ سَنَةِ ٣٦ هـ - وَكَانَتْ لَهُ عَلَيْهِمُ الْغَلْبَةُ ، وَكَتَبَ بِالْفَتْحِ إِلَى
عَامِلِهِ بِالْكُوفَةِ .

« مِنْ عَبْدِ اللَّهِ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ :

أَمَّا بَعْدُ : فَإِنَا التَّقِينَا فِي النِّصْفِ مِنْ جُمَادَى الْآخِرَةِ بِالْخُرَيْبَةِ^(١) فَأَعْطَاهُمُ
اللَّهُ عِزًّا وَجَلَّ سُنَّةُ الْمُسْلِمِينَ ، وَقُتِلَ مِنَّا وَمِنْهُمْ قَتْلَى كَثِيرَةٌ ، وَأَصِيبٌ مِمَّنْ
أَصِيبَ مِنَّا مُثَمَّامَةُ بْنُ الْمُثَنَّى ، وَهَنْدُ بْنُ عَمْرٍو ، وَعِلْبَاءُ بْنُ الْهَيْثَمِ ، وَسَيْحَانُ
وَزَيْدُ ابْنِ صُوحَانَ وَمُحَدَّوَجٌ » .

وَكُتِبَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَافِعٍ . (تاريخ الطبري ٥ : ٢٢٤)

(١) فناء من أفنية البصرة ، ويسمى البصرة الصغرى .

٣٧١ - كتاب الأحنف بن قيس إلى قومه

وسار على عليه السلام عن البصرة بعد أن أمر عليها عبد الله بن عباس ،
وولي زياد بن أبيه الخراج وبيت المال^(١) ، فلما قدم الكوفة ، وأراد المسير إلى
الشام ، قام إليه الأحنف بن قيس - وكان لم يشهد وقعة الجمل مع أحد
الفريقين - فكان فيما قال : يا أمير المؤمنين إن يك بنو سعد لم ينصروك
يوم الجمل ، فلن ينصروا عليك غيرك ، وإن عسيرتنا بالبصرة ، فلو بعثنا إليهم
فقدّموا علينا فقاتلنا بهم العدو ، وأدركوا اليوم ما فاتهم أمس ، ولنا من قومنا
عدد ، ولا نلقى بهم عدواً أعدي من معاوية ، ولا نسدُّ بهم ثغراً أشدَّ من
الشام ، فقال له علي : اكتب إلى قومك .

فكتب الأحنف إلى بني سعد :

« أما بعدُ : فإنه لم يبق أحد من بني تميم إلا وقد شقوا برأى سيدهم
غيركم ، وعصمكم الله برأى حتى نلتهم ما رجوتهم ، وأميتهم مما خفتهم ،
فأصبحتم منقطعين عن أهل البلاء ، لاحقين بأهل العافية .

وإني أخبركم أنا قدّمنا على تميم بالكوفة ، فأخذوا علينا بفضلهم مرتين

(١) كان زياد من اعتزل ولم يشهد وقعة الجمل ، فلما ظفر على أخذ البيعة على أهل البصرة ،
وجاءه عبد الرحمن بن أبي بكر في المستأمنين مسلماً بعد ما فرغ على من البيعة . فقال له علي : وعملك
المتربص المتقاعد بي ؟ فقال : والله يا أمير المؤمنين إنه لك لواد ، وإنه على مسرتك لحريص ، ولسكنه
بلغى أنه يشتكي ، فأعلم لك علمه ثم أتيتك ، وكتم علياً مكانه حتى استأمره ، فأمره أن يعلمه فأعلمه ،
فقال علي : امش أمامى فاهدني إليه ففعل ، فلما دخل عليه قال : تفاعدت عني وتربصت ، ووضع يده
على صدره وقال : هذا وجع بين ، فاعتذر إليه زياد ، فقبل عذره واستشاره ، وأراده على البصرة
فقال : رجل من أهل بيتك يسكن إليه الناس ، فإنه أجدر أن يطمئنا وينقادوا ، وسأ كفيكروا وأشير
عليه ، فأمر علي ابن عباس على البصرة وولي زيادا الخراج وبيت المال ، وأمر ابن عباس أن يسمع منه

مَسِيرِهِمَ إِلَيْنَا مَعَ عَلِيٍّ ، وَتَهَيُّئَتِهِمَ لِلْمَسِيرِ إِلَى الشَّامِ ، ثُمَّ انْحَشَرْنَا إِلَيْهِمْ ، فَصَرْنَا
كَأَنَّا لَا نَعْرِفُ إِلَّا بِهِمْ ، فَأَقْبَلُوا إِلَيْنَا وَلَا تَتَكَلَّمُوا عَلَيْنَا ، فَإِنْ لَهُمْ أَعْدَادُنَا مِنْ
مِنْ رُؤَسَائِهِمْ ، فَلَا تَبْطِئُوا عَنَّا ، فَإِنْ مِنْ تَأْخِيرِ الْعَطَاءِ حَرْمَانًا . وَمِنْ تَأْخِيرِ
النَّصْرِ خِذْلَانَا ، فِحْرَمَانِ الْعَطَاءِ الْقَلَّةِ ، وَخِذْلَانِ النَّصْرِ الْإِبْطَاءِ ، وَلَا تَنْقُضِي
الْحَقُوقَ إِلَّا بِالرِّضَا ، وَقَدْ يَرْضَى الْمُضْطَرُّ بِدُونِ الْأَمَلِ ؟ .
فَلَمَّا أَتَى كِتَابُ الْأَخْنَفِ إِلَى بَنِي سَعْدِ ، سَارُوا بِجَمَاعَتِهِمْ حَتَّى نَزَلُوا
الْكُوفَةَ . (الامامة والسياسة ١ : ٦٦)

٣٧٢ - كِتَابُ عَلِيٍّ إِلَى جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْبَجَلِيِّ

وَكُتِبَ مَعَ زُفَرِ بْنِ قَيْسٍ إِلَى جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْبَجَلِيِّ - وَكَانَ جَرِيرٌ
عَلَى ثَغَرِ هَمْدَانَ ، كَانَ اسْتَعْمَلَهُ عَلَيْهِ عُثْمَانُ - :
« أَمَّا بَعْدُ : فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ، وَإِذَا
أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ ، وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ ، ثُمَّ إِنِّي
أَخْبَرْتُكَ عَنَّا وَعَمَّنْ سَرْنَا إِلَيْهِمْ مِنْ جَمْعِ طَلِيجَةِ وَالزَّيْبِ عِنْدَ نَكْتِهِمَا يَتَعْتَمَهُمَا ،
وَمَا صَنَعْنَا بِعَامِلِي عُثْمَانَ بْنِ حُنَيْفٍ : إِنِّي نَهَضْتُ مِنَ الْمَدِينَةِ بِالْمُهَاجِرِينَ
وَالْأَنْصَارِ ، حَتَّى إِذَا كُنْتُ بِيَعُضِ الطَّرِيقِ بَعَثْتُ إِلَى الْكُوفَةِ الْحُسَيْنَ ابْنَ
وَعْدِ اللَّهِ بْنِ الْعَبَّاسِ ابْنَ عَمِّي ، وَعُمَّارَ بْنَ يَاسِرٍ ، وَقَيْسَ بْنَ سَعْدِ بْنِ
عُبَادَةَ ، فَاسْتَنْفَرْتُهُمْ بِحَقِّ اللَّهِ وَحَقِّ رَسُولِهِ ، فَأَجَابُوا وَسَرَتْ بِهِمْ ، حَتَّى نَزَلْتُ
بِظَهْرِ الْبَصْرَةِ ، فَأَعْذَرْتُ فِي الدَّعَاءِ ، وَأَقْلَتُ الْعَثْرَةَ ، وَنَاشَدْتُهُمْ عَقْدَ بَيْعَتِهِمْ ،
فَأَبَوْا إِلَّا قِتَالِي ، فَاسْتَعْنَيْتُ بِاللَّهِ عَلَيْهِمْ ، فَقُتِلَ مِنْ قَتْلِ ، وَوُلِّوا مُدْبِرِينَ إِلَى

مصرهم ، فسألوني ما كنت دعوتهم إليه قبل اللقاء ، فقبلت العافية ، ورفعت عنهم السيف ، واستعملت عليهم عبد الله بن عباس ، وسرت إلى الكوفة ، وقد بعث إليك زُفر بن قيس ، فأسأله عما بدا لك ، والسلام .
(الإمامة والسياسة ١ : ٦٩ ! وشرح ابن أبي الحديد م ١ : ص ٢٤٦)

٣٧٣ — كتاب علي إلى الأشعث بن قيس

وكتب مع زياد بن كعب إلى الأشعث بن قيس - والأشعث يومئذ بأذربيجان ، كان استعمله عليها عثمان - :

« من عبد الله على أمير المؤمنين إلى الأشعث بن قيس :

أما بعدُ : فلولا هَنَاتٌ وَهَنَاتٌ^(١) كانت منك ، لكنت أنت المقدم في هذا الأمر قبل الناس ، ولعلَّ أمرك يحملُ بعضه بعضاً إن اتقيت الله عزَّ وجل ، وقد كان من يَتَّبِعُ الناس إياي ما قد علمت ، وقد كان طلحة والزبير أول من بايعني ثم نقضاً بيعتي على غير حَدَث ، وأخرجوا أم المؤمنين فساروا إلى البصرة ، وسرت إليهم فيمن بايعني من المهاجرين والأنصار ، فالتقينا فدعوتهم إلى أن يرجعوا إلى ما خرجوا منه فأبوا فأبْلَغْتُ في الدعاء ، وأحسنْتُ

(١) انظر تفسيرها في ص ٢٧٤ وذلك أن الأشعث بن قيس الكندي كان ممن ارتد بعد النبي صلى الله عليه وسلم ، فلما سير أبو بكر الجنود إلى اليمن أخذوا الأشعث أسيراً فأحضر بين يديه ، فقال له : ماذا ترائي أصنع بك ؟ قال : تمنَّ على فتطلق لِساري وتقبلني عتري وتقبل لإسلامي وترد علي زوجتي (وقد كان خطب أخت أبي بكر أم فروة بنت أبي قحافة ، مقدمه على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فزوجه وأخراها إلى أن يقدم الثانية ، فبات رسول الله وفعل الأشعث ما فعل غفسي أن لا ترد عليه) تجدني خير أهل بلادى لدين الله ، فقال أبو بكر : قد فعلت ، وتجنأ له عن دمه وقبل منه ورد عليه أهله . وقال : انطلق فليبلغني عنك خير ، وقد ولدت له أم فروة ابنه محمد بن الأشعث ، انظر تاريخ الطبري ج ٣ : ص ٢٧٥ وأسد الغابة ج ١ : ص ٩٨ .

في البقيا ، وأمرت أن لا يُدْفَفَ^(١) على جريح ، ولا يُتَبَعَ منهزم ، ولا يُسَلَبَ قتيلا ، ومن ألقى سلاحه ، وأغلق بابه فهو آمن .

وإن عملك ليس لك بطُعمَةٍ^(٢) ، ولكنه في عنقك أمانة ، وأنت مُستَرَعِي لمن فوقك ، ليس لك أن تفتت في رعية ، ولا تُخاطرَ إلا بوثيقة^(٣) ، وفي يدك مال من مال الله عز وجل ، وأنت من خُزَّاني حتى عليه تسلمه إلى إن شاء الله ، ولعلِّي أن لا أكون شرًّا ولاتك لك ، والسلام .

(شرح ابن أبي الحديد م ٣ : ص ٢٩٩ ، ونزج البلاغة ٢ : ٤ ، والإمامة والسياسة ١ : ٧٠ ، والعقد الفريد ٢ : ٢٣٢)

٣٧٤ - كتاب جرير إلى الأشعث

وكتب جرير إلى الأشعث :

« أما بعد : فإنه أتتني بيعة على قبيلتها ، ولم أجد إلى دفعها سبيلا ، وإنني نظرت فيما غاب عني من أمر عثمان فلم أجده يلزمني ، وقد شهد المهاجرون والأنصار ، فكان أوثق أمرهم فيه الوقوف ، فأقبل بيعته ، فإنك لا تنقلب إلى خير منه ، واعلم أن بيعة على خير من مصارع أهل البصرة ، وقد تُحَلَبُ الناقة الضَّجُور ، ويُحَلَسُ العَوْدُ والبعير الدَّبر^(٤) ، فانظر لنفسك ، والسلام . »

(١) ذفف على الجريح : أجهز عليه وحرّر قتله .

(٢) الطعمة : المأكلة ، وتفتت : أي تفعل ما تفعل بغير إذن مني ، وهو افتعال من الفتوت : أي سبق ، كأنه يفوت أمره فيسبقه إلى الفعل قبل أن يأمره .

(٣) أي لا بعد أن تتوثق وتحاط بالأمر .

(٤) الحلس كقرد وسبب : كساء على ظهر البعير تحت الرجل ، وحلس البعير كضرب ونصر وأحلسه : إذا جعل عليه الحلس ، أي هياه للركوب ، والمعنى هنا : وقد يركب ، والعود : الجمل المسن والدبر : الذي أصابه الدبر بالتحريك وهو قريحة الدابة ، وفي الأصل « ويجلس العود على البعير الدبر » وهو تحريف

وأخذ جرير والأشعث البيعة لعلّ على مَنْ قَبْلَهُمَا مِنَ النَّاسِ ،
وانصرفا إليه .

(الإمامة والسياسة ١ : ٧١ ، وشرح ابن أبي الحديد م ١ : ص ٢٤٧)

٣٧٥ - كتاب علي إلى معاوية

وروى الشريف الرضى أن عليًا عليه السلام كتب في أول ما بويع له
بإخلافة إلى معاوية :

« من عبد الله على أمير المؤمنين إلى معاوية بن أبي سفيان :

أما بعدُ : فقد علمت إغذارى فيكم^(١) ، وإعراضي عنكم ، حتى كان ما لا بُدَّ
منه ، ولا دَفْعَ له ، والحديثُ طويل ، والكلامُ كثير ، وقد أدبرَ ما أدبرَ ،
وأقبل ما أقبل ، فبايع مَنْ قَبْلَكَ ، وأقبلَ إلَيَّ في وفدٍ من أصحابك والسلام »
(نهج البلاغة ٢ : ٩٨)



وروى ابن أبي الحديد أن عليًا عليه السلام لما بويع كتب إلى معاوية :
« أما بعد : فإن الناس قتلوا عثمان عن غير مشورة مني ، وبايعوني عن
مشورة منهم واجتماع ، فإذا أتاك كتابي ، فبايع لي ، وأوفد إلى أشرف
أهل الشام قَبْلَكَ » . (شرح ابن أبي الحديد م ١ : ص ٧٧)

(١) الكتاب لمعاوية والخطاب لبني أمية جميعا ، وإغذارى فيكم : أي كوني ذا عذر ، حتى كان
ملا بد منه يعني قتل عثمان .



« وروى ابن قتيبة في الإمامة والسياسة أنه كتب إليه :
 « أما بعد : فقد وليت ما قبلك من الأمر والمال ، فبايع من قبلك ،
 ثم أقدم إلى ألف رجل من أهل الشام » . (الإمامة والسياسة ١ : ٤٠)

٣٧٦ — رد معاوية على عليّ

فلما أتى معاوية كتاب عليّ دعا بطومار^(١) ، فكتب فيه :
 « من معاوية إلى عليّ ، أما بعد : فإنه
 ليس بيني وبين قيس عتابٌ غير طعن الكلى وضرب الرقاب »
 (الإمامة والسياسة ١ : ٤٠)

٣٧٧ — كتاب عليّ إلى معاوية

وروى ابن قتيبة أيضاً أن عليّاً عليه السلام لما فرغ من وقعة الجمل ،
 وبايع له أهل العراق ، واستقام له الأمر بها ، كتب إلى معاوية :
 « أما بعد : فإن القضاء السابق ، والقدر النافذ ، ينزل من السماء يقطر
 كالطر^(٢) ، فتمضي أحكامه عز وجل ، وتنفذ مشيئته بغير تحابٍ المخلوقين ،
 ولا^(٣) رضا الآدميين ، وقد بلغك ما كان من قتل عثمان رحمه الله ، ويئعه
 الناس عامة إياي ، ومصارع الناكثين لي ، فادخل فيما دخل الناس فيه ،
 وإلا فأنا الذي عرفت ، وحوالي من تعلمه ، والسلام » .
 (الإمامة والسياسة ١ : ٦٤)

(١) الطومار : الصحيفة .

(٢) في الأصل « ويقطر المطر » وهو تحريف . (٣) في الأصل « إلا » وهو تحريف أيضاً

٣٧٨ - رد معاوية على علي

فكتب إليه معاوية كتابا عنوانه « من معاوية إلى علي » وداخله :
« بسم الله الرحمن الرحيم » لا غيرُ ،

فعرف علي أن معاوية محاربٌ له ، وأنه لا يُحييه إلى شيء مما يريد .
(الامامة والسياسة ١ : ٦٤)

٣٧٩ - كتاب علي الى معاوية

ولما قدم جرير بن عبد الله البجلي على علي عليه السلام - بعد وقعة الجمل -
وجهه على إلى معاوية في أخذ بيعته ، وكتب معه كتابا إليه :

« سلام عليك ، أما بعدُ فإن يَبْعَى بالمدينة لَزِمَتِكَ وأنت بالشام ، لأنه
بايعني القوم الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان على ما بايعوهم عليه ، فلم يكن
للساھِدِ أن يختار ، ولا للغائب أن يرُدَّ ، وإنما الشورى للمهاجرين والأنصار ،
فإذا اجتمعوا على رجل وسموه إماما ، كان ذلك لله رِضًا ، وإن خرج عن أمرهم
خارج بظمن أو بدعة ردوه إلى ما خرج عنه ، فإن أبى قاتلوه على اتباعه غير
سبيل المؤمنين ، وولاءُ الله ما تَوَلَّى وأصله جَهَنَّمٌ وساءت مصيرًا .

وإن طلحة والزبير بايعاني ، ثم نقضا بيعتهما ، وكان نقضهما كـردِّتهما ،
فجاهدتهما بعد ما أعذرت إليهما ، حتى جاء الحق وظهر أمرُ الله وهُم كارهون ،
فادخل فيما دخل فيه المسلمون ، فإن أحبَّ الأمور إلىَّ قبولك العافية ، إلا أن
تتعرضَ للبلاء ، فإن تعرضتَ له قاتلتُك واستغنتُ بالله عليك ، وقد أكرتَ

في قتلة عثمان . فإن أنت رجعت عن رأيك وخلافك ، ودخلت فيما دخل فيه المسلمون ، ثم حاكمت القوم إلى ، سَمَلْتُك وإياهم على كتاب الله ، وأما تلك التي تريدها فهي خُدعة الصبي عن اللبن ^(١) .

ولعمري يامعاوية لئن نظرت بعقلك دون هواك ، لَتَجِدَنِي أَبْرَأَ الناس من دم عثمان ، وَلَتَعْلَمَنَّ أَنِّي كُنتُ فِي عُزْلَةٍ عَنْهُ ، إِلَّا أَنْ تَتَجَنَّى ، ^(٢) فَتَجَنَّ مَا بَدَا لَكَ .

واعلم أنك من الطُّلَقَاء ^(٣) الذين لَا تَحِلُّ لَهُمُ الْخِلَافَةُ ، وَلَا تُعْقَدُ مَعَهُمُ الْإِمَامَةُ ، وَلَا يَدْخُلُونَ فِي الشُّورَى ، وَقَدْ بَعَثْتُ إِلَيْكَ وَإِلَى مَنْ قَبْلَكَ جَرِيرَ ابْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْبَجَلِيِّ ، وَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْإِيمَانِ وَالْهِجْرَةِ ، فَبَايَعَهُ ، وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ .

(المقد الفريد ٢ : ٢٣٣ ، ونهج البلاغة ٢ : ٥ ، وشرح ابن أبي الحديد م ٣ ص ٣٠٠ ، م ١ : ص ٢٤٨ ، والامامة والسياسة ١ : ٧١)

٣٨٠ — كتاب معاوية إلى عمرو بن العاص

« وَقَدِمَ جَرِيرٌ عَلَى مُعَاوِيَةَ بِكِتَابٍ عَلَى ، فَأَمَّا أَبْطَأُ عَلَيْهِ مُعَاوِيَةَ بِرَأْيِهِ ، اسْتَحْثَّهُ بِالْبَيْعَةِ ، فَقَالَ لَهُ مُعَاوِيَةُ : يَا جَرِيرُ إِنْ الْبَيْعَةَ لَيْسَتْ بِخُلْسَةٍ ، وَإِنَّهُ أَمْرٌ لَهُ مَا بَعْدَهُ ، فَأَبْلِعْنِي رِيقِي ، وَدَعَا أَهْلَ ثِقَّتِهِ فَاسْتَشَارَهُمْ ، فَقَالَ لَهُ أَخُوهُ عُثْبَةُ : اسْتَعِنِ عَلَى هَذَا الْأَمْرِ بِعَمْرِو بْنِ الْعَاصِ ، فَإِنَّهُ مِنْ قَدْ عَرَفْتَ ، فَكَتَبَ

(١) وذلك ما تصنعه له أمه في أول فطامه مما يكره إليه الثدي ويلهبه عنه . وفي الحديث « الحرب خدعة » مثله وبضم ففتح . روى ابن جرير : أي تنقضى بخدعة .

(٢) تجنى عليه : ادعى عليه ذنبا لم يفعله .

(٣) لما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة سنة ثمان دخل الكعبة وجلس في المسجد والناس حوله فقال : يامعشر قريش ما تظنون أني فاعل بكم ؟ قالوا : خيرا ، أخ كريم وابن أخ كريم فقال : اذهبوا فأنتم الطلقاء ، وكان معاوية ممن أسلم في هذا اليوم .

معاوية إلى عمرو ، وهو بفلسطين^(١) :

« أما بعدُ : فقد كان من أمرِ علي وطلحة والزبير ما قد بلغك ، وقد سقط

(١) فتح عمرو بن العاص مصر في خلافة عمر بن الخطاب ، وولاه عمر عليها ، وبقي كذلك واليا عليها أول خلافة عثمان ، ثم إن عثمان عزله عن الحراج واستعمله على الصلاة ، واستعمل على الحراج عبد الله بن سعد بن أبي سرح — وهو أخو عثمان من الرضاع — ثم جمعهما لعبد الله بن سعد وعزل عمروا ، فلما قدم عمرو المدينة جعل يطعن على عثمان ، فأرسل إليه يوما عثمان خاليا به ، فقال : يا بن النابغة ، ما أسرع ما قل جريان جيتك (جريان النقيص بضم الجيم والراء وكسرهما وتشديد الباء : جيبه) إنما عهدك بالعمل عاما أول ، أنظمن علي وتأتيني بوجه وتذهب عني بآخر ؟ والله لولا أكلة ماقلت ذلك ، فقال عمرو : إن كثيرا مما يقول الناس وينقلون إلى ولائهم باطل ، فاتق الله يا أمير المؤمنين في رعيتك ، فقال عثمان : والله لقد استعملتك على ظمك وكثرة القالة فيك (الظلم في الأصل غمز البعير في مشيه ، والمراد : على ما فيك من عيب وميل) فقال عمرو : قد كنت عاملا لعمر بن الخطاب ففارقني وهو عني راض ، فقال عثمان : وأنا والله لو آخذتك بما آخذك به عمر لاستقيمت ، ولكنني لنت لك فاجترأت علي . . . — فخرج عمرو من عند عثمان وهو محتقد عليه ، يأتى عليا مرة فيؤلبه علي عثمان ، ويأتى الزبير مرة فيؤلبه علي عثمان ، ويأتى طلحة مرة فيؤلبه علي عثمان ، ويعترض الحاج فيخبرهم بما أحدث عثمان .

ولما قصد الثوار إلى المدينة أخرج لهم عثمان عليا فكلهم فرجعوا عنه ، وخطب عثمان الناس فقال « إن هؤلاء القوم من أهل مصر كان بلغهم عن إمامهم أمر ، فلما تيقنوا أنه باطل ما بلغهم عنه رجعوا إلى بلادهم » فناداه عمرو بن العاص من ناحية المسجد : اتق الله يا عثمان فإنك قد ركبت نهابير (جمع نهيرة بالضم : أى مهلكة) وركبناها معك ، فتب إلى الله ننب ، فناداه عثمان . وإنك هناك يا بن النابغة ! قلت والله جيتك منذ تركتك من العمل .

فلما كان حصر عثمان الأول خرج عمرو من المدينة حتى انتهى إلى أرض له بفلسطين يقال لها السبع فنزل بها ، وكان يقول : أنا أبو عبد الله إذا حككت قرحة نكأتها ، (نكأ القرحة كنع : قشرها قبل أن تبرأ فتدبت) والله إن كنت لألتي الراعي فأحرضه عليه .

فلما بلغه مقتل عثمان ، قال : أنا أبو عبد الله قتلته وأنا بوادي السباع ، من يلي هذا الأمر من بعده ؟ إن يله طلحة فهو فتى العرب سيدا (أى عطاء) وإن يله ابن أبي طالب فلا أراه إلا سيستنظف الحق (استنظف الشيء : أخذه كله ، واستنظف الوالى ما عليه من الحراج : استوفاه) وهو أكره من يله إلى ، فبلغه أن عليا قد بويغ له ، فاشتد عليه وتربص لينظر ما يصنع الناس ؟ ثم نعى إليه أن معاوية بالثأم يأبى أن يبايع عليا ، وأنه يعظم قتل عثمان ويحرض على الطلب بدمه ، فاستشار ابنه عبد الله ومجده في الأمر وقال : ماتريان ؟ أما علي فلا خير عنده ، وهو رجل يدل بسابقتها ، وهو غير مشركي في شيء من أمره ، فقال له عبد الله : أرى أن تكف يدك وتجلس في بيتك حتى يجتمع الناس على إمام فتبايعه ، وقال له محمد : أنت نائب من أنياب العرب ، فلا أرى أن يجتمع هذا الأمر ، وأيس لك فيه صوت ولا ذكر ، فرجع لديه أن يلحق بمعاوية ، وكتب إليه يهره ويشير عليه بالمطالبة بدم عثمان ، وكان فيما كتب به إليه : « ما كنت صانعا إذا قشرت من كل شيء تملكه ؟ فاصنع ما أنت صانع » فبعث إليه معاوية ، فسار إليه .

إلينا مروان بن الحكم في نفر^(١) من أهل البصرة ، وقدم علينا جرير بن عبد الله في بيعة على ، وقد حبست^(٢) نفسي عليك ، فاقدم على بركة الله اذا كرك أمورا لا تعدم صلاح مغبتها إن شاء الله .

(الإمامة والسياسة ١ : ٧٢ ، وشرح ابن أبي الحديد م ١ : ص ١٢٦ و ص ٢٤٩)

وذكروا أنه قال له : يا عمرو اتبعني ، قال : لماذا ؟ للآخرة ؟ فوالله مامعك آخرة ، أم لدنيا ؟ فوالله لا كان ، حتى أكون شريكك فيها ، قال : فأنت شريكى فيها ، قال : فاكتب لى مصر وكورها طعمة ، فكتب له ، وكتب فى آخر الكتاب : « وعلى عمرو السمع والطاعة » قال عمرو : اكتب أن السمع والطاعة لا يتقضان من شرطه شيئا ، قال معاوية : لا ينظر الناس إلى هذا ، قال عمرو : حتى تكتب ، فكتب ، ما يجد بدا من كتابتها ، وقيل إنه كتب عليه « ولا ينقض شرط طاعة » فقال عمرو : يا غلام اكتب « ولا تنقض طاعة شرط » وقال عمرو فى ذلك :

معاوى لا أعطيك دينى ولم أنل به منك دنيا ، فانظرن كيف تصنع
فإن تعطينى مصرا ، فأربح صفقة أخذت بها شيئا يضر وينفع

(انظر تاريخ الطبرى ج ٥ : ص ١٠٨ - ١١١ و ص ٢٣١ ، ومروج الذهب ٢ : ٤ ، والمعقد الفريد ٢ : ٢٣٨ ، والكامل للمبرد ١ : ١٥٥ ، وشرح ابن أبي الحديد م ١ : ص ١٣٧)

أما قول عثمان لعمر : « يا بن الناقة » فشم له ، والناقة أم عمرو ، قال ابن أبي الحديد : فى شرحه (م ٢ : ص ١٠٠) « فأما الناقة فقد ذكر الزحشرى فى كتاب ربه الأبرار قال : كانت الناقة أم عمرو بن العاص أمة لرجل من عنزة (بالتجريك) فسبيت ، فاشتراها عبد الله بن جدعان التيمي بمكة فكانت بيا ثم أعنفها . فوقع عليها أبو هب بن عبد المطلب وأمية بن خلف الجمحى وهشام بن المغيرة الخزومى وأبو سفيان بن حرب والعامس بن وائل السهمى فى ظهر واحد ، فولدت عمرا ، فادعاه كلهم فحكمت أمه فيه ، فقالت : هو من العاص بن وائل ، وذلك لأن العامس كان ينفق عليها كثيرا ، قالوا : وكان أشبه بأبى سفيان ، وفى ذلك يقول أبو سفيان بن الحرث بن عبد المطلب فى عمرو :

أبوك أبو سفيان لاشك قد بدت لنا فيك منه بينات الدلائل

وقال أبو عمر بن عبد الر صاحب كتاب الاستيعاب : كان اسمها سلمى ، وتلقبت بالناقة بنت حرمة من بنى حلان بن عنزة بن أسد ، أصابها سباء فصارت إلى العامس بن وائل بعد جماعة من قريش فأولدها عمرا ، ويقال : إنه جعل لرجل ألف درهم على أن يسأل عمرا وهو على المنبر من أمه ؟ فسأله ، فقال : أمى سلمى بنت حرمة ناقت بالناقة من بنى عنزة ، أصابتها رماح العرب ، فبيعت بعكاظ ، فاشتراها الفاكه بن المغيرة ، ثم اشتراها منه عبد الله بن جدعان ، ثم صارت إلى العامس بن وائل فولدت فأنجبت ، فإن كان جعل لك شيء نخذه (انظر أيضا المعقد الفريد ١ : ١٨) وقال المبرد فى الكامل اسمها ليلى ، وذكر هذا الخبر وقال : إنها لم تكن « فى موضع مرضى . . . » .

ورأى فيما روى من نسب عمرو بن العاص أن الاسلام يجب ما قبله .

(١) فى الإمامة والسياسة : « فى رافضة » والمراد بالرافضة هنا من رفضوا طاعة على .

(٢) وفى الإمامة والسياسة « وقد حسبت » وحسبه كنفصره : عدّه .

٣٨١ - كتاب عليّ إلى جرير بن عبد الله

وذكروا أن معاوية قال لجرير: إني قد رأيتُ رأيًا، قال جرير: هات، قال: اكتب إلى عليّ أن يجعل لي الشام ومصر جباية، فإن حضرته الوفاة، لم يجعل لأحد من بعده في عُقْبِي بيعةً، وأسلم إليّ هذا الأمر، وأكتب إليه بالخلافة، قال جرير: اكتب ما شئت، فكتب إلى عليّ يسأله ذلك، فلما أتى عليًّا كتاب معاوية، عرف أنها خُدعة منه، وكتب إلى جرير بن عبد الله: «أما بعد: فإن معاوية إنما أراد بما طلب ألا يكون لي في عُقْبِي بيعةٌ، وأن يختار من أمره ما أحب، وأراد أن يُريَّثك ويَبْطِئَكَ حتى يذوق أهل الشام، وقد كان المغيرة بن شعبه أشار عليّ وأنا بالمدينة أن أستعمله على الشام، فأبئتُ ذلك عليه^(١)، ولم يكن الله لي راني أن أَتَخِذَ الْمُضِلِّينَ عَصُدًا، فإن بايعَكَ الرجل وإلا فاقْبَل، والسلام».

(الامامة والسياسة ١: ٧٣، وشرح ابن أبي الحديد ١: ص ٢٥٠)

٣٨٢ - كتاب الوليد بن عقبة إلى معاوية

وفشا كتاب معاوية في العرب، فبعث إليه الوليد بن عُقْبَة بن أبي مُعَيْط (وهو أخو عثمان لأمه):

(١) في حديث علي عليه السلام مع ابن عباس قال: «جاءني المغيرة بن شعبه بعد مقتل عثمان بيومين فقال: أخائي، ففعلت، فقال: «إن النصح رخيص، وأنت بقية الناس، وأنا لك ناصح، وأنا أشير عليك ألا ترد عمال عثمان عامك هذا، فأكتب إليهم بإثباتهم على أعمالهم، فإذا بايعوا لك واطمأن أمرك، عزلت من أحببت، وأفررت من أحببت، فقلت له: والله لا أداهن في ديني، ولا أعطى الرياء في أمري، قال: فإن كنت قد أبيت فانزع من شئت. وارك معاوية فإن له جراءة وهو في أهل الشام مسموع منه، ولك حجة في إثباته، فقد كان عمر ولاء الشام كلها، فقلت له: لا والله لا أستعمل معاوية يومين أبدا» - مروج الذهب ٢: ٥ -

مُعاوِيَ: إِنَّ السَّامَ شَأْمُكَ ، فَاعْتَصِمْ
وَحَامِ عَلَيْهَا بِالصَّوَارِمِ وَالْقَنَا
وإِنَّ عَلِيًّا نَازِرٌ مَا تُجِيئُهُ
وإِلَّا فَسَلِّمْ ، إِنَّ فِي السَّلْمِ رَاحَةً
وإن كِتَابًا يَا بَنَ حَرْبٍ كَتَبْتَهُ
سَأَلْتُ عَلِيًّا فِيهِ مَا لَنْ تَنَالَهُ
وسوف تَرَى مِنْهُ التِّي لَيْسَ بَعْدَهَا
أَمِثْلَ عَلِيٍّ تَعْمُرِيهِ بِخُذْعَةٍ
بِشَأْمِكَ ، لَا تُدْخِلُ عَلَيْكَ الْإِفَاعِيَا
وَلَا تَكُ مَوْهُونِ الذَّرَاعِينَ وَانِيَا^(١)
فَأَهْدِ لَهُ حَرْبًا تُشِيبُ النَّوَاصِيَا^(٢)
لِمَنْ لَا يَرِيدُ الْحَرْبَ ، فَاخْتَرِ مُعَاوِيَا
عَلَى طَمَعٍ يُزْجِي إِلَيْكَ الدَّوَاهِيَا^(٣)
وَإِنْ نَلْتَهُ لَمْ تَبْقَ إِلَّا لِيَالِيَا
بَقَاءً ، فَلَا تُكْثِرْ عَلَيْكَ الْأُمَانِيَا
وَقَدْ كَانَ مَا جَرَّبْتَ مِنْ قَبْلُ كَافِيَا
(شرح ابن أبي الحديد م ١ : ص ٢٥٠)

٣٨٣ - كتاب الوليد بن عقبة إلى معاوية

وكتب الوليد بن عُقْبَةَ إِلَى مُعَاوِيَةَ أَيْضًا يُوقِظُهُ ، وَيَشِيرُ عَلَيْهِ بِالْحَرْبِ ،
وَأَلَّا يَكْتُبَ جَوَابَ جَرِيرٍ :

مُعاوِيَ: إِنَّ الْمُلْكَ قَدْ جُبَّ غَارِبُهُ
أَتَاكَ كِتَابٌ مِنْ عَلِيٍّ بِخُطَّةٍ
وَأَنْتَ بِمَا فِي كَفِّكَ الْيَوْمَ صَاحِبُهُ^(٤)
هِيَ الْفَصْلُ ، فَاخْتَرِ سَلَمَهُ أَوْ تُحَارِبُهُ^(٥)

(١) الصوارم: جمع صارم، وهو السيف . القنا: جمع قنّاء، وهي الرمح ، والوهن بالسكون وبمحرك:
الضعف ، وفعله كوعد وورث وكرم ، وهو واهن وموهون: لا بطش عنده ، وونى في الأمر
كوعى بنى ونا وونى (كفتى): ضعف وفتّر .

(٢) النواصي: جمع ناصية: وهي قصاص الشعر في مقدم الرأس .

(٣) زجاء يزجوه وزجاء وأزجاء: ساقه ودفعه .

(٤) جب: قطع ، والغارب: ما بين السنام والعنق ، والمعنى: قد قتل صاحبه وهو عثمان ، وقوله
بِمَا فِي كَفِّكَ: أى بما في يديك من القوة والعدة . (٥) الخطّة: الأمر .

فلا ترجُ عند الواترين مودةً (١) ولا تأمنِ اليومَ الذي أنت راهبةٌ (٢)
 وحاربهُ إن حاربتَ حرَّ بنَ حرَّةٍ (٣) فإنَّ عليًّا غيَّرَ ساحبَ ذيلِهِ
 فلا تدعَنَّ الملكَ والأمرَ مُقبلُ (٤) فإن كنتَ تنوى أن تُجيبَ كتابه
 وإن كنتَ تنوى أن تُردَّ كتابه (٥) فآلقِ إلى الحيِّ اليمانيِّ كلمةً
 تقول : أميرُ المؤمنين أصابه أفانينُ : منهم قائلٌ ومحرضٌ
 وكنتُ أميراً قبلُ بالشَّام فيكمُ تجيِّبوا (ومن أُرْسِي ثبيراً مكانه)
 فأقلِّ وأكثِرْ، مالها اليومَ صاحبُ (٦) سواك، فصرَّح، لستَ بمن ثوارِبُهُ (٧)
 (شرح ابن أبي الحديد م : ص ٢٥٠)

(١) وتره يتره من الوتر وهو الثَّار كالتره بالكسر ، وتره أيضا أفزعه وأدركه بمكروه ، أى فلا ترج عند الواترين لنا مودة ، يريد عليا فقد وتر بنى عبد شمس بمن قتله منهم كما سيأتى ، وقد قدما لك أنه جلد الوليد بن عقبة ثمانين لشربه الخمر - انظر ص ٢٩٤ ، ورهبه كعلم : خافه .
 (٢) لا تدبَّ عقاربهُ : أى لا تشوبه شائبة ولا يفسده شيء (ويقولون أيضا للرجل الذى يفترض أعراض الناس : إنه لتدب عقاربهُ) . (٣) ما : مصدرية ظرفية ، وساغ الشراب يسوغ : سهل مدخله فى الخلق ، وأساغ فلان الشراب : ابتلعه (وسوغ مثله) .
 (٤) أمير المؤمنين أى عثمان ، ومالام مسهل عن ما لأهم ، أى ساعدهم وشايهم .
 (٥) أفانين جمع أفنون كمصفور : وهو النوع والضرب من الشيء كالفن (وجاء أفانين جمع جمع لفن بالتحريك وهو النصن) . (٦) ثبير : جبل بكة ، وغوارب الماء : أعلى موجه .
 (٧) المواربة : المخادعة والمداواة

٣٨٤ - كتاب الوليد بن عقبة إلى معاوية

وكتب الوليد أيضاً إلى معاوية يستبطنه في الطلب بدم عثمان ،
ويحرّضه ، وينهاه عن قطع الوقت بالمكاتبة :

أَلَا أُبْلِغُ مُعَاوِيَةَ بْنَ حَرْبٍ فَإِنَّكَ مِنْ أَخِي ثِقَةٍ مُلِيمٍ^(١)
قَطَعْتَ الدَّهْرَ كَالسَّيْفِ الْمَعْنَى تُهْدِرُ فِي دِمَشْقٍ وَلَا تَرِيْمُ^(٢)
فَإِنَّكَ وَالْكِتَابَ إِلَى عَلِيٍّ كِدَابِغَةٍ وَقَدْ حَلِمَ الْأَدِيمُ^(٣)
فَلَوْ كُنْتَ الْقَتِيلَ وَكَانَ حَيًّا لَشَمَّرَ لَا أَلْفٌ وَلَا سَتُومٌ^(٤)
لَكَ الْوَيْلَاتُ ، أَقْحَمَهَا عَلَيْهِمْ نَخِيرُ الطَّالِبِ التَّرَةِ الْغَشُومُ^(٥)
(شرح ابن أبي الحديد م ١ : ص ٢٥٤ ، وم ٣ ص ٣٠١ ، وجمع الأمثال ٢ : ٦٤)

٣٨٥ - رد معاوية على الوليد بن عقبة

فكتب معاوية إليه الجواب بيتاً من شعر أَوْسَ بْنِ حَجَرَ :

وَمُسْتَعْجِبٍ مِمَّا يَرَى مِنْ أَنْاتِنَا وَلَوْ زَبَنْتَهُ الْحَرْبُ لَمْ يَتَرَمَّزِمِ^(١)

شرح ابن أبي الحديد م ١ : ص ٢٥٤

- (١) ألام الرجل فهو مليم : أتى مايلام عليه .
- (٢) الفحل السدم : الذي يرغب (بالبناء للجهول) عن خلته فيحال بينه وبين أَلَا فِه ، ويقيد إذا هاج ، فيرعى حوالى الدار ، وإن صال جعل له حجام يمنعه عن فتح فِه ، وهدر البعير كضرب وهدر : صوت في غير شفقة ، ورام المكان ورام منه يريم ربما : برحه .
- (٣) الحلم بالتحريك : دود يقع في الجلد فيفسده ، وحلم الجلد كفرح . وقع فيه الحلم ، وهو مثل يضرب للأمر الذي قد انتهى فسادُه .
- (٤) رجل ألف : أى عبي بطيء الكلام إذا تكلم ملأ لسانه فِه .
- (٥) أحقه في الأمر : رماه فيه بلا روية ، والغشوم : الظلوم .
- (٦) زبنت الناقة حالها كضرب : ضربته برجلها ودفعته فهي زبون بالفتح ، وزبنت الحرب الناس : صدمتهم ودفعتهم . على التشبيه بالناقة - فهي زبون أيضاً ، وتررم : تحرك الكلام ولم يتكلم .

٣٨٦ - كتاب علي إلى جرير

وأقام جرير عند معاوية ثلاثة أشهر^(١) وهو يماطله بالبيعة ، فكتب علي إلى جرير :

« سلام عليك ، أما بعد ، فإذا أتاك كتابي هذا فاحمل معاوية على الفصل^(٢) ، وخذه بالأمر الجزم ، وخيره بين حرب مجلية^(٣) ، أو سلم مخزية ، فإن اختار الحرب فابذ إليهم على سواء إن الله لا يحب الخائنين ، وإن اختار السلم فخذ بيعته وأقبل إلى والسلام » :

العقد الفريد ٢ : ٢٣٢ ونهج البلاغة ١ : ٦ وشرح ابن أبي الحديد ١ : ص ٢٥١

٣٨٧ - كتاب عياض الثمالي إلى شرحبيل بن السمط

وكتب معاوية بإشارة عمرو بن العاص إلى شرحبيل بن السمط الكندي ، وهو بجمص (وكان رأس اليمينة وشيخها والمقدم عليها) « إن جرير بن عبد الله قدم علينا من عند علي بن أبي طالب بأمر مفضع^(٤) فاقدم » ودعا معاوية يزيد بن أسد ، وبسر بن أرطاة ، وعمرو بن سفيان ، ومخارق بن الحرث الزبيدي ، وحمة بن مالك ، وحابس بن سعد الطائي ،

(١) وقبل أربعة (ابن أبي الحديد م ٣ : ص ٣٠١) .

(٢) أي لا تتركه متلكتا مترددا ، يطعمك تارة ويؤيسك أخرى ، بل احمله على أمر فيصل ، إما البيعة وإما الحرب ، وكذا قوله « وخذه بالأمر الجزم » أي الأمر المقطوع به .

(٣) أي حرب تحلّي الفهورين فيها عن ديارهم أي تخرجهم ، والسلم : الصلح ، يؤث ويذكر ، وسلم مخزية : أي فاشحة ، وإنما جعلها مخزية لأن معاوية امتنع أولا عن البيعة ، وفي رواية العقد « حرب معضلة » وفي ابن أبي الحديد « بين حرب مخزية أو سلم مخزية » .

(٤) فظع الأمر فهو فظيع ، وأفظع فهو مفضع .

وهؤلاء رءوس قحطان واليمن ، وكانوا ثقات معاوية وخاصته ، وبنى عم شرحبيل بن السمط ، فأمرهم أن يلقوه ويخبروه أن علياً قتل عثمان ، فلما قدم كتاب معاوية على شرحبيل ، استشار أهل اليمن فاختلفوا عليه ، وأبى شرحبيل إلا أن يسير إلى معاوية ، فكتب إليه عياض الثمالي^(١) - وكان ناسكاً - :

يا شرحُ يا بن السمطِ : إنك بالغ
يا شرحُ إن الشام شأموك ، ما بها
فإن ابن هندٍ ناصبٌ لك خُدعةً
فإن نال ما يرجو بنا كان مُلْكُنا
فلا تبغين حربَ العراق ، فإنها
وإن علياً خيرٌ من وطى الثرى
له في رقاب الناس عهدٌ وذمة
فبايع ولا ترجع على العقب كافراً
ولا تسمعن قول الطغاة ، فإنهم
وماذا عليهم أن تطاعن دونهم
فإن غلبوا كانوا علينا أئمةً
وإن غلبوا لم يصل بالخطب غيرنا

بوذ علي ما تريد من الأمر
سواك ، فدع عنك المضلل من فهر^(٢)
تكون علينا مثل راغية البكر^(٣)
هنيئاً له ، والحرب قاصمة الظهر^(٤)
تحرم أطهار النساء من الذعر
من الهاشميين المداريك للوتر^(٥)
كمهدأبي حفص وعهدأبي بكر
أعيدك بالله العزيز من الكفر
يريدون أن يلقوك في لجة البحر
علياً بأطراف المُقفَّة السمر^(٦)
وكنا بحمد الله من ولد الطهر
وكان على حربنا آخر الدهر^(٧)

(١) بنو ثماله : بطن من الأزد . (٢) فهر : هو قريش .
(٣) من أمثال العرب « كانت عليهم كراغية البكر » والراغية : الرغاء ، والبكر : ولد الناقة ، يعنون رغاء بكر نمود حين عقر الناقة قدار بن سالف ، وهو مثل يضرب في الشاؤم بالمعنى .
(٤) قصمه : كسره . (٥) مداريك جمع مدراك .
(٦) تقف الريح : سواه ، والأسمر : الريح .
(٧) يقال : فلان حرب فلان : أى محاربه ، وفلان حرب لى : أى عدو محارب ، وإن لم يكن محارباً والمعنى : وكان على عدوا محارباً لنا إلى آخر الدهر ، وفي الأصل « وكنا حربنا على آخر الدهر » ولا يستقيم عليه الوزن .

يهون على عُليا لُوئى بن غالب دماء بني قحطان في ملكهم تجرى
 فدع عنك عثمان بن عفان ، إنما لك الخير لا تدري بأنك لا تدري
 على أى حال كان مَصْرَعُ جَنْبِهِ فلا تسمعن قول الأعير أو عمرو^(١)
 فلما قَدِمَ شرحبيل على معاوية أمر الناس أن يتلقوه ويعظموه ، حتى دخل
 عليه فتكلم معاوية ، فقال : يا شرحبيل ، إن جرير بن عبد الله قَدِمَ علينا يدعونا
 إلى بيعة على ، وعلى خيرُ الناس لولا أنه قَتَلَ عثمان بن عفان ، وقد حبست
 نفسى عليك ، وإنما أنا رجل من أهل الشام أرضى ما رَضُوا وأكره
 ما كرهوا ، فقال شرحبيل : أخرجُ فأُنظر ، فأتبعه هؤلاء النَّفَرُ ، فكلهم
 أخبره أن عليا قتل عثمان ، حتى ملئوا صدره حقداً وإحنةً على على ، فرجع
 مغضباً إلى معاوية ، فقال يا معاوية : أبى الناس إلا أن عليا قتل عثمان ، والله
 إن بايعت له لنخرِجَنَّكَ مِنْ شَأْمِنَا أَوْ لَنَقْتَلَنَّكَ ، فقال معاوية : ما كنتُ
 لأخالفَ عليكم ، ما أنا إلا رجل من أهل الشام . قال : فرُدَّ هذا الرجل إلى
 صاحبه إِذْنً ، فعرف معاوية أن شرحبيل قد نفذت بصيرته في حرب أهل
 العراق ، وإن الشام كله مع شرحبيل . (شرح ابن أبي الحديد ١ : ص ١٣٩)

٣٨٨ - كتاب آخر إلى شرحبيل بن السمط

وكتب كتاب لا يُعرف كاتبه إلى شرحبيل يقول :
شرحبيلُ يا بنَ السمطِ لا تتبعِ الهوى فما لك في الدنيا من الدين من بدل

(١) الأعير : مصغر الأعور ، يعنى أبا الأعور عمرو بن سفيان السلمى وهو أحد خاصة معاوية وثقاته

ولا تَكُ كَالْمُجْرِي إِلَى شَرٍّ غَايَةٍ فَقَدْ خُرِّقَ السَّرْبَالُ وَاسْتَنَوَقَ الْجَمَلُ^(١)
 وَقُلْ لَابْنِ حَرْبٍ : مَالِكَ الْيَوْمِ خُلَّةٌ تَرُومُ بِهَا مَارُمْتُ وَاقْطَعْ لَهُ الْأَمْلَ^(٢)
 سُرحبيلُ : إِنْ الْحَقَّ قَدْ جَدَّ جَدُّهُ فَكُنْ فِيهِ مَأْمُونٌ الْأَدِيمُ مِنَ النَّغْلِ^(٣)
 وَأَرْوَدُ وَلَا تَقْرُطْ بِشَيْءٍ نَخَافُهُ عَلَيْكَ ، وَلَا تَعَجِّلْ فَلَخَيْرٍ فِي الْعَجَلِ^(٤)
 مَقَالُ ابْنِ هَنْدٍ فِي عَلِيٍّ عَضِيهَةٌ وَلِلَّهِ فِي صَدْرِ ابْنِ أَبِي طَالِبٍ أَجَلٌ^(٥)
 وَمَا مِنْ عَلِيٍّ فِي ابْنِ عَفَّانٍ سَقَطَةٌ بِقَوْلٍ ، وَلَا مَالًا عَلَيْهِ ، وَلَا قَتْلَ^(٦)
 وَمَا كَانَ إِلَّا لَازِمًا قَعَرَ بَيْتَهُ إِلَى أَنْ أَتَى عَثْمَانَ فِي دَارِهِ الْأَجَلَ
 وَصَّى رَسُولُ اللَّهِ مِنْ دُونِ أَهْلِهِ وَمَنْ بِأَسْمِهِ فِي فَضْلِهِ يُضْرَبُ الْمَثَلُ
 فَمَنْ قَالَ قَوْلًا غَيْرَ هَذَا فَحَسَبُهُ مِنَ الزُّورِ وَالْبُهْتَانِ الَّذِي احْتَمَلَ
 فَلَمَّا قَرَأَ سُرحبيلُ الْكِتَابَ ذُعِرَ وَفَكَّرَ ، وَقَالَ : هَذِهِ نَصِيحَةٌ لِي فِي دِينِي ،
 لَا وَاللَّهِ لَا أَعْجَلُ فِي هَذَا الْأَمْرِ بِشَيْءٍ ، وَكَادَ يَحْوُلُ عَنْ نَصْرِ مَعَاوِيَةَ
 وَيَتَوَقَّفُ ، فَلَفَّقَ لَهُ مَعَاوِيَةُ الرِّجَالَ يَدْخُلُونَ إِلَيْهِ وَيَخْرُجُونَ وَيُعْظَمُونَ عِنْدَهُ
 قَتَلَ عَثْمَانَ ، وَيَرْمُونَ بِهِ عَلِيًّا ، وَيَقِيمُونَ الشَّهَادَةَ الْبَاطِلَةَ ، وَالْكِتَابَ الْمُخْتَلَفَةَ
 حَتَّى أَعَادُوا رَأْيَهُ ، وَشَحَذُوا عَزْمَهُ . (شرح ابن أبي الحديد ١ : ص ٢٤٩)

(١) السربال : القميص ، أو الدرع ، أو كل ما لبس ، ومن أمثالهم : « قد استنوق الجمل » أي صار ناقة ، وهو مثل يضرب في التخطيط . ذكروا أن السبب بن علس أنشد بين يدي عمرو بن هند وقد أتلفي لهم عند احتضاره بناج عليه الصعيرة مكدم بناج : أي ببيع بناج ، أي مسرع ، وصف من النجاء بالفتح : وهو السرعة في السير - وفي القاموس المحيط : وناقة ناجية ونجية : سريعة ، لا يوصف به البعير ، أو يقال ناج - والصعيرة : سمه لأهل اليمن توسم بها النوق خاصة في أعناقها دون الفحول ، ولخل مكدم بضم فسكون ففتح : إذا كان قويا شديدا .

وكان طرفة بن العبد حاضرا وهو غلام فقال : قد استنوق الجمل ، فغضب المسيب وقال : ليقئلنه لسانه فكان كما نفرس فيه . (٢) الخلة : الصداقة .

(٣) نفل الأديم كفرح : فسد في الدباغ . (٤) أرود : أمهل . وفرط كنصر : سبق وتقدم .

(٥) المضيهة : الإفك والبهتان . (٦) مالا مسهل عن مالا أي ساعد وشايع .

٣٨٩ - رد معاوية على عليّ

وكتب معاوية إلى عليّ جواباً عن كتابه إليه مع جرير :
« بسم الله الرحمن الرحيم . من معاوية بن صخرٍ إلى عليّ بن أبي طالب :
أما بعدُ فلعمري لو بايعك القوم الذين بايعوك وأنت بريء من دم عثمان
لكنت كأبي بكر وعمر وعثمان رضى الله عنهم أجمعين ، ولكنك أغرّيت
بدم عثمان المهاجرين ، وخذلت عنه الأنصار ، فأطاعك الجاهل ، وقوى بك
الضعيف ، وقد أبى أهل الشام إلا قتالك ، حتى تدفع إليهم قتلة عثمان ، فإن
فعلت كانت شورى بين المسلمين ، وإنما كان الحجازيون هم الحكماء على
الناس والحق فيهم ، فلما فارقوه كان الحكماء على الناس أهل الشام ، ولعمري
ما حجتك على كحجتك على طلحة والزبير ، لأنهما بايعاك ولم أباعك ،
وما حجتك على أهل الشام كحجتك على أهل البصرة ، لأن أهل البصرة
أطاعوك ، ولم يطعك أهل الشام ، فأما شرفك في الإسلام ، وقرابتك من
رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وموضعك من قريش فلست أدفعه ، ثم
كتب إليه في آخر الكتاب بشعر كعب بن جعيل ، وهو :

أرى الشام تكره ملك العراق وأهل العراق لهم كارهيناً
وكللاً لصاحبها مبعوضاً يرى كل ما كان من ذاك ديناً
إذا مارمونا رميناهم ودناهم مثل ما يقرضونا^(١)

(١) دانه (وأدانه) : أقرضه ، ودانه أيضاً ديناً بالفتح ويكسر : جزاءه ، قال تعالى :
« مَا لِكَ يَوْمَ الدِّينِ » . أى يوم الجزاء والحساب .

فقالوا : عَلِيٌّ إِمَامٌ لَنَا قتلنا: رَضِينَا ابْنَ هِنْدٍ رَضِينَا^(١)
 وقالوا : نَرَى أَنْ تَدِينُوا لَهُ قتلنا : أَلَا لَا نَرَى أَنْ نَدِينَا^(٢)
 وَمِنْ دُونِ ذَلِكَ خَرَطُ الْقَتَادِ وَضَرَبُ وَطْعَنُ يَفُضُّ الشُّثُونَ^(٣)
 وَكُلُّ يُسَرُّ بِمَا عِنْدَهُ يَرَى غَتًّا مَا فِي يَدَيْهِ سَمِينَا^(٤)
 وَمَا فِي عَلِيٍّ لُمُتْعَبٍ مَقَالَ سَوَى ضَمَّةِ الْمُحْدِثِينَ^(٥)
 وَإِثَارِهِ الْيَوْمَ أَهْلَ الذُّنُوبِ وَرَفَعَ الْقِصَاصِ عَنِ الْقَاتِلِينَ^(٦)
 إِذَا سِيلَ عَنْهُ حَدَا شُبْهَةٌ وَغَمَّى الْجَوَابَ عَلَى السَّائِلِينَ^(٧)
 فَلَيْسَ بِرَاضٍ وَلَا بِسَاخِطٍ وَلَا فِي النُّهَاءِ وَلَا الْآمِرِينَ
 وَلَا هُوَ سَاءٌ وَلَا سَرَّهَ وَلَا بُدٌّ مِنْ بَعْضِ ذَا أَنْ يَكُونَا

(القند الفريد ٢ : ٢٣٣ ، والكامل للبرد ١ : ١٥٥ ، والإمامة والسياسة
 ١ : ٧٧ ، وشرح ابن أبي الحديد ١ : ص ٢٥٢ و ص ١٥٨)

- (١) ابن هند : هو معاوية بن أبي سفيان ، وأمه هند بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف
- (٢) دان له : خضع وأطاع ودخل في دينه (بالكسر) أى في طاعته .
- (٣) القتاد : شجر صلب له شوك أمثال الإبر ، والخرط : قشرك الورق عن الشجرة اجتذاباً بكفك ، وهو مثل يضرب للأمر دونه مانع ، يفض : أى يكسر ويفرق . والشثون جمع شثن ، وهى مواصل قبائل الرأس وملتحاها ، وذلك أن للرأس أربع قبائل : أى قطع مشعوب بعضها إلى بعض ، فالشثون هى الشعب التى تجمع بين تلك القبائل ، وقالوا إن مجارى الدموع منها ، ولذا أطلقوا الشثون على مجارى الدمع من الرأس إلى العين . فقالوا : استهلت شثونه . ومنه قول أوس بن حجر :
 لا تحزنينى بالفراق فإننى لا تستهل من الفراق شثونى
- وفى رواية « وضرب وطعن يفر العيون » يقال : قرّت عينه أى بردت « من القر وهو البرد وهو خلاف قولهم سخنت عينه » أورات ما كانت منشوفة إليه .
- (٤) الفث : المهزول . (٥) استعته : طلب إليه العتي (بالضم) أى الرضا ، والمحدث الجانى
- (٦) آثره : فضله وقدمه .
- (٧) سِيلَ مَبْنَى لِلْمَهْجُولِ مِنْ سَالٍ يَسَالُ يَخَافُ لَفَةً فِي سَأَلٍ ، وَحَذَا : قَدَرٌ ، وَالْمَعْنَى ذَكَرٌ ، أَوْ هُوَ « حَدَا » أَيْ سَأَلَ .

٣٩٠ - رد عليّ على معاوية

فكتب إليه الإمام علي رضي الله عنه .

« بسم الله الرحمن الرحيم . من علي بن أبي طالب إلى معاوية بن صخر :
أما بعدُ ، فقد أتاني كتابك كتاب امرئ ليس له بَصَرٌ يَهْدِيهِ ، ولا قَائِدٌ
يُرْشِدُهُ ، دعاه الهَوَى فأجابه ، وقاده فَاتَّبَعَهُ ، زعمت أنك إنما أفسد عليك
يَبْقَى خَفَرِي^(١) بعثان ، ولعمري ما كنتُ إلا رجلا من المهاجرين ، أوردتُ
كما أوردوا ، وأصدرتُ كما أصدروا ، وما كان الله لِيَجْمَعَهُمْ على ضلال ،
ولا لِيَضْرِبَهُمْ بالعمى ، وما أمرتُ فلزِمْتَنِي خَطِيئَةَ الأَمْرِ ، ولا قتلْتُ فأخافَ
على نفسي قِصاصَ القاتل .

وأما قولك إن أهل الشام هم حُكَّامُ أهل الحجاز ، فهاتِ رجلا من
قريش الشام يُقْبَلُ في الشُّورى ، أو تَحِلُّ له الخِلافة ، فَإِنْ سَمِيتَ كَذَبَكَ
المهاجرون والأنصار ، ونحن نأتيك به من قريش الحجاز .

وأما قولك ادفَعْ إلَيَّ قِتْلَةَ عُثْمَانَ ، فما أنت وذاك ؟ وهاهنا بنو عثمان ،
وهم أولى بذلك منك^(٢) فَإِنْ زعمتَ أنك أقوى على طلب دم عثمان منهم ،
فارجِعْ إلى البيعة التي لَزِمْتَكَ^(٣) وحَاكِمِ القومَ إلَيَّ^(٤) .

(١) خفر به كضرب خفرا وخفورا : قض عهده وغدره ، وفي رواية الكامل « خطيئتي في عثمان » وكذا في الإمامة والسياسة .

(٢) وفي رواية الكامل : « وبعد فما أنت وعثمان ؟ إنما أنت رجل من بني أمية ، وبنو عثمان أولى بمطالبة دمه » .

(٣) وفي رواية الكامل : « فإن زعمت أنك أقوى على ذلك فادخل فيما دخل فيه المسلمون ثم

حَاكِمِ القومَ إلَيَّ » . (٤) وفي رواية الكامل : « لأنها بيعة شاملة لا يستثنى فيها الخيار ، ولا

يستأنف فيها النظر » وفي رواية التهجد : « لأنها بيعة واحدة لا يثنى فيها النظر ولا يستأنف فيها

الخيار » وسيرد عليك قمر مكررة في بعض الرسائل ، لاختلاف رواياتها .

وأما تمييزك بين أهل الشام والبصرة ، وبينك وبين طلحة والزبير ،
فلعمري فما الأمر هناك إلا واحد ، لأنها بيعة عامة ، لا يتأتى فيها النظر ،
ولا يُستأنف فيها الخيار .

وأما شرفي في الإسلام وقرابتي من رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
وموضعي من قریش ، فلعمري لو استطعت دفعه لدفعته .

(العقد الفريد ٢ : ٢٣٣ ، والكامل للعبد ١ : ١٥٧ ، وشرح ابن أبي الحديد
م ١ : ص ٢٥٢ ، والامامة والسياسة ١ : ٧٧ ، ونهج البلاغة ٢ : ٥)

٣٩١ - كتاب معاوية إلى عليّ

وفي رواية عن جرير قال : إن معاوية لما جاءه كتاب الوليد بن عتبة
الأخير ، وصَلَ بين طومارين أبيضين ، ثم طواهما وكتب عنوانهما :

« من معاوية بن أبي سفيان إلى علي بن أبي طالب » ودفعهما إلى لا أعلم
ما فيهما ، ولا أظنهما إلا جوابا ، وبعث معي رجلا من بني عبس لا أدري
مامعه ، فخرجنا حتى قدِمنا الكوفة ، واجتمع الناس في المسجد لا يشكون أنها
بيعة أهل الشام ، فلما فتح عليّ عليه السلام الكتاب لم يجد شيئا ، وقام
العبسيّ فدفع إلى عليّ كتابا من معاوية ففتحه فوجد فيه :

أَتَانِي أَمْرٌ فِيهِ لِلنَّفْسِ غَمَّةٌ وفيه اجتداعٌ للنفوس أصِيلُ

مُصَابُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَهَدَّةٌ تكاد لها صُمُ الجبالِ تَزُولُ

(شرح ابن أبي الحديد م ٣ : ص ٣٠١)

٣٩٢ - كتاب معاوية إلى أهل مكة والمدينة

وكتب معاوية - أيام كان جرير عنده ينتظر جوابه - إلى أهل مكة والمدينة :

«أما بعد ، فإنه مهما غاب عنا من الأمور ، فلم يغيب عنا أن علياً قتل عثمان ، والدليل على ذلك أن قتلته عنده^(١) ، وإنما نطلب بدمه حتى يدفع إلينا قتلته ، فنقتلهم بكتاب الله تعالى ، فإن دفعهم إلينا كففنا عنه ، وجعلناها شورى بين المسلمين ، على ما جعلها عليه عمر بن الخطاب ، فأما الخلافة فلنا نطلبها ، فأعينونا على أمرنا هذا يرحمكم الله ، وانهمضوا من ناحيتكم ، فإن أيدينا وأيديكم إذا اجتمعت على أمر واحد هاب على ما هو فيه والسلام .
(الإمامة والسياسة ١ : ٧٥ ، وشرح ابن أبي الحديد م ١ : ص ٢٥٨)

٣٩٣ - رد المسور بن مخرمة على معاوية

فلما قرئ عليهم كتابه ، اجتمع رأيهم على أن يسندوا أمرهم إلى المسور بن مخرمة ، فجواب عنهم ، فكتب إليه :

«أما بعد : فإنك أخطأت خطأ عظيماً ، وأخطأت مواضع النضرة ، وتناولتها من مكان بعيد ، وما أنت والخلافة^(٢) يا معاوية ، وأنت طليق وأبوك من الأحزاب ؟ فكف عنا فليس لك قبلنا ولي ولا نصير .
(الإمامة والسياسة ١ : ٧٥)

(١) وفي ابن أبي الحديد : « والدليل على ذلك مكان قتلته منه » .

(٢) الأرجح فيه الرفع ، ويجوز فيه النصب على تقدير ما تكون الخلافة ثم حذف الفعل وانفصل الضمير .



وفي رواية ابن أبي الحديد :

فكتب عبد الله بن عمر إلى معاوية ، وعمر بن العاص :

« أما بعدُ : فلمعري لقد أخطأتما موضع النضرة ، وتناولتماها من مكان بعيد ، وما زاد الله من شك في هذا الأمر بكتابكما إلا شكاً ، وما أتما والمشورة ؟ وما أتما والخلافة ؟ أما أنت يا معاوية فطلق ، وأما أنت يا عمرو فظنين^(١) ، ألا فكفأ أنفسكما ، فليس لكما فينا ولي ، ولا نصير » .

(شرح ابن أبي الحديد م ١ : ص ٢٥٨)

٣٩٤ - كتاب رجل من الأنصار إلى معاوية وعمر

قال أيضاً : وكتب رجل من الأنصار إلى معاوية وعمر بن العاص مع كتاب عبد الله بن عمر :

معاوي : إن الحق أبلغ وأصح	وليس بما ربصت أنت ولا عمرو ^(٢)
نصبت ابن عفان لنا اليوم خدعة	كما نصب الشيخان إذ قضى الأمر ^(٣)
فهذا كما ذاك البلا حذو نعه	سواء كرقراق يغره به السفر ^(٤)
رميتم علياً بالذي لا يضره	وإن عظمت فيه المكيدة والمكر ^(٥)
وما ذنبه أن نال عثمان معشره	أتوه من الأحياء تجمعهم مضر

(١) الظنين : المتهم .

(٢) أبلغ : مضى مشرق ، وربص بفلان وتربص : انتظر به خيراً أو شرا يحل به .

(٣) يعني بالشيخين : طلحة والزبير . (٤) من أمثالهم : « حذو النعل بالنعل » وهو مثل يضرب في النسوية بين الشينين ، والرقراق : تفرق السراب (وكل شيء له بصيص وتلاؤ فهو رقرق) والسفر : المسافرون . (٥) ضاره : ضره .

فثار إليه المسلمون بيعةً علانية ما كان فيها لهم قسراً^(١)
وبايعة الشيخان ثم تحملاً إلى العمرة العظمى وباطنها الغدر^(٢)
فكان الذي قد كان ، مما اقتصاصه يطول ، فيا لله ما أحدث الدهرُ
وما أتما والنصرُ منا ؟ وأتما بعيداً حروب ما يئوخ لها جمر^(٣)
وما أتما ؟ لله درُّ أيكما ! وذكرُ كما الشورى وقد وضح الفجر^(٤)
(شرح ابن أبي الحديد م ١ : ص ٢٥٨)

٣٩٥ — كتاب معاوية إلى ابن عمر

وكتب معاوية إلى عبد الله بن عمر كتاباً خاصاً دون كتابه إلى
أهل المدينة :

« أما بعد : فإنه لم يكن أحد من قريش أحبَّ إلى أن يجتمع الناس عليه
بعد قتل عثمان منك ، فذكرتُ خذلك إياه ، وطعنك على أنصاره ، فتغيّرتُ
لك ، وقد هوّن ذلك على خلافك علياً^(٥) وطعنك عليه ، ومحا عنك بعض
ما كان منك ، فأعنا يرحمك الله على حق هذا الخليفة المظلوم ، فإنني لست

(١) الفسر : الفهر . (٢) انظر ص ٣٣٤ ، وتحمل : ارتحل وذهب .

(٣) البعث : الرسول ، وهو فعل بمعنى مفعول ، وباخت النار : سكنت .

(٤) لله دره ، كلمة يقال لمن يتعجب منه ، والدر : اللين ، والمراد هنا اللين الذي ارتضعه من ثدى أمه ، وأضـيف إلى الله تعالى تشريفاً ، أى أن اللين الذي تغذى به يستحق أن ينسب إلى الله تعالى لشرفه وعظمه ، وقيل : معناه الله الذى أَرْضَعَهُ وهو قريب من الأول ، والدر أيضاً العمل والنفس ، أى أن عمله عظيم جليل جدير به أن يضاف إلى الله تعالى ، أو أن نفسه شريفة كريمة كذلك .

(٥) قال الطبرى (ج ٥ : ص ١٥٤) « وبايع الناس علياً بالمدينة ، وتربص سبعة نفر فلم يبايعوه منهم سعد بن أبي وقاص ، ومنهم ابن عمر ، وصهيب ، وزيد بن ثابت ، ومجد بن مسلمة ، وسلمة بن وقش ، وأسامة بن زيد » .

أريد الإمارة عليك ، ولكنى أريدها لك ، فإن أنت أيتت كانت شورى بين المسلمين » . (الإمامة والسياسة ١ : ٧٥ ، وشرح ابن أبي الحديد ١ ص ٢٦٠)

٣٩٦ - رد ابن عمر على معاوية

فكتب إليه عبد الله بن عمر :

« أما بعد : فإن رأى الذى أطعك فى هو الذى صيرك إلى ما صيرك إليه ، تركتُ عليًا فى المهاجرين والأنصار ، وتركتُ طلحة والزبير وعائشة وأتبعك ؟ وأما قولك إنى طعنتُ على عليٍّ ، فلمرى ما أنا كعلى فى الإسلام والهجرة ومكانه من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولكن أحدث أمرًا لم يكن إلينا فيه من رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد ، ففزعْتُ إلى الوقوف ، وقلتُ : إن كان هذا هُدًى ، ففضِّلْ تركته ، وإن كان ضلالة ، فشرِّ منه لنجوتُ ، فأغنِ عنى نفسك ، والسلام » .

(الإمامة والسياسة ١ : ٧٦ ، وشرح ابن أبي الحديد ١ : ص ٢٦٠)

٣٩٧ - كتاب معاوية إلى سعد بن أبي وقاص

وكتب معاوية إلى سعد بن أبي وقاص ، يدعوهُ إلى القيام معه فى دم عثمان :

« سلام عليك ، أما بعد : فإن أحقَّ الناس بنُصرة عثمان أهل الشورى من قريش ، الذين أثبتوا حقَّه واختاروه على غيره ، وقد نصره طلحة والزبير ، وهما شريكاك فى الأمر والشورى ، ونظيراك فى الإسلام ،

وخفتَ لذلك أم المؤمنين ، فلا تكررهن مَارَضُوا ، ولا تردنَّ ما قبلوا ، وإنما نريد أن نردّها شورى بين المسلمين ، والسلام .

العقد الفريد ٢ : ٢٣٥ ، والإمامة والسياسة ١ : ٧٦ ، وشرح ابن أبي الحديد م ١ : ص ٢٦٠

٣٩٨ - رد سعد على معاوية

فأجابه سعد :

« أما بعد ، فإن عمر رضى الله عنه لم يُدْخِل في الشورى إلا من تحلّ له الخلافة ، فلم يكن أحد منا أولى بها من صاحبه إلا باجتماعنا عليه ، غير أن علياً كان فيه ما فينا ولم يكن فينا ما فيه ، ولو لم يطلبها ولزم بيته لطلّبتّه العرب ولو بأقصى اليمن ، وهذا الأمر قد كرّهنا أوّلّه وكرهنا آخره ، وأما طلحة والزبير فلو لزمنا بيوتهما لكان خيراً لهما ، والله يغفر لأم المؤمنين ما أتت ، والسلام . »

العقد الفريد ٢ : ٢٣٥ ، وشرح ابن أبي الحديد م ١ : ص ٢٦٠



وفي رواية الإمامة والسياسة :

فكتب إليه سعد : « أما بعد فإن أهل الشورى ليس منهم أحد أحق بها من صاحبه ، غير أن علياً كان من السّابقة ، ولم يكن فينا ما فيه ، فشاركنا في محاسننا ولم نشاركه في محاسنه ، وكان أحقنا كلنا بالخلافة ، ولكن مقادير الله تعالى التي صرقتها عنه حيث شاء لعلمه وقدره ، وقد علمنا أنه أحقُّ بها منا ، ولكن لم يكن بُدّ من الكلام في ذلك والتشاجر فدعَ ذا ، وأما أمرُك يامعاوية فإنه أمر كرّهنا أوّلّه وآخره ، وأما طلحة والزبير فلو لزمنا بيعتهما لكان خيراً لهما ، والله تعالى يغفر لعائشة أم المؤمنين . »

الإمامة والسياسة ١ : ٧٦

٣٩٩ - كتاب معاوية إلى محمد بن مسلمة الأنصاري

وكتب معاوية إلى محمد بن مسلمة الأنصاري - وكان فارس الأنصار
وذا النجدة فيهم - :

« أما بعدُ : فإنني لم أكتب إليك وأنا أرجو مبايعتك ، ولكنني أردت
أن أذكرك النعمة التي خرجت منها ، والشك الذي صرّت إليه ، إنك كنت
فارس الأنصار وعدّة المهاجرين ، وقد ادّعت على رسول الله صلى الله عليه
وسلم أمراً لم تستطع أن تمضيه عليه ، وهو أنه نهاك عن قتال أهل القبلة . أفلا
نهيّت أهل القبلة عن قتال بعضهم بعضاً ؟ فقد كان عليك أن تكره لهم
ما كره رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ألم تر عثمان وأهل الدار^(١) من أهل
القبلة ؟ فأما قومك الأنصار فقد عصوا الله تعالى ، وخذّلوا عثمان ، والله سائلهم
وسائلك عن الذي كان يوم القيامة والسلام . »

(الامامة والسياسة ١ : ٧٦ ، وشرح ابن أبي الحديد ١ : ص ٢٦٠)

٤٠٠ - رد ابن مسلمة على معاوية

فكتب إليه ابن مسلمة :

« أما بعدُ : فقد اعتزل هذا الأمر من ليس في يده من رسول الله صلى
الله عليه وسلم مثل الذي في يدي ، وقد أخبرني رسول الله بالذي هو كائن
قبل أن يكون ، فلما كان كسرتُ سيفي ، ولزمتُ بيتي ، وأتّهمت الرأي

(١) هم الذين تسوّروا الدار على عثمان وقتلوه .

على الدين ، إذ لم يَصِحَّ لى معروف أمْرُ به ، ولا مُنكر أنْهى عنه ، ولعمري
يا معاوية ما طلبتَ إلا الدنيا ، ولا أتبعْتَ إلا الهوى ، ولئن كنت نصرت
عثمان ميثًا ، لقد خذَلته حيًّا ، ونحن ومَنْ قَبَلنا من المهاجرين والأنصار
أولَى بالصواب .

(الامامة والسياسة ١ : ٧٧ ، وشرح ابن أبي الحديد ١ : ص ٢٦٠)

٤٠١ - كتاب معاوية إلى أبي أيوب الأنصارى

وروى ابن أبي الحديد قال :

كتب معاوية إلى أبي أيوب خالد بن زيد الأنصارى - وكان سيداً
معظماً من سادات الأنصار ، وكان من شيعة عليّ عليه السلام - كتاباً :
سطراً واحداً ، وهو :

« حاجيتك^(١) : لا تنسى الشيباء أبا عُذرِها^(٢) ، ولا قاتِلَ بَكْرِها »
فلم يدر أبو أيوب ما هو ؟ فأتى به عليّاً عليه السلام فقال : يا أمير المؤمنين إن
معاوية كهف المنافقين كتب إلى بكتاب لا أدري ما هو ؟ قال عليّ : فأين
الكتاب ؟ فدفعه إليه فقرأه وقال : « نعم ، هذا مثل ضربه لك ، يقول :
لا تنسى الشيباء أبا عُذرِها ، والشيباء : المرأة البكر ليلة افتضاضها^(٣) ،

(١) حاجاه : فاطنه أى باراه فى الفطنة .

(٢) العذر بالضم : البكرة ، وافتضاض الجارية ، ويقال : فلان أبو عذر فلانة وأبو عذرتها : إذا
كان افترعها وافتضاها (بالفاء وبالغاف) .

(٣) وحاء فى لسان العرب فى مادة شيب : « وكانت العرب تقول للبكر إذا زفت إلى زوجها فدخل بها ولم
يفترعها ليلة زفافها : باتت بليلة حرة (بالاضافة) وإن افترعها تلك الليلة قالوا : باتت بليلة شيباء
(بالاضافة أيضا) وقيل : ياء شيباء بدل من واو لأن ماء الرجل شاب ماء المرأة ، غير أنا لم نسمعهم
قالوا بليلة شوباء ، جعلوا هذا بدلاً لازماً كعيد وأعياد » وقال أيضا فى مادة شوب : « وباتت المرأة

لا تنسى بعلها الذي اقترعها أبداً ، ولا تنسى قاتل بكرها وهو أول ولدها ،
كذلك لا أنسى أنا قتل عثمان .

وروى أن معاوية كتب في أسفل كتابه إلى أبي أيوب :

أَبْلِغْ لَدَيْكَ أبا أَيُّوبَ مَأْلُكَةً أَنَا وَقَوْمُكَ مِثْلَ الذَّنْبِ وَالنَّقْدِ^(١)
إِمَّا قَتَلْتُمْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَلَا
إِنْ الَّذِي نِلْتُمُوهُ ظَالِمِينَ لَهُ
إِنِّي حَافِتٌ يَمِينًا غَيْرَ كَاذِبَةٍ
لَا تَحْسَبُوا أَنِّي أَنْسَى مُصِيبَتَهُ
قَدْ أَبَدَلَ اللَّهُ مِنْكُمْ خَيْرَ ذِي كَلْعٍ
إِنْ الْعِرَاقَ لَنَا فَقَعْ بِقِرْقَرَةٍ
وَالشَّامُ يَنْزِلُهَا الْأَبْرَارُ ، بَلَدُهَا
أَبَقْتُ حَزَازَتُهُ صَدْعًا عَلَى كَبِدِي^(٢)
لَقَدْ قَتَلْتُمْ إِمَامًا غَيْرَ ذِي أَوْدٍ^(٣)
وَفِي الْبِلَادِ مِنَ الْأَنْصَارِ مِنْ أَحَدٍ
وَالْيَحْصَبِيِّينَ أَهْلَ الْجَوْفِ وَالْجَنْدِ^(٤)
أَوْ شَحْمَةَ بَزَّهَا شَاوٍ وَلَمْ يَكْدِ^(٥)
أَمْنٌ ، وَبَيَضَتْهَا عَرِيْسَةُ الْأَسَدِ^(٦)
(شرح ابن أبي الحديد م ٢ : ص ٢٨٠)

بليلة شباء : قيل إن الباء فيها مفاعلة (بكسر القاف) ، وإنما هو من الواو لأن ماء الرجل خالط ماء المرأة » ويقال باتت بليلة شباء ، وباتت بليلة الشبابة .

(١) المألكة بضم اللام وفتح : الرسالة ، والنقد : جنس من الغنم قبيح الشكل .

(٢) الحزازة : وجع في القلب من غيظ ونحوه ، والصدع : الشق .

(٣) الأود : الأعوجاج ، وفعله كفرح .

(٤) يعني بنى كلم ذاك الكلاع (كسحاب) الحميري ، وكان من أعظم أصحاب معاوية شأنًا وقدرا وهو ذو الكلاع الأصغر سميفع بن ناكور بن عمرو بن يعفر بن ذى الكلاع الأكبر يزيد بن النعمان وهما من أدواء اليمن ، ويحصب مثاث الصاد : حى باليمن ، والنسب إليه يحصى مثاث الصاد أيضا ، والجوف بالميم : موضع بناحية عمان ، وكذا الحوف بالحاء (وفي الأصل بالحاء وهو تصحيف) والجند : بلد باليمن .

(٥) الفقع بالفتح وبكسر : البيضاء الرخوة من الكمأة ، والقرقرة : أرض مطمئنة لينة كالقرقر ويقال للذليل : « هو أذل من فقع بقرقرة » لأنه لا يمتنع على من اجتناءه ، أو لأنه يوطأ بالأرجل ، وبزها : نزعها وأخذها بجفاء وقهر ، وشاو : اسم فاعل من شوى اللحم (والشاوى أيضا صاحب الشاة) . (٦) البيضة : حوزة كل شيء وساحة القوم ، والعريس والعريسة : مأوى الأسد .

٤٠٢ - رد أبي أيوب على معاوية

فكتب أبو أيوب إلى معاوية :

« أما بعدُ : فإنك كتبتَ « لا تنسى الشيباء أبا عذرهما ، ولا قاتل بكرها » فضربتها مثلاً بقتل عثمان ، وما نحن وقتل عثمان ؟ إن الذي تربص بعثمان ، وثبط يزيد بن أسدٍ وأهل الشام عن نصرته لأنت^(١) ، وإن الذين قتلوه لغير الأنصار . »

وكتب في آخر كتابه :

لا تُوعِدْنَا ابنَ حربٍ ، إِنَّا نَفَرٌ لا نبتغي وُدَّ ذِي البَغْضَاءِ مِنْ أَحَدٍ
واسموا جميعاً بني الأحزاب كلَّكم
نحن الذين ضربنا الناس كلَّهم
والعام قصرُك منا إن ثبتَّ لنا
أما عليٌّ فإننا لا نُفَارِقُهُ
إِذَا تَبَدَّلْتَ مِنَّا بَعْدَ نُصْرَتِنَا
لا يعرفون (أضلَّ الله سعيهم)
فقد بنى الحقَّ هضماً شرَّ ذى كلعٍ
فلما أتى معاوية كتاب أبي أيوب كسره .

(شرح ابن أبي الحديد م ٢ : ص ٢٨١)

(١) انظر ص ٣١٤ . (٢) يزيل : يفرق .

(٣) الآل : السراب ، أو خاص بما في أوَّل النهار ، ويؤث ، ورف لونه كضرب : برق وتلألأ وفي الأصل « مارفرف الآل » من رفر ف الطائر إذا حرك جناحيه ، والمعنى عليه صحيح على الجاز ، والأظهر عندى أنه « مارفت الآل » كما أورده ، والدو والدوية والداوية ويخفف : القلاة ، والجرد : قضاء لا نبت فيه .

(٤) طراً : جميعاً ، وجاء في أمثال العرب « هو أذل من بيضة البسلة » وهي بيضة تتركها النعامة



وروى ابن قتيبة في الإمامة والسياسة قال :
وكتب معاوية إلى أبي أيوب الأنصاري - وكان أشد الأنصار على
معاوية - : « أما بعدُ : فإنِّي نَسِيتُك ما لا تَنْسَى الشَّيْبَاءَ » .
فلما قرأ كتابه أتى به عليًّا ، فأقرأه إياه ، قال علي : يعني بالشيباء المرأة
الشَّمْطاء لا تَنْسَى كُلَّ ابْنِهَا^(١) ، فأنا لا أنسى قتل عثمان .
فكتب إليه أبو أيوب :

« إنه لا تَنْسَى الشَّيْبَاءَ كُلَّ وَلَدِهَا ، وضربتها مَثَلًا لقتل عثمان ، فما
نحن وقتلةُ عثمان ؟ إن الذي تربَّصَ بعثمان ، وثبَّطَ أهل الشام عن نُصْرته
لأنت ، وإن الذين قتلوه غير الأنصار ، والسلام » .
(الإمامة والسياسة ١ : ٨٢)

في الفلاة فلا تحضنها ، فتبقى تركة بالفلاة ، وهي من الأضداد تستعمل مدحا وذما ، يقولون للرجل الكريم
هو بيضة البلد ، يمدحونه ، ويقولون للآخر : هو بيضة البلد ، يذمونه ، فإذا ذم بها فهي التي قد
خرج الفرخ منها ورمى بها الظليم ، فتقع في البلد ثم يمدحها الناس والإبل ، ومن ذلك قول الراعي
يهجو ابن الرقاع العاقل :

لو كنت من أحد يهجو هجوتكم يا ابن الرقاع ولكن لست من أحد
تأبى قضاة أن تعرف لكم نسا وانا نزار فأنتم بيضة البلد
(وأن تعرف بالجزم على لغة من يحزم بأن المصدرية) وإذا مدح بها فهي التي فيها الفرخ ، لأن الظليم
حينئذ يصونها ويوقها الأذى ، والمعنى على المدح أن ذلك الرجل هو واحد البلد الذي يجتمع إليه ،
ويقبل قوله ، أو هو فرد ليس أحد مثله في شرفه

(١) هذا ما رواه ابن قتيبة ، وقد جاء في لسان العرب : « ويقال : رجل أشيب ، ولا يقال
امرأة شيباء ، لا تمتع به المرأة ، اكتفوا بالشمطاء عن الشيباء ، وقد يقال شاب رأسها » وفي
القاموس المحيط « وهو أشيب ولا فعلاء له » والشكل : الفقد .

٤٠٣ - كتاب شرحبيل بن السمط إلى معاوية

وروى ابن قتيبة في الإمامة والسياسة : أن معاوية دعا أهل الشام إلى الطلب بدم عثمان ، فقاموا إليه فقالوا : هو ابن عمك وأنت وليه ، ونحن الطالبون معك بدمه ، فبايعوه أميراً عليهم ، وكتب وبعث الرسل إلى كور الشام ، وكتب إلى شرحبيل بن السمط الكندي ، وهو بمحص أن يبايع له بمحص كما بايع أهل الشام ، فقال شرحبيل : هذه سقطة ، ولكننا نبايع له بالخلافة ، ولا نطلب بدم عثمان مع غير خليفة ، فبايع لمعاوية بالخلافة هو وأهل حمص ، ثم كتب إليه :

« أمّا بعدُ : فإنك أخطأت خطأ عظيماً حين كتبتَ إليّ أن أبايع لك بالإمرة ، وأنت تريد أن تطلب بدم الخليفة المظلوم ، وأنت غير خليفة ، وقد بايعتُ ومن قبلي لك بالخلافة » .

فلما قرأ معاوية كتابه سرّه ذلك ، وأخبر الناس بما قال شرحبيل ، ودعاهم إلى بيعته بالخلافة ، فأجابوه ولم يتخلف منهم أحد^(١) .

(الإمامة والسياسة ١ : ٦٢)

(١) الوارد في تاريخ الطبري أن عمرو بن العاص بعد أن خدع أبا موسى الأشعري في مجلس التحكيم انصرف هو وأهل الشام إلى معاوية وسلموا عليه بالخلافة (انظر ج ٦ : ص ٤٠) .
وروى أيضاً : أن أهل الشام لما انصرفوا من صفين ، كانوا ينتظرون ما يأتي به الحكماء ، فلما انصرفوا وتفرقوا ، بايع أهل الشام معاوية بالخلافة ولم يزد إلا قوة (ج ٦ : ص ٥٥) وفي مروج الذهب أن عمرا بعد فشل التحكيم رجع إلى الشام ، وأحضر معاوية الخوارج من أهل الشام ، فقال لهم عمرو : قد رأيت أن أبايع معاوية ، فلم أر أحداً أقوى على هذا الأمر منه ، فبايعه أهل الشام ، وانصرف إلى منزله خليفة - انظر ج ٢ : ص ٣٥ .

٤٠٤ - كتاب معاوية إلى علي

قال ابن قتيبة : فلما بايع القوم له بالخلافة ، واستقام له الأمر ، كتب إلى علي :

« سلام الله على من اتبع الهدى .

أما بعد : فإننا كنا نحن وإياكم يداً جامعة ، وألفَةً أليفةً ، حتى طمعت يا بن أبي طالب ، فتغيرت وأصبحت تعدُّ نفسك قويا على من عاداك بِطَغَامٍ^(١) أهل الحجاز ، وأوباش أهل العراق ، وحمقى الفُسطاط^(٢) ، وغوغاء السَّواد ، وأيم الله لينجلينَّ عنك حمقها ، ولينقشعنَّ عنك غوغاؤها انقشاع السَّحاب^(٣) عن السماء .

قتلت عثمان بن عفان ، ورقيت سُلماً أطلعتك الله عليه مُطلع سوء عليك لالك ، وقتلت الزبير وطلحة ، وشردت أمك عائشة ، ونزلت بين المصيرين فنييت وتمنييت ، وخيّل لك أن الدنيا قد سُخرت لك بخيلها ورجلها^(٤) ، وإنما تعرفُ أمنيَّتكَ ، لو قد زرتك في المهاجرين من أهل الشام بقيّة الإسلام ، فيحيطون بك من ورائك ، ثم يقضي الله علمه فيك والسلام على أولياء الله . (الإمامة والسياسة ١ : ٦٢)

(١) الطغام : أوغاد الناس .

(٢) الفسطاط : علم مصر العتيقة التي بناها عمرو بن العاص ، يعني مصر .

(٣) انقشع السحاب : انكشف . (٤) رجل : جمع راجل ، وهو ضد الفارس .

٤٠٥ - رد على معاوية

فأجابه على :

« أما بعد ، فقدّر الأمور تقديرَ مَنْ ينظر لنفسه دُونَ جُنْدِهِ ، ولا يشتغل بالهَزْل من قوله ، فلمرى لئن كانت قوّتى بأهل العراق أوثق عندى من قوتى بالله ومعاونتى به ، ليس^(١) عند مَنْ كان على هذا بالله تعالى يقين ، فَنَاجِ نفسك مناجاةً مَنْ يستغنى بالجِدِّ دُونَ الهَزْلِ ، فَإِنْ فى القول سَعَةً ، وَلَنْ يُعْذَرَ مِثْلُكَ فيما طَمَحَ إليه الرجال .

وأما ما ذكرت من أنا كنا وإياكم يداً جامعة ، فكنا كما ذكرت ، ففرّق بيننا وبينكم أن الله بعث رسوله ما فامّنا به وكفرتم ، ثم زعمت أنى قتلت طلحة والزبير ، فذلك أمرٌ غِيبَتْ عنه ولم تحضّره ، ولو حضّرت لعلّمتّه ، فلا عليك ، ولا العُذْرُ فيه إليك ، وزعمت أنك زائرى فى المهاجرين ، وقد انقطعت الهجرة حين أُسِرَ أخوك^(٢) ، فَإِنْ كَانَ فيك عَجَلٌ فَاسْتَبْقِهِ ، وَإِنْ أَرُوكَ فحذّروا أن يكون الله بعثنى عليك للنقمة منك ، والسلام .

(الامامة والسياسة ١ : ٦٢)

وروى هذان الكتابان بصورة أخرى ، وهاكها :

(١) جملة ليس جواب القسم ، وبالله متعلق يقين ، وفى الأصل : « ليس عند الله تعالى يقين من كان على هذا » وهى عبارة مضطربة ، وقد أصلحتها كما ترى

(٢) فى الأصل « أبوك » وهو تحريف ، يعنى أخاه يزيد بن أبى سفيان ، أسر يوم فتح مكة فى باب الخدمة ، وكان خرج فى نفر من قريش يحاربون ويعنون المسلمين من دخول مكة ، فقتل منهم قوم وأسرى يزيد ، أسره خالد بن الوليد ، فخلصه أبو سفيان منه وأدخله داره فأمن ، لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يومئذ : من دخل دار أبى سفيان فهو آمن ، والمعنى : ليس معك مهاجر ، لأن أكثر من معك ممن رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم هم أبناء الطلقاء ومن أسلم بعد الفتح ، وقد قال عليه السلام « لا هجرة بعد الفتح » .

٤٠٦ - كتاب معاوية إلى عليّ

روى ابن أبي الحديد قال :

كتب معاوية إلى عليّ :

« من معاوية بن أبي سفيان إلى عليّ بن أبي طالب :

أما بعدُ : فإنّا بنى عبد منافٍ لم نزل من قلبٍ^(١) واحد ، ونجّرى في حلبةٍ واحدة ، ليس لبعضنا على بعض فضل ، ولا لقاءنا على قاعدنا فخر ، كلّمنا مؤتلفة ، وأفتنّا جامعة ، ودارنا واحدة ، يجمعنا كرمُ العرق^(٢) ، ويخويننا شرفُ النّجار ، ويحنو قوينا على ضعيفنا ، ويؤاسى غنيّنا فقيرنا ، قد خلصت قلوبنا من غلّ الحسد ، وطهرت أنفسنا من خُبث النّية ، فلم نزل كذلك حتى كان منك ما كان من الإذهان^(٣) في أمر ابن عمك والحسد له ، وتضريب^(٤) الناس عليه ! حتى قُتل بمشهد منك لا تدفعُ عنه بلسان ولا يد ، فليتكَ أظهرت نصره حيث أسرّرت خترة^(٥) ، فكنت كالمُتعلّق بين الناس بُعدر وإن ضعُف ، والمتبرّي من دمه بدفع وإن وهنَ ، ولكنك جلست في دارك تدسُّ إليه الدواهي ، وترسِل إليه الأفاعي ، حتى إذا قضيتَ وطرك^(٦) منه أظهرت شماتةً ، وأبديتَ طلاقاً ، وحسّرت^(٧) للأمر عن ساعدك ، وشمّرتَ عن ساقك ، ودعوتَ الناس إلى نفسك ، وأكرهت أعيان المسلمين على بيعتكَ .

(١) القلب : البئر ، والمعنى : من أصل واحد ، والحلبة : الخيل تجتمع للسباق .

(٢) العرق : أصل كل شيء ، والنجار : الأصل أيضا .

(٣) الإذهان : الغش وإظهار خلاف ما يضر ، وعنى بابن عمه عثمان .

(٤) التضريب بين الناس : الاغراء . (٥) الحتر : الغدر والخديعة ، أو أقبح الغدر .

(٦) الوطر : الحاجة . (٧) حسر عن ساعده : كضرب : كشف .

ثم كَانَ مِنْكَ بَعْدُ مَا كَانَ مِنْ قَتْلِكَ شَيْخِي الْمُسْلِمِينَ أَبِي مُحَمَّدٍ طَلْحَةَ ،
وَأَبِي عَبْدِ اللَّهِ الزَّيْبِرَ ، وَهُمَا مِنَ الْمَوْعُودِينَ بِالْجَنَّةِ ، وَالْمُبَشَّرَ قَاتِلُ أَحَدَهُمَا^(١) بِالنَّارِ
فِي الْآخِرَةِ ، هَذَا إِلَى تَشْرِيدِكَ^(٢) بِأَمِّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ ، وَإِحْلَالِهَا مَحَلًّا
الْهُونِ^(٣) ، مُبْتَذَلَةً بَيْنَ أَيْدِي الْأَعْرَابِ ، وَفَسَقَةَ أَهْلِ الْكُوفَةِ ، فَمِنْ بَيْنِ
مُتَنَهِّرٍ^(٤) لَهَا ، وَبَيْنَ شَامِتٍ بِهَا ، وَبَيْنَ سَاخِرٍ مِنْهَا ، تَرَى ابْنَ عَمِّكَ كَانَ
بِهَذِهِ الْعَوْرَاءِ^(٥) رَاضِيًا ؟ أَمْ كَانَ يَكُونُ عَلَيْكَ سَاخِطًا ، وَلَاكَ عَنْهُ زَاجِرًا أَنْ
تُوْذِيَ أَهْلَهُ ، وَتَشْرُدَ بِحَلِيلَتِهِ ، وَتَسْفِكَ دِمَاءَ أَهْلِ مِلَّتِهِ !

ثم تركك دار الهجرة التي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها :
« إِنْ الْمَدِينَةَ لَتَنْفِي خَبَبَهَا ، كَمَا يَنْفِي الْكَبِيرُ خَبَثَ الْحَدِيدِ^(٦) » فلعمرى لقد
صَحَّ وَعْدُهُ ، وَصَدَّقَ قَوْلُهُ ، وَلَقَدْ نَفَتْ خَبَبَهَا ، وَطَرَدَتْ عَنْهَا مَنْ لَيْسَ بِأَهْلٍ
أَنْ يَسْتَوْطِنَهَا ، فَاقْتَتَ بَيْنَ الْمَصْرَيْنِ ، وَبَعُدَتْ عَنْ بَرَكَاتِ الْحَرَمَيْنِ ، وَرَضِيَتْ
بِالْكُوفَةِ بَدَلًا مِنَ الْمَدِينَةِ ، وَبِمَجَاوِرَةِ الْخَوَزَنْقِ وَالْحِيرَةِ ، عِوَضًا عَنْ مَجَاوِرَةِ
خَاتَمِ النُّبُوَّةِ .

(١) هو الزبير بن العوام ، وذلك أنه لما انهزم أصحاب عائشة يوم الجمل ، انصرف الزبير حتى آتى
وادي السباع ، فقبضه عمرو بن جرموز فقتله في الصلاة وآتى عليا بسيفه فقال علي : سيف طالما جلى
السُّرْبَ عَنْ وَجْهِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، لَكِنَّهُ الْحَيْنَ وَمِصَارِعَ السُّوءِ ، وَبَشَرَ قَاتِلَ ابْنِ
صَفِيَّةٍ بِالنَّارِ ، قَالَ ابْنُ أَبِي الْحَدِيدِ « وَقَوْلُهُ : بَشَرَ قَاتِلَ ابْنِ صَفِيَّةٍ بِالنَّارِ ، اخْتَلَفَ فِيهِ قَوْمٌ مِنْ
مَنْ أَرَبَابِ السِّيَرِ وَعُلَمَاءِ الْحَدِيثِ هُوَ كَلَامُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ غَيْرِ مَرْفُوعٍ ، وَقَوْمٌ مِنْهُمْ جَعَلُوهُ
مَرْفُوعًا ، وَعَلَى كُلِّ حَالٍ فَهُوَ حَقٌّ لِأَنَّ ابْنَ جَرْمُوزٍ قَتَلَهُ مَوْلِيَا خَارِجًا مِنَ الصَّفِّ مَفَارِقًا لِلْحَرْبِ ، فَقَدْ
قَتَلَهُ عَلَى تَوْبَةٍ وَإِنَابَةٍ وَرَجُوعٍ عَنِ الْبَاطِلِ ، وَقَاتَلَ هَذِهِ حَالَهُ فَاسَقٍ مُسْتَحِقٌّ لِلنَّارِ » .

(٢) شَرَدَهُ : طَرَدَهُ ، وَشَرَّدَ بِهِ : سَمِعَ بِسُوءِهِ .

(٣) الْهُونُ : الذِّلُّ . (٤) انْتَهَرَهُ وَنَهَرَهُ : زَجَرَهُ .

(٥) الْعَوْرَاءُ : الْفَعْلَةُ (وَالْكَلِمَةُ) الْفَيْحَةُ ، وَيَعْنِي بِابْنِ عَمِّهِ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،
وَحَلِيلَتَهُ : زَوْجَتَهُ ، يَعْنِي عَائِشَةَ .

(٦) كَبِيرُ الْحَدَادِ : مَنَافَخُهُ ، وَخَبَثُ الْحَدِيدِ : مَا نَفَاهُ الْكَبِيرُ مِنْهُ ، وَهُوَ مَا لَا خَيْرَ فِيهِ .

ومن قبل ذلك ما عيّنت خليفتي رسول الله صلى الله عليه وسلم أيام حياتهما ، فقعدت عنهما ، وألبت^(١) عليهما ، وامتنعت من بيعتهما ، ورُمّت أمراً لم يترك الله تعالى له أهلاً ، ورقيت سلماً وعرّاً ، وحاولت مقاماً دحضاً^(٢) ، وادّعت ما لم تجد عليه ناصرّاً ، ولعمري لو وليتها حينئذ لما ازدادت إلا فساداً واضطراباً ، ولا أعقبت ولا يتكها إلا انتشاراً وارتداداً ، لأنك الشامخ بأنفه ، الزاهب بنفسه ، المستطيل على الناس بلسانه ويده .

وهأنذا سائر إليك في جمع من المهاجرين والأنصار ، تحفهم سيوف شامية ، ورماح قحطانية ، حتى يُحاكموك إلى الله ، فانظر لنفسك والمسلمين ، وادفع إلى قتلة عثمان ، فإنهم خاصتكم وخلصاؤكم^(٣) والمُحدقون بك ، فإن أبيت إلا سلوك سبيل اللجاج والإصرار على النفي والضلال ، فاعلم أن هذه الآية إنما نزلت فيك ، وفي أهل العراق معك : « وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا

(١) التأليب : التحريض . (٢) مكان دحض بالفتح ويحرك : زانق .

(٣) الخلاء : جمع خلص بالكسر تكون ، وهو الصاحب .

وأنت إذا تدبرت هذا الكتاب وجدت أسلوبه أسلوب مغالطة في إلصاق هذه التهم بعلی ، فإن علياً لم يقتل طلحة والزبير ، وإنما قتل في خروجهما عليه ، ولم يشرد بعائشة بل هي شردت بنفسها ، وخرجت إلى البصرة لطلب بدم عثمان فتعرضت لما نالها ، على أن علياً بعد أن هزم أصحابها أمر أخاها محمد بن أبي بكر أن يضرب عليها قبة ، وقال : انظر هل وصل إليها نبي ، من جراحة ؟ فوجدها سليمة لم تصب بشيء ، ثم جاءها فقال : كيف أنت يا أمه ؟ قالت : بخير يغفر الله لك . قال : ولك ، ثم جهزها بكل ما ينبغي لها من مركب أو زاد أو متاع ، واختار لها أربعين امرأة من نساء أهل البصرة المعروفات يرافقنها إلى المدينة ، وقال : تجهز يا محمد قبلتها ، وشيعها هو أميلاً ، وسرح بنيه معها يوماً ، والعجب كل العجب أن يضم علياً بتركه دار الهجرة ، وأن يقول له إن المدينة قد نفتكت عنها لأنك خبت ، مع أن هذا القول مردود عليه هو ، فقد نفي المدينة عنها منذ ولي الشام من عهد عمر فهل هو إذن خبت ! وكذلك طلحة والزبير وعائشة الذين خرجوا إلى البصرة ، والذين يتعصب لهم ويحتج بهم ! والسلام في ذلك طويل نجزي* منه بهذا القدر اليسير .

قَرِيَّةٌ كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ .

(شرح ابن أبي الحديد م ٤ : ص ٢٠١)

٤٠٧ - رد علي معاوية

وروى الشريف الرضي رحمه الله أن عليًا عليه السلام كتب إلى معاوية

جوابا عن كتابه :

« أما بعدُ : فإننا كنا نحن وأنتم على ما ذكرت من الألفة والجماعة ، ففرّق بيننا وبينكم أمْسِ أُنَا آمَنَّا وكفرتُم ، واليومَ أُنَا استقمنا وفُتِنْتُم ، وما أسلم مُسْلِمُكُمْ إِلَّا كَرُّهَا^(١) ، وبعد أن كان أنْفُ^(٢) الإسلام كله لرسول الله

(١) خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة ثمان لفتح مكة في جيش عدته عشرة آلاف مقاتل ، ومضى حتى نزل مر الظهران ، فأمر أصحابه أن يوقدوا النار ، وبعث قريش أبا سفيان وحكيم ابن حزام وبديل بن ورقاء يتجسسون الأخبار ، وسمع العباس بن عبد المطلب أبا سفيان ، وهو يقول لبديل : ما رأيت كالليلة نيرانا قط ولا عسكرا ، فعرف صوته ، فقال له : والله لئن ظفر بك ليضربن عنقك ، فأركب عجز هذه البغلة حتى آتي بك رسول الله فأستأمنه لك ، فركب خلفه ورجع صاحبا ، حتى مرّ به عمر بن الخطاب ، فلما رآه على عجز البغلة ، قال : أبو سفيان عدو الله ! الحمد لله الذي أمكن منك بغير عقد ولا عهد ، وخرج يشتد نحو رسول الله ، وقال له : دعني فلا ضرب عنقه ، فقال العباس : يا رسول الله إني قد أجرته ، وأكثر عمر في شأنه ، فقال رسول الله : اذهب به يا عباس إلى رحلك ، فإذا أصبحت فأنتي به ، فلما أصبح غدا به إلى رسول الله ، فقال له : ويحك يا أبا سفيان ! ألم يأن لك أن تعلم أن لا إله إلا الله ؟ قال : بآني أنت ما أحلمك وأكرمك وأوصلك ، والله لقد ظننت أن لو كان مع الله إله غيره لقد أغنى عني شيئا بعد ، قال : ويحك يا أبا سفيان ! ألم يأن لك أن تعلم أني رسول الله ؟ قال : بآني أنت وأمي ما أحلمك وأكرمك وأوصلك ، أما هذه والله فإن في النفس منها حتى الآن شيئا بعد ، فقال له العباس : ويحك ! أسلم واشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله قبل أن تضرب عنقك ، فتشهد وأسلم ، فقال العباس : يا رسول الله إن أبا سفيان رجل يحب الفخر فاجعل له شيئا ، فقال : نعم ، من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ، ومن أغلق عليه بابه فهو آمن ، ومن دخل المسجد فهو آمن - انظر سيرة ابن هشام ٢ : ٢٦٧ وشرح ابن أبي الحديد م ٤ ص ٢٠٨ وقد أسلم معاوية يوم الفتح كما قدمنا .

(٢) أنف كل شيء : أوله ، أي وبعد أن كان من أسلم منكم محاربا لرسول الله طوال أوله

صلى الله عليه وآله حرباً .

وذكرت أنى قتلت طليحة والزبير ، وشردت بعائشة ، ونزلت المصيرين ،
وذلك أمر غبت عنه ، فلا عليك ، ولا العذر فيه إليك .

وذكرت أنك زأرى في المهاجرين والأنصار ، وقد انقطعت الهجرة
يوم أسر أخوك^(١) ، فإن كان فيك عجل فاستتر فيه^(٢) ، فإنى إن أزررك فذلك
جدير أن يكون الله إنما بعثى إليك للنقمة منك ، وإن ترزنى فسا قال أخو
بنى أسد :

مستقبلين رياح الصيف تضربهم بحاصب بين أغوار وجلمود^(٣)
وعندى السيف الذى أعضضته^(٤) بجذك وخالك وأخيك فى مقام واحد ،
وإنك والله - ما علمت الأغلف^(٥) القلب ، المقارب العقل ، والأولى أن يقال

الإسلام ، وقد كان أبوسفیان قائد الجيوش الغازية لرسول الله يوم أحد والخنديق ، وأنت هنا منصوب
على الظرفية واسم كان ضمير مستتر يعود على مسلمكم .

(١) هو يزيد بن أبى سفيان أسر يوم الفتح كما قدمنا « وقد أسر أيضا أخوه عمرو بن أبى سفيان
يوم بدر - انظر سيرة ابن هشام ٢ : ٣١ - ولكن ليس هو المراد هنا كما جاء فى تفسير الأستاذ
الشيخ محمد عبده ، لقوله وقد انقطعت الهجرة » . (٢) أى فكأن ذا رفاهية واسترح ولا ترهقن
نفسك بالعجل فلا بد من تلافينا ، فأى حاجة بك إلى أن تعجل ؟

(٣) ريح حاصب : أى تحمل الحصباء وهى صغار الحصى ، وأغوار : جمع غور بالفتح ، وهو ماسفل
من الأرض ، والجلمود : الصخر ، ولا يخفى أن ريح الصيف إذا كانت كذلك كانت شديدة اللفح
عظيمة الضرر ، والمعنى : وإن تغزونا نكونوا مستقبلين . الخ أى تعرضوا أنفسكم لأشد الأخطار .
(٤) يقال : أعضضته الشئ : جعلته يعضه ، وأعضضته سيقى : ضربته به ، فهزته للتعدية ،
وقوله : أعضضته بجذك أى جعلته يعضه ويضربه والباء فيه زائدة ، وقال ابن أبى الحديد : وأعضضته
أى جعلته معضوضا برءوس أهلك ، وأكثر ما يأتى أفعلته أن تجعله فاعلا ، وهو هنا من المقلوب أى
أعضضت رءوس أهلك به « وجده هو عتبة بن ربيعة جده لأمه ، وخاله الوليد بن عتبة ، وأخوه
حنظلة بن أبى سفيان ، قتلهم على يوم بدر .

(٥) الأغلف القلب : الذى لا بصيرة له كأن قلبه فى غلاف . مقارب العقل : ناقصه ضعيفه ، كأنه
يكاد يكون عاقلا وليس به .

لك إنك رَقِيتَ سُلَامًا أَطْلَعَكَ مُطْلَعٌ سَوْءٌ عَلَيْكَ لَا لَكَ ، لَأَنَّكَ نَشَدْتَ غَيْرَ ضَالَّتِكَ^(١) ، وَرَعَيْتَ غَيْرَ سَائَتِكَ ، وَطَلَبْتَ أَمْرًا لَسْتَ مِنْ أَهْلِهِ وَلَا فِي مَعْدِنِهِ ، فَمَا أَبْعَدَ قَوْلَكَ مِنْ فَعْلِكَ^(٢) ، وَقَرِيبُ مَا أَشْبَهْتَ^(٣) مِنْ أَعْمَامٍ وَأَخْوَالٍ حَمَلَتْهُمْ الشَّقَاوَةُ ، وَتَمَنَّى الْبَاطِلُ عَلَى الْجُحُودِ بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، فَضُرِعُوا مَصَارِعَهُمْ ، حَيْثُ لَمْ يَدْفَعُوا عَظِيمًا ، وَلَمْ يَمْتَنِعُوا حَرِيمًا ، بِوَقْعِ سُيُوفٍ مَا خَلَا مِنْهَا الْوَعْيُ ، وَلَمْ تُنَاشِهَا^(٤) الْهُوَيْنَى .

وَقَدْ أَكْثَرَتْ فِي قِتْلَةِ عُثْمَانَ ، فَادْخُلْ فِيمَا دَخَلَ فِيهِ النَّاسُ ، ثُمَّ حَاكِمِ الْقَوْمَ إِلَى ، أَتَحْمِلُكَ وَإِيَاهُمْ عَلَى كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى ، وَأَمَّا تِلْكَ الَّتِي تُرِيدُ فَإِنَّهَا خُدْعَةٌ الصَّبِيِّ عَنِ اللَّبَنِ (فِي أَوَّلِ الْفَصَالِ^(٥) ، وَالسَّلَامُ لِأَهْلِهِ) .

(نهج البلاغة ٢ : ٨٩)

٤٠٨ — كِتَابُ عَلِيٍّ إِلَى مُعَاوِيَةَ

وَكُتِبَ عَلَى عَلِيٍّ إِلَى مُعَاوِيَةَ :

« مِنْ عَبْدِ اللَّهِ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سَفْيَانَ :
أَمَّا بَعْدُ : فَإِنَّ الدُّنْيَا دَارُ تِجَارَةٍ ، وَرَبِّجُهَا أَوْ خُسْرُهَا الْآخِرَةُ ، فَالْسَّعِيدُ مَنْ كَانَتْ بِضَاعَتُهُ فِيهَا الْأَعْمَالُ الصَّالِحَةُ ، وَمَنْ رَأَى الدُّنْيَا بَعِينَهَا وَقَدَّرَهَا

(١) الضلالة : ما فقدته من مال ونحوه ، ونشد الضلالة : طلبها وعرفها ، والدائمة : المال الراعى ، والمعنى طابت ما ليس لك .

(٢) كان معاوية بادئ الأمر يزعم أنه إنما نهض للطلب بدم عثمان الذي قتل مظلوماً ، وأنه لن يكف حتى يقتل قتله ، ثم تكون الخلافة شورى بين المسلمين ، واسكنه كان يعمل لنيل الخلافة وتبوء عرشها .
(٣) ما مصدرية ، أى وقرب شبهك . (٤) لم تناشها : أى لم تصاحبها ، بل مضت مسرعة في الرؤوس والأعناق . (٥) الفصل : فطم المولود ، وما بين القوسين زائد في رواية ابن أبي الحديد

بقدرها ، وإني لأعظك مع علمي بسابق العلم فيك مما لا مردّ له دون نفاذه ، ولكن الله تعالى أخذ على العلماء أن يؤدّوا الأمانة ، وأن ينصّحوا الغويّ والرّشيد ، فاتّق الله ولا تكن ممّن لا يرجون لله وقاراً ، ومن حقّت عليه كلمة العذاب ، فإن الله بالمرصاد ، وإن دنياك ستدبر عنك ، وستعود حسرةً عليك ، فأقلع عما أنت عليه من الغي والضلال على كبر سنّك ، وفناء عمرك ، فإن حالك اليوم كحال الثوب المهمل^(١) الذي لا يصلح من جانب إلا فسّد من آخر .

وقد أزدت جيلاً^(٢) من الناس كثيراً خدعتهم بغيّك ، وألقيتهم في موج بحرك ، تغشاهم الظلمات ، وتلاطم بهم الشبهات ، فجأروا عن وجهتهم ونكصوا^(٣) على أعقابهم ، وتولّوا على أدبارهم ، وعولوا على أحسابهم ، إلا من فاء^(٤) من أهل البصائر ، فإنهم فارقوك بعد معرفتك ، وهرّبوا إلى الله من موازرتك ، إذ حملتهم على الصّعّب ، وعدلت بهم عن القصد^(٥) ، فاتّق الله يا معاوية في نفسك ، وجاذب الشيطان قيادك ، فإن الدنيا منقطعة عنك ، والآخرة قريبة منك ، والسلام .

(شرح ابن أبي الحديد ٤ : ص ٥٠ ، ونهج البلاغة ٢ : ٤١)

٤٠٩ — رد معاوية على عليّ

فكتب إليه معاوية :

« من معاوية بن أبي سفيان إلى عليّ بن أبي طالب :

(١) ثوب مهمل : أي رقيق سخيّف النسيج ، وفي الأصل « المهمل » وهو تحريف .

(٢) أي أهلكت قبلاً وصنفاً . (٣) أي رجعوا .

(٤) أي رجع ، والموازرة : المعاونة والمعاوضة . (٥) القصد : استقامة الطريق .

أما بعد : فقد وقفتُ على كتابك ، وقد أُيِّتَ على الفتنِ إلا تهاديًا ،
وإني لعالمٌ أن الذي يدعوكَ إلى ذلك مَصْرَعُكَ الذي لا بُدَّكَ منه ، وإن
كنت مؤايلًا^(١) ، فَازْدَدَ غَيًّا إلى غيك ، فطالما خَفَّ عَقْلُكَ ، وَمَتَّيْتُ
نَفْسَكَ ما ليس لك ، وَالتَّوَيْتُ على من هو خير منك ، ثم كانت العاقبةُ
لغيرك ، واحتمَلْتَ الوزَرَ بما أحاط بك من خَطِيئَتِكَ ، والسلام .
(شرح ابن أبي الحديد م ٤ : ص ٥٠)

٤١٠ - رد عليّ على معاوية

فكتب عليّ عليه السلام إليه :
« أما بعد : فإن ما أتيتَ به من ضلالك ليس يبيد الشَّبه مما أتى به
أهلك وقومك ، الذين حَمَلَهُم الكفر ، وَتَمَنَّى الأباطيل على حَسَدِ محمد صلى الله
عليه وآله حتى صُرِعُوا مَصَارِعَهُم حيث علمت ، لم يمنعوا حَرِيمًا ، ولم يدفعوا
عَظِيمًا ، وأنا صاحبُهُم في تلك المواطن ، الصَّالِي^(٢) بحربهم ، والْقَالُ لِحَدِّهِمْ ،
وَالْقَاتِلُ لِرءوسهم رءوس الضلالة ، وَالْمُتَّبِعُ إن شاء الله خَلْفَهُمْ بِسَلَفِهِمْ ،
فَبئسَ الْخَلْفُ خَلْفُ اتَّبَعِ سَلَفًا مَحَلُّهُ وَمَحَطُّهُ النَّارُ ، والسلام .
(شرح ابن أبي الحديد م ٤ : ص ٥٠)

(١) واءل : طلب النجاة . (٢) صلى النار كرضى وصلى بها : قاسى حرها ، وفلَّ حده : ثلته

٤١١ - رد معاوية على عليّ

فكتب إليه معاوية :

« أما بعدُ : فقد طال في النفي ما استمررت أدراجك^(١) ، كما طالما
تَمَادَى عن الحرب نُكُوصُك وإِبطاؤُك ، فتُوعِدُ وَعِيدَ الأسد ، وَتَرْوِغُ
رَوَّغَانَ الشَّلب ، فَحَتَّامَ تَحْيِدُ عن لقاء مباشرة^(٢) الليوث الضارية ، والأفاعي
القاتلة ، ولا تستبعدنَّها فكلُّ ما هو آتٍ قريبٌ ، إن شاء الله ، والسلام .
(شرح ابن أبي الحديد م ٤ : ص ٥٠)

٤١٢ - رد عليّ على معاوية

فكتب إليه عليّ عليه السلام :

« أما بعدُ : فما أعجَبَ ما يَأْتِينِي مِنْكَ ، وما أَعْلَمَنِي بِمَنْزِلَتِكَ الَّتِي أَنْتَ
إِلَيْهَا صَائرٌ ، ونحوها سائرٌ ، وليس إِبْطائي عَنْكَ إِلَّا تَرْقُبًا لَوْ قَتَلْتِ أَنْتَ لَهُ
مُكَذِّبٌ وَأَنَا بِهِ مُصَدِّقٌ ، وكأَنِّي بِكَ غَدًا وَأَنْتَ تَضِجُ مِنَ الْحَرْبِ ضَجِيجَ
الْجَمَالِ مِنَ الْأَثْقَالِ ، وستدعونني أَنْتَ وَأَصْحَابُكَ إِلَى كِتَابٍ تَعْظُمُونَهُ
بِالْسِّنِّ ، وتَجَحَّدُونَهُ بِقُلُوبِكُمْ ، والسلام .
(شرح ابن أبي الحديد م ٤ : ص ٥٠ ، وم ٣ ص ٤١١)

(١) الأدراج : جمع درج بالتحريك وهو الطريق ، ويقال : استمرَّ فلان درجه وأدراجه : أى
استمر في طريقه كما يقال : رجع فلان درجه وأدراجه : أى رجع في طريقه الذى جاء منه ، والنكوص
الاجسام . (٢) أى عن لقاء جنودى مباشرة الليوث : أى مقاتلتها .

٤١٣ - رد معاوية على عليّ

فكتب إليه معاوية :

« أما بعدُ : فدعني من أساطيرك ، واكف عني من أحاديثك ، وأقصر^(١) عن تقوُّلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وافترائك من الكذب ما لم يقل ، وغرور من معك والخداع لهم ، فقد استغويتهم ويوشكُ أمرك أن ينكشف لهم فيعتزلوك ، ويعلموا أن ما جئت به باطل مُضمحلٌ ، والسلام » .

(شرح ابن أبي الحديد ٤ : ص ٥٠)

٤١٤ - رد عليّ على معاوية

فكتب إليه عليّ عليه السلام :

« أما بعدُ : فطالما دعوت أنت وأولياؤك أولياء الشيطانِ الرجيمِ الحقِّ أساطير ، ونَبَذْتُمُوهُ وراء ظُهُوركم ، وحاولتم إطفاء نورِ الله بأيديكم وأفواهكم ، ويأبى الله إلا أن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ، ولعمري لَيَتِمَّنَّ النُّورُ على كُرْهِك ، وَلَيَنْفُذَنَّ الْعِلْمُ بِصَغَارِكَ^(٢) وَقَاتِكَ ، وَلَتَخْسَأَنَّ طَرِيدًا مَذْهُورًا ، أَوْ قَتِيلًا مَشْهُورًا ، وَلَتُجْزَيْنَ بِعَمَلِكَ حَيْثُ لَا نَاصِرَ لَكَ وَلَا مُصْرِحَ^(٣) عندك ، فَعِثْ فِي دُنْيَاكَ الْمَنْقُطَةَ عَنْكَ مَا طَابَ لَكَ ، فَكَأَنَّكَ بِإِطْلَاكَ وَقَدْ انْقَضَى ،

(١) أقصر عن الشيء : كف عنه وانه .

(٢) الصغار : الذل ، وكذا القمأة والقماءة ، وخسأه كنع : طرده ، ودحره كنع : طرده أيضا ، مذورا : هالكا ، ثبته الله ثبورا كقعد : أهلكه ، وثبر هو ثبورا ، يتعدى ولا يتعدى .

(٣) المصريح : المفت ، وعاث يعيث : أفسد .

وبعملك وقد هوى ، ثم تصير إلى لظى^(١) ، لم يظلمك الله شيئاً ، وما ربك بظلامٍ للعبيد .

وقد أسهبت في ذكر عثمان ، ولعمري ما قتله غيرك ، ولا خذله سواك ، ولقد تربصت به الدوائر^(٢) ، وتمنيت له الأمان^(٣) ، طمعاً فيما ظهر منك ، ودل عليه فعلك ، وإني لأرجو أن ألحقك به على أعظم من ذنبه ، وأكبر من خطيئته ، فأنا ابن عبد المطلب صاحب السيف ، وإن قائمته^(٤) لفي يدي ، وقد علمت من قتلته به من صناديد بني عبد شمس ، وفراعنة بني سهم وجموح وبني مخزوم ، وأيتمت أبناءهم ، وأيتمت نساءهم .

وأذكرك ما لست له ناسياً يوم قتلته أخاك حنظلة ، وجررت برجله إلى القليب^(٥) ، وأسرت أخاك عمراً فجعلت عنقه بين ساقيه رباطاً ، وطلبتك ففررت ، ولك حصاص^(٦) ، فلو لا أني لا أتبع فأراً لجمعتك ثالثهما ، وأنا أولى^(٧) لك بالله أليّة برّة غير فاجرة : لئن جمعتني وإياك جوامع الأقدار ، لأتركك مثلاً يتمثل به الناس أبداً ، ولأجمعن^(٨) بك في مناخك ، حتى

(١) أي جهنم .

(٢) الدوائر : جمع دائرة وهي الهزيمة ، وترى به : انتظر به شراً (أو خيراً) يحلّ به .

(٣) قائمة السيف وقائمة : مقبضه ، والصناديد جمع صناديد بالكسر : وهو السيد الشجاع ، وبنو سهم وجموح ومخزوم : بطون من قريش ، وأيمها : جعلها أيماً (كجيد) أي بلا زوج .

(٤) القليب : البئر ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر أمر بالقليب أن تغور ، ثم أمر بقتل المشركين فطرحوا فيها ، وكان على قتل حنظلة وأسر عمرا يوم بدر كما قدمنا .

(٥) الحصاص : أن يصر الحمار بأذنيه ويعصع بذنبه (أي يحركه ويضرب به) ويعدو ، والحصاص أيضاً الضراط . قال ابن أبي الحديد : سألت النقيب أبا زيد عن معاوية هل شهد بدر مع المشركين ؟

فقال : نعم ، شهدا ثلاثة من أولاد أبي سفيان : حنظلة وعمرو ومعاوية ، قتل أحدهم ، وأسر الآخر ، وأتت معاوية هارباً على رجله فقدم مكة وقد اتنخ قدماء وورمت ساقاه ، فعالج نفسه شهرين حتى برأ .

(٦) آلى : أقسم ، والأليّة : اليمين .

(٧) جمع الابل ، وجمع بها : حركها للإناخة أو النهوض .

يُحْكَمُ اللَّهُ بَيْنِي وَبَيْنَكَ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ، وَلَئِنْ أُنْسَا اللَّهُ ^(١) فِي أَجَلٍ قَلِيلًا ،
لَأَغْزِيَنَّكَ سَرَايَا الْمُسْلِمِينَ ، وَلَأَنْهَدَنَّ إِلَيْكَ فِي جَحْفَلٍ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ ،
ثُمَّ لَا أَقْبَلُ لَكَ مَعْذِرَةً وَلَا شَفَاعَةً ، وَلَا أَجِيبُكَ إِلَى طَلَبٍ وَسَوْأَلٍ ، وَلَتَرْجِعَنَّ
إِلَى تَحْيُوكَ ، وَتَرُدُّدِكَ وَتَلَدُّدِكَ ^(٢) ، فَقَدْ شَاهَدْتَ وَأَبْصَرْتَ ، وَرَأَيْتَ سُحُوبَ
الْمَوْتِ كَيْفَ هَظَلَّتْ عَلَيْكَ بِصَيِّبِهَا ، حَتَّى اعْتَصَمْتَ بِكِتَابٍ ^(٣) أَنْتَ وَأَبُوكَ
أَوَّلُ مَنْ كَفَرَ وَكَذَّبَ بِنَزُولِهِ .

وَلَقَدْ كُنْتُ تَفَرَّسْتُهَا ^(٤) وَأَذْنُتُكَ أَنْكَ فَاعِلِهَا ، وَقَدْ مَضَى مِنْهَا مَا مَضَى ،
وَانْقَضَى مِنْ كَيْدِكَ فِيهَا مَا انْقَضَى ، وَأَنَا سَائِرٌ نَحْوَكَ عَلَى أَثَرِ هَذَا الْكِتَابِ ،
فَأَخْتَرْتُ لِنَفْسِكَ وَانْظُرْ لَهَا وَتَدَارَكْهَا ، فَإِنَّكَ إِنْ فَطَرْتَ ^(٥) ، وَاسْتَمَرَّرْتَ عَلَى
غَيْكِ وَغُلُوءَاتِكَ حَتَّى يَنْهَدَ إِلَيْكَ عِبَادُ اللَّهِ ، أُرْتَجَحْتَ عَلَيْكَ الْأُمُورُ ، وَمُنِعْتَ
أَمْرًا هُوَ الْيَوْمَ مِنْكَ مَقْبُولٌ .

يَا بَنَ حَرْبٍ ، إِنَّ لَجَاجَكَ فِي مَنَازَعَةِ الْأَمْرِ أَهْلَهُ مِنْ سَفَاءٍ ^(٦) الرَّأْيِ ، فَلَا
يُطْمِئِنُّكَ أَهْلُ الضَّلَالِ ، وَلَا يُؤْبِقَنَّكَ سَفَهُ رَأْيِ الْجُهَالِ ، فَوَالَّذِي نَفْسُ عَلَى
يَدِهِ ، لَئِنْ بَرَقَتْ فِي وَجْهِكَ بَارِقَةٌ مِنْ ذِي الْفَقَارِ ^(٧) لَتَصْعَقَنَّ صَعَقَةً لَا تُفِيقُ

-
- (١) أُنْسَا : آخر ومدّ ، وسرايا جمع سرية بالفتح وتشديد الياء : وهي القطعة من الجيش ، وقوله :
لَأَغْزِيَنَّكَ سَرَايَا الْمُسْلِمِينَ : أى لأجعلنها تغزوك ، ونهد كنع : نهض ، والجحفل : الجيش العظيم .
(٢) تَلَدُّدٌ : تلفت يمينا وشمالا وتحير متبلدا وتلبث ، وسحاب صيب : ذو صوب أى مطر .
(٣) أى حتى آمنت وصدقت بالقرآن فاعتصمت به من القتل .
(٤) ها فى تفرستها يعود على مفهوم من السياق ، أى تفرست فعلتك التى فعلت ، وهى مغالبتك لى
على الخلافة ، وتفرستها أى عرفت بها بفراسى ، وأذنتك : أى أعلمتك .
(٥) فطره كضرب ونصر : شقه ، أى إن شقت وحدة المسلمين وفرقت كلمتهم ، والغلواء : الغلو ،
وأرتج الباب : أغلقه إغلاقا وثيقا . (٦) السفاه والسفه والسفاهة واحد ، وأوبقه : أهلكه .
(٧) ذو الفقار : هو سيف العاص بن منبه ، قتل يوم بدر كافرأ فصار إلى النبي صلى الله عليه وسلم ،
ثم صار إلى على ، وسمى بذلك لأنهم شبهوا مافيه من الحزوز بالفقار ، ويقال سيف مفقر (بتشديد
الفاف المفتوحة) : أى فيه حزوز مطمئنة عن منته ، والصور : البوق .

منها حتى يُنفَخَ في الصُّورِ النفخةُ التي يئْتَسُ^(١) منها كما يئْتَسُ الكُفَّارُ
مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ . (شرح ابن أبي الحديد م ٤ : ص ٥١ ، وم ٣ : ص ١١١)

٤١٥ - رد معاوية على عليّ

فكتب إليه معاوية :

« أما بعد : فما أعظمَ الرِّينَ على قلبك^(٢) ، والغِطاءَ على بَصَرِكَ ، الشرَّهَ
من شِيَمَتِكَ ، والحَسَدَ من خَلِيقَتِكَ ، فشَمَّرَ للحرب ، واضْمَرَّ للضرب ، فوالله
ليرجعنَّ الأمرُ إلى ما علمتَ^(٣) ، والعاقبةُ للمتقين ، هيهاتَ هيهاتَ ! أخطأك
ما تَمَنَّى^(٤) ، وهوى قلبك مع من هوى ، فارْبَعْ على ظِلْمِكَ^(٥) ، وقِسْ شِبرَكَ
بِفِترِكَ ، لتعلمَ أينَ حالكُ من حالِ مَنْ يَزِنُ الجبالَ حِمْلُهُ ، ويفصلُ بينَ أهلِ
الشكِّ عِلْمُهُ ، والسلام . » (شرح ابن أبي الحديد م ٤ : ص ٥١ ، وم ٣ : ص ١١٠)

٤١٦ - رد عليّ على معاوية

فكتب إليه عليّ عليه السلام :

« أما بعدُ : فإن مَسَاوِيكَ مع علمِ الله تعالى فيك حالتَ بينك وبينَ

(١) أى إبان كفرِكَ ، فقد كانوا قبل الإسلام لا يؤمنون بالبعث والنشور .
(٢) وفي الرواية الأخرى : « فإنك المطبوع على قلبك ، المغطى على بصرِكَ ، الشرَّ من شِيَمَتِكَ ،
والعتو من خَلِيقَتِكَ » والرين : الدنس ، وران ذنبه على قلبه رينا وربونا : غلب .
(٣) أى إلى ، بمعنى أن يقول لعليّ : (على سبيل المبالغة) إنك تعلم أن الخلافة صائرة إلىّ ولسكنك
تخفى ذلك وتجاهله . (٤) أى ماتمنى .
(٥) ظلم كنع : غمز في مشبه ، وربع كنع أيضا : وقف وانتظر وتخبس ، ويقال : اربع على ظلامك
أى إنك ضعيف فارفق بنفسك ولا تحمل عليها أكثر مما تطيق ، أى اسكت على ما فيك من العيب ،
وأبصر نقصك وعجزك .

أَنْ يَصْلُحَ لَكَ أَمْرُكَ ، وَأَنْ يَرَعَوْىَ قَلْبُكَ ، يَا بَنَ صَخْرَ ، يَا بَنَ اللَّعِينِ^(١) ، زَعَمْتَ
أَنْ يَزِنَ الْجِبَالَ حِمْلُكَ ، وَيَفْصِلَ بَيْنَ أَهْلِ الشَّكِّ عِلْمُكَ ، وَأَنْتَ الْجِلْفُ
الْمُنَاقِقُ ، الْأَغْلَفُ الْقَلْبُ ، الْقَلِيلُ الْعَقْلُ ، الْجَبَانُ الرَّذْلُ^(٢) ، وَقُلْتَ : فَشَمَّرَ لِلْحَرْبِ ،
وَاصْبِرْ لِلضَّرْبِ ، فَإِنْ كُنْتَ صَادِقًا فِيمَا تَزْعُمُ ، وَيُعِينُكَ عَلَيْهِ ابْنُ النَّابِغَةِ^(٣) ،
فَدَعْ النَّاسَ جَانِبًا ، وَتَيْسَّرْ لِمَا دَعَوْتَنِي إِلَيْهِ مِنَ الْحَرْبِ ، وَالصَّبْرُ عَلَى الضَّرْبِ ،
وَأَعْفُ الْفَرِيقَيْنِ مِنَ الْقِتَالِ ، وَابْرُزْ إِلَى لِتَعْلَمَ أَيُّنَا الْمَرِينُ^(٤) عَلَى قَلْبِهِ ، الْمُعْطَى
عَلَى بَصَرِهِ ؟ فَأَنَا أَبُو الْحَسَنِ قَاتِلُ جَدِّكَ وَأَخِيكَ وَخَالِكَ شَدْخَا^(٥) يَوْمَ بَدْرٍ ،
وَذَلِكَ السَّيْفُ مَعِي ، وَبِذَلِكَ الْقَلْبُ أَلْقَى عَدُوِي ، وَمَا أَنْتَ مِنْهُمْ بِبَعِيدٍ .
(شرح ابن أبي الحديد م ٤ : ص ٥١ ، وم ٣ ص ٤١١)

٤١٧ — كتاب معاوية إلى عليّ

وروى صاحب العقد قال :

وكتب معاوية إلى عليّ :

« أَمَا بَعْدَ : فَإِنَّكَ قَتَلْتَ نَاصِرَكَ ، وَاسْتَنْصَرْتَ وَاتَرِكَ^(١) ، فَأَيْمُ اللَّهِ
لَأَرْمِيَنَّكَ بِشِهَابٍ تُذْكِهِ الرِّيحُ ، وَلَا يُطْفِئُهُ الْمَاءُ ، فَإِذَا وَقَعَ وَقَبٌ^(٢) ، وَإِذَا

(١) من كلام للحسن بن علي رضي الله عنه يخاطب معاوية : « وَأَنْشَدَكَ اللَّهُ يَا مُعَاوِيَةَ ، أُنْذِرُكَ يَوْمَ
جَاءَ أَبُوكَ عَلَى جَلٍّ أَحْمَرٍ ، وَأَنْتَ تَسُوقُهُ ، وَأَخُوكَ عَتَبَةُ هَذَا يَقُودُهُ ، فَرَأَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَآلِهِ فَقَالَ : اللَّهُمَّ الْعَنِ الرَّاكِبَ وَالْقَائِدَ وَالسَّائِقَ » — انظر شرح ابن أبي الحديد م ٢ : ص ١٠٢
(٢) الجلف : الرجل الجافي ، والأغلف القلب : الذي لا بصيرة له كأن قلبه في غلاف ، وفي الرواية
الأخرى : « وَأَنْتَ الْجَاهِلُ ، الْقَلِيلُ الْفَقْهُ ، الْمُنَاقِقُ الْعَقْلُ ، الشَّارِدُ عَنِ الدِّينِ » .
(٣) هو عمرو بن العاص السهمي ، وفي الرواية الأخرى : « وَيُعِينُكَ عَلَيْهِ أَخُو ابْنِ سَهْمٍ » والنابغة
أم عمرو — انظر ص ٣٨٩ . (٤) المرين اسم مفعول من ران .

(٥) الشدخ : كسر الشيء الأجوف وبابه قطع ، شدخ رأسه فانشدخ .
(٦) الوتر : الثأر ، وقد وتره يتره كوعده . والشهاب : شعلة من نار ساطعة ، وأذكى النار : أوقدها
(٧) المعنى : أحرق كل ما يصادفه ، من وقب الليل إذا دخل في كل شيء .

مَسَّ ثَقَبَ ، فَلَا تَحْسَبْنِي كَسُحَيْمٍ^(١) ، أَوْ عَبْدِ الْقَيْسِ ، أَوْ حُلْوَانَ الْكَاهِنِ .
(العقد الفريد ٢ : ٢٢٣)

٤١٨ - رد عليّ على معاوية

فأجابه عليّ :

« أما بعدُ : فوالله ما قَتَلَ ابنَ عمك غيرُك ، وإني أرجو أن أُلْحَقَكَ به ،
على مِثْلِ ذَنْبِهِ وَأَعْظَمَ مِنْ خَطِيئَتِهِ ، وإن السيف الذي ضربتُ به أباك^(٢) وأهلك
لمعي دائم ، والله ما استحدثتُ دينًا ، ولا استبدلتُ نبيًّا ، وإني على المنهاج
الذي تركتموه طائعين ، وأَدْخَلْتُمْ فِيهِ كَارِهِينَ » . (العقد الفريد ٢ : ٢٢٣)

٤١٩ - كتاب عليّ إلى معاوية

وروى الشريف الرضي رحمه الله في نهج البلاغة قال :
ومن كتاب عليّ عليه السلام إلى معاوية :

« وكيف أنت صانعٌ إذا تَكَشَّفَتْ عَنْكَ جَلَايِبُ مَا أَنْتَ فِيهِ مِنْ دُنْيَا :
قَدْ تَهَجَّجْتَ^(٣) بَرِيْنَتَهَا ، وَخَدَعْتَ بِلَذَّتِهَا ، دَعَوْتَكَ فَأَجَبْتَهَا ، وَقَادَتَكَ فَاتَّبَعْتُهَا ،

(١) سحيم : هو عبد بن الحساس ، من المخضرمين أدرك الجاهلية والإسلام ، وكان حبشيًا يرتضخ
لسكة حبشية ، وقتل في خلافة عثمان - انظر خزانة الأدب للبغدادى ج ٢ : ص ٨٧ ، وقد نقل
أخباره عن الكامل للبرد والأغاني ج ٢٠ ص ٢ وغيرهما وانظر أيضاً البيان والتبيين ج ١ : ص ٤٠ ،
- والمعنى لا تظنني ممن لا يعتد بشأنه ولا يقيم له وزن كسحيم ، وأما عبد القيس فلا أدري المراد به ،
وقد أورد صاحب الأغاني أخبارا لعبد قيس بن خفاف البرجمي مع حاتم الطائي (ج ٧ : ص ١٤٥)
ومع النابغة الذبياني (ج ٩ : ص ١٥٨) واسكنها لا تدل على أنه المراد هنا إذ يقول فيه « وكان شريفاً
شاعرا شجاعا » وحلوان الكاهن : ما يعطاه الكاهن ويجعل له أجرا على كهنته .
(٢) يعني جده عتبة بن ربيعة ، وربما كان الأصل « أخاك » . (٣) تهبجت : صارت ذات بهجة .

وَأَمَرْتُكَ فَأَطَعْتَهَا ، وَإِنَّهُ يَوْشِكُ أَنْ يَقِفَكَ وَاقِفٌ عَلَى مَا لَا يُنْجِيكَ مِنْهُ مَجْنٌ^(١) ،
فَافْعَسْ^(٢) عَنْ هَذَا الْأَمْرِ ، وَخُذْ أَهْبَةَ الْحِسَابِ ، وَشَمِّرْ لِمَا قَدْ نَزَلَ بِكَ ، وَلَا
تَمَكِّنِ الْغَوَاةَ مِنْ سَمْعِكَ ، وَإِلَّا تَفْعَلْ أَغْلِمُكَ مَا أَغْفَلْتَ مِنْ نَفْسِكَ ، فَإِنَّكَ
مُتَرَفٌ^(٣) قَدْ أَخَذَ الشَّيْطَانُ مِنْكَ مَا خَذَهُ ، وَبَلَغَ فِيكَ أَمَلَهُ ، وَجَرَى مِنْكَ
مَجْرَى الرُّوحِ وَالدَّمِ^(٤) .

وَمَتَى كُتِمَ يَا مَعَاوِيَةُ سَاسَةَ الرَّعِيَّةِ ، وَوُلَاةَ أَمْرِ الْأُمَّةِ^(٥) ، بَغِيرِ قِدَمِ
سَابِقٍ ، وَلَا شَرَفِ بَاسِقٍ^(٦) ؟ وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ لُزُومِ سَوَاقِ الشَّقَاءِ ، وَأُحَذِّرُكَ
أَنْ تَكُونَ مَتَادِيًّا فِي غِرَّةِ الْأُمْنِيَّةِ ، مُخْتَلِفٍ الْعِلَانِيَةِ وَالسَّرِيرَةِ .

وَقَدْ دَعَوْتَ إِلَى الْحَرْبِ ، فَدَعِ النَّاسَ جَانِبًا وَاخْرُجْ إِلَى ، وَأَعْفِ
الْفَرِيقَيْنِ مِنَ الْقِتَالِ ، لَتَعْلَمَ أَيُّنَا الْمَرِينُ عَلَى قَلْبِهِ ، وَالْمَغْطَى عَلَى بَصَرِهِ ؟ فَأَنَا
أَبُو حَسَنٍ قَاتِلُ جَدِّكَ وَخَالِكَ وَأَخِيكَ شَدْخًا يَوْمَ بَدْرٍ ، وَذَلِكَ السِّيفُ مَعِي ،
وَبِذَلِكَ الْقَلْبُ أَلْقَى عَدُوِي ، مَا اسْتَبَدَلْتُ دِينَيَا ، وَلَا اسْتَحْدَثْتُ نَبِيًّا ، وَإِنِّي
لَعَلَى الْمُنْهَاجِ الَّذِي تَرَكْتُمُوهُ طَائِعِينَ ، وَدَخَلْتُمْ فِيهِ مُكْرَهِينَ .

وَزَعَمْتَ أَنَّكَ جِئْتَ ثَأْرًا^(٧) بَعَثَانَ ، وَلَقَدْ عَلِمْتَ حَيْثُ وَقَعَ دَمُ عَثْمَانَ ،
فَاطْلُبْهُ مِنْ هُنَاكَ إِنْ كُنْتَ طَالِبًا ، فَكَأَنِّي قَدْ رَأَيْتُكَ تَضِجُ مِنَ الْحَرْبِ إِذَا
عَضَّتْكَ ، ضَجِيجَ الْجَمَالِ بِالْأَثْقَالِ ، وَكَأَنِّي بِجَمَاعَتِكَ تَدْعُونِي - جَزَعًا مِنَ الضَّرْبِ

(١) المَجْنُ : التَّرس ، وفرواية ابن أبي الحديد : « مَا لَا يُنْجِيكَ مِنْهُ مَجْنٌ » . (٢) أَيْ تَأْخُرُ .

(٣) أَيْ قَدْ أَتْرَفَكَ النِّعْمَةُ وَأَطْفَنَكَ .

(٤) أَخَذَهَا مِنْ قَوْلِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : « إِنْ الشَّيْطَانُ لِيَجْرَى مِنْ ابْنِ آدَمَ مَجْرَى الدَّمِ » .

(٥) يَعْنِي الْأُمَّةَ الْإِسْلَامِيَّةَ ، وَإِلَّا فَقَدْ كَانَ بَنُو عَبْدِ شَمْسٍ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ذَوِي رِبَاسَةٍ وَسِيَادَةٍ -
لَا عَلَى بَنِي هَاشِمٍ - وَكَانَ عَتَبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ رَئِيسَ الْجَيْشِ الْمُحَارِبِ لِرَسُولِ اللَّهِ يَوْمَ بَدْرٍ ، وَأَبُو سَفْيَانَ
قَائِدُهُمْ يَوْمَ أُحُدٍ وَالْحَنْظَلُ . (٦) بَاسِقٌ : عَالٍ ، وَالغِرَّةُ : الْغَفْلَةُ . (٧) ثَأْرُهُ : طَلَبُ دَمِهِ .

المتتابع ، والقضاء الواقع ، ومَصَارِعَ بَعْدَ مَصَارِعَ - إلى كتاب الله ، وهي
كافرة جاحدة ، أو مباعدة حائدة » . (نهج البلاغة ٢ : ٧)

صورة أخرى

وقال ابن أبي الحديد في شرح النهج :

إن هذه الخطبة - يريد الرسالة - قد ذكرها نصر بن مزاحم في كتاب
صَفَيْنَ على وجه يقتضى أن ما ذكره الرضى رحمه الله منها قد ضم إليه بعض
خطبة أخرى ، وهذه عادته ، لأن غرضه التقاط الفصيح والبلغ من كلامه .
والذى ذكره نصر بن مزاحم هذه صورته :

« من عبد الله على أمير المؤمنين إلى معاوية بن أبي سفيان :

سلام على من اتَّبَعَ الهدى ، فَإِنِ أَحْمَدُ إِلَيْكَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ،
أما بعدُ : فَإِنَّكَ قَدْ رَأَيْتَ مُرُورَ الدُّنْيَا وانقضاءها ، وَتَصَرُّفَهَا^(١) ، وَتَصَرُّفَهَا
بأهلها ، وَخَيْرُ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الدُّنْيَا مَا أَصَابَهُ الْعِبَادُ الصَّالِحُونَ مِنْهَا مِنَ
التَّقْوَى ، وَمَنْ يَقْسِ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ يَجِدُ بَيْنَهُمَا بَعِيدًا .

وَأَعْلَمُ يَا مُعَاوِيَةَ أَنَّكَ قَدْ ادَّعَيْتَ أَمْرًا لَسْتَ مِنْ أَهْلِهِ ، لَا فِي الْقَدِيمِ^(٢) ،
وَلَا فِي الْحَدِيثِ ، وَلَسْتَ تَقُولُ فِيهِ بِأَمْرٍ يَبِينُ يُعْرِفُ لَهُ أَثَرٌ ، وَلَا عَلَيْكَ مِنْهُ
شَاهِدٌ ، وَلَسْتَ مُتَعَلِّقًا بِآيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ ، وَلَا عَهْدٍ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

(١) أى انقضاءها أيضا .

(٢) يعنى فى أول الإسلام ، لأن معاوية من الطلقاء كما تقدم ، وليس له سابقة فى الإسلام .

فكيف أنت صانع إذا تَقَشَّعَتْ عَنْكَ غَيَابَةُ^(١) ما أنت فيه من دنيا قد
فُتِنْتَ بِزِينَتِهَا ، وَرَكَعْتَ إِلَى لَذَائِهَا ، وَخُلِيَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ عَدُوِّكَ^(٢) فِيهَا ، وَهُوَ
عَدُوٌّ كَلْبٌ مُضِلٌّ جَاهِدْ مُلِحَّ مُلِيحٍ ، مَعَ مَا قَدْ ثَبَتَ فِي نَفْسِكَ مِنْ جَهْتِهَا ،
دَعَتْكَ فَأَجَبْتَهَا ، وَقَادَتَكَ فَاتَّبَعْتَهَا ، وَأَمَرَتْكَ فَاطَّعْتَهَا ، فَاقْعَسَ عَنْ هَذَا
الْأَمْرِ ، وَخُذْ أَهْبَةَ الْحِسَابِ ، فَإِنَّهُ يَوْشِكُ أَنْ يَقْفِكَ وَاقِفٌ عَلَى مَا لَا يَنْجِيكَ
مِنْهُ مَجْنَنٌ .

ومتى كنتم يامعاويةُ ساسةَ الرعية ، أو ولاةَ لأمر هذه الأمة ، بلا قدم
حَسَنٍ ، وَلَا شَرَفٍ تَلِيدٍ^(٣) عَلَى قَوْمِكُمْ ؟ ، فَاسْتَيْقِظْ مِنْ سِنَّتِكَ ، وَارْجِعْ إِلَى
خَالِقِكَ ، وَشَمِّرْ لِمَا سَيَنْزِلُ بِكَ ، وَلَا تَتَمَكَّنْ عَدُوُّكَ الشَّيْطَانُ مِنْ بُغْيَتِهِ فِيكَ ،
مَعَ أَنِّي أَعْرِفُ أَنَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ صَادِقَانِ ، نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ لُزُومِ سَابِقِ الشَّقَاءِ .
وإِلَّا تَفْعَلْ فَإِنِّي أَعْلِمُكَ مَا أَغْفَلْتَ مِنْ نَفْسِكَ ، إِنَّكَ مُتَرَفٍّ قَدْ أَخَذَ
مِنْكَ الشَّيْطَانُ مَا خَذَهُ ، فَجَرَى مِنْكَ مَجْرَى الدَّمِ فِي الْعُرُوقِ ، وَلَسْتَ مِنْ أُمَّةٍ
هَذِهِ الْأُمَّةِ ، وَلَا مِنْ رُعَاتِهَا .

واعلم أن هذا الأمر لو كَانَ إِلَى النَّاسِ ، أَوْ بِأَيْدِيهِمْ ، لَحَسَدُونَاهُ وَلَا مَتْنُونَاهُ
عَلَيْنَا بِهِ ، وَلَكِنَّهُ قَضَاءٌ مِمَّنْ مَنَحْنَاهُ ، وَاخْتَصَّنَا بِهِ ، عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ الصَّادِقِ
الْمُصَدِّقِ ، لَا أَفْلَحَ مَنْ شَكَّ بَعْدَ الْعِرْفَانِ وَالْيَقِينَةِ ، رَبُّ أَحْكَمُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ عَدُونَا
بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ » . (شرح أئز الحديديد م ٣ : ٤١٢)

(١) غيابة كل شيء : ما سترك منه (٢) أي الشيطان ، وكأب كفرح : اشتد ، وألأحه : أهلكه
(٣) أي قديم .

٤٢٠ - رد معاوية على عليّ

فكتب معاوية إليه :

« من معاوية بن أبي سفيان إلى علي بن أبي طالب :

أما بعدُ فدع الحسدَ ، فإنك طالما لم تنتفع به ، ولا تُفسدَ سابقةَ
جهادك بِشِرَّةِ نَحْوَتِكَ^(١) ، فإن الأعمال بخواتيمها ، ولا تُنحص^(٢) سابقةَك
بقتالِ مَنْ لا حقَّ لك في حقه ، فإنك إن تفعل لا تضرَّ بذلك إلا نفسك ،
ولا تَمُحَقَّ^(٣) إلا عملك ، ولا تُبطل إلا حُجَّتَكَ ، ولعمري إن ماضى
لك من السابقات ، لشبيهة أن يكون مَمْحُوقًا ، لما أُجترأت عليه من سَفَكِ
الدماء ، وخِلافِ أهل الحق ، فاقْرَأِ السُّورَةَ التي يُذَكَّر فيها الفَلَقُ^(٤) ،
وتعوِّذ من نفسك ، فإنك الحاسِدُ إذا حسَدَ » .

(شرح ابن أبي الحديد م ٣ : ص ٤١٢)

٤٢١ - كتاب عليّ إلى معاوية

وكتب علي إلى معاوية :

« أما بعدُ : فقد بلغني كتابك تذكّر مُشَاغِبَتِي ، وتستقبحُ مُوَازَرَتِي ،

(١) النخوة : الكبر والعظمة ، والشرّة : النشاط والحدة .

(٢) التمهيص : التفتيش . (٣) محفه كنع : أبطله ومحاه .

(٤) وأولها « قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ » والفاء : الصبح ، يشير إلى الآية الأخيرة

فيها وهي « وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ » .

وترُغمُني متحيرًا ، وعن حقِّ الله مُقصرًا ، فسبحانَ الله ! كيف تستجيزُ الغيبةَ ، وتستحسنِ العُضيَّةَ^(١) ؟ إني لم أشأبُ إلا في أمرٍ بمعروف ، أو نهى عن مُنكر ، ولم أَضجر إلا على باغٍ مارقٍ ، أو مُلحدٍ منافقٍ ، ولم آخذ في ذلك إلا بقول الله سبحانه : « لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ^(٢) اللَّهَ وَرَسُولَهُ ، وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ » . وأما التقصير في حق الله تعالى : فعاذَ الله ! والمقصر في حق الله جل ثناؤه من عطلَّ الحقوقَ المؤكَّدة ، ورَكَنَ إلى الأهواءِ المبتدعة ، وأخلَدَ إلى الضلالةِ المحيِّرة .

ومن العَجَب أن تصف يا معاويةُ الإحسانَ ، وتخالِف البرُّهانَ ، وتنكُثَ الوثائقَ التي هي لله عزَّ وجلَّ طلبيةٌ^(٣) ، وعلى عبادِهِ حُجَّةٌ ، مع نَبذِ الإسلامِ ، وتضييعِ الأحكامِ ، وطَمَسِ الأعلامِ ، والجَرَى في الهوى ، والتَّهَوُّسِ في الرَّدَى !

فاتَّقِ اللهَ فيما لديك ، وانظر في حقه عليك ، وارجع إلى معرفة ما لا تُعذرُ بجهالةٍ ، فإن للطاعةَ أعلامًا واضحةً ، وسُبُلًا نيرةً ، ومَحَجَّةً نَهْجَةً^(٤) ، وغايةً مُطْلَبَةً^(٥) ، يَرُدُّهَا الْأَكْيَاسُ^(٦) ، ويخالِفُهَا الْأَنْكَاسُ ، مَنْ نَكَبَ

(١) العُضيَّة : الإذك والبهتان . (٢) حَادَّه : غاضبه وعاداه وخالفه .

(٣) الطلبية : ما يطلب . (٤) المحجة : الطريق الواضحة ، والنهجة : الواضحة أيضا .

(٥) يجوز أن تكون «مطلبة» بتشديد الطاء المفتوحة بمعنى مطلوبة أى يطلبها المطيعون (وقد جاءت مطبوبة في نهج البلاغة شرح الأستاذ الشيخ محمد عبده) من اطلبه كافتل أى طلبه ، ويجوز أن تكون مطلبة بسكون الطاء وكسر اللام من أطلبه إذا أعطاه ماطلبه ، أى تؤتى أصحابها ما يطلبون فمن ثواب الله ورحمته ، وهذا أحسن .

(٦) الأكياس : جمع كيس كجيد ، وهو العاقل . والأنكاس : جمع نكس كفرده ، وهو الدنيء الحسيس ، ونكب عنه كنصر وفرح : عدل ، وخط : مشى على غير هدى ، واليه : الضلال .

عنها جار عن الحق ، وخَبِطَ في التَّيِّه ، وَغَيَّرَ اللهُ نِعْمَتَهُ ، وَأَحْلَلَ به نِقْمَتَهُ ،
فَنَفَسَكَ نَفْسَكَ ، فَقَدْ بَيَّنَّ اللهُ لَكَ سَبِيلَكَ .

وحيثُ تَنَاهَتْ بِكَ أُمُورُكَ ، فَقَدْ أَجْرَيْتَ^(١) إلى غَايَةِ خُسْرٍ ، وَحَلَّةٍ
كُفْرٍ ، فَإِنَّ نَفْسَكَ قَدْ أَوَّلَجَتْكَ شَرًّا ، وَأَقْحَمَتْكَ غَيًّا ، وَأوردَتْكَ المَهَالِكَ ،
وَأوعَرَتْ عَلَيْكَ المسالكَ .

وإنَّ للناسِ جماعةً يَدُ اللهُ عَلَيْهَا ، وَغَضَبُ اللهِ عَلَى مَنْ خَالَفَهَا ، فَنَفَسَكَ
نَفْسَكَ قَبْلَ حُلُولِ رَمْسِكَ^(٢) ، فَإِنَّكَ إلى اللهِ راجِعٌ ، وَإِلَى حَشَرِهِ مُطْعَمٌ^(٣) ،
وَسَيَهْطُكَ كَرْبُهُ ، وَيَحِلُّ بِكَ غَمُّهُ ، يَوْمَ لَا يُغْنِي النَادِمَ نَدَمُهُ ، وَلَا يُقْبَلُ
مِنَ الْمُعْتَذِرِ عُذْرُهُ ، يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلَى عَنْ مَوْلَى شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ .
(شرح ابن أبي الحديد م ٤ : ص ٣ ، ونهج البلاغة ٢ : ٢٦)

٤٢٢ — كتاب على إلى معاوية

وكتب على عليه السلام إلى معاوية :

« أَمَا بَعْدُ : فَإِنَّ اللهَ سَبَّحَانَهُ جَعَلَ الدُّنْيَا لِمَا بَعْدَهَا ، وَابْتَلَى^(١) فِيهَا
أَهْلَهَا ، لِيَعْلَمَ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ، وَاسْنَا لِلدُّنْيَا خُلُقْنَا ، وَلَا بِالسَّعْيِ فِيهَا أَمْرُنَا^(٢) ،
وَإِنَّمَا وُضِعْنَا فِيهَا لِنُبْتَلَى بِهَا ، وَقَدْ ابْتَلَانِي اللهُ بِكَ وَابْتَلَاكَ بِي ، فَجَعَلَ أَحَدُنَا

(١) أى أجريت مطبتك ، والمعنى سارعت ، والمحلة : المنزل ، وأولجتك : أدخلتك ،
وأقحمتك : رمت بك . (٢) الرمس : القبر .

(٣) هطع كنع وأهطع : أقبل مسرعًا خائفًا ، لا يكون إلا مع خوف ، وقيل المهطع من ينظر في
ذل وخضوع لا يقلع بصرد ، أو الساكت المنطلق إل من هتف به ، وبهظه الأمر كنعته : غلبه وتقل
عليه وبلغ به مشقة ، ويعنى : يفيد ، والمولى : الصديق والنصير . (٤) أى اختبر .
(٥) أى لم نؤمر بالسعى فيها لها بل لغيرها وهو الآخرة .

حُجَّةٌ عَلَى الْآخِرِ ، فَعَدَوْتَ عَلَى طَلَبِ الدُّنْيَا بِتَأْوِيلِ الْقُرْآنِ^(١) ، وَطَلَبْتَنِي بِمَا لَمْ
تَجْنِ يَدِي وَلَا لِسَانِي ، وَعَصَبْتَهُ^(٢) أَنْتَ وَأَهْلُ الشَّامِ بِي ، وَأَلَبَّ عَالِمُكُمْ
جَاهِلَكُمْ ، وَقَائُكُمْ قَاعِدَكُمْ ، فَاتَّقِ اللَّهَ فِي نَفْسِكَ ، وَنَازِعِ الشَّيْطَانَ قِيَادَكَ ،
وَاصْرِفْ إِلَى الْآخِرَةِ وَجْهَكَ ، فَهِيَ طَرِيقُنَا وَطَرِيقُكَ ، وَاحْذَرِ أَنْ يَصِيبَكَ
اللَّهُ مِنْهُ بِعَاجِلِ قَارِعَةٍ^(٣) تَمَسُّ الْأَصْلَ ، وَتَقْطَعُ الدَّابِرَ ، فَإِنِّي أُولَى لَكَ بِاللَّهِ
أَلِيَّةٌ غَيْرَ فَاجِرَةٍ : لَنْ جَمَعْتَنِي وَإِيَّاكَ جَوَامِعُ الْأَقْدَارِ لَا أَزَالُ بِبَاحَتِكَ حَتَّى
يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ »
(نهج البلاغة ٢ : ٨١)

٤٢٣ - كتاب معاوية إلى عليّ

وكتب معاوية مع أبي مُسلم الخولاني إلى عليّ قبل مسيره
إلى صفين^(٤) :

« من معاوية بن أبي سفيان إلى علي بن أبي طالب :

سلام عليك فإنني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو ، « أما بعد :

(١) وذلك أن معاوية كان يقول لأهل الشام ، أنا ولي عثمان ، وقد قتل عثمان مظلوماً ، وقد قال تعالى
« وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيٍّ سُلْطَانًا » (ومعنى التأويل هنا أنه يجعل الآية منطبقة
عليه ويقيم نفسه ولياً لعثمان مع وجود أبناء عثمان) ثم يعدم الظفر والدولة على أهل العراق بقوله تعالى
عقب ذلك « فَلَا يُسْرَفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنصُورًا » .

(٢) أى ربطته بي وألزمته ، وألب : حرض ، والقياد : الزمام .

(٣) القارعة : الداهية ، وتمس : أى تقطع ، ومنه ماء مسوس كصبور أى يقطع الغلة « وهى حرارة
العطش » والدابر : التابع وآخر كل شيء ، أى ويقطع العقب والفرع (والدابر أيضاً : الأصل) وباحة
الدار وساحتها : وسطها .

(٤) صفين : موضع بقرب الرقة على شاطئ الفرات من الجانب الغربي ، كانت به وقعة صفين
المشهورة بين علي ومعاوية سنة ٣٧ هـ .

فإن الله اصطفى محمداً بعلمه ، وجعله الأمين على وحيه ، والرسول إلى خلقه ، واجتبي له من المسلمين أعواناً أيده بهم ، وكانوا في منازلهم عنده على قدر فضائلهم في الإسلام ، فكان أفضلهم في الإسلام ، وأنصحهم لله ولرسوله ، الخليفة من بعده ، ثم خليفة الخليفة ، ثم الخليفة الثالث المظلوم عثمان ، فكلمهم حسدت ، وعلى كلهم بغيت ، عرفنا ذلك في نظرك الشرر^(١) ، وقولك الهجر ، وتنفسك الصعداء ، وإبطائك عن الخلفاء ، وأنت في كل ذلك تُقاد كما يقاد البعير المخشوش^(٢) حتى تبايع وأنت كاره ، ولم تكن لأحد منهم أشد حسداً منك لابن عمك عثمان ، وكان أحقهم ألا تفعل ذلك به ، في قرابته وصهره^(٣) ، فقطعت رحمته ، وقبحت محاسنه ، وألبت عليه الناس ، وبطننت وظهرت حتى ضربت إليه آباط^(٤) الإبل ، وشهر عليه السلاح في حرم الرسول ، فقتل معك في المحلة وأنت تسمع في داره الهائبة^(٥) ، لا تؤدّي عن نفسك في أمره بقول ، ولا فعل بر^(٦) ، وأقسم قسماً صادقاً : لو قت في أمره مقاماً واحداً تنهيه^(٧) الناس عنه ، ما عدل بك من قبلنا من الناس أحداً ، ولمّا ذلك عنك ما كانوا يعرفونك^(٨) به ، من المجانية لعثمان والبغى عليه ،

(١) النظر الشرر : النظر بمؤخر العين . والهجر : القبيح من الكلام . والصعداء : تنفس طويل .
(٢) المخشوش من خششت البعير : إذا جعلت في أنفه الخشاش (ككتاب) وهو ما يدخل في عظم أنفه من خشب لينقاد .

(٣) أى ومصاهرته لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقد تزوج ابنتي الرسول رقية وأم كلثوم .
(٤) آباط جمع إبط كحمل وتكسر الباء : وهو باطن المنكب ، أى حتى سار الثوار لآليه .
(٥) الهائبة : الصوت تفرع منه .

(٦) في ابن أبي الحديد « لاترد الظن والتهمة عن نفسك بقول ولاعمل » .
(٧) تنهيه : تكف ، وما عدل بك : أى ماسوى بك .
(٨) هكذا في الأصول ، والمعنى عليه صحيح ، وربما كان « يعرفونك به » أى يهتمونك به وبأبيه ضرب ، والظنين : التهم .

وَأُخْرَى أَنْتَ بِهَا عِنْدَ أَوْلِيَاءِ ابْنِ عَفَّانَ ظَنِينَ : إِيوَاؤُكَ قَتَلَةَ عُثْمَانَ ، فَهَمَّ بِطَانَتِكَ وَعَضُدُكَ وَأَنْصَارُكَ ، وَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّكَ تَنْتَفِي مِنْ دَمِهِ ، فَإِنْ كُنْتَ صَادِقًا فَادْفَعْ إِلَيْنَا قَتْلَتَهُ نَقْتُلْهُمْ بِهِ ، ثُمَّ نَحْنُ أَسْرَعُ النَّاسِ إِلَيْكَ ، وَإِلَّا فَلَيْسَ لَكَ وَلَا لِأَصْحَابِكَ عِنْدَنَا إِلَّا السَّيْفُ ، وَالَّذِي نَفْسُ مُعَاوِيَةَ بِيَدِهِ : لَا أَطْلُبَنَّ قَتْلَةَ عُثْمَانَ فِي الْجِبَالِ وَالرَّمَالِ وَالْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى نَقْتُلَهُمْ ، أَوْ تَلْحَقَ أَرْوَاحُنَا بِاللَّهِ »
(العقد الفريد ٢ : ٢٣٣ ، وصبح الأعشى ١ : ٢٢٨ ، وشرح ابن أبي الحديد م ٣ : ص ٤٠٧)

٤٣٤ - رد عليّ على معاوية

فكتب إليه علي :

« من عبد الله على أمير المؤمنين إلى معاوية بن أبي سفيان .
أما بعد : فَإِنْ أَخَا خَوْلَانَ قَدِيمٍ عَلَيَّ بَكْتَابٍ مِنْكَ تَذَكَّرُ فِيهِ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلَهُ ، وَمَا أَنْعَمَ اللَّهُ بِهِ عَلَيْهِ مِنَ الْهُدَى وَالْوَحْيِ ، فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَهُ الْوَعْدَ ، وَأَيَّدَهُ بِالنَّصْرِ ، وَمَكَّنَ لَهُ فِي الْبِلَادِ ، وَأَظْهَرَ عَلَى أَهْلِ الْعَدَاوَةِ وَالشَّنَآنِ^(١) مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ وَثَبُوا عَلَيْهِ ، وَشَفَعُوا لَهُ^(٢) ، وَأَظْهَرُوا تَكْذِيبَهُ ، وَنَابَذُوهُ بِالْعَدَاوَةِ ، وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِهِ وَإِخْرَاجِ أَصْحَابِهِ وَأَهْلِهِ ، وَأَلْبَسُوا عَلَيْهِ الْعَرَبَ ، وَحَزَبُوا الْأَحْزَابَ^(٣) ، وَجَهَّدُوا فِي أَمْرِهِ كُلِّ الْجَهْدِ ، وَقَلَّبُوا لَهُ الْأُمُورَ ، حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ ، وَكَانَ أَشَدَّ النَّاسِ عَلَيْهِ تَأْلِيًا وَتَحْرِيسًا أُسْرَتُهُ ، وَالْأُذُنِي فَلَا أُذُنِي مِنْ قَوْمِهِ ، إِلَّا مَنْ عَصَمَ اللَّهُ .

(١) الشَّنَآنُ : البغض والكراهية .

(٢) شَفَعَ لَهُ كَفَرَحَ : أَبْغَضَهُ وَتَكَرَّهَ ، وَنَابَذُوهُ : جَاهَرُوهُ ، وَفِي ابْنِ أَبِي الْحَدِيدِ « وَبَارَزُوهُ » وَظَاهَرَهُ : أَعَانَهُ .

(٣) يَعْرِضُ بِمُعَاوِيَةَ فَقَدْ كَانَ أَبُوهُ رَئِيسَ الْأَحْزَابِ فِي غَزْوَةِ الْأَحْزَابِ « غَزْوَةِ الْخَنْدَقِ » كَمَا تَقْدِمُ

وذَكَرْتَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى اجْتَبَىٰ لَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَعْوَانًا أَيْدُهُ بِهِمْ ، فَكَانُوا فِي مَنَازِلِهِمْ عِنْدَهُ عَلَى قَدَرِ فَضَائِلِهِمْ فِي الْإِسْلَامِ ، فَكَانَ أَفْضَلُهُمْ (زَعَمْتَ) فِي الْإِسْلَامِ ، وَأَنْصَحَهُمُ اللَّهُ وَلِرَسُولِهِ ، الْخَلِيفَةُ وَخَلِيفَةُ الْخَلِيفَةِ مِنْ بَعْدِهِ ، وَلَعَمْرِي إِنْ كَانَ مَكَانُهُمَا فِي الْإِسْلَامِ لِعَظِيمًا ، وَإِنْ الْمُصَابَ بِهِمَا الْجُرْحُ فِي الْإِسْلَامِ شَدِيدٌ ، فَرَحَّمَهُمَا اللَّهُ وَجَزَاهُمَا أَحْسَنَ مَا عَمِلَا ، وَذَكَرْتَ أَنَّ عَثْمَانَ كَانَ فِي الْفَضْلِ تَالِيًا ، فَإِنْ يَكُ عَثْمَانُ مُحْسِنًا ، فَسَيَلْقَى رَبًّا شَكُورًا يَضَاعِفُ لَهُ الْحَسَنَاتِ ، وَيَجْزِيهِ الثَّوَابَ الْعَظِيمَ ، وَإِنْ يَكُ مُسِيئًا فَسَيَلْقَى رَبًّا غَفُورًا لَا يَتَعَاظُمُهُ ^(١) ذَنْبٌ أَنْ يَغْفِرَهُ .

وَلَعَمْرِي إِنِّي لِأَرْجُو إِذَا أَعْطَى اللَّهُ النَّاسَ عَلَى قَدَرِ فَضَائِلِهِمْ فِي الْإِسْلَامِ ، وَنَصِيحَتِهِمْ لِرَسُولِهِ ، أَنْ يَكُونَ سَهْمُنَا فِي ذَلِكَ - أَهْلَ الْبَيْتِ - أَوْفَرَ نَصِيبٍ ، إِنْ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لَمَّا دَعَا إِلَى الْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَالتَّوْحِيدِ لَهُ ، كُنَّا أَهْلَ الْبَيْتِ أَوَّلَ مَنْ آمَنَ بِهِ ، وَصَدَّقَهُ فِيمَا جَاءَ ، فَبِتُّنَا أَحْوَالًا كَامِلَةً مُحَرَّمَةً تَامَةً ، وَمَا يَعْبُدُ اللَّهُ فِي رُبْعٍ ^(٢) سَاكِنٌ مِنَ الْعَرَبِ غَيْرُنَا .

فَأَرَادَ قَوْمُنَا قَتْلَ نَبِينَا ، وَاجْتِيَا ح ^(٣) أَصْلُنَا ، وَهَمُّوا بِنَا الْهُمُومَ ، وَفَعَلُوا بِنَا الْأَفَاعِيلَ ^(٤) ، وَمَنْعُونَا الْمَسِيرَةَ ، وَأَمْسَكُوا عَنَا الْعَذْبَ ، وَأَحْلَسُونَا ^(٥)

(١) تعاضمه : عظم عليه . (٢) الربع : النزل .

(٣) الاجتياح : الاستئصال ، والهموم منصوب على المصدرية وأل فيه عهدية ، أى وهموا بناتلك الهموم التي تعرفونها .

(٤) الأفاعيل جمع أفعولة بالضم : أى فعلوا بنا الأفعال المنكرة ، والمسيرة : المسير ، والعذب : أى العيش العذب أى الهنىء - وقد نقل أنهم منعوا من الماء العذب أيام الحصار في شعب بني هاشم .

(٥) أحلسونا الخوف : أى ألزمونا ، والحلس بالكسر وكسب : كساء رقيق يكون على ظهر البعير تحت الرجل ، وما يبسط في البيت تحت حر الناع ، وأحلس البعير : إذا جعل عليه الحلس ، ويقال : فلان جلس بيته إذا لم يبرحه ، على المثل ، فالعنى : وجعلوا الخوف ملازما لنا كالحلس الملازم

الخوف ، وجعلوا علينا الأرصاد والعيون ، واضطربونا إلى جبل وعمر^(١) ،
وأوقدوا لنا نار الحرب ، وكتبوا بينهم كتاباً^(٢) : لا يؤاكلونا ولا يشاربونا
ولا يُناكحونا ولا يبايعونا ، ولا نأمن منهم حتى ندفع إليهم محمداً يقتلونه
ويعتدلون به ، فلم نكن نأمن فيهم إلا من مؤسّم إلى مؤسّم ، فعزم^(٣) الله لنا
على منعه ، وألذب^(٤) عن حوزته ، والرّمي من وراء حرّمته^(٥) ، والقيام بأسياقنا
دونه ، في ساعات الخوف بالليل والنهار ، مؤمننا ينبغي بذلك الأجر ، وكافرنا
يحامى عن الأصل^(٥) ، وأما من أسلم من قريش فإنهم مما نحن فيه

لظهر البعير ، أو كالحلس الملازم للبيت ، والرصد بالتحريك : القوم يرصدون كالحرس ، يستوى فيه
الواحد والجمع والمؤنث ، وربما قالوا أرصاد ، والعيون : الجواسيس جمع عين .

(١) مثل ضربه عليه السلام خشونة مقامهم وشظف منزلهم إبان مضايقة قريش لهم ، ويجوز أن
يكون حقيقة لامثلاً ، لأن الشعب (بالكسر) الذي حصروهم فيه مضيق بين جبلين .

(٢) اشتد إيذاء قريش لرسول الله صلى الله عليه وسلم وللمسلمين معه أول الإسلام ، وطال عليهم
البلاء والعذاب كما هو مشهور ، ثم إن قريشا اجتمعوا وأتَمَرُوا أن يكتبوا كتاباً يتعاقدون فيه على بني
هاشم وبني المطلب : على أن لا يتركوا إليهم ولا يتركهم ، ولا يبيعوهم شيئاً ولا يبتاعوا منهم ، فكتبوا
ذلك في صحيفة وتعاهدوا وتوافقوا عليه ، ثم علقوا الصحيفة في جوف الكعبة توكيداً على أنفسهم —
وكان كاتبها منصور بن عكرمة بن عامر بن هاشم بن عبد مناف — فلما فعلت ذلك قريش انخاز بنوهاشم
وبنو المطلب (مسلمهم وكافرهم) إلى أبي طالب بن عبد المطلب ، فدخلوا معه في شعبه فاجتمعوا إليه ،
وخرج منهم أبو لهب بن عبد المطلب إلى قريش فظاهرهم على قومه ، وضاق الأمر ببني هاشم ، وعدموا
القوت إلا ما كان يحمل إليهم سرا وخفية ، وهو شيء قليل لا يسلك أرماقهم ، وأخافتهم قريش فلم
يكن يظهر منهم أحد ، ولا يدخل إليهم أحد ، وذلك أشد ما لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم
وأهل بيته بمكة ، وأقاموا على ذلك سنتين أو ثلاثاً ، حتى ائتمر خمسة نفر من قريش — وهم هشام بن
عمر بن الحارث وزهير بن أبي أمية بن المغيرة والمطعم بن عدى بن نوفل وأبو البختری بن هشام بن
الحارث وزمعة بن الأسود بن المطلب — وتعاقدوا على القيام في الصحيفة حتى ينقضوها ، (وكان أولهم
أحسنهم بلاء في ذلك) وقام المطعم إليها خطها وشقها — وذكروا أنهم وجدوا الأرضة قد أكلتها إلا
ما كان من باسمك اللهم ، وأن كاتبها شات يده — فلما مزقت الصحيفة خرج بنوهاشم من حصار
الشعب — انظر سيرة ابن هشام ج ١ ص ٢١٥ — ٢٢٩ وشرح ابن أبي الحديد م ٣ ص ٣٠٨

(٣) أى قضى الله لنا ووقفنا له وجعلنا عازمين عليه ، والذب : الدفع ، والحوزة : الناحية وبيضة
الملك . (٤) وفي رواية ابن أبي الحديد « من وراء حومته ، وحومة الماء والرمل : معظمه ،
والرمي عنها : المناضلة والمخامة . (٥) أى يدافع عن محمية ومحافظة على النسب .

خَلَاء^(١)، منهم الحَلِيفُ الممنوعُ ، ومنهم ذوالعَشِيرَةِ التي تدافع عنه ، فلا يَبْغِيهِ أحدٌ بمثل ما بَغَانَا به قومُنَا من التَّلَفِ ، فهم من القتلِ بِمَكَانِ نَجْوَةٍ^(٢) وأَمْنٍ ، فكان ذلك ما شاء الله أن يكون .

ثم أمرَ الله تعالى رسوله بالهجرة ، وأذِنَ له بعد ذلك في قتال المشركين ، فكان إذا احمرَّ البأسُ^(٣) ، وأحجم الناسُ ، ودُعِيَتْ نَزَالٍ ، أقام أهل بيته فاستقدموا ، فوقى بهم أصحابه حَدَّ الأَسِنَّةِ والسيوفِ ، فَقُتِلَ عُبَيْدَةُ^(٤) ابن الحارث يوم بَدْرٍ ، وقُتِلَ حمزة يوم أُحُدٍ ، وقُتِلَ جعفر وزيد يوم مُوْتَةَ ، وأراد من لو شئتُ ذكرتُ اسمَه^(٥) مثل الذي أرادوا من الشهادة مع النبي صلى

(١) أى خالون منه ، وفي نهج البلاغة « ومن أسلم من قريش خلو مما نحن فيه ، بحلف يمينه ، أو عشيرة تقوم دونه » والحلف بالكسر : العهد . (٢) النجو مصدر نجأ ، كالنجاة والنجاء ، والنجوة بالناء : المكان المرتفع الذى تظن أنه نجاؤك ، وهذه الكلمة زائدة فى رواية ابن أبى الحديد ، وهى هنا مستعملة بمعنى المصدر ، أو هى محرفة عن نجو .

(٣) أى اشتد القتال حتى احمرت الأرض من الدم ، وهو مجاز كقولهم الموت الأحمر ، وأحجم الناس : أى كفوا عن الحرب وجبنوا عن الإقدام ، يقال : حجمت فلانا عن كذا أحجمه بالضم فأحجم هو ، وهذه اللفظة من النوادر كقولهم كبته فأكب ، ونزال : اسم فعل بمعنى انزل بمعنى المنازلة ، ولذا أنت قال الشاعر :

ولنعم حشو الدرع أنت إذا دعيت نزال ولج فى الذعر

وقال آخر :

وقد علمت سلامة أن سبى كرية كلما دعيت نزال

واستقدموا : تقدموا ، وفي نهج البلاغة « قدم أهل بيته » .

(٤) هو عبيدة بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف ، بارز يوم بدر عتبة بن ربيعة ، فاختلعا بينهما ضربتين ، كلاهما جرح صاحبه ، فحمل على وحزة على عتبة فأجهزا عليه ، واحتملا عبيدة جريحا ، ثم مات من جراحته ، وحمزة بن عبد المطلب عم الرسول قتل يوم أحد ، غافله وحشى - وهو مولى حبشى لجبير بن مطعم - وضربه فقتله ، وموْتة : قرية فى حدود الشام ، وكان عليه السلام جهز جيشاً للقصاص ممن قتلوا الحارث بن عمير الأزدي رسوله إلى أمير بصرى ، وأمر عايهم مولاه وحبه زيد ابن حارثة بن شراحيل الكلبي - وكان ذلك سنة ثمان للهجرة - وقال لهم : إن أصيب فالأمير جعفر بن أبى طالب ، فإن أصيب فعبد الله بن رواحة ، وقد قاتل ثلاثهم حتى استشهدوا فى تلك الغزوة . (٥) يعنى نفسه .

الله عليه وآله غير مرّة ، إلا أن آجالهم عُجِّلَتْ ، ومِنِّيَّتُهُ أُجِّلَتْ ، والله وليُّ
الإحسان إليهم ، والمِنَّةُ عليهم ، بما أسلفوا من أمر الصالحات ، فما سمعتُ
بأحدٍ ولا رأيته هو أنصح في طاعة الله ورسوله ، ولا أصبر على اللأواء^(١) ،
والسَّراء والضَّراء ، وحينَ البأس ، ومواطن المكروه مع النبي صلى الله
عليه وآله ، من هؤلاء النَّفَر الذين سَمَّيْتُ لك ، وفي المهاجرين خير كثير
يُعْرِف ، جزاهم الله خيراً بأحسن أعمالهم .

فيا عجباً للدهر ! إذ صرتُ يُقَرَّنُ بي من لم يَسْعَ بِقَدَمِي ، ولم تكن له
كسابقتي التي لا يُدْلِي أحدٌ بمثلها ، إلا أن يدَّعي مُدَّعٍ ما لا أعْرِفه ، ولا أظنُّ
الله يعرفه ، والحمد لله على كل حال .

وذكرت حَسَدِي الخلفاء وإِباطِي عنهم وبغِي عليهم ، فأما البغِيُ فَمَعَاذَ
الله أن يكون ، وأما الإِبطاء عنهم والكرَاهية لأمرهم فليست أعتذر إلى الناس
من ذلك ، إن الله تعالى ذِكْرُهُ لما قبض نبيه صلى الله عليه وآله ، قالت
قريش : منا أمير ، وقالت الأنصار : منا أمير ، فقالت قريش : منا محمد ،
فنحن أحقُّ بالأمر ، فعرفتُ ذلك الأنصارُ ، فسألت لهم الولاية والسلطان ،
فإذا استحقوها بمحمد صلى الله عليه وآله دون الأنصار ، فإن أولى الناس
بمحمد أحقُّ به منهم ، وإلا فإن الأنصار أعظم العرب فيها نصيباً ، فلا
أذري : أصحابي سَامُوا من أن يكونوا حَقِّ أخذوا ، أو الأنصار ظَلَمُوا ؟ بل
عَرَفْتُ أن حَقِّي هو المأخوذ ، وقد تركته لهم ، تجاوز الله عنهم .

وأما ما ذكرت من أمر عثمان ، وقطيعتي رَحِمَهُ ، وتأليبي عايه ، فإن عثمان

عَمِلَ مَا قَدْ بَلَغَكَ ، فَصَنَعَ النَّاسَ بِهِ مَا رَأَيْتَ ، وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ أَنِّي قَدْ كُنْتُ فِي
عُزْلَةٍ عَنْهُ ، إِلَّا أَنْ تَجَنِّيَ ، فَتَجَنَّنَا مَابِدَاكَ ، وَأَمَّا مَا ذَكَرْتَ مِنْ أَمْرِ قَتْلَةِ
عُثْمَانَ ، فَإِنِّي نَظَرْتُ فِي هَذَا الْأَمْرِ ، وَضَرَبْتُ أُنْفَهُ وَعَيْنَهُ ^(١) ، فَلَمْ أَرِهِ يَسْعُنِي
دَفْعُهُمْ إِلَيْكَ وَلَا إِلَى غَيْرِكَ ، وَلِعَمْرِي لَكُنْ لَمْ تَنْزِعْ ^(٢) عَنْ غَيْكَ وَشِقَاقِكَ ،
لَتَعْرِفَنَّهُمْ عَمَّا قَلِيلٍ يَطْلُبُونَكَ ، لَا يَكْفُونُكَ أَنْ تَطْلُبَهُمْ فِي بَرٍّ وَلَا بَحْرٍ ، وَلَا
جَبَلٍ وَلَا سَهْلٍ ، إِلَّا أَنَّهُ طَلَبَ يَسُوءُكَ وَجَدَانُهُ ، وَزَوْرٌ ^(٣) لَا يَسُرُّكَ لُقْيَانُهُ .
وَقَدْ كَانَ أَبُوكَ أَبُو سَفْيَانَ أَتَانِي حِينَ قُبِضَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وآلِهِ ، فَقَالَ : أَنْتَ أَحَقُّ بِمَقَامِ مُحَمَّدٍ ، وَأَوْلَى النَّاسِ بِهَذَا الْأَمْرِ ، وَأَنَا زَعِيمٌ ^(٤)
لَكَ بِذَلِكَ عَلَى مَنْ خَالَفَ ، أَبْسُطْ يَدَكَ أَبَايَعُكَ ^(٥) ، فَلَمْ أَفْعَلْ ، وَأَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ
أَبَاكَ قَدْ قَالَ ذَلِكَ وَأَرَادَهُ ، حَتَّى كُنْتُ أَنَا الَّذِي أُيِّتُ عَلَيْهِ ، خَافَةَ الْفُرْقَةُ بَيْنَ
أَهْلِ الْإِسْلَامِ ، لِقُرْبِ عَهْدِ النَّاسِ بِالْكَفْرِ ، فَأَبُوكَ كَانَ أَعْرَفَ بِحَقِّكَ مِنْكَ
فَإِنْ تَعْرِفَ مِنْ حَقِّ مَا كَانَ أَبُوكَ يَعْرِفُ ، تُصِيبُ رُشْدَكَ ، وَإِلَّا فَاسْتَعِينِ اللَّهَ
عَلَيْكَ ، وَالسَّلَامُ لِأَهْلِهِ .

(شرح ابن أبي الحديد م ٣ : ص ٤٠٨ ، ونهج البلاغة ٢ : ٦ ، والعقد الفريد ٢ : ٢٣٤)

(١) جاء في الأمثال « ضرب وجه الأمر وعينه » وهو مثل يضرب لمن يداور الشؤون ويقلبها
ظهر البطن من حسن التدبير . (٢) أى تكف . (٣) الزور : الزائرون .
(٤) أى كفيل . (٥) روى أنه لما بويع أبو بكر بالخلافة . قال أبو سفيان لعلي : ما بال هذا
الأمر في أقل من قريش ؟ والله لئن شئت لأملأها عليه خيلاً ورجلاً ، فقال علي : يا أبا سفيان
طالما عادت الإسلام وأهله فلم تضربه بذلك شيئاً ، إنا وجدنا أبا بكر لها أهلاً ، وروى أيضاً أنه لما
اجتمع الناس على بيعة أبي بكر أقبل أبو سفيان وهو يقول : والله لئن لأرى عجاجة لا يطفئها إلا دم ،
يا آل عبد مناف ، فيم أبو بكر من أموركم ؟ أين المستضعفان ، أين الأذلان عليّ والعباس ؟ وقال :
أبا حسن ابسط يدك حتى أبايحك ، فأبى علي عليه ، فجعل يتمثل بشعر المناس :

ولن يقيم على ضيم يراد به إلا الأذلان عير المحي والوتد

هذا على الحسف معكوس برمته وذا يشج فلا يبيك له أحد

فزجره علي ، وقال : إنك والله ما أردت بهذا إلا الفتنة ، وإنك والله طالما بغيت الإسلام شراً ،
لا حاجة لنا في نصيحتك - انظر تاريخ الطبري ٣ : ٢٠٢

٤٢٥ - كتاب معاوية إلى عليّ

وكتب معاوية إلى عليّ كتاباً أنفذه إليه مع أبي أمامة الباهلي ، ونسخته :
« من عبد الله معاوية بن أبي سفيان إلى علي بن أبي طالب :
أما بعد : فإن الله تعالَى جَدُّهُ اصْطَفَى مُحَمَّدًا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لِرِسَالَتِهِ ،
وَاخْتَصَّ بِهِ وَحْيَهُ وَتَأْدِيَةَ شَرِيعَتِهِ ، فَأَنْقَذَ بِهِ مِنَ الْعَمَايَةِ ^(١) ، وَهَدَى بِهِ مِنَ
الْغَوَايَةِ ، ثُمَّ قَبَضَهُ إِلَيْهِ رَشِيدًا حَمِيدًا ، قَدْ بَلَغَ الشَّرْعَ ، وَحَقَّقَ الشَّرْكَ ، وَأَخَذَ
نَارَ الْإِفْكَ ، فَأَحْسَنَ اللَّهُ جَزَاءَهُ ، وَضَاعَفَ عَلَيْهِ نِعَمَهُ وَآلَاءَهُ ^(٢) ، ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ
سَبَّحَانَهُ اخْتَصَّ مُحَمَّدًا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بِأَصْحَابِ أَيْدِيهِ وَنَصْرُوهِ وَكَانُوا كَمَا
قَالَ اللَّهُ سَبَّحَانَهُ لَهُمْ : « أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ » فَكَانَ أَفْضَلَهُمْ
مَرْتَبَةً ، وَأَعْلَاهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَالْمُسْلِمِينَ مَنَزَلَةً ، الْخَلِيفَةُ الْأَوَّلُ الَّذِي جَمَعَ الْكَلِمَةَ ،
وَلَمَّ الدَّعْوَةَ وَقَاتَلَ أَهْلَ الرُّدَّةِ ، ثُمَّ الْخَلِيفَةُ الثَّانِي الَّذِي فَتَحَ الْفَتْوحَ ، وَمَصَّرَ
الْأَمْصَارَ ، وَأَذَلَّ رِقَابَ الْمُشْرِكِينَ ، ثُمَّ الْخَلِيفَةُ الثَّالِثُ الْمَظْلُومُ الَّذِي نَشَرَ الْمِلَّةَ ،
وَطَبَّقَ ^(٣) الْآفَاقَ بِالْكَلِمَةِ الْحَنِيفِيَّةِ .

فلما استوثق الإسلام وضرب بجرانه ^(٤) ، عَدَوَتْ عَلَيْهِ ، فَبَغِيَّتَهُ
الْغَوَائِلَ ، وَنَصَبَتْ لَهُ الْمَكَايِدَ ، وَضَرَبَتْ لَهُ بَطْنَ الْأَمْرِ وَظَهَرَ ، وَدَسَّسَتْ
عَلَيْهِ وَأَغْرَيْتَ بِهِ ، وَقَعَدَتْ - حَيْثُ اسْتَنْصَرَكِ - عَنْ نَصْرِهِ ، وَسَأَلَتْ أَنْ تُدْرِكَهُ

(١) العماية : الغواية ، والإفك : الكذب : (٢) الآلاء : النعم ، واحدها إلى كحمل وألو وألى
كشمس ، وألى كفتى ، وإلى كرضا . (٣) من طبق السحاب الجو : أى غشاه :
(٤) جران البعير : مقدم عنقه من مذبحه إلى منحره ، ومعنى ضرب الإسلام بجرانه . أى استقام
وفرّ فى قراره كما أن البعير إذا برّك واستراح مد جرانه على الأرض .

قَبْلَ أَنْ يُمَزَّقَ فَمَا أُدْرِكْتَهُ ، وَمَا يَوْمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْكَ بِوَاحِدٍ ، لَقَدْ حَسَدْتِ
أَبَا بَكْرٍ وَالتَّوَيْتِ عَلَيْهِ ، وَرُمْتِ إِفْسَادَ أَمْرِهِ ، وَقَعَدْتِ فِي بَيْتِكَ ، وَاسْتَفْوَيْتِ
عِصَابَةً مِنَ النَّاسِ حَتَّى تَأْخَرُوا عَنْ بَيْعَتِهِ ، ثُمَّ كَرِهْتَ خِلَافَةَ عُمَرَ وَحَسَدْتَهُ ،
وَاسْتَطَلْتَ مَدَّتَهُ وَسُرَرْتَ بِقَتْلِهِ ، وَأَظْهَرْتَ الشَّمَاتَةَ بِمُصَابِهِ ، حَتَّى إِنَّكَ حَاوَلْتَ
قَتْلَ وَلَدِهِ ^(١) لِأَنَّهُ قَتَلَ قَاتِلَ أَبِيهِ ، ثُمَّ لَمْ تَكُنْ أَشَدَّ مِنْكَ حَسَدًا لِابْنِ عَمِّكَ

• (١) يعنى عبيد الله بن عمر ، وذلك أنه لما قتل أبو لؤلؤة فيروز الجوسى أباه عمر بن الخطاب رضى
الله عنه كما قدمنا ، قال عبد الرحمن بن أبى بكر غداة طعن عمر : مررت عشيّ أمس على أبى لؤلؤة ،
ومعه الهرمزان وجفينة (وجفينة رجل نصرانى من العباد - بكسر العين - من أهل الحيرة أقدمه إلى
المدينة سعد بن أبى وقاص ليعلم بها الكتابة) وهم نجى (أى يتناجون ويتسارون) فلما رهنهم
(بكسر الهاء أى غشيتهم) تاروا وسقط منهم خنجر له رأسان نصابه فى وسطه ، فانظروا بأى شيء
قتل ، فجاء بالخنجر الذى وصف ابن أبى بكر ، فسمع بذلك عبيد الله بن عمر فأمسك حتى مات عمر ، ثم
اشتمل على السيف فقتل الهرمزان وجفينة وابن فيروز ، فهناك الناس فلم ينته وكان يقول : والله لأقتلن
رجالا ممن شرك فى دم أبى - يعرض بالمهاجرين والأنصار - فأرسل إليه صهيب (وكان عمر أوصى أن
يصلى صهيب بالناس إلى أن يقوم خليفة) عمرو بن العاص فأخذ السيف من يده ، فلما أخذ عمرو السيف
وثب عليه سعد بن أبى وقاص فتناصيا (أى أخذ كل منهما بناصية صاحبه) وقال : قتلت جارى
وأخفرتنى ! وحبسه صهيب فى دار سعد حتى سلمه إلى عثمان لما استخلف ، فقال عثمان : أشيروا علىّ
فى هذا الرجل الذى فتق فى الإسلام ما فتق ، فقال بعضهم ومنهم على : نرى أن تقتله ، وقال آخرون
ومنهم عمرو بن العاص : قتل عمر أمس ، ويقتل ابنه اليوم ! أبعد الله الهرمزان وجفينة ، وقال عمرو
أيضا : يا أمير المؤمنين إن الله قد أعفأك أن يكون هذا الحدث كان ولاك على المسلمين سلطان ، إنما
كان هذا الحدث ولا سلطان لك ، فتركه عثمان وأعطى دية من قتل واحتملها فى ماله ، وقيل إنما
تركه عثمان لأنه قال للمسلمين : من ولىّ الهرمزان ؟ قالوا : أنت ، قال : قد عفوت عن عبيد الله ،
وقيل : إن عثمان سلم عبيد الله إلى القماذبان بن الهرمزان ليقبضه بأبيه ، قال القماذبان : فأطاف بى الناس
وكلونى فى العفو عنه ، فقلت : هل لأحد أن يعننى منه ؟ قالوا : لا ، قلت : أليس إن شئت قتلته ؟
قالوا : بلى ، قلت : قد عفوت عنه ، وتركته لله ولهم ، فاحتملونى فوالله ما بلغت المنزل إلا على رءوس
أرجال وأكفهم (وفى هذا نظر : لأنه لو عفا عنه ابن الهرمزان لم يكن لعلى أن يقتله ، وقد أراد قتله
لما ولى الخلافة) .

ولم يزل عبيد الله كذلك حيا حتى قتل عثمان وولى على الخلافة ، وكان رأيه أن يقتل عبيد الله فأراد
قتله ، فهرب منه إلى معاوية ، وشهد معه صفين ، وكان على الخيل ، فقتل فى بعض أيام صفين - انظر
أسد الغابة ج ٣ : ص ٣٤٢ وتاريخ الطبرى ج ٥ : ص ٤١ - ٤٤ .

وجاء فى مروج الذهب أيضا (ج ٢ : ص ٢٠) : « كان عبيد الله بن عمر لحق بمعاوية خوفا من
علىّ أن يقبضه بالهرمزان ، وذلك أن أبى لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة كان عمى قاترا فى أرض العجم غلاما

عثمان ، نَشَرْتَ مَقَابِحَهُ ، وَطَوَيْتَ مُحَاسِنَهُ ، وَطَعَنْتَ فِي فَقْهِهِ ، ثُمَّ فِي دِينِهِ ، ثُمَّ فِي سِيرَتِهِ ، ثُمَّ فِي عَقْلِهِ ، وَأَغْرَيْتَ بِهِ السُّفَهَاءَ مِنْ أَصْحَابِكَ وَشِيعَتِكَ ، حَتَّى قَتَلُوهُ بِمَحْضَرِّ مَنْكَ ، لَا تَدْفَعُ عَنْهُ بِلِسَانٍ وَلَا يَدٍ ، وَمَا مِنْ هَؤُلَاءِ إِلَّا مَنْ بَغِيَتْ عَلَيْهِ ، وَتَلَكَاتٌ فِي بَيْعَتِهِ حَتَّى مُجِلَّتْ إِلَيْهِ قَرَارًا تُسَاقُ بِحَزَائِمِ الْاِقْتِسَارِ^(١) كَمَا يَسَاقُ الْفَحْلُ الْخَشُوشُ ، ثُمَّ نَهَضْتَ الْآنَ تَطْلُبُ الْخِلَافَةَ ، وَقَتْلَهُ عُثْمَانَ خُلَصَاؤُكَ وَسُجْرَاؤُكَ^(٢) وَالْمُحْدِقُونَ بِكَ ، وَتِلْكَ مِنْ أَمَانِي النُّفُوسِ وَضَلَالَاتِ الْأَهْوَاءِ .

فَدَعِ الْجَاجَ وَالْعَبَثَ^(٣) جَانِبًا ، وَادْفَعْ إِلَيْنَا قَتْلَ عُثْمَانَ ، وَأَعِدِ الْأَمْرَ سُورَى بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ ، لِيَتَّفِقُوا عَلَى مَنْ هُوَ لِلَّهِ رِضًا ، فَلَا بَيْعَةَ لَكَ فِي أَعْنَاقِنَا ، وَلَا طَاعَةَ لَكَ عَلَيْنَا ، وَلَا عُتْبَى^(٤) لَكَ عِنْدَنَا ، وَلَيْسَ لَكَ وَلَا أَصْحَابِكَ عِنْدِي إِلَّا السِّيفُ ، وَالَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَا طُلُبْنَ قَتْلَ عُثْمَانَ أَيْنَ كَانُوا وَحَيْثُ كَانُوا حَتَّى أَقْتُلَهُمْ ، أَوْ تَلْحَقَ رُوحِي بِاللَّهِ .

فَأَمَّا مَا لَا تَزَالُ تَمُنُّ بِهِ مِنْ سَابِقَتِكَ وَجِهَادِكَ ، فَإِنِّي وَجَدْتُ اللَّهَ سَبْحَانَهُ

للهرمزان ، فلما قتل عمر شد عبيد الله على الهرمزان فقتله ، وقال : لا أترك بالمدينة فارسيا ولا في غيرها إلا قتلته ، وكان الهرمزان عليلا في الوقت الذي قتل فيه عمر ، فلما صارت الخلافة إلى علي أراد قتل عبيد الله بن عمر بالهرمزان لقتله إياه ظالما من غير سبب استحقه ، فلجأ إلى معاوية اهـ .

هذا ولا يفوتنا أن نقول إن أبا لؤلؤة لما طعن عمر في الصلاة (وقد طعن في المسجد معه ثلاثة عشر رجلا مات منهم سبعة) أقبل رجل من بني تميم يقال له حطان ، فألقى كساءه عليه ثم اجتمضه ، فلما علم أبو لؤلؤة أنه مأخوذ طعن نفسه - انظر القصد الفريد ٢ : ٢٠٩ - .

(١) في كتب اللغة : الحزام والحزامه بالكسر : ما حزم به ، والجمع حزم ككتب ، وقسره على الأمر واقتصره : قهره ، وقد تقدم معنى الخشوش .

(٢) الخلصاء جمع خلص بالكسر ، وهو الخدن بالكسر أيضا أي صاحب ، والسجاء جمع سجير ككريم : وهو الخليل الصني ، وفي الأصل « شجراؤك » وهو تصحيف .

(٣) ربما كان والعنت . (٤) العتبي : الرضا .

يقول : « يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمُ ، بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَذَا كُمُ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ » ولو نظرت في حال نفسك لوجدتها أشد الأنفس امتناناً على الله بعملها ، وإذا كان الامتنان على السائل يُبطل أجر الصدقة ، فالامتنان على الله يُبطل أجر الجهاد ، ويجعله كصفوان^(١) عَلَيْهِ تَرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ » (شرح ابن أبي الحديد م ٣ : ص ٤٤٨)

٤٣٦ — رد على علي معاوية

فكتب إليه علي :

« أما بعدُ : فقد أتاني كتابك تذكر فيه اصطفاء الله محمدًا صلى الله عليه وآله لدينه وتأييده إياه بمن أيده به من أصحابه ، فلقد خبأ لنا الدهر منك عجبًا ، إذ طَفِقْتَ تُخْبِرُنَا بِبَلَاءٍ^(٢) الله عندنا ، ونعمته علينا في نبينا ، فكنت في ذلك كناقلِ الثمر إلى هجر^(٣) ، أو داعي مُسَدِّدِهِ إلى النضال ، وزعمت أن أفضل الناس في الإسلام فلان وفلان^(٤) ، فذكرت أمرًا إن

(١) الصفوان واحدة صفوانة ، وهي الحجر الصلب الضخم .

(٢) أي إنعامه وإحسانه .

(٣) هجر : قاعدة البحرين وهي كثيرة النخل فهي معدن التمر ، وفي الأمثال « كستبضع التمر إلى هجر » ويقال أيضا « كستبضع التمر إلى خير » قال النابغة الجعدي :

وإن امرأ أهدى إليك قصيدة كستبضع تمرا إلى أرض خيرا

ومسده : أي معلمه الرمي وموقفه للسداد ، وفي صبح الأعشى ونهاية الأرب « أو داعي مدره » والمدره كنبر : المقدم في اللسان واليد عند الخصومة والقتال .

(٤) أي أبو بكر وعمر ، وثله : أي عيبه ، وفي صبح الأعشى ونهاية الأرب « قلّه » بالضم ، وهو القلة ، وفيها أيضا « والسائل والمسئول » محل « والسائس والمسوس » والرواية التي أوردناها (وهي رواية نهج البلاغة) أنسب .

تَمَّ اعْتَزَلَكَ كُلُّهُ ، وَإِنْ نَقَصَ لَمْ يَلْحَقْكَ ثَمُّهُ ، وَمَا أَنْتَ وَالْفَاضِلُ وَالْمَفْضُولُ ،
وَالسَّائِسُ وَالْمَسُوسُ ؟ وَمَا لِلطَّلَقَاءِ ، وَأَبْنَاءِ الطَّلَقَاءِ ، وَالتَّمْيِيزَ بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ
الْأَوَّلِينَ ، وَتَرْتِيبَ دَرَجَاتِهِمْ ، وَتَعْرِيفَ طَبَقَاتِهِمْ ؟ هِيَئَاتِ لَقَدْ حَنَّ قِدْحُ
لَيْسَ مِنْهَا^(١) ، وَطَفِقَ يَحْكُمُ فِيهَا^(٢) مَنْ عَلَيْهِ الْحُكْمُ لَهَا ! أَلَا تَرَبُّعُ أَيُّهَا
الْإِنْسَانُ عَلَى ظَلْمِكَ ، وَتَعْرِيفُ قُصُورِ ذَرْعِكَ^(٣) ، وَتَتَأَخَّرُ حَيْثُ أَخْرَكَ
الْقَدَرُ ؟ فَمَا عَلَيْكَ غَدَبَةُ الْمَغْلُوبِ ، وَلَا لَكَ ظَفَرُ الظَّافِرِ !

وَإِنَّكَ لَذَهَابٌ فِي التَّيِّهِ^(٤) ، رَوَّاعٌ عَنِ الْقَصْدِ ، أَلَا تَرَى - غَيْرَ مُخْبِرٍ
لَكَ ، وَلَكِنْ بِنِعْمَةِ اللَّهِ أُحْدِثُ - أَنْ قَوْمًا اسْتَشْهِدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ تَعَالَى مِنْ
الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ - وَلِكُلِّ فَضْلٍ - حَتَّى إِذَا اسْتَشْهِدَ شَهِيدُنَا ، قِيلَ : سَيِّدُ
الشَّهَدَاءِ^(٥) ، وَخَصَّصَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِسَبْعِينَ تَكْبِيرَةً عِنْدَ
صَلَاتِهِ عَلَيْهِ^(٦) ، أَوَّلًا تَرَى أَنْ قَوْمًا قُطِعَتْ أَيْدِيهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ - وَلِكُلِّ

(١) فِي الْأَمْثَالِ « حَنَّ قِدْحٌ لَيْسَ مِنْهَا » حَنَّ : صَوَّتَ ، وَالْقِدْحُ أَحَدُ قِدَاحِ الْمَيْسَرِ ، وَإِذَا كَانَ أَحَدُ
الْقِدَاحِ مِنْ غَيْرِ جَوْهَرٍ أَخْوَاتَهُ ثُمَّ أَجَلَهُ الْمَقِيضُ خَرَجَ لَهُ صَوْتٌ يَخَالِفُ أَصْوَاتَهَا ، فَيَعْرِفُ بِهِ أَنَّهُ لَيْسَ
مِنْ جَمَلَةِ الْقِدَاحِ ، يُضْرَبُ لِلرَّجُلِ يَفْتَخِرُ بِقَبِيلَةٍ لَيْسَ هُوَ مِنْهَا ، أَوْ يَتَمَدَّحُ بِمَا لَا يُوْجِدُ فِيهِ ، وَهَذَا فِي مِنْهَا
رَاجِعَةٌ إِلَى الْقِدَاحِ ، وَقَدْ تَمَثَّلَ بِهِ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حِينَ قَالَ لَهُ الْوَلِيدُ بْنُ عَقْبَةَ بْنِ أَبِي
مَعْبُطٍ : أَقْتُلْ مِنْ بَنِي قُرَيْشٍ ؟ فَقَالَ عُمَرُ : حَنَّ قِدْحٌ لَيْسَ مِنْهَا (وَقَدْ ذَكَرَ جَمَاعَةٌ مِنَ النَّسَائِيِّينَ أَنَّ
جَدَّ أَبِيهِ ذَكَوَانَ بْنَ أُمَيَّةَ بْنَ عَبْدِ شَمْسٍ كَانَ مَوْلَى لَأُمَيَّةٍ ، وَكَانَ يُقَالُ بِالْصَّفُورِيِّ نَسَبُهُ إِلَى صَفُورِيَّةٍ
بَلَدٌ بِالْأُرْدَنِ ، فَتَبَنَاهُ أُمَيَّةٌ ، فَبَنُوهُ مَوَالٍ وَلَيْسُوا مِنْ بَنِي أُمَيَّةٍ لَصْلَبِهِ - انْظُرْ شَرْحَ ابْنِ أَبِي الْحَدِيدِ ص ١٥٤) .

(٢) أَيْ فِي الطَّبَقَاتِ . (٣) ذَرْعُ الْإِنْسَانِ طَاقَتُهُ الَّتِي يَبْلُغُهَا .

(٤) التَّيِّهِ : الضَّلَالُ وَالْكِبَرُ ، وَرَوَّاعٌ عَنْهُ : مَالٌ وَحَادٌ ، وَالْقَصْدُ : اسْتِقَامَةُ الطَّرِيقِ .

(٥) هُوَ حِزَّةُ بْنُ عَبْدِ الْمَطْلَبِ ، قُتِلَ يَوْمَ أَحَدٍ كَمَا قَدِمْنَا وَسَمَّاهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَيِّدَ
الشَّهَدَاءِ ، وَأَشْهَدَ بِمَجْهُولٍ وَاسْتَشْهِدَ كَذَلِكَ : قُتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ . (٦) رَوَى أَنَّهُ كَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ
كُلَّمَا أَتَى بِشَهِيدٍ وَضَعَ إِلَى جَنْبِ حِزَّةٍ فَصَلَّى عَلَيْهِ وَعَلَى الشَّهِيدِ حَتَّى صَلَّى عَلَيْهِ سَبْعِينَ مَرَّةً ، لِأَنَّ
الشَّهَدَاءَ فِي أَحَدٍ سَبْعُونَ (ابْنُ أَبِي الْحَدِيدِ ص ٣ : ص ٣٩٥) وَجَاءَ فِي تَرْجُمَتِهِ فِي أَسَدِ الْغَابَةِ ج ٢ :
ص ٤٩ : « عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ : كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا كَبَّرَ عَلَى جَنَازَةٍ كَبَّرَ عَلَيْهَا
أَرْبَعًا ، وَأَنَّهُ كَبَّرَ عَلَى حِزَّةٍ سَبْعِينَ تَكْبِيرَةً ، وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
عَلَى حِزَّةٍ فَكَبَّرَ عَلَيْهِ سَبْعَ تَكْبِيرَاتٍ . ثُمَّ لَمْ يَوُتْ بِقَتِيلٍ إِلَّا صَلَّى عَلَيْهِ مَعَهُ حَتَّى صَلَّى عَلَيْهِ ثَلَاثِينَ وَسَبْعِينَ
صَلَاةً » - انْظُرْ قَوْلَ ابْنِ عَبَّاسٍ أَيْضًا فِي سِيرَةِ ابْنِ هِشَامٍ ج ٢ : ص ٨٧ .

فضل - حتى إذا فعل بواحدنا^(١) ما فعل بواحدكم ، قيل الطيَّارُ في الجنة وذو الجناحين ، ولولا ما نهى الله عنه من ترْكِيَةِ المرءِ نفسه ، لَدَكَ ذَاكِرٌ^(٢) فضائلِ جَمَّةٍ ، تعرّفها قلوبُ المؤمنين ، ولا تتجّها آذان السامعين .

فدع عنك مَنْ مالت به الرَّمِيَّةُ^(٣) ، فإنّا صنائعُ ربنا^(٤) ، والناسُ بعدُ صنائعُ لنا ، لم يمتنعنا قديمُ عزّنا ، ولا عادى طَوْلنا^(٥) على قومك ، أنْ خلطناكم

(١) يعنى جعفر بن أبى طالب قتل في غزوة مؤتة كما تقدم ، وقد قطعت يده ، أخذ اللواء بيمينه فقطعت ، فأخذه بشماله فقطعت ، فاحتضنه بعضديه حتى قتل واللواء معه لم يلقه ، ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لقد أبلى الله بهما جناحين يطير بهما في الجنة ، ولذا سمي الطيَّار (ابن أبى الحديد ٣ : ص ٤٠٥ وأسد الغابة ١ : ٢٨٨ وسيرة ابن هشام ٢ : ٢٥٣) .

(٢) يعنى نفسه .

(٣) الرمية : الطريدة التي يرميها الصائد ، وهى فعيلة بمعنى مفعولة ، وأنتت لأنها جعلت اسماً لا فعلاً والمراد بها الدنيا ، والمعنى : دع من مال إلى الدنيا ومالت به أى أمانته إليها : أى لا تستمع لهؤلاء الذين يغرونك بالمضى فيما تطمح إليه من الخلافة طلباً للدنيا وطمعاً فيها ، يعرض بعمر بن الخطاب فقد مالا معاوية وشايعه على أن يجعل له مصر طعمة كما قدمنا ، وفي نهاية الأرب « الدنية » وهى الأمر الخسيس . (٤) أى اصطفاها الله واختصنا بفضله ، وجعل النبوة فى بيتنا ، ومنه فاضت الهداية على الورى ، أى فنحن أحق بالخلافة .

(٥) الطول : الفضل ، وعادى : أى قديم ، نسبة إلى عاد إحدى قبائل العرب البائدة . فنكحنا وأنكحنا : أى تزوجنا منكم وزوجناكم منا ، قال ابن أبى الحديد : « ويبنى أن يحمل قوله « قديم » و « عادى » على مجازة لا على حقيقة لأن بنى هاشم وبني أمية لم يمتزوا فى الشرف إلا منذ نشأ هاشم بن عبد مناف ، وعرف بأفعاله ومكارمه ، ونشأ حينئذ أخوه عبد شمس ، وعرف بمثل ذلك ، وصار لهذا بنون ، ولهذا بنون ، وادعى كل من الفريقين أنه أشرف بالفعال من الآخر ، ثم لم تكن المدة بين نشأ هاشم وإظهار محمد صلى الله عليه وآله الدعوة إلا نحو تسعين سنة ، ومثل هذه المدة القصيرة لا يقال فيها « قديم عزنا ، وعادى طولنا » فيجب أن يحمل اللفظ على مجازة ، لأن الأفعال الجميلة كما تكون عادة بطول المدة تكون بكثرة المتأثر والمتأثر وإن كانت المدة قصيرة ، ولفظة قديم ترد ولا يراد بها قدم الزمان ، بل من قولهم لفلان قدم صدق وقديم أثر أى سابقة حسنة اهـ » وفسره الأستاذ الشيخ محمد عبده فقال : « العادى : الاعتيادى المعروف » والأول هو الصحيح بقرينة قوله قبل « قديم عزنا » وقال أيضاً « قديم مفعول يمنع ، وأن خلطناكم فاعله » والصحيح العكس ، وفي رواية صبح الأعشى « ومديد طولنا » .

بأنفسنا ، فنكحنا وأنكحنا ، فعلَ الأَ كفا ، ولستم هُناكَ ، وأنَّى يكون ذلك كذلك^(١) ؛ ومنا النبي ، ومنكم المكذِب^(٢) ؛ ومنا أسد الله^(٣) ، ومنكم

(١) أى وكيف يكون شرفكم كشرنا .

(٢) يعنى أبا سفيان بن حرب ، كان عدو رسول الله والمكذب له والمحب عليه ، وقال الأستاذ الشيخ محمد عبده فى تفسيره (ونقل عنه ذلك شارح نهاية الأرب) : « المكذب : أبو جهل » وهو خطأ ، أجل إن أبا جهل كان من ألد أعداء رسول الله ، والمكذِبين له ، ولكنه ليس من بنى أمية ، بل هو أبو جهل عمرو بن هشام بن المغيرة المخزومي من بنى مخزوم بن مرة من قريش (٣) يعنى حمزة بن عبد المطلب ، وأسَد الأَحلاف : يعنى عتبة بن ربيعة . وذلك أنه لما تَدافى المسلمون والمشركون فى غزوة بدر ، خرج عتبة وشيبة والوليد حتى فصلوا من الصف ثم دعوا إلى المبارزة ، فخرج إليهم فتين ثلاثة من الأنصار ، فقالوا لهم : من أنتم ؟ قالوا : رهط من الأنصار ، فقالوا : ارجعوا فما لنا بكم من حاجة ، ثم نادى مناديتهم : يا محمد أخرج إلينا أكفاءنا من قومنا ، فأخرج لهم صلى الله عليه وسلم حمزة وعلياً وعبيدة بن الحارث ، فقال حمزة : أنا حمزة بن عبد المطلب ، أسد الله وأسَد رسوله ، فقال عتبة : كفء كريم ، وأنا أسد الحلفاء ، من هذان معك ؟ قال : على بن أبى طالب وعبيدة بن الحارث بن المطلب ، فقال : كفتان كريمان .

قال الواقدي : قال ابن أبى الزناد . حدثني أبى قال : لم أسمع لعتبة كلمة قط أو هن من قوله « أنا أسد الحلفاء » يعنى بالحلفاء الأُجعة (وعلى ذلك فهى بفتح الحاء وسكون اللام ، وهى نبت ينبت فى مغايرى الماء ، أى أنا أسد الأُجعة ، لأن مأوى الأسد الأجام ومنابت الحلفاء) .

قال ابن أبى الحديد : « قلت : قد روى هذه الكلمة على صيغة أخرى « وأنا أسد الحلفاء » يعنى (يضم ففتح) وروى « أنا أسد الأَحلاف » (كما جاء فى كتاب الإمام على) قالوا فى تفسيرها : أراد أنا سيد أهل حلف المطيبين (وسنبيته بعد) ورد قوم هذا التأويل ، فقالوا : إن المطيبين لم يكن يقال لهم الحلفاء ولا الأَحلاف ، وإنما ذلك لقب خصومهم وأعدائهم الذين وقع التحالف لأجلهم ، وقال قوم فى تفسيرها : إنما عني حلف الفضول (وسنبيته بعد أيضا) وهذا التفسير أيضا غير صحيح لأن بنى عبد شمس لم يكونوا فى حلف الفضول ، فقد بان أن ما ذكره الواقدي أصح وأثبت - (انظر شرح ابن الحديد م ٣ : ص ٣٢٣) .

غير أن ابن أبى الحديد مع ما ذكره من تفنيد هذين التفسيرين ، لم يبين المراد بالأحلاف أو الحلفاء فى رواية من روى « أنا أسد الأَحلاف » و « أنا أسد الحلفاء » جمعا ، وأقول : إننا إذا بحثنا عن قتلتوا من مشركى قريش يوم بدر وجدناهم : من بنى عبد شمس بن عبد مناف ، ومن بنى نوفل بن عبد مناف ، ومن بنى أسد بن عبد العزى بن قصى ، ومن بنى عبد الدار بن قصى ، ومن بنى تيم بن مرة بن كعب بن لؤى ، ومن بنى مخزوم بن يقظة بن مرة ، ومن بنى جح بن عمرو ابن هصيص بن كعب بن لؤى ، ومن بنى سهم بن عمرو بن هصيص ، ومن بنى عامر بن لؤى . (راجع كتب السيرة) أى أن هذه البطون من قريش كانت قد تآزرت وانفقت كلمتها على حرب محمد وإن شئت فقل إنهم قد تحالفوا على قتاله - وإن لم ينقل إلينا التاريخ أنهم قد عقدوا بينهم على ذلك حنفا بمعناه الأخص - ثم ولوا أمرهم عتبة بن ربيعة فكان قائدهم وصاحب حربهم ، فهو إذ يقول

« أنا أسد الأحلاف » يبنى أن يقول إنه أسد هذه البطون القرشية المتناصرة على قتال المسلمين . وفي تفسير الأستاذ الشيخ محمد عبده (وتابعه أيضا شارح نهاية الأرب) : « أسد الأحلاف : أبو سفيان ، لأنه حزب الأحزاب وحلفهم على قتال النبي في غزوة الخندق » — وقد قدمنا لك خبر الأحزاب في ص ٣١١ — وهو تفسير ملائم ، غير أن التنظير في كتاب الإمام يقتضى حينئذ أن يكون « المكذب » شخصا آخر غير أبي سفيان .

وقال ابن أبي الحديد : « قال الراوندى : المكذب من كان يكذب رسول الله صلى الله عليه وآله عنادا من قريش ، وأسد الأحلاف : أسد بن عبد العزى ، قال : لأن بنى أسد بن عبد العزى كانوا أحد البطون الذين اجتمعوا في حلف المطيين ، وهذا كلام ظريف جدا ، لأنه لم يلحظ أنه يجب أن يجعل بإزاء النبي صلى الله عليه وآله مكذب من بنى عبد شمس ، فقال : المكذب من كذب النبي إمن قريش عنادا ، وليس كل من كذبه عليه السلام من قريش يعير معاوية به ، ثم قال : أسد الأحلاف أسد بن عبد العزى ، وأى عار يلزم معاوية من ذلك ؟ ثم إن بنى عبد مناف كانوا في هذا الحلف ، وعلى معاوية من بنى عبد مناف ، ولكن الراوندى يظلم نفسه بتعرضه لما لا يعلمه اهـ » .

وهالك كلة عن حلف المطيين : كان قصي بن كلاب جعل إلى ابنه عبد الدار الحجابة واللواء والسقاية والرفادة ، ثم إن بنى عبد مناف بن قصي (عبد شمس وهاشما والمطلب ونوفلا) أجمعوا على أن يأخذوا ما بأيدي بنى عبد الدار بن قصي من ذلك ، ورأوا أنهم أولى به منهم لشرفهم عليهم وفضلهم في قومهم ، ففترقت عند ذلك قريش ، فكانت طائفة مع بنى عبد مناف على رأيهم ، كان معهم بنو أسد بن عبد العزى بن قصي ، وبنو زهرة بن كلاب ، وبنو تيم بن مرة بن كعب ، وبنو الحرث بن فهر بن مالك ، وكانت طائفة أخرى مع بنى عبد الدار ، يرون أن لا ينزع منهم ما كان قصي جعل لإيهم ، كان معهم بنو مخزوم بن يقظة بن مرة ، وبنو سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب ، وبنو جحج بن عمرو بن هصيص ، وبنو عدي بن كعب ، ففقد كل قوم على أمرهم حلفا مؤكدا على أن لا يتخاذلوا ولا يسلم بعضهم بعضا ، مابل بحر صوفة ، فأخرج بنو عبد مناف جفنة مملوءة طيبا فوضعوها لأحلافهم في المسجد عند الكعبة ، ثم غمس القوم أيديهم فيها فتعاهدوا وتعاهدوا وحلفوا ، ثم مسحوا الكعبة بأيديهم توكيدا على أنفسهم فسموا « المطيين » بفتح الياء المشددة — وتعاقد بنو عبد الدار وتعاهدوا وحلفوا عند الكعبة حلفا مؤكدا على أن لا يتخاذلوا ولا يسلم بعضهم بعضا ، فسموا « الأحلاف » — انظر سيرة ابن هشام ١ : ٨٢ .

أما حلف الفضول فسيبه أن رجلا من زبيد من أهل اليمن قدم مكة معتمرا ببضاعة ، فاشتراها منه العاص بن وائل السهمي ومطله بالثنى ، فجاء إلى بنى سهم يستعديهم عليه ، فأغلظوا له — وكان بنو سهم وبنو جحج أهل بغي وعدوان — فطوّف في قبائل قريش يستصرخهم فتخاذلت القبائل عنه ، فلما رأى ذلك أشرف على أبي قبيس حين أخذت قريش مجالسها وناشدته ، فاجتمع بنو هاشم وبنو المطلب وبنو أسد وبنو زهرة وبنو تيم في دار عبد الله بن جدعان التيمي ، فتعالفوا وغمّسوا أيديهم في ماء زمزم بعد أن غسلوا به أركان البيت وتعاهدوا على أن لا يجدوا بكمة مظلوما من أهلها أو غيرهم ممن دخلها من سائر الناس إلا قاموا معه ، وكانوا على من ظلمه حتى تردّ عليه مظلمته ، وأن يأخذوا على يد الظالم وينهوا عن كل منكر ، مابل بحر صوفة ، ثم انطلقوا إلى العاص بن وائل

أَسَدُ الْأَخْلَافِ ؛ وَمَنَا سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ^(١) ، وَمَنْكُم صَبِيَّةُ النَّارِ^(٢) ؛ وَمَا

فَقَالُوا لَهُ : أَدَّى إِلَى هَذَا حَقُّهُ فَأَدَّى إِلَيْهِ حَقُّهُ ، فَكَثَبُوا كَذَلِكَ دَهْرًا ، لَا يَظْلَمُ أَحَدٌ بِمَكَّةَ إِلَّا أَخَذُوا لَهُ حَقَّهُ .
وَكَانَ حَلْفُ الْفَضُولِ بَعْدَ حَلْفِ الْمُطِيبِينَ بَرَزَانًا ، وَقَدْ شَهِدَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلُهُ ، وَهُوَ
شَابُ ابْنِ خَمْسٍ وَعَشْرِينَ سَنَةً ، قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : « لَقَدْ شَهِدْتُ فِي دَارِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَدْعَانَ
حَلْفًا مَا أَحَبُّ أَنْ لِي بِهِ حَرُّ النَّعَمِ (بِهِ أَيْ بَدَلُهُ : أَيْ مُقَابِلُ تَقْضِيهِ) وَلَوْ دُعِيتُ بِهِ الْيَوْمَ لِأُجِبتُ ،
وَلَا يَزِيدُهُ إِلَّا شِدَّةٌ » وَإِنَّمَا سَمِيَ حَلْفُ الْفَضُولِ لِأَنَّهُمْ تَحَالَفُوا أَنْ تَرُدَّ الْفَضُولُ عَلَى أَهْلِهَا
(فَالْفَضُولُ : جَمْعُ فَضْلٍ وَهُوَ الزِّيَادَةُ ، لِأَنَّ الظَّالِمَ يَأْخُذُ فَضْلًا عَنْ حَقِّهِ) وَقِيلَ : إِنَّهُ كَانَ قَدْ سَبَقَ قَرِيشًا
إِلَى مِثْلِ هَذَا الْحَلْفِ « جَرَمٌ » فِي الزَّمَنِ الْأَوَّلِ ، فَتَحَالَفَ مِنْهُمْ ثَلَاثَةٌ مِنْهُمْ وَتَبِعَهُمْ : أَحَدُهُمُ الْفَضْلُ
بَنُ فَضَالَةَ ، وَالثَّانِي الْفَضْلُ بْنُ وَدَاعَةَ ، وَالثَّالِثُ فَضِيلُ بْنُ الْحَارِثِ ، فَلَمَّا أَشْبَهَ حَلْفَ قَرِيشِ الْآخِرِ
فَعَلَّ هَؤُلَاءِ الْجَرَاهِمِينَ سَمِيَ حَلْفُ الْفَضُولِ (فَالْفَضُولُ جَمْعُ فَضْلٍ ، وَهِيَ أَسْمَاءُ أُولَئِكَ الَّذِينَ تَقْدَمُ ذِكْرُهُمْ)
انْظُرْ سِيرَةَ ابْنِ هِشَامٍ ١ : ٨٣ وَلِرُوضِ الْأَنْفِ ١ : ٩١ وَشَرْحِ ابْنِ أَبِي الْحَدِيدِ م ٣ :
ص ٣٣٤ وَ ص ٤٦٤ .

(١) يَعْنِي الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ ، قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلُهُ : « الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ سَيِّدَا شَبَابِ
أَهْلِ الْجَنَّةِ » (أَسَدُ الْغَابَةِ ٢ : ١١) .

(٢) كَانَ عَنِيَّةُ بْنُ أَبِي مَعِيْطٍ أَبَانُ بْنُ أَبِي عَمْرٍو ذِكْوَانُ بْنُ أُمَيَّةَ بْنِ عَبْدِ شَمْسٍ مِنْ أَشَدِّ الْمُسْتَهْزِئِينَ
بِرَسُولِ اللَّهِ الْمُؤَذِّنِ لَهُ (وَأَخْبَارُهُ فِي ذَلِكَ مَشْهُورَةٌ فَرَاغَهَا فِي كِتَابِ السَّيْرَةِ) وَكَانَ مِنْ أَسْرَى الْمُشْرِكِينَ
يَوْمَ بَدْرٍ فَقَتَلَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَبْرًا ، فَقَالَ لَهُ عَقِبَةُ كَالْمُسْتَعْطَفِ لَهُ : مَنْ لِلصَّبِيَّةِ يَأْجِدُ ؟ قَالَ : النَّارُ
(سِيرَةُ ابْنِ هِشَامٍ ١ : ٣٩٣) .

قَالَ ابْنُ أَبِي الْحَدِيدِ : « وَلَمْ يَعْلَمْ الرَّائِدِيُّ مَا الْمُرَادُ بِهَذِهِ الْكَلِمَةِ فَقَالَ : صَبِيَّةُ النَّارِ أَوْلَادُ مَرْوَانَ
ابْنِ الْحَكَمِ الَّذِينَ صَارُوا مِنْ أَهْلِ النَّارِ عِنْدَ الْبُلُوغِ ، وَلَمَّا أَخْبَرَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلُهُ عَنْهُمْ بِهَذِهِ
الْكَلِمَةِ كَانُوا صَبِيَّةً ثُمَّ تَرَعَرَعُوا وَاخْتَارُوا الْكُفْرَ ، وَلَا شَبَهَةَ أَنَّ الرَّائِدِيَّ قَدْ كَانَ يَفْسِرُ مِنْ خَاطِرِهِ
فَهُمَا خَطَرُ لَهُ قَالَ : اهْ » ، وَأَقُولُ : إِنَّ مَا ذَكَرَهُ الرَّائِدِيُّ خَطَأً فَاحْشَ ، وَتَفْصِيلُ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ
أَنَّ الْحَكَمَ بْنَ أَبِي الْعَاصِ (أَبَا مَرْوَانَ) كَانَ قَدْ فَدَمَ الْمَدِينَةَ بَعْدَ الْفَتْحِ — وَكَانَ قَدْ أَسْلَمَ يَوْمَ الْفَتْحِ سَنَةً
ثَمَانٍ لِلْهِجْرَةِ — فَأَخْرَجَهُ رَسُولُ اللَّهِ إِلَى الطَّائِفِ ، وَقَالَ لَهُ : « لَا تَسْأَلْنِي فِي بَلَدٍ أَبَدًا » لَوْ قِيعَتْ فِيهِ
(قِيلَ : كَانَ يَسْمَعُ سِرَّ رَسُولِ اللَّهِ وَيَطْلُعُ عَلَيْهِ مِنْ بَابِ بَيْتِهِ ، وَهُوَ الَّذِي أَرَادَ رَسُولُ اللَّهِ أَنْ يَفْقَأَ
عَيْنَهُ بِمَدْرَى فِي يَدِهِ لَمَّا أَطْلَعَ عَلَيْهِ مِنَ الْبَابِ ، وَقِيلَ كَانَ يَحْكِي رَسُولُ اللَّهِ فِي مَشْيَتِهِ وَبَعْضُ حَرَكَاتِهِ ،
وَكَانَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَتَكَلَّمُ فِي مَشْيَتِهِ) فَطَرَدَهُ رَسُولُ اللَّهِ وَلَعَنَهُ وَأَبْعَدَهُ حَتَّى صَارَ مَشْهُورًا بِأَنَّهُ طَرِيدٌ
رَسُولُ اللَّهِ ، وَلَمْ يَرِ ابْنَهُ مَرْوَانَ رَسُولُ اللَّهِ لِأَنَّهُ خَرَجَ إِلَى الطَّائِفِ طَرِيدًا لَا يَعْقِلُ لَمَّا نَبَى النَّبِيُّ أَبَاهُ —
وَقَدْ وَلَدَ بِمَكَّةَ سَنَةً اثْنَتَيْنِ لِلْهِجْرَةِ — وَقِيلَ إِنَّهُ وَلَدَ بِالطَّائِفِ إِبَانَ بْنَ أَبِيهِ بِهَا « انْظُرْ أَسَدُ الْغَابَةِ ج ٢ :
ص ٣٤ وَ ج ٤ : ص ٣٤٨ » فَكَيْفَ يَقُولُ الرَّائِدِيُّ : « وَلَمَّا أَخْبَرَ النَّبِيَّ عَنْ أَوْلَادِ مَرْوَانَ بِهَذِهِ
الْكَلِمَةِ كَانُوا صَبِيَّةً » مَعَ أَنَّ أَبَاهُمْ مَرْوَانَ نَفْسَهُ كَانَ عَلَى عَهْدِ الرَّسُولِ صَبِيًّا ، عَلَى أَنَّ أَوْلَادَهُ لَمَّا
تَرَعَرَعُوا لَمْ يَخْتَارُوا الْكُفْرَ كَمَا يَقُولُ ، وَهُوَ وَاضِحٌ ظَاهِرٌ ، وَقَدْ ذَكَرَ الْجَاهِظُ أَنَّ عَبْدَ الْمَلِكِ بْنَ مَرْوَانَ
كَانَ عَابِدَ قَرِيشٍ قَبْلَ أَنْ يَسْتَخْلَفَ ، وَرَعَا وَزَهْدًا « الْعَقْدُ الْفَرِيدُ ٣ : ٨ »
(نَعَمْ رَوَى عَنْهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ مَرَّ بِهِ الْحَكَمُ بْنُ أَبِي الْعَاصِ فَقَالَ : وَيْلَ لَأُمْتِي مِمَّا فِي صُلْبِ هَذَا)

خيرُ نساء العالمين^(١) ، ومنكم حمالة الحطب^(٢) ، في كثير مما لنا وعليكم .
فإسلامنا ما قد سمع ، وجاهليتنا لا تدفع ، وكتابُ الله يجمع لنا ما شذَّ
عنا ، وهو قوله سبحانه وتعالى : « وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي
كِتَابِ اللَّهِ » وقوله تعالى : « إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا
النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ » فنحن مرةً أَوْلَىٰ بالقرابة ، وتارةً أَوْلَىٰ
بالطاعة ، ولما احتج المهاجرون على الأنصار يوم السقيفة^(٣) برسول الله صلى
الله عليه وآله فُلجوا عليهم ، فإن يكن الفلجُ به فالحق لنا دونكم ، وإن يكن
بغيره فالأنصار على دعواهم .

وزعمت أني لكل الخلفاء حسدتُ ، وعلى كلهم بغيتُ ، فإن يكن

وذكر الأستاذ الشيخ محمد عبده في تفسيره ما ذكره الراوندي فقال : « وصبية النار : قيل هم أولاد
مروان بن الحكم ، أخبر النبي عنهم وهم صبيان بأنهم من أهل النار ، ومروان من الدين في كبرهم اهـ »
(وتابعه أيضا شارح نهاية الأرب) وقد بينا فسادَه .

(١) يعني فاطمة عليها السلام ، جاء في الإصابة ج ٨ : ص ١٥٨ (عن أبي هريرة مرفوعا : خير
نساء العالمين أربع : مريم وآسية وخديجة وفاطمة) (وآسية هي امرأة فرعون ، نزل فيها وفي مريم قوله تعالى
« وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي
الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ وَمَرْيَمَ ابْنَةَ عِمْرَانَ الَّتِي
أَخْصَأَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ
وَكَّانَتْ مِنَ الْغَانِّيِينَ » .

(٢) هي أم جميل بنت حرب بن أمية امرأة أبي لهب وعمه معاوية ، وقد ورد فيها التنزيل بذلك
« وَأَمْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ » وقيل لها حمالة الحطب ، لأنها كانت تحمل الشوك والسعدان وتلقيه
في طريق النبي صلى الله عليه وسلم إنداء له (وكانت جارتَه) أو هو النخلة ، إذ كانت تسعى عليه بالنخائم وتوقد
بذلك نار الخصومة ، أو حطب جهنم ، فإنها كانت تحمل الأوزار بمعاداته ، وتحمل زوجها على إندائه
(٣) لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم اجتمعت الأنصار في سقيفة بني ساعدة فقالوا : نولي
هذا الأمر بعد محمد سعد بن عباد ، وكان بينهم وبين المهاجرين حجاج انتهى باستخلاف أبي بكر كما
هو معروف ، وفلج على خصمه كنصر : فاز عليه وظفر .

ذلك كذلك ، فليس الجناية عليك ، فيكون العذر إليك :

* وَتِلْكَ شَكَاةٌ ظَاهِرَةٌ عَنْكَ عَارُهَا ^(١) *

وقلت إني كنت أقادُ كما يقادُ الجمَلُ المَخْشُوشُ حتى أبايعَ ، ولَعَمْرُ اللَّهِ
لقد أردت أن تَذُمَّ فَمَدَحْتَ ، وأن تَفْضَحَ فافْتَضَحْتَ ، وما على المسلم من
غَضَاضَةٍ ^(٢) في أن يكون مظلوماً ، ما لم يكن شاكاً في دينه ، ولا مُرْتَاباً
بِيقِينِهِ ، وهذه حُجَّتِي إلى غيرك قَصْدُهَا ^(٣) ، ولكنني أطلَقْتُ لك منها بقدر
ما سَمَحَ ^(٤) مِنْ ذِكْرِهَا .

ثم ذكرت ما كَانَ مِنْ أَمْرِي وأمرِ عَثْمَانَ ، فلك أن تُجَابَ
عن هذه ، لِرَحِمِكَ ^(٥) منه ، فَأَيْنَا كَانَ أَعْدَى ^(٦) له ، وأَهْدَى إِلَى
مَقَاتِلِهِ ، أَمَنْ بَذَلْ لَهُ نُصْرَتَهُ فاستَقْعَدَهُ واستَكَفَّهُ ^(٧) ، أم من استنصره

(١) هو شطر بيت لأبي ذؤيب الهذلي ، قال :

أبى القلب إلا أم عمرو فأصبحت تحرق ناري بالشكاة ونارها

وعيرها الواشون أني أحبها وتلك شكاة ظاعر عنك عارها

والشكاة في الأصل : المرض ، وتوضع موضع العيب والذم كما في هذا البيت ، فعناها هنا العيب
والنقيصة ، ويقال : ظهر عني هذا العيب : إذا نبا عنك ولم يعلق بك منه شيء .

(٢) غص منه : تقص ووضع من قدره .

(٣) أي إني إذا احتجبت لحق في الخلافة فإنما أحتج إلى غيرك لا إليك ، إذ ليس لك في الخلافة شأن

(٤) أي عرض . (٥) الرحم : القربة . (٦) أي أشد عدواناً ، والمقاتل : وجوه القتل .

(٧) استقعد واستكفه : طلب قعوده وكفه ، ويعني « بئر بذل له نصرته » نفسه ، فقد كان للإمام

على عليه السلام في الدفاع عن عثمان موقف مجيد لا ينكره إلا كل مكابر ، وقد قال : « والله ما زلت

أذب عنه حتى إني لأستحي » وقال أيضاً : « والله لقد دفعت عنه حتى خشيت أن أكون آثماً »

وبعث إليه بالماء حين منعه عنه المحاصرون ، كما بعث إليه بابنيه الحسن والحسين ومواليه للذب عن داره ،

وقال لابنيه : اذهبا بسيفكما حتى تقوما على باب عثمان فلا تدعا أحداً يصل إليه بمكرهه ، وقد خضب

الحسن بالدماء في سبيل مدافعة الثوار وشج قنبر مولى علي ، حتى قال عثمان للحسن : إن أباك الآن إني

أمر عظيم فأقسمت عليك لما خرجت ، فأبى وشاء الله أن ينفذ القضاء في عثمان فجاء علي فقال لابنيه :

كيف قتل أمير المؤمنين وأنتما على الباب ولطم الحسن وضرب الحسين ، وقد فصلنا القول في هذا

الموضوع في كتابنا « ترجمة علي بن أبي طالب - باب مقتل عثمان » .

فَتَرَاخَى عَنْهُ^(١) ، وَبَتَّ الْمُنُونِ إِلَيْهِ ، حَتَّى أَتَى قَدْرُهُ عَلَيْهِ ؟ كَلَّا وَاللَّهِ ، لَقَدْ عَلِمَ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ^(٢) مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا .
وَمَا كُنْتُ لِأَعْتَذَرَ مِنْ أَنِّي كُنْتُ^(٣) أَنْقَمَ عَلَيْهِ أَحَدًا ، فَإِنْ كَانَ الذَّنْبُ إِلَيْهِ إِرْشَادِي وَهْدَايَتِي لَهُ ، فَرُبَّ مَلُومٍ لَا ذَنْبَ لَهُ^(٤) :

* وَقَدْ يَسْتَفِيدُ الظَّنَّةَ الْمُنْتَصَحُ^(٥) * وَمَا أَرَدْتُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ .

وذكرت أنه ليس لى ولأصحابى عندك إلا السيف ، فلقد أضحكت بعد استعبار^(٦) ! متى ألقى بني عبد المطلب عن الأعداء ناكِلين^(٧) ، وبالسيف مُحَوِّفين^(٨) ؟ « فَلَبِثْتُ قَلِيلًا يَلْحَقُ الْهَيْجَا حَمَلٌ^(٨) » فسيطلبك مَنْ تَطْلُبُ ،

(١) يعنى به معاوية ، وقد كان عثمان كتب إليه يستنصره فترى به (انظر ما قدمناه فى ص ٣١٤)
والمنون : الموت ، وبث المنون إليه : أى أنه تقاعس عن نصرته فأفضى ذلك إلى بلوغ الثوار مآربهم فيه فقتلوه . (٢) أى المانعين من النصرة .

(٣) نعم منه كضرب وعلم : عابه ، والأحداث جمع حدث كسبب وهو البدعة .
(٤) هو مثل ، من قول أ كُتِمَ بن صبيح ، يقول : قد ظهر للناس منه أمر أنكره عليه وهم لا يعرفون حجته وعذره فهو يلام عليه .

(٥) الظنة : التهمة ، والمنصح هنا : البالغ فى النصح لمن لا يتصح ، وهو شطريت ، وصدره : ولم سقت فى آثاركم من نصيحة .

(٦) استعبر : جرت عبرته ، أى بكى ، فقله يبكى لأنه يطلب ملاحق له فيه ، ويشق عصا الجماعة ويضحك لتهديده من لا يهدد . (٧) نكل عنه كضرب ونصر وعلم نكولا : نكس وجين .

(٨) لبث : من اللبث بالفتح وهو المكث أى انتظر ، والهيجا يقصر ويمد : الحرب ، وحمل اسم رجل (وستعرفه بعد) ، وهو مثل يضرب للتهديد بالحرب ، رواه أبو هلال العسكري فى جمهرة الأمثال ج ٢ : ص ١٧٧ ، فقال : « لبث رويداً يلحق الهيجا حمل » أى انتظر حتى يتلاحق الشبان وفى لسان العرب ج ١٣ ص ١٩٣ « ضح رويداً يدرك الهيجا حمل » وفى مجمع الأمثال للميداني ج ١ ص ٢٨٣ « ضح رويداً يدرك الهيجا حمل » (ومعنى « ضح رويداً » لا تعجل فى الأمر وتأن وارفق ، ضحى الإبل : غذاها فى الضحى ، فتضحت هى أى أكلت فى الضحى ، وأصله أن العرب كانوا يسيرون فى البادية يوم ظعنهم ، فإذا مروا ببقعة من الأرض فيها كلاً وعشب ، قال قائلهم : ألاضحوا رويداً ، أى ارفقوا بالإبل حتى تتضحى ، أى تنال من هذا المرعى ، ثم وضعت التضحية مكان الرقى ، لتصل الإبل إلى المنزل وقد شبت اه لسان العرب ج ١٩ : ص ٢١٥) .

وَيَقْرُبُ مِنْكَ مَا تَسْتَبْعِدُ ، وَأَنَا مُرْقِلٌ^(١) نَحْوُكَ فِي جَحْفَلٍ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ
وَالْأَنْصَارِ وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ ، شَدِيدٍ زِحَامُهُمْ ، سَاطِعٍ قَتَامُهُمْ^(٢) ،
مَتَسَرِّبِلِينَ سَرَائِلَ الْمَوْتِ ، أَحَبُّ اللَّقَاءِ إِلَيْهِمْ لِقَاءُ رَبِّهِمْ ، وَقَدْ صَحِبْتَهُمْ ذُرِّيَّةَ
بَدْرِيَّةٍ^(٣) ، وَسِیُوفَ هَاشِمِيَّةٍ ، قَدْ عَرَفْتَ مَوَاقِعَ نِصَالِهَا فِي أَخِيكَ وَخَالِكَ
وَجَدِكَ وَأَهْلِكَ ، وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ » .

(نهج البلاغة ٢ : ٢١ ، وصبح الأعشى ١ : ٢٢٩ ، ونهاية الأثر ٧ : ٢٢٢)

٤٢٧ - كتاب علي إلى مخنف بن سليم

وَلَمَّا أَجْمَعَ عَلَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنْ يَسِيرَ إِلَى الشَّامِ لِقِتَالِ مُعَاوِيَةَ ، كَتَبَ
إِلَى عُمَالِهِ يَسْتَفِزُّهُمْ ، فَكَتَبَ إِلَى مَخْنَفِ بْنِ سُلَيْمٍ عَامِلِهِ عَلَى أَصْبَهَانَ وَهَمْدَانَ :

أَمَا حَمَلُ فَهَوِ حَمَلِ بْنِ سَعْدَانَةَ (بِالْفَتْحِ) الصَّعْبَانِ ، جَاءَ فِي أَسَدِ الْقَابَةِ ج ٢ : ص ٥٢ . وَفِي شَرْحِ
الْقَامُوسِ ج ٧ : ص ٢٩٠ : « حَمَلُ بْنُ سَعْدَانَةَ الْكَلْبِي ، وَفَدَّ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَقَدَ لَهُ
لِوَاءً ، وَشَهِدَ مَعَ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ مَشَاهِدَهُ كُلَّهَا ، وَهُوَ الْقَائِلُ :

لَبْتُ قَلِيلًا يَلْحَقُ الْهَيْجَا حَمَلٌ مَا أَحْسَنَ الْمَوْتَ إِذَا حَانَ الْأَجَلُ

وَشَهِدَ صَفِينَ مَعَ مُعَاوِيَةَ ، وَقَدْ تَمَثَّلَ بِقَوْلِهِ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ يَوْمَ الْخَنْدَقِ أَهْ « وَفِي سِيرَةِ ابْنِ هِشَامٍ
ج ٢ : ص ١٦٣ ، فِي غَزْوَةِ الْخَنْدَقِ : « فَرَّ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ وَعَلَيْهِ دَرَعٌ لَهُ مَقْلَصَةٌ قَدْ خَرَجَتْ مِنْهَا
ذِرَاعُهُ كُلُّهَا ، وَفِي يَدِهِ حَرْبَتُهُ يَرْقُلُ بِهَا (أَيْ يَسْرِعُ) يَقُولُ :

لَبْتُ قَلِيلًا يَشْهَدُ الْهَيْجَا حَمَلٌ لَا بِأَسَ بِالْمَوْتِ إِذَا حَانَ الْأَجَلُ

وَفِي لِسَانِ الْعَرَبِ : « حَمَلٌ : إِعْمَا يُعْنَى بِهِ حَمَلُ بْنُ بَدْرٍ » وَكَذَا فِي مَجْمَعِ الْأَمْثَالِ ، وَقَالَ شَارِحُ
الْقَامُوسِ : « وَفِي الْمَحْكَمِ : إِعْمَا يُعْنَى بِهِ حَمَلُ بْنُ بَدْرٍ ، قُلْتُ : وَفِيهِ نَظَرٌ » .

وَقَدْ جَاءَ فِي تَفْسِيرِ الْأُسْتَاذِ الشَّيْخِ مُحَمَّدِ عَبْدِ اللَّهِ حَمَلُ بْنُ بَدْرٍ ، وَكَذَا ذَكَرَ شَارِحُ نَهَايَةِ الْأَثَرِ
مُسْتَنْدَادًا إِلَى مَا وَرَدَ فِي لِسَانِ الْعَرَبِ ، وَقَدْ عَرَفْتُ مَا فِيهِ ، وَلَمْ يَرِدْ فِي شَرْحِ ابْنِ أَبِي الْحَدِيدِ تَفْسِيرُهُ ،
وَأَكْبَرُ ظَنِّي أَنَّهُ سَقَطَ فِي أَثْنَاءِ الطَّبْعِ ، لِأَنَّهُ شَرَحَ ذَلِكَ الْكِتَابَ وَاقِعَ فِي نَهَايَةِ الْمَجْلَدِ الثَّلَاثِ ، وَلَمْ يَذْكُرْ
تَفْسِيرَ الْجُزْءِ الْأَخِيرِ مِنْهُ . (١) مَرْقُلٌ : مُسْرِعٌ . وَالْجَحْفَلُ : الْجَيْشُ الْعَظِيمُ .

(٢) الْقَتَامُ : الْغُبَارُ . وَسَاطِعٌ : أَيْ مُنْتَشِرٌ . وَالسَّرَائِلُ : جَمْعُ سَرِبَالٍ بِالْكَسْرِ : وَهُوَ الْقَمِيصُ أَوْ
الدَّرْعُ أَوْ كُلُّ مَا لَبَسَ ، وَقَدْ تَسَرَّبِلَ بِهِ : أَيْ لَبَسَهُ ، وَالْمَعْنَى : أَنَّهُمْ مُسْتَعِدُّونَ لِلْمَوْتِ مُرْجَبُونَ بِهِ .

(٣) أَيْ مِنْ ذُرَارِيِّ أَهْلِ بَدْرٍ الَّذِينَ قَاتَلُوا أَهْلَكَ يَوْمَ ذَلِكَ وَقَتَلُوا مِنْهُمْ .

« سلام عليك فإنني أحمدُ إليك الله الذي لا إله إلا هو ، أما بعدُ : فإنَّ جِهَادَ مَنْ صَدَفَ ^(١) عن الحق رغبةً عنه ، وهَبَّ في نَعَسِ العَمَى والضلال اختياراً له ، فريضةً على العارفين أنَّ الله يَرْضَى عمن أرضاه ، وَيَسْخَطُ على من عصاه .

وإنا قد هممنا بالسير إلى هؤلاء القوم الذين عملوا في عباد الله بغير ما أنزل الله ، واستأثروا بالنقء ، وعطلوا الحدود ، وأماتوا الحق ، وأظهروا في الأرض الفساد ، واتخذوا الفاسقين وليجةً ^(٢) من دون المؤمنين : فإذا وليَّ الله أعظمَ أحداثهم أبغضوه وأقصوه وحرَّموه ، وإذا ظالمٌ ساعدهم على ظلمهم أحبُّوه وأذنَّوه وبرَّوه ، فقد أصرُّوا على الظلم ، وأجمعوا على الخلاف ، وقديماً صدُّوا عن الحق ، وتعاونوا على الإثم وكانوا ظالمين .

فإذا أتيت بكتابي هذا فاستخلف على عملك أوثق أصحابك في نفسك ، وأقبل إلينا لعلك تلتقي معنا هذا العدوَّ المُجِلَّ ^(٣) ، فتأمر بالمعروف ، وتنهى

(١) صدف عنه كضرب : أعرض .

(٢) الوليجة : خاصتك من الرجال ، أو من تتخذة معتمداً عليه من غير أهلِكَ .

(٣) قال صاحب القاموس : (ورجل محل : منتهك للحرام ، أو لا يرى للشهر الحرام حرمة) . وجاء في اللسان : (ويقال : المحل الذي يحل لنا قتاله ، والمحرم : الذي يحرم علينا قتاله ، ويقال : المحل : الذي لا عهد له ولا حرمة ، والمحرم : الذي له حرمة ، وجاء في كتاب الإمام إلى أخيه عقيل (وسنورده بعد) (فإن رأيت قتال المحلين) وفسره ابن أبي الحديد م ٤ : ص ٥٧ . قال : أي الخارجين من الميثاق والبيعة يعني البغاة ومخالئي الإمام ، ويقال لكل من خرج من اسلام ، أو حارب في الحرم أو في الأشهر الحرم محلّ ، وعلى هذا فسر قول زهير : (وكم بالفتان من محل ومحرم) أي من لادمة له ومن له دمة ، وكذلك قول خالد بن يزيد بن معاوية في زوجته رملة بنت الزبير بن العوام : ألا من لقلب معنى غزل بحب المحلة أخت المحلّ

أي ناقضة العهد أخت المحارب في الحرم أو أخت ناقض بيعة بني أمية . وقال المبرد في الكامل أيضاً (ج ٢ : ص ١٦٨) (وكان عبد الله يدعى المحل لإحلاله القتال في الحرم ، وفي ذلك يقول رجل في

رملة بنت الزبير . . الخ) وكذا في العقد الفريد ج ٢ : ص ٢٦٨ .

عن المنكر ، وتُجامع المحقِّق ، وتباين المبطل ، فإنه لا غنى بنا ولا بك عن
أجر الجهاد ، وحسبنا الله ونعم الوكيل .

وكتبه عبيد الله بن أبي رافع في سنة سبع وثلاثين .

فاستخلف مخنف على أصبهان الحرث بن أبي الحرث بن الربيع ،
واستعمل على همذان سعيد بن وهب وكلاهما من قومه ، وأقبل حتى شهد مع
عليّ عليه السلام صفين . (شرح ابن أبي الحديد م ١ : ص ٢٨٢)

٤٢٨ - كتاب علي إلى عبد الله بن عباس

وكتب عبد الله بن عباس من البصرة إلى عليّ عليه السلام يذكر له
اختلاف أهل البصرة ، فكتب إليه عليّ عليه السلام :

« أما بعد : فقد قدّم عليّ رسولك ، وقرأت كتابك تذكر فيه حال أهل
البصرة ، واختلافهم بعد انصرافي عنهم ، وسأخبرك عن القوم :

هم بين مُقيم لرغبة يرجوها ، أو خائف من عقوبة يخشاها ، فأرغب
راغبهم بالعدل عليه ، والإنصاف له ، والإحسان إليه ، وأحلّل عُقْدَةَ الخوف
عن قلوبهم ، وائته إلى أمرى ولا تعدّه ، وأحسن إلى هذا الحي من ربيعة
وكل من قبلك فأحسن إليه ما استطعت إن شاء الله .

وكتب إلى أمراء عماله كلهم بنحو ما كتب به إلى مخنف بن سليم ،
وأقام ينتظرهم . (شرح ابن أبي الحديد م ١ : ص ٢٨٢)

٤٢٩ - كتاب عليّ إلى عبد الله بن عباس

وكتب إلى ابن عباس أيضاً :

« أما بعدُ : فأشخصُ إلىّ بمن قبلك من المسلمين والمؤمنين ، وذكّرهم
بلائي عندهم ، وعفوى عنهم في الحرب ، وأعلمهم الذي لهم في ذلك
من الفضل ، والسلام . »

فقدّم عليه ابن عباس بأهل البصرة . (شرح ابن أبي الحديد ١ : ص ٢٨٣)

٤٣٠ - كتاب زياد بن النضر إلى عليّ

وأمر عليّ فنودي في الناس أن أخرجوا إلى معسكركم بالنخيلة ،
واستخلف على الكوفة ، ثم خرج وخرج الناس معه ، ودعا زياد بن النضر
وشريح بن هانئ ، وكانا على مذبح والأشعريين ، فأوصى زياداً وقال له :
إني قد وليتك هذا الجند ، ثم أمرهما أن يأخذا في طريق واحد ولا يختلفا ،
وبعثهما في اثني عشر ألفاً على مقدّمته ، وكل واحد منهما على جماعة من ذلك
الجيش ، فأخذ شريح يعتزل بمن معه من أصحابه على حدة ، ولا يقرب زياداً
فكتب زياد إلى عليّ عليه السلام :

« لعبد الله عليّ أمير المؤمنين من زياد بن النضر :

سلام عليك ، فإني أحمدُ إليك الله الذي لا إله إلا هو ، أما بعد : فإنك
وليتني أمر الناس ، وإن شريئاً لا يرى بي عليه طاعة ولا حقا ، وذلك من
فعله بي استخفافاً بأمرك ، وتركاً لعهدك ، والسلام . »

(شرح ابن أبي الحديد م ١ : ص ٢٨٥)

٤٣١ - كتاب شريح بن هانيء إلى عليّ

وكتب شريح بن هانيء إلى عليّ عليه السلام :

« لعبد الله بن عليّ أمير المؤمنين من شريح بن هانيء :

سلام عليك ، فإنّي أحمدُ إليك الله الذي لا إله إلا هو ، أما بعد : فإنّ زياد بن النضر حين أشركته في أمرك ، ووَلَّيْتَهُ جنداً من جنّدك ، طغى واستكبر ، ومال به العُجب والخِيلاء والزَّهْو إلى ما لا يَرْضَى الله تعالى به من القول والفعل ، فإنّ رأى أمير المؤمنين عليه السلام أن يعزله عنا ، ويبعث مكانه مَنْ يُحِبُّ فليفعلْ ، فإنّا له كارهون ، والسلام » .

(شرح ابن أبي الحديد م ١ : س ٢٨٥)

٤٣٢ - كتاب عليّ إلى زياد وشريح

فكتب عليّ عليه السلام إليهما :

« من عبد الله عليّ أمير المؤمنين إلى زياد بن النضر ، وشريح بن هانيء :

سلام عليكما ، فإنّي أحمدُ إليكما الله الذي لا إله إلا هو ، أما بعدُ : فإنّي قد وليتُ مقدّمتي زياد بن النضر وأمرتُهُ عليها ، وشريح بن هانيء على طائفة منها أمير ، فإن انتهى جَمْعُكما إلى بأس فزياد بن النضر على الناس كلهم ، وإن افرقتما فكل واحد منكما أمير الطائفة التي وليّناه أمرها .

واعلموا أنّ مقدّمة القوم عيونهم ، وعيون المقدّمة طلائعهم ، فإذا أنتم

خرجتما من بلادكما فلا تَسْأَما من توجيه الطلائع ، ومن نفْضِ الشَّعَابِ^(١) والشجر والخمر في كل جانب ، كي لا يَغْتَرَّكما^(٢) عدو ، أو يكون لهم كمين ، ولا تُسَيِّرَنَّ الكتائب والقبائل من لَدُنَّ الصباح إلى المساء إِلَّا على تَعْيِيَةٍ^(٣) ، فَإِنْ دَهَمَكُمْ عَدُوٌّ أَوْ غَشِيَكُمْ مَكْرُوهٌ كُتِمَ قد تقدَّمتم في التعيية ، فإذا نزلتم بعدو أو نزل بكم فليكن مُعَسِّكُكُمْ في قُبُلِ الأَشْرَافِ^(٤) ، وأسْفَاحِ الجبال ، وأثناء الأنهار ، كما يكون ذلك لكم رِدْءًا ، وتكون مُقَاتَلَتُكُمْ من وجه واحد ، أو اثنين ، واجعلوا رُقَبَاءَ كما في صَيَاصِي^(٥) الجبال ، وبأعلى الأشراف ، وَمَنَاكِبِ الأنهار ، يَرَوْنَ لكم ، لا يَأْتِيَكُمْ عَدُوٌّ من مكان مخافة أو أَمْنٍ ، وإياكم والتفرق ، فإذا نزلتم فانزلوا جميعًا ، وإذا رَحَلْتُمْ فارحلوا جميعًا ، فإذا غَشِيَكُمْ الليلُ فنزلتم فحُفُّوا عسكركم بالرَّمَّاحِ والتَّرْسَةِ ، واتكن رُمَاتِكُمْ من وراء تِرَاسِكُمْ ، ورماحكم يُلُونَهُمْ ، وما أَقْتَمَ فكذلك فافعلوا ، كي لا يصاب لكم غَفْلَةٌ ، ولا يُلْقَى لكم غِرَّةٌ ، فما قومٌ يُحْفَوْنَ عسكرهم برماحهم وتِرَاسَتِهِمْ من ليل أو نهار ، إِلَّا كانوا كأنهم في حصون ، واحرُسًا عسكر كما بأنفسكم ، وإياكم أن تذوقا نومًا حتى تُصْبِحَا إِلَّا غِرَارًا^(٦) أو مَضْمَضَةً ، ثم ليكن ذلك

(١) الشعب بالكسر : الطريق في الجبل ، ومسيل الماء في بطن أرض ، أو ما انفرج بين الجبلين ، والجمع شعاب . والخمر : كل ما وراك من شجر أو بناء أو غيره ، ونقض المكان كنصر واستنفذه وتنفضه : إذا نظر جميع ما فيه حتى يعرفه ، وفي الأصل « نقض » بالقاف وهو تصحيف .

(٢) اغتررت الرجل : إذا طلبت غرته . والغرة بالكسر : الغفلة .

(٣) في الأصل « بقية » وهو تحريف .

(٤) الأشراف : جمع شرف بالتحريك وهو المكان العالي . وقبل الجبل بضمة وبضمتين : سفحه ، وهو أصله أو الحضيض الأسفل ، وقد ورد في كتب اللغة جمعه على سفوح ، والأثناء جمع ثني بالكسر وثني النهر منعطفه ، والردء : العون .

(٥) الصياصى جمع صيصية : وهي كل ما امتنع به وتخصن . (٦) الغرار : القليل من النوم ، ومضض النعاس في عينه : دب ، وما مضضت عيني بنوم : أى مانامت .

شأنكما ودأبكما حتى تنتهيا إلى عدوكما ، وليكن كل يوم عندى خبركما
ورسول من قبلكما ، فإني - ولا شيء إلا ما شاء الله - حيث^(١) السير في
إثركما ، وعليكما في جريكما بالثؤدة ، وإياكما والعجلة إلا أن تمكينكما فرصة
بعد الإعذار والحجة ، وإياكما أن تقاتلا حتى أقدم عليكما ، إلا أن تبدأا ،
أو يأتكما أمرى إن شاء الله . (شرح ابن أبي الحديد م ١ : ٢٨٥)

٤٣٣ - كتاب على إلى أمراء الأجناد

وكتب على عليه السلام إلى أمراء الأجناد :

«أما بعد : فإني أبرأ إليكم من معرة الجنود ، فأعزبوا^(٢) الناس عن الظلم
والمُدوان ، وخذوا على أيدي سفهائكم ، واحترسوا أن تعملوا أعمالاً لا يرضى
الله بها عنا ، فيردّ بها علينا وعليكم دعاءنا ، فإنه تعالى يقول : « مَا يَعْبَأُ بِكُمْ
رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ » وإن الله إذا مَقَتَ قومًا من السماء هلكوا في الأرض ،
فلا تألوا أنفسكم خيراً ، ولا الجند حُسْنَ سيرة ، ولا الرعيّة معونةً ، ولا دين
الله قوةً ، وأبْلُوا في سبيله ما استوجبَ عليكم ، فإن الله قد اصطنع^(٣) عندنا
وعندكم ما يجب علينا أن نشكره بمجهودنا ، وأن ننصره ما بلغت قوتنا ، ولا
قوة إلا بالله » . (شرح ابن أبي الحديد م ١ : ص ٢٨٥)

(١) أى سريع . (٢) أعزبه : أبعد . (٣) اصطنع عنده صنيعه : اتخذها .

٤٣٤ - كتاب علي إلى الأجناد

وكتب علي عليه السلام إلى جنوده يخبرهم بالذي لهم وعليهم :
« أما بعدُ : فإن الله جعلكم في الحق جميعاً سواء : أسودكم
وأحمركم^(١) ، وجعلكم من الوالي منكم بمنزلة الولد من الوالد ، والوالد من
الولد ، فحقكم عليه إنصافكم والتعديل بينكم والكف عن فيئكم ، فإذا فعل
معكم ذلك وجبت عليكم طاعته فيما وافق الحق ، ونصرتة والدفع عن سلطان
الله ، فإنكم وزعة^(٢) الله في الأرض ، فكونوا له أعواناً ، ولدينه أنصاراً ، وَلَا
تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ » .

(شرح ابن أبي الحديد م ١ ، ص ٢٨٥)

٤٣٥ - كتاب علي إلى معاوية ومن قبله من قريش

وسار علي عليه السلام حتى نزل الرقة^(٣) ، فقالت له طائفة من أصحابه :
يا أمير المؤمنين ، اكتب إلى معاوية ومن قبله من قومك ، فإن الحجة
لا ترداد عليهم بذلك إلا عظماً ، فكتب إليهم :

« من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى معاوية ومن قبله من قريش :
سلام عليكم فإني أحمّد إليكم الله الذي لا إله إلا هو ، أما بعدُ : فإن الله

(١) جاء في حديثه صلى الله عليه وسلم « أرسلت إلى الأسود والأحمر » يعني العرب والعجم ،
والغالب على ألوان العرب السمرة والأدمة ، وعلى ألوان العجم البياض والحمرة .

(٢) الوزعة : جمع وازع ، من وزعه كوضعه إذا كفه ، أي أنتم جنود الله الذين تكفون الناس

عن الظلم والعدوان . (٣) بلد على الفرات مقابل صفين .

عِبَادًا آمَنُوا بِالتَّنْزِيلِ ، وَعَرَفُوا التَّأْوِيلَ ، وَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ ، وَبَيَّنَّ اللَّهُ فَضْلَهُمْ فِي الْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ، وَأَنْتُمْ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ أَعْدَاءُ لِلرَّسُولِ تَكْذِبُونَ بِالْكِتَابِ ، مُجْمِعُونَ عَلَى حَرْبِ الْمُسْلِمِينَ ، مَنْ ثَقَّفْتُمْ^(١) مِنْهُمْ حَبَسْتُمُوهُ أَوْ عَذَّبْتُمُوهُ أَوْ قَتَلْتُمُوهُ ، حَتَّى أَرَادَ اللَّهُ تَعَالَى إِعْزَازَ دِينِهِ ، وَإِظْهَارَ أَمْرِهِ ، فَدَخَلَ الْعَرَبُ فِي الدِّينِ أَفْوَاجًا ، وَأَسْلَمَتْ لَهُ هَذِهِ الْأُمَّةُ طَوْعًا وَكَرْهًا ، فَكُنْتُمْ فِيمَنْ دَخَلَ فِي هَذَا الدِّينِ إِمَّا رَغْبَةً وَإِمَّا رَهْبَةً ، عَلَى حِينٍ فَازَ أَهْلُ السَّبْقِ بِسَبْقِهِمْ ، وَفَازَ الْمُهَاجِرُونَ الْأَوَّلُونَ بِفَضْلِهِمْ ، وَلَا يَنْبَغِي لِمَنْ لَيْسَتْ لَهُ مِثْلُ سِوَابِقِهِمْ فِي الدِّينِ ، وَلَا فَضَائِلُهُمْ فِي الْإِسْلَامِ ، أَنْ يَنَازِعَهُمُ الْأَمْرَ الَّذِي هُمْ أَهْلُهُ وَأَوْلَى بِهِ فَيَحُوبُ^(٢) وَيُظْلَمُ ، وَلَا يَنْبَغِي لِمَنْ كَانَ لَهُ عَقْلٌ أَنْ يَجْهَلَ قَدْرَهُ ، وَيَعْدُو طَوْزَهُ ، وَيُشَقِّقَ نَفْسَهُ بِالْتِمَاسِ مَا لَيْسَ بِأَهْلِهِ ، فَإِنْ أَوْلَى النَّاسُ بِأَمْرِ هَذِهِ الْأُمَّةِ قَدِيمًا وَحَدِيثًا أَقْرَبُهَا مِنَ الرَّسُولِ ، وَأَعْلَمُهَا بِالْكِتَابِ ، وَأَفْقَهُهَا فِي الدِّينِ ، أَوْ لَهَا إِسْلَامًا ، وَأَفْضَلُهُمْ جِهَادًا ، وَأَشَدَّهُمْ بِمَا تَحْمِلُهُ الْأُمَّةُ مِنْ أَمْرِ الْأُمَّةِ اضْطِلَاعًا^(٣) ، فَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تَرْجِعُونَ ، وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ، وَأَعْلَمُوا أَنَّ خِيَارَ عِبَادِ اللَّهِ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ بِمَا يَعْلَمُونَ ، وَإِنْ شَرَّارِهِمُ الْجُهَالُ الَّذِينَ يَنَازِعُونَ بِالْجَهْلِ أَهْلَ الْعِلْمِ ، فَإِنَّ لِلْعَالَمِ بَعْلَمَهُ فَضْلًا ، وَإِنَّ الْجَاهِلَ لَا يَزِدَادُ بِمَنَازَعَتِهِ الْعَالَمَ إِلَّا جَهْلًا ، أَلَا وَإِنِّي أَدْعُوكُمْ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ ، وَحَقِّ دِمَاءِ هَذِهِ الْأُمَّةِ ، فَإِنْ قَبِلْتُمْ أَصَبْتُمْ رَشْدَكُمْ ، وَاهْتَدَيْتُمْ لِحَظِّكُمْ ، وَإِنْ أَسَيْتُمْ إِلَّا الْفُرْقَةَ وَشَقَّ عَصَا

(١) ثَقَّفَهُ كَسَمِعَهُ : صَادَقَهُ أَوْ ظَهَرَ بِهِ وَأَدْرَكَهُ . (٢) حَابٌ يَحُوبُ : أَثِمٌ .

(٣) اضْطَلَعَ بِالْأَمْرِ : قَوَّى عَلَيْهِ .

هذه الأمة ، لم تزدادوا من الله إلا بُعْدًا ، ولا يزداد الرب عليكم إلا سُخْطًا ، والسلام . (شرح ابن أبي الحديد م ١ : ص ٢٩٠)

٤٣٦ - رد معاوية على علي

فكتب إليه معاوية جواب هذا الكتاب سطرًا واحدًا وهو :
« أما بعد : فإنه :

ليس بيني وبين قيس عتابٌ غير طعن الكلي وضرب الرقاب^(١)
فقال علي عليه السلام لما أتاه هذا الجواب : « إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أُخْبِتَ
وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ » .
(شرح ابن أبي الحديد م ١ : ص ٢٩٠)

٤٣٧ - كتاب عمرو بن العاص إلى ابن عباس

ولم تُجدِ الكتب بين علي ومعاوية نفعًا ، فعَبَأَ كل منهما جيشه ،
ودارت رحى الحرب بين الفريقين في صيفين ، على ماهو مشهور .
فلما أشتد الأمر وعظم على أهل الشام ، بعث معاوية أخاه عُتْبَةَ للقاء
الأشعث بن قيس الكِنْدِي^(٢) ، فجعل يستهويه ويستكفه ، وكان فيما قال
له : إنا لا ندعوك إلى ترك علي ونصرة معاوية ، ولكننا ندعوك إلى البقية
التي فيها صلاحك وصلاحنا ، فقال له الأشعث : لستم بأحوج إلى البقية منا ،
ولم يلقَ عنده عُتْبَةُ ما يحب .

(١) انظر رواية ابن قتيبة التي قدمناها في ص ٣٨٥ . (٢) وكان من رؤوس جند علي .
(١-٣٠)

فلما يئس معاوية من الأشعث قال لعمر بن العاص : إن رأس أهل العراق بعد علي هو عبد الله بن عباس ، فلو كتبت إليه كتاباً لملك ترققه ، ولعله لو قال شيئاً لم يخرج عليّ منه ، وقد أكلتنا الحرب ولا أرانا نصل إلى العراق إلا بهلاك أهل الشام ، فقال عمرو : إن ابن عباس لا يُخَدَع ، ولو طمعت فيه لطمعت في علي . قال معاوية : على ذلك فاكتب ، فكتب عمرو إلى ابن عباس :

« أما بعدُ : فإن الذي نحن وأنتم فيه ليس بأول أمر قادّه البلاء ، وأنت رأسُ هذا الجمع بعد عليّ ، فانظر فيما بقي ودع ماضى ، فوالله ما أبقت هذه الحرب لنا ولا لكم حياةً ولا صبراً ، واعلم أن الشام لا تهلك إلا بهلاك العراق ، وأن العراق لا تهلك إلا بهلاك الشام ، فما خيرُنا بعد هلاك أعدادنا منكم ؟ وما خيركم بعد هلاك أعدادكم منا ؟ ولسنا نقول : ليت الحرب عادت ، ولكننا نقول : ليتها لم تكن ، وإن فينا من يكره اللقاء كما أن فيكم من يكرهه ، وإنما هو : أمير مطاع ، ومأمور مطيع ، ومؤتمن مشاور وهو أنت ، فأما الأشر^(١) الغليظ الطبع القاسى القلب فليس بأهل أن يدعى في ثقات أهل الشورى ، ولا في خواص أهل النجوى . »

وكتب في أسفل الكتاب :

طال البلاء وما يُرجى له آسى بعد الإله سوى رفقِ ابنِ عباس^(٢)
قولاً له قول من يرجو مودته لا تنسَ حظك ، إن الخاسر الناسي

(١) هو مالك بن الحارث ، وكان من رءوس جند علي أيضاً ، كان على المينة ، وابن عباس على اليسرة ، وعلى في القلب . (٢) الآسى : الطبيب ، أسا الجرح يأسوه : داواه .

أنظر (تُفَدِّيك نفسى) قبل قاصِمةٍ للظهر ليس لها راق ولا آسى^(١)
 إن العراقَ وأهلَ الشَّامِ لن يجدوا طَعَمَ الحياة مع المُسْتَعْلِقِ القاسى^(٢)
 بَابُنَ الذى زَمَزَمَ سُقْيَا الحَجِيجِ له أَعْظَمُ بذلك من نَحَرَ على الناسِ^(٣)
 إني أرى الخيرَ فى سِلْمِ الشَّامِ لكم واللهُ يعلم ما بالسِّلْمِ من بَاسٍ^(٤)
 فيها الثَّقَى وأمورٌ ليس يجهلها إلا الجهولُ ، وما نوْكِى كأَكْيَاسٍ^(٥)
 (شرح أبى الحديد م ٢ : ص ٢٨٨ ، والإمامة والسياسة ١ : ٨٣)

٤٣٨ - رد ابن عباس على ابن العاص

فلما انتهى كتاب عمرو إلى ابن عباس أتى به إلى على عليه السلام :
 فأقرأه إياه فضحك ، وقال : قاتل الله^(٦) ابن العاص ! ما أغراه بك يا عبد الله
 أجبهُ ، وليردَّ عليه شعره الفضل بن العباس فإنه شاعر ، فكتب ابن عباس
 إلى عمرو :

- (١) قصمه كضرب : كسره ، والرقية بالضم : العوذة (بالضم أيضا) وقد رقاها يرقيه أى عوَّذه .
- (٢) المستلق : استلقى فلان فى بيعة : إذا لم يجعل لى خيارا فى رده .
- (٣) الحجيج جمع حاج ، وزمزم بئر بمكة حفرها عبد الطلب بن هاشم جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان ابنه العباس فى الجاهلية رئيسا فى قريش ، وإليه كانت السقاية فى الجاهلية (انظر أسد الغابة ج ٣ : ص ١٠٩) وجاء فى شرح ابن أبى الحديد م ٣ : ص ٤٦١ « وكانت السقاية فى الجاهلية بيد أبى طالب ، ثم سلمها إلى أخيه العباس » ، وزمزم مبتدأ خبره الجار والمجرور وسقيا الحجيج بدل من زمزم أو عطف بيان .
- (٤) النسب إلى شأم ويعن : شامى ويعنى بيا مشددة ، وقد قالوا فيهما شأم ويعان (متقوصين) وأصلهما شامى ويعنى ، حذفوا إحدى ياءى النسب تخفيفا وعوضوا عنها الألف ففتحت همزة شامى بعد سكونها فصارا شامى ويعانى ، ثم أعلا كقاض ، وقالوا فيهما أيضا شامى ويعانى بيا مشددة مع الألف ، والبأس : الشدة والقوة ، وفى الأصل « ناس » وهو تصحيف .
- (٥) الضمير فى « فيها » يعود على السلم وهو يذكر ويؤنث ، والنوك : الحق ، والنوك بالضم والفتح : الحق ، نوك كفرح فهو أنوك ، والأكياس : العقلاء جمع كيس بكيد .
- (٦) قاتله الله : لعنه ، أو قتله ، أو عاداه .

« أما بعد : فإنني لا أعلم أحداً من العرب أقلّ حياءً منك ، إنك مال بك الهوى إلى معاوية ، فَبِعْتَهُ دِينَكَ بِالْثَمَنِ الْأَوْكَسِ ^(١) ، ثم خَبَطْتَ النَّاسَ فِي عَشْوَاءٍ ^(٢) طمعاً في الدنيا فأعظمتها إعظام أهل الدنيا ، فلما ترامينا أعظمت الحرب والرماء إعظام أهل الدين ، وأظهرت فيها كراهية أهل الورع لا تريد بذلك إلا تمهيد الحرب ، وكسرت أهل الدين ، فإن كنت تريد الله ، فارجع إلى بيتك ، ودع الطمع في مصر ، والركون إلى الدنيا الفانية ، واعلم أن هذه الحرب ليس فيها معاوية كعلي ، بدأها عليّ بالحق ، وانتهى فيها إلى العذر ، وبدأها معاوية بالبغي ، وانتهى فيها إلى السرف ، وليس أهل الشام فيها كأهل العراق : بايع أهل العراق عليّاً وهو خير منهم ، وبايع أهل الشام معاوية وهم خير منه ، ولست أنا وأنت فيها سواء : أردتُ الله ، وأنت أردت مصر ، وقد عرفت الشيء الذي باعدك مني ، ولا أعرف الشيء الذي قربك من معاوية ، فإن تُرد شراً لا نَسْبِقُكَ بِهِ ، وإن ترد خيراً لا تَسْبِقُنَا إِلَيْهِ ، والسلام » .

ثم دعا أخاه الفضل فقال : يا بن أُمِّ أَجِبْهُ ، فقال الفضل :

يَا عَمْرُو : حَسْبُكَ مِنْ مَكْرٍ وَوَسْوَاسٍ فَاذْهَبْ فَلَيْسَ لِدَاءِ الْجَهْلِ مِنْ آسِي ^(٣)
إِلَّا تَوَاتَرُ طَمَعٍ فِي نَحْوِ رِكْمٍ يُشْجِي النُّفُوسَ وَيَشْفِي نَخْوَةَ الرَّاسِ ^(٤)

(١) أي الخيس . (٢) يروي « في عشوة » و « في عشواء » والعشوة مثلثة : ركوب الأمر على غير بيان ، وبالفتح : الظلمة كالعشواء .

(٣) وسوست إليه نفسه أو الشيطان : حدثته بما لا نفع فيه ولا خير ، والمصدر وسوسة ووسواس بكسر الواو في الثاني ، والوسواس بالفتح : اسم منه .

(٤) التواتر ، التتابع ، وشجاء : حزنه وطربّه كأشجاء فيهما ، ضد ، ويصح المعنيان في البيت أي يخرن نفوسكم ، أو يسر نفوسنا ، والنخوة : الكبر والعظمة .

أَمَّا عَلِيٌّ فَإِنَّ اللَّهَ فَضَّلَهُ بفضلٍ ذِي شَرَفٍ عَالٍ عَلَى النَّاسِ^(١)
 إِنْ تَعَقَّلُوا الْحَرْبَ نَعَقِّلْهَا مُخَيَّسَةً أَوْ تَبْعَثُوهَا فَإِنَّا غَيْرُ أَنْكَاسٍ^(٢)
 قَتَلَى الْعِرَاقَ بِقَتْلِ الشَّامِ ذَاهِبَةً هَذَا بِهِذَا ، وَمَا بِالْحَقِّ مِنْ بَاسٍ
 ثُمَّ عَرَّضَ الشَّعْرَ وَالْكِتَابَ عَلَى عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَقَالَ : لَا أَرَاهُ
 يَجِيئُكَ بَعْدَهَا أَبَدًا بِشَيْءٍ إِنْ كَانَ يَعْقِلُ ، وَإِنْ عَادَ عُذْتُ عَلَيْهِ ، فَلَمَّا انْتَهَى
 الْكِتَابَ إِلَى عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ عَرْضَهُ عَلَى مُعَاوِيَةَ فَقَالَ : إِنْ قَلْبُ ابْنِ عَبَّاسٍ
 وَقَلْبُ عَلِيٍّ قَلْبٌ وَاحِدٌ ، وَكِلَاهُمَا وَلَدُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، وَإِنْ كَانَ قَدْ خَشِنَ فَلَقَدْ
 لَانَ ، وَإِنْ كَانَ قَدْ تَعَظَّمَ وَعَظُمَ صَاحِبُهُ فَلَقَدْ قَارَبَ وَجَنَحَ إِلَى السَّلَامِ .
 (شرح ابن أبي الحديد م ٢ : ص ٨١ والإمامة والسياسة ١ : ٨٤)

٤٣٩ - كتاب معاوية إلى ابن عباس

وَقَالَ مُعَاوِيَةُ لَا كُتِبَ إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ كِتَابًا أَسْتَعْرِضُ فِيهِ عَقْلَهُ ،
 وَأَنْظُرَ مَا فِي نَفْسِهِ ، فَكُتِبَ إِلَيْهِ :

« أَمَّا بَعْدُ : فَإِنَّكُمْ مَعْشَرَ بَنِي هَاشِمٍ لَسْتُمْ إِلَى أَحَدٍ أَسْرَعَ مِنْكُمْ بِالسَّاءَةِ
 إِلَى أَنْصَارِ ابْنِ عَفَّانَ ، حَتَّى إِنْ كُنْتُمْ تَطْلُحُونَ وَالزَّيْبُ يُرِطُ لِبَهْمَا بِدَمِهِ ، وَاسْتَعْظَامُهُمَا
 مَا نِيلَ مِنْهُ ، فَإِنْ كَانَ ذَلِكَ مُنَافَسَةً لِبَنِي أُمَيَّةٍ فِي السُّلْطَانِ ، فَقَدْ وَلَّيْهَا عَدِيٌّ^(٣)
 وَتَيْمٌ^(٣) ، فَلَمْ تَنَافِسُوهُمْ وَأَظْهَرْتُمْ لَهُمُ الطَّاعَةَ .

(١) بفضل ذِي شَرَفٍ : أَيُّ بِفَضْلِ نَبِيِّ ذِي شَرَفٍ .
 (٢) مِنْ عَقْلِ الدَّابَّةِ إِذَا قَيَّدَهَا وَحَبَسَهَا ، وَالْمَعْنَى : إِنْ تَكْفُوا عَنْ الْحَرْبِ ، وَخِيَسَهُ تَحْيِيسًا : ذَالَهُ
 وَالْأَنْكَاسُ جَمْعُ نَكَسٍ بِالسَّكْرِ ، وَهُوَ الرَّجُلُ الضَّعِيفُ وَالْمَقْصَرُ عَنْ غَايَةِ التَّجِدَّةِ وَالْكَرَمِ .
 (٣) أَيُّ وَلِيِّهَا عَمْرٌ وَأَبُو بَكْرٍ ، فَالْأَوَّلُ مِنْ عَدِيٍّ بَنِي كَعْبٍ بَنِي لُؤَيٍّ ، وَالثَّانِي مِنْ تَيْمٍ بَنِي مِرَّةٍ بَنِي
 كَعْبٍ بَنِي لُؤَيٍّ .

وقد وقع من الأمر ما قد ترى ، وأدالت^(١) هذه الحربُ بعضنا من بعض حتى استويننا فيها ، فما يُطعمكم فينا يُطعمنا فيكم ، وما يُؤيسنا منكم يؤيسكم منا ، ولقد رجونا غير الذي كان ، وخشيننا دون ما وقع ، ولستم ملاقين اليوم بأحد من حدكم أمس ، ولا غداً بأحد من حدكم اليوم ، وقد قنعنا بما في أيدينا من ملك الشام ، فأقنعوا بما في أيديكم من ملك العراق ، وأبقوا على قريش ، فإنما بقي من رجالها ستة : رجلان بالشام ، ورجلان بالعراق ، ورجلان بالحجاز ، فأما اللذان بالشام فأنا وعمرو ، وأما اللذان بالعراق ، فأنت وعلى ، وأما اللذان بالحجاز فسعد وابن عمر^(٢) ، فاثنتان من الستة ناصبان^(٣) لك ، واثنتان واقفان فيك ، وأنت رأس هذا الجمع ، ولو بايع لك الناس بعد عثمان كنا إليك أسرع منا إلى عليّ » .

(شرح ابن أبي الحديد م ٢ : ص ٢٨٩ ، والإمامة والسياسة ١ : ٨٥)

٤٤٠ — رد ابن عباس على معاوية

فلما أتى كتاب معاوية إلى ابن عباس ضحك ثم قال : حتى متى يخطب ابن هند إلى عقي ، وحتى متى أجهجم^(٤) عنه ما في نفسي ؟ فكتب إليه :
« أما بعد : فقد جاءني كتابك وقرأته ، فأما ما ذكرت من سرعتنا بالمساءة إلى أنصار عثمان وكراحتنا لسلطان بني أمية ، فلعمري لقد أدركت في عثمان حاجتك حين استنصرتك فلم تنصره حتى صرّت إلى ما صرت إليه ،

(١) أداله الله من عدوه : نصره عليه . (٢) يعني سعد بن أبي وقاص وعبد الله بن عمر .

(٣) نصب له : عاداه . (٤) جهجم في صدره شيئاً : أخفاه ولم يبهده .

وبينى وبينك فى ذلك ابن عمك وأخو عثمان الوليد بن عقبة ، وأما طلحة والزبير ، فإنهما أجلبا عليه وضيّقا خناقه^(١) ، ثم خرجا ينقضان البيعة ويطلبان الملك ، فقاتلناهما على النّكث كما قاتلناك على البغى ، وأما قولك إنه لم يبق من قريش غير ستة ، فما أكثر رجالها ، وأحسن بقيّتها ! وقد قاتلك من خيارها من قاتلك ، ولم يخذلنا إلا من خذلك ، وأما إغراؤك إيانا بعدى وتيم فإن أبا بكر وعمر خير من عثمان كما أن عثمان خير منك ، وقد بقى لك منا ما يؤنسك ما قبله وتخاف ما بعده ، وأما قولك : إنه لو بايعنى الناس استقمت ، فقد بايع الناس عليّا ، وهو خير منى فلم تستقم له ، وما أنت وذكر الخلافة يا معاوية ؟ وإنما أنت طليق وابن طليق ، والخلافة للمهاجرين الأولين وليس الطلّقاء منها فى شىء ، والسلام .

(شرح ابن أبى الحديد م ٢ : ص ٢٨٩ ، والإمامة والسياسة ١ : ٨٥)

٤٤١ — كتاب على إلى معاوية

وكتب معاوية إلى على عليه السلام يسأله إقراره على الشام ، فكتب إليه على :

« أما بعد : فإن الدنيا حُلوة خَصِرَة^(٢) ذات زينة وبهجة ، لم يَصُبْ إليها أحد إلا شَغَلَتْه بزینتها عما هو أنفع له منها ، وبالأخرة أمرنا ، وعليها حُثْنَا ، فدع يا معاوية ما يَفْنَى ، وأعمل لما يَبْقَى ، واحذر الموت الذى إليه

(١) الحناق : الحبلى يختنق به .

(٢) أخذها من قوله صلى الله عليه وسلم فى إحدى خطبه « ألا إن الدنيا خضرة حلوة » انظر جمهرة خطب العرب ١ : ٥٤ ، وخضرة : أى ناضرة من خضر الزرع كفرح فهو أخضر وخضر ، وصبا إليه : مال .

مَصِيرُكَ ، والحسابَ الذي إليه عاقبتُكَ ، وأعلمُ أن الله تعالى إذا أراد بعبد خيراً
 حال بينه وبين ما يكره ، ووفقّه لطاعته ، وإذا أراد الله بعبد سوءاً أغراه
 بالدنيا وأنساه الآخرة ، وبَسَطَ له أمله ، وعاقه عما فيه صلاحه ، وقد وصلني^(١)
 كتابك فوجدتك ترمي غير غَرَضِكَ ، وتنشد غير ضالَّتِكَ ، وتخبِطُ في
 عَمَايَةٍ^(٢) ، وتتيه في ضلالة ، وتعتصم بغير حُجَّة ، وتلوذ بأضعف شُبْهَةٍ .
 فأما سؤالك المتاركة والإقرار لك على الشأم ، فلو كنتُ فاعلاً ذلك
 اليوم لفعلته أمس ، وأما قولك إن عمر ولاّكه فقد عزل^(٣) من كان ولاّه
 صاحبه ، وعزل عثمان من كان عمر ولاّه^(٤) ، ولم يُنصَّب للناس إمامٌ إلا
 ليرى من صلاح الأمة ما^(٥) قد كان ظهر لمن قبله ، أو أخفى عنهم عيبه ،
 والأمرُ يَحْدُثُ بعده الأمر ، ولكل والٍ رأى واجتهاد .

فسبحان الله ! ما أشدَّ لزومك للأهواء المبتدعة ، والخيرة المتبعة ، مع
 تضييع الحقائق ، وإطراح الوثائق ، التي هي لله تعالى طليبة ، وعلى عباده
 حُجَّة ، فأما إكثارك الحجاج في عثمان وقتلته ، فإنك إنما نصرتَ عثمان
 حيث كان النصرُ لك^(٦) ، وخذلتَه حيثُ كان النصرُ^(٧) له ، والسلام .

(شرح ابن أبي الحديد م ٤ : ص ٥٧ ، ونهج البلاغة ٢ : ٤٤)

-
- (١) جاء في القاموس المحيط : « وصل الشيء ووصل اليه : بلّغه وانتهى اليه » - فهو بهذا المعنى
 يستعمل متعدياً ولازماً . (٢) العماية : الضلال .
 (٣) يريد خالد بن الوليد ، فقد تقدم لك أن عمر لما ولي الخلافة عزله وولى أبا عبيدة قيادة
 جند الشام بدله . (٤) أي من عمال الأمصار غير معاوية فقد استبقاه على الشام .
 (٥) في الأصل « أما ماقد كان . . الخ » وهو تحريف .
 (٦) أي حيث كان فيه فائدة لك ، فأنت الآن تنهض للتأرب به رجاء تحقيق ما ربك .
 (٧) أي حيث كان فيه فائدة له ، فقد استنصر بك حين حصر فتربصت به .

٤٤٢ - كتاب معاوية إلى ملك الروم

وبلغ معاوية أن صاحب الروم يريد قَصْدَ بلاد الشام أيام صيفين ،
فكتب إليه :

« تَاللَّهِ لئن تَمَمَّتْ ^(١) على ما بَلَغَنِي لأُصَالِحَنَّ صاحِبِي ، ولَأَكُونَنَّ
مَقْدَمَتَهُ إِلَيْكَ ، ولَأَجْعَلَ القُسْطَ نَظِيمَةً لِحُمْرَةِ حُمَمَةٍ ^(٢) سوداء ، ولَأَنْزِعَنَّكَ
مِنَ المَلِكِ نَزْعَ الإِصْطَفَالِيَّةِ ^(٣) ، ولَأَرُدَّنَّكَ إِرْيَسًا ^(٤) مِنَ الأَرَارِسَةِ تَرْعَى
الدَّوَابِلَ ^(٥) . »

وفي رواية : « كما كنت تَرْعَى الخَنَانِيصَ ^(٦) »

(لسان العرب ٧ : ٣٠٠)

٤٤٣ - كتاب معاوية إلى عليّ

وكتب معاوية إلى عليّ في أواخر حرب صيفين :

« من عبد الله معاوية بن أبي سفيان إلى عليّ بن أبي طالب :
أما بعد : فَإِنَّ الله تَعَالَى يَقُولُ فِي مُحْكَمِ كِتَابِهِ : « وَلَقَدْ أَوْحَى إِلَيْكَ وَإِلَى
الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ ^(٧) وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ »

(١) تم على الأمر وتم عليه بإظهار الإدغام : استمر عليه . (٢) الحمة : الفحمة والجمع حم .

(٣) الإصطفالية : الجزيرة ، قال ابن الأثير : ليست اللفظة بعربية محضة ، لأن الصاد والطاء

لا يكادان يجتمعان إلا قليلا . (٤) الإريس : الأكار - انظر ص ٣٣ .

(٥) الدوابل جمع دويل كجوهري : وهو الخنزير أو ذكره أو ولده .

(٦) الخنانيص جمع خنوص بكسر الخاء وتشديد النون مفتوحة : وهو ولد الخنزير .

(٧) أى ليفسدن .

وإني أحذرك الله أن تُحْبِطَ عَمَلَك وسابقتك بشقِّ عَصَا^(١) هذه الأمة ،
وتفريق جماعتها ، فاتَّقِ الله واذكر موقفَ القيامة ، وأقلِّع عما أسرفتَ فيه
من الخوض في دماء المسلمين ، وإني سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول : « لو تَمَالَأ^(٢) أهلُ صَنْعَاء وَعَدَن على قتل رجل واحد من المسلمين
لَأَكْبَهُم الله على مَنَاحِرِهِمْ في النار » فكيف يكون حال مَنْ قتل أعلام
المسلمين ، وسادات المهاجرين ، بَلَه^(٣) ما طَحَنَتْ رَحَى حربِهِ من أهل القرآن ،
وذوى العبادة والإيمان ، من شيخ كبير ، وشابٍّ غَرِير^(٤) ، كلُّهم بالله تعالى
مؤمن ، وله مُخْلِص ، وبرسوله مُقَرَّرٌ عَارِفٌ ، فَإِنْ كُنْتَ - أبا حسن - إنما
تُحَارِب على الإمرة والخلافة ، فلعمري لو صَحَّت خلافتك لكنت قريباً من
أن تُعْذَرَ في حرب المسلمين ، ولكنها ما صَحَّتْ لك ، أَنَّى بِصَحَّتِها ، وأهلُ
الشَّام لم يدخلوا فيها ، ولم يرتضوها ؟ وخَفِ الله وَسَطَوَاتِهِ ، وأتَقِ بِأَسِهِ
وَنِكَالِهِ ، وَأَغْمِذْ سَيْفَكَ عن الناس ، فَقَدْ وَاللَّهِ أَكَلَتْهُمْ الحربُ ، فلم يَبْقَ
منهم إِلَّا كَالثَّمَدِ^(٥) في قَرَارَةِ الْغَدِير ، والله المستعان .

(شرح ابن أبي الحديد م ٣ : ص ٣٠٢)

(١) هو مثل . يقولون : شق عصام ، أى فرق جماعتهم : وأصل العصا : الاجتماع والائتلاف ،
وذلك أنها لا تدعى عصا حتى تكون جميعاً ، فإن انشقت لم تدع عصا ، فالعنى : شق اجتماعهم وائتلافهم ،
قالوا : وأصل هذا أن الحادين يكونان في رفقة ، فإذا فرقتهم الطريق شقت العصا التي معهما ، فأخذ
هذا نصفها وهذا نصفها ، يضرب مثلاً لكل فرقة .

(٢) تمالأوا على الأمر اجتمعوا ، وكبه وأكبه وكبكه : قلبه وصرعه ، والمناخر جمع منخر بفتح
الميم والحاء وبكسرهما وضمهما وكجلس : وهو الأنف .

(٣) قال جماعة من أهل اللغة : بله معناها على ، وقال الفراء : من خفض بها جعلها بمنزلة على
وما أشبهها من حروف الخفض ، فالعنى : زد قتله أعلام المسلمين على طعن رضى حربِهِ أهل القرآن ،
وضمه إليه ، وذكر النحويون أن بله تستعمل اسم فعل بمعنى أترك فينصب ما بعدها بالفعولية (والمعنى
حينئذ : دع وأترك طعن رضى حربِهِ أهل القرآن وذوى البادة ، فإنه أشد وأفظم) ومصدرا بمعنى
الترك فيجر ما بعدها بالاضافة ، واسم استفهام بمعنى كيف . فتكون خبراً مقدماً ويرفع ما بعدها على الابتداء .

(٤) الغرير والغر بالكسر : الشاب لا تجربة له .

(٥) الثمد كشمس وسبب وكتب : الماء القليل لامادة له .

٤٤٤ - رد على معاوية

فكتب على عليه السلام إليه جواباً عن كتابه :

« من عبد الله على أمير المؤمنين إلى معاوية بن أبي سفيان .

أما بعد : فقد أتتني منك مَوْعِظَةٌ مَوْصَلَةٌ^(١) ، ورسالة مُحَبَّرَةٌ ، نَمَّقَتْهَا بضلالك ، وأمضيتها بسوء رأيك ، وكتابٌ أمرى ليس له بَصَرٌ يَهْدِيهِ ، ولا قَائِدٌ يُرْشِدُهُ ، قد دعاه الهوى فأجابه ، وقاده الضلال فاتَّبَعَهُ ، فَهَجَرَ^(٢) لاغِطًا ، وَضَلَّ خَابِطًا ، فأما أَمْرُكَ لِي بالتقوى فأرجو أن أكون من أهلها ، وأستعيذُ بالله من أن أكون من الذين إذا أُمِرُوا بِهَا أخذتهم العِزَّةُ بالإثم ، وأما تحذيرُكَ إياي أن يَحْبِطَ عملي وسابقتي في الإسلام ، فلمعمرى لو كنتُ الباغِيَّ عليك ، لكان لك أن تحذرنى ذلك ، ولكنى وجدت الله تعالى يقول : « فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ^(٣) إِلَى أَمْرِ اللَّهِ » فنظرنا إلى الفتيتين ، أما الفئة الباغية فوجدناها الفئة التي أنت فيها ، لأن يَبْغِي بالمدينة لِمَتِكَ وأنت بالشَّام ، كما لِمَتِكَ يَبْغِي عُمَانُ بالمدينة ، وأنت أمير لِعُمَرَى على الشَّام ، وكما لِمَتَ يَزِيدُ أَخَاكَ يَبْغِي عُمَرَ ، وهو أميرُ لَأَبِي بَكْرٍ على الشَّام .

وأما شَقُّ عصا هذه الأمة ، فأنا أحق أن أنْهَكَ عنه ، فأما تخويفك لِي من قتل أهل البنى ، فإن رسول الله صلى الله عليه وآله أمرنى بقتالهم وقتلهم

(١) أى ملفقة من كلام مختلف جمع من هاهنا وهاهنا ووصل بعضه ببعض فبدأ متكلفاً غير متسق ، ومحبرة : أى محسنة مزينة ونمق الكتاب : حسنه وزينه أيضاً .

(٢) هجر فى نومه ومرضه هجراً بالضم : أى هذى ، واللاغط : ذو اللفظ (كشمس وسبب) وهو الصوت والجلبة ، أو أصوات مبهمة لانغمهم ، وخبط البعير فهو خابط : إذا مشى ضالاً نخبط بيديه كل ما يلقاه لا يتوق شيئاً . (٣) أى ترجع .

وقال لأصحابه : « إن فيكم من يقاتل على تأويل القرآن كما قاتلتُ على تنزيله » وأشار إلى ، وأنا أولى من اتَّبَعَ أمره ، وأما قولك إن بيعتي لم تصح ، لأن أهل الشام لم يدخلوا فيها ، فكيف ؟ وإنما هي بيعة واحدة ، تُلزَم الحاضر والغائب ، لا يُنْتَهَى^(١) فيها النظر ، ولا يُسْتَأْنَفُ فيها الخِيَار^(٢) ، الخارجُ منها طاعِن^(٣) ، والمُرَوِّى^(٤) فيها مُدَاهِنٌ ، فارتَبِعْ على ظِلْعِكَ ، وانزِعْ سِرْبَالَ غِيَّتِكَ ، واترك مالا جَدَوَى له عليك ، فليس لك عندى إلا السيف ، حتى تنفِيء إلى أمر الله صاغِرًا ، وتدخل في البيعة راغِمًا^(٥) ، والسلام .

(شرح ابن أبي الحديد م ٣ : ص ٣٠٢ ، ونهج البلاغة ٢ : ٥)

٤٤٥ - كتاب معاوية إلى عليّ

وكتب معاوية إلى عليّ ثانية (قبل ليلة الهرير^(٦) بيومين أو ثلاثة)

- (١) أى لا ينظر فيها ثانية . (٢) أى لا خيار لمن عقدها ولا لغيرهم فيها بعد عقدها .
 (٣) أى طاعن على الأمة التى ولت الإمام باختيارها .
 (٤) روى فى الأمر نظر وفكر ، أى الذى يفكر ويروى فيها ويبطئ عن الطاعة مداهن أى منافق . (٥) أى ذليلاً .
 (٦) بدأ القتال بين عليّ ومعاوية فى وقعة صفين يوم الأربعاء غرة صفر سنة ٣٧ هـ ، واستمر عشرة أيام إلى يوم الجمعة عاشر صفر ، وقد اقتتل الناس ليلة الجمعة كلها حتى الصباح ، حتى تقصفت الرماح ونفذ النبل وصار الناس إلى السيوف ، وأصبح صباح الجمعة . والناس يقتلون من كل جانب ، وأخذ الأشر يزحف بالمينة ويقاقل فيها ، وكان قد تولاهما عشية الخميس ليلة الجمعة إلى ارتفاع الضحى ثم كانت مكيدة عمرو بن العاص برفع المصاحف على رؤوس الرماح على ماهو مشهور ، وقد سميت ليلة الجمعة المذكورة (ليلة عاشر صفر) بليلة الهرير - انظر تاريخ الطبرى ٦ : ٢٦ ومروج الذهب ٢ : ٢٧ وليست هذه التسمية بالأولى فى بابها ، فقد سبق أن سميت ليلة من ليالى وقعة القادسية (وكانت سنة ١٤ هـ) بليلة الهرير ، جاء فى معجم البلدان لياقوت ٧ : ٧ « ذكر أصحاب الفتح أن القادسية كانت أربعة أيام ، فسموا الأول يوم أرمات ، واليوم الثانى يوم أغواث ، واليوم الثالث يوم عماس (وضبطه لياقوت فى معجمه بالكسر) وليلة اليوم الرابع ليلة الهرير ، واليوم الرابع سموه يوم القادسية ، وفيه كان الفتح للمسلمين ، وقتل رسم ولم يبق للغرس بعده قاذبة » وجاء فى تاريخ الطبرى ٤ : ١٣١ و ١٣٢ « واجتلدوا تلك الليلة من أولها حتى الصباح لا ينطقون ، كلامهم الهرير ،

يسأله إقراره على الشام ، وذلك أن عليًا عليه السلام قال : «لأننا جزئهم»^(١) مُصْبِحًا ، وتناقل الناس كلمته ، ففزع أهل الشام لذلك ، فقال معاوية : قد رأيت أن أعاود عليًا وأسأله إقرارى على الشام ، فقد كنت كتبت إليه في ذلك فلم يجب إليه ، ولأكتبن ثانية ، فألقى في نفسه الشك والرقة ، فكتب إليه :

فسميت ليلة الهرير « وجاء فيه أيضا » وأصبحوا ليلة القادسية وهي صبحه ليلة الهرير ، وهي تسمى ليلة القادسية من بين تلك الأيام ، والناس حسري لم يغمضوا ليلتهم كلها .. » — ويطلق الهرير على صوت غير الكلب ، ومنه الحديث « إني سمعت هريرا كهريز الرحي » أى صوت دوراتها ، انظر لسان العرب مادة هرر — ومن قبل وقعة القادسية سمى العرب « يوم الهرير » أيضا ، جاء في القاموس المحيط في مادة هرر « ويوم الهرير : يوم بين بكر بن وائل وتميم ، قتل فيه الحرث بن ببيعة سيد تميم » وجاء في معجم ياقوت ٨ : ٤٦١ « والهرير من هرير الفرسان يعضهم على بعض كما تهز السباع ، وهو صوت دون النباح ، ويوم الهرير من أيامهم ماأظنه سمي بالإبدال ، إلا أنه كان الأغلب على أيامهم أن يسمى بالمكان الذى يكون فيه ذلك ، وهو من أيامهم القديمة قبل يوم الهرير بصفين كانت به وقعة بين بكر بن وائل وبين بني تميم قتل فيه الحرث بن ببيعة المجاشعي . الخ » وورد في مجمع الأمثال للميداني في باب أسماء أيام العرب ٣ : ٢٦٩ « يوم الهزير » مضبوطا بوزن اسم الأسد وهو تصحيف ، ولم يذكره صاحب العقد بين أيام العرب — راجع الجزء الثالث — ولا صاحب صبح الأعشى — راجع الجزء الأول —

وتمة للفائدة أقول : قال ياقوت في معجمه عند الكلام على أسماء أيام القادسية « أرماث وأغواث وعماس » : ولا أدري : أهذه الأسماء مواضع ، أم هي من الرمث والغوث والعمس اه ج ١ : ص ٢٩٦ (والرمث كسبب : خشب يضم بعضه إلى بعض ويشد ثم يركب في البحر ، وجمعه أرماث ، والعمس كسبب أيضا : الشدة ، وأمر عمس كشمس وعماس كسحاب : شديد مظلم لا يدري من أين يؤتى له) وأقول : لعل تسمية اليوم الأول بيوم أرماث أن رسم قائد الفرس لما أراد عبور نهر العتيق ، أمر بسكره (وسكر النهر كنصر سده) فباتوا ليلتهم يسكرونه حتى الصباح بالتراب والقصب والبراذع والأمتعة حتى جملوه طريقا (انظر تاريخ الطبرى ٤ : ١١٢) وذلك أشبه بالأرماث ولعل تسمية اليوم الثانى بيوم أغواث : أنه قدم على المسلمين فيه مدد من الشام ، بعثه أبوعبيدة بأمر عمر ، وعليه هاشم بن عتبة بن أبي وقاص ، وعلى مقدمته الفقعاء بن عمرو (تاريخ الطبرى ٤ : ١٢٠) فكان ذلك المدد غوثا لهم ، ولعل تسمية اليوم الثالث بيوم عماس ، لما كان فيه من الشدة ، ولم يكن في أيام القادسية مثله (تاريخ الطبرى ٤ : ١٢٦) .

(١) المناجزة : المعاجلة في القتال . وقد ذكروا أنه بعد انتهاء القتال يوم الثلاثاء سابع أيام صفين قال علي : حتى متى لانتاهض هؤلاء القوم بأجفنا ؟ ثم خرج إليهم في اليوم الثامن يوم الأربعاء بنفسه (انظر تاريخ الطبرى ٦ : ٧ ومروج الذهب ٢ : ٢٠) .

«أما بعدُ : فإنك لو علمتَ وعلمنا أن الحرب تبلغُ بنا وبك ما بلغتُ ، لم يَجْنِهَا بعضُنا على بعض ، ولئن كنا قد غلبنا على عقولنا ، لقد بقي لنا منها ما نندم^(١) به على ما مضى ، ونُصلِح به ما بقي ، وقد كنت سألتك الشَّام على أن لا تلزمني لك يِّعة وطاعة ، فأيتت ذلك عليّ ، فأعطاني الله ما منعت ، وأنا أدعوك اليوم إلى ما دعوتك إليه أمس ، فإنني لا أرجو من البقاء إلا ما ترجو ، ولا أخاف من الفناء^(٢) إلا ما تخاف ، وقد والله رقت الأجنادُ ، وذهبت الرجال ، ونحن بنو عبد منافٍ ليس لبعضنا على بعض فضلٌ ، إلا فضلٌ لا يُستدل به عزيزٌ ، ولا يُسترق به حرٌّ ، والسلام .»

(شرح ابن أبي الحديد ٣ : ٢٤ ، ومروج الذهب ٢ : ٦٠ ، والإمامة والسياسة ١ : ٨٨)

٤٤٦ — رد عليّ على معاوية

فأجابه عليّ :

«أما بعدُ : فقد جاءني كتابك تذكر أنك لو علمت وعلمنا أن الحرب تبلغ بنا وبك ما بلغت لم يَجْنِهَا بعضنا على بعض ، فإنني^(٣) لو قُتِلْتُ في ذات الله وحَيِّيت ، ثم قُتِلت ثم حَيِّيت سبعين مرة ، لم أرجع عن الشدة في ذات الله ، والجهاد لأعداء الله ، وأما قولك إنه قد بقي من عقولنا ما نندم به على ماضى ، فإنني ما تنقصت^(٤) عقلي ، ولا ندمت على فعلى ، وأما طلبك^(٥) إلى الشَّام ،

(١) في الإمامة والسياسة « ماندم به ماضى » وفي مروج الذهب « مانرد به ماضى » .

(٢) في مروج الذهب « من القتال » وفي ابن أبي الحديد « من الموت » .

(٣) وفي الإمامة والسياسة « وأنا وإياك في غاية لم نبلغها بعد » وفي مروج الذهب « وأنا وإياك نتمس منها غاية لم نبلغها بعد » .

(٤) انتقصه وتنقصه واستنقصه : نسب إليه النقصان ، وفي الأصل « شرح ابن أبي الحديد » مانقصت ، وأراه محرفاً لأن تنقص وانقص أدل على المعنى المراد هنا . (٥) طلب إليه : رغب .

فإني لم أكن لأعطيك اليوم ما منعتك أمس ، وأما قولك إن الحرب قد أكلت العرب إلا حشاشات^(١) أنفسي بقيت ، ألا ومن أكله الحق في الجنة^(٢) ، ومن أكله الباطل في النار ، وأما استواؤنا في الخوف والرجاء ، فلست بأَمْضَى على الشك مني على اليقين ، وليس أهل الشام بأَحْرَصَ على الدنيا من أهل العراق على الآخرة ، وأما قولك إننا بنو عبد مناف ليس لبعضنا على بعض فضل ، فلمعمرى إننا بنو أب واحد ، ولكن ليس أُمِّيَّة كهاشم^(٣) ، ولا حرب كعبد المطلب^(٤) ، ولا أبو سفيان كأبي طالب ،

(١) جمع حشاشة : وهي بقية الروح في المريض .

(٢) معناه : من هلك في سبيل الحق والدفاع عنه فُصِّيره إلى الجنة ، وكذا ما بعده ، وقال ابن أبي الحديد : « وروى : ألا ومن أكله الحق في النار ، وهذه الرواية أليق من الرواية المذكورة في أكثر الكتب ، لأن الحق يأكل أهل الباطل ، ومن روى تلك الرواية أضمر مضافا تقديره أعداء الحق ومضافا آخر ، ويجوز أن يكون من أكله الحق في الجنة أي من أفضى به الحق ونصرته والقيام بدونه إلى القتل فإن مصيره إلى الجنة . . » .

(٣) ولي هاشم بعد أبيه عبد مناف ما كان إليه من السقاية والرفادة (والسقاية : إسقاء الجبيج الماء العذب ، والرفادة بالسكسر : خرج كانت قريش تخرجه في كل موسم من أموالها ، فتدفعه إليه ، فيصنع به طعاما للحاج يأكله من لم يكن له سعة ولا زاد) فحسده أُمِّيَّة بن عبد شمس بن عبد مناف على رياسته وإطعامه ، وكان ذامال ، فتكلف أن يصنع صنيع هاشم ، فعجز عنه ، فشمت به ناس من قريش ، فغضب ونال من هاشم ، ودعاه إلى المنافرة ، فكره هاشم ذلك لسنه وقدره ، فلم تدعه قريش حتى نافرته على خمسين ناقة سود الحديق ينحرها بيطن مكة ، والجلاء عن مكة عشر سنين ، فرضى بذلك أُمِّيَّة ، وجعلا بينهما السكاهن الخزاعي - وهو جد عمرو بن الحقي ، ومنزله بسفان بالضم : موضع على مرحلتين من مكة - وكان مع أُمِّيَّة مهمة بن عبد العزى الفهرى ، وكانت ابنته عند أُمِّيَّة ، فقال السكاهن « والقمر الباهر ، والكوكب الزاهر ، والقمم الماطر ، وما بالجو من طائر ، وما اهتدى بعلم مسافر (والعلم بالتحريك : مانصب في الطريق يهتدى به) من منجد وغائر (وأنجد : أتى نجدا ، وغار وأغار : أتى غورا) لقد سبق هاشم أُمِّيَّة إلى المآثر ، أول منه وآخر ، وأبو مهمة بذلك خابر » ففضى لهاشم بالقلبة ، وأخذ هاشم الإبل فنحراها وأطعمها ، وغاب أُمِّيَّة عن مكة بالشام عشر سنين ، فكانت هذه أول عداوة وقعت بين هاشم وأُمِّيَّة - انظر تاريخ السكامل لابن الأثير ٢ : ٦ والسيرة الحلبية ١ : ٤ وتاريخ الطبري ٢ : ١٨٠ .

(٤) حرب هو حرب بن أُمِّيَّة جد معاوية ، وعبد المطلب جد علي ، وقد تنافرا أيضا . وسبب ذلك أن عبد المطلب كان له جار يهودي يقال له أذينة ، يتجر وله مال كثير ، فغاظ ذلك حرب بن أُمِّيَّة ، وكان

ولا المهاجر كالطليق^(١)، ولا الصريح كاللصيق^(٢)، ولا المحق كالْمُبْطِل، ولا المؤمن كالْمُدْغِل^(٣)، وَلَبِئْسَ الْخَلْفَ خَلْفَ يَتْبَعُ سَلَفًا هَوَىٰ فِي نَارِ جَهَنَّمَ^(٤).

نديم عبد المطلب، فأغرى به فتيانا من قريش ليقتلوه وبأخذوا ماله، فقتله عامر بن عبد مناف بن عبد الدار، وصخر بن عمرو بن كعب التيمي جد أبي بكر، ولم يعرف عبد المطلب قاتله، فلم يزل يبحث حتى عرفهما، وإذا هما قد استجارا بحرب بن أمية، فأقى حربا ولامه، وطلبهما منه فأخفاهما، فتغالطا في القول، حتى تنافرا إلى النجاشي ملك الحبشة فأبى أن ينفر بينهما (نفره عليه: قضى له عليه بالغبلة) فجعل بينهما نفيل بن عبد العزى بن رياح، فقال لحرب: «يا أبا عمرو: أنتافر رجلا هو أطول منك قامه، وأعظم منك هامة، وأوسم منك وسامة (والوسامة بالفتح: الحسن والجمال) وأقل منك ملامة، وأكثر منك ولدا، وأجزل صفدا (والصفد بالتحريك: العطاء) وأطول منك مذودا (والمذود كمنبر: اللسان) وإنى لأقول هذا وإنك لبعيد الغضب، رفيع الصوت في العرب، جلد المريرة (أي العزيمة) جليل العشرة، وأسكنك نافرت منفرا» فنضب حرب وقال: إن من انتكاس الزمان أن جعلت حكما، فترك عبد المطلب منادمة حرب، ونادم عبد الله بن جدعان، وأخذ من حرب مائة ناقة، فدفعها إلى ابن عم اليهودي، وارتجع ماله إلا شيئا هلك فغرمه من ماله - انظر تاريخ الطبري ج ٢ : ١٨١ وتاريخ الكامل لابن الأثير ٢ : ٦ .

فقد بان لك وجه التنظير في قول الإمام، وقال ابن أبي الحديد: «وكان الترتيب يقتضى أن يجعل هاشما بإزاء عبد شمس لأنه أخوه في تعدد (والتعدد كبرئ: القربى) وكلاهما ولد عبد مناف لصلبه، وأن يكون أمية بإزاء عبد المطلب وأن يكون حرب بإزاء أبي طالب وأن يكون أبو سفيان بإزاء أمير المؤمنين عليه السلام، لأن كل واحد من هؤلاء في تعدد صاحبه، إلا أن أمير المؤمنين عليه السلام لما كان في صفين بإزاء معاوية اضطر إلى أن جعل هاشما بإزاء أمية بن عبد شمس» وهذا القول ليس هناك لما قدمنا، ولأن ساسلى نسب على ومعاوية إلى عبد مناف ليستا متكافئتين بطبيعتهما، فهي تزيد في معاوية حلقة، فمعاوية هو ابن أبي سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، وعلى هو ابن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، فكيف يكون التنظير على قول ابن أبي الحديد؟ (١) معنى بالمهاجر: نفسه، وبالطليق: معاوية، وقد تقدم ذلك، وفسره الأستاذ الشيخ محمد عبده فقال: «والمهاجر: من آمن في الخفاة وهاجر تخلصا منها» وأقول إن التنظير الذى تنطق به عبارة الإمام على يقتضى التخصيص لا التعميم .

(٣) أصل اللصيق: الدعى في قوم الملصق بهم وليس منهم، والمراد به هنا اللصيق في الإسلام، فالصريح فيه: من أسلم اعتقادا وإخلاصا، واللصيق فيه: من أسلم كرها أو رغبة في الدنيا وقد صرح بذلك بعد فقال: كنتم ممن دخل في هذا الدين إما رغبة وإما رهبة . (٣) أدغل في الأمر: أدخل فيه ما يفسده، والدغل بالتحريك: الفساد .

(٤) لا يعيب على معاوية بأن سلفه كانوا كفارا، بل بكونه متبعا لهم، فقد نهج في معاداة على نهج أجداده في معاداة أجداد على .

وفي أيدينا بعدُ فضلُ النبوة التي أذلَّلنا بها العزيز ، ونَعَشْنَا^(١) بها
الذليلَ ، ولما أدخل الله العربَ في دينه أفواجا ، وأسلمتْ له هذه الأمة طوعا
وكرها ، كنتم ممن دخل في الدين إما رغبةً وإما رهبةً ، على حينَ فاز أهل
السبق بسبقهم ، وذهب المهاجرون الأولون بفضلهم ، فلا تجعلن للشیطان
فيك نصيباً ، ولا على نفسك سبيلاً .

(شرح ابن أبي الحديد م ٣ : ص ٤٢٤ ، ونهج البلاغة ٢ : ١٢ ،
ومروج الذهب ٢ : ٦١ ، والإمامة والسياسة ١ : ٨٨)

٤٤٧ - كتاب معاوية إلى علي

واشتد القتال بين الفريقين ليلة الحرير ، واقتتل الناس تلك الليلة
كلها حتى الصباح ، ولما رأى عمرو بن العاص أن أمر أهل العراق اشتد ،
وخاف في ذلك الهلاك ، دعاهم إلى تحكيم كتاب الله ، ورفع أصحاب معاوية
المصاحف بالرماح وقالوا : هذا كتاب الله عز وجل بيننا وبينكم ، فوقعت
الفرقة بين أصحاب علي ، فريق يقول : نُجيب إلى كتاب الله ونُنبئُ إليه ،
وفريق يأبى إلا القتال حتى يتم الأمر ، ويرَوْن أن رفع المصاحف خُدعة ،
وعلى في جانب هؤلاء ، ورَجَحَت كِفة الفريق الأول ، فأجاب علي إلى
التحكيم على كُرْه منه .

(١) وفي رواية « وأعزنا » ونعشه كنعه وأنعشه ونعشه : رفعه ، والأفواج : جمع فوج ، وهو
الجماعة من الناس .

وكتب معاوية إلى علي :

« أما بعد : فإن هذا الأمر قد طال بيننا وبينك ، وكل واحد منا يرى أنه على الحق فيما يطلب من صاحبه ، ولن يُعطى واحد منا الطاعة للآخر ، وقد قُتل فيما بيننا بشر كثير ، وأنا أتخوّف أن يكون ما بقي أشدّ مما مضى ، وإنّا سوف نُسأل عن هذه المواطن ، ولا يُحاسب غيرى وغيرك ، وقد دعوتك إلى أمر لنا ولك فيه حياةٌ وعُذرٌ وبراءةٌ وصلاحٌ للأمة ، وحَقٌّ للدماء ، وأُفّةٌ للدين ، وذهابٌ للضعاف والفتن : أن نحكم بينى وبينكم حكمين مرّضين ، أحدهما من أصحابى ، والآخر من أصحابك ، فيحكّان بيننا بما أنزل الله ، فهو خير لى ولك ، وأقطع لهذه الفتن ، فاتّق الله فيما دُعيت إليه ، وأرض بحكم القرآن إن كنت من أهله ، والسلام » ،

(شرح ابن أبي الحديد م ١ : ص ١٨٨)

٤٤٨ - رد عليّ على معاوية

فكتب إليه علي عليه السلام :

« من عبد الله على أمير المؤمنين إلى معاوية بن أبي سفيان : أما بعد فإن أفضل ما شغل به المرء نفسه اتباع ما حَسُنَ به فعله ، واستوجب فضله ، وسَلِمَ من عيبه ، وإن البغى والزور يُزريان^(١) بالمرء في دينه ودنياه ، ويُبديان خَلَلَه عند من يعيبه ، فاحذر الدنيا فإنه لا فرح بشيء وصلت إليه منها ، ولقد

(١) وفي رواية : يوتغان أى يهلكان ، والوتغ بالتحريك : الهلاك والإثم ، وفعله كوجل ، وأوتنه أفة : أهلكه ، وأوتغ دينه بالإثم : أفسده ، وفي رواية أخرى « يذيعان » .

علمت أنك غبرٌ مُدركٌ ما قُضِيَ فَوَائِهِ ، وقد رام قومُ أمراً بغير الحق فتأولوا^(١) على الله جل وعزّ فأكذّبهم ومَتَّعهم قليلاً ، ثم اضطرّهم إلى عذاب غليظٍ ، فاحذرْ يوماً يَنْقَبِطُ^(٢) فيه من أحمَدَ عاقبةِ عمله ، ويندم فيه من أمكن الشيطان من قياده فلم يجاذبه ، وغرّته الدنيا ، واطمأن إليها .

ثم إنك قد دعوتني إلى حُكْم القرآن ، ولقد علمتُ أنك لست من أهل القرآن ، ولا حُكْمه تريدُ ، والله المستعان ، ولسنا إياك أجَبْنَا ، ولكننا أجَبْنَا القرآنَ في حُكْمه ، ومن لم يَرْضَ بحُكْم القرآن فقد ضلَّ ضلالاً بعيداً .
(شرح ابن أبي الحديد م ١ : ص ١٨٨ ، ونهج البلاغة ٢ : ٥٦)

٤٤٩ - رد معاوية على عليّ

فكتب معاوية إلى عليّ :

« أما بعدُ : عافانا الله وإياك ، فقد آن لك أن تُجيبَ إلى ما فيه صلاحنا وألفةُ بيننا ، وقد فعلتُ الذي فعلتُ ، وأنا أعرفُ حقِّي ، ولكنني اشتريتُ بالعفو صلاحَ الأمة ، ولم أَكْثِرْ فَرْحاً بشيء جاء ولا ذهب ، وإنما أدخلني في هذا الأمر ، القيامُ بالحق فيما بين الباغي والمبغى عليه ، والأمرُ بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، فدعوتُ إلى كتاب الله فيما بيننا وبينك ، فإنه

(١) أي تعلقوا بشبهة في تأويل القرآن انتصاراً لمذاهبهم وآرائهم ، فأكذّبهم الله بأن أظهر للعقلاء فساد تأويلهم ، وفي رواية (فتأولوا على الله) وتألّى : أقسم كائتلى وآلى ، وفي الحديث « من تألّى على الله أكذبه الله » ومعناه : من أقسم تحييراً واقتداراً لأفعلن كذا أكذبه الله ولم يبلغه أمله .

(٢) يَنْقَبِطُ أي يفرح ويسر ، والغلبة بالكسر : السرور ، وفي رواية « يَنْقَبِطُ فيه » أي يتمنى مثل حاله ، وأحمد أمره : صار عنده محموداً .

لا يجمعنا وإياك إلا هو ، نُحْيِي ما أحيا القرآن ، ونُؤْتِي ما أُمات القرآن ،
والسلام . (شرح ابن أبي الحديد م ١ : ص ١٨٩)

٤٥٠ - كتاب علي إلى عمرو بن العاص

فكتب علي عليه السلام إلى عمرو بن العاص - وهو أول كتاب
كتبه إليه - :

« أما بعد : فإن الدنيا مَشْغَلَةٌ عن الآخرة ، وصاحبها مَتْنُومٌ عليها^(١) ،
لم يُصِبْ شَيْئًا منها قَطُّ إِلَّا فَتَحَتْ لَهُ حِرْمًا عليها ، وَلَهَجًا بها^(٢) ، وأدخلتْ
عليه مُؤَنَّةً تزيد رغبةً فيها ، ولن يستغنيَ صاحبها بما نال فيها عما لم يبلغه
منها ، ومن وراء ذلك فِرَاقٌ ما جَمَعَ ، ونَقْصٌ ما أْبْرَمَ ، والسعيد من وَعِظَ
بغيره ، فلا تُحْبِطُ^(٣) أَجْرَكَ أبا عبد الله ، ولا تَشْرِكْ معاويةَ في باطله ، فإن
معاويةَ غَمَصَ^(٤) الناسَ ، وسَفِهَ الحقَّ ، والسلام . »

(شرح ابن أبي الحديد م ١ : ص ١٨٩ ، وم ٤ ص ١١٤ ، ونهج البلاغة : ٢ : ٥٦)

٤٥١ - رد عمرو على علي

فكتب إليه عمرو جوابه :

« أما بعد : فإن الذي فيه صلاحنا ، وألفَةُ ذاتِ بيننا الإِنايَةُ^(٥) إلى الحق

-
- (١) من التهم بالتحريك ، وهو الشره وإفراط الشهوة في الطعام .
(٢) لهج بالأمر كفرح : أغرى به فتأبر عليه ، والمؤنة والمثونة : الثقل . (٣) أحبطه : أفسده .
(٤) غمسه كضرب وسمع وفرح : احتقره وعابه وتهاون بحقه ، وسفه الحق : جهله .
(٥) أي الرجوع ، وفي رواية أخرى « أن تنيب إلى الحق ، وأن تحيب إلى ما ندعوك إليه من الشورى »

وقد جعلنا القرآن يبتنا حَكَمًا ، وأَجَبْنَا إِلَيْهِ ، فَصَبَرَ^(١) الرجلُ مِنَّا نَفْسَهُ عَلَى مَا حَكَمَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ ، وَعَذَرَهُ النَّاسُ بَعْدَ الْمُحَاجَزَةِ ، وَالسَّلَامُ .

(شرح ابن أبي الحديد م ١ : ص ١٨٩ ، وم ٤ : ص ١١٤)

٤٥٢ — رد عليّ على عمرو

فكتب إليه علي :

« أَمَا بَعْدُ : فَإِنَّ الَّذِي أَعْجَبَكَ مِنَ الدُّنْيَا مِمَّا نَازَعْتَكِ إِلَيْهِ نَفْسُكَ ، وَوَقَّعْتَ بِهِ مِنْهَا ، لِمَنْقَلَبٍ عَنْكَ ، وَمِفَارِقٍ لَكَ ، فَلَا تَطْمَئِنِّي إِلَى الدُّنْيَا فَإِنَّهَا غَرَّارَةٌ ، وَلَوْ اعْتَبَرْتَ بِمَا مَضَى لَحَفِظْتَ مَا بَقِيَ ، وَانْتَفَعْتَ مِنْهَا بِمَا وَُعِظْتَ بِهِ وَالسَّلَامُ . » (شرح ابن أبي الحديد م ١ : ص ١٨٩)

٤٥٣ — رد عمرو على عليّ

فأجابه عمرو :

« أَمَا بَعْدُ : فَقَدْ أَنْصَفَ مَنْ جَعَلَ الْقُرْآنَ إِمَامًا ، وَدَعَا النَّاسَ إِلَى أَحْكَامِهِ ، فَاصْبِرْ أَبَا حَسَنَ ، فَإِنَّا غَيْرُ مُنِيلِيكَ إِلَّا مَا أَنَا لَكَ الْقُرْآنُ ، وَالسَّلَامُ . » (شرح ابن أبي الحديد م ١ : ص ١٨٩)

٤٥٤ — رد عليّ على عمرو

وفي رواية أخرى أن عليًّا كتب إلى عمرو كتابًا غليظًا جوابًا عن

رده الأول ، وهو :

(١) أَيْ أَمْسَكَهَا وَحَبَسَهَا عَلَيْهِ .

« أما بعد : فإنك قد جعلت دينك تبعاً لدنيا أمري^(١) ظاهر غيّه ،
متهوك ستره^(٢) ، يشين الكريم بمجلسه^(٣) ، ويسفه الحليم بخيلطته ، فاتبعته
أثره ، وطلبت فضله ، اتباع الكلب للضرغام ، يلوذ بمخالبه ، وينتظر
ما يلقى إليه من فضل فريسته ، فأذهبت دنياك وآخرتك ، ولو بالحق أخذت ،
أدركت ما طلبت^(٤) ، فإن يُمكن الله منك ومن ابن أبي سفيان ، أجز كما
بما قدّمنا ، وإن تعجزا^(٥) وتبقيا فما أمامكما شرّ لكما ، والسلام .
(نهج البلاغة ٢ : ٤٥)

صورة أخرى

وقال ابن أبي الحديد في شرح النهج :
ذكر نصر بن مزاحم في كتاب صفين هذا الكتاب بزيادة لم يذكرها
الرضي . قال نصر :
كتب عليّ عليه السلام إلى عمرو بن العاص :
« من عبد الله عليّ أمير المؤمنين إلى الأبتّر بن الأبتّر عمرو بن العاص

(١) انظر ما قدمناه في ص ٣٨٩ .

(٢) فقد كان معاوية يعلن للملأ أن غضبته ناك إنما هي غصبة لقتل عثمان ، وأن نهضته ليست
إلا للثأر به ، ويخفي في نفسه ما يطمح إليه من التوثب إلى الخلافة والتربع في دستها ، ولم يخف على عليّ
أمره وتوهمه .

(٣) فظالمنا شتم بني هاشم وقذفهم في مجلسه ، والخلاطة بالكسر : العشرة ، والضرغام : الأسد .

(٤) كان عمرو يطلب ملك مصر ، وقد عاهد معاوية على نصرته على أن يجعل له مصر طعمة كما
قدمنا ، ولم يكن على لينيله مأربه ، فعنى أدركت ما طلبت أي في الآخرة فإن ثواب الله فيها خير من
عرض زائل بائد .

(٥) أي وإن تعجزاني أو تبقيا بمدى فما أمامكما من عقاب الله شر لكما من جزائي .

أَبْنِ وَائِلٍ ، شَانِيٌّ مُحَمَّدٌ وَآلُ مُحَمَّدٍ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَالْإِسْلَامِ^(١) .

سَلَامٌ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى ، أَمَا بَعْدُ : فَإِنَّكَ تَرَكْتَ مَرْوَةَكَ لِأَمْرِي
فَاسِقٍ مَهْتُوكٍ سِتْرُهُ ، يَشِينُ الْكَرِيمَ بِمَجْلِسِهِ ، وَيُسَفِّهُ الْحَلِيمَ بِخِلْطَتِهِ ، فَصَارَ
قَلْبُكَ لِقَلْبِهِ تَبَعًا ، كَمَا قِيلَ : « وَافَقَ شَنْ طَبَقَةً^(٢) » ، فَسَلَبَكَ دِينَكَ وَأَمَاتَكَ ،
وَدُنْيَاكَ وَآخِرَتَكَ ، وَكَانَ عِلْمُ اللَّهِ بِالْغَايِكَ ، فَصَرْتَ كَالذُّئْبِ يَتَّبِعُ الضَّرْعَامَ
إِذَا مَا اللَّيْلِ دَجَا^(٣) أَوْ أَتَى الصَّبْحَ ، يَلْتَمِسُ فَاضِلَ سُورِهِ ، وَحَوَايَا فَرِيَسْتِهِ ،
وَلَكِنْ لَا نَجَاةَ مِنَ الْقَدَرِ ، وَلَوْ بِالْحَقِّ أَخَذْتَ لِأَدْرَكَتَ مَا رَجَوْتَ ، وَقَدْ

(١) الثاني: المفيض ، ويسهل ، وذلك أن العاص بن وائل سمي النبي صلى الله عليه وسلم أبتر عند موت ابنه القاسم فنزل فيه « إِنَّ شَأْنَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ » أي المنقطع عن كل خير الذي لا يفوز بالذكر الحسن بعد موته ، وأما أنت يا محمد فسبق حسن ذكرك وآثار فضلك إلى يوم القيامة ، فهو الأبر لا أنت (٢) هو مثل ، وذلك أنه كان رجل من دهاة العرب وعقلائهم يقال له شن ، فقال : والله لأطوفن حتى أجِدَ امرأةً مثلي أتزوجها ، فبينما هو في بعض مسيره إذ وافقه رجل في الطريق ، فسأله شن : أين تريد ، فقال : موضع كذا ، يريد القرية التي يقصدها شن فرافقه حتى أخذها في مسيرها ، قال له شن : أتحملي أم أحملك ؟ فقال له الرجل : يا جاهل ، أنا راكب وأنت راكب فكيف أحملك أو تحملي ؟ فسكت عنه شن ، وسارا حتى إذا قربا من القرية وإذا بزرع قد استحصد (أي آن له أن يحصد) ، فقال شن : أترى هذا الزرع أكل أم لا ؟ فقال له الرجل : يا جاهل ، ترى نباتا مستحصدا فتقول : أكل أم لا ! فسكت عنه شن ، حتى إذا دخلا القرية لقيتهما جنازة ، فقال شن : أترى صاحب هذا النعش حيا أو ميتا ؟ فقال له الرجل : مارأيت أجهل منك ، ترى جنازة تسأل عنها أميت صاحبها أم حي ! فسكت عنه شن ، فأراد مغارفته فأبى الرجل أن يتركه حتى يصير به إلى منزله ، ففضى ماله ، وكان للرجل بنت يقال لها طبقة ، فلما دخل عليها أبوها سألت عن ضيفه ، فأخبرها بمرافقته لياه ، وشكا إليها جهله وحدثها بحديثه ، فقالت : يا أبت ما هذا بجاهل : أما قوله أتحملي أم أحملك ، فأراد أتحدثني أم أحدثك حتى تقطع طريقنا ؟ وأما قوله : أترى هذا الزرع أكل أم لا ، فأراد : أباعه أهله فأكلوا منه أم لا ؟ وأما قوله في الجنازة ، فأراد أترك عبا يحيا بهم ذكره أم لا ؟ فخرج الرجل فقعد مع شن خادثة ساعة ، ثم قال : أتجب أن أفسرك ما سألتني عنه ؟ قال : نعم ، ففسره ، قال شن : ما هذا من كلامك ، فأخبرني من صاحبه ؟ قال : ابنة لي ، غطبتها إليه فزوجه لياها وحملها إلى أهله ، فلما رأوها قالوا : وافق شن طبقة ، فذهبت مثلا يضرب للعتواقين .
(٣) دجا الليل : أظلم ، والسور : البقية والفضلة ، والحوايا : جمع حوية كقضية ، وهي مانحوى أي استدار من الأمعاء .

رشد مَنْ كان الحق قائده ، فَإِنْ يُمكنَ اللهُ منك ومن ابن آكلة الأكباد^(١)
ألحقتكما بَن قَتَلَه اللهُ مِن ظَلَمَة قريش على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله ،
وإن تُعْجزا وتَبْقيا بعدى ، فالله حَسْبُكما ، وكفى بانتقامِهِ انتقاما ، وبعقابه
عِقَابًا ، والسلام . (شرح ابن أبي الحديد م ٤ : ص ٦١)

٤٥٥ — كتاب الصلح بين عليّ ومعاوية

وتوافق الفريقان على أن يُقيما حَكَمين بينهما ، ويعملا بما يتفقان عليه ،
فأقام معاوية عمرو بن العاص حكاما عنه ، وأقام عليّ أبا موسى الأشعريّ حكاما
عنه ، — على كُرّه منه أيضًا — فاتفق الحَكمان على أن يُكتب بينهما كتاب
بعقد الصلح ، واجتمعا عند عليّ رضى الله عنه ، وكتب كتاب القضية بينهما
بمَحَضْرته ، فكتب فيه بعد البسملة : « هذا ما تقاضى عليه عليّ أمير
المؤمنين » . فقال عمرو : اكتب أسمه وأسم أبيه ، هو أميركم ، فأما أميرنا
فلا ، فقال له الأحنف : لا تمنحُ أسم إمارة المؤمنين ، فإنّي أتحوف إن محوتها
أن لا ترجع إليك أبدًا ، لا تمنحها وإن قتل الناس بعضهم بعضًا ، فأبى ذلك
عليّ مَلِيًّا من النهار ، ثم إن الأشعث بن قيس قال : أُمح هذا الأسم ،
فأجاب عليّ ومحاه ، ثم قال عليّ : الله أكبر ! سُنّة بسُنّة ، ومَثَل بمَثَل ، والله
إنى لكاتب بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحُدَيْبية ، فكتبت
محمد رسول الله ، فقالوا : لست برسول الله ولا نشهد لك به ، ولكن

(١) آكلة الأكباد : هى هند بنت عتبة أم معاوية ، وذلك أنها بعد انتهاء غزوة أحد — وكان قد
قتل فيها حمزة عم النبي صلى الله عليه وسلم كما قدمنا — بقرت بطنه وأخذت كبده لتأكلها ، تشفيا منه
وانتقاما لقتلى بدر — فلا كتبها فلم تستطع أن تسيغها فلفظتها .

أَكْتُبَ أَسْمَكَ وَأَسْمَ أَيْكَ ، فَأَمَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَحْوِهِ ،
فَقُلْتُ : لَا أَسْتَطِيعُ أَفْعَلُ ! فَقَالَ : إِذْنِ أَرْنِيهِ ، فَأَرَيْتُهُ فَحَافَ يَدَهُ وَقَالَ :
إِنَّكَ سَتُدْعَى إِلَى مِثْلِهَا فَتَجِيبُ ، ثُمَّ كَتَبَ الْكِتَابَ :



« بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، هَذَا مَا تَقَاضَى عَلَيْهِ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ
وَمَعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سَفْيَانَ ، قَاضَى عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عَلَى أَهْلِ الْعِرَاقِ وَمَنْ كَانَ مَعَهُ مِنْ شِيعَتِهِ
مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُسْلِمِينَ ، وَقَاضَى مَعَاوِيَةُ عَلَى أَهْلِ الشَّامِ وَمَنْ كَانَ مَعَهُ مِنْ
شِيعَتِهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُسْلِمِينَ ، إِنَّا نَنْزِلُ عِنْدَ حُكْمِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَكِتَابِهِ ،
وَلَا يَجْمَعُ بَيْنَنَا غَيْرُهُ ، وَإِنْ كَتَبَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بَيْنَنَا مِنْ فَاتِحَتِهِ إِلَى خَاتَمَتِهِ ، نُحْيِي
مَا أَحْيَا ، وَنُمِيتُ مَا أَمَاتَ ، فَمَا وَجَدَ الْحَكَمَانِ فِي كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ -
وَهَا أَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ قَيْسٍ ، وَعَمْرُو بْنُ الْعَاصِ الْقُرَشِيُّ -
عَمِلَابَهُ ، وَمَا لَمْ يَجِدَا فِي كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، فَالْسُّنَّةُ الْعَادِلَةُ الْجَامِعَةُ غَيْرُ
الْمُفَرَّقَةِ ، وَأَخَذَ الْحَكَمَانِ مِنْ عَلِيٍّ وَمَعَاوِيَةَ ، وَمِنَ الْجُنْدِ مِنَ الْعُيُودِ
وَالْمِيثَاقِ وَالثَّقَةِ مِنَ النَّاسِ أَنَّهُمَا آمَنَانِ عَلَى أَنْفُسِهِمَا وَأَهْلِهِمَا ، وَالْأُمَّةُ لَهُمَا
أَنْصَارٌ عَلَى الَّذِي يَتَقَاضِيَانِ عَلَيْهِ .

وعلى المؤمنين والمسلمين من الطائفتين كلتيهما عهدُ الله وميثاقه ، أنا على
ما في هذه الصحيفة ، وأنَّ قد وَجَبَتْ قَضِيَّتُهُمَا عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ، فَإِنَّ الْأَمْنَ
وَالِاسْتِقَامَةَ ، وَوَضَعَ السِّلَاحَ بَيْنَهُمْ أَيْنَمَا سَارُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ
وَشَاهِدِهِمْ وَغَائِبِهِمْ .

وعلى عبد الله بن قيس ، وعمرو بن العاص عهدُ الله وميثاقه أن يحكما بين هذه الأمة بالحق لا بالهوى ، ولا يرُدَّاهما في حرب ولا فُرقة حتى يقضيا ، وأجل القضاء إلى رمضان ، وإن أحبَّ أن يؤخَّرا ذلك أخراه على تراضٍ منهما ، وإن توفَّى أحد الحَكَمين فلامير شيعته أن يختار مكانه ، ولا يألومن أهل المعدلة^(١) والقسط ، وإن كان قضيتهما الذي يقضيان فيه مكان عدل بين أهل الكوفة وأهل الشام ، وإن رَضيا وأحبا فلا يحضُرهما فيه إلا من أَراد ، ويأخذ الحَكَمان من أَراد من الشهود ، ثم يكتبان شهادتهما على ما في هذه الصحيفة ، وهم أنصار على مَنْ تَرَكَ ما في هذه الصحيفة ، وأراد فيه إلحادا وظلما ، اللهم إنا نستنصرك على مَنْ تَرَكَ ما في هذه الصحيفة .

شَهِدَ مِنْ أَصْحَابِ عَلِيٍّ : الْأَشْعَثُ بْنُ قَيْسٍ الْكِنْدِيُّ ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ وَسَعِيدُ بْنُ قَيْسٍ الْهَمْدَانِيُّ ، وَوَرَقَاءُ بْنُ سُمَيٍّ الْبَجَلِيُّ ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَلٍّ الْعَجَلِيُّ وَحُجْرُ بْنُ عَدِيِّ الْكِنْدِيِّ ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ الطَّقِيلِ الْعَامِرِيُّ ، وَعُقْبَةُ بْنُ زِيَادٍ الْحَضْرَمِيُّ ، وَيزيد بن حُجَّة التَّيْمِيُّ ، وَمَالِكُ بْنُ كَعْبٍ الْهَمْدَانِيُّ .

وَمِنْ أَصْحَابِ مَعَاوِيَةَ : أَبُو الْأَعْوَرِ السَّامِيُّ عَمْرُو بْنُ سَفْيَانَ ، وَحَبِيبُ ابْنِ مَسْلَمَةَ الْفَهْرِيُّ ، وَالْمُخَارِقُ بْنُ الْحَارِثِ الزُّيْدِيُّ ، وَزَيْدُ بْنُ عَمْرٍو الْعُدْرِيُّ وَهَمزة بن مالك الهَمْدَانِيُّ ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ خَالِدٍ الْخَزَوِيُّ ، وَسُبَيْعُ بْنُ يَزِيدٍ الْأَنْصَارِيُّ ، وَعَلْقَمَةُ بْنُ يَزِيدٍ الْأَنْصَارِيُّ ، وَعُثْبَةُ بْنُ أَبِي سَفْيَانَ ، وَيزيدُ ابْنُ الْحُرِّ الْعَبْسِيُّ .

(١) المعدلة : العدل وكذا القسط .

وكتب كتاب القضية فيما قيل يوم الأربعاء لثلاث عشرة خلت من صفر
سنة ٣٧ من الهجرة .

(تاريخ الطبري ٦ : ٢٩ ، والكامل لابن الأثير ٣ : ١٢٧ ، والامامة
والسياسة ١ : ٩٨ ، وشرح ابن أبي الحديد ١ : ص ١٩١)

صورة أخرى

وفي رواية أخرى أن نسخة كتاب القضية بين عليّ ومعاوية
كانت هكذا :

« هذا ما تقاضى عليه علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان
وشيعتهما ، فيما تراضيا به من الحكم بكتاب الله وسنة نبيه محمد صلى الله
عليه وسلم ، قضية عليّ على أهل العراق ومن كان من شيعته من شاهدٍ أو
فائب ، وقضية معاوية على أهل الشام ومن كان من شيعته من شاهدٍ أو
فائب ، إنا رَضِينَا أَنْ نَنْزِلَ عِنْدَ حَكَمِ كِتَابِ اللَّهِ فِيما حَكَمَ ، وَأَنْ نَقِفَ
عِنْدَ أَمْرِهِ فِيما أَمَرَ ، فَإِنَّهُ لَا يَجْمَعُ بَيْنَنَا إِلَّا ذَلِكَ ، وَإِنَّا جَعَلْنَا كِتَابَ اللَّهِ سَبْجَانَهُ
حَكَمًا يَبْنِيهِ فِيما اخْتَلَفْنَا فِيهِ ، مِنْ فَاتِحَتِهِ إِلَى خَاتَمَتِهِ ، نُحْيِي مَا أَحْيَا ، وَنُحْيِتُ
مَا أَمَاتَ ، عَلَى ذَلِكَ تَقَاضَيْنَا ، وَبِهِ تَرْضَيْنَا ، وَإِنْ عَلَيْنَا وَشِعَتُهُ رَضُوا أَنْ يَبْعَثُوا
عَبْدَ اللَّهِ بْنِ قَيْسٍ نَاضِرًا وَمُحَاكِمًا ، وَرَضِيَ مُعَاوِيَةُ وَشِعَتُهُ أَنْ يَبْعَثُوا عَمْرُو
ابْنَ الْعَاصِ نَاضِرًا وَمُحَاكِمًا ، عَلَى أَنَّهُمْ أَخَذُوا عَلَيْهِمَا عَهْدَ اللَّهِ وَمِيثَاقَهُ وَأَعْظَمَ
مَا أَخَذَ اللَّهُ عَلَى أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ ، لِيَتَّخِذَ الْكِتَابَ إِمَامًا فِيما بُعِثَ لَهُ ،
لَا يَعْدُوَانِهِ إِلَى غَيْرِهِ فِي الْحُكْمِ بِنَا وَجَدًا فِيهِ مَسْطُورًا ، وَمَا لَمْ يَجِدَاهُ مُسَمًّى

فى الكتاب رَدَّاه إلى سنة رسول الله الجامعة ، لا يتعمدان لها خلافاً ولا يتبعان فى ذلك لهما هوًى ، ولا يدخلان فى شبهة .

وقد أخذ عبد الله بن قيس وعمرو بن العاص على على ومعاوية عهدَ الله وميثاقه بالرضا بما حكما به من كتاب الله وسنة نبيه ، ليس لهما أن ينقضا ذلك ولا يخالفا إلى غيره ، وأنها آمانان فى حكومتها على دماءهما وأموالهما وأهلبيهما ، مالم يعدوا الحق ، رضى بذلك راضٍ ، أو أنكرَ مُنكر ، وأن الأمة أنصار لهما على ما قضيا به من العدل .

فإن توفى أحدُ الحكامين قبل انقضاء الحكومة ، فأمرُ شيعته وأصحابه يختارون مكانه رجلا ، لا يألون عن أهل المعدلة والإقسط^(١) ، على ما كان عليه صاحبه من العهد والميثاق ، والحكم بكتاب الله وسنة رسوله وله مثلُ شرط صاحبه .

وإن مات واحد من الأميرين قبل انقضاء ، فليشيعته أن يؤثوا مكانه رجلا يرضون عدله .

وقد وقعت هذه القضية بيننا ومعها الأمنُ والفاوضُ ، ووضع السلاح والسلام والمواذعة ، وعلى الحكامين عهدُ الله وميثاقه ، ليحكمان بكتاب الله وسنة نبيه ، لا يدخلا فى شبهة ، ولا يألوان اجتهدا ، ولا يتعمدان جورا . ولا يتبعان هوًى ، ولا يعدوان ما فى كتاب الله تعالى ، وسنة رسوله ، فإن لم يفعلا برئت الأمة من حكمهما ، ولا عهد لهما ولا ذمة ، وقد وجبت القضية على ما سَمَّينا فى هذا الكتاب من موقع الشرط على الأميرين والحكامين

(١) الإقسط : العدل .

والفريقين ، واللهُ أقربُ شهيداً ، وأدنى حَفِيطاً ، والناسُ آمنون على أنفسهم وأهلهم وأموالهم إلى انقضاء مدة الأجل ، والسلاحُ موضوع ، والسبيلُ مُخْلًى ، والشاهدُ والغائب من الفريقين سواء في الأمر ، وللاحكمين أن ينزلا منزلاً عدلاً بين أهل العراق وأهل الشام ، ولا يُخْضِرهما فيه إلا مَنْ أَحَبَّ عَنْ مَلَأ^(١) منهما وتراضٍ ، وأَجَلَ القاضيين المسلمون إلى رمضان ، فإن رأى الحكمان تعجيلَ الحكومة فيما وَجَّها له عَجَّالها ، وإن أرادَا تأخيرها بعد رمضان إلى انقضاء الموسم ، فإن ذلك إليهما .

فإن هما لم يحكما بكتاب الله وسنة نبيه إلى انقضاء الموسم ، فالمسلمون على أمرهم الأول في الحرب ، ولا شَرْطَ بين الفريقين ، وعلى الأمة عهد الله وميثاقه على الوفاء والتمَّام^(٢) على ما في هذا الكتاب ، وهم يدُّ على من أراد في هذا الكتاب إلحاداً أو ظلاماً ، أو أراد له نَقْضاً .

شهد على ما في هذا الكتاب من أصحاب عليّ : الأشعث بن قيس ، وعبد الله بن عباس ، والأشتر بن الحارث ، وسعيد بن قيس الهمداني ، والحُصَيْنُ والطُّفَيْلُ ابنا الحارث بن المطلب ، وأبو أسيد بن ربيعة الأنصاري وخَبَّاب بن الأرت ، ومَهْل بن حُنَيْف الأنصاري ، وأبو اليسر بن عمرو الأنصاري ، ورفاعة بن رافع بن مالك الأنصاري ، وعَوْف بن الحارث ابن المطلب القرشي ، وبرَيْدَة الأسامي ، وعُقبة بن عامر الجُهَنِي ، ورافع ابن خديج الأنصاري ، وعُمرو بن الحَمِيق الخُزَاعِي ، والحسن والحسين ابنا علي ، وعبد الله بن جعفر الهاشمي ، واليَعْمَر بن عَجْلان الأنصاري ، وحُجْر بن عَدِيّ

(١) أي عن تشاور . (٢) يقال : تمَّ على الأمر وتم عليه بإظهار الإدغام أي استمر عليه .

الْكِنْدِي ، وَوَرَقَاءُ بْنُ سُمَيِّ بْنِ الْجَلِيِّ ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ الطُّفَيْلِ الْأَنْصَارِيُّ ، وَيَزِيدُ
ابْنُ حُجَّيَّةَ التَّمِيمِيِّ ، وَمَالِكُ بْنُ كَعْبٍ الْهَمْدَانِيُّ ، وَرَبِيعَةُ بْنُ شُرَحْبِيلٍ ،
وَأَبُو صُفْرَةَ ، وَالْحَارِثُ بْنُ مَالِكٍ ، وَحُجْرُ بْنُ يَزِيدٍ ، وَعُقْبَةُ بْنُ حُجَّيَّةَ .

وَمِنْ أَصْحَابِ مَعَاوِيَةَ : حَبِيبُ بْنُ مَسْلَمَةَ الْفِهْرِيُّ ، وَأَبُو الْأَعْوَرِ السَّامِيُّ
وَبُسْرُ بْنُ أَرْطَاةَ الْقُرَشِيُّ ، وَمَعَاوِيَةُ بْنُ حُدَيْجٍ الْكِنْدِيُّ ، وَالْمُخَارِقُ بْنُ الْحَارِثِ
الْحَمِيرِيُّ ، وَزَيْلُ بْنُ عَمْرِو السَّكْسَكِيِّ ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ
الْمَخْزُومِيُّ ، وَحَمْزَةُ بْنُ مَالِكٍ الْهَمْدَانِيُّ ، وَسَبْعُ بْنُ زَيْدٍ الْحَمِيرِيُّ ، وَعَبْدُ اللَّهِ
ابْنُ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ ، وَعَلْقَمَةُ بْنُ مَرْثَدٍ الْكَلْبِيُّ ، وَخَالِدُ بْنُ الْحَصَيْنِ
السَّكْسَكِيُّ ، وَعَلْقَمَةُ بْنُ يَزِيدٍ الْحَضْرَمِيُّ ، وَيَزِيدُ بْنُ الْحَرِّ الْعَبْسِيُّ ، وَمَسْرُوقُ
ابْنِ حَمَلَةَ الْعَكِّيِّ ، وَنُمَيْرُ بْنُ يَزِيدٍ الْحَمِيرِيُّ . وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَامِرٍ الْقُرَشِيُّ ،
وَمُرْوَانُ بْنُ الْحَكَمِ ، وَالْوَلِيدُ بْنُ عُقْبَةَ الْقُرَشِيُّ ، وَعُثْبَةُ بْنُ أَبِي سَفْيَانَ ، وَمُحَمَّدُ
ابْنُ أَبِي سَفْيَانَ ، وَمُحَمَّدُ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ ، وَيَزِيدُ بْنُ عَمْرِو الْجُدَامِيِّ ، وَعَمَّارُ
ابْنُ الْأَخْوَصِ الْكَلْبِيُّ ، وَمُسْعَدَةُ بْنُ عَمْرِو الْقَيْنِيِّ ، وَعَاصِمُ بْنُ الْمُسْتَنِيرِ الْجُدَامِيُّ
وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ ذِي كَلَّاعٍ الْحَمِيرِيُّ ، وَالصَّبَّاحُ بْنُ جُلُومَةَ الْحَمِيرِيُّ ، وَثُمَامَةُ
ابْنُ حَوْشَبٍ ، وَعَلْقَمَةُ بْنُ حَكِيمٍ .

وَإِنْ يَبْنُو عَلَى مَا فِي هَذِهِ الصَّحِيفَةِ عَهْدُ اللَّهِ وَمِيثَاقُهُ ، وَكُتِبَ عُمَيْرُومُ

الْأَرْبَعَاءُ لثَلَاثَ عَشْرَةَ لَيْلَةً بَقِيَتْ مِنْ صَفْرِ سَنَةِ سَبْعٍ وَثَلَاثِينَ .

(صَبْحُ الْأَعَشَى ١٤ : ٨٠ ، وَشَرْحُ ابْنِ أَبِي الْحَدِيدِ ١ ، ص ١٩١)

٤٥٦ - كتاب بين عمرو بن العاص وأبي موسى

ولما انقضى الأجل ، اجتمع الحكان في دومة الجندل ، وخدع عمرو
ابن العاص أبا موسى الأشعري ، ففشل التحكيم ، واشتدت الفرقة
بين المسلمين .

وروى المسعودي في مروج الذهب قال :

فلما التقى أبو موسى وعمرو ، قال عمرو لأبي موسى تكلم وقل خيراً ،
فقال : أبو موسى : بل تكلم أنت يا عمرو ، فقال عمرو : ما كنت لأفعل
وأقدم نفسي قبلك ، ولك حقوق كلها واجبة ، لِسِنِّكَ وَصُحْبَتِكَ رسول الله
صلى الله عليه وسلم ، وأنت ضيف ، فحمد الله أبو موسى وأثنى عليه ، وذكر
الحديث الذي حلّ بالإسلام ، والخلاف الواقع بأهله ، ثم قال : يا عمرو هلم إلى
أمر يجمع الله فيه الألفة ، ويُلْمُ الشَّعْثَ ، ويُصْلِح ذات البَيْنِ ، فجزاه عمرو
خيراً ، وقال : إن للكلام أولاً وآخرأ ، ومتى تنازعنا الكلامَ خُطْباً ، لم نبلغ
آخره حتى تَلْسَى أوَّلَه ، فاجعل ما كان من كلام تتصادر عليه في كتاب يصير
إليه أمرنا ، قال : فاكتب ، فدعا عمرو بصحيفة وكاتب ، وكان الكاتب
غلاماً لعمرو ، فتقدم إليه ليبدأ به أولاً دون أبي موسى ، لما أراد من المكر به
ثم قال له بحضرة الجماعة ، اكتب ، فإنك شاهد علينا ، ولا تكتب شيئاً
يأمرك به أحدنا ، حتى تستأمر الآخر فيه ، فإذا أمرك فاكتب ، وإذا نهاك
فانتَه حتى يجتمع رأيُنا ، اكتب :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما تقاضى عليه فلان وفلان » فكتب وبدأ بعمره ، فقال له عمرو : لا أم لك ، أتقدمنى قبله ؟ كأنك جاهل بحقه ! فبدأ باسم عبد الله بن قيس ، وكتب : تقاضيا على أنهما يشهدان أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ، ثم قال عمرو : « نشهد أن أبا بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عمل بكتاب الله وسنة رسوله ، حتى قبضه الله إليه ، وقد أدى الحق الذى عليه » قال أبو موسى : اكتب ، ثم قال فى عمر مثل ذلك ، ثم قال عمرو اكتب : « وأن عثمان وليُّ هذا الأمر بعد عمر على إجماع من المسلمين ، وشورى من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضاً منهم ، وأنه كان مؤمناً » فقال أبو موسى : ليس هذا مما قعدنا له ، قال عمرو : والله لا بد من أن يكون مؤمناً أو كافراً ، قال أبو موسى : اكتب ، قال عمرو : فظالماً قُتِلَ عثمان أو مظلوماً ؟ قال أبو موسى : بل قتل مظلوماً ، قال عمرو : أفليس قد جعل الله لوليِّ المظلوم سلطاناً يطلب بدمه ؟ قال أبو موسى : نعم ، قال عمرو : فهل تعلم لعثمان ولياً أولى من معاوية قال أبو موسى : لا ، قال عمرو : أفليس لمعاوية أن يطلب قاتله حيثما كان حتى يقتله أو يعجز ؟ قال أبو موسى : بلى . قال عمرو للكاتب : اكتب ، وأمره أبو موسى فكتب ، قال عمرو : فإننا نقيم البيّنة أن عليّاً قتل عثمان ، قال أبو موسى : هذا أمر قد حدث فى الإسلام ، وإنما اجتمعنا لله ، فهلم إلى أمر يُصلح الله به أمة محمد ، قال عمرو : وما هو ؟ قال أبو موسى : قد علمت أن أهل العراق لا يحبون معاوية أبداً ، وأن أهل الشام لا يحبون عليّاً أبداً ،

فهل نخلعهما جميعاً ، ونستخلفُ عبد الله بن عمر ؟ قال عمرو : أيفعل ذلك عبد الله بن عمر ؟ قال أبو موسى : نعم ، إذا حمّله الناس على ذلك فعل ، فعمد عمرو إلى كل ما مال إليه أبو موسى فصوّبه ، وقال له : هل لك في سعد ابن أبي وقاص ؟ قال له أبو موسى : لا ، فعمد له عمرو جماعة ، وأبو موسى يأبى ذلك إلا ابن عمر ، فأخذ عمرو الصحيفة وطواها وجعلها تحت قدمه ، بعد أن ختماها جميعاً ، وقال عمرو : أرايت إن رضى أهل العراق بعبد الله ابن عمر ، وأبى أهل الشام ، أيقاتل أهل الشام ؟ قال أبو موسى : لا ، قال عمرو : فإن رضى أهل الشام وأبى أهل العراق ، أيقاتل أهل العراق ؟ قال أبو موسى : لا ، قال عمرو : أما إذ رأيت الصلاح في هذا الأمر والخير للمسلمين ، فقم فاخطب الناس ، واخلع صاحبينا ، وتكلم باسم هذا الرجل الذى تستخلف ، فقال أبو موسى : بل أنت قم فاخطب ، فأنت أحق بذلك ، قال عمرو : ما أحب أن أتقدمك ، وما قولى وقولك للناس إلا قول واحد ، فقم راشداً .

فقام أبو موسى فحمد الله وأثنى عليه ، وصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم ثم قال : « أيها الناس ، إنا قد نظرنا فى أمرنا فرأينا أقرب ما يحضرننا من الأمن والصلاح ولم الشعث ، وحقق الدماء ، وجمع الألفة ، خلعنا علينا ومعاوية ، وقد خلعت علينا كما خلعت عمامتى هذه - وأهوى إلى عمامته نخلعها - واستخلفنا رجلاً قد صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه ، وصحب

أبوه النبي صلى الله عليه وسلم ، فبرز في سابقته ، وهو عبد الله بن عمر^(١) »
وأطراه ورغب الناس فيه ونزل .

فقام عمرو ، فحمد الله وأثنى عليه ، وصلى على رسوله صلى الله عليه وسلم ،
ثم قال : « أيها الناس ، إن أبا موسى عبد الله بن قيس خلع علياً وأخرجه من
هذا الأمر الذي يطلب ، وهو أعلم به ، ألا وإني خلعتُ علياً معه ، وأثبتتُ
معاوية على وعليكم ، وإن أبا موسى قد كتب في الصحيفة أن عثمان قد قتل
مظلوماً شهيداً ، وأن لوليّه أن يطلب بدمه حيث كان ، وقد صحب معاوية
رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه ، وصحب أبوه النبي صلى الله عليه وسلم »
وأطراه ورغب الناس فيه ، وقال : هو الخليفة علينا ، وله طاعتنا وبيعتنا على
الطلب بدم عثمان .

فقال أبو موسى : كذب عمرو ، لم نستخلف معاوية ، ولكننا خلعنا
معاوية وعلياً معا ، فقال عمرو : بل كذب عبد الله بن قيس ، قد خلع علياً
ولم يخلع معاوية . (مروج الذهب ٢ : ٣١)

(١) وفي غير هذه الرواية أنه لما التقى الحكمان جعل عمرو يجب إلى أبي موسى أن يولي معاوية ،
ويعده له محاسنه ، ثم عرض له بالسلطان فقال : إن ولي معاوية أكرمك كرامة لم يكرمكها خليفة ،
فأبى عليه أبو موسى ، وكان فيما قال له : فوالله لو خرج لي من سلطانه كله ما وليته ، وما كنت لأرتضى
في حكم الله عز وجل ، ولكنك إن شئت أحيينا اسم عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وأراد
أبو موسى على عبد الله بن عمر فأبى عليه ، وقال له : إن كنت تحب بيعة ابن عمر فما يمنعك من ابني
وأنت تعرف فضله وصلاحه ؟ فقال : إن ابنك رجل صدق ولكنك قد غمسته في هذه الفتنة ، فقال
له عمرو : خبرني ما رأيك ؟ قال : رأيي أن نخلع هذين الرجلين ، ونجعل الأمر شورى بين المسلمين
فيختارون لأنفسهم من أحبوا ، فقال له عمرو : فإن الرأي ما رأيت ، فقدم عمرو أبا موسى ، فقال
أبو موسى إني قد خامت عليا ومعاوية فاستقبلوا أمركم وولوا عليكم من رأيتموه لهذا الأمر أهلاً ، ثم
ثحى ، وقام عمرو فقال : إن هذا قد قال ما سمعتم وخلع صاحبه ، وأنا أخلع صاحبه كما خلعه ، وأثبت
صاحبي معاوية - انظر تاريخ الطبري ج : ٦ ص ٣٨ - ٤٠ ، ومروج الذهب ج ٢ ص ٣٣ .

٤٥٧ - كتاب ابن عمر إلى أبي موسى

ولما بلغ عبد الله بن عمر ما كان من رأى أبي موسى كتب إليه :
« أما بعد يا أبا موسى ، فإنك تقرّبتَ إليّ بأمر لم تعلم هوأى فيه ،
أكنتَ تظنّ أنّي أبسطُ يداً إلى أمرٍ نهاني عنه عمر ؟ أو كنتَ تراني أتقدّم
على عليٍّ وهو خير مني ؟ لقد خبتُ إذن وخسرتُ وما أنا من المهتدين ،
فأغضبتَ بقولك وفعلك عليّاً ومعاوية ، ثم أعظمُ من ذلك خديعةُ عمرو
إياك ، وأنتَ حاملُ القرآن ، ووافِدُ أهلِ اليمينِ إلى نبيِّ الله ، وصاحبُ مقاسمِ
أبي بكرٍ وعمر ، فقدّمك عمرو للقول مُخادِعاً ، حتى خلعتَ عليّاً قبل أن تخلعَ
معاويةَ ، ولعمري ما يجوزُ لك عليٌّ عليّ ما جاز لعمرو عليّ معاويةَ ، ولا
ما جاز لنا عليه^(١) . » (الإمامة والسياسة ١ : ١٠٢)

٤٥٨ - رد أبي موسى على ابن عمر

فلما أتى أبا موسى كتابُ ابن عمر كتب إليه :
« أما بعدُ : فإنّي والله ما أردتُ بتوليّتي إياك ويئعتي لك القرُبةَ إليك ،
ما أردتُ بذلك إلا الله عز وجل ، وأما تقلدي أمرَ هذه الأمة غيرَ مُستكرهٍ
فإنهم كانوا على مثلِ حدِّ السيف ، فقلْتُ : إلى سُنّةٍ حَيِّاً ومماتٍ ، إن

(١) جاء في الأصل بعد ذلك : « ولا كرهنا ما رضيت ، وأردت أن الحاكم بما يحكم الله بين الناس ،
ولم تبلغ من خطيئتك عنده ما غير أمرك في خلاف هواه » .
وقد راجعت ثلاث طبعات مختلفة من الإمامة والسياسة ، فوجدت ثلاثها متفقة في إيرادها بتلك
الصورة ، وهي عبارة مضطربة معتلة كما ترى ولا بد أن يكون فيها سقط أدخل بمعناها .

يُصْطَلِحُوا فَهُوَ الَّذِي أُرِدْتُ ، وَإِلَّا لَمْ يَرْجِعُوا إِلَى أَعْظَمَ مِمَّا كَانُوا عَلَيْهِ ، وَأَمَّا
إِغْضَابِي عَلَيْكَ عَلِيًّا وَمَعَاوِيَةَ فَقَدْ غَضِبَا عَلَيْكَ قَبْلَ ذَلِكَ ، وَأَمَّا خَدِيعَةُ عَمْرُو
إِبَائِي فَوَاللَّهِ مَا ضَرَّ بِخَدِيعَتِهِ عَلِيًّا ، وَلَا نَفَعَ مَعَاوِيَةَ ، وَقَدْ كَانَ الشَّرْطُ مَا اجْتَمَعْنَا
فِيهِ ، لَا مَا اخْتَلَفْنَا فِيهِ ، وَأَمَّا نَهْيِي إِلَيْكَ فَوَاللَّهِ لَوْ تَمَّ الْأَمْرُ لَا كَرِهْتُ عَلَيْهِ .
(الإمامة والسياسة ١ : ١٠٣)

٤٥٩ — كتاب معاوية إلى أبي موسى

ولما فشل التحكيم خرج أبو موسى الأشعري من فوره إلى مكة
مستعيذاً بها من عليّ ، فأقام بها حيناً حتى كتب إليه معاوية :
« سلام عليك ، أما بعد : فلو كانت النِّيَّةُ تَدْفَعُ الْخَطَأَ ، لَنَجَا الْمُجْتَهِدُ ،
وَأَعْذَرَ الطَّالِبُ ، وَالْحَقُّ لِمَنْ نَصَبَ لَهُ فَأَصَابَهُ ، وَلَيْسَ لِمَنْ عَرَضَ لَهُ فَأَخْطَأَهُ ،
وَقَدْ كَانَ الْحَكَمَانِ إِذْ حَكَمَا عَلَى عَلِيٍّ لَمْ يَكُنْ لَهُ الْخِيَارُ عَلَيْهِمَا ، وَقَدْ اخْتَارَهُ
الْقَوْمُ عَلَيْكَ ، فَالْكَرَاهَةُ مِنْهُمْ مَا كَرِهُوا مِنْكَ ، وَأَقْبَلْ إِلَى الشَّامِ ، فَإِنِّي خَيْرُ
لَكَ مِنْ عَلِيٍّ ، وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ » .

(العقد الفريد ٢ : ٢٣٩ ، الإمامة والسياسة ١ : ١٠٣)

٤٦٠ — رد أبي موسى على معاوية

فكتب إليه أبو موسى :

« سلام عليك ، أما بعد فَإِنِّي لَمْ يَكُنْ مِنْي فِي عَلِيٍّ إِلَّا مَا كَانَ مِنْ عَمْرُو
فِيكَ ، غَيْرَ أَنِّي أُرِدْتُ بِمَا صَنَعْتُ مَا عِنْدَ اللَّهِ ، وَأَرَادَ عَمْرُو بِمَا صَنَعَ مَا عِنْدَكَ ،

وقد كان بيني وبينه شروطه وشُورى عن تراضٍ ، فلما رجع عمرو رجعتُ ،
وأما قولك : إن الحكمين إذا حكما على رجل لم يكن له الخيارُ عليهما ، فإنما
ذلك في الشاة والبعير والدينار والدرهم ، فأما أمر هذه الأمة فليس لأحد فيما
تكره حُكْمٌ^(١) ، ولن يُذهب الحقَّ بحُجْزٍ عاجزٍ ، ولا كيد كائد ، ولا خُدعة
فاجر ، وأما دعاؤك إياي إلى الشام ، فليس لي رغبة عن حرَم إبراهيم^(٢) .
(العقد الفريد ٢ : ٢٣٩ ، والإمامة والسياسة ١ : ١٠٣)

٤٦١ - كتاب عليّ إلى أبي موسى

فبلغ عليّاً كتابُ معاوية إلى أبي موسى الأشعري ، فكتب إليه :
« سلام عليك ، أما بعد ، فإنك أمرؤ ضلّلك الهوى ، واستدرجك
الغرورُ ، فإنه من استقال اللهَ أقاله ، حقق بك حسن الظن لزومك بيتَ
الله الحرام غيرَ حاجٍ ولا قاطنٍ ، فاستقلِ اللهَ يُقِلِّك عثرتك ، إن الله يغفر ولا
يغفلُ ، وأحبُّ عباده إليه التوابون » .
وكتبه سَمَّاك بن حرب .

(العقد الفريد ٢ : ٢٣٩ ، والإمامة والسياسة ١ : ١٠٣)

٤٦٢ - رد أبي موسى على عليّ

فكتب إليه أبو موسى :
« سلام عليك ، أما بعد فوالله لولا أني خشيتُ أن يثُولَ مَنعُ الجواب

(١) وفي الإمامة والسياسة « فليست تساق إلى ما تكره » .

(٢) وفيه أيضا : « فليس لي بدل ولا إثارة عن قبر ابن إبراهيم أبي الأنبياء » .

إلى أعظم مما في نفسك ، لم أجيبك ، لأنه ليس لي عندك عذرٌ ينفعني ، ولا قوة تمنعني ، وأما لزومي بيت الله الحرام غير حاجٍ ولا قاطنٍ ، فإنني أسلمت أهل الشام ، وأتقطعت عن أهل العراق ، وأصبْتُ أقوامًا صَغَرُوا من ذنبي ما عَظَّمْتُمْ ، وعَظَّمُوا من حق ما صَغَرْتُمْ ، فأقمت بين أظهرهم إذ لم يكن لي منكم وليٌّ ولا نصير .

(العقد الفريد ٢ : ٢٣٩ ، والإمامة والسياسة ١ : ١٠٣)

٤٦٣ - كتاب أبي موسى إلى عامر بن عبد القيس

وكتب أبو موسى الأشعري إلى عامر بن عبد القيس :

« أما بعد ، فإنني عاهدتك على أمر ، وبلغني أنك تغيرت ، فإن كنت على ما عاهدتك فاتق الله ودُم ، وإن كنت على ما بلغني فاتق الله وعُدْ » .

(العقد الفريد ١ : ٣٠٠)

٤٦٤ - كتاب عبد الله بن وهب الراسبي إلى خوارج البصرة

ولقيت الخوارج بعضها بعضاً ، فاجتمعوا في منزل عبد الله بن وهب الراسبي ، وأجمعوا على الخروج ، وولّوا أمرهم عبد الله بن وهب ، فبايعوه لعشر خلّون من شوال ، وأداروا رأيهم بينهم ، فاتفقوا أن ينزلوا جسر النهروان^(١) ، ويكتبوا إخوانهم من أهل البصرة فيقدّموا عليهم ، فكتب ابن وهب إلى من بالبصرة منهم :

(١) النهروان: كورة واسعة بين بغداد وواسط من الجانب الشرق .

« أما بعد : فإن أهل دَعَوَتنا حَكَّموا الرجال في أمر الله ، ورَضُوا بحكم القاسِطين^(١) على عبادِه ، نخالفناهم ونابذناهم ، نريدُ بذلك الوسيلةَ إلى الله ، وقد قَعَدنا بِجَسَرِ النهرِ وانْأَحَبَّنا إِعلامَكُم ، لتأخذوا بنصيبِكُم من الأجر ، والسلام »
(الإمامة والسياسة ١ : ١٠٥)

٤٦٥ - ردّ خوارج البصرة

فكتبوا إليهم :

« أما بعدُ : فقد بلغنا كتابَكُم ، وفهمنا ما ذكرتم ، وقد وهبنا لَكُم الرأى الذى جمعكم الله عليه من الطاعة وإخلاص الحكم لله ، وإعمالكم أنفسكم فيما يجمع الله به كلمتكم ، وقد أجمعنا على المسير إليكم عاجلاً . »
(الإمامة والسياسة ١ : ١٠٥)

٤٦٦ - كتاب على إلى الخوارج بالنهر

وبلغ علياً عليه السلام خروجُ الخوارج إلى النهر ، فكتب إليهم :
« بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ : من عبد الله على أمير المؤمنين إلى زيد ابن حُصَيْن ، وعبد الله بن وهب ، ومن معهما من الناس :

أما بعد : فإن هذين الرجلين الخاطئين الحاكِمين اللذين ارتضيتم حَكَمَين قد خالفا كتاب الله ، واتَّبعا أهواءَهما بغير هدى من الله ، فلم يعملوا بالسنة ، ولم يُنْقِذا للقرآن حُكْمًا ، فَبَرِئَ اللَّهُ ورسولُهُ منهما وصالحُ المؤمنين ، فإذا

(١) أى الجائرين ، قسط بكلس قسوطا : جار وعدل عن الحق .

بلغكم كتابي هذا فأقبلوا إلينا ، فإننا سائرون إلى عدونا وعدوكم ، ونحن على الأمر الأول الذي كنا عليه والسلام .

(تاريخ الطبري ٦ : ٤٤ ، والامامة والسياسة ١ : ١٠٥)

٤٦٧ — ردّ الخوارج عليه

فكتبوا إليه :

« أما بعد : فإنك لم تَغْضَبَ لربك ، إنما غضبت لنفسك ، فإن شهدت على نفسك بالكفر ، واستقبلت التوبة ، نظرنا فيما بيننا وبينك ، وإلا فقد نابذناك على سَوَاءٍ ، إن الله لا يُحِبُّ الخائنين . »

فلما قرأ كتابهم أيس منهم ، فرأى أن يدعهم ، ويمضى بالناس إلى أهل الشام حتى يلقاهم فيناجزهم .

(تاريخ الطبري ٦ : ٤٤ ، والامامة والسياسة ١ : ١٠٦)

٤٦٨ — كتاب عليّ إلى ابن عباس

ونزل على عليه السلام النخيلة ، ودعا الناس أن يتهيئوا للمسير إلى الشام ، وكتب إلى ابن عباس - وكان قد رده إلى البصرة - :

« أمّا بعد : فإننا قد خرجنا إلى مُعَسِّكِرنا بالنخيلة ، وقد أجمعنا على المسير إلى عدونا من أهل الشام ، فأشخصُ بالناس حتى يأتيتك رسولي ، وأقيم حتى يأتيتك أمري ، والسلام . »

(تاريخ الطبري ٦ : ٤٤ : والامامة والسياسة ١ : ١٠٦)

٤٦٩ - كتاب علي إلى معاوية

وبينما علي يتأهب للقاء معاوية ، إذ بلغه ما أتاه الخوارج بالنهروان من الأحداث المنكرة^(١) ، فسار إليهم ، وجعل يبذل لهم النصيح ، وصموا عنه أذانهم ، فحمل عليهم حملة مرقهم فيها كل مُمَزَّق ، ولم يُفلت منهم إلا عشرة . وكتب علي عليه السلام إلى معاوية جواباً عن كتاب وصل من معاوية إليه بعد قتله الخوارج :

« أما بعد : فقد آن^(٢) لك أن تنتفع باللمح الباصر من عيان الأمور ، فلقد سلكت مدارج أسلافك بادعائك الأباطيل ، وأقتحامك غرور المئين والأكاذيب ، من أنتحالك ما قد علا عنك^(٣) ، وابتزازك لما قد أخترن دونك ، فراراً من الحق^(٤) ، وجحوداً لما هو ألزم لك من لحكمك ودميك ،

(١) من ذلك أنهم لقوا عبد الله بن خباب بن الارت ، ومعه امرأته حبلى ممت ، فسأله : ما تقول في أبي بكر وعمر ؟ فأثنى عليهما خيراً ، قالوا : ما تقول في عثمان في أول خلافته وفي آخرها ؟ قال : إنه كان محفياً في أولها وفي آخرها ، قالوا : فما تقول في علي قبل التحكيم وبعده ؟ قال : إنه أعلم بالله منكم ، وأشد توفيقاً على دينه ، وأشد بصيرة ، فقالوا : إنك تتبع الهوى ، وتوالى الرجال على أسمائها لأعلى أفعالها ، ثم قربه إلى شاطئ النهر فذبحوه وسال دمه في الماء ، وبقروا بطن امرأته ، وقتلوا ثلاث نسوة من طيء ، وقتلوا أم سنان الصيداوية ، وأرسل إليهم على رسولاً ينظر فيما بلغه عنهم فقتلوه ، وأصابوا مسلماً ونصرانياً ، فقتلوا السلم وأوصوا بالنصراني فقالوا : احفظوا ذمة نبيكم ، وساموا رجلاً نصرانياً بنحلة له ، فقال : هي لكم ، فقالوا : ما كنا لنأخذها إلا بثمن ، قال : ما أعجب هذا ! أقتلون مثل عبد الله بن خباب ، ولا تقبلون مني جني نخلة ؟ - انظر تاريخ الطبري ٦ : ٤٦ والكمال للمبرد ٢ : ١٤٣ -

(٢) آن يمين ، وآنى يأتي كرمي يرمى : أي حان وقرب ، ومما يجري مجرى المثل قولهم لمن يرونه شيئاً يصره شيئاً ولا يشك فيه : قدرأيته لحماً باصراً أي نظراً بتعديق شديد ، ومعنى باصر ذو بصر فهو مخرج مخرج لابن وتامر ، والعيان : المعينة ، والدرج : المذهب والمسلك وزناً ومعنى ، وكذا الدرجة ، والأباطيل جمع أبطولة بالضم ، أو إبطالة بالكسر ، أو هو جمع باطل على غير قياس ، والمئين : الكذب . (٣) يعني الخلافة ، والابتزاز : الاستلاب . (٤) أي من التمسك به .

مما قد وعاه سَمْعُكَ ومُلِيَ به صَدْرُكَ ، فما ذا بعد الحق إلا الضلال المبين ،
وبعد البيان إلا اللَّبْسُ ، فاحذر الشُّبهة واشتمالها على لبستها^(١) ، فإن الفتنة
طالما أغدفت جلايبها ، وأغشت الأبصار ظلمتها^(٢) .

وقد أتاني كتاب منك ذو أفانين^(٣) من القول ضعفت قواها عن
السلم ، وأساطير لم يحكمها منك علم ولا حلم ، أصبحت منها كالخائض في
الدهاس^(٤) ، والخابط في الديماس ، وترقيت إلى مرقبة^(٥) بعيدة المرام ،
نازحة الأعلام ، تقصردونها الأنوق^(٦) ، ويحاذي بها العيوق^(٧) .

وحاش لله أن تلي للمسلمين بعدى صدرًا أو وردًا ، أو أجرى لك على
أحد منهم عقدًا أو عهدًا ، فمن الآن فتدارك نفسك ، وانظر لها ، فإنك إن
فرطت حتى ينهد^(٧) إليك عباد الله ، أرتجت عليك الأمور ، ومنعت أمرًا هو
منك اليوم مقبول ، والسلام . (نهج البلاغة ٢ : ٩٠)

(١) اللبسة : الاشتباه والاشكال وأغدت المرأة قناعها : أرسلته على وجهها ، وأغدت الليل :
أرخی سدوله . (٢) أى جعلت ظلمتها غشاء للأبصار ، ويروى « وأعشت » فظلمتها فاعل .
(٣) أى أساليب وطرائق ، وحاكه : نسجه ، ونسج الكلام : تأليفه ، والأساطير : الأباطيل ،
جمع أسطورة بالضم أو إسطورة بالكسر .

(٤) الدهاس بالفتح : المكان السهل اللين لا يبلغ أن يكون رملا وليس بتراب ولا طين ، والديماس
بالفتح والكسر : السرب المظلم ، وأصله من دمس الليل فهو داس : أى اشتدت ظلمته ، وكان للحجاج
سجن يسمى الديماس لظلمته .

(٥) المرقبة : الموضع المشرف يرتفع عليه الرقيب ، ونازحة : بعيدة ، والأعلام : جمع علم بالتحريك :
هو ما ينصب في الطريق ليهتدى به .

(٦) الأنوق : الرخة ، وفي المثل « أعز من بيض الأنوق » لأنها تحزره ولا يكاد أحد يظفر به ،
لأن أوكارها في رعوس الجبال والأماكن الصعبة البعيدة ، والعيوق : نجم أحمر مضى يتلو التريا .
(٧) ينهد : ينهض ، وأرتجت : أى أغلقت

خروج الخريت بن راشد الناجي

وكان من الخوارج الذين خرجوا على عليّ عليه السلام بعد وقعة النهروان الخريت بن راشد الناجي ، فارقه في جماعة من بني ناجية ، وطمعوا عن الكوفة (سنة ٣٨ هـ) فبعث عليّ في إثرهم زياد بن خصفة ، وقال له : أخرج رَحِمَكَ الله حتى تنزل دير أبي موسى ، ثم لا تتوجه حتى يأتيك أمرى ، فخرج زياد فيمن معه إلى دير أبي موسى ، فنزله وأقام فيه ينتظر أمر أمير المؤمنين .

٤٧٠ - كتاب عليّ إلى عماله

وكتب عليّ إلى عماله فيهم نسخة واحدة :
« أما بعدُ : فإن رجلاً خرجوا هُرَّاباً ، ونظنهم توجَّهوا نحو بلاد البصرة ، فسَلَّ عنهم أهل بلادك ، واجعل عليهم العيُون في كل ناحية من أَرْضِكَ ، واكتب إليّ بما ينتهي إليك عنهم ، والسلام » .
(تاريخ الطبري ٦ : ٦٧ ، وشرح ابن أبي الحديد ١ : ص ٢٦٥)

٤٧١ - كتاب قرظة بن كعب إلى عليّ

فوردَ عليه كتاب من قِبَلِ قَرِظَةَ بن كعب الأنصاري أحد عماله ، وفيه :
« بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . لعبد الله عليّ أمير المؤمنين من قَرِظَةَ ابن كعب ، سلام عليك فإنني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو ، أما بعدُ :

فإني أخبر أمير المؤمنين أن خيلاً مرّت بنا من قبل الكوفة ، متوجهة نحو « نَقَر^(١) » وأن رجلاً من دَهَاقِينَ أَسْفَلَ الْفُرَاتِ قد صَلَّى^(٢) ، يقال له « زَاذَانُ فَرُوح » أقبلَ من قِبَلِ أخواله بناحية نَقَرٍ ، فَعَرَضُوا له ، فقالوا : أُمُوسَلِمٌ أنت أم كافر؟ فقال : بل أنا مسلم ، قالوا : فما قولك في عليّ؟ قال : أقول فيه خيراً : أقول إنه أمير المؤمنين ، وسيد البشر ، ووصيّ رسول الله ، فقالوا له : كفرت يا عدوّ الله ، ثم حَمَلَتْ عليه عَصَابَةٌ منهم فَقَطَّعُوهُ بِأَسْيَافِهِمْ ، ووجدوا معه رجلاً من أهل الذِّمَّةِ يهودياً ، فقالوا : ما أنت؟ قال : رجل من أهل الذِّمَّةِ ، قالوا : أمّا هذا فلا سبيلَ لكم عليه ، فَأَقْبَلَ إلينا ذلك الذميّ ، فَأَخْبَرَنَا هذا الخبر ، وقد سألتُ عنهم ، فلم يُخْبِرْنِي أحدٌ عنهم بشيء ، فليكتب إلى أمير المؤمنين برأيه فيهم أُنْتَهَ إليه ، والسلام .

(تاريخ الطبري ٦ : ٦٧ ، وشرح ابن أبي الحديد م ١ : ص ٢٦٦)

٤٧٢ — رد عليّ على قرظة بن كعب

فكتب إليه عليّ :

« أما بعدُ : فقد فهمت ما ذكرت من أمر العصابة التي مرّت بك ، فقتلت البرّ المسلم ، وأمن عندهم المخالف الكافر ، وإن أولئك قوم استهواهم^(٣) الشيطان فضّلوا ، وكانوا كالذين حسبوا أن لا تكون فِتْنَةٌ فَعَمُوا وَصَمُوا ، فَأَسْمِعْ بهم وأبصر يوم تُخْبَرُ أعمالهم ، فالزم عملك ، وأقبل على خراجك ، فإنك كما ذكرت في طاعتك ونصيحتك ، والسلام . »

(تاريخ الطبري ٦ : ٦٨ ، وشرح ابن أبي الحديد م ١ : ص ٢٦٦)

(١) نقر: بلد أو قرية على نهر المنبر من نواحي بابل من أعمال الكوفة ، والدهاقين : جمع دهقان بالكسر والضم : وهو زعيم فلاحى المعجم ورئيس الإقليم ، معرب .

(٢) أى أسلم ، وفى ابن أبي الحديد « قد أسلم وصلى » . (٣) استهواه : استماله .

٤٧٣ - كتاب عليّ إلى زياد بن خصفه

وكتب علي عليه السلام إلى زياد بن خصفه :

« أما بعد : فإني كنت أمرتك أن تنزل ديرَ أبي موسى حتى يأتِكَ أمرى ، وذلك لأننى لم أكن علمتُ إلى أىّ وجه توجّه القوم ، وقد بلغنى أنهم أخذوا نحو قرية يقال لها « نَقَر » ، فأتبع آثارهم وسلّ عنهم ، فإنهم قد قتلوا رجلا من أهل السّواد مُصلّيّا ، فإذا أنت لحقتهم فارددهم إلىّ ، فإن أبوا فناجزهم ، واستعن بالله عليهم ، فإنهم قد فارقوا الحقّ ، وسفكوا الدم الحرام ، وأخافوا السبيل ، والسلام . »

(تاريخ الطبرى ٦ : ٦٨ ، وشرح ابن أبي الحديد ١ : ص ١٦٦)

٤٧٤ - كتاب زياد بن خصفه إلى عليّ

نخرج زياد فتبعهم حتى لحقهم بالمدّار^(١) ، ودعا الخريّيت إلى الدخول فيما خرج منه فأبى ، وسأله أن يدفع إليه قتلة الدّهقان ، فقال : ما إلى ذلك سبيل ، فناجزه واقتتل قتالا شديداً ، وقتل من أصحاب زياد رجلاً ، وصرع من أصحاب الخريّيت خمسة ، وحجّز الليل بين الفريقين ، فهرب الخريّيت بمن معه فأتوا الأهواز ، وسار زياد إلى البصرة لمدّاة الجرحى ، وكتب إلى عليّ :

« أما بعدُ : فإننا لقينا عدوّ الله الناجيِّ وأصحابه بالمدّار ، فدعوناهم إلى

(١) في ميسان ، بين واسط والبصرة .

الهدى والحق وإلى كلمة السَّوء ، فلم ينزلوا على الحق ، وأخذتهم العِزَّة بالإثم ، وزَيْنَ لهم الشيطانُ أعمالهم فصَدَّهم عن السبيل ، فقَصَدوا لنا ، وصَمَدَنَا صَمَدَهُمْ^(١) ، فاقتلنا قتالا شديداً ما بين قائم الظهيرة إلى دُلُوك^(٢) الشمس ، فاستشهد منا رجلان صالحان ، وأصيب منهم خمسة نفر ، وخلَّو لنا المعركة ، وقد فشتَ فينا وفيهم الجراح .

ثم إن القوم لما لبسهم الليل خرجوا من تحته متنكبِّين^(٣) إلى أرض الأهواز ، فبلغنا أنهم نزلوا منها جانباً ، ونحن بالبصرة نُدَاوى جراحنا ، وننتظر أمرك ، رحمك الله ، والسلام عليك .

(تاريخ الطبري ٦ : ٧٠ ، وشرح ابن أبي الحديد م ١ : ص ٢٦٧)

٤٧٥ — كتاب عليّ إلى ابن عباس

فسيرَ علي عليه السلام إلى الخُرَيْتِ مَعْقِلِ بْنِ قَيْسٍ ، وَنَدَبَ معه ألفين من أهل الكوفة ، وكتب إلى ابن عباس - أمير البصرة - :

« أما بعدُ : فابعث رجلاً من قبلك صليلاً شجاعاً معروفاً بالصَّلاح في ألني رجل ، فليَتَّبِعْ مَعْقِلًا ، فإذا مرَّ ببلاد البصرة فهو أمير أصحابه حتى يَلْقَى مَعْقِلًا ، فإذا لقي مَعْقِلًا فَمَعْقِلُ أمير الفريقين ، وليَسْمَعْ من مَعْقِلٍ وليُطِعه ولا يخالفه ، ومُرْ زياد بن خَصَفَةَ فليَقْبَلْ إلينا ، فنعم المرءُ زيادٌ ، ونعم القبيلُ قبيله ، والسلام . » (تاريخ الطبري ٦ : ٧٠ ، وشرح ابن أبي الحديد م ١ : ص ٢٦٧)

(١) صمد ، صمد الأمر : قصده واعتمده .

(٢) أي غروبها . (٣) تنكب عن الطريق : عدل ، وفي ابن أبي الحديد « متنكرين » .

٤٧٦ - رد على زياد بن خصفة

وكتب على إلى زياد بن خصفة :

« أما بعد : فقد بلغنى كتابك ، وفهمت ما ذكرت من أمر الناجي وإخوانه ، الذين طبع الله على قلوبهم ، وزين لهم الشيطان فهم يعمهون^(١) ، يحسبون أنهم يحسنون صنعا ، ووصفت ما بلغ بك وبهم الأمر ، فأما أنت وأصحابك فله سعيكم ، وعلى الله تعالى جزاؤكم ، وأيسر ثواب الله للمؤمنين خير له من الدنيا^(٢) التي يقتل الجهال أنفسهم عليها ، فإن ما عندكم ينفد ، وما عند الله باق ، ولنجزين الذين صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون .
وأما عدوكم الذين لقيتموهم فحسبهم خروجهم من الهدى إلى الضلال ، وارتكاسهم^(٣) فيه ، وردهم الحق ، ولجأهم في الفتنة^(٤) ، فذرهم وما يفترون ، ودعهم في طغيانهم يعمهون ، فأتسمع بهم وأبصر فكانك بهم عن قليل ، بين أسير وقتيل .

أقبل إلينا أنت وأصحابك مأجورين ، فقد أطعتم وسمعتم وأحسنتم البلاء ، والسلام » . (تاريخ الطبري ٦ : ٧٠ ، وشرح ابن أبي الحديد م ١ ، ص ٢٦٧)

(١) العمه بالتحريك : التردد في الضلال .

(٢) وفي الطبري « فأبصر بثواب الله خير من الدنيا التي . . » أي فتوايه خير .

(٣) أركسه : نكسه ، وارتكس : ارتكس .

(٤) وفي ابن أبي الحديد : « وجأهم في التيه » والته بالكسر : الضلال .

٤٧٧ - كتاب ابن عباس إلى معقل بن قيس

ونزل الخريّتُ جانباً من الأهواز ، واجتمع إليه علوج^(١) من أهلها كثير ، أرادوا كسرَ الخراج ، ولصوص كثيرة ، وطائفة أخرى من العرب ترى رأيّه .

وخرج معقلُ بن قيس حتى نزل الأهواز ، وأقام ينتظر أهل البصرة ، فلما أبطئوا عليه أخذ في المسير إلى الخريت ، فلما لبث أن أدركه رسول ابن عباس بكتاب فيه :

«أما بعدُ، فإن أدركك رسولي بالمكان الذي كنت فيه مقيماً، أو أدركك وقد شخّصتَ منه ، فلا تَبْرَحِ المكان الذي ينتهي فيه إليك رسولي ، وأثبت فيه حتى يقدّم عليك بعثنا الذي وجهناه إليك ، فإنني قد بعثتُ إليك خالد بن معدان الطائي ، وهو من أهل الدين والصلاح والبأس والنجدة ، فأسمع منه ، واعرف ذلك له ، والسلام .»

فقرأ معقل الكتاب على الناس ، وحمد الله - وقد كان ذلك الوجه هالهم - فأقام حتى قدّم عليه الطائي ، واجتمعا جميعاً في عسكر واحد .

تاريخ الطبري ٦ : ٧١ ، وشرح ابن أبي الحديد ١ : ص ٢٦٨

(١) علوج : جمع علج بالكسر : وهو الرجل من كفار العجم

٤٧٨ - كتاب معقل بن قيس إلى علي

وسار معقل إليهم ، فأخذوا يرتفعون نحو جبال رامهرمز ، يريدون قلعة بها حصينة ، فلحقهم وقد دنوا من الجبل ، وقتلهم فما صبروا له ساعة حتى ولّوا ، وشدّخ منهم سبعون عريثاً من بني ناجية ، وقتل نحو من ثلثمائة من العلوج والأكراد ، وخرج الخريت منهزماً ، حتى لحق بسيف^(١) من أسياف البحر ، وبها جماعة من قومه كثير ، فما زال بهم يدعوهم إلى خلاف عليّ حتى اتبعه منهم ناس كثير .

وأقام معقل بأرض الأهواز ، وكتب إلى عليّ بالفتح :

« بسم الله الرحمن الرحيم : لعبد الله على أمير المؤمنين من معقل

ابن قيس :

سلام عليك فيني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو ، أما بعد ، فينا لقينا المارقين ، وقد استظهروا علينا بالمشركين ، فقتلناهم قتل عاد وإرم^(٢) ، مع أنا لم نعد فيهم سيرتك ، ولم نقتل من المارقين مذبراً ولا أسيراً ، ولم نذف^(٣) منهم على جريح ، وقد نصرك الله والمسلمين ، والحمد لله رب العالمين » : (تاريخ الطبري ٦ : ٧٢ ، وشرح ابن أبي الحديد ١ : ص ٢٦٨)

(١) السيف بالكسر : ساحل البحر .

(٢) أي أبديناهم كما أبعد هؤلاء . وإرم : والد عاد الأولى أو الأخيرة ، وقيل : اسم بلدتهم ،

وقيل : اسم أمهم . (٣) ذفف على الجريح : أجهز عليه .

٤٧٩ - كتاب علي إلى معقل بن قيس

فقرأ علي عليه السلام كتاب معقل على أصحابه ، واستشارهم فاجتمع رأي عامتهم على قول واحد ، قالوا : نرى أن تكتب إلى معقل فيتبع أثر الفاسق ، فلا يزال في طلبه ، حتى يقتله أو ينفيه ، فإننا لا نأمن أن يُفسد عليك الناس ، فكتب إليه :

« أما بعد : فالحمد لله على تأييد أوليائه ، وخذلان أعدائه ، جزاك الله والمسلمين خيراً ، فقد أحسنتم البلاء ، وقضيتُم ما عليكم ، وسلَّ عن أخي بني ناجية ، فإن بلغك أنه قد استقر ببلد من البلدان ، فسر إليه حتى تقتله أو تنفيه ، فإنه لن يزال للمسلمين عدواً ، وللقاسطين^(١) ولياً ، ما بقي ، والسلام عليك . »

فسأل معقل عن مستقره ، فنبئ بمكانه بالأسياف ، وأنه قد ردَّ قومه عن طاعة عليّ ، وأفسد من قبله من عبد القيس ومن والاهم من سائر العرب ، وكان قومه قد منعوا الصدقة عام صيفين (سنة ٣٧ هـ) ومنعوها في ذلك العام أيضاً ، فسار إليهم معقل ، فلما سمع الخبر سيره إليه ، احتال فاستمال إليه الناس^(٢) كما استمال إليه قوما من النصاري كانوا أسلموا ، ثم أرتدوا إلى النصرانية ، وتبعه خلق كثير .

(تاريخ الطبري ٦ : ٧٢ ، وشرح ابن أبي الحديد ١ : ص ٢٦٨)

(١) أي الجائرين .

(٢) وذلك أنه أقبل علي من كان معه من أصحابه ممن يرى رأي الخوارج ، فأسرَّ لهم أني أرى رأيكم ، فإن عليا لن ينبغي له أن يحكم الرجال في أمر الله ، وقال للآخرين مندداً لهم : إن عليا حكمكم ما رضى به ، فخلعه حكمه الذي ارتضاه لنفسه ، فقد رضيت أنا من قضائه وحكمه ما ارتضاه لنفسه

٤٨٠ - كتاب علي إلى أشياع الخريت

ولما انتهى إليهم معقل بن قيس بالأسياف قرأ عليهم كتابا من علي ، فيه :
« بسم الله الرحمن الرحيم ، من عبد الله على أمير المؤمنين ، إلى من
يقرأ عليه كتابي هذا من المؤمنين والمسلمين والمارقين والنصارى والمرتدين :
سلام على من اتبع الهدى ، وآمن بالله ورسوله وكتابه والبعث بعد
الموت ، وأوفى بعهد الله ، ولم يكن من الخائنين .

أما بعد : فإنني أدعوكم إلى كتاب الله ، وسنة نبيه ، والعمل بالحق ، وبما
أمر الله في كتابه ، فمن رجع إلى أهله منكم ، وكف يده ، واعتزل هذا
المارق الهالك الحارب^(١) الذي جاء يحارب الله ورسوله والمسلمين ، وسعى في
الأرض فساداً ، فله الأمان على ماله ودمه ، ومن تابعه على حربنا ، والخروج
من طاعتنا ، استعنا بالله عليه ، وجعلنا الله بيننا وبينه ، وكفى بالله نصيراً » .
وأخرج معقل راية أمان فنصبها وقال : من أتاها من الناس فهو آمن ،
إلا الخريّت وأصحابه الذين حاربونا وبدءونا أول مرة ، فتفرق عن الخريت
جُلٌّ من كان معه من غير قومه .

(تاريخ الطبري ٦ : ٧٣ ، وشرح ابن أبي الحديد ١ : ص ٢٦٩)

- وهذا كان الرأي الذي خرج عليه من الكوفة - وقال سرّاً لمن يرى رأي عثمان : أنا والله على رأيكم ، قد والله قتل عثمان مظلوماً ، فأرضى كل صنف منهم ، وأراهم أنه معهم ، وقال لمن منع الصدقة : شدوا أيديكم على صدقاتكم ، وصلوا بها أرحامكم ، وعودوا بها إن شئتم على فقرائكم ، وقد كان فيهم نصارى كثير قد أسلموا ، فلما اختلف الناس بينهم ، قالوا : والله لدينا الذي خرجنا منه خير وأهدى من دين هؤلاء الذي هم عليه ، ما ينهائهم دينهم عن سفك الدماء ، وإخافة السبيل ، وأخذ الأموال ، فرجعوا إلى دينهم ، فلقى الخريت أوائك فقال لهم : ويحكم ! أتدرون حكم علي فمين أسلم من النصارى ، ثم رجع إلى نصرانيته ؟ لا والله ما يسمع لهم قولاً ، ولا يرى لهم عذراً ، ولا يقبل منهم توبة ، وإن حكمهم فيهم لضرب العنق ساعة يستمكن منهم ، فما زال حتى جمعهم وخذعهم ، وجاء من كان من بني ناجية ومن كان في تلك الناحية من غيرهم ، واجتمع إليهم ناس كثير .
(١) أي السالب الناهب ، حربه يحربه حرباً كطلبه يطلبه طلباً : إذا أخذ ماله وتركه بلا شيء ، وفي ابن أبي الحديد « الحارب » .

٤٨١ - كتاب معقل بن قيس إلى علي

وعَبَّأَ مَعْقِلُ بْنُ قَيْسٍ أَصْحَابَهُ ، ثُمَّ زَحَفَ بِهِمْ نَحْوَ الْخُرَيْتِ ، وَقَدْ حَضَرَ مَعَهُ قَوْمُهُ مُسْلِمُوهُمْ وَنَصَارَاهُمْ وَمَا نِعَةُ الصَّدَقَةِ مِنْهُمْ ، وَاقْتَتَلُوا قِتَالًا شَدِيدًا ، وَقَتَلَ الْخُرَيْتُ وَقَتَلَ مَعَهُ فِي الْمَعْرَكَةِ سَبْعُونَ وَمِائَةً ، وَذَهَبَ الْبَاقُونَ يَمِينًا وَشِمَالًا .

وَسَبَى مَعْقِلُ رَجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَصَبِيَانًا ، ثُمَّ نَظَرَ فِيهِمْ : فَأَمَّا مَنْ كَانَ مُسْلِمًا فَخَلَّاهُ وَأَخَذَ بَيْعَتَهُ وَتَرَكَ لَهُ عِيَالَهُ ، وَأَمَّا مَنْ كَانَ أُرْتَدَّ فَعَرَضَ عَلَيْهِمُ الْإِسْلَامَ فَرَجَعُوا وَخَلَّى سَبِيلَهُمْ ، إِلَّا شَيْخًا مِنْهُمْ نَصْرَانِيًّا أَبَى فَقَدَّمَهُ فَضْرَبَ عُنُقَهُ ، وَأَخَذَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ عِقَالَيْنِ^(١) ، وَعَمَدَ إِلَى النَّصَارَى وَعِيَالَهُمْ فَاحْتَمَلَهُمْ مُقْبِلًا بِهِمْ ، وَكُتِبَ إِلَى عَلِيٍّ :

« أَمَا بَعْدُ : فَإِنِّي أَخْبِرُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَنْ جَنْدِهِ وَعَنْ عَدُوِّهِ : إِنَّا دَفَعْنَا إِلَى عَدُوِّنَا بِالْأَسْيَافِ ، فَوَجَدْنَا بِهَا قِبَائِلَ ذَاتِ عِدَّةٍ وَحِدَّةٍ وَجِدَّ ، وَقَدْ جَمَعَتْ لَنَا ، وَتَحَزَّبَتْ عَلَيْنَا ، فَدَعَوْنَاهُمْ إِلَى الطَّاعَةِ وَالْجَمَاعَةِ ، وَإِلَى حُكْمِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ ، وَقَرَأْنَا عَلَيْهِمْ كِتَابَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَرَفَعْنَا لَهُمْ رَايَةَ أَمَانٍ ، فَجَالَتْ إِلَيْنَا مِنْهُمْ طَائِفَةٌ ، وَبَقِيَتْ طَائِفَةٌ أُخْرَى مُنَابِذَةٌ ، فَقَبِلْنَا مِنَ الَّتِي أَقْبَلَتْ ، وَصَمَدْنَا^(٢) صَمَدًا لِلَّتِي أَدْبَرَتْ ، فَضْرَبَ اللَّهُ وَجُوهَهُمْ ، وَنَصَرْنَا عَلَيْهِمْ » .

فَأَمَّا مَنْ كَانَ مُسْلِمًا فَإِنَّا مَنََّّا عَلَيْهِ ، وَأَخَذْنَا بَيْعَتَهُ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ الصَّدَقَةَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ، وَأَمَّا مَنْ أُرْتَدَّ فَإِنَّا عَرَضْنَا عَلَيْهِ الرُّجُوعَ إِلَى الْإِسْلَامِ وَإِلَّا قَتَلْنَاهُ ، فَرَجَعُوا غَيْرَ رَجُلٍ وَاحِدٍ فَقَتَلْنَاهُ ؛ وَأَمَّا النَّصَارَى فَإِنَّا

(١) العقال : زكاة عام من الإبل والغنم . (٢) صمده وصمد إليه : قصد .

سَبَيْنَاهُمْ ، وَقَدْ أَقْبَلْنَا بِهِمْ ، لِيَكُونُوا نِكَالًا لِمَنْ بَعْدَهُمْ مِنْ أَهْلِ الذَّمَّةِ ، لِكَيْلَا يَمْنَعُوا الْجِزْيَةَ ، وَلِكَيْلَا يَحْتَرِثُوا عَلَى قِتَالِ أَهْلِ الْقَبِيلَةِ ، وَهُمْ أَهْلُ الصَّغَارِ وَالذَّلِّ ، رَحِمَكَ اللَّهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَأَوْجِبْ لَكَ جَنَّاتِ النِّعَمِ ، وَالسَّلَامَ عَلَيْكَ » .
(تاريخ الضربى ٦ : ٧٥ ، وشرح ابن أبي الحديد م ١ : ص ٢٧٠)

٤٨٢ - كتاب علي إلى مصقلة بن هبيرة

ثم أقبل بالأسارى حتى مر على مصقلة بن هبيرة الشيباني - وهو عامل على على أردشير^(١) خُرَّة ، وهم خمسمائة إنسان - فبكى إليه النساء والصبيان ، وتصايح الرجال : يا أبا الفضل ، يا حامي الرجال ، وفكأك العناة^(٢) ، امنن علينا فاشترينا وأعتقنا ، فقال مصقلة : أقسم بالله لأتصدقن عليهم ، إن الله يجزي المتصدقين ، وبعث إلى معقل فقال له : بعني نصارى بنى ناجية ، فقال : نعم أبيعكم بألف ألف درهم ، فأبى عليه ، فلم يزل يراوده حتى باعه إياهم بخمسمائة ألف درهم ، ودفعهم إليه ، وقال له : تجل بالمال إلى أمير المؤمنين ، فقال : أنا باعيت الآن بصدر^(٣) منه ، ثم أبعث بصدر آخر كذلك ، حتى لا يبقى منه شيء ، إن شاء الله تعالى .

وأقبل معقل إلى أمير المؤمنين على ، وأخبره بما كان منه في ذلك ، وانتظر على مصقلة أن يبعث إليه بالمال فأبطأ به ، وبلغ عليا أن مصقلة خلى سبيل الأسارى ولم يسألهم أن يعينوه في فكأك أنفسهم بشيء ، فقال :

(١) كورة من كور فارس .

(٢) العناة: جمع العاني ، وهو الأسير . (٣) الصدر: الطائفة من الشيء .

ما أرى مصقلة إلا قد تحمل حمالة^(١) ، ولا أراكم إلا سترونه عن قريب
مبلدحا^(٢) ، ثم إنه كتب إليه :

« أما بعد : فإن من أعظم الخيانة خيانة الأمة ، وأعظم الغش على أهل
المصر غش الإمام ، وعندك من حق المسلمين خمسمائة ألف درهم ، فابست بها
إلى ساعة يأتيك رسولي ، وإلا فأقبل إلى حين تنظر في كتابي ، فإني قد
تقدّمت إلى رسولي إليك ألا يدّعك أن تُقيم ساعة واحدة بعد قدومه عليك
إلا أن تبعتَ بالمال ، والسلام عليك » .

فلما قرأ كتابه أقبل حتى نزل البصرة فكثت بها أياما ، ثم إن ابن عباس
سأله المال - وكان عمال البصرة يحملون المال من كور البصرة إلى ابن عباس
ويكون ابن عباس هو الذي يبعث به إلى عليّ - فقال له : أنظرني^(٣) أياما ،
ثم أقبل حتى أتى عليّا بالكوفة فأقرّهُ أياما ، ثم سأله المال ، فأدّى إليه مائتي
ألف درهم ، ثم إنه عجز عن الباقي فلم يقدر عليه ، وما لبث أن لحق بمعاوية .

وبلغ ذلك عليا فقال : ماله - ترّحه الله^(٤) - فعَلَ فِعْلَ السيد ، وفرّ فرارَ
العبد ، وخان خيانة الفاجر ! أما والله لو أنه أقام فعجز ما زدنا على حبسه ،
فإن وجدنا له شيئا أخذناه ، وإن لم نجد له مالا تركناه .

(تاريخ الطبري ٦ : ٧٥ ، وشرح ابن أبي الحديد م ١ : ص ٢٧٠)

(١) الحمالة : الدية يحملها قوم عن قوم . (٢) بلدح : وعد ولم ينجز العدة ، وأعيا وبلد .

(٣) أي أهلى . (٤) ترّحه : أي أحزنه ، من الترح بالتحريك ضد الفرح .

٤٨٣ - كتاب مصقلة إلى أخيه نعيم

وكان أخوه نعيم بن هُبَيْرَة شَيْعِيًّا ، ولعلَّ مُنَاصِحًا ، فكتب إليه مصقلة
من الشام مع رجل من النصارى ، من بنى تغلب يقال له حُلوان :
« أما بعدُ : فإنى كلمت معاوية فيك ، فوعَدك الإمارة ، ومَنَّاكَ
الكرامة ، فأقبل إلىَّ ساعةً يلقاك رسولى إن شاء الله والسلام » .
فأخذه مالك بن كعب الأَرَحَبِيّ فسرَّح به إلى عليّ ، فقطع يد النصراني فمات
(تاريخ الطبرى ٦ : ٧٦ ، وشرح ابن أبي الحديد م ١ : ص ٢٧٠)

٤٨٤ - رد نعيم على مصقلة

وكتب نعيم إلى أخيه مصقلة :
لا تَرَمِينِي (هَذَاكَ اللهُ) مُعْتَرِضًا
ذاك الحريص على مانال من طمعٍ
ما ذا أردتَ إلى إرساله سَفَهًا
عَرَضْتَهُ لِعَلِيٍّ ، إنه أَسَـدٌ
قد كنتَ في خير مُصْطَافٍ ومُرْتَبِعٍ
حتى تَقْجَمْتَ أَمْرًا كنتَ تَكْرَهُهُ
بالظنِّ منك ، فما بالي وحُلوانا ؟
وهو البعيد فلا يَحْزُنُكَ إِذْخَانًا^(١)
ترجو سِقَاطَ أَمْرِي لم يُلَفِّ وَسْنَانًا^(٢)
يمشى العَرَضْنَةُ من آسادٍ خَفَانًا^(٣)
تجعى العراق وتُدْعَى خيرَ شَيْبَانًا^(٤)
للرا كيين له سِرًّا وإعلانًا

- (١) وفي ابن أبي الحديد « فلا يورثك أحزاننا » .
(٢) السقاط : الخطأ في القول والحساب والكتاب ، والوسنان النائم .
(٣) من قولهم : فلان يمشى العرضنة والعرضى بالقصر : أى في مشبته بغى من نشاطه . وخفان :
مأسدة قرب الكوفة .
(٤) ارتبنا بموضع كذا : أقننا به في الربيع ، واسم المكان مرتبِع ، واصطفنا به : أقننا به
في الصيف ، والموضع مصطاف ، وفي الطبرى : « قد كنت في منظر عن ذا ومستمع » .

لو كنت أدّيت مال الله مُضْطَرّاً للحقّ ، أحييت أحيانا وموتانا
 لكن لحقت بأهل الشام مُلتَمِساً فضل ابن هندٍ ، وذلك الرأى أشجاناً^(١)
 فاليوم تفرّغ سنّ الغُرم من ندمٍ ما ذا تقول ، وقد كان الذى كانا؟^(٢)
 أصبحت تُبغضك الأحياء قاطبةً لم يرفع الله بالعصيان إنساناً^(٣)
 فلما وقع الكتاب إليه علم أن رسوله قد هلك ، فودّاه^(٤) .
 (تاريخ الطبرى ٦ : ٧٦ ، وشرح ابن أبي الحديد ١ : ص ٢٧١)

٤٨٥ - كتاب قوم مصقلة إليه

وذكروا أنه قام إلى علىّ وجوه بكر بن وائل ، فقالوا : يا أمير
 المؤمنين ، إن نعيماً أخاً مصقلة يستحى منك ، لما صنع مصقلة ، وقد أتانا
 اليقين أنه لا يمنع مصقلة من الرجوع إليك إلا الحياء ، ولم ينسُط منذ فارقتنا
 لسانه ولا يده ، فلو كتبنا إليه كتاباً ، وبعثنا من قبلنا رسولاً ! فإننا نستحى
 أن يكون فارقتنا مثل مصقلة من أهل العراق إلى معاوية ، فقال علىّ :
 اكتبوا ، فكتبوا :

« أما بعد ، فقد علمنا أنك لم تلحق بمعاوية رضاً بدينه ، ولا رغبةً في
 دنياه ، ولم يعطفك عن علىّ طعنٌ فيه ، ولا رغبة عنه ، ولكن توسّطت أمراً
 فقويّت فيه الظنّ ، وأضعفت فيه الرجاء ، فكان أوّلاهما عندك أن قلت :
 أفوز بالمال ، وألحق بمعاوية ، ولعمرنا ما استبدلت الشام بالعراق ، ولا

(١) أشجاناً : أحزنا . (٢) وفى ابن أبي الحديد « سن العجر » .

(٣) قاطبة : جميعاً ، وفى الطبرى « لم يرفع الله بالبغضاء » . (٤) أى دفع ديته .

السَّكاسِكُ^(١) بَرِيعة ، ولا معاويةَ بعلى ، ولا أصبَتْ دُنْيَا تُهْنَأُ بها ، ولا حَظًّا تُحْسَدُ عليه ، وإنْ أَقْرَبَ ما تكون مع الله أَبْعَدَ ما تكون مع معاوية ، فارجع إلى مصرك ، فقد اغتفر أمير المؤمنين الذنب ، واحتمل الثَّقل^(٢) .

واعلم أن رجعتك اليوم خير منها غدا ، وكانت أمس خيراً منها اليوم ، وإن كان عليك حياء من أبي الحسن ، فما أنت فيه أعظم ، فقَبَّحَ الله أمراً ليس فيه دنيا ولا آخرة . (الإمامة والسياسة ١ : ٦٧)

٤٨٦ - رد مصقلة على قومه

فكتب مصقلة إلى قومه :

« أما بعدُ : فقد جاءني كتابكم ، وإنني أخبركم أنه من لم ينفعه القليل لم ينفعه الكثير ، وقد علمتم الأمر الذي قطعني من على ، وأضافني إلى معاوية ، وقد علمت أني لو رجعت إلى على وإليكم لكان ذنبي مغفوراً ، ولكني أذنبتُ إلى على وَصَحِبْتُ مُعاويةَ ، فلو رجعت إلى على أحدثُ عيباً ، وأُحْيَيْتُ عاراً ، وكنتُ بين لائئمين : أولهما خيانة وآخرها غدر ، ولكني أقيم بالشام ، فإن غلب معاوية فدارى العراق ، وإن غلب على فدارى أرض الروم ، فأما الهوى فإليكم طائرٌ ، وكانت فرقتي عليّاً - على بعض العذر - ، أحب إلى من فرقتي معاوية ، ولا عذر لي . »

فرجع الرسول بالكتاب فأقرأه عليا ، فقال : كُفُّوا عن صاحبكم فليس براجع حتى يموت ، فقال حصين : أما والله ما به إلا الحياء !

(الإمامة والسياسة ١ : ٦٧)

(١) حى من الين . (٢) الثقل : الحمل الثقيل .

٤٨٧ - كتاب على إلى أهل مصر

وولى الإمام على كرم الله وجهه بدء خلافته قيس بن سعد بن عبادة الأنصارى على مصر ، فلما دخلها صعد المنبر فجلس عليه ، وأمر بكتاب معه من أمير المؤمنين فقرأ على أهلها ، وفيه :

« بسم الله الرحمن الرحيم : من عبد الله على بن أبى طالب أمير المؤمنين إلى من بلغه كتابى هذا من المؤمنين والمسلمين .

سلام عليكم فإنى أحمدهم إليكم الله الذى لا إله إلا هو ، وأصلى على رسوله صلى الله عليه وسلم ، أما بعد : فإن الله عز وجل بحسن صنعه وتقديره وتديره اختار الإسلام ديناً لنفسه وملائكته ورسله ، وبعث به الرسل عليهم السلام إلى عباده ، وخص به من انتخب من خلقه ، فكان مما أكرم الله عز وجل به هذه الأمة ، وخصهم به من الفضيلة ، أن بعث إليهم محمداً صلى الله عليه وسلم ، فعلمهم الكتاب والحكمة والفرائض والسنة لكيما يهتدوا ، وجمعهم لكيما لا يتفرقوا ، وزكاهم لكيما يتطهروا ، ورفعهم^(١) لكيما لا يحوزوا ، فلما قضى من ذلك ما عليه ، قبضه الله عز وجل ، صلوات الله عليه ورحمته وبركاته .

ثم إن المسلمين من بعده استخلفوا به أميرين صالحين ، عملاً بالكتاب والسنة ، وأحسننا السيرة ، ولم يعدوا السنة ، ثم توفاهما الله عز وجل رضى الله عنهما ، ثم ولى بعدهما وال ، فأحدث أحداثاً ، فوجدت الأمة عليه مقالا

(١) رفته : أحسن إليه .

فقالوا ، ثم نَقَمُوا عليه فَعَيَّرُوا ، ثم جاء ونى فبايعونى ، فَأَسْتَهْدَى اللَّهُ عز وجل بالهدى ، وأَسْتَعِينُهُ على التقوى .

أَلَا وَإِنَّ لَكُمْ عَلَيْنَا الْعَمَلَ بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، والقيامَ عليكم بحقه ، والتنفيذَ لسنَّته ، والنَّصَحَ لَكُمْ بِالْغَيْبِ ، والله المستعانُ ، وَحَسْبُنَا اللَّهُ ، ونعم الوكيل .

وقد بعثتُ إليكم قيس بن سعد بن عبادة أميراً ، فَوَازِرُوهُ^(١) وكافُّوه وأَعِينُوهُ على الحق ، وقد أمرته بالإحسان إلى مُحْسِنِكُمْ ، والشَّدَّةِ على مُرِيْبِكُمْ ، والرَّفْقِ بَعَوَائِكُمْ وخواصِّكُمْ ، وهو ممن أَرْضَى هَدْيَهُ ، وأرجو صلاحه ونصيحتَه ، أسأل الله عز وجل لنا ولكم عملاً زَاكِياً^(٢) ، وثواباً جزيلاً ، ورحمةً واسعةً ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

وكتب عُبَيْدُ بْنُ أَبِي رَافِعٍ^(٣) فى صفر سنة ٣٦ هـ .

ثم قام قيس بن سعد خطيباً وأمر الناس بالبيعة فبايعوا ، وأَسْتَقَامَتْ لَهُ مصر ، وبعث عليها عماله إلا قريةً منها يقال لها خَرْبَتَا^(٤) فيها أناس قد أعظموا قتل عثمان ، فبعثوا إليه : إنا لا نقاتلك فابعت عمالك فالأرض أرضك ، ولكن أقرنا على حالنا حتى ننظر إلآم يصير أمر الناس^(٥) ، فبعث إليهم : إني لا أكرهم على البيعة ، وأنا أدعكم وأكف عنكم ، فهادتهم وجبى الخراج ليس أحد من الناس ينارعه .

(تاريخ الطبرى ٥ : ٢٢٧ ، وشرح ابن أبى الحديد م ٢ : ص ٢٣ ، والنجوم الزاهرة ١ : ٩٧)

(١) وازره وكانفه : عاونه . (٢) زاكيا : أى صالحا ، وفى النجوم الزاهرة « عملا صالحا » .

(٣) وفى النجوم الزاهرة « وكتبه عبد الله بن أبى طالب » وفى ابن أبى الحديد « وكتبه عبد الله بن أبى رافع » .

(٤) قرية بمديرية البعيرة مركز كوم حمادة .

(٥) ووثب مسلمة بن مخلد الأنصارى من رهط قيس بن سعد ، فنعى عثمان ودعا إلى الطلب بدمه ،

فأرسل إليه قيس : ويحك ! على ثب ؟ فوالله ما أحب أن لى ملك الشام إلى مصر ، وأنى تقتلك ،

فبعث إليه مسلمة لاني كاف عنك مادمت أنت والى مصر .

٤٨٨ - كتاب معاوية إلى قيس بن سعد

وخرج أمير المؤمنين عليّ إلى أهل الجمل ، وقيس على مصر ، ورجع إلى الكوفة من البصرة وهو بمكانه ، فكان أثقل خلق الله على معاوية ، لقربه من الشام ، مخافة أن يُقبَل إليه على في أهل العراق ، ويُقبَل إليه قيس ابن سعد في أهل مصر ، فيقع بينهما ، فكتب معاوية إلى قيس - وعلى يومئذ بالكوفة قبل أن يسير إلى صفين - :

« من معاوية بن أبي سفيان إلى قيس بن سعد :

سلام عليك ، فإنني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو ، أما بعدُ : فإنكم إن كنتم نَقِمْتُمْ على عثمان بن عفان رضى الله عنه في أَثَرَةٍ^(١) رأيتموها ، أو ضَرْبَةً سَوِطٍ ضَرَبَهَا ، أو شَتِيمَةً رجل ، أو في تسييره آخر أو في استعماله الْفُتَى من أهله^(٢) ، فإنكم قد علمتم - إن كنتم تعلمون - أن دمه

(١) وفي النجوم الزاهرة « في أبور » .

(٢) الفتى جمع فتى ، وفي النجوم الزاهرة « أو شتمة شتمها ، أو في سير سيره ، أو في استعماله الفء ، فقد علمتم . . . الخ » وذكروا أنه اجتمع ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فكتبوا كتابا ذكروا فيه ماخالف فيه عثمان من سنة رسول الله وسنة صاحبه ، وكان مما ضمنوه كتابهم هبته خمس إفريقية لمروان وفيه حق الله ورسوله وذوى القرى واليتامى والمساكين ، وما كان من إفشائه العمل والولايات في أهله وبنى عمه من بنى أمية وهم أحداث لاصحبة لهم من الرسول ولا تجربة لهم بالأمر ، وتركه المهاجرين والأنصار لا يستعملهم على شيء ولا يستشيرهم ، ثم تعاهد القوم ليدفعن الكتاب في يد عثمان ، وكان من حضر الكتاب عمار بن ياسر والمقداد بن الأسود وكانوا عشرة فلما خرجوا به ليدفعوه إلى عثمان والكتاب في يد عمار ، جعلوا يتسللون عنه حتى بقى وحده ، فضى حتى جاء دار عثمان فاستأذن عليه فأذن له فدخل عليه وعنده مروان بن الحكم وأهله من بنى أمية فدفع إليه الكتاب فقرأه فقال : أنت كتبت هذا الكتاب ؟ قال : نعم ، قال : ومن كان معك ؟ قال : معي نفر نفر قوا فرقا منك ، قال : ومن هم ؟ قال : لا أخبرك بهم ، قال : فلم اجترأت على من بينهم ؟ فقال مروان ، إن هذا العبد الأسود (يعنى عمارا) قد جرأ الناس عليك ، وإنك إن قتلتك نكلت به من وراءه ، فقال عثمان : اضربوه ، فاضربوه وضربه عثمان معهم حتى فتقوا بطنه ، فغشى عليه ، فجروه

لم يكن يحلّ لكم بذلك ، فقد رَكِبْتُمْ عَظِيمًا مِنَ الْأَمْرِ ، وَجِئْتُمْ شَيْئًا إِذَا^(١) ،
فُتِبَ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ يَا قَيْسُ بْنُ سَعْدٍ ، فَإِنَّكَ كُنْتَ فِي الْمُجْلِبِينَ^(٢) عَلَى
عُثْمَانَ بْنِ عَفَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، إِنْ كَانَتْ التَّوْبَةُ مِنْ قَتْلِ الْمُؤْمِنِ تُغْنِي شَيْئًا .
فَأَمَّا صَاحِبُكَ فَإِنَّا اسْتَيْقَنَّا أَنَّهُ الَّذِي أَغْرَى بِهِ النَّاسَ ، وَحَمَلَهُمْ عَلَى قَتْلِهِ
حَتَّى قَتَلُوهُ ، وَأَنَّهُ لَمْ يَسْلَمْ مِنْ دَمِهِ عَظُمَ قَوْمُكَ ، فَإِنْ اسْتَطَعْتَ يَا قَيْسُ أَنْ
تَكُونَ مِمَّنْ يَطْلُبُ بَدَمَ عُثْمَانَ فافْعَلْ ، تَابِعْنَا عَلَى أَمْرِنَا ، وَلَكَ سُلْطَانُ الْعِرَاقَيْنِ
إِذَا ظَهَرْتُ مَا بَقِيَتْ ، وَلِمَنْ أَحْبَبْتَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِكَ سُلْطَانُ الْحِجَازِ مَا دَامَ لِي
سُلْطَانٌ ، وَسَلَّنِي غَيْرَ هَذَا مِمَّا تَحِبُّ ، فَإِنَّكَ لَا تَسْأَلُنِي شَيْئًا إِلَّا أُوتِيْتَهُ ،
وَاصْبِرْ إِلَى بَرَأْيِكَ فِيمَا كَتَبْتُ بِهِ إِلَيْكَ ، وَالسَّلَامُ » .

(تاريخ الطبري ٥ : ٢٢٨ ، وشرح ابن أبي الحديد ٢ : ٢٣ ، والنجوم الزاهرة ١ : ٩٩)

٤٨٩ — رد قيس بن سعد على معاوية

فلما جاءه كتاب معاوية أحبَّ أن يُدافعهُ ولا يُبديَ له أمره ، ولا
يتعجَّلَ حربَهُ ، فكتب إليه :

« أما بعدُ : فقد بلغني كتابك ، وفهمتُ ما ذكرتَ فيه من قتل عُثْمَانَ

حتى طرحوه على باب الدار ، فأمرت به أم سلمة زوج النبي عليه السلام فأدخل منزلها — انظر الإمامة
والسياسة ١ : ٢٦ — ومما طعنوا به على عثمان تسييره أبا ذر الغفاري إلى الربرة — وقد منا لك خبره
في ص ٢٩٧ وقد فصل ابن أبي الحديد في شرحه لنهج البلاغة الكلام في المطاعن التي طعن بها على عثمان ،
انظر م ١ : من ص ٢٢٦ إلى ص ٢٤٥ ، وانظر أيضا العقد الفريد ج ٢ : ص ٢١٤ وتاريخ الطبري
ج ٥ : ص ١٠١ ومروج الذهب ج ١ : ص ٤٣٧ وغيره . (١) الإِدَّة : الأمر الفظيع المنكر .
(٢) الجلبة بالتحريك : اختلاط الأصوات ، وقد جلبوا كضرب ونصر وأجلبوا وجلبوا ، وفي النجوم
الزاهرة « فإنك ممن أغان على قتل عثمان » .

رضى الله عنه ، وذلك أمرٌ لم أقارِفْهُ ولم أُطِفْ به^(١) ، وذكرت أن صاحبي هو
الذى أغرى الناس بعثان ، ودَسَّهم إليه حتى قتلوه ، وهذا ما لم أُطْلِعْ عليه ،
وذكرت أن عَظُمَ عشيرتي لم تَسَلَمْ من دم عثمان ، فلعمري إن أول الناس كان
فيه قيامًا عشيرتي ، ولهم أسوة^(٢) غيرهم ، وأما ما سألتني من متابعتك على
الطلب بدمه ، وما عَرَضْتَ عليَّ من الجزاء به فقد فهمتُه ، وهذا أمرٌ لي فيه
نظر وفكرة ، وليس هذا مما يُسْرَعُ إليه ، وأنا كافٌّ عنك ، ولن يأتيك من
قَبلي شيء تكرهه حتى تَرى ، ونرى إن شاء الله ، والمستخارُ الله عز وجل
والسلام عليك ورحمة الله وبركاته .

(تاريخ الطبري ٥ : ٢٢٩ ، وشرح ابن أبي الحديد ٢ : ص ٢٤ ، والنجوم الزاهرة ١ : ٩٩)

٤٩٠ - رد معاوية على قيس

فلما قرأ معاوية كتابه لم يَرَهُ إِلَّا مُقَارِبًا مُبَاعِدًا ، ولم يأمن أن يكون له
في ذلك مُخَادَعًا مُكَايِدًا ، فكتب إليه :

« أما بعدُ : فقد قرأتُ كتابك ، فلم أرك تدنو فأُعِدُّكَ سِمْماً ، ولم أرك
تُبَاعِدُ فأُعِدُّكَ حَرَبًا ، أنت فيما هاهنا كحبل الجرور^(٣) وليس مثلي يصانع
بالخداع ، ولا يخدع بالمكايد ، ومعه عَدَدُ الرجال ، ويده أَعِنَّةُ الخيل^(٤) ،

(١) قارف الذنب واقتربه : أتاه وفعله ، وأطاف به : أَلَمَّ به وقاربه ، وفي النجوم الزاهرة « فأما
ما ذكرت من أمر عثمان فذلك أمرٌ لم أقاربه ولم أنتظف به » - وتنظف بالأمر : تلطخ به واتهم -
(٢) الأسوة بالكسر والضم : القدوة .

(٣) الجرور البئر البعيدة القعر : يعني بذلك بعد غوره ، وفي الطبري « كحكك الجرور » وهو تحريف .

(٤) وفي النجوم الزاهرة « وليس مثلي من يخدع ويده أعنة الخيل ومعه أعداد الرجال » وفي الطبري
« وليس مثلي يصانع الخادع ، ولا يتزعج للمكايد » .

فَإِنْ قَبِلْتَ الَّذِي عَرَضْتُ عَلَيْكَ فَلَكَ مَا أُعْطَيْتَكَ ، وَإِنْ أَنْتَ لَمْ تَفْعَلْ مَلَأْتُ
مِصْرَ عَلَيْكَ خَيْلًا وَرَجُلًا ، وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ » .

(تاريخ الطبري ٥ : ٢٢٩ ، وشرح ابن أبي الحديد ٢ : ص ٢٤ ، والنجوم الزاهرة ١ : ١٠٠)

٤٩١ - رد قيس على معاوية

فلما قرأ قيس بن سعد كتاب معاوية ، ورأى أنه لا يقبل منه المدافعة
والمطالبة ، أظهر له ذات نفسه ، فكتب إليه :

« بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، مِنْ قَيْسِ بْنِ سَعْدٍ إِلَى مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سَفْيَانَ
أَمَّا بَعْدُ : فَإِنَّ الْعَجَبَ مِنْ اغْتِرَارِكَ بِي ، وَطَمَعِكَ فِيَّ ، وَاسْتِسْقَاطِكَ^(١)
رَأْيِي ، أَتَسْؤِمُنِي الْخُرُوجَ عَنْ طَاعَةِ أَوْلَى النَّاسِ بِالْإِمْرَةِ ، وَأَقْرَبِهِمْ لِلْخِلَافَةِ ،
وَأَقْوَلِهِمْ لِلْحَقِّ ، وَأَهْدَاهُمْ سَبِيلًا ، وَأَقْرَبَهُمْ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
وَسِيلَةً ، وَأَوْفَرِهِمْ فَضِيلَةً ، وَتَأْمُرُنِي بِالْدُخُولِ فِي طَاعَتِكَ طَاعَةً أَبْعَدُ النَّاسِ مِنْ
هَذَا الْأَمْرِ ، وَأَقْوَلِهِمْ لِلزُّورِ ، وَأَضْلَلَهُمْ سَبِيلًا ، وَأَبْعَدَهُمْ مِنْ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ
وَرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَسِيلَةً ، وَلَدِّ ضَالِّينَ مُضِلِّينَ ، طَاغُوتٍ^(٢) مِنْ
طَوَاغِيتِ إِبْلِيسَ .

وَأَمَّا قَوْلُكَ^(٣) إِنَّكَ تَمْلَأُ عَلَيَّ مِصْرَ خَيْلًا وَرَجُلًا ، فَوَاللَّهِ إِنْ لَمْ أَشْغَلْكَ
بِنَفْسِكَ ، حَتَّى تَكُونَ نَفْسُكَ أَهَمَّ إِلَيْكَ ، إِنَّكَ لَذَوَّجَدٌ^(٤) ، وَالسَّلَامُ » .

فلما بلغ معاوية كتاب قيس أيس منه ، وَثَقُلَ عَلَيْهِ مَكَانُهُ .

(تاريخ الطبري ٥ : ٢٢٩ ، وشرح ابن أبي الحديد ٢ : ص ٢٤ ، والنجوم الزاهرة ١ : ١٠٠)

(١) استسقطه وتسقطه : عاجله على أن يسقط فيخطئ* أو يكذب أو ييوح بما عنده .

(٢) الطاغوت : الشيطان ، وكل رأس ضلال ، وفي ابن أبي الحديد : « ولديك قوم ضالون مضلون
طواغيت من طواغيت إبليس » . (٣) في النجوم الزاهرة « وأما قولك : معك أعنة الخيل وأعداد
الرجال ، لتشغلن بنفسك حتى العدم » (٤) الجد : الحظ .

٤٩٢ - كتاب معاوية إلى قيس بن سعد

وكتب معاوية إلى قيس حين يئس منه :

« أما بعد ، فإنما أنت يهودى ابن يهودى ^(١) ، تُشقى نفسك وتقتلها فيما ليس لك ، إن ظفرك أحبُّ الفريقين إليك عزَّلك واستبدل بك ^(٢) ، وإن ظفرك أبغضهما إليك قتلك ونكلك بك ^(٣) ، وقد كان أبوك وترَّ قوسه ^(٤) ، ورعى غرضه ، فأكثر الحزَّ وأخطأ المَفْصِل ^(٥) ، حتى خذله قومه ، وأدركه يومه ، ثم مات طريداً غريباً بحوران ^(٦) ، والسلام . »

٤٩٣ - رد قيس بن سعد على معاوية

فكتب إليه قيس بن سعد :

« أما بعد ، فإنما أنت وثئى ابن وثئى ^(٧) دخلت في الإسلام كُرْها ،

(١) عن معاوية بذلك أن يشبه قيساً وأباه باليهود ، وقد كانت اليهود تسكن الأنصار بالمدينة - انظر كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والأنصار واليهود وقد قدمناه في ص ٢٥ .
(٢) وفي رواية ابن أبي الحديد « بُذِكَ وَغَدْرِكَ » . (٣) وفي رواية للكمال « ومثل بك » .
(٤) « أوتر القوس : جعل لها وترا ، ووترها توتيرا : شد وترها ، ووترها يترها : علق عليها وترها ، وفي رواية الكمال « فوق سهمه » وفوق السهم : جعل له فوقاً بالضم وهو موضع الوتر من السهم .

(٥) عكس هذا في المدح قولهم للرجل إذا أصاب الحجة : إنه يطبق المفصل ، وقولهم للبلع من الرجال : قد طبق المفصل ، من طبق السيف بالتشديد إذا أصاب المفصل فأبان العضو .

(٦) حوران بالفتح كورة واسعة من أعمال دمشق . وذلك أنه لما توفي النبي صلى الله عليه وسلم ضُعم سعد بن عبادة في الخلافة وجلس في سقيفة بنى ساعدة ليبيع لنفسه ، وتمت البيعة لأبي بكر فباعه الناس وعدلوا عن سعد ، فلم يبيع سعد أبابكر ولا عمر ، وسار إلى الشام فأقام به بحوران إلى أن مات سنة ١٥ وقيل سنة ١٤ وقيل ١١ - انظر أسد الغابة ٢ : ٢٨٣ -

(٧) وثئى : أى عابد وثن وهر الصنم ، وهذا باعتبار ما كان ، وإنما أراد قيس أن يرد به على قول معاوية له : إنما أنت يهودى ابن يهودى .

وأقمت فيه فرقا ، وخرجت منه طوعا ، ولم يجعل الله لك فيه نصيبا ، لم يقدم إيمانك ، ولم يحدث نفاقك ، ولم ترل حربا لله ولرسوله ، وحزبا من أحزاب المشركين ، وعدوا لله ولنبيه وللمؤمنين من عباده ، وقد كان أبي وتر قوسه ، ورعى غرضه ، فشغب عليه^(١) من لم يبلغ كعبه ، ولم يشق غباره ، ونحن أنصار الدين الذي منه خرجت ، وأعداء الدين الذي فيه دخلت ، والسلام .

فلما قرأ معاوية كتابه غاظه وأراد إجابته ، فقال له عمرو : مهلا ، فإنك إن كآبته أجابك بأشد من هذا ، وإن تركته دخل فيما دخل فيه الناس ، فأمسك عنه .

(مروج الذهب ٢ : ٦٢ ، والبيان والبيان ٢ : ٤٣ ، والعقد الفريد ٢ : ٢٣٥ ، وعيون الأخبار ٢ : ص ٢١٢ ، والكامل للمبرد ١ : ٢٥١ ، وشرح ابن أبي الحديد ٤ : ص ١٥)

٤٩٤ - كتاب اختلقه معاوية على قيس بن سعد

ولما أيس معاوية من قيس أن يتابعه على أمره ، شق عليه ذلك ، لما يعرف من حزمه وبأسه ، وأظهر للناس قيله إن قيس بن سعد قد تابعكم فادعوا الله له ، وقرأ عليهم كتابه الذي لان له فيه وقاربه .

واختلق معاوية كتابا من قيس بن سعد ، فقرأه على أهل الشام ، وهو : « بسم الله الرحمن الرحيم : للأمير معاوية بن أبي سفيان من قيس

(١) شغبهم وبهم وعليهم كنع وفرح : هيج الشر عليهم ، ويقولون : طلب فلانا فاشق غباره أي لم يدركه ، وفي رواية الكامل « وقد كان أبي فوق سهمه ، ورمى غرضه ، فسببت (والظاهر أنه فشبت) عليه أنت وأبوك ونظراؤك ، فلم تشقوا غباره ، ولم تدركوا شأوه » .

أَبْنُ سَعْدٍ : سَلامَ عَلَیکَ ، فَإِنِی أَحْمَدُ إِلَیکَ اللَّهُ الَّذِی لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ، أَمَّا بَعْدُ :
فَإِن قَتَلَ عُثْمَانَ كَانَ حَدَثًا فِی الْإِسْلَامِ عَظِیمًا ، وَقَدْ نَظَرْتُ لِنَفْسِی وَدِینِی فَلَمْ أَرَ
یَسَعُنِی مَظَاهِرُهُ^(١) قَوْمٌ قَتَلُوا إِمَامَهُمْ مُسْلِمًا مُحَرَّمًا^(٢) بَرًّا تَقِیًّا ، فَتَسْتَغْفِرُ اللَّهُ
عِزَّ وَجَلَّ لِذُنُوبِنَا ، وَنَسْأَلُهُ الْعِصْمَةَ لِدِینِنَا ، أَلَا وَإِنِی قَدْ أَلْقِیتُ إِلَیکَ بِالسَّلَامِ^(٣) ،
وَإِنِی أَجْبَتُکَ إِلَى قِتَالِ قَتَلَةِ عُثْمَانَ رَضِیَ اللَّهُ عَنْهُ ، إِمَامِ الْهَدَى الْمَظْلُومِ ، فَعَوَّلَ
عَلَىَّ فِیمَا أَحْبَبْتَ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالرِّجَالِ أَعْجَلَهُ إِلَیکَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، وَالسَّلَامُ عَلَى
الْأَمِيرِ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَکَاتُهُ .

فَشَاعَ فِی أَهْلِ الشَّامِ أَنَّ قَیْسَ بْنَ سَعْدٍ قَدْ بَايَعَ مُعَاوِیَةَ ، وَسَرَّحَتْ عِیُونَ
عَلَىَّ إِلَیْهِ بِذَلِكَ ، فَأَعْظَمَهُ وَأَکْبَرَهُ وَتَعَجَّبَ لَهُ ، وَدَعَا بَنِيهِ وَدَعَا عَبْدَ اللَّهِ
ابْنَ جَعْفَرٍ ، فَقَالَ : مَا رَأَیْکُمْ ؟ فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، دَعِ
مَا یَرِیْکَ إِلَى مَا لَا یَرِیْکَ ، اعْزِلْ قَیْسًا عَنْ مِصْرَ ، قَالَ لَهُمْ عَلِیٌّ : إِنِّی وَاللَّهِ
مَا أَصْدُقُ بِهَذَا عَلَى قَیْسٍ !

(تاریخ الطبری ٥ : ٢٣٠ ، وشرح ابن أبی الحدید ٢ : ص ٢٤ ، والنجوم الزاهرة ١ : ١٠١)

٤٩٥ - کتاب قیس بن سعد إلى علی

فَإِنَّهُمْ لَكَذَلِكَ إِذَا جَاءَ کِتَابُ مِنْ قَیْسِ بْنِ سَعْدٍ ، فِیهِ :
« بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، أَمَّا بَعْدُ : فَإِنِی أَخْبَرْتُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَكْرَمَهُ
اللَّهُ أَنْ قَبَّلَی رِجَالًا مُعْتَزِلِينَ قَدْ سَأَلُونِی أَنْ أَكُفَّ عَنْهُمْ ، وَأَنْ أَدْعَهُمْ عَلَى

(١) ظاهره : عاونه . (٢) المحرم : الذی له حرمة ، والذی یحرم علینا قتاله .

(٣) السلم : الاستسلام .

حالهم حتى يستقيم أمر الناس فَنَرَى وَيَرَوْنَ رَأْيَهُمْ ، فقد رَأَيْتُ أَنْ أَكْفَ عَنْهُمْ وَأَلَّا أَتَعَجَّلَ حَرْبَهُمْ ، وَأَنْ أَتَأَلَّفَهُمْ فِيمَا بَيْنَ ذَلِكَ ، لعل الله عز وجل أَنْ يُقْبَلَ بِقُلُوبِهِمْ ، وَيُفَرَّقَهُمْ عَنْ ضَلَالَتِهِمْ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، وَالسَّلَامُ .

فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، مَا أَخَوْفَنِي أَنْ يَكُونَ هَذَا مُمَالَةً لَهُمْ مِنْهُ ، فُرُوه يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِقِتَالِهِمْ .

(تاريخ الطبري ٥ : ٢٣٠ ، وشرح ابن أبي الحديد م ٢ : ص ٢٤)

٤٩٦ - رد عليّ على قيس بن سعد

فكتب إليه عليّ :

« بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ : أَمَّا بَعْدُ : فسيرُ إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ ذَكَرْتَ ، فَإِنْ دَخَلُوا فِيمَا دَخَلَ فِيهِ الْمُسْلِمُونَ ، وَإِلَّا فَنَاجِزُهُمْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ وَالسَّلَامُ . »

(تاريخ الطبري ٥ : ٢٣٠ ، وشرح ابن أبي الحديد م ٢ : ص ٢٤)

٤٩٧ - رد قيس بن سعد على عليّ

فَلَمَّا أَتَى قَيْسُ بْنُ سَعْدٍ الْكِتَابَ ، لَمْ يَتِمَّاكَ أَنْ كَتَبَ إِلَى عَلِيٍّ :

« أَمَّا بَعْدُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ : فَقَدْ عَجِبْتُ لِأَمْرِكَ ! أَتَأْمُرُنِي بِقِتَالِ قَوْمٍ كَافِينَ عَنْكَ ، مُفَرِّغِيكَ لِقِتَالِ عَدُوِّكَ ، لَمْ يُمْدُؤْا يَدًا لِلْفِتْنَةِ ، وَلَا أَرْضَدُوا لَهَا ؟ وَإِنَّكَ مَتَى حَارَبْتَهُمْ سَاعَدُوا عَلَيْكَ عَدُوَّكَ ، فَأَطِئْنِي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَاكْفُفْ عَنْهُمْ ، فَإِنَّ الرَّأْيَ تَرَكُّهُمْ ، وَالسَّلَامُ . »

فلما أتاه هذا الكتاب ، قال له عبد الله بن جعفر : يا أمير المؤمنين ابعث محمد بن أبي بكر على مصر يكفك أمرها ، واعزل قيساً ، فبعث على محمد ابن أبي بكر^(١) على مصر ، وعزل عنها قيساً .

(تاريخ الطبري ٥ : ٢٣١ ، وشرح ابن أبي الحديد م ٢ : ص ٢٤)

٤٩٨ - عهد علي إلى محمد بن أبي بكر

فلما قدم محمد بن أبي بكر مصر ، قرأ على أهلها عهده ، وفيه :
« بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما عهد عبد الله على أمير المؤمنين إلى محمد بن أبي بكر ، حين ولّاه مصر :

أمره بتقوى الله والطاعة في السر والعلانية ، وخوف الله عز وجل في الغيب والمشهد ، وبالأين على المسلم ، وبالغلظة على الفاجر ، وبالعدل على أهل الذمة ، وبالإينصاف للمظلوم ، وبالشدة على الظالم ، وبالعفو عن الناس ، وبالإحسان ما استطاع والله يجزي المحسنين ، ويعذب المجرمين ، وأمره أن يدعو من قبله إلى الطاعة والجماعة ، فإن لهم في ذلك من العاقبة وعظيم المثوبة ما لا يقدرون قدره ، ولا يعرفون كنهه ، وأمره أن يجني خراج الأرض على ما كانت تجني عليه من قبل ، لا يثقب منه ولا يثدع فيه ، ثم يقسمه بين أهله على ما كانوا يقسمون عليه من قبل ، وأن يلين لهم

(١) أمه أسماء بنت عميس الخثعمية ، وهي أخت ميمونة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، وكانت من المهاجرات إلى أرض الحبشة وهي إذ ذاك تحت جعفر بن أبي طالب ، ثم هاجرت معه إلى المدينة ، فلما قتل جعفر يوم مؤتة تزوجها أبو بكر فولدت له محمد بن أبي بكر هذا عام حجة الوداع (سنة ١٠ هـ) ثم مات عنها فتزوجها علي عليه السلام ، ونشأ محمد في حجره وكان علي يثنى عليه ويقرظه ويفضله ، وكان لمحمد رحمه الله عبادة واجتهاد - انظر شرح ابن أبي الحديد م ٤ : ص ٥٣ .

جَنَاحَهُ ، وَأَنْ يُؤَاسِيَ بَيْنَهُمْ فِي مَجْلِسِهِ وَوَجْهِهِ ، وَلِيَكُن الْقَرِيبُ وَالْبَعِيدُ عِنْدَهُ فِي الْحَقِّ سَوَاءً ، وَأَمْرُهُ أَنْ يَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ ، وَأَنْ يَقُومَ بِالْقِسْطِ ، وَلَا يَتَّبِعِ الْهَوَى . وَلَا يَخَفُ فِي اللَّهِ عِزًّا وَجَلَّ لَوْ مَمَّةَ لَائِمٍّ ، فَإِنَّ اللَّهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ مَعَ مَنْ اتَّقَاهُ وَآثَرَ طَاعَتَهُ وَأَمْرَهُ عَلَى مَا سِوَاهُ . »

وكتب عبد الله بن أبي رافع مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِفُرَّةَ شهر رمضان سنة ٣٦ هـ .

(تاريخ الطبري ٥ : ٢٣١ ، وشرح ابن أبي الحديد ٢ : ص ٢٥)

صورة أخرى

وروى الشريف الرضي في نهج البلاغة قال :

ومن عهده عليه السلام إلى محمد بن أبي بكر حين قلده مصر :

« فَاخْفِضْ لَهُمْ جَنَاحَكَ ، وَأَلِنْ لَهُمْ جَانِبَكَ ، وَأَبْسِطْ لَهُمْ وَجْهَكَ ، وَآسِ بَيْنَهُمْ^(١) فِي اللَّحْظَةِ وَالنَّظَرَةِ ، حَتَّى لَا يَطْمَعَ الْمُظْمَأُ فِي حَيْفِكَ لَهُمْ^(٢) ، وَلَا يِيَأَسَ الضُّعْفَاءُ مِنْ عَدْلِكَ عَلَيْهِمْ ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُسَائِلُكُمْ مَعَشَرَ عِبَادِهِ عَنِ الصَّغِيرَةِ مِنْ أَعْمَالِكُمُ وَالْكَبِيرَةِ ، وَالظَّاهِرَةِ وَالْمُسْتَوْرَةِ ، فَإِنْ يُعَذِّبْ فَأَنْتُمْ أَظْلَمُ^(٣) ، وَإِنْ يَغْفُ فَهِيَ أَكْرَمُ .

واعلموا عِبَادَ اللَّهِ أَنَّ الْمُتَّقِينَ ذَهَبُوا بِمَا جِلَّ الدُّنْيَا وَآجِلِ الْآخِرَةِ ، فَشَارَكُوا أَهْلَ الدُّنْيَا فِي دُنْيَاهُمْ ، وَلَمْ يَشَارِكْهُمْ أَهْلُ الدُّنْيَا فِي آخِرَتِهِمْ ، سَكَنُوا

(١) آس بينهم : أى سَوَّ بينهم ، وتقديره : اجعل بعضهم أسوة بعض .

(٢) أى فى جورك لأجلهم . (٣) أفعل هنا بمعنى الصفة ، أى فأنت الظالمون .

الدنيا بأفضل ما سُكِنَتْ ، وأَكَلُوهَا بأفضل ما أُكِلَتْ ، فَحَظُّوا مِنَ الدُّنْيَا
بِمَا حَظَّيَ بِهِ الْمُتَرَفُّونَ ، وَأَخَذُوا مِنْهَا مَا أَخَذَ الْجَبَّارَةُ الْمُتَكَبِّرُونَ ، ثُمَّ انْقَلَبُوا عَنْهَا
بِالزَّادِ الْمُبْلَغِ ، وَالْمَتَجَرِّ الرَّابِحِ ، أَصَابُوا لَذَّةَ زُهْدِ الدُّنْيَا فِي دُنْيَاهُمْ ، وَتَيَقَّنُوا أَنَّهُمْ
جِيرَانُ اللَّهِ غَدًا فِي آخِرَتِهِمْ ، لَا تُرَدُّ لَهُمْ دَعْوَةٌ ، وَلَا يَنْقُصُ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنْ
لَذَّةٍ ، فَاحْذَرُوا عِبَادَ اللَّهِ الْمَوْتَ وَقُرْبَهُ ، وَأَعِدُّوا لَهُ عُذَّتَهُ ، فَإِنَّهُ يَأْتِي بِأَمْرٍ
عَظِيمٍ ، وَخَطْبٍ جَلِيلٍ : بِخَيْرٍ لَا يَكُونُ مَعَهُ شَرٌّ أَبَدًا ، أَوْ شَرٍّ لَا يَكُونُ مَعَهُ
خَيْرٌ أَبَدًا ، فَمَنْ أَقْرَبُ إِلَى الْجَنَّةِ مِنْ عَامِلِهَا ^(١) ؟ وَمَنْ أَقْرَبُ إِلَى النَّارِ مِنْ
عَامِلِهَا ؟ وَأَنْتُمْ طُرْدَاءُ ^(٢) الْمَوْتِ ، إِنْ أَقْتُمُ لَهُ أَخَذَكُمْ ، وَإِنْ فَرَرْتُمْ مِنْهُ أَدْرَكَكُمْ ،
وَهُوَ أَلْزَمُ لَكُمْ مِنْ ظِلِّكُمْ ، الْمَوْتُ مَعْقُودٌ بِنَوَاصِيكُمْ ، وَالدُّنْيَا تُطَوَّى مِنْ
خَلْفِكُمْ ، فَاحْذَرُوا نَارًا أَقْعَرُهَا بَعِيدٌ ، وَحَرُّهَا شَدِيدٌ ، وَعَذَابُهَا جَدِيدٌ ، دَارٌ
لَيْسَ فِيهَا رَحْمَةٌ ، وَلَا تُسْمَعُ فِيهَا دَعْوَةٌ ، وَلَا تُفْرَجُ فِيهَا كُرْبَةٌ ، وَإِنْ اسْتَطَعْتُمْ
أَنْ يَشْتَدَّ خَوْفُكُمْ مِنَ اللَّهِ ، وَأَنْ يَحْسُنَ ظَنُّكُمْ بِهِ ، فَاجْمَعُوا بَيْنَهُمَا ، فَإِنَّ الْعَبْدَ
إِنَّمَا يَكُونُ حُسْنُ ظَنِّهِ بِرَبِّهِ ، عَلَى قَدَرِ خَوْفِهِ مِنْ رَبِّهِ ، وَإِنْ أَحْسَنَ النَّاسُ ظَنًّا
بِاللَّهِ أَشَدَّهُمْ خَوْفًا لِلَّهِ .

وَأَعْلَمُ يَا مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ أَنِّي قَدْ وَلَّيْتُكَ أَعْظَمَ أَجْنَادِي فِي نَفْسِي : أَهْلَ
مِصْرَ ، فَأَنْتَ مُحَقَّقٌ ^(٣) أَنْ تَخَالَفَ عَلَى نَفْسِكَ ، وَأَنْ تُنَافِحَ عَنْ دِينِكَ ،
وَلَوْ لَمْ يَكُنْ لَكَ إِلَّا سَاعَةٌ مِنَ الدَّهْرِ ، وَلَا تُسَخِّطِ اللَّهَ بِرِضَا أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ ،
فَإِنَّ فِي اللَّهِ خَلْفًا مِنْ غَيْرِهِ ، وَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ خَلْفٌ فِي غَيْرِهِ .

(١) أى من العامل لها . (٢) طرداء : جمع طريد ، أى يطردكم عن أوطانكم ويخرجكم منها .

(٣) أى حقيق وجدير وخليق ، وناقه : كاشفه ودافعه .

صَلِّ الصَّلَاةَ لَوَقْتِهَا الْمُوقَّتِ لَهَا ، وَلَا تَعْجَلْ وَقْتُهَا لِإِفْرَاقٍ ، وَلَا تُؤَخِّرْهَا
عَنْ وَقْتِهَا لِإِسْتِغَالٍ ، وَاعْلَمْ أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ مِنْ عَمَلِكَ تَبَعٌ لَصَلَاتِكَ .
ومنه : فَإِنَّهُ لَا سَوَاءَ إِمَامُ الْهُدَى ، وَإِمَامُ الرَّدَى ^(١) ، وَوَلِيُّ النَّبِيِّ ، وَعَدُوُّ
النَّبِيِّ ، وَلَقَدْ قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : « إِنِّي لَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي
مُؤْمِنًا وَلَا مُشْرِكًا ، أَمَّا الْمُؤْمِنُ فَيَمْنَعُهُ اللَّهُ بِإِيمَانِهِ ، وَأَمَّا الْمُشْرِكُ فَيَقْتُمُهُ اللَّهُ
اللَّهُ بِشِرْكِهِ » ^(٢) ، وَلَكِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ كُلَّ مُنَافِقٍ الْجَنَانِ ، عَالِمِ اللِّسَانِ ، يَقُولُ
مَا تَعْرِفُونَ ، وَيَفْعَلُ مَا تُنْكِرُونَ » (نهج البلاغة ٢ : ١٩)

٤٩٩ - كتاب عليٍّ إلى محمد بن أبي بكر وأهل مصر ^(٣)

وروى ابن أبي الحديد قال :

كتب عليٌّ إلى محمد بن أبي بكر وأهل مصر :

« أَمَا بَعْدُ ، فَإِنِّي أَوْصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ وَالْعَمَلِ بِمَا أَنْتُمْ مَسْئُولُونَ ،
فَأَنْتُمْ بِهِ رَهْنٌ ، وَإِلَيْهِ صَائِرُونَ ، فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ : « كُلُّ نَفْسٍ بِمَا
كَسَبَتْ رَهِينَةٌ » وَقَالَ : « وَيُحَذِّرُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ » وَقَالَ :
« فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ » فَأَعْمَلُوا عِبَادَ اللَّهِ أَنَّ اللَّهَ
سَائِلُكُمْ عَنِ الصَّغِيرِ مِنْ أَعْمَالِكُمْ وَالْكَبِيرِ ، فَإِنْ يُعَذِّبُ فَنَحْنُ الظَّالِمُونَ ،

(١) يعني بإمام الهدى نفسه ، وبإمام الردى معاوية كما سيرد عليك بعد .

(٢) أى إن مظهر الشرك يخذله الله ويصرف قلوب الناس عن اتباعه ، لإظهاره كلمة الكفر
فلا تطمئن قلوبهم إليه .

(٣) أرجح أن هذا الكتاب أصل للكتاب السابق له ، لاحتوائه على جل عباراته وزيادته عليه ،
وقد آثرت أن أورد الكتاين جميعاً كما رواها .

وإن يَغْفِرْ وَيَرْحَمْ فهو أرحم الراحمين ، واعلموا أن أقرب ما يكون العبدُ إلى الرحمة والمغفرة حينما يعمل بطاعة الله ومناصحته في التوبة ، فعليكم بتقوى الله عز وجل فإنها تجمعُ من الخير ما لا يجمعُ غيرها ، ويذكرُ بها من الخير ما لا يذكرُ غيرها : خير الدنيا وخير الآخرة ، يقول الله سبحانه : « وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا ، لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ ، وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ » واعلموا عباد الله أن المؤمنين المتقين قد ذهبوا بما جِلَّ الخير وأجله ، شَرِكُوا أهل الدنيا في دنياهم ، ولم يشاركهم أهل الدنيا في آخرتهم ، يقول الله عز وجل : « قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » سَكَنُوا الدنيا بأفضل ما سُكِنَتْ ، وأكلوها بأفضل ما أَكِلَتْ ، شاركوا أهل الدنيا في دنياهم فأكلوا من أفضل ما يأكلون ، وشربوا من أفضل ما يشربون ، ولبسوا من أفضل ما يلبسون ، وسكنوا من أفضل ما يسكنون ، أصابوا لذة أهل الدنيا مع أنهم غداً من جيران الله عز وجل ، يتمنون عليه لا يَرُدُّ لهم دَعْوَةً ، ولا يَنْقُصُ لهم لَذَةً ، أما في هذا ما يشتاقُ إليه مَنْ كان له عقل ؟

واعلموا عباد الله أنكم إذا اتقيتم ربكم ، وحفظتم نبيكم في أهل بيته ، فقد عبدتموه بأفضل ما عُبدَ ، وذكركموه بأفضل ما ذُكِرَ ، وشكركموه بأفضل ما شُكِرَ ، وأخذتم بأفضل الصبر ، وجاهدتم بأفضل الجهاد ، وإن كان غيركم أطول صلاةً منكم ، وأكثر صياماً ، إذ كنتم أثق بالله ، وأنصح لأولياء الله من آل محمد صلى الله عليه وآله وأخشع ، واحذروا عباد الله الموت وتزولهُ ،

وخذوا له عُدَّتَهُ ، فإنه يدخل بأمر عظيم : خير لا يكون معه شرُّ أبداً ، أو شر لا يكون معه خير أبداً ، وليس أحد من الناس يُفَارِقُ رُوحَهُ جَسَدَهُ حتى يعلمَ إلى أى المنزلتين يصير : إلى الجنة أم إلى النار ؟ أعدوْهُ هو الله أم وَلِيُّ له ؟ فإن كَانَ وَلِيًّا فُتِّحَتْ له أبوابُ الجنة ، وُسِّرَ له طريقُها ، ونَظَرَ إلى ما أَعَدَّ اللهُ عز وجل لأوليائه فيها ، وفُرِّغَ من كل شُغْلٍ ، ووُضِعَ عنه كل ثِقَلٍ ^(١) ، وإن كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ فُتِّحَتْ له أبوابُ النار ، وسُهِلَ له طريقُها ، ونَظَرَ إلى ما أَعَدَّ اللهُ فيها لأهلها ، واستقبل كل مكروه ، وفارق كل سرور ، قال الله تعالى : « الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ فَأَلْقَوْا السَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ بَلَى إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ فادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَلَئْسَ مَثْوًى الْمُتَكَبِّرِينَ » .

واعلموا عبادَ الله أن الموت ليس منه قُوَّةٌ ، فاحذروه وأعدُّوا له عُدَّتَهُ ، فإنكم طُرِدَإِ الموت ، إن أقمتهم أخذَكم ، وإن هَرَبْتُمْ أدرَكم ، وهو أَلْزَمُ لكم من ظِلِّكم ، مَعْقُودٌ بنَوَاصِيكم ، والدنيا تُطْوَى من خَلْفِكُمْ ، فأَكْثِرُوا ذِكْرَ الموت عند ما تُنَازِعُكم إليه أنفسُكم من الشَّهَوَاتِ ، فإنه كَفَى بالموت واعِظًا ، قال رسول الله صلى الله عليه وآله : « أَكْثَرُوا ذِكْرَ الموت فإنه هَادِمٌ اللَّذَاتِ » واعلموا عبادَ الله أن ما بعد الموت أشَدُّ من الموت لمن لم يغفر الله له وَيَرْحَمْهُ ، واحذروا القبرَ وَضَمَّتَهُ ، وَضِيقَهُ وَظُلُمَتَهُ ، فإنه الذى يتكلم كل يوم يقول : « أنا بيت التراب ، وأنا بيت الغُرْبَةِ ، وأنا بيت الدُّودِ » والقبر رَوْضَةٌ من رياض الجنة ، أو حُفْرَةٌ من حُفَرِ النَّارِ ، وأن المسلم إذا مات

(١) الثقل : الحمل الثقيل .

قالت له الأرض : مَرَحَبًا وَأَهْلًا ، قد كنتَ ممن أَحِبُّ أَنْ تَمْشِيَ عَلَى ظَهْرِي ،
فَإِذْ وَلَيْتُكَ فَسَتَعْلَمُ كَيْفَ صُنِعِي بِكَ ، فَتَتَّسِعَ لَهُ مَدَّ بَصَرِهِ ^(١) ، وَإِذَا دُفِنَ
الْكَافِرُ . قالت له الأرض : لَا مَرَحَبًا وَلَا أَهْلًا ، قد كنتَ ممن أَبْغَضُ أَنْ
تَمْشِيَ عَلَى ظَهْرِي ، فَإِذْ وَلَيْتُكَ فَسَتَعْلَمُ كَيْفَ صُنِعِي بِكَ ، فَتَنْضَمُّ عَلَيْهِ حَتَّى
تَلْتَقِيَ أَضْلَاعُهُ ، وَاعْلَمُوا أَنَّ الْمَعِيشَةَ الضَّنْكَ الَّتِي قَالَ سُبْحَانَهُ : « فَإِنَّ لَهُ
مَعِيشَةً ضَنْكًا » ^(٢) هِيَ عَذَابُ الْقَبْرِ ، وَأَنَّهُ يُسَلِّطُ عَلَى الْكَافِرِ فِي قَبْرِهِ حَيَّاتٌ
عِظَامُ تَنْهَشُ لَحْمَهُ حَتَّى يُبْعَثَ ، لَوْ أَنَّ تَيْنَانًا ^(٣) مِنْهَا نَفَخَ الْأَرْضَ مَا أَنبَتَ
الزَّرْعُ أَبَدًا .

وَاعْلَمُوا عِبَادَ اللَّهِ أَنَّ أَنْفُسَكُمْ وَأَجْسَادَكُمْ الرِّقِيقَةُ النَّاعِمَةُ الَّتِي يَكْفِيهَا الْيَسِيرُ
مِنَ الْعِقَابِ ضَعِيفَةٌ عَنْ هَذَا ، فَإِنْ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَرْحَمُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَجْسَادَكُمْ مِمَّا
لَا طَاقَةَ لَكُمْ بِهِ ، وَلَا صَبْرَ لَكُمْ عَلَيْهِ ، فَتَعْمَلُوا بِمَا أَحَبَّ اللَّهُ سُبْحَانَهُ ، وَتَتْرَكُوا
مَا كَرِهَ فافْعَلُوا ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ .

وَاعْلَمُوا عِبَادَ اللَّهِ أَنَّ مَا بَعْدَ الْقَبْرِ أَشَدُّ مِنَ الْقَبْرِ ، يَوْمَ يَشِيبُ فِيهِ الصَّغِيرُ ،
وَيَسْكُرُ فِيهِ الْكَبِيرُ ، وَتَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ ، وَاحْذَرُوا يَوْمًا
عَبُوسًا قَطَرِيْرًا ^(٤) ، كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ^(٥) ، أَمَّا إِنْ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَفَزَعَهُ
اسْتَطَارَ حَتَّى فَزَعَتْ مِنْهُ الْمَلَائِكَةُ الَّذِينَ لَيْسَتْ لَهُمْ ذُنُوبٌ ، وَالسَّبْعُ الشَّدَادُ ،
وَالْجِبَالُ الْأَوْتَادُ ، وَالْأَرْضُ الْمِهَادُ ^(٦) ، وَأُنْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ،

(١) أَى : قَدَر مَد بَصَرِهِ . (٢) الضَّنْكَ : الضِّيقُ فِي كُلِّ شَيْءٍ ، لِلذِّكْرِ وَالْأُنْثَى .

(٣) أَى حَيَّةٌ عَظِيمَةٌ . (٤) أَى شَدِيدُ الْعَبُوسِ . (٥) أَى مُنْتَفِرًا .

(٦) يُشِيرُ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى « أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا » وَإِلَى قَوْلِهِ
« وَبَدَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شَدَادًا » .

وتغيّرت ، فكانت ورْدَةً كَالْدَّهَانِ^(١) ، وكانت الجبال سَرَّابًا بعد ما كانت صُتًا صِلَابًا ، يقول الله سبحانه : « وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ » فكيف بمن يعصيه بالسَّمْعِ والبَصَرِ واللسان ، واليد ، والرجل ، والفَرْجِ ، والبطن ، إن لم يَغْفِرِ اللهُ وَيَرْحَمْ ؟ واعلموا عِبَادَ اللهِ أَنَّ ما بعد ذلك اليوم أشدُّ وأذهى : نارٌ قَعْرُهَا بعيد ، وحرُّها شديد ، وعذابُها جَدِيدٌ ، ومَقَامُهَا^(٢) حديد ، وشرابُها صَدِيدٌ ، لا يَفْتُرُ عذابُها ، ولا يموت ساكِنُها ، دار ليست لله سبحانه فيها رحمةٌ ، ولا يَسْمَعُ فيها دَعْوَةٌ ، ومع هذا رحمةُ الله التي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ لا تعجز عن العباد ، وَجَنَّةٌ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ والأَرْضِ خير لا يكون معه شرٌّ أبدًا ، وشهوة لا تنفدُ أبدًا ، وَلَذَّةٌ لا تَفْنَى أبدًا ، وَجَمْعٌ لا يَتَفَرَّقُ أبدًا ، قوم قد جاوروا الرحمن ، وقام بين أيديهم الغلمان ، بصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ فيها الفاكهة والريحان ، وأن أهل الجنة يزورون الجبَّارَ سبحانه في كل جُمعة فيكون أقربُهم منه على منابرٍ من نور ، والذين يُلُونهم على منابرٍ مِنْ ياقوت ، والذين يُلُونهم على منابرٍ مِنْ مِسْكَ ، فَيَبْهَتُهُمْ كَذَلِكَ ينظرون نور الله جَلَّ جَلَالُهُ ، وينظر الله في وجوههم ، إِذَا قُبِلَتْ سَحَابَةٌ تَغْشَاهُمْ فَمُطِرٌ عَلَيْهِمْ مِنَ النِّعْمَةِ وَاللَّذَّةِ والسُرور والبهجة ما لا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللهُ سبحانه ، ومع هذا ما هو أَفْضَلُ منه : رِضْوَانُ اللهِ الأَكْبَرِ ، أَمَا إِنَّا لَوْ لَمْ نُخَوِّفْ إِلَّا بَعْضَ مَا خُوفْنَا بِهِ لَكُنَّا مَحْقُوقِينَ أَنْ يَشْتَدَّ خَوْفُنَا مِمَّا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ، وَلَا صَبْرَ لِقَوْنَا عَلَيْهِ ، وَأَنْ

(١) أى حمراء كالوردة مذابة كالدهن ، وهو اسم لما يدهن به وجهه أدهان ودهان ، والدهان أيضا : الأديم الأحمر . (٢) المقام : جمع مقعدة ككنسة ، وهى عمود من حديد .

يشتدّ شوقنا إلى ما لا غنى لنا عنه ، ولا بدّ لنا منه ، فإن استطعتم عباد الله أن يشتدّ خوفكم من ربكم فافعلوا ، فإن العبد إنما تكون طاعته على قدر خوفه ، وإن أحسن الناس لله طاعةً أشدّهم له خوفاً .

وانظر يا محمد : صلاتك كيف تصلّيها ، فإنما أنت إمام ينبغي لك أن تُتمّها ، وأن تحفظها بالأركان ، وأن تصلّيها لوقتها ، فإنه ليس من إمام يُصلّي بقوم فيكون في صلاته وصلاتهم نقص ، إلا كان إثم ذلك عليه ، ولا ينقص من صلاتهم شيء .

واعلم أن كل شيء من عملك يتبع صلاتك ، فمن ضيع الصلاة فهو لغيرها أشدّ تضييعاً ، ووضوءك من تمام الصلاة فأت به على وجهه ، فالوضوء نصف الإيمان ، أسأل الله الذي يرى ولا يرى ، وهو بالمنظر الأعلى ، أن يجعلنا وإياك ممن يحبّه ويرضاه ، حتى يبعثنا على شكره وذِكْرِهِ وحسن عبادته وأداء حقه ، وعلى كل شيء اختاره لنا في دُنيانا وديننا ، وأولانا وأُخْرانا ، وأن يجعلنا من المتقين الذين لا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون .

فإن استطعتم يا أهل مصر أن تصدّق أقوالكم وأفعالكم ، وأن يتوافق سرُّكم وعلانيتكم ، ولا تخالف ألسنتكم قلوبكم فافعلوا ، رَحِمَكُمُ اللهُ وَعَصَمَنَا وإياكم ، وسلك بنا وبكم المَحَجَّةُ^(١) البيضاء ، وإياكم ودعوة الكذاب ابن هند ، وتأملوا واعلموا أنه لا سواهُ إمام الهدى وإمام الرّدى ، ووصى النبي ، وعدو النبي ، جعلنا الله وإياكم ممن يُحِبُّ ويرضى ، ولقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : « إني لا أخاف على أمتي مؤمناً ولا مشركاً ، أمّا

(١) المحجة : جادة الطريق .

الْمُؤْمِنُ فَيَمْنَعُهُ اللَّهُ بِإِيمَانِهِ ، وَأَمَّا الْمَشْرِكُ فَيُخْزِيهِ اللَّهُ بِشُرْكَهِ ، وَلَكِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ كُلَّ مَنَافِقِ اللِّسَانِ يَقُولُ مَا تَعْرِفُونَ ، وَيَفْعَلُ مَا تَنْكَرُونَ » .

واعلم يا محمدُ أن أفضلَ الفقهِ الوَرَعَ في دين الله ، والعمل بطاعته ، فعملك بتقوى الله في سِرِّ أمرِكَ وعَلَانِيَتِكَ ، وَأَوْصِيكَ بِسَبْعِ هُنَّ جَوَامِعُ الإِسْلَامِ :
أَخْشَ اللَّهَ وَلَا تَخْشَ النَّاسَ فِي اللَّهِ ، وَخَيْرُ الْقَوْلِ مَا صَدَّقَهُ الْعَمَلُ ، وَلَا تَقْضِ فِي أَمْرٍ وَاحِدٍ بِقَضَاءِ بَيْنَ مُخْتَلَفَيْنِ فَيَتَنَاقَضَ أَمْرُكَ ، وَتَزِيغَ عَنِ الْحَقِّ ، وَأَحِبَّ لِعَامَّةِ رَعِيَّتِكَ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ ، وَاكْرَهُ لَهُمْ مَا تَكْرَهُ لِنَفْسِكَ ، وَأَصْلِحْ أَحْوَالَ رَعِيَّتِكَ ، وَخُضْ الْغَمَرَاتِ إِلَى الْحَقِّ ، وَلَا تَخَفْ لَوْمَةَ لَائِمٍ ، وَانْصَحْ لِمَنْ اسْتَشَارَكَ ، وَاجْعَلْ نَفْسَكَ أُسْوَةً لِقَرِيبِ الْمَسَامِينِ وَبَعِيدِهِمْ ، جَعَلَ اللَّهُ خُلَّتَنَا^(١) وَوَدَّنا خَلَّةَ الْمُتَّقِينَ وَوَدَّ الْمُخْلِصِينَ ، وَجَمَعَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ فِي دَارِ الرِّضْوَانِ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ » . (شرح ابن أبي الحديد ج ٢ : ص ٢٦)

٥٠٠ - كتاب عليٍّ إلى أهل مصر

وروى ابن أبي الحديد قال :

كتب علي عليه السلام إلى أهل مصر لما بعث محمد بن أبي بكر إليهم كتاباً يخاطبهم فيه ويخاطب محمداً أيضاً فيه :

« أما بعدُ ، فَإِنِّي أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ فِي سِرِّ أَمْرِكُمْ وَعَلَانِيَتِهِ ، وَعَلَى أَى حَالٍ كُنْتُمْ عَلَيْهَا ، وَلْيَعْلَمْ الْمَرْءُ مِنْكُمْ أَنَّ الدُّنْيَا دَارُ بَلَاءٍ وَفَنَاءٍ ، وَالْآخِرَةُ دَارُ جَزَاءٍ وَبَقَاءٍ ، فَمَنْ أَسْتَطَاعَ أَنْ يُؤَثِّرَ مَا يَبْقَى عَلَى مَا يَفْنَى فَلْيَفْعَلْ ، فَإِنْ

(١) الحلة : الصداقة المختصة لا لخلل فيها .

الآخرة تَبَقَّى والدنيا تَفَنَّى ، رَزَقَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ بَصَرًا لَمَّا بَصَّرَنَا وَفَهَّمَنَا لَمَّا فَهَّمَنَا ، حَتَّى لَا تُقْصِرَ عَمَّا أَمَرْنَا ، وَلَا تَتَعَدَّى إِلَى مَا نَهَانَا .

واعلم يا محمدُ : أَنَّكَ وَإِنْ كُنْتَ محتَاجًا إِلَى نصيبِكَ مِنَ الدُّنْيَا ، إِلَّا أَنَّكَ إِلَى نصيبِكَ مِنَ الْآخِرَةِ أَحْوَجُ ، فَإِنْ عَرَضَ لَكَ أَمْرَانِ : أَحَدُهُمَا لِلْآخِرَةِ ، وَالْآخَرُ لِلدُّنْيَا ، فَابْدَأْ بِأَمْرِ الْآخِرَةِ ، وَلْتَعْظُمَ رَغْبَتُكَ فِي الْخَيْرِ ، وَلْتَحَسُنْ فِيهِ نِيَّتُكَ ، فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُعْطِي الْعَبْدَ عَلَى قَدَرِ نِيَّتِهِ ، وَإِذَا أَحَبَّ الْخَيْرَ وَأَهْلَهُ وَلَمْ يَعْمَلْهُ كَانَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ كَمَنْ عَمِلَهُ ، فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلَهُ قَالَ حِينَ رَجَعَ مِنْ تَبُوكَ ، « إِنْ بِالْمَدِينَةِ لَأَقْوَامًا : مَا سِرْتُمْ مِنْ مَسِيرٍ ، وَلَا هَبَطْتُمْ مِنْ وَادٍ إِلَّا كَانُوا مَعَكُمْ ، مَا حَبَسَهُمْ إِلَّا الْمَرَضُ ، يَقُولُ : كَانَتْ لَهُمْ نِيَّةٌ » . ثُمَّ أَعْلَمَ يَا مُحَمَّدُ أَنِّي قَدْ وَلَّيْتُكَ أَعْظَمَ أَجْنَادِي : أَهْلَ مِصْرَ ، وَوَلَّيْتُكَ مَا وَلَّيْتُكَ مِنْ أَمْرِ النَّاسِ ، فَأَنْتَ مُحَقَّقٌ أَنْ تُخَافَ فِيهِ عَلَى نَفْسِكَ ، وَتُحَذَّرَ فِيهِ عَلَى دِينِكَ ، وَلَوْ كَانَ سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ ، فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ لَا تُسْخِطَ رَبُّكَ لِرِضَا أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ فَافْعَلْ ، فَإِنَّ فِي اللَّهِ خَلْفًا مِنْ غَيْرِهِ ، وَلَيْسَ فِي شَيْءٍ خَلْفٌ مِنْهُ ، فَاشْتَدَّ عَلَى الظَّالِمِ ، وَلِنْ لِأَهْلِ الْخَيْرِ ، وَقَرِّبْهُمْ إِلَيْكَ ، وَاجْعَلْهُمْ بِطَانَتَكَ وَإِخْوَانَكَ ، وَالسَّلَامَ » . (شرح ابن أبي الحديد م ٢ : ص ٢٦)

٥٠١ - كتاب محمد بن أبي بكر إلى معاوية

وروى أن محمد بن أبي بكر لما وصل إلى مصر كتب إلى معاوية كتابا فيه : « من محمد بن أبي بكر إلى النّاعوي^(١) معاوية بن صخر : سلام على أهل

(١) أي الضال ، وصف من الفواية بالفتح.

طاعة الله ممن هو سلم لأهل ولاية الله ، أما بعد ، فإن الله بجلاله وعظمته وسلطانته وقدرته ، خلق خلقه بلا عيب منه . ولا ضعف في قوته ، ولا حاجة به إلى خلقهم ، لكنه خلقهم عبيداً ، وجعل منهم غوياً ورشيداً ، وشقيّاً وسعيداً ، ثم اختار على علم فاصطفي وانتخب منهم محمداً صلى الله عليه وسلم ، فاختصه برسالته ، واختاره لوحيه ، وأتمنه على أمره ، وبعثه رسولا ومبشراً ونذيراً مصدقاً لما بين يديه من الكتب ، ودليلاً على الشرائع ، فدعا إلى سبيل أمره بالحكمة والموعظة الحسنة فكان أوّل من أجاب وأتاب وآمن وصدق وأسلم وسلم ، أخوه وابن عمه على بن أبي طالب صدّقه بالغيب المكتوم ، وآثره على كل حميم ، ووقاه بنفسه كل هول ، وآسأه بنفسه في كل خوف ، وحارب حرّبه ، وسالم سلمه ، فلم يبرح مُبتدلاً لنفسه في ساعات الأزل^(١) ومقامات الرّوع ، حتى برّز سابقاً لا نظير له في جهاده ، ولا مُقارب له في فعله .

وقد رأيتك تُساميه ، وأنت أنت ، وهو هو السابق المبرّز في كل خير ، أول الناس إسلاماً ، وأصدق الناس نيةً ، وأفضل الناس ذُرّيّةً ، وخير الناس زوجةً ، وأفضل الناس ابن عم ، أخوه الشاري^(٢) لنفسه يوم مؤتة ، وعمه سيّد الشهداء يوم أُحد ، وأبوه الذابُّ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن

(١) الأزل : الضيق والشدة ، والرّوع : الفزع . وفي مروج الذهب « في ساعات الليل والنهار والخوف والجوع والخضوع ، حتى برّز سابقاً لا نظير له فيمن اتبعه » وبرّز : فاق على أصحابه .

(٢) شراه بشرية : اشتراه وباعه ضد ، والمراد هنا الثاني ، قال تعالى : « وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ أُتْغَاءً مَرَضَاءَ اللَّهِ » أى يبيعها ، وقال « وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ » أى باعوه ، وأخوه : هو جعفر بن أبي طالب ، قاتل يوم مؤتة حتى استشهد - انظر ص ٤٤٩ .

حَوَزه ، وأنت اللعين ابن اللعين^(١) ، لم تزل أنت وأبوك تبغيان لدين الله
 الفوائ^(٢) ، وتجهدان في إطفاء نور الله ، تجمعان على ذلك الجوع ، وتبذلان
 فيه المال ، وتؤلبان عليه القبائل ، على هذا مات أبوك وعلى ذلك خلفته ،
 والشاهد عليك بذلك من تُدني ويلجأ إليك من بقية الأحزاب ورؤساء
 النفاق والشقاق لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، والشاهد لعلّ مع فضله
 المبين وسابقته القديمة أنصاره الذين معه ، الذين ذكّرهم الله تعالى في القرآن
 ففضلهم وأثنى عليهم من المهاجرين والأنصار ، فهم معه كتاب وعصائب
 يجالدون حوله بأسيا فهم ، ويهرقون دماءهم دونه ، يرون الحق في اتباعه ،
 والشقاء^(٣) في خلافه ، فكيف يالك الويل تعدل^(٤) نفسك بعلّ وهو وارث
 رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله ووصيّه وأبؤ ولده ، وأول الناس له اتباعا ،
 وأقربهم به عهداً ، يُخبره بسرّه ، ويُطلعه^(٥) على أمره ، وأنت عدوه
 وابن عدوه .

فتمتّع في دنياك ما استطعت بباطلك ، ولْيُمِدِّدْكَ ابن العاص في
 غوايتك ، فكانّ أجلك قد انقضى ، وكيفك قد وهى ، وسوف يتبين لك
 لمن تكون العاقبة العليا ! واعلم أنك إنما تكايد ربك الذي قد أمّنت كيده ،
 وأيسّست من روجه ، وهو لك بالمرصاد ، وأنت منه في غرور ، والسلام
 على من اتبع الهدى (مروج الذهب ٢ : ٥٩ ، وشرح ابن أبي الحديد م ١ : ص ٢٨٣)

(١) جاء في مقال خاطب به الحسن بن علي عليه السلام معاوية : « وأنشدك الله يا معاوية : أتدكر
 يوما جاء أبوك على جبل أحر ، وأنت تسوقه ، وأخوك عتبة هذا يفوده ، فرآكم رسول الله صلى الله
 عليه وآله فقال : اللهم العن الراكب والفائد والسائق ؟ » انظر شرح ابن أبي الحديد م ٢ : ص ١٠٢

(٢) الفوائ : الدوام ، وفي ابن أبي الحديد « وتحالفان في ذلك القبائل » .

(٣) وفيه « يرون الفضل في اتباعه ، والشقاق والمصيان في خلافه » .

(٤) أى تسوى . (٥) وفي ابن أبي الحديد « ويشركه في أمره » .

٥٠٢ - رد معاوية على محمد بن أبي بكر

فكتب إليه معاوية :

« من معاوية بن صخر إلى الزاري^(١) على أبيه محمد بن أبي بكر : سلام
على أهل طاعة الله ،

أما بعد : فقد أتاني كتابك تذكُرُ فيه ما أُلِّه في عَظَمته وقدرته
وسلطانه ، وما أَصْنَى^(٢) به رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله مع كلام
كثير أَلَفْتَه ووضعته ، لرَأْيِكَ فيه تضعيفٌ ، ولأَيِّكَ فيه تعنيفٌ ، ذكرت
فيه فضل ابن أبي طالب ، وقديم سوابقه وقرابته من رسول الله صلى الله
عليه وسلم ، ونصرته له ، ومواساته إياه في كل هَوٍل وخوف ، فكان
احتجاجك علىَّ ونفرك بفضلك لافضلك ، فأُخِذُ رَبًّا صَرَفَ هذا
الفضلَ عنك وجعله لغيرك ، فقد كنا وأبوك معنا في حياة نبيِّنا نعرف حَقَّ
ابن أبي طالب لازماً لنا ، وفضله مبرِّزاً علينا ، فلما اختار الله لنبيه عليه الصلاة
والسلام ما عنده ، وأَتَمَّ له ما وَعَدَهُ ، وأظهر دعوته ، وأفلج^(٣) حُجَّتَهُ ،
وقبضَه الله إليه صلوات الله عليه ، كان أبوك وفاروقه أولَ من ابتزَّه حقُّه^(٤) ،
وخالفه على أمره ، على ذلك اتَّفَقا واتَّسَقا ، ثم إنهما دعَوَاهُ إلى بيعتهما فأبطأ
عنهما وتلَكَّأ عليهما ، فهَمَّأ به الهمُومَ ، وأرادا به العظيمَ ، ثم إنه بايعهما وسَلَّمَ

(١) زري عليه : عابه . . (٢) أصفاه بكنا : آثره .

(٣) أي نصرهما . (٤) أي سلبه إياه .

لهما ، وأقاما لا يُشْرِكانه في أمرهما^(١) ، ولا يُطْلِعانه على سرهما ، حتى قبضهما الله ، وانقضى أمرهما ، ثم قام ثالثهما عثمان فهدى بهديهما ، وسار بسيرتهما ، فعبته أنت وصاحبك حتى طمع فيه الأَقاصي ، من أهل المعاصي ، فطلبتما له الغوائل ، حتى بلغتما فيه مُناكما .

نَحْذِرُكَ يَا بْنَ أَبِي بَكْرٍ ، فَسْتَرِ وَبَالَ أَمْرِكَ ، وَقِسْ شَبْرَكَ بِفَتْرِكَ
تَقْصُرُ عَنْ أَنْ تُوَازِيَ أَوْ تُسَاوِيَ مَنْ يَزِنُ الْجِبَالَ حِمْلُهُ ، وَلَا تَكِلِينَ عَلَى قَسْرِ^(٢)
قَنَاتِهِ ، وَلَا يُدْرِكَ ذُو مَدْيِ^(٣) أُنَاتَهُ ، أَبُوكَ مَهْدٍ لَهُ مِهَادُهُ ، وَبَنِي مُلْكِهِ وَشَادَهُ ،
فَإِنْ يَكُ مَا نَحْنُ فِيهِ صَوَابًا فَأَبُوكَ أَوَّلُهُ ، وَإِنْ يَكُنْ جَوْرًا فَأَبُوكَ أُشُّهُ^(٤) ،
وَمِنْ شَرِّكَائِهِ ، فَبِهِدِيهِ أَخَذْنَا ، وَبِفَعْلِهِ اقْتَدَيْنَا ، وَلَوْ لَا مَا فَعَلَ أَبُوكَ مِنْ قَبْلُ
مَا خَالَفْنَا ابْنَ أَبِي طَالِبٍ ، وَلَسَلَّمْنَا إِلَيْهِ ، وَلَكِنَّا رَأَيْنَا أَبَاكَ فَعَلَ ذَلِكَ بِهِ مِنْ
قَبْلُنَا ، فَاحْتَذَيْنَا مِثَالَهُ ، وَاقْتَدَيْنَا بِفَعَالِهِ ، فَعِبْتُ أَبَاكَ بِمَا بَدَأَ لَكَ ، أَوْ دَعَى ،
وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ أَنْابَ ، وَرَجَعَ مِنْ غَوَايَتِهِ وَتَابَ .

(مروج الذهب ٢ : ٦٠ ، وشرح ابن أبي الحديد م ١ : ص ٢٨٤)

(١) أقول : وكيف يتفق هذا مع ما عرف من أن عمر رضى الله عنه كان يستشير في مهام أموره ، فيشير عليه بالرأى السديد والفكر الناضج ، من ذلك استشارته إياه حين أزمع أن يتوجه لغزو الفرس بنفسه وأشار عليه الإمام برأى حكيم حصيف - انظر نهج البلاغة ١ : ١٥٥ -
(٢) القسر : القهر والإكراه . (٣) وفي مروج الذهب « ذو مقال » .
(٤) وفيه : « فَإِنْ يَكُ مَا نَحْنُ فِيهِ صَوَابًا فَأَبُوكَ اسْتَبَدَّ بِهِ وَنَحْنُ شَرِّكَائِهِ » .

٥٠٣ - كتاب عليّ إلى الأشر

وفسدت مصر على محمد بن أبي بكر ، وبلغ عليا وثوب أهلها عليه^(١) ، وكان عليّ حين انصرف من صفين رد مالك بن الحارث الأشر على عمله بالجزيرة ، فلما انقضى أمر الحكومة كتب عليّ إلى الأشر - وهو يومئذ بنصيبين^(٢) :

« السلام عليك يا مالك ، أما بعد : فإنك ممن أسْتَظْهَر به عليّ إقامة الدين : وأَقَمَّعُ به نَخْوَةَ^(٣) الأثيم ، وأَسُدُّ به الثَّغْرَ المَخُوف ، وكنت قد وليت محمد بن أبي بكر مصر ، فخرجت عليه بها خوارجُ ، وهو غلام حَدَثُ السِّنِّ غِرٌّ ليس بذى تَجَرِبَةٍ للحرب ، ولا بمجربٍ للأشياء ، فاقْدَم عليّ لِنَظَرٍ فيما ينبغي ، واستخلفُ على عمك أهلَ الثَّقة والنصيحة من أصحابك ، والسلام » .

(١) وذلك أن محمد بن أبي بكر لم يلبث بعد توليه مصر شهراً كاملاً ، حتى بعث إلى أولئك القوم المعتزين بجزيرة - الذين كان قيس وادعهم - فقال : يا هؤلاء ، إما أن تدخلوا في طاعتنا ، وإما أن تخرجوا من بلادنا ، فبمشوا إليه : إنا لا فعل ، دعنا حتى ننظر إلّا ما نصير إليه أمورنا ؟ ولا تعجل بجزيرة ، فأبى عليهم فامتنعوا منه وأخذوا حذرهم ، فكانت وقعة صفين ، وهم لمحمد هائبون ، فلما أتاها صبر معاوية وأهل الشام إلى ، وأن علياً وأهل العراق قد رجعوا عن معاوية وأهل الشام ، وصار أمرهم إلى الحكومة ، اجتمعوا على محمد بن أبي بكر ، وأظهروا له البارزة ، فبعث إليهم الحارث بن جهمان الجعفي فقاتلهم فقتلوه ، ثم بعث إليهم رجلاً من كلب يدعى ابن مضام فقتلوه ، ثم خرج معاوية ابن حديج الكندي فدعا إلى الطلب بدم عثمان ، فأجابه ناس آخرون ، وفستت مصر على ابن أبي بكر - انظر تاريخ الطبري ٥ : ٢٣٢ و ٦ : ٥٤ - .

(٢) مدينة من بلاد الجزيرة . (٣) النخوة : الكبر والعظمة ، وقعه كنفه : قهره وذله ، والثغر : موضع الخفاة من فروج البلدان .

فأقبل إليه ، فقال له : ليس لها غيرك ، وولاه إياه ، فخرج الأشر إلى مصر ، ولكنه مات بالعريش مسموماً^(١) .

(تاريخ الطبري ٦ : ٥٤ ، وشرح ابن أبي الحديد ٢ : ص ٢٩ ، والنجوم الزاهرة ١ : ١٠٣)

٥٠٤ - كتاب عليّ إلى أهل مصر

عن مَوْلى للأشر قال : لما هلك الأشر وجدنا في ثَقَلِهِ^(٢) رسالة عليّ إلى أهل مصر :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، من عبد الله عليّ أمير المؤمنين إلى أمة المسلمين الذين غَضِبُوا الله حين عُصِيَ في أرضه^(٣) ، وَذُهِبَ بِحَقِّهِ ، فَضْرَبَ الْجَوْرُ سُرَادِقَهُ على البرِّ والفاجر ، والمقيم والظاعن ، فلا معروف يُسْتَرَّاح إليه ، ولا مُنْكَرٌ يُتَنَاهَى عنه .

(١) وذلك أن الأشر لما نهى للخروج إلى مصر ، أنت معاوية عيونه ، فأخبروه الخبر ، فعظم ذلك عليه ، وكان قد طمع في مصر ، وعلم أن الأشر إن قدمها كان أشد عليه من محمد بن أبي بكر ، وسار الأشر بجيش إلى مصر ، فبعث معاوية إلى دهقان بالعريش ، فقال له : إن الأشر قد ولى مصر ، فإن أنت كفيئته لم آخذ منك خراجاً ما بقيت ، فاحتل له بما قدرت عليه ، فلما نزل الأشر العريش ، سأل الدهقان : أي الطعام والشراب أحب إليه ؟ فقيل : العسل ، فاستقبله ، وقال : أنا رجل من أهل الحراج ، وأتاه بعلف وطعام ، حتى إذا طعم أتاه بشربة من عسل قد جعل فيها سماً ، فسقاه إياها ، فما استقرت في جوفه حتى تلف ، وبلغ ذلك معاوية فقال : إن لله جنوداً منها السبل . انظر تاريخ الطبري ٦ : ٥٤ ومروج الذهب ٢ : ٢٩ - .

(٢) الثقل : متاع المسافر . (٣) قال ابن أبي الحديد في شرحه : هذا الفصل يشكّل عليّ تأويله ، لأن أهل مصر هم الذين قتلوا عثمان ، وإذا شهد أمير المؤمنين عليه السلام أنهم غضبوا الله حين عصى في الأرض فهذه شهادة قاطعة على عثمان بالعصيان وإتيان المنكر ، ويمكن أن يقال - وإن كان متصفاً - إن الله تعالى عصى في الأرض لامن عثمان ، بل من ولاته وأمرائه وأهله ، وذهب بينهم بحق الله ، وضرب الجور سرادقه بولايتهم وأمرهم على البر والفاجر والمقيم والظاعن ، فشاع المنكر وفقد المعروف الخ .

سلام عليكم فإني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو ، أما بعد : فقد بعث إليكم عبداً من عباد الله ، لا ينال أيام الخوف ، ولا ينكل عن الأعداء ساعات الرُّوع حِذارَ الدَّوائر^(١) ، أشدَّ على الفجَّار ، من حريق النار ، وأبعد الناس من دَنَس أو عار ، وهو مالك بن الحارث أخو مَذْحِج ، فاسمعوا له وأطيعوا أمره فيما طابَقَ الحقُّ ، فإنه سيف من سيوف الله ، لا كليلِ الظُّبَّة^(٢) ولا نأبى الضَّريبة ، حَكِيمٌ في السِّلْم ، رَزِينٌ في الحَرْب ، ذُو رَأْيٍ أَصِيلٍ ، وَصَبْرٍ جَمِيلٍ ، فَإِنْ أَمَرَكم أَنْ تَنْفِرُوا فَانْفِرُوا ، وَإِنْ أَمَرَكم أَنْ تُقِيمُوا فَاقِيمُوا ، فإنه لا يُقَدِّم ، ولا يُخْجِم ، ولا يُؤَخِّر ، ولا يُقَدِّم إلا عن أمرى ، وقد آثرتكم به على نفسى لنصيحتته لكم ، وشدة شَكِيمَتِهِ^(٣) على عدوكم ، عَصَمَكُمُ اللهُ بالهدى ، وثبَّتكم على اليقين ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

(تاريخ الطبرى ٦ : ٥٥ ، ونهج البلاغة ٢ : ٤٥ ، وشرح ابن أبي الحديد ٢ : ص ٢٩ و ص ٣٠)

٥٠٥ - كتاب آخر إلى أهل مصر

وروى الشريف الرضى فى نهج البلاغة أيضاً أن عليّاً عليه السلام كتب إلى أهل مصر مع مالك الأشتر لما ولاه إمارتها :

« أما بعد ، فإن الله سبحانه بعث محمداً صلى الله عليه وآله نذيراً للعالمين ، ومُهِيمِنًا^(١) على المرسلين ، فلما مضى عليه السلام تنازعَ المسلمون

(١) نكل عنه كضرب ونصر وعلم نكولاً : نكس وجبن ، والروع : الفزع ، والدوائر : جمع دائرة وهى الهزيمة . (٢) الظُّبَّة : حد السيف ، والضريبة : ما يضرب بالسيف ، ونأبى السيف عن الضريبة : كلّ ولم يقطع ، والمعنى ولا نأبى عن الضريبة . (٣) الشكينة فى الأصل : حديدة اللجام المعترضة فى فم الفرس ، وفلان شديد الشكينة : أنف أبى لا يتقاد .

(٤) المهيمن : الشاهد ، والنبي عليه الصلاة والسلام شاهد برسالة المرسلين قبله ، قال تعالى « إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا » أى تشهد بصحة نبوة الأنبياء قبلك .

الأمر من بعده ، فوالله ما كَانَ يُلْتَقَى فِي رُوعِي^(١) ، وَلَا يَخْطُرُ بِيَالِي أَنْ الْعَرَبَ تُزْعِجَ هَذَا الْأَمْرَ مِنْ بَعْدِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عَنْ أَهْلِ بَيْتِهِ ، وَلَا أَنْهُمْ مُنْجُوهُ^(٢) عَنِّي مِنْ بَعْدِهِ ، فَمَا رَاعَنِي إِلَّا انْتِيَالُ النَّاسِ عَلَى فَلَانٍ^(٣) يَبَايَعُونَهُ فَأَمْسَكْتُ يَدِي ، حَتَّى رَأَيْتُ رَاجِعَةً النَّاسِ^(٤) قَدْ رَجَعَتْ عَنِ الْإِسْلَامِ ، يَدْعُونَ إِلَى مَحْقِ دِينِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، فَخَشِيتُ إِنْ لَمْ أَنْصُرِ الْإِسْلَامَ وَأَهْلَهُ أَنْ أَرَى فِيهِ ثُلَمًا أَوْ هَذَمًا ، تَكُونُ الْمَصِيبَةُ بِهِ عَلَى أَعْظَمَ مِنْ قَوْتِ وَلَا يَتَكَّمُ الَّتِي إِنَّمَا هِيَ مَتَاعُ أَيَّامٍ قَلِيلٍ ، يَزُولُ مِنْهَا مَا كَانَ كَمَا يَزُولُ السَّرَابُ ، أَوْ كَمَا يَتَقَشَّعُ^(٥) السَّحَابُ ، فَهَضَمْتُ فِي تِلْكَ الْأَحْدَاثِ ، حَتَّى زَاحَ^(٦) الْبَاطِلُ وَزَهَقَ ، وَاطْمَأَنَّ الدِّينُ وَتَنَهَّنَ^(٧) . وَمِنْهُ :

« إِنِّي وَاللَّهِ لَوَلَقَيْتَهُمْ وَاحِدًا ، وَهُمْ طِلَاعٌ^(٨) الْأَرْضِ كُلِّهَا ، مَا بَالَيْتُ وَلَا اسْتَوْحَشْتُ ، وَإِنِّي مِنْ ضَلَالِهِمُ الَّذِي هُمْ فِيهِ ، وَاهْدَى الَّذِي أَنَا عَلَيْهِ ، لَعَلِّي بِصِيرَةٍ مِنْ نَفْسِي ، وَيَقِينٍ مِنْ رَبِّي ، وَإِنِّي إِلَى لِقَاءِ اللَّهِ لَمُشْتَاقٌ ، وَلِحُسْنِ ثَوَابِهِ لَمُنْتَظِرٌ رَاجٍ ، وَلَكِنِّي أَسَى^(٩) أَنْ يَلِيَّ أَمْرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ سُفَهَاؤُهَا وَفُجَّارُهَا ، فَيَتَخَذُوا مَالَ اللَّهِ دُولًا^(١٠) وَعِبَادَهُ خَوَلًا ، وَالصَّالِحِينَ حَرْبًا ، وَالْفَاسِقِينَ

(١) الرُّوعُ : الْقَلْبُ . (٢) أَيْ مَبْعُودِهِ . (٣) أَيْ انْصِبَابِهِمْ عَلَى أَبِي بَكْرٍ مِنْ كُلِّ وَجْهِ .

(٤) يَعْنِي أَهْلَ الرَّدَةِ . (٥) أَيْ يَتَكَشَّفُ . (٦) زَاحَ يَزِيعُ : بَعْدَ وَذَهَبَ كَانْزَاحَ .

(٧) تَنَهَّنَ : سَكَنَ ؛ وَأَصْلُهُ السَّكْفُ ، تَقُولُ : نَهْنَهْتُ السَّجْعَ فَتَنَهَّنَ : أَيْ كَفَّ عَنْ حَرَكَتِهِ ، فَكَانَ الدِّينُ كَانَ مُتَحَرِّكًا مُضْطَرِبًا فَسَكَنَ وَكَفَّ عَنْ ذَلِكَ الْاضْطِرَابِ .

(٨) طِلَاعُ الشَّيْءِ : مَلْؤُهُ .

(٩) أَسَى يَأْسَى كَفَرَحَ : حَزَنَ . (١٠) دُولًا : جَمْعُ دَوْلَةٍ بِالضَّمِّ ، يُقَالُ : صَارَ النَّاسُ دَوْلَةً بَيْنَهُمْ : أَيْ يَتَدَاوَلُونَهُ ، يَكُونُ مَرَّةً لِهَؤُلَاءِ ، وَمَرَّةً لِهَؤُلَاءِ ، وَالْخَوْلُ : الْعِيدُ وَالْإِمَاءُ وَغَيْرُهُمْ مِنَ الْحَاشِيَةِ ، وَحَرْبًا : أَيْ أَعْدَاءَ .

حَزْبًا ، فَإِنْ مِنْهُمْ الَّذِي قَدْ شَرِبَ فِيكُمْ الْحَرَامَ ، وَجُلِدَ حَدًّا فِي الْإِسْلَامِ^(١) ،
وإن منهم من لم يُسَلِّمْ حتى رُضِخَتْ له على الإسلام الرِّضَاخُ^(٢) ، فلو لا
ذلك ما أَكْثَرْتُ تَأْلِيَكُمْ^(٣) وتَأْنِيَكُمْ ، وَجَمْعَكُمْ وتَحْرِيطَكُمْ ، وَلِتَرْكُكُمْ إِذْ
أَيَّتُمْ وَوَنَيْتُمْ .

أَلَا تَرَوْنَ إِلَى أَطْرَافِكُمْ قَدْ انْتَقِصَتْ ، وَإِلَى أَمْصَارِكُمْ قَدْ افْتُشِحَتْ ،
وإِلَى مَمَالِكِكُمْ تُرْزَى^(٤) وَإِلَى بِلَادِكُمْ تُنْزَى ؟ انْقِرُوا رَحِمَكُمُ اللَّهُ إِلَى قِتَالِ

(١) يعني الوليد بن عقبة بن أبي معيط — انظر ما قدمناه في ص ٢٩٤ —

(٢) رُخِخَ له من ماله كُنْعٌ : أعطاه ، والرضيخة : العطية المقاربة ، والجمع رضَاخٌ ، وقوله « من لم
يسلم » يصح أن يكون على حقيقته أو أن يكون معناه من لم يثبت على إسلامه ، يعني أن من أنصار
معاوية وأشياعه قوما من المؤلفة قلوبهم الذين استسلموا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وورغبتهم في الإسلام
بما أعطاهم من غنائم حنين (وكانت غزوة حنين سنة ثمان بعد فتح مكة) وكان معاوية وأبوه
أبوسفیان من المؤلفة قلوبهم الذين نالوا عطاء الرسول ، روى الطبري قال : « أعطى رسول الله صلى الله
عليه وسلم المؤلفة قلوبهم ، وكانوا أشرفا من أشرف الناس ، يتألفهم ويتألف بهم قومهم ،
فأعطى أباسفیان بن حرب مائة بعير ، وأعطى ابنه معاوية مائة بعير إلى آخر الخبر » — انظر
تاريخ الطبري ج ٣ : ص ١٣٦ ، وانظر أيضاً سيرة ابن هشام ج ٢ : ص ٣٢٠ ، وقال ابن أبي
الحديد : « فأما الذي رُخِخَتْ له على الإسلام الرضَاخُ فمعاوية . . . » .

وقال أيضاً : « وقال الراوندي : عن بقوله رُخِخَتْ لهم الرضَاخُ عمرو بن العاص ، وليس بصحيح ،
لأن عمرا لم يسلم بعد الفتح ، وأصحاب الرضَاخِ كلهم بعد الفتح صونوا على الإسلام بغنائم حنين ،
والعمري إن إسلام عمرو كان مدخولا أيضاً ، إلا أنه لم يكن عن رضيخة . . . » وقال الأستاذ الشيخ
محمد عبده في تفسيره : « قالوا إن عمرو بن العاص لم يسلم حتى طلب عطاء من النبي فلما أعطاه أسلم » وقد
عرفت ما فيه وتعقب ابن أبي الحديد الراوندي أيضاً فقال : « فأما الذي شرب الحرام فقد قال الراوندي
هو المغيرة بن شعبه ، وأخطأ فيما قال ، لأن المغيرة إنما اتهم بالزنا ولم يجد ، ولم يجز للمغيرة ذكر في
شرب الخمر ، وأيضاً فإن المغيرة لم يشهد صفين مع معاوية ولا مع علي عليه السلام ، وما للراوندي
ولهذا ؟ إنما يعرف هذا الفن أربابه اهـ » وقد ذكر في مقدمة شرحه أن الراوندي (وقد شرح
نهج البلاغة قبل ابن أبي الحديد) كان من فقهاء الإمامية ، وأنه اقتصر مدة عمره على الاشتغال
بعلم الفقه وحده . (٣) التأليب : التحريض والاغراء .

(٤) أي تقبض .

عدوكم ، ولا تتأقلوا إلى الأرض ، فتَقَرَّوا^(١) بالخسْفِ ، وتبوءوا بالذل ،
ويكون نصيبكم الأَخْسَ ، وإنَّ أخا الحرب الأرقُ ، ومن نام لم يُنمَ عنه ،
والسلام . (نهج البلاغة ٢ : ٨٦)

٥٠٦ - كتاب علي إلى محمد بن أبي بكر

ولما بلغ محمد بن أبي بكر أن عليًا قد بعث الأشر شقَّ عليه ، فكتب
عليًا إليه حين بلغه مَوْجِدَتَه لِقْدوم الأشر عليه :
« بسم الله الرحمن الرحيم : من عبد الله عليَّ أمير المؤمنين إلى محمد
ابن أبي بكر :

سلام عليك ، أما بعدُ : فقد بلغني مَوْجِدَتُكَ^(٢) من تسريحي الأشرَ
إلى عملك ، وإني لم أفعل ذلك استبطاءً لك في الجهاد ، ولا استزادة لك مني
في الجِدِّ ، ولو نَزَعْتُ ما تحت يدك من سلطانك ، لَوَلَّيْتُكَ ما هو أيسرُ عليك
مَثُونَةً ، وأعجبُ إليك منه ولايةٌ :

ألا إن الرجل الذي كنت وليَّته أمرَ مصر ، كان لنا رجلاً مناصحاً ، وعلى
عدونا شديداً ناصحاً ، فرحمه الله ، فلقد استكمل أَيْامَهُ ، ولأَقَى حِمَامَهُ^(٣) ونحن
عنه راضون ، أولاه الله رضوانه ، وضاعف له الثواب ، وأحسن له المآبَ ،

(١) يصح أن يكون « ففقرُوا » بفتح التاء والقاف أي تقيموا ، وأن يكون بضم التاء وكسر
القاف أي تعترفوا ، والخسف : الذل ، والأرق : الساهر هذا وقد أورد الشريف الرضي في نهج
البلاغة (ج ٢ : ص ٥٩ - ٨٠) عهداً مطولاً كتبه عليٌّ عليه السلام للأشر النخعي لما ولاه على
مصر وأعمالها ، وقد كتبت كلمة عن هذا العهد في كتابي « ترجمة علي بن أبي طالب » ص ١٢٨
فارجع إليه .

(٢) أي من غضبك ، والتسريح : الإرسال . (٣) الحمام : الموت .

فَأَصْحِرْ^(١) لعدوك ، وامض على بصيرتك ، وثمر لحرب من حاربك ، واذع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ، وأكثر ذكر الله ، والاستعانة به ، والخوف منه ، يكفك ما أهممك ، ويعينك على ما ولأك ، أعاننا الله وإياك على ما لا ينال إلا برحمته ، والسلام عليك » .

(نهج البلاغة ٢ : ٤٢ ، وتاريخ الطبري ٦ : ٥٥ ، وشرح ابن أبي الحديد م ٢ : ص ٣٠)

٥٠٧ - رد محمد بن أبي بكر على علي

فكتب إليه محمد بن أبي بكر جواب كتابه :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، لعبد الله علي أمير المؤمنين من محمد بن أبي بكر ، سلام عليك ، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله غيره ، أما بعد : فإني قد انتهى إلى كتاب أمير المؤمنين : وفهمته وعرفت ما فيه ، وليس أحد من الناس بأرضى مني برأي أمير المؤمنين ، ولا أجهد على عدوه ، ولا أراف بوليّه مني .

وقد خرجت فعسكرت ، وآمنت الناس ، إلا من نصب لنا حرباً ، وأظهر لنا خلافاً ، وأنا متبّع أمر أمير المؤمنين ، وحافظه ، وملتجئ إليه ، وقائم به ، والله المستعان على كل حال ، والسلام عليك » :

(تاريخ الطبري ٦ : ٥٥ ، وشرح ابن أبي الحديد م ٢ : ص ٣٠)

(١) أي كن من أمره على أمر واضح متكشف ، من أصح الرجل إذا خرج إلى الصحراء ، وفي

رواية الطبري « اصبر لعدوك » .

٥٠٨ - كتاب معاوية إلى مسلمة بن مخلد

ومعاوية بن حديج

وكتب معاوية إلى مسلمة بن مخلد الأنصاري ، وإلى معاوية بن حديج الكندي - وكانا بمصر قد خالفا عليًا كما قدمنا - :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، أما بعد : فإن الله عز وجل قد ابتعثك^(١) لأمر عظيم ، أعظم به أجرًا ، ورفع به ذكرًا ، وزينك به في المسلمين^(٢) ، طلبتما بدم الخليفة المظلوم ، وغضبتما لله إذ ترك حكم الكتاب ، وجاهدتما أهل البنى والمدوان ، فأبشروا برضوان الله ، وعاجل نصرة أولياء الله ، والمواساة لهما في الدنيا وسلطاننا ، حتى ينتهي ذلك إلى ما يرضيكما ، ونؤدّي به حقكما ، فالزم ما أمركما ، وجاهد أعدوكما ، وأدعوا المدبر إلى هداكما ، فكأن الجيش قد أطلّ عليكما ، فانتشع كل ما تكرهان ، وكان كل ما تهويان ، والسلام عليكما ، ورحمة الله » .

(تاريخ الطبري ٦ : ٧٥ ، وشرح ابن أبي الحديد ٢ : ص ٣١)

٥٠٩ - رد مسلمة بن مخلد ومعاوية بن حديج على معاوية

فكتب مسلمة عن نفسه ، وعن معاوية بن حديج :

« أما بعد : فإن هذا الأمر الذي بدّلنا^(٣) له أنفسنا ، واتّبعتنا أمر الله فيه ، أمر نرجو به ثواب ربنا ، والنصر على من خالفنا ، وتمجيل الثّمة لمن

(١) أي بعثك . (٢) وفي ابن أبي الحديد « ورفع درجتكما ومرتبكما في المسلمين » .

(٣) وفيه « فإن هذا الأمر الذي قد ندبنا له أنفسنا ، وابتغينا الله به على عدونا » .

سَعَى عَلَى إِمَامِنَا ، وَطَاطَأُ^(١) الرِّكْضَ فِي مَهَادِنَا ، وَنَحْنُ بِهَذَا الْحِيزِ مِنَ
الْأَرْضِ قَدْ نَفَيْنَا مَنْ كَانَ بِهِ مِنْ أَهْلِ الْبَغْيِ ، وَأَنْهَضْنَا مَنْ كَانَ بِهِ مِنْ أَهْلِ
الْقِسْطِ وَالْعَدْلِ .

وَقَدْ ذَكَرْتَ الْمَوَاسَاةَ فِي سُلْطَانِكَ وَدُنْيَاكَ ، وَتَالَلَّهِ إِنْ ذَلِكَ لَأَمْرٌ مَالَهُ
نَهَضُنَا ، وَلَا إِيَّاهُ أَرَدْنَا ، فَإِنْ يَجْمَعُ اللَّهُ لَنَا مَا نَطْلُبُ ، وَيُؤْتِنَا مَا تَمَنُّنَا ، فَإِنْ
الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، وَقَدْ يُؤْتِيهِمَا اللَّهُ جَمِيعًا عَالِمًا مِنْ خَلْقِهِ ، كَمَا
قَالَ فِي كِتَابِهِ - وَلَا خُلْفَ لِمَوْعُودِهِ - : « فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ
ثَوَابِ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ » .

عَجَّلْ عَلَيْنَا خَيْلَكَ وَرَجْلَكَ ، فَإِنْ عَدُونَا قَدْ كَانَ عَلَيْنَا حَرَبًا ، وَكُنَافِهِمْ
قَلِيلًا ، فَقَدْ أَصْبَحُوا لَنَا هَائِبِينَ ، وَأَصْبَحْنَا لَهُمْ مُقَرَّبِينَ^(٢) ، فَإِنْ يَأْتِنَا اللَّهُ
بِمَدَدٍ مِنْ قِبَلِكَ ، يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ ، وَحَسْبُنَا اللَّهُ
وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ، وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ .
(تاريخ الطبري ٥٧ : ١ ، والنجوم الزاهرة ١ : ١٠٨ ، وشرح ابن أبي الحديد ٢ : ص ٣١)

٥١٠ — كِتَابُ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ

فَبَعَثَ مَعَاوِيَةَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ إِلَى مِصْرَ فِي سِتَّةِ آلَافٍ ، (سَنَةِ ٣٨ هـ)
وَسَارَ عَمْرُو حَتَّى نَزَلَ أَدَانِيَّ أَرْضِ مِصْرَ ، فَاجْتَمَعَتِ الْعُمَانِيَّةُ إِلَيْهِ ، فَأَقَامَ بِهِمْ ،
وَكَتَبَ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ :

(١) طَاطَأَ فَرَسُهُ : نَحَزَهُ بِفَخْذَيْهِ وَحَرَّكَهُ لِلْعَدُوِّ ، وَرَكِضَ الدَّابَّةَ كَنَصَرَ : ضَرَبَ جَنْبَيْهَا بِرِجْلَيْهِ
وَاسْتَعْتَبَهَا لِلْعَدُوِّ ، وَفِي الطَّبْرِيِّ « فِي جِهَادِنَا » .
(٢) أَقْرَنَ لِلْأَمْرِ : أَطَافَهُ وَقَوَّى عَلَيْهِ ، وَفِي ابْنِ أَبِي الْحَدِيدِ « مُنَابِذِينَ » .

« أما بعدُ : فَتَنَحَّ عَنِّي بِدَمِكَ يَا بَنَ أَبِي بَكْرٍ ، فَإِنِّي لَا أُحِبُّ أَنْ يُصِيبَكَ
مَنِي ظُفْرٌ^(١) ، إِنْ النَّاسَ بِهَذِهِ الْبِلَادِ قَدْ اجْتَمَعُوا عَلَى خِلَافِكَ وَرَفَضُوا أَمْرَكَ ،
وَنَدِمُوا عَلَى اتِّبَاعِكَ ، فَهَمُّ مُسْلِمُوكَ^(٢) لَوْ قَدْ التَّقَتِ حَلَقَتَا الْبَطَانِ^(٣) ،
فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ ، وَالسَّلَامُ » .

(تاريخ الطبري ٦ : ٥٨ ، وتاريخ الكامل لابن الأثير ٣ : ١٤٢ ،
والنجوم الزاهرة ١ : ١٠٩ ، وشرح ابن أبي الحديد ٢ : ٣٢)

٥١١ - كتاب معاوية إلى محمد بن أبي بكر

وبعث إليه عمرو أيضاً بكتاب معاوية إليه ، وهو :

« أما بعدُ : فَإِنَّ غَيْبَ^(٤) الْبَغْيِ وَالظُّلْمَ عَظِيمُ الْوَبَالِ ، وَإِنْ سَفَكَ الدَّمُ
الْحَرَامَ لَا يَسْلَمُ صَاحِبُهُ مِنَ النَّقْمَةِ فِي الدُّنْيَا ، وَمِنَ التَّبَعَةِ الْمَوْبِقَةِ^(٥) فِي الْآخِرَةِ ،
وَإِنَّا لَا نَعْلَمُ أَحَدًا كَانَ أَعْظَمَ عَلَى عِثْمَانَ بَغْيًا ، وَلَا أَسْوَأَ لَهُ عَيْبًا ، وَلَا أَشَدَّ
عَلَيْهِ خِلَافًا مِنْكَ ، سَعَيْتَ عَلَيْهِ فِي السَّاعِينَ ، وَسَاعَدْتَ عَلَيْهِ مَعَ الْمُسَاعِدِينَ ،
وَسَفَكَتَ دَمَهُ مَعَ السَّافِكِينَ ، ثُمَّ أَنْتَ تَظُنُّ أَنَّ عِثْمَانَ نَأَمٌ ، أَوْ نَاسٍ لَكَ ،
حَتَّى تَأْتِيَ فِتْنًا مَرَّ عَلَى بِلَادِ أَنْتَ فِيهَا جَارِي ، وَجُلُّ أَهْلِهَا أَنْصَارِي ، يَرَوْنِ رَأْيِي ،
وَيَرْقُبُونِ قَوْلِي^(٦) ، وَيَسْتَصْرِخُونَنِي^(٧) عَلَيْكَ ، وَقَدْ بَعَثْتُ إِلَيْكَ قَوْمًا حَنِقًا
عَلَيْكَ ، يَسْتَسْقُونُ^(٨) دَمَكَ ، وَيَتَقَرَّبُونَ إِلَى اللَّهِ بِجِهَادِكَ ، وَقَدْ أَعْطَوْا اللَّهَ

(١) وفي النجوم الزاهرة « قلامة ظفر » وقلم الظفر : قطع ما طال منه ، والقلامة بالضم :
ماسقط منه . (٢) أسلمه : خذله . (٣) البطان : حزام القتب ، ومن أمثال العرب « التقت
حلقتا البطان » وهو مثل يضرب للأمر إذا اشتد ، كقولهم : بلغ السيل الزبي ، وجاوز الحزام الطيين
(٤) أي عاقبة . (٥) أي المهلكة . (٦) وفي ابن أبي الحديد « ويرفضون قولك »
(٧) استصرخه : استفأه .
(٨) وفي ابن أبي الحديد « يسفكون » .

عَهْدًا لِيُمَثِّلَنَّ بَكَ ، ولو لم يكن منهم^(١) إليك ما عدا قَتْلَكَ ، ما حَذَرْتُكَ ولا
أَنْذَرْتُكَ ، وَلَأَحْبَبْتُ أَنْ يَقْتُلُوكَ بِظُلْمِكَ وَقَطِيعَتِكَ وَعَدْوِكَ عَلَى عَثْمَانَ ، يَوْمَ
يُطْعَنُ بِمَشَاقِصِكَ^(٢) بَيْنَ خُشْشَانِهِ وَأَوْدَاجِهِ ، وَلَكِنْ أَكْرَهُ أَنْ أُمَثِّلَ بِقَرَشِيٍّ ،
وَلَنْ يُسَلِّمَكَ اللَّهُ مِنَ الْقِصَاصِ أَبَدًا أَيُّمَا كُنْتُ ، وَالسَّلَامُ .

(تاريخ الطبري ٦ : ٥٨ ، والنجوم الزاهرة ١ : ١٠٩ ، وشرح ابن الحديد ٢ : ص ٣٢)

٥١٢ - كتاب محمد بن أبي بكر إلى علي

فَطَوَى مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ كِتَابَيْهِمَا ، وَبَعَثَ بِهِمَا إِلَى عَلِيٍّ ، وَكُتِبَ مَعَهُمَا :
« أَمَا بَعْدَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ : فَإِنَّ ابْنَ الْعَاصِ نَزَلَ أَدَانِي أَرْضَ مِصْرَ ،
وَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ مِنْ أَهْلِ الْبَلَدِ مَنْ كَانَ يَرَى رَأْيَهُمْ ، وَقَدْ جَاءَ فِي جَيْشٍ لِحَبِّ^(٣)
جَرَّارٍ^(٤) ، وَقَدْ رَأَيْتُ مِمَّنْ قَبَّلَى بَعْضَ الْفُشَلِّ ، فَإِنْ كَانَ لَكَ فِي أَرْضِ مِصْرَ
حَاجَةٌ ، فَأَمِدَّنِي بِالرِّجَالِ وَالْأَمْوَالِ ، وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ :
(تاريخ الطبري ٦ : ٥٨ ، وشرح ابن الحديد ٢ : ص ٣٢)

(١) وفي ابن أبي الحديد : « ولو لم يكن منهم إليك ما قالوا لقتلك الله بأيديهم أو بأيدي غيرهم من
أوليائه ، وأنا أحذرك وأنذرك فإن الله مقيد منك ومقتص لوليه وخليفته ، بظلمك له وبغيتك عليه ،
ووقعتك فيه ، وعدوانك يوم الدار عليه ، تطعن بمشاقصك فيما بين أحشائه وأوداجه ، ومع هذا فإني
أكره قتلك ، ولا أحب أن أتولى ذلك منك ، ولن يسلمك الله من النعمة أين كنت أبدا ، فتنب
وانج بنفسك والسلام . »

(٢) المشاقص : جمع مشقص كبير : وهو نصل عريض أوسهم فيه ذلك ، والحششاء : العظم الدقيق
الغاري من الشعر الناقئ خلف الأذن ، والأوداج : جمع ودج بالتحريك : وهو عرق في العنق .

(٣) جيش لحب : ذو لحب ، واللجب بالتحريك : الجلبة والصياح .

(٤) وفي الطبري « خراب » بضم الخاء وتشديد الراء ، وهو تحريف ، والخراب : جمع خارب :
وهو اللص .

٥١٣ - رد عليّ عليّ محمد بن أبي بكر

فكتب إليه عليّ :

« أما بعد : فقد جاءني كتابك تذكر أن ابن العاص قد نزل أداني أرض مصر في لجب من جيشه جرّار ، وأن من كان بها على مثل رأيه قد خرج إليه ، وخروج من يرى رأيه إليه خير لك من إقامتهم عندك ، وذكرت أنك قد رأيت في بعض من قبلك فشلاً ، فلا تفشل وإن فشِلوا ، حصّن قريتك ، وأضمم إليك شيعتك ، وأذك^(١) الحرس في عسكرك ، واندب إلى القوم كنانة بن بشر المعروف بالنصيحة والنجدة^(٢) والبأس ، فإنني نادب إليك الناس على الصّعب والدّلّول ، فاصبر لعدوك ، وامض على بصيرتك ، وقتلهم على نيّتك ، وجاهدهم صابراً محتسباً ، وإن كانت فتّك أقلّ الفتتين ، فإن الله قد يُعزّز القليل ، ويخذل الكثير .

وقد قرأت كتاب الفاجر ابن الفاجر معاوية ، والفاجر ابن الكافر عمرو ، المتجانبين في عمل المعصية ، والمتوافقين المرتشيين في الحكومة ، المنكرين في الدنيا^(٣) ، قد استمتعوا بخلاقهم^(٤) كما استمتع الذين من قبلهم بخلاقهم ، فلا يهلك إرعاذهما وإبراقهما ، وأجبهما إن كنت لم تُجبهما بما هما أهلّه ، فإنك تجد مقالاً ما شئت والسلام .

(تاريخ الطبري ٦ : ٥٨ ، وشرح ابن أبي الحديد م ٢ : ص ٣٢)

(١) أي بث ، وأرسل . (٢) وفي ابن أبي الحديد « والتجربة » .

(٣) وفي ابن أبي الحديد « والمنكرين على أهل الدين » : (٤) أي تمتعوا بنصيبهم من الدنيا

٥١٤ - رد محمد بن أبي بكر على معاوية

فكتب محمد بن أبي بكر إلى معاوية جواب كتابه :

« أما بعد : فقد أتاني كتابك تذكّرني من أمر عثمان أمراً لا أعتذر إليك منه ، وتأمرني بالتّجّي عنك ، كأنك لي ناصح ، وتُخوِّفني المُثْلَة ، كأنك عليّ شفيق ، وأنا أرجو أن تكون لي الدائرة عليكم ، فأجتأحكم^(١) في الوقعة ، وإن ثوّثوا النصرَ ويكن لكم الأمر في الدنيا ، فكم لعمري من ظالم قد نصرتم ، وكم من مؤمن قد قتلتم ومثلتم به ، وإلى الله مصيركم ومصيرهم ، وإلى الله مرّد الأمور وهو أرحم الراحمين ، والله المستعان على ما تصفون ، والسلام » .

(تاريخ الطبري ٦ : ٥٨ ، وشرح ابن أبي الحديد م ٢ ص ٢٢)

٥١٥ - رد محمد بن أبي بكر على عمرو بن العاص

وكتب محمد إلى عمرو بن العاص جواب كتابه :

« أما بعد : فقد فهمتُ ما ذكرت في كتابك يا ابن العاص ، زعمت أنك تكره أن يُصيّبني منك ظفر ، فأشهد بالله إنك لمن المُبْطِلين ، وترعم أنك لي نصيح ، وأقسم إنك عندي ظنّين^(٢) ، وترعم أن أهل البلد قد رَفَضُوا رأيي وأمرى وندموا على اتباعي ، فأولئك لك وللشيطان الرجيم أولياء ، فَحَسْبُنَا اللهُ رب العالمين ، وتوكّلنا على الله العزيز الرحيم ، رب العرش العظيم ، والسلام » .

(١) اجتأحه : أهلكه واستأصله ، وفي ابن أبي الحديد : « وأن يهلككم الله في الوقعة ، وأن ينزل بكم الذل ، وأن تولوا الدبر » . (٢) أي متهم .

ثم نَشِبَ القتال بين الفريقين ، ودارت الدائرة على جيش محمد بن أبي بكر ، وأسلمه أصحابه وتفرقوا عنه حين بلّغهم قتل كِنانة بن بشر ، حتى بقي محمد وما معه أحد منهم ، فلما رأى ذلك خرج يمشى في الطريق ، حتى انتهى إلى خربة فأوى إليها ، وخرج معاوية بن حُذَيْج في طلبه حتى اهتدى إليه فاستخرجه وقتله ، ثم ألقاه في جيفة حمار ، ثم أحرقه بالنار .
(تاريخ الطبري ٦ : ٥٩ ، وشرح ابن أبي الحديد م ٢ : ص ٣٢)

٥١٦ - كتاب عمرو بن العاص إلى معاوية

وكتب عمرو بن العاص إلى معاوية :
« أما بعد : فإننا لقينا محمد بن أبي بكر ، وكِنانة بن بشر في جموع جمة من أهل مصر ، فدعوناهم إلى الهدى والسنة وحكم الكتاب ، فرفضوا الحق وتورّكوا^(١) في الضلال ، فجاهدناهم واستنصرنا الله عليهم ، فضرب الله أوجوههم وأدبارهم ، ومنَحُونَا أكتافهم ، فقتل الله محمد بن أبي بكر وكِنانة بن بشر وأمائل القوم ، والحمد لله رب العالمين ، والسلام عليك . »
(تاريخ الطبري ٦ : ٦٠ ، وشرح ابن أبي الحديد م ٢ : ص ٣٤)

٥١٧ - كتاب عليّ إلى ابن عباس

وكتب عليّ عليه السلام : إلى عبد الله بن عباس - وهو بالبصرة - بعد مقتل محمد بن أبي بكر بمصر :

(٣) تورك : اعتمد على وركه ، وتورك على الدابة : نثى رجله ووضع إحدى وركيه في البرج ليستريح ، والمعنى تمادوا في الضلال واسترسلوا فيه .

« بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، من عبد الله على أمير المؤمنين إلى عبد الله ابن عباس ، سلام عليك ، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو ، أما بعد : فإن مصر قد افتُتحت ، ومحمد بن أبي بكر رحمه الله قد استشهد ، فعند الله نَحْتَسِبُهُ وَنَدَّخِرُهُ وَلَدًا^(١) ناصحاً ، وعاملاً كادِحاً وسيفاً قاطعاً ، ورُكناً دافعاً ، وقد كنتُ حَثَّيْتُ الناسَ على لحاقه ، وأمرتُهم بغيائِهِ قبل الوقعة ، ودعوتُهم سِرّاً وجَهْراً ، وعوداً وبدءاً ، فمنهم الآتي كارهاً ، ومنهم المعتلُّ كاذباً ، ومنهم القاعدُ خاذلاً ، أسأل الله أن يجعل لي منهم فَرَجاً ومُخْرَجاً ، وأن يُريحني منهم عاجلاً ، فوالله لو لا طَمَعِي عند لقائِي عدوِّي في الشهادة ، وتَوَطُّي نَفْسِي على المنيّة ، لَأَحْبَبْتُ أَنْ لَا أَبْقَى مع هؤلاء يوماً واحداً ، وَلَا أَلْتَقِيَ بِهِمْ أبداً ، عَزَمَ اللَّهُ لَنَا وَلَكَ عَلَى الرُّشْدِ ، وَعَلَى تَقْوَاهُ وَهَدَاهُ ، إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قديرٌ ، والسلام . »

(نهج البلاغة ٢ : ٤٣ ، وتاريخ الطبري ٦ : ٦٣ ، وشرح ابن أبي الحديد ٢ : ص ٣٥)

٥٦٨ - رد ابن عباس على عليّ

فكتب إليه ابن عباس :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، لعبد الله علي بن أبي طالب أمير المؤمنين من عبد الله بن عباس ، سلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته ، أما بعد : فقد بلغني كتابك تذكر فيه أفتتاح مصر ، وهلاك محمد بن أبي بكر ، فالله

(١) احتسب فلان ابناً : إذا مات كبيراً ، فإن مات صغيراً قيل : افتطره ، وسماه ولداً لأنه كان ربيبه - انظر ما قدمناه في ص ٥٣٢ ، وكذبح كنع : سمي وكذ .

المستعانُ على كل حال ، وَرَجِمَ اللهُ مُحَمَّدَ بْنَ أَبِي بَكْرٍ ، وَأَجْرَكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ،
وقد سألتَ اللهُ أن يجعل لك من رِعِيَّتِكَ التي أُبْتُلِيتَ بها فَرَجًا وَمُخْرَجًا ،
وَأَنَا أَسْأَلُ اللهُ أن يُعَلِّيَ كَلِمَتِكَ ، وأن يُعِزَّكَ بِالْمَلَائِكَةِ عَاجِلًا بِالنُّصْرَةِ ، واعلم
أن الله صانعٌ لك ، ومُعِزُّكَ . ومُجِيبُ دَعْوَتِكَ ، وكَايِبُ^(١) ، عدوك .

وأخبرك يا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أن الناس ربما تَشَاقَلُوا ثم يَنْشَطُونَ ، فَارْفُقْ
بِهِمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَدَاجِنِهِمْ^(٢) وَمَنْهُمْ ، وَأَسْتَعِزْ بِاللَّهِ عَلَيْهِمْ ، كِفَاكَ اللهُ
أَلَّهُمْ^(٣) ، وَالسَّلَامُ » .

(تاريخ الطبري ٦ : ٦٣ ، وشرح ابن أبي الحديد م ٢ : ص ٣٥)

٥١٩ — كتاب عليّ إلى أهل العراق

ودخل عليّ عليّ عليه السلام بعض أهل العراق ، فسألوه عن أبي بكر
وَعُمَرَ ، وَقَالُوا : بَيْنَ لَنَا قَوْلُكَ فِيهِمَا ، وَفِي عُمَانَ ، فَقَالَ لَهُمْ : أَوْ قَدْ تَفَرَّغْتُمْ
لِهَذَا ، وَهَذِهِ مِصْرٌ قَدْ افْتُتِحَتْ ، وَشِيعَتِي فِيهَا قَدْ قَتَلْتُ ؟ إِنْ مَخْرَجَ إِلَيْكُمْ كِتَابًا
أُنْبِئْكُمْ فِيهِ مَا سَأَلْتُمُونِي عَنْهُ ، فَاقْرَءُوهُ عَلَى شِيعَتِي ، فَأَخْرَجَ إِلَيْهِمْ كِتَابًا فِيهِ^(٤) :
« أَمَّا بَعْدُ : فَإِنَّ اللَّهَ بَعَثَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَذِيرًا لِلْعَالَمِينَ ، وَأَمِينًا
عَلَى التَّنْزِيلِ ، وَشَهِيدًا عَلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ ، وَأَنْتُمْ مَعَاشِرَ الْعَرَبِ يَوْمَئِذٍ عَلَى شَرٍّ

(١) كَبْتُهُ كَضْرِبِهِ : صَرَعَهُ وَأَخْزَاهُ وَكَسَرَهُ وَأَذَلَهُ . (٢) دَاجِنُهُ : دَاهَنُهُ ، وَفِي ابْنِ أَبِي
الْحَدِيدِ « وَدَارَمٌ » . (٣) وَفِيهِ « كِفَاكَ اللهُ أَلَّهُمْ » .

(٤) هَكَذَا رَوَى ابْنُ قَتِيبَةَ فِي الْإِمَامَةِ وَالسِّيَاسَةِ ، وَمَنْهُ تَرَى أَنَّهُ كِتَابٌ ، وَرَوَى ابْنُ أَبِي الْحَدِيدِ
قَالَ : « خُطِبَ عَلَى عَلَيْهِ السَّلَامِ بَعْدَ فَتْحِ مِصْرَ وَقَتْلِ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ فَقَالَ . . . » وَمَنْهُ تَرَى أَنَّهُ
خُطْبَةٌ — هَذَا وَلِتَنْبَهَ إِلَى أَنَّهُ يَحْتَوِي عَلَى جُلِّ الْكِتَابِ الَّذِي أَوْرَدَهُ الشَّرِيفُ الرُّضَى فِي نَهْجِ الْبَلَاغَةِ ،
وَذَكَرَ أَنَّ عَلِيًّا كَتَبَهُ إِلَى أَهْلِ مِصْرَ مَعَ الْأَشْتَرِ ، وَقَدْ قَدَمْنَاهُ فِي ص ٥٣٣ .

دِين ، وَفِي شَرِّ دَارٍ ، مُنِيخُونَ عَلَى حِجَارَةٍ خَشِنَةٍ صُمٌ^(١) ، وَشَوْكٌ مَبْثُوثٌ فِي
الْبِلَادِ ، تَشْرَبُونَ الْمَاءَ الْخَبِيثَ ، وَتَأْكُلُونَ الطَّعَامَ الْخَبِيثَ ، تَسْفِكُونَ
دِمَاءَكُمْ ، وَتَقْتُلُونَ أَوْلَادَكُمْ ، وَتَقْطَعُونَ أَرْحَامَكُمْ ، وَتَأْكُلُونَ أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ
بِالْبَاطِلِ ، سُبُلَكُمْ خَائِفَةٌ ، وَالْأَصْنَامُ فِيكُمْ مَنْصُوبَةٌ ، وَلَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ
إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ ، فَمَنْ أَلَّهِ عِزٌّ وَجَلٌّ عَلَيْكُمْ بِمَحْمُودِهِ فَبِعِزَّتِهِ إِلَيْكُمْ رَسُولًا مِنْ
أَنْفُسِكُمْ تَعْرِفُونَ وَجْهَهُ وَنَسَبَهُ ، فَعَلَّامُ الْكِتَابِ ، وَالْحَكِيمُ ، وَالْفَر_ائِضُ ،
وَالسَّيْنُ ، وَأَمْرَكُمْ بِصِلَةِ أَرْحَامِكُمْ ، وَحَقِّقْ دِمَائَكُمْ ، وَإِصْلَاحَ ذَاتِ بَيْنِكُمْ ، وَأَنْ
تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا ، وَأَنْ تُؤَفَّقُوا بِالْعَهْدِ ، وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ
تَوْكِيدِهَا ، وَأَنْ تَعَاطَفُوا ، وَتَبَارَكُوا ، وَتَبَادَلُوا ، وَتَرَاحَمُوا ، وَنَهَاكُمْ عَنِ التَّنَاهُبِ
وَالْتِظَالِمِ ، وَالتَّحَاسُدِ ، وَالتَّبَاغِيِ ، وَالتَّقَاضِفِ ، وَعَنِ شَرْبِ الْخَمْرِ ، وَعَنِ بَخْسِ
الْمِكْيَالِ ، وَتَقْصِ الْمِيزَانَ ، وَتَقَدِّمَ إِلَيْكُمْ فِيمَا أُنْزِلَ عَلَيْكُمْ أَنْ لَا تَرْزُوا ، وَلَا
تُرْزَوْا ، وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا ، وَلَا تَعْمَلُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ، وَلَا
تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ، فَكُلُّ خَيْرٍ يُدْنِي إِلَى الْجَنَّةِ وَيُبَاعِدُ عَنِ النَّارِ
أَمْرٌ بِهِ ، وَكُلُّ شَرٍّ يُدْنِي إِلَى النَّارِ ، وَيُبَاعِدُ عَنِ الْجَنَّةِ نَهَاكُمْ عَنْهُ .

فَلَمَّا اسْتَكْمَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُدَّتَهُ مِنَ الدُّنْيَا ، تَوَفَّاهُ اللَّهُ ،
وَهُوَ مَشْكُورٌ سَعْيِهِ ، مَرْضِيٌّ لِعَمَلِهِ ، مَغْفُورٌ لَهُ ذَنْبُهُ ، شَرِيفٌ عِنْدَ اللَّهِ تَرْؤُهُ ،
فِيهَا مُصِيبَةٌ خَصَّتِ الْأَقْرَبِينَ ، وَعَمَّتِ الْمُسْلِمِينَ ، مَا أَصِيبُوا قَبْلَهَا بِمِثْلِهَا ،
وَلَنْ يَعاينوا بَعْدَهَا أَخْتَهَا ، فَلَمَّا مَضَى لِسَبِيلِهِ تَنَازَعَ الْمُسْلِمُونَ الْأَمْرَ بَعْدَهُ ،
فَوَاللَّهِ مَا كَانَ يُلْقَى فِي رُوعِي ، وَلَا يَخْطُرُ عَلَى بَالِي أَنْ الْعَرَبَ تَعْدِلَ هَذَا
الْأَمْرَ بَعْدَ مُحَمَّدٍ عَنْ أَهْلِ بَيْتِهِ ، وَلَا أَنَّهُمْ مُنْخَوِّهُ عَنِّي مِنْ بَعْدِهِ ، فَمَا رَأَعَنِي إِلَّا

(١) فِي الْأَصْلِ (ابْنُ أَبِي الْحَدِيدِ) « وَحِيقَ صَمٌ » وَالْكَلِمَةُ الْأُولَى مُحَرَفَةٌ ، وَلَعَلَّهَا « جِبَالٌ » أَوْ
« صَخُورٌ » وَصَمٌ جَمْعُ أَصَمٍ وَصَاءٌ ، حَجَرٌ أَصَمٌ : أَيُّ صَلْبٌ مَصْبَتٌ ، وَصَخْرَةٌ صَاءٌ .

أُنْثِيَالُ النَّاسِ عَلَى أَبِي بَكْرٍ ، وَإِجْفَالُهُمْ^(١) إِلَيْهِ لِيُبَايِعُوهُ ، فَأَمْسَكَتُ يَدِي ، وَرَأَيْتُ أَنِّي أَحَقُّ بِمَقَامِ مُحَمَّدٍ فِي النَّاسِ مِمَّنْ تَوَلَّى الْأَمْرَ مِنْ بَعْدِهِ ، فَلَبِثْتُ بِذَلِكَ مَا شَاءَ اللَّهُ حَتَّى رَأَيْتُ رَاجِعَةً مِنَ النَّاسِ رَجَعَتْ عَنِ الْإِسْلَامِ يَدْعُونَ إِلَى مَحْقِ دِينِ اللَّهِ ، وَمِلَّةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَخَشِيتُ إِنْ لَمْ أَنْصُرِ الْإِسْلَامَ وَأَهْلَهُ أَنْ أَرَى فِيهِ تَلَمَّأًا وَهَدْمًا ، يَكُونُ الْمَصَابُ بِهِمَا عَلَى أَعْظَمِ مِنْ قَوَاتِ وَلَايَةِ أُمُورِكُمْ ، الَّتِي إِنَّمَا هِيَ مَتَاعُ أَيَّامٍ قَلِيلٍ ، ثُمَّ يَزُولُ مَا كَانَ مِنْهَا كَمَا يَزُولُ السَّرَابُ ، وَكَمَا يَتَقَشَّعُ السَّحَابُ ، فَخَشِيتُ عِنْدَ ذَلِكَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ فَبَايَعْتَهُ ، وَنَهَضْتُ مَعَهُ فِي تِلْكَ الْأَحْدَاثِ حَتَّى زَاغَ الْبَاطِلُ وَزَهَقَ ، وَكَانَتْ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا ، وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ .

فَتَوَلَّى أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ تِلْكَ الْأُمُورَ ، فَيَسَّرَ ، وَسَدَّدَ ، وَقَارَبَ ، وَأَقْتَصَدَ ، وَصَحَّبَتْهُ مَنَاصِحًا ، وَأَطَعَتْهُ فِيمَا أَطَاعَ اللَّهُ فِيهِ جَاهِدًا ، وَمَا طَمِعْتُ أَنْ لَوْ حَدَّثَ بِهِ حَدَثٌ ، وَأَنَا حَيٌّ ، أَنْ يُرَدَّ إِلَيَّ الْأَمْرَ الَّذِي نَازَعْتُهُ فِيهِ طَمَعٌ مُسْتَيْقِنٌ ، وَلَا يَثْبُتُ مِنْهُ يَأْسٌ مَنْ لَا يَرْجُوهُ ، وَلَوْ لَا خَاصَّةٌ مَا كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ عَمْرِى لَظَنَنْتُ أَنَّهُ لَا يَدْفَعُهَا عَنِي

فَلَمَّا أُخْتُضِرَ بَيْتُ إِلَى عَمْرِى ، فَوَلَّاهُ ، فَسَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ، وَبَايَعْنَا وَنَاصَحْنَا ، وَتَوَلَّى عَمْرُ بْنُ الْأَمِيرِ ، فَكَانَ مَرْضَى السَّيْرَةِ ، مَيِّمُونَ النَّقِيبَةِ^(٢) أَيَّامَ حَيَاتِهِ ، حَتَّى إِذَا أُخْتُضِرَ قُلْتُ فِي نَفْسِي : لَنْ يَبْعُدَ هَلْ عَنِّي ، لَيْسَ يُدَافَعُنِي عَنْهَا ، فَجَعَلَهَا عَمْرُ شَوْرَى ، وَجَعَلَنِي نَادِمًا مِنْ سِنَّةٍ ، فَمَا كَانُوا لِلْوَلَايَةِ أَحْدِثُ قَوْمًا أَشَدَّ كِرَاهَةً لَوَلَايَتِي عَلَيْهِمْ ، لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَسْمَعُونَنِي عِنْدَ وَفَاةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

(١) الانثيال : الانصباء ، والإجفال : الإسراع . (٢) النقيب : النقيب والطبيعة .

وأنا أحاجُّ أبا بكر فأقول : يا معشر قريش ، إنا أهل البيت أحقُّ بهذا الأمر منكم ، ما كان فينا من يقرأ القرآن ، ويعرف السُّنة ، ويدين بدين الحق ، نخشى القوم إن أنا وليتُ عليهم أن لا يكون لهم في هذا الأمر نصيبٌ ما بقوا ، فأجمعوا إجماعاً واحداً ، فصَرَفُوا الْوِلايَةَ عَنِّي إِلَى عَثْمَانَ ، وأخرجوني منها ، رجاء أن ينالوها ويتداولوها ، إذ يُسَوِّا أن ينالوها من قبلي ، ثم قالوا لي : هلمَّ فبايع عثمَانَ وإِلَّا جَاهَدْنَاكَ ، فبايعت مُسْتَكْرِهاً^(١) ، وصَبَرْتُ مُحْتَسِباً ، فقال قائلهم : إنك يا ابن أبي طالب على هذا الأمر حَرِيصٌ ، فقلت لهم : أنتم أحرص مني وأبعد ، أينما أحرصُ ، أنا الذي طلبت ميراث ابن أبي وحق الذي جعلني الله ورسوله أَوْلَى به ، أم أنتم إذ تضربون وجهي دونه ، وتحوّلون بيني وبينه ؟ فَبَيَّتُوا ، وَاللَّهِ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَعْدِيكَ^(٢) عَلَى قَرِيشٍ ، فَإِنَّهُمْ قَطَعُوا رَحِمِي ، وَأَضَاعُونِي ، وَصَغَّرُوا عَظِيمَ مَنْزِلَتِي وَفَضْلِي ، واجتمعوا على منازعتي حقاً كنت أَوْلَى به منهم فسلبُونِيهِ ، ثم قالوا : أَلَا إِنْ فِي الْحَقِّ أَنْ تَأْخُذَهُ ، وَفِي الْحَقِّ أَنْ تُنْمِعَهُ ، فَاصْبِرْ كَمِدّاً ، أَوْ مِتْ أَسِيفاً حَنِيقاً^(٣) ، فنظرت فإذا ليس معي رافدٌ^(٤) ، وَلَا ذَابٌ ، وَلَا نَاصِرٌ ، وَلَا مُسَاعِدٌ إِلَّا أَهْلُ بَيْتِي ، فَضَنَنْتُ بِهِمْ عَنِ الْمَنِيَّةِ ، فَأَغْضَيْتُ عَيْنِي عَلَى الْقَذَى^(٥) ، وَتَجَرَّعْتُ رِيْقِي عَلَى الشَّجَى ، وصبرت من كَظَمِ الْغَيْظِ عَلَى

(١) يقال : امرأة مستكرهة بكسر الراء : أى غضبت نفسها (بالبناء المجهول) فأكرهت على ذلك . (٢) استعداه : استمانه واستنصره . (٣) الحنق بالتحريك : شدة الاغتياب ، حنق عليه كفرح فهو حنق كفرح وحنق ، وفي ابن أبي الحديد « حقيقاً » وهو تحريف . (٤) الرافد : الواصل ، من الرشد بالكسر وهو الصلة ، والذاب : الدافع . (٥) القذى : ما يقع في العين وفي الشراب ، والشجى : ما اعتراض في الحلق من عظم ونحوه .

أَمَرَ مِنَ الْعَلَقَمِ طَعْمًا ، وَآلَمَ لِلْقَلْبِ مِنْ حَزِّ الشُّفَارِ ^(١) ، حَتَّى إِذَا نَقِمْتُمْ عَلَى عُمَانَ أَتَيْتُمُوهُ فَقَتَلْتُمُوهُ ، ثُمَّ جِئْتُمُونِي لِتَبَايَعُونِي فَأَيْتُ عَلَيْكُمْ وَأَيْتَمْتُ عَلَى ، وَأَمْسَكْتُ يَدِي فَنَازَعْتُمُونِي وَدَافَعْتُمُونِي وَبَسَطْتُمْ يَدِي فَكَفَفْتُهَا ، وَهَدَدْتُمُوهَا فَقَبَضْتُهَا ، وَازْدَحَمْتُمْ عَلَى حَتَّى ظَنَنْتُ أَنْ بَعْضَكُمْ قَاتِلُ بَعْضٍ ، أَوْ أَنْكُمْ قَاتِلِي ، فَقُلْتُ : بَايِعْنَا ، لَا نَجِدُ غَيْرَكَ وَلَا نَرْضَى إِلَّا بِكَ ، بَايِعْنَا لَا نَفْتَرِقُ وَلَا تَخْتَلِفُ كَلِمَتُنَا ، فَبَايَعْتُمْ ، وَدَعَوْتُمُ النَّاسَ إِلَى يَبْعَتِي ، فَمَنْ بَايَعَ طَوْعًا قَبِلْتُهُ ، وَمَنْ أَبَى لَمْ أَكْرِهْهُ وَتَرَكْتُهُ ، فَأُولَ مِنْ بَايَعَنِي طَلْحَةَ وَالزَّيْبِرَ ، وَلَوْ أَبَيَا مَا أَكْرَهْتُهُمَا كَمَا لَمْ أَكْرَهْ غَيْرَهُمَا ، فَمَالَبْنَا إِلَّا يَسِيرًا حَتَّى بَلَّغْنِي أَنَّهُمَا قَدْ خَرَجَا مِنْ مَكَّةَ مُتَوَجِّهَيْنِ إِلَى الْبَصْرَةِ ، فِي جَيْشٍ مَا مِنْهُمْ رَجُلٌ إِلَّا وَقَدْ أَعْطَانِي الطَّاعَةَ ، وَسَمَّحَ لِي بِالْبَيْعَةِ ، فَقَدِمَا عَلَى عَامِلِي وَخُزَّانِ بَيْتِ مَالِي ، وَعَلَى أَهْلِ مِصْرَ الَّذِينَ كُلُّهُمْ عَلَى يَبْعَتِي وَفِي طَاعَتِي ، فَشَتَّتُوا كَلِمَتَهُمْ ، وَأَفْسَدُوا عَلَى جَمَاعَتِهِمْ ، ثُمَّ وَثَبُوا عَلَى شِيعَتِي ، فَقَتَلُوا طَائِفَةً مِنْهُمْ غَدْرًا ، وَطَائِفَةً صَبْرًا ^(٢) ، وَمِنْهُمْ طَائِفَةٌ غَضِبُوا لِلَّهِ وَلِي ، فَشَهَرُوا سِوْفَهُمْ وَضَرَبُوا بِهَا ، حَتَّى لَقُوا اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ صَابِرِينَ مُحْتَسِبِينَ ، فَوَاللَّهِ لَوْلَمْ يُصِيبُوا مِنْهُمْ إِلَّا رَجُلًا وَاحِدًا مُتَعَمِّدِينَ لِقَتْلِهِ ، لَحَلَّ لِي بِذَلِكَ قَتْلُ الْجَيْشِ بِأَسْرِهِ ، فَدَعَّ مَا أَنْتَهُمْ قَدْ قَتَلُوا مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَكْثَرَ مِنَ الْعِدَّةِ الَّتِي دَخَلُوا بِهَا عَلَيْهِمْ ، وَقَدْ أَدَالَ ^(٣) اللَّهُ مِنْهُمْ ، فَبُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ .

ثُمَّ إِنِّي نَظَرْتُ فِي أَمْرِ أَهْلِ الشَّأْمِ ، فَإِذَا هُمْ أَعْرَابٌ وَأَحْزَابٌ ، وَأَهْلٌ

(١) الشُّفَارُ : جَمْعُ شَفْرَةٍ بِالْفَتْحِ ، وَهِيَ السَّكِينُ الْعَظِيمُ .

(٢) صَبْرُ الْإِنْسَانِ عَلَى الْقَتْلِ : أَنْ يَحْبِسَ وَيَرْمِي حَتَّى يَمُوتَ . (٣) أَيُّ نَصَرْنَا عَلَيْهِمْ .

طمع جُفَاة طُغَاة^(١) ، تجمعوا من كل أوب ، ممن ينبغي أن يؤدَّب ، وأن يُؤلَّى عليه ، ويؤخذ على يديه ، ليسوا من الأنصار ، ولا المهاجرين ، ولا التابعين بإحسان ، فسيرت إليهم فدعوتهم إلى الطاعة والجماعة ، فأبوا إلا شقاقاً ونفاقاً ، ونهضوا في وجوه المهاجرين والأنصار ، ينضحونهم^(٢) بالنبل ، ويشجرونهم بالرماح ، فهناك نهدت^(٣) إليهم فقاتلتهم ، فلما عَضَّهم السلاحُ ، ووجدوا ألم الجراح ، رفعوا المصاحف يدعونكم إلى ما فيها ، فنبأتكم أنهم ليسوا بأهل دين ولا قرآن ، وإنما رفعوها مكيدةً ، وخديعةً ، ووهنا وضعفاً ، فامضوا على حقكم وقتالكم ، فأيتتم على واتهمتموني ، وقتلتم : اقبل منهم ، فإنهم إن أجابوا إلى ما في الكتاب جامعونا على ما نحن عليه من الحق ، وإن أبوا كان أعظم الحِجَّتِنا عليهم ، فقبلت منهم ، وكففت عنهم إذ وئيتهم وأيتهم ، فكان الصلح بينكم وبينهم على رجلين حَكَمَيْن يُحييان ما أحيا القرآن ، ويميتان ما أمات القرآن ، فاختلف رأيهما ، وتفرق حكمهما ، ونبذا حكم القرآن ، وخالفا ما في الكتاب ، واتبعا هواهما بغير هدى من الله فجنبهما الله السَّدَادَ ، وأهوى بهما في غمرة الضلال^(٤) ، وكانا أهل ذلك ، فأنخذلت عنا فرقة منا ، فتركناهم ما تركونا ، حتى إذا عاثوا في الأرض مفسدين ، وقتلوا المؤمنين ، أتيناهم فقلنا لهم : ادفعوا إلينا قتلة إخواننا ، ثم كتاب الله بيننا وبينكم ، فقالوا : كلنا قتلهم ، وكلنا استحللنا

(١) وفي الإمامة والسياسة : « طغام » والطغام كسحاب : أوغاد الناس ، والأوب : الطريق والجهة

(٢) نضحه بالنبل كنفع : رماه ورشقه ، وشجره بالرمح كقتل : طعنه به .

(٣) نهذ إلى العدو كنفع وقتل : نهض

(٤) وفي ابن أبي الحديد « ودلاها في الضلالة » ، وفيه : « حتى إذا عثوا في الأرض يقتلون

ويفسدون » وعاث وعثاً : أفسد .

دماءهم ودماءكم ، وشدّت علينا خيلهم ورجلهم ، فصرّعهم الله مصارعِ القوم الظالمين .

فلما كان ذلك من شأنهم ، أمرتكم أن تَمْضُوا من فوركم ذلك إلى عدوكم ، فإنه أفرعُ لقلوبهم ، وأنهكُ لقواهم ، وأهتكُ لكيدهم ، فقلتم : كَلَّتْ أذرعنا وسيوفنا ، ونفدتِ نبالنا ، ونصَلتُ^(١) أسنّة رماحنا ، وعاد أكثرها قصداً ، فأذن لنا فلنرجع إلى مِصرنا حتى نستعدّ بأحسن عُدتنا ، وإذا رجعت زِدَتْ في مُقاتلتنا عدّة من هلك منا ومن قد فارّقنا . فإن ذلك أقوى لنا على عدونا ، فأقبلتُ بكم حتى إذا أطلّتم على الكوفة ، أمرتكم أن تنزلوا بالنخيلة ، وأن تلمّزوا مُعسّكركم ، وأن تضمّثوا قواصيّكم ، وأن توطّنوا على الجهاد أنفسكم ، ولا تُكثروا زيارة آبائكم ونسائكم ، فإن ذلك يُرِقّ قلوبكم ويُلويكم ، وإن أهل الحرب المصابروها ، وأهل التشمير فيها الذين لا يتوجّدون^(٢) سهرَ ليلهم ، ولا يتوجّعون ، ولا يسأمون من ظمأ نهارهم ، ولا من خَمَصِ^(٣) بطونهم ، ولا من نَصَبِ أبدانهم ، حتى يُذكرُوا ثأرهم ، وينالوا بُغيّتهم ومطلبهم ، فنزلت طائفة منكم معي مُعذّرةً ، ودخلت طائفة منكم المِصرَ عاصيةً ، فلا من نزل معي صبرَ فثبت ، ولا من دخل المِصر عاد إلى ورجع .

ولقد نظرت إلى عسكري ، وما فيه معي منكم إلا خمسون رجلاً ، فلما رأيت ما أتيتم دخلتُ إليكم فما قدرتم أن تخرجوا معي إلى يومكم هذا

(١) نصل السهم : فهو ناصل خرج منه النصل (والنصل : حديدة السهم والرمح) ورمح قصد ككتف وقصيد وأفصاد : متكسر .

(٢) توجد سهر ليله : شكاً مامسه من مشقة . (٣) الخمص بالسكون وبالتحريك والمخمصة : الجوع

لِلَّهِ آبَاؤُكُمْ ! فما تنتظرون ؟ أَمَا تَرَوْنَ إِلَى أَطْرَافِكُمْ قَدْ انْتَقِصَتْ ، وَإِلَى مِصْرِكُمْ قَدْ افْتُسِحَتْ ^(١) ، وَإِلَى شِيعَتِي بِهَا قَدْ قُتِلَتْ ، وَإِلَى مَسَاحِلِكُمْ ^(٢) تُعْزَى ، وَإِلَى بِلَادِكُمْ تُعْزَى ، وَأَنْتُمْ ذُووُ عِدَدٍ كَثِيرٍ ، وَشَوْكَةٌ ، وَبَأْسٌ شَدِيدٌ ، فَمَا بِالْكُمِ ؟ لِلَّهِ أَنْتُمْ ! مَنْ أَيْنَ تُوْتُونَ ؟ وَمَا لَكُمْ تُوْفَكُونَ ^(٣) ؟ وَأَنْتَى تُسَحَّرُونَ ، وَلَوْ أَنْكُمْ عَزَمْتُمْ وَأَجْمَعْتُمْ لَمْ تُرَامُوا ، أَلَا إِنَّ الْقَوْمَ قَدْ اجْتَمَعُوا ، وَجَدُّوا وَتَنَاصَحُوا ، وَإِنْكُمْ قَدْ وَنَيْتُمْ وَتَفَرَّقْتُمْ ، وَاخْتَلَفْتُمْ ، وَتَغَاشَشْتُمْ ، فَأَنْتُمْ إِنْ أَجْتَمَعْتُمْ تَسْعَدُونَ . فَأَيُّقِظُوا رَحِمَكُمُ اللَّهُ نَائِكُمْ ، وَأَجْمِعُوا عَلَى حَقِّكُمْ ، وَتَجَرَّدُوا لِحَرْبِ عَدُوِّكُمْ ، قَدْ أَبَدْتَ الرِّغْوَةَ عَنِ الصَّرِيحِ ^(٤) ، وَبَانَ الصُّبْحُ لِذِي عَيْنَيْنِ ، إِنَّمَا تَقَاتِلُونَ الطُّلُقَاءَ ، وَأَبْنَاءَ الطُّلُقَاءِ ، وَأَوَّلِي الْجَفَاءِ ، وَمَنْ أَسْلَمَ كَرَهَا ، وَكَانَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْفٌ ^(٥) الْإِسْلَامَ كُلَّهُ حَرْبًا ، أَعْدَاءُ اللَّهِ وَالسَّنَةِ

- (١) المص: كل كورة يقسم فيها النى والصدقات ، وهذه يجوز فيها التذكير فتصرف ، والتأنيث فتمنع ، وروى في الإمامة والسياسة « قد افتتح » بالتذكير ، وفي ابن أبي الحديد بالتأنيث .
(٢) المسالخ جمع مسلحة بالفتح : وهى الثغر .
(٣) أفكك كضربه : صرفه عن الشيء وقلب رأيه .

(٤) رغبة اللين مثله : زبده (بالتحريك) ، والصريح : اللين الخالص الذى ذهب رغوته ، وأبداه : أظهره ، وهو هنا بمعنى كشف عنه : أى كشفت الرغبة عن الصريح وأظهرته ، وهو مثل يضرب عند انكشاف الأمر وظهوره ، وقد رواه الميدانى فى مجمع الأمثال « أبدى الصريح عن الرغبة » وقال فى شرحه : « أبدى لازم ومتعد ، يقال : أبديت فى منطقك أى جرت ، فعلى هذا يكون المعنى بدا الصريح عن الرغبة ، وإن جعلته متعديا فالفعول محذوف أى أبدى الصريح نفسه » وأقول نعم قد ورد أبدى لازما بمعنى جار كما ذكر ، لكن ذلك المعنى ليس مما نحن فيه ، ثم قال : « وهذا المثل لعبيد الله بن زياد قاله لهانى بن عروة المرادى ، وكان مسلم بن عقيل بن أبى طالب رحمه الله قد استخفى عنده أيام بعثه الحسين بن على رضوان الله عليهما ، فلما عرف مكانه عبيد الله أرسل إلى هانى فسأله فكتمه فتوعده وخوفه ، فقال هانى : هو عندى ، فعندها قال عبيد الله : « أبدى الصريح عن الرغبة » أى وضح الأمر وبان ، ومن كتاب الإمام الذى نحن بصدد شرحه تعرف أن عبيد الله قد تمثل بهذا المثل وليس بصاحبه ، ومن أمثالهم فى هذا المعنى أيضاً « صرح الخنض عن الزبد » بضم الزاى أى انكشف الأمر وتبين . (٥) أنف كل شيء : أوله .

والقرآن ، وأهل الأحزاب ، والبدع ، والأحداث ، ومن كانت بوائقه^(١) تُتَّقَى ، وكان على الإسلام مخوفاً^(٢) ، أكلة الرِّشا ، وعَبْدَةُ الدنيا ، لقد أَنهِيَ^(٣) إلى أن ابن النابغة لم يبايع معاوية حتى أعطاه ، وشرط عليه أن يُعطيه إتاوةً هي أعظم مما في يديه من سلطانه ، أَلَا صَفِرَتْ^(٤) يدُ هذا البائع دينه بالدنيا ، وَتَرَبَّتْ يدُ هذا المشتري نُصْرَةَ غادر فاسق بأموال المسلمين ، وإن منهم لمن قد شَرِبَ فيكم الحمر ، وَجُلِدَ حَدًّا في الإسلام ، يُعْرِفُ بالفساد في الدين والفعل السيئ ، وإن فيهم من لم يُسَلِّمْ حتى رُضِيَخَ له على الإسلام رَضِيخَةً^(٥) ، فهو لاء قادة القوم ، ومن تركتُ ذِكرَ مساوئِهِ مِنْ قادتهم مثل مَنْ ذَكَرْتُ منهم ، بل هو شرٌّ وأضرُّ ، وهؤلاء الذين ذَكَرْتُ لو وَلُوا عليكم لأَظْهَرُوا فيكم الكبر ، والفخر ، والفجور ، والتسلط بِجَبَرِيَّةٍ^(٦) ، والتطاول بالفضيب ، والفساد في الأرض ، ولا تَتَّبِعُوا الهَوَى ، وما حَكَمُوا بِالرَّشَادِ ، وَلَا تَمَّ عَلَى مَا فِيكُمْ مِنْ تُخَاذُلٍ وَتَوَاكُلٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ وَأَهْدَى سَبِيلًا ، فيكم الحكماء ، والعلماء ، والفقهاء ، والنجباء ، وحملة القرآن والمتهجِّدون بالأسحار ، والعبَّاد ، والزُّهَّاد في الدنيا ، ومُحَمَّرُ المساجد بِتِلَاوَةِ القرآن ، أَفَلَا تَسْخَطُونَ وَتَنْقَمُونَ^(٧) أَنْ يُنَازِعَكُمْ الْوَلَايَةَ عَلَيْكُمْ سَفَهَاؤُكُمْ وَالْأَشْرَارُ الْأَرَاذِلُ مِنْكُمْ ؟

فاسمعوا قولي إذا قلت ، وأطيعوا أمري إذا أمرت ، واعرفوا نصيحتي

(١) البوائق جمع بائقة : وهي الداهية ، والرشا بالضم والكسر جمع رشوة مثلثة وهي الجعل بالضم .

(٢) وفي الإمامة والسياسة « وكان عن الدين منحرفاً » .

(٣) أَنهِيَ الشيء : أَبْلَغَهُ ، وفي الإمامة والسياسة « لقد نَمَى إلى » أي أَبْلَغَتْ أَيْضاً ، وابن النابغة

هو عمرو بن العاص وقد تقدم . (٤) صَفِرَ كَفَرَح : خلا ، ويقال : تَرَبَّتْ يَدَاهُ ، أي لَا أَصَابَ

خَيْراً ، وفي ابن أبي الحديد « وخزيت أمانة هذا المشتري ... » . (٥) انظر ص ٥٥١ .

(٦) وفي الإمامة والسياسة « بالجبروت » وما واحد . (٧) وفي ابن أبي الحديد « وتهتمون »

إذا نصحت ، واعتقدوا حزمي إذا حَزَمْتُ ، والتزموا عزمي إذا عَزَمْتُ ،
وأنهضوا النهوضي ، وقارعوا من قارعتُ ، فوالله لئن أطعتموني لا تفُوتُون :
ولئن عصيتموني لا ترشُدُون ، ولا تجتمعون خُذُوا للحرب أهْبَتَهَا ،
وأعدُّوا لها عُدَّتَهَا ، فإنها قد شُبَّتْ نارها ، وعَلَّسَناها^(١) ، وتجرد لكم فيها
الفاسقون ، كي يعذبوا عباد الله ، ويُطفئوا نور الله .

عباد الله : ألا إنه ليس أولياء الشيطان من أهل الطمع والمكر والجفاء ،
بأُولَى في الجِدِّ في غيِّهم وضلالهم وباطلهم ، من أهل النزاهة والبر ، والحق
والإخبات^(٢) ، بالجِدِّ في حقهم ، وطاعة ربهم ، ومُناصحة إمامهم .

إني والله لو أقيمتهم وحيداً منفرداً ، وهم ملأ الأرض ما باليتُ بهم ولا
أستوحشت منهم ، وإني من ضلالهم الذي هم فيه ، والهدى الذي نحن عليه ،
لَعَلَى ثِقَةٍ وَيَدْنَةٍ ، ويقين وبصيرة من ربي ، وإني إلى لقاء ربي لمشتاق ،
ولحسن ثوابه لمنتظر راج ، ولكن أسفاً يعتريني ، وحزناً يُخامرني ، أن يَلِيَ
أمر هذه الأمة سُفَهَاؤُهَا وفَجَارُهَا ، فيتخذوا مال الله دُولاً ، وعباد الله خُولاً ،
والصالحين حرَباً ، والقاسِطينَ حرَباً .

وأيُّم الله لولا ذلك لما أَكثَرْتُ تَأْيِيْبَكُمْ ، وتَأْلِيْبَكُمْ ، وتحريضكم ،
ولترككم إذ وَنَيْتُمْ وَأَيَّيْتُمْ ، حتى ألقاهم بنفسي متى حُمِّ^(٣) لِي لِقَاؤُهُمْ ، فوالله
إني لعلی الحق ، وإني للشهادة لمحِبٌّ ، أنا نافرٌ بكم إن شاء الله ، فانْفَرُوا خِفَافاً
وَثِقَالاً وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ
كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ، ولا تتأقلوا إلى الأرض ، فتَقَرَّوا بالخسف ، وتبوءوا بالذل ،

(١) السنا: الضوء الساطع . (٢) أخبت : خضع وتواضع . (٣) أى قدر .

ويكن نصيبكم الخُسْر، إن أخوا الحرب اليَقْظان ، ومن ضَعُف أُوْدَى^(١) ، ومن ترك الجهاد كان كالمغبون المهين ، اللهم أجمعنا وإياهم على الهدى ، وزهّدنا وإياهم في الدنيا ، واجعل الآخرة خيرا لنا ولهم من الأولى .
(شرح ابن أبي الحديد م ٢ : ص ٣٥ ، والإمامة والسياسة ١ : ١١٣)

فتنة البصرة

٥٢٠ - كتاب معاوية إلى عمرو بن العاص

ولما ظهر معاوية على مصر ، ولّى عليها عمرو بن العاص ، ثم بدّاه أن يحتاز البصرة ، فكتب إلى عمرو يستطلع رأيه في ذلك .
« من عبد الله معاوية أمير المؤمنين إلى عمرو بن العاص :
سلام عليك : أما بعد ، فإنّي قد رأيتُ رأيا هممتُ بإمضائه ، ولم يَخْذُلْنِي عنه إلا استطلاعُ رأيك ، فإن توافقتُني أحمَدِ الله وأمضيه ، وإن تخالفني فإنّي أَسْتَخِيرُ الله وأُسْتَهْدِيهِ .

إنّي نظرت في أمرِ أهل البصرة فوجدتُ معظمَ أهلها لنا وَلِيًّا ، ولعلّي وشيعته عدوًّا ، وقد أوقع بهم عليّ الوَقْعَةُ التي علمتُ ، فأحقّادُ تلك الدماء ثابتة في صدورهم لا تَبْرَحُ ولا تَرِيْمُ^(٢) ، وقد علمتُ أن قتلنا ابن أبي بكر ، ووَقَعْنَا بأهل مصر قد أطفأت نيران أصحاب عليّ في الآفاق ، ورفعت رءوس أشياعنا أينما كانوا من البلاد ، وقد بلغ من كان بالبصرة على مثل

(١) هلك . (٢) لا تريم : أي لا تبرح ، يقال : مارمت المكان ومنه : أي ما برحت .

رَأَيْنَا مِنْ ذَلِكَ مَا بَلَغَ النَّاسَ ، وَلَيْسَ أَحَدٌ مِمَّنْ يَرَى رَأَيْنَا أَكْثَرَ عَدَدًا ، وَلَا أَضَرَ خِلَافًا عَلَى مَنْ أَوْلَاكَ .

فَقَدْ رَأَيْتُ أَنْ أُبْعَثَ إِلَيْهِمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَامِرِ الْحَضْرَمِيِّ ، فَيَنْزِلَ فِي مُضَرَ ، وَيَتَوَدَّدَ الْأَزْدَ ، وَيَحْذَرُ رِبِيعَةَ ، وَيَتَغْنَى دَمَ ابْنِ عَفَانَ ، وَيَذَكِّرُهُمْ وَقْعَةَ عَلَى بِهِمِ الَّتِي أَهْلَكَتْ صَالِحِي إِخْوَانِهِمْ وَأَبْنَاءَهُمْ ، فَقَدْ رَجَوْتُ عِنْدَ ذَلِكَ أَنْ يُفْسِدَ عَلَى عَلِيٍّ وَشِيعَتِهِ ذَلِكَ الْفَرْجَ مِنَ الْأَرْضِ ، وَمَتَى يُؤْتُوا مِنْ خَلْفِهِمْ وَأَمَامِهِمْ يَضِلُّ سَبِيلُهُمْ ، وَيَبْطُلُ كَيْدُهُمْ ، فَهَذَا رَأْيِي ، فَمَا رَأَيْكَ ؟

فَلَا تَحْبِسْ رَسُولِي إِلَّا قَدَرَ مُضِيَّ السَّاعَةِ الَّتِي يَنْتَظِرُ فِيهَا جَوَابَ كِتَابِي هَذَا ، أَرْشَدَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكَ ، وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ ، وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ .

(شرح ابن أبي الحديد م ١ : ص ٣٤٩)

٥٢١ - رد عمرو على معاوية

فكتب عمرو بن العاص إلى معاوية :

« أَمَا بَعْدَ : فَقَدْ بَلَغَنِي رَسُولُكَ وَكِتَابُكَ ، فَقَرَأْتُهُ وَفَهِمْتُ رَأْيَكَ الَّذِي رَأَيْتَهُ ، فَمَجِبْتُ لَهُ ، وَقُلْتُ : إِنَّ الَّذِي أَلْقَاهُ فِي رُوعِكَ ، وَجَعَلَهُ فِي نَفْسِكَ هُوَ الثَّائِرُ بِابْنِ عَفَانَ وَالطَّالِبُ بِدَمِهِ ، وَإِنَّهُ لَمْ يَكْ مِنْكَ وَلَا مَنَا مِنْذُ نَهَضْنَا فِي هَذِهِ الْحُرُوبِ ، وَنَادَيْنَا أَهْلَهَا ، وَلَا رَأَى النَّاسُ رَأْيًا أَضَرَ عَلَى عَدُوِّكَ ، وَلَا أَسْرَّ لَوْلِيِّكَ مِنْ هَذَا الْأَمْرِ الَّذِي أَتْلِهِنَّ ، فَأَمْضِ رَأْيَكَ مُسَدَّدًا ، فَقَدْ وَجَّهْتَ الصَّلِيبَ الْأَرِيبَ^(١) ، النَّاصِحَ غَيْرَ الظَّنِّينِ ، وَالسَّلَامَ . »

(شرح ابن أبي الحديد م ١ : ص ٣٤٢)

(١) الصليب : الشديد ، صلب ككرم وسمع صلاة فهو صلب كقفل و صلب كسكر و صلب كأمير .
والأريب : العاقل ، أرب لأربا كصفر صفراً وأرابة ككرامة : عقل فهو أريب .

٥٢٢ — كتاب معاوية إلى أهل البصرة

فلما جاء معاوية كتاب عمرو ، دعا عبد الله بن عامر الحضرمي ، وقال له : سر على بركة الله إلى أهل البصرة ، فانزل في مضر ، واحذر ريعة ، وتودد الأزد ، وانع ابن عفان ، وذكّرهم الوعدة التي أهلكتهم ، ومن من سيع وأطاع دنيا لا تفنى ، وأثرة لا يفقدها حتى يفقدنا أو نفقده ، ودفع إليه كتاباً ، وأمره إذا قدم أن يقرأه على الناس .

فسار ابن الحضرمي حتى نزل البصرة في بني تميم ، وسمع بقدمه أهلها ، فاجتمع إليه رؤوسهم ، فخطبهم بأمره به معاوية ، وقام بعضهم فسفه رأيه ، وتبوءت الخطب في هذا المقام ، ففرض ابن الحضرمي كتاب معاوية وقرأه عليهم ، فإذا فيه :

« من عبد الله معاوية أمير المؤمنين ، إلى من قرئ كتابي هذا عليه من المؤمنين والمسلمين من أهل البصرة :

سلام عليكم ، أما بعد : فإن سفك الدماء بغير حلها ، وقتل النفوس التي حرم الله قتلها ، هلاك مؤبّق^(١) ، وخسران مبين ، لا يقبل الله ممن سفكها صرّفاً ولا عدلاً^(٢) ، وقد رأيتم رحمكم الله آثار ابن عفان ، وسيرته ، وحبه للعافية ومعذلاته ، وسدّه للشغور ، وإعطاءه في الحقوق ، وإنصافه للمظلوم ، وحبه للضعيف ، حتى توثب عليه المتوثّبون ، وتظاهر^(٣) عليه الظالمون ، فقتلوه مسلماً محرّماً^(٤) ، ظمان صاعماً ، لم يسفك فيهم دماً ، ولم يقتل منهم

(١) أوبقه : أهلكه . (٢) انظر ص ٢٨ . (٣) أى تعاونوا عليه ،

(٤) المحرم : الذي له حرمة ، والذي يحرم علينا قتاله .

أحدًا ، ولا يطلبونه بضربة سيف ولا سَوْطٍ ، وإنما ندعوكم أيها المسلمون إلى الطلب بدمه ، وإلى قتال مَنْ قَتَلَهُ ، فإننا وإياكم على أمر هُدًى واضح ، وسبيل مستقيم ، إنكم إن جامعتمونا طَفِئَتِ النَّارُ^(١) ، واجتمعت الكلمة ، واستقام أمر هذه الأمة ، وأقرَّ الظالمون المتوثبون الذين قتلوا إمامهم بغير حق ، فأخذوا بجرارهم^(٢) ، وما قدّمت أيديهم .

إن لكم أن تعمل فيكم بالكتاب ، وأن أعطاكم في السّنة عطاءً ، ولا أحتمل فضلاً من فيثكم عنكم أبداً ، فسارعوا إلى ما تدعون إليه - رحمكم الله - .

وقد بعث إليكم رجلاً من الصالحين ، كان من أمناء خليفتم المظلوم ابن عفان وعماله وأعوانه على الهدى والحق ، جعلنا الله وإياكم ممن يُجيب إلى الحق ويعرفه ، ويُنكر الباطل ويَحْجِدْهُ ، والسلام عليكم ورحمة الله .
فلما قرئ عليهم الكتاب ، قال معظمهم : سمعنا وأطعنا .
(شرح ابن أبي الحديد م ١ : ص ٣٥٠)

٥٢٣ - كتاب عباس بن صحر العبدى إلى معاوية

وكان الذى سدّد لمعاوية رأيه فى تسريح ابن الحضرميّ كتاب كتبه إليه عباس بن صحر^(٣) العبدى ، وممن كان يرى رأى عثمان ، ويخالف قومه فى حبهم عليّاً عليه السلام ونصرتهم إياه ، وكان الكتاب :

(١) النّار : العداوة والشّحناء ، وطفئت النار : انطفأت .

(٢) الجرائر جمع جريرة : وهى الجريمة .

(٣) فى الأصل « صخر » بالخاء المعجمة وهى تصحيف .

أما بعدُ ، فقد بلغنا وقعتك بأهل مصر الذين بغوا على إمامهم ، وقتلوا
خليفتهم طمعاً وبغياً ، فقررتُ بذلك العيون ، وشُفيتُ بذلك النفوس ،
وبردتُ أفئدة أقوام كانوا لقتل عثمان كارهين ، ولعدوّه مفارقين ، ولكم ،
مُوالين ، وبك راضين ، فإن رأيت أن تبعث إلينا أميراً طيباً ذكياً ذا عفاف
ودين للطلب بدم عثمان فعلت ، فإنني لا إخال الناس إلا مُجمعين عليك ،
وإن ابن عباس غائب عن المصر والسلام .

وكان الأمير بالبصرة يومئذ زياد بن عبيد قد أستخلفه عبد الله بن عباس
وقدم الكوفة على عليّ عليه السلام يعزيه عن محمد بن أبي بكر .
(شرح ابن أبي الحديد ١ : ص ٣٥٠)

٥٢٤ - رد معاوية على عباس بن صحر

فلما قرأ معاوية كتابه ، قال : لا عزمتُ رأياً سوى ما كتب به إليّ
هذا ، وكتب إليه جوابه :

« أما بعد : فقد قرأت كتابك ، فعرفتُ نصيحتك ، وقبلت مشورتك ،
رحمك الله وسددك ، أثبت هداك الله على رأيك الرشيد ، فكأنك
بالرجل الذي سألتَ قد أتاك ، وكأنك بالجيش قد أطلّ عليك ، فسُرتَ
وحييت ، والسلام . » (شرح ابن أبي الحديد ١ : ص ٣٥٠)

٥٢٥ - كتاب زياد إلى ابن عباس

وأقبل الناس إلى ابن الحضرمي ، وكثر تبعه ، ففرّ عَ لذلك زياد وهالَه ،
وبعث إلى صبرة بن شيّان الأزديّ ، فقال : يا بن شيّان ، أنت سيد قومك ،
وأحد عظماء هذا المصر ، أفلا تُجِيرُنِي وتُمنعُنِي وتمنع بيت مال المسلمين ، فإنما
أنا أمين عليه ؟ فقال : بلى إن تحمّلت حتى تنزل في دارى منعتك ، فقال :
إني فاعل ، فارتحل ليلاً حتى نزل دار صبرة ، وكتب إلى عبد الله بن عباس :
« للأمير عبد الله بن عباس من زياد بن عبيد :

سلام عليك ، أما بعد : فإن عبد الله بن عامر الحضرمي أقبل من قبل
معاوية حتى نزل في بني تميم ، ونعى ابن عفان ، ودعا إلى الحرب ، فبايعه
تميم وجُلّ أهل البصرة ، ولم يبق معى من أمتنع به ، فلما رأيت ذلك استجرتُ
بالأزد بصبرة بن شيّان وقومه لنفسى وليت مال المسلمين ، ورَحَلت من
قصر الإمارة فنزلت فيهم ، وإن الأزد معى ، وشيعة أمير المؤمنين من
فُرسان القبائل تختلف إلىّ ، وشيعة عثمان تختلف إلى ابن الحضرمي ، والقصرُ
خالٍ منا ومنهم ، فارفع ذلك إلى أمير المؤمنين ، ليَرى فيه رأيه ، وأعجل إلىّ
بالذى ترى أن يكون منه فيه ، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته » ،

فرفع ذلك ابن عباس إلى على عليه السلام .

وغلب ابن الحضرمي على ما يليه من البصرة وجبّأها ، وأجمعت الأزد
على زياد ، وأعدّوا له منبراً وسريراً وشُرطاً .

(شرح ابن أبي الحديد ١ : ص ٣٥١ ، وتاريخ الطبرى ٦ : ٦٤)

٥٢٦ - كتاب علي إلى زياد

وبعث علي عليه السلام أُعَيْنَ بْنَ ضُبَيْعَةَ الْمُجَاشِعِيَّ إِلَى الْبَصْرَةِ وَكُتِبَ
إِلَى زِيَاد :

من عبد الله عليّ أمير المؤمنين إلى زياد بن عبيد :
سلام عليك ، أما بعد ، فإنني قد بعثت أُعَيْنَ بْنَ ضُبَيْعَةَ لِيُفَرِّقَ قَوْمَهُ عَنْ
ابْنِ الْحَضْرَمِيِّ ، فَارْقُبْ مَا يَكُونُ مِنْهُ ، فَإِنْ فَعَلَ وَبَلَغَ مِنْ ذَلِكَ مَا يُظَنُّ بِهِ ،
وَكَانَ فِي ذَلِكَ تَفْرِيقُ تِلْكَ الْأَوْبَاشِ فَهُوَ مَا نَحَبُّ ، وَإِنْ تَرَامَتْ الْأُمُورُ بِالْقَوْمِ
إِلَى الشَّقَاقِ وَالتَّمَادِي فِي الْعَصِيَانِ ، فَانْبِذْ مِنْ أَطَاعِكَ إِلَى مَنْ عَصَاكَ ، فَجَاهِدْهُمْ ،
فَإِنْ ظَهَرَتْ فَهُوَ مَا ظَنَنْتَ ، وَإِنْ رَأَيْتَ مِمَّنْ قَبْلَكَ تَثَاقُلًا ، وَخِفْتَ أَلَّا تَبْلُغَ
مَا تُرِيدُ ، فَطَاوِلْهُمْ وَمَا طَلَهُمْ ، ثُمَّ تَسَمَّعْ وَأَبْصِرْ ، فَكَأَنَّ كِتَابَ الْمُسْلِمِينَ
قَدْ أَطْلَتْ عَلَيْكَ ، فَقَتِلِ اللَّهَ الْمَفْسِدِينَ الظَّالِمِينَ ، وَنَصِرِ الْمُؤْمِنِينَ الْمُحِقِّينَ ،
وَالسَّلَامَ » . (شرح ابن أبي الحديد م ١ : ص ٣٥٢ ، وتاريخ الطبري ٦ : ٦٤)

٥٢٧ - كتاب زياد إلى علي

وقدم أُعَيْنَ بْنَ ضُبَيْعَةَ الْبَصْرَةَ ، فَجُمِعَ إِلَيْهِ رِجَالًا مِنْ قَوْمِهِ ، وَحُثِمَ عَلَى
الطَّاعَةِ ، وَلُزِمَ الْجَمَاعَةُ ، وَحُذِرَ الْخِلَافُ وَالْفِرْقَةُ ، فَسَمِعُوا لَهُ وَأَطَاعُوا ،
فَنَهَضَ بِهِمْ إِلَى جَمَاعَةِ ابْنِ الْحَضْرَمِيِّ ، وَوَأَقْفَهُمْ عَامَّةً يَوْمَهُ يَنَاشِدُهُمُ اللَّهُ أَلَّا
يُنْكَثُوا بَيْعَتَهُمْ وَلَا يَخَالِفُوا إِمَامَهُمْ ، فَكَفُّوا عَنْهُ ، فَانْصَرَفَ عَنْهُمْ ، فَلَمَّا أَوَى

إلى رحله تبعه عشرة نفر ، يظن الناس أنهم خوارج فقتلوه ، فكتب زياد إلى عليّ عليه السلام :

« أما بعد يا أمير المؤمنين : فإن أعين بن ضُبَيْعَةَ قَدِمَ علينا من قبلك مجِدِّ ومناصحة ، وصدق ويقين ، فجمع إليه من أطاعه من عشيرته ، فحشهم على الطاعة والجماعة ، وحذَّره الخلاف والفرقة ، ثم نهض بمن أقبل معه إلى من أدبر عنه ، فواقفهم عامَّةَ النهار ، فهال أهل الخلاف تقدُّمُه ، وتصدَّع عن ابن الحضرمي كثير ممن كان يريد نصرته ، فكان كذلك حتى أمسى ، فأُتِيَ في رحله ، فبيَّته نفرٌ من هذه الخارجة المارقة ، فأصيب رحمه الله تعالى ، فأردت أن أناهض ابن الحضرمي عند ذلك ، فحدث أمرٌ قد أمرتُ صاحب كتابي هذا أن يذكره لأُمير المؤمنين^(١) ، وقد رأيتُ - إن رأى أمير المؤمنين ما رأيت - أن يبعث إليهم جارية بن قُدَّامَةَ ، فإنه نافذ البصيرة ، مُطاعٌ في العشيرة ، شديد على عدوِّ أمير المؤمنين ، فإن يقدِّم يُفرِّق بينهم بإذن الله ، والسلام على أمير المؤمنين ، ورحمة الله وبركاته . »

(شرح ابن أبي الحديد م ١ : ص ٣٥٣ ، وتاريخ الطبري ٦ : ٦٤)

٥٢٨ - كتاب علي إلى أهل البصرة

فبعث إليهم علي عليه السلام جارية بن قُدَّامَةَ ، وكتب معه كتاباً إلى أهل البصرة ، وفيه :

(١) أراد زياد أن يناهض ابن الحضرمي - حين قتل أعين - بجماعة من معه من الأزد وغيرهم من شيعة علي عليه السلام . فأرسل بنو تميم إلى الأزد : والله ما عرضنا لجاركم إذ أخرجتموه ، ولا لمال هوله ، ولا لأحد ليس على رأينا ، فما تريدون إلى حربنا وإلى جارنا ؟ فكان الأزد عند ذلك كرهت قتالهم .

« من عبد الله على أمير المؤمنين إلى من قرئ عليه كتابي هذا من
ساكني البصرة من المؤمنين والمسلمين :

سلام عليكم ، أما بعدُ : فإن الله حلیم ذو أناةٍ لا يعجل بالعقوبة قبل
اليئنة ، ولا يأخذ المذنبَ عند أول وهلة ، ولكنه يقبل التوبة ، ويستديم
الأناة ، ويرضى بالإنابة ، ليكون أعظم للحجة ، وأبلغ في المَعْدرة ،
وقد كان من انتشار حبلكم وشقاقكم ما لم تغبوا^(١) عنه ، فغفوتُ عن
مجرمكم ، ورفعت السيف عن مُدبركم ، وقبلت من مُقبلكم ، وأخذت ببيعكم
فإن تقوا ببيعتي ، وتقبلوا نصيحتي ، وتستقيموا على طاعتي ، أعمل فيكم
بالكتاب والسنة ، وقصد الحق ، وأقيم فيكم سبيل الهدى ، فوالله ما أعلم أن
والياً بعد محمد صلى الله عليه وآله أعلم بذلك مني ، ولا أعمل بقولي ، أقول
قولي هذا صادقاً غير ذامٍ لمن مضى ، ولا متنقصٍ لأعمالهم .

وإن خطت بكم الأهواء المردية ، وسفه الآراء الجائرة إلى مُنابدتي
تريدون خلافي ، فهأنذا قد قربتُ جيادي ، ورَحَلْتُ رِكَابِي ، وأيمُ الله لن
أجأتعنوني إلى المسير إليكم ، لأوقعن بكم وقعةً ، لا يكون يومُ الجَمَلِ إليها
إلا كَلَمَةً لَاعِقَ ، مع أني عارفٌ لذی الطاعة منكم فضله ، ولذی النصيحة
حقه ، غير متجاوزٍ مُتَّهما إلى برىء ، ولا ناكثاً إلى وفي .

وإني لظانٌ أن لا تجمعوا إن شاء الله على أنفسكم سبيلاً ، وقد قدّمت
هذا الكتاب إليكم حجةً عليكم ، ولن أكتب إليكم من بعده كتاباً ،

(١) غي عن الشيء وغيه كفرح : إذا لم يظن له .

إِنْ أَنْتُمْ اسْتَغْفَشْتُمْ نَصِيحَتِي ، وَنَابَذْتُمْ رَسُولِي ، حَتَّى أَكُونَ أَنَا الشَّخِصُ
نَحُوكُمْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى وَالسَّلَامُ : »

(شرح ابن أبي الحديد م ١ : ص ٣٥٣ ، ونهج البلاغة ٢ : ٢٥)

٥٢٩ - كتاب زياد إلى علي

وَشَخَصَ جَارِيَةَ بَنَ قُدَامَةَ إِلَى الْبَصْرَةِ ، وَكَلَّمَ قَوْمَهُ فَلَمْ يُجِيبُوهُ ، وَخَرَجَ
إِلَيْهِ مِنْهُمْ أَوْبَاشٌ فَنَافَسُوهُ بَعْدَ أَنْ شَتَمُوهُ ، فَأَرْسَلَ إِلَى زِيَادٍ وَالْأَزْدِ يَسْتَصْرِخُهُمْ
فَسَارَتِ الْأَزْدُ بِزِيَادٍ ، وَخَرَجَ إِلَيْهِمُ ابْنُ الْحَضْرَمِيِّ ، فَاقْتَتَلُوا سَاعَةً ، فَمَا لَبَّثُوا
بَنِي تَمِيمٍ أَنْ هَزَمُوهُمْ ، وَحَصَرُوا ابْنَ الْحَضْرَمِيِّ فِي إِحْدَى دُورِ الْبَصْرَةِ ، فِي عِدَّةٍ
مِنْ أَصْحَابِهِ ، وَحَرَقَ جَارِيَةَ الدَّارِ عَلَيْهِمْ ، فَهَلَكَ ابْنُ الْحَضْرَمِيِّ فِي سَبْعِينَ رَجُلًا .
وَسَارَتِ الْأَزْدُ بِزِيَادٍ حَتَّى أَوْطَنُوهُ قَصْرَ الْإِمَارَةِ وَمَعَهُ بَيْتُ الْمَالِ ، وَقَالُوا
لَهُ : هَلْ بَقِيَ عَلَيْنَا مِنْ جَوَارِكِ شَيْءٍ ؟ قَالَ : لَا ، فَانصَرَفُوا عَنْهُ .

وَكَتَبَ زِيَادٌ إِلَى عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ :

« أَمَّا بَعْدُ : فَإِنَّ جَارِيَةَ بَنَ قُدَامَةَ الْعَبْدَ الصَّالِحَ قَدِمَ مِنْ عِنْدِكَ ، فَنَاهَضَ
جَمْعُ ابْنِ الْحَضْرَمِيِّ ، بَعْنُ نَصْرِهِ وَأَعَانَهُ مِنَ الْأَزْدِ ، فَفَضَّضَهُ وَاضْطَرَّهَ إِلَى دَارٍ
مِنْ دُورِ الْبَصْرَةِ فِي عِدَدٍ كَثِيرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ ، فَلَمْ يَخْرُجْ حَتَّى حَكَّمَ اللَّهُ تَعَالَى
بَيْنَهُمَا ، فَقُتِلَ ابْنُ الْحَضْرَمِيِّ وَأَصْحَابُهُ ، مِنْهُمْ مَنْ أُحْرِقَ بِالنَّارِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ
أُلْقِيَ عَلَيْهِ جِدَارٌ ، وَمِنْهُمْ مَنْ هُدِمَ عَلَيْهِ الْبَيْتُ مِنْ أَعْلَاهُ ، وَمِنْهُمْ مَنْ قُتِلَ
بِالسَّيْفِ ، وَسَلِمَ مِنْهُمْ نَفَرٌ أَنَابُوا وَتَابُوا ، فَصَفَّحَ عَنْهُمْ ، وَبُعْدًا لِمَنْ عَصَى
وَعَوَى ، وَالسَّلَامُ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ . »

(شرح ابن أبي الحديد م ١ : ص ٣٥٤)

٥٣٠ - كتاب عليّ إلى زياد

وكان علي عليه السلام أخرج إلى زياد سعداً مولاه يحثه على حمل مال البصرة إلى الكوفة ، وكان بين سعد وزياد ملاحاة^(١) ومنازعة ، وعاد سعد فشكاه إلى علي وعابه ، فكتب عليّ إليه :

« أما بعد : فإن سعداً ذكر أنك شتمته ظالماً ، وهددته وجبهته^(٢) تجبراً وتكبراً ، فما دعاك إلى التكبر ؟ وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله : « الكبر رداء الله ، فمن نازع الله رداه قصمه » وقد أخبرني أنك تُكثر من الألوان المختلفة في الطعام في اليوم الواحد ، وتدهن كل يوم ، فما عليك لو صُمت لله أياماً ، وتصدقت ببعض ما عندك محتسباً ، وأكلت طعامك مراراً قفاراً^(٣) ؟ فإن ذلك شعار الصالحين ، أفتطمع وأنت متمرغ في النعيم تستأثر به على الجار ، والمسكين ، والضعيف ، والفقير ، والأرملة ، واليتيم أن يُحسب لك أجر المتصدقين ؟ وأخبرني أنك تتكلم بكلام الأبرار ، وتعمل عمل الخاطئين ، فإن كنت تفعل ذلك فنفسك ظامت ، وعملك أحبّطت^(٤) فتب إلى ربك ، يُصلح لك عملك ، واقتصد في أمرك ، وقدم إلى ربك الفضل ليوم حاجتك ، وأدهن غباً^(٥) ، فإنني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : « أدّهنوا غباً ولا تدهنوا رقاً^(٦) » (شرح ابن أبي الحديد ٤ : ص ٧٣)

(١) لاه : نازعه . (٢) جبهه كنهه : ثقبه بما يكره .

(٣) أي غير مأدوم . (٤) أي أفسدت . (٥) أي ادّهانا منقطعاً لامتاليا .

(٦) الرقم : النفس والوشى - والأصل فيه الكتابة - والمعنى : ولا تدهنوا لأجل التزين .

٥٣١ - رد زياد عليه

فكتب إليه زياد :

« أما بعدُ يا أمير المؤمنين : فإن سَعَدًا قَدِيمٌ عَلَى فُأْسَاءِ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ ، فَاتَّهَرَّتْهُ وَزَجَرَتْهُ ، وَكَانَ أَهْلًا لَأَكْثَرِ مَنْ ذَلِكَ ، وَأَمَّا مَا ذَكَرَ مِنَ الْإِسْرَافِ وَاتِّخَاذِ الْأَلْوَانِ مِنَ الطَّعَامِ وَالنَّعَمِ ، فَإِنْ كَانَ صَادِقًا فَأَثَابَهُ اللَّهُ ثَوَابَ الصَّالِحِينَ ، وَإِنْ كَانَ كَاذِبًا فَوَقَّاهُ اللَّهُ أَشَدَّ عِقَابِ الْكَاذِبِينَ ، وَأَمَّا قَوْلُهُ : إِنِّي أَصِفُ الْعَدْلَ وَأُخَالِفُهُ إِلَى غَيْرِهِ ، فَإِنِّي إِذْنٌ مِنَ الْأَخْسَرِينَ ، نَخِذُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَقَالِ قُلَّتِهِ فِي مَقَامِ قِتْلِهِ : « الدَّعْوَى بِلَا بَيِّنَةٍ كَالسَّهْمِ بِلَا نَصْلِ » فَإِنْ أَتَاكَ بِشَاهِدِي عَدْلٍ ، وَإِلَّا تَبَيَّنَ لَكَ كَذِبُهُ وَظُلْمُهُ » . (شرح ابن أبي الحديد م ٤ : ص ٧٣)

٥٣٢ - كتاب معاوية إلى زياد بن أبيه

وروى ابن أبي الحديد عن المدائني قال :

لما كان زمنُ عليٍّ عليه السلام - وَلَّى زيادا فارس^(١) - أو بعض أعمال

(١) روى الطبري . قال : قال الشعبي : « لما قتل عليٌّ عليه السلام أهل النهروان خالفه قوم كثير ، وانتفضت عليه أطرافه ، وخافه بنو ناجية ، وقدم ابن الحضرمي البصرة ، وانتفض أهل الأهواز ، وطمع أهل الخراج في كسره ، ثم أخرجوا سهل بن حنيف من فارس - وكان عامل عليٍّ عليها - فقال ابن عباس لعليٍّ : أ كفيك فارس بزياد ، فأمره عليٌّ أن يوجهه إليها ، فقدم ابن عباس البصرة ، ووجهه إلى فارس سنة ٣٩ في جمع كثير ، فوطئ بهم أهل فارس فأدوا الخراج » - انظر تاريخ الطبري ٦ : ٧١ - .

وروى أيضاً أنه لما قتل ابن الحضرمي - واختلف الناس على عليٍّ ، طمع أهل فارس وأهل كرمان في كسر الخراج ، فطلب أهل كل ناحية على ما يليهم وأخرجوا عمالهم ، فاستشار عليٌّ الناس في رجل يوليه فارس ، فقال له جارية بن قدامة : ألا أدلك يا أمير المؤمنين على رجل صليب الرأي عالم بالسياسة كاف لما ولي ؟ قال : من هو ؟ قال : زياد ، قال : هو لها ، فولاه فارس وكرمان ، ووجهه في

فارس - فضبطها ضبطاً صالحاً ، وجبى خراجها وحماتها ، وعرف ذلك معاوية فكتب إليه :

« أما بعد : فإنه غرَّتكَ قِلاعُ تأوى إليها ليلاً ، كما تأوى الطير إلى وكورها ، وأيمُ الله لولا أنتظاري بك ما الله أعلم به ، لكان لك منى ما قاله العبد الصالح ^(١) : « فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِخُنُودٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ » وكتب في أسفل الكتاب شعراً من جملة :
تنبى أباك وقد شالت نعمته إذ تخطب الناس والوالى لهم عمر ^(٢)

(شرح ابن أبي الحديد م ٤ : ص ٦٧)

أربعة آلاف ، فدوخ تلك البلاد حتى استقاموا . وذكروا أنه لما قدم فارس بعث إلى رؤسائها ، فوعده من نصره ومنه ، وخوف قوما وتوعدهم ، وضرب بعضهم ببعض ، ودل بعضهم على عورة بعض ، وهربت طائفة ، وأقامت طائفة ، فقتل بعضهم بعضاً . وصفت له فارس ، فلم يلق فيها جمعاً ولا حرباً ، وفعل مثل ذلك بكرمان ، ثم رجع إلى فارس فسار في كورها ومناجم ، فسكن الناس إلى ذلك فاستقامت له البلاد ، وأتى اصطخر فنزلها وحصل قلعة بهما بين بيضاء اصطخر واصطخر فكانت تسمى قلعة زياد وحدث رجل من أهل اصطخر قال : أدركت زياداً وهو أمير على فارس وهى تضم ناراً ، فلم يزل بالمدارة حتى عادوا إلى ما كانوا عليه من الطاعة والاستقامة ، لم يقف موقفاً للحرب ، وكان أهل فارس يقولون : ما رأينا سيرة أشبه بسيرة كسرى أنوشروان من سيرة هذا العربي في اللين والمدارة والعلم بما يأتى - انظر تاريخ الطبرى ٦ : ٧٩ - .

(١) يعنى سليمان عليه السلام ، قال ذلك لرسول بلقيس ملكة سبأ باليمن وقد بعثت إليه بهدية .
(٢) روى الطبرى أنه لما فتحت جلولا - من بلاد الفرس سنة ١٦ هـ - بعث سعد بن أبى وقاص بأخماس الفئام مع قضاعي بن عمرو الدؤلى ، وبعث بالسبى مع أبى منزر الأسود ، وبعث الحساب مع زياد - وكان زياد الذى يكتب للناس ويدونهم - فلما قدموا على عمر كلم زياد عمر فيما جاء له ووصف له ، فقال عمر : هل تستطيع أن تقوم فى الناس بمثل الذى كلتنى به ؟ فقال : والله ما على الأرض شخص أهيى فى صدرى منك ، فكيف لا أقوى على هذا من غيرك ؟ فقام فى الناس بما أصابوا وبما صنعوا وبما يستأذنون فيه من الانسياح فى البلاد ، فقال عمر : هذا الخطيب المصقع ! فقال : إن جندنا أطلقوا بالفعل لساننا - انظر تاريخ الطبرى ٤ : ١٨٢ .

وفى رواية ابن أبي الحديد أن عمر بعث زياداً فى إصلاح فساد واقع باليمن ، فلما رجع من وجهه خطب - وهو حدث - عند عمر خطبة لم يسمع مثلاً ، وأبو سفيان حاضر وعلى عليه السلام وعمرو ابن العاص ، فقال عمرو : لله أبو هذا الغلام ، لو كان قرشياً لساق العرب بعصاه ، فقال أبو سفيان : أما والله إنه لقرشى ، ولو عرفت أباه لعرفت أنه من خير أهلك ، فقال : ومن أبوه ؟ قال : أنا والله

٥٣٣ - كتاب عليّ إلى زياد

فكتب زياد إلى عليّ عليه السلام ، وبعث بكتاب معاوية في كتابه ، فكتب إليه عليّ :

« أما بعدُ : فإنّي قد وليتُك ما وليتُك ، وأنا أراك لذلك أهلاً ، وإنه قد كانت من أبي سفيان قلّة في أيام عمر من أمانيّ التّيه^(١) ، وكذب النفس ، لم تستوجب بها ميراثاً ، ولم تستحقّ بها نسباً ، وإن معاوية كالشيطان الرّجيم يأتي المرء من بين يديه ومن خلفه ، وعن يمينه وعن شماله ، فاحذره ، ثم احذره ، ثم احذره ، والسلام . (شرح ابن أبي الحديد م ٤ : ص ٦٨)



وزوّى الشريف الرّاضى رحمه الله في نهج البلاغة قال :

« من كتاب لعلّ عليه السلام إلى زياد بن أبيه ، وقد بلغه أن معاوية كتب إليه يريد خديعته باستلحاقه :

« وقد عرفتُ أن معاوية كتب إليك يستنزل^(٢) لبك ، ويستغلّ غرّ بك ، فاحذره فإنما هو الشيطان يأتي المرء من بين يديه ومن خلفه ، وعن يمينه ، وعن شماله^(٣) ،

وضعت في رحم أمه ، فقال عليّ : فما يمنعك من استلحاقه ؟ قال : أخاف هذا العير الجالس أن يخرج عليّ إهابي - انظر شرح ابن أبي الحديد م ٤ : ص ٦٧ وم ١ : ص ٥٨ ، والمقدّم الفريد ٣ : ٣ - وشالت نعماتهم : إذا ماتوا وتفرقوا . (١) التّيه : الصّلف والكبر

(٢) أى يطلب زلله وخطأه : أى يحاول أن تزل ، واللب : العقل ، والغرب : الحد ، ويستغله : أى يحاول أن يفله . (٣) مأخوذ من قوله تعالى « ثُمَّ لَا تَبْنِيهِمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ » .

لِيَقْتَحِمَ غَفْلَتَهُ ، وَيَسْتَلِبَ غِرَّتَهُ^(١) ، وقد كان من أبي سفيان في زمن عمر
ابن الخطاب فُلْتَةً من حديث النفس ، ونَزَغَةً من نَزَغَاتِ الشَّيْطَانِ ،
لا يَثْبُتُ بِهَا نَسَبٌ^(٢) ، ولا يُسْتَحَقُّ بِهَا إِرْثٌ ، والمتعلق بها كَالْوَاغِلِ^(٣)
الْمُدْفَعِ ، وَالنَّوْطِ الْمَذْبَذَبِ .

فلما قرأ زياد الكتاب ، قال : شَهِدَ بِهَا وَرَبُّ الْكَعْبَةِ ، ولم تزل في نفسه
حتى أدَّعَاهُ معاوية : (نهج البلاغة ٢ : ٤٩)

٥٣٤ - كتاب علي إلى ابن عباس

وكتب علي إلى ابن عباس :

« أما بعد : فإن المرء قد يسرُّه دَرْكُ ما لم يكن ليفُوتَهُ^(١) ، ويسوءُه فَوْتُ
ما لم يكن ليُدْرِكَهُ ، فما نالك من دنياك فلا تُكْثِرْ به فَرَحًا ، وما فاتك منها
فلا تأسَ عليه جَزَعًا^(٢) ، وليكن سرورك بما نِلْتَ من آخِرَتِكَ ، وليكن أسْفُكَ
على ما فاتك منها^(٣) ، وليكن همُّك فيما بعد الموت . »

(نهج البلاغة ٢ : ١٤ ، والأُمالي ٢ : ٩٦ ، وإيجاز القرآن ص ١٢١)

(١) الفرة : الغفلة . (٢) لقوله صلى الله عليه وسلم : « الولد للفراش وللعاهر الحجر » والعاهر
الزاني ، أي لاحق له في النسب ولا حظ له في الولد ، وإعما هو لصاحب الفراش ، أي لصاحب أم الولد
وهو زوجها أو مولاه ، وهو كقوله الآخر : له التراب « أي لاشيء له .

(٣) الواغل : هو الذي يدخل على القوم في طعامهم وشرابهم من غير أن يدعوهم إليه أو ينفق
معهم مثل ما أنفقوا فلا يزال مدفعاً محاجزاً ، والنوط المذبذب : هو ما يناط أي يعلق برجل الراكب
من قصب أو قرح أو ما أشبه ذلك ، فهو أبداً يتقلقل إذا حث ظهره واستعجل سيره .

(٤) وفي إيجاز القرآن « يسر بدرك ما لم يكن ليحرمه » . (٥) وفي الأُمالي « فلا تتبعه أسفاً »
وفي إيجاز القرآن « وانظر ما فاتك من الدنيا فلا تكثر عليه جزعاً ، وما نلت فلا تنعم به فرحاً » .

(٦) في الأُمالي « فليكن سرورك بما قدمت ، وأسفك على ما خلفت » وفي إيجاز القرآن « فليكن
سرورك بما قدمت من أجر أو منطق ، وليكن أسفك فيما فرطت فيه من ذلك » .

وكان ابن عباس يقول : ما انتفعت بكلام بعد كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم كانتفاعي
هذا الكلام .



وقد روى هذا الكتاب في نهج البلاغة أيضاً بصورة أخرى ، وهى :
 « أما بعدُ : فإن المرء ليفرّح بالشئ الذى لم يكن ليفوته ، ويحزن على
 الشئ الذى لم يكن ليصيبه ، فلا يكن أفضل ما نلت فى نفسك من دنياك
 بلوغ لذة ، أو شفاء غيظ ، ولكن إطفاء باطلٍ أو إحياء حق ، وليكن سرورك
 بما قدمت ، وأسفك على ما خلفت ، وهمك فيما بعد الموت » .
 (نهج البلاغة ٢ : ٩٢)

٣٥ - كتاب أبى الأسود الدؤلى إلى على

وروى أن عبد الله بن عباس كان من أحب الناس إلى عمر بن الخطاب
 وكان يقدمه على الأكابر من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ، ولم يستعمله
 قط ، فقال له يوماً : كدت أستعملك ، ولكن أخشى أن تستحلّ النِّيء ، على
 التأويل ، فلما دار الأمر إلى على ، أستعمله على البصرة - بعد وقعة الجمل كما
 قدمنا - فاستحلّ النِّيء على تأويل قول الله تعالى : « وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ
 شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى . . . » واستحلّه لقربته من
 رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ومرّ ابن عباس يوماً على أبى الأسود الدؤلى ، فقال له : لو كنت من
 البهائم لكنت جملاً ، ولو كنت راعياً ما بلغت المرعى ، ولا أحسنت مهنته فى
 المشى ، فكتب أبو الأسود إلى على :

« أما بعدُ : فإن الله جل وعلا جعلك والياً مؤتمناً ، وراعياً مسئولاً ،
 وقد بلّوناك^(١) رَحِمَكَ اللهُ ، فوجدناك عظيم الأمانة ، ناصحاً للأمة ، توفّر لهم

(١) أى اختبرناك .

فِيهِمْ ، وَتَظْلِفُ^(١) نَفْسَكَ عَنْ دُنْيَاهُمْ ، فَلَا تَأْكُلُ أَمْوَالَهُمْ ، وَلَا تَرْتَشِي
بِشْيءٍ فِي أَحْكَامِهِمْ .

وإن ابن عمك قد أكل ما تحت يديه بغير علمك ، فلم يسعني كتمانك
ذلك ، فانظر رحمك الله فيما هنالك ، واكتب إليّ برأيك ، فبا أحييت أتبعه
إن شاء الله ، والسلام .

(العقد الفريد ٢ : ٢٤٢ ، وتاريخ الطبري ٦ : ٨١)

٥٣٦ - رد عليّ أبي الأسود

فكتب إليه علي :

« أما بعد : فثلك نصّح الإمام والأمة ، وأدّى الأمانة ، ووالى على الحق
وفارق الجور ، وقد كتبت إلى صاحبك بما كتبت إلىّ فيه من أمره ، ولم
أعلمه بكتابك إلىّ ، فلا تدع إعلامي بما يكون بحضرتك ، مما النظر فيه
للأمة صلاح ، فإنك بذلك جدير ، وهو حق واجب لله عليك ، والسلام . »

(العقد الفريد ٢ : ٢٤٢ ، وتاريخ الطبري ٦ : ٨١)

٥٣٧ - كتاب عليّ إلى ابن عباس

وكتب عليّ إلى ابن عباس :

« أما بعد : فإنه قد بلغني عنك أمر ، إن كنت فعلته فقد أسخطت
ربك ، وعصيت إمامك ، وأخزيت أمانتك ، وخنت المسلمين . »

(١) ظلف نفسه عنه كضرب ، منعها من أن تفعله وكفها عنه ، وفي العقد الفريد « وتكف » .

بلغنى أنك جرّدت^(١) الأرض ، فأخذت ما تحت قدميّك ، وأكلت ما تحت يديك ، فارتفع إلى حسابك ، وأعلم أن حساب الله أعظم من حساب الناس ، والسلام . (العقد الفريد ٢ : ٢٤٢ ، ونهج البلاغة ٢ : ٤٦)

٥٣٨ - رد ابن عباس على عليّ

فكتب إليه ابن عباس :

« أما بعد : فإن كل الذى بلغك باطل ، وإنى لما تحت يدى ضابط قائم له ، وعليه حافظ ، فلا تصدّق على الضّنين^(٢) ، والسلام . »
(العقد الفريد ٢ : ٢٤٢ ، وتاريخ الطبرى ٦ : ٨٢)

٥٣٩ - رد عليّ على ابن عباس

فكتب إليه عليّ :

« أما بعد : فإنه لا يسعنى تركك حتى تعلمنى ما أخذت من الجزية ، من أين أخذته ؟ وما وضعت منها ، فيمّ وضعت ؟ فاتق الله فيما أئتمنتك عليه

(١) أى قهرتها ، والمعنى : أخرجتها . (٢) وفى الطبرى « فلا تصدّق الظنون » والضّنين : البخيل . وكان أبو الأسود معروفاً بالبخل ، ومن طريف ما يروى عنه أن رجلاً قال له : « أنت والله ظرف لفظ ، وظرف علم ، ووعاء حلم ، غير أنك بخيل » فقال : « وما خير ظرف لا يمسك مافيه ؟ » وسلم عليه أعرابى يوماً ، فقال أبو الأسود : كلمة مقولة ، فقال له : أتاؤن فى الدخول ؟ قال : وراءك أوسع لك ، قال : فهل عندك شيء ؟ قال : نعم ، قال : أطعمنى ، قال : عيالى أحق منك ، قال : ما رأيت ألام منك ؟ قال : نسبت نفسك . « أمالى المرتضى ١ : ٢١٤ » وسمع أبو الأسود رجلاً يقول : من يعنى الجائع ؟ فعشاه ، ثم قام الرجل ليخرج ، فقال : هيهات ! تخرج فتؤذى الناس كما آذيتنى ! ووضع رجله فى الأدم حتى أصبح . « المحاسن والأضداد ١ ص ٦٩ » .

واسترعيتك إياه ، فإن المتاع بما أنت رازمه^(١) قليل ، وتباعته وبيلة لا تبید ،
(العقد الفريد ٢ : ٢٤٢ ، وتاريخ الطبری ٦ : ٨٢) . والسلام .

٥٤٠ — رد ابن عباس على عليّ

فلما رأى أن عليّاً غير مُقْلِع عنه ، كتب إليه :
« أما بعد : فقد فهمت تعظيمك عليّ مَرَزَّة^(٢) مال ، بَلَعَكَ أنى رَزَأْتَهُ
أهل هذه البلاد ، وإيمُ الله لأن ألقى الله بما فى بطن هذه الأرض من
عُقَيَانِهَا^(٣) ومُحَبَّيْهَا ، وبما على ظهرها من طِلَاعِهَا ذَهَبًا ، أحبُّ إلىَّ من أن
ألقى الله ، وقد سفكت دماء هذه الأمة ، لأنالَ بذلك الملك والإمرة .
أبعث إلى عمالك مَنْ أَحْبَبْتَ ، فإنى ظاعنٌ عنه ، والسلام . »
ورحل ابن عباس عن البصرة . وقد حمل ما كان فى بيت مالها ، حتى
قَدِمَ الحجاز ، فنزل مكة ، واشترى من عطاء بن جُبَيْر ثلاث مَوَلَّدات
حِجَازِيَّات بثلاثة آلاف دينار .

(العقد الفريد ٢ : ٢٤٢ ، وتاريخ الطبرى ٦ : ٨٢ ، وشرح ابن أبى الحديد ٤ : ص ٦٤)

(١) رزم الشيء : كضرب ونصر : جمعه فى نوب ، والتباعة : التبعة .
(٢) رزأه ماله كفتح وفتح : أصاب من ماله شيئاً ، ويقال : مارزأته ماله وما رزأته ماله : أى
ما نقصته . (٣) العقيان : الذهب ، وطلاع الشيء : ملؤه ، وفى ابن أبى الحديد « أما بعد :
فإنك قد أكرت عليّ ، والله لأن ألقى الله قد احتويت على كنوز الأرض كلها وذهبها وعقيانها
ولجينها ، أحبُّ إلىَّ من أن ألقاه بدم امرئ مسلم » — واللجين بالضم : الفضة .

٥٤١ - كتاب عليّ إلى ابن عباس

ثم كتب عليّ إلى ابن عباس :

« أما بعد : فإنني كنت أشركتُك في أمانتي ، وجعلتك شِعاري ^(١) وِبَطَانتي ولم يكن من أهل بيتي رجلٌ أوثق منك في نفسي ، لمُوَاساتي ومُوَازرتي ، وأداء الأمانة إليّ ، فلما رأيتَ الزمان على ابن عمك قد كَلِبَ ^(٢) ، والعدو قد حَرِبَ ، وأمانة الناس قد خَرِيَّت ^(٣) ، وهذه الأمة قد فَنَكَت ^(٤) وشَغَرَت ، قَلَبْتَ لابن عمك ظَهَرَ المِجَنِّ ^(٥) ، ففارقته مع المفارقين ، وخَذَلْتَهُ أسوأ خِذْلَان ، وخُتِنْتَهُ مع من خان ^(٦) ، فلا ابن عمك آسَيْتَ ^(٧) ، ولا الأمانة إليه أَدَيْتَ ، وكأنك لم تكن اللهُ تُريدُ بجهادك ، وكأنك لم تكن على يَدْنَةٍ من ربك ، وكأنك إنما كنت تَكِيدُ هذه الأمة عن دنياهم ، وتَنوِي غِرَّتَهُم ^(٨) عن

(١) الشعار : الثوب يلي شعر الجسد . (٢) كلب الزمان : اشتد ، وحرب العدو . استأسد

واشتد غضبه ، وفي العقد الفريد « قد حرد » وحرد كسمع وضرب : غضب .

(٣) أي زلت وهانت . (٤) فك في الأمر كنصر : لَج فيه ، وفك : كذب ، وفك

في الكذب : مضى ولَج فيه ، وفنكت الجارية : مجنت ، وكل هذه المعاني صالحة هنا ، وفي العقد الفريد

« قد فَنَكَت » وشغرت (كنع) أي خَلَّت من الخير ، من شغرت الأرض : إذا لم يبق بها أحد

يحميها ويضبطها فهي شاغرة .

(٥) المِجَنِّ : الترس ، وهذا مثل يضرب لمن كان لصاحبه على مودة ورعاية ثم حال عن العهد ، قال

ابن أبي الحديد : « وأصل ذلك أن الجيش إذا لفوا العدو كانت ظهور مجانهم إلى وجه العدو ، ويطونها

إلى وجه عسكرهم ، فإذا فارقوا رئيسهم ودروا مع العدو كان وضع مجانهم بدلا من الوضع الذي كان

من قبل ، وذلك أن ظهور الترس لا يمكن أن تكون إلا في وجوه الأعداء لأنها مرمى سهامهم اه » .

(٦) وفي نهج البلاغة « وخذلته مع الخاذلين ، وخنته مع الخائنين » .

(٧) آسأه : شاركه وأصابه بخير ، وفي الحديث : « ما أحد عندي أعظم يداً من أبي بكر ، آساني

بنفسه ، وماله » . (٨) الغرة : الغفلة .

فِيهِمْ ، فَلَمَّا أَمَكَّتَكَ الشَّدَّةُ^(١) فِي خِيَانَةِ الْأُمَّةِ ، أَسْرَعْتَ الْكَرَّةَ ،
وَعَاجَلْتَ الْوَثْبَةَ ، فَاخْتَطَفْتَ مَا قَدَرْتَ عَلَيْهِ مِنْ أَمْوَالِهِمِ الْمَصُونَةِ لِأَرَامِلِهِمْ
وَأَيَاتِهِمْ ، اخْتِطَافَ الذَّنْبِ الْأَزْلَ^(٢) دَامِيَةِ الْمَعْرَى الْكَسِيرَةِ ، خُمْلَتَهُ إِلَى
الْحِجَازِ ، رَحِيبَ الصَّدْرِ بِحَمْلِهِ ، غَيْرَ مَتَأْتِمٍ مِنْ أَخْذِهِ ، كَأَنَّكَ - لَا أَبَا
لِغَيْرِكَ^(٣) - حَدَرْتَ إِلَى أَهْلِكَ ثِرَاثَكَ مِنْ أَيْكَ وَأَمَّاكَ ، فَسُبْحَانَ اللَّهِ ! أَمَّا
تُؤْمِنُ بِالْمَعَادِ ؟ أَوْ مَا تَخَافُ نِقَاشَ الْحِسَابِ ؟

أَيُّهَا الْمَعْدُودُ - كَانَ - عِنْدَنَا مِنْ أُولَى الْأَلْبَابِ ، كَيْفَ تُسَيِّغُ^(٤) شَرَابًا
وَطَعَامًا ؟ وَأَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّكَ تَأْكُلُ حَرَامًا ، وَتَشْرِبُ حَرَامًا ، وَتَبْتَاعُ الْإِمَاءَ ،
وَتَنْكِحُ النِّسَاءَ ، مِنْ مَالِ الْيَتَامَى ، وَالْمَسَاكِينِ ، وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُجَاهِدِينَ الَّذِينَ
أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ هَذِهِ الْأَمْوَالَ ، وَأَحْرَزَ بِهِمْ هَذِهِ الْبِلَادَ .

فَاتَّقَ اللَّهُ وَارْذُذْ إِلَى هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ أَمْوَالَهُمْ ، فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تَفْعَلْ ، ثُمَّ
أَمَكَّتَنِي اللَّهُ مِنْكَ ، لَأَعْذِرَنَّ^(٥) إِلَى اللَّهِ فِيكَ ، وَلَأَضْرِبَنَّكَ بِسِيفِي الَّذِي
مَا ضَرَبْتُ بِهِ أَحَدًا إِلَّا دَخَلَ النَّارَ ، وَوَاللَّهِ لَوْ أَنَّ الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ فَعَلَا مِثْلَ
الَّذِي فَعَلْتَ ، مَا كَانَتْ لَهُمَا عِنْدِي هَوَادَةٌ ، وَلَا ظَفِرًا مَنِي بِإِرَادَةٍ ، حَتَّى آخُذَ
الْحَقَّ مِنْهُمَا ، وَأُزِيلَ الْبَاطِلَ عَنْ مَظْلِمَتِهِمَا ، وَإِنِّي أَقْسِمُ بِاللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكَ

(١) الحلة ، وفي العقد « فلما أمكنتك الفرصة في خيانة الأمة أسرعت الغدرة » .

(٢) الذنب الأزَل : الخفيف الوركين ، وذلك أشد لعدوه وأبرع لوثبته ، والدامية : المجروحة ،
والكسيرة : المكسورة ، والرحيب : الواسع .

(٣) كلمة يقال للتوبيخ مع تعامى الدعاء عليه ، وحدره : حطه من علو إلى سفلى ، والمعنى : جلبت ،
والتقاش مصدر ناقش كالمنافشة . (٤) ساع الشراب يسوغ : سهل مدخله في الحلق ، وأسأغه
هو وسأغه يسوغه وسأغه يسيفه سوغا وسيفاً ، ومن الرابعى قوله تعالى « يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِغُهُ »
(٥) أعذر : ثبت له عذر .

ربُّ العزة ما يَسُرُّني أن ما أخذت من أموالهم حلال لي أدَّعُه ميراثًا لَعَقِبِي ،
فما بالُ اغتباطِكَ به تأكله حرامًا ؟

فَضَحَّ رُوَيْدًا^(١) ، فكأنك قد بلغتَ المَدَى ، ودُفِنْتَ تحت الثَّرَى ،
وعُرِضَتْ عليك أعمالك بالحِلِّ الذي ينادي فيه المغترُّ بالحسرة ، ويتعنى
المضيِّعُ التوبة ، والظالمُ الرجعة ، ولات حينَ مناصٍ « ، والسلام .
(نهج البلاغة ٢ : ٤٦ ، والعقد الفريد ٢ : ٢٤٣ ، وجمع الأمثال للعبداني ٢ : ٢٢)

٥٤٢ - رد ابن عباس على عليّ

فكتب إليه ابن عباس :

« أما بعد : فقد أتاني كتابك تعظّم عليّ أمانةَ المال الذي أصبتُ من
بيت مال البصرة ، ولعمري إن حقّ في بيت مال الله أكثر من الذي أخذتُ
والسلام » . (العقد الفريد ٢ : ٢٤٣ ، وشرح ابن أبي الحديد ٤ : ص ٦٤)

٥٤٣ - رد عليّ على ابن عباس

فكتب إليه عليّ :

« أما بعد : فإن العَجَبَ كل العَجَب منك أن تُزَيِّنَ لك نفسك أن لك
في بيت مال الله من الحق أكثر مما لرجل من المسلمين ، قد أفلحت إن كان
تمنيك الباطلَ وادِّعاؤك مالا يكون ، يُنجيك من الإثم ، ويُحِلّ لك ما حرّم

(١) انظر ص ٤٥٥

الله عليك ، عَمَّرَكَ اللهُ^(١) ! إِنَّكَ لَأَنْتَ الْبَعِيدُ الْبَعِيدُ^(٢) ، وقد بلغني أَنَّكَ اتَّخَذْتَ مَكَّةَ وَطَنًا ، وَضَرَبْتَ بِهَا عَطَنًا^(٣) ، تَشْتَرِي الْمَوْلَدَاتِ مِنْ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ وَالطَّائِفِ ، وَتَخْتَارُهُنَّ عَلَى عَيْنِكَ ، وَتُعْطِي فِيهِنَّ مَالَ غَيْرِكَ^(٤) ، فَارْجِعْ هَذَاكَ اللهُ إِلَى رُشْدِكَ ، وَتُبْ إِلَى اللهِ رَبِّكَ ، وَأَخْرِجْ إِلَى الْمُسْلِمِينَ مِنْ أَمْوَالِهِمْ ، فَعَمَّا قَلِيلٍ تَفَارِقُ مِنَ الْإِفْتِ ، وَتَتْرَكَ مَا جَمَعْتَ ، وَتُغَيِّبُ فِي صَدْعٍ^(٥) مِنَ الْأَرْضِ ، غَيْرَ مُوسَّدٍ وَلَا مُمَهَّدٍ ، قَدْ فَارَقْتَ الْأَحْبَابَ ، وَسَكَنْتَ التُّرَابَ ، وَوَجَّهْتَ الْحِسَابَ ، غَنِيًا عَمَّا خَلَفْتَ ، فَقِيرًا إِلَى مَا قَدَّمْتَ ، وَالسَّلَامُ»
(العقد الفريد ٢ : ٢٤٣ ، وشرح ابن أبي الحديد ٤ : ص ٦٤)

٥٩٤ - رد ابن عباس على عليّ

فكتب إليه ابن عباس :

« وَاللَّهِ لَئِنْ لَمْ تَدَعْنِي مِنْ أَسَاطِيرِكَ لِأَحْمِلَنَّهُ إِلَى مَعَاوِيَةَ يَقَاتِلَكَ بِهِ » .
فكفّ عنه عليّ . (العقد الفريد ٢ : ٢٤٤)

(١) عَمَّرَكَ اللهُ : عمر اسم بمعنى التعمير ، نصب على معنى عمرتك الله : أى سألت الله تعميرك أى أن يطيل عمرك ، فعمرك مفعول ثان لفعل محذوف ولفظ الجلالة مفعول أول ، أو هو من الأسماء الموضوعة موضع المصادر المنصوبة على إضمار الفعل ، وأصله من عمرتك الله تعميراً لحذفت زيادته ، فعمرك مصدر نائب عن فعله والله مفعوله ، أو هو على معنى بتعميرك الله أى بإقرارك له بالبقاء ، فعمرك منصوب بنزع الباء الفسمية مضاف إلى فاعله والله مفعوله .

(٢) وفي شرح ابن أبي الحديد « إِنَّكَ لَأَنْتَ الْمُهْتَدَى السَّعِيدُ إِذْنِ » . (٣) العطن : مبرك الإبل

(٤) روى صاحب العقد عقب ذلك : « وَإِنِّي أَقْسَمُ بِاللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكَ وَرَبِّ الْعِزَّةِ ... الْح » وقد تقدم

(٥) فى شق : أى فى قبر .

٥٤٥ - كتاب عقيل بن أبي طالب إلى عليّ

وكتب عقيل بن أبي طالب إلى أخيه الإمام علي عليه السلام :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، اعبد الله على أمير المؤمنين من عقيل

ابن أبي طالب .

سلام عليك ، فإنّي أحمدُ إليك الله الذي لا إله إلا هو ، أما بعدُ : فإنّ الله حارسُك من كل سوء^(١) ، وعاصِمُك من كل مكروه ، وعلى كل حال ، إنّي قد خرجت إلى مكّة مُعْتَمِراً^(٢) ، فليقِيت عبد الله بن سعد بن أبي سرح في نحو من أربعين شاباً من أبناء الطلقاء ، فقلتُ لهم - وعَرَفْتُ المنكر في وجوههم - إلى أين يا أبناء الشّائنين^(٣) ؟ أبعاًوية تلحقون ؟ العداوة والله لنا منكم ظاهرة غيرُ مستنكرة قديماً ، تُريدون بها إطفاء نور الله ، وتغيير أمره ، فأستمعني القومُ وأسمعتهم .

ثم قدِمْتُ مكّة فسمِعْتُ أهلها يتحدثون أن الضحّاك بن قيس أغار على

(١) في الأغاني « فإن الله جارك من كل سوء » وفي الإمامة والسياسة « أما بعد يا أخي ، كلاك الله ، والله جارك من كل سوء . . . الخ »

(٢) في الإمامة والسياسة أيضاً « إنّي خرجت معتمراً فلقيت عائشة معها طلحة والزبير وذوهمما وهم متوجهون إلى البصرة قد أظهروا الخلاف ، ونكثوا البيعة ، وركبوا عليك قتل عثمان ، ونبعمهم على ذلك كثير من الناس من طغاتهم وأوباشهم ، ثم مر عبد الله بن أبي سرح . . . الخ » وإنّي أستبعد جداً أن يكتب اليه في هذا الكتاب شيئاً بشأن خروج عائشة ومتابعيها إلى البصرة ، إذ قد ذكر بعد أنه قدم مكّة فسمع بغارة الضحّاك على الحيرة ، وكان خروج عائشة بدء خلافة الإمام في أوائل سنة ٣٦ كما قدمنا ، أما غارة الضحّاك فكانت سنة ٣٩ كما سيأتي ، فكيف يتفق هذا وذاك .

(٣) الشّائني : البغض .

الحيرة^(١) فاحتَمَلَ من أموال أهلها ما شاء ، ثم أنكَفَأ راجعاً سالمًا ، فأفَّ حياة في دهرٍ جرأً عليك الضَّحَّاك ! وما الضَّحَّاك ؟ وهل هو إلا فقَّعٌ بِقِرْقَرَةٍ^(٢) وقد وُطِئَتْ ؟

وبلغنى أن أنصارك قد خذلوك ، فاكتب إلى يابن أمِّ برأيك ، فإن كنتَ الموتَ تُريد ، تحمَّلتُ إليك بيني أخيك وولد أهلك ، فعشنا معك ما عشت ، ومُتْنَا معك إذا مُتَّ ، فوالله ما أحبُّ أن أبقي في الدنيا بعدك فُواقًا^(٣) ، وأقسِمُ بالله الأعزَّ الأجل ، إن عيشاً أعيشهُ في هذه الدنيا بعدك لعيش غير هنيء ولا مَرِيء ولا نَجِيع^(٤) ، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته .
(شرح ابن أبي الحديد م ١ : ص ١٥٥ ، والأعاني ١٥ : ٤٤ ، والإمامة والسياسة ١ : ٤٣)

٥٩٦ - رد عليّ على عقيل

فكتب إليه عليّ عليه السلام :

« من عبد الله عليّ أمير المؤمنين إلى عقيل بن أبي طالب :

(١) وكان ذلك سنة ٣٩ هـ ، دعاه معاوية فقال له : سر حتى تمر بناحية الكوفة وترفع عنها ما استطعت ، فمن وجدته من الأعراب في طاعة علي فأغره عليه ، وإن وجدت له مسلحة أو خيلاً فأغره عليها ، فسرحه فيها بين ثلاثة آلاف إلى أربعة آلاف ، فأقبل الضحَّاك فنهب الأموال ، وقتل من لقي من الأعراب ، ومرر بالعلبية ، فأغار على مسلح علي وأخذ أمتعتهم ، ومضى حتى انتهى إلى الفطفطانة ، فأتى عمرو بن عميس بن مسعود - وهو ابن أخي عبد الله بن مسعود - وكان في خيل لعل وأمامه أهله ، وهو يريد الحج ، فقتله وقتل ناساً من أصحابه ، فلما بلغ ذلك علياً سرح حجر بن عدى الكندي في أربعة آلاف ، فلم يزل مغزاً في أثر الضحَّاك ، حتى لقيه بناحية تدمر ، فواقعه فاقتلوا ساعة ، فقتل من أصحاب الضحَّاك تسعة عشر رجلاً ، وقتل من أصحاب حجر رجلان ، وحجز الليل بينهم ، فهرب الضحَّاك وأصحابه ، فلما أصبحوا لم يجدوا لهم أثراً - انظر شرح ابن أبي الحديد م ١ : ص ١٥٤ وتاريخ الطبري ٦ : ٧٨ -

(٢) انظر ص ٤٠٩ .

(٣) الفواق : بالضم ويفتح ما بين الحلبتين من الوقت ، يقال : ما أقام عنده إلا فواقاً .

(٤) نَجِيع الطعام كنعج نجوعاً : هنا آكله .

سلامُ الله عليك ، فإنِّي أحمدُ إليك اللهَ الذي لا إله إلا هو ، أما بعد :

كَلَّا نَا^(١) اللهُ وإِياكَ كِلَاءَةً مَنْ يَخْشَاهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ ، فَقَدْ قَدِمَ عَلَيَّ

عبد الرحمن بن عُبَيْدٍ الأَزْدِيُّ بكتابك تذكر فيه أنك لَقِيتَ عبد الله بن سَعْدٍ

ابن أبي سَرْحٍ مُقْبِلًا مِنْ قُدَيْدٍ^(٢) فِي نَحْوِ مِنْ أَرْبَعِينَ شَابًّا مِنْ أَبْنَاءِ الطُّلَقَاءِ ،

مُتَوَجِّهِينَ إِلَى جِهَةِ الْمَغْرِبِ ، وَإِنَّكَ تُنَبِّئُ عَنْ ابْنِ أَبِي سَرْحٍ ! طَالَمَا كَادَ اللهُ

وَرَسُولُهُ وَكِتَابَهُ ، وَصَدَّ عَنْ سَبِيلِهِ ، وَبَغَاها عِوَجًا^(٣) ، فَدَعَا ابْنُ أَبِي سَرْحٍ عَنْكَ ،

وَدَعَا قَرِيشًا وَخَلَّتْهُمْ وَتَرَوْهُمُ كَاضِهِمْ فِي الضَّلَالِ ، وَتَجَوَّاهُمْ فِي الشَّقَاقِ ، وَجَاحَهُمْ

فِي النَّيِّهِ ، فَإِنْ قَرِيشًا قَدْ أَجْمَعْتَ عَلَى حَرْبِ أَخِيكَ الْيَوْمَ إِجْمَاعَهَا عَلَى حَرْبِ

رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَبْلَ الْيَوْمِ ، فَأَصْبَحُوا قَدْ جَهِلُوا حَقَّهُ ، وَجَحَدُوا

فَضْلَهُ ، وَكَادُوهُ بِالْعِدَاوَةِ ، وَنَصَبُوا لَهُ الْحَرْبَ ، وَجَهَدُوا عَلَيْهِ كُلَّ الْجَهْدِ ، وَجَرُّوا

إِلَيْهِ جَيْشَ الْأَحْزَابِ ، وَجَدُّوا فِي إِطْفَاءِ نَوْرِ اللهِ ، اللَّهُمَّ فَاجْزِ عَنِّي قَرِيشًا

الْجَوَازِيَّ^(٤) ، فَقَدْ قَطَعْتَ رَجْمِي ، وَتَظَاهَرْتَ^(٥) عَلَيَّ ، وَدَفَعْتَنِي عَنْ حَقِّي ،

(١) كَلَّاهُ كَنَعَهُ : حَرَسَهُ . (٢) قُدَيْدٍ : اسْمُ مَوْضِعٍ قَرِيبِ مَكَّةَ .

(٣) مَنْ خَبَرَهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ فِي غَزْوَةِ الْفَتْحِ قَدْ عَاهَدَ إِلَى أَمْرَائِهِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ حِينَ أَمَرَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوا مَكَّةَ ، أَنْ لَا يَقْتُلُوا أَحَدًا إِلَّا مِنْ قَاتِلِهِمْ ، إِلَّا أَنَّهُ قَدْ عَاهَدَ فِي نَفَرِ سَمَاءٍ ، أَمَرَ بِقَتْلِهِمْ وَإِنْ وَجَدُوا تَحْتَ أَسْتَارِ الْكَعْبَةِ ، مِنْهُمْ عَبْدُ اللهِ بْنُ سَعْدِ بْنِ أَبِي سَرْحٍ أَخُو بَنِي عَامِرِ بْنِ لُؤَيٍّ وَإِنَّمَا أَمَرَ رَسُولُ اللهِ بِقَتْلِهِ ، لِأَنَّهُ قَدْ كَانَ أَسْلَمَ ، وَكَانَ يَكْتُبُ لِرَسُولِ اللهِ الْوَحْيَ ، فَارْتَدَّ مُشْرِكًا رَاجِعًا إِلَى قَرِيشٍ — فَفَرَّ إِلَى عَثْمَانَ وَكَانَ أَخَاهُ مِنَ الرِّضَاعِ ، فَفِيهِ حَتَّى أَتَى بِهِ رَسُولُ اللهِ بَعْدَ أَنْ أَطْمَأَنَّ أَهْلُ مَكَّةَ ، فَاسْتَأْمَنَهُ لَهُ ، فَصَمَّتْ رَسُولُ اللهِ طَوِيلًا ثُمَّ قَالَ : نَعَمْ ، فَلَمَّا انْصَرَفَ بِهِ عَثْمَانُ ، قَالَ رَسُولُ اللهِ لِمَنْ حَوْلَهُ مِنْ أَصْحَابِهِ : أَمَا وَاللَّهِ لَقَدْ صَمْتُ لِيَقُومَ إِلَيْهِ بَعْضُكُمْ فَيَضْرِبَ عُنُقَهُ ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ فَهَلَا أَوْمَأْتُ إِلَى يَارَسُولَ اللهِ ! قَالَ : إِنْ النَّبِيَّ لَا يَقْتُلُ بِالْإِشَارَةِ — انْظُرْ تَارِيخَ الطَّبَرِيِّ ٣ : ١١٩ وَسِيرَةَ ابْنِ هِشَامٍ ٢ : ٢٧١ .

(٤) الْجَوَازِيُّ جَمْعُ جَازِيَةٍ ، وَالْجَازِيَّةُ : الْجَزَاءُ ، مُصْدَرٌ عَلَى فَاعِلَةٍ كَالْعَافِيَةِ ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْجَوَازِيُّ جَمْعُ جَزَاءٍ لِمِثَابَةِ اسْمِ الْفَاعِلِ الْمَصْدَرِ ، فَكَمَا جَمَعَ سَبِيلًا عَلَى سَوَائِلٍ كَذَلِكَ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْجَوَازِيُّ جَمْعُ جَزَاءٍ ، وَالْمَعْنَى : اللَّهُمَّ اجْزِ قَرِيشًا عَنِّي مَا تَسْتَحِقُّهُ مِنَ الْجَزَاءِ لِمَا صَنَعْتُ بِي .

(٥) أَيْ تَعَاوَنْتَ .

وَسَلَّ بَنِي سُلْطَانَ ابْنِ أُمِّي^(١) ، وَسَلَّمَتْ ذَلِكَ إِلَى مَنْ لَيْسَ مِثْلِي فِي قِرَابَتِي مِنَ
الرَّسُولِ ، وَسَابَقَتِي فِي الْإِسْلَامِ ، إِلَّا أَنْ يَدَّعِي مُدَّعٍ مَالًا أَعْرِفُهُ ، وَلَا أَظُنُّ
اللَّهَ يَعْرِفُهُ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ .

وَأَمَّا مَا ذَكَرْتَ مِنْ غَارَةِ الضَّحَّاكِ بْنِ قَيْسٍ عَلَى أَهْلِ الْحَيْرَةِ ، فَهُوَ أَقْلٌ
وَأَذَلُّ مِنْ أَنْ يُلَيِّمَ^(٢) بِهَا أَوْ يَدْنُوَ مِنْهَا ، فَضْلاً عَنِ الْغَارَةِ ، وَلَكِنَّهُ قَدْ كَانَ أَقْبَلَ
فِي جَرِيدَةِ خَيْلٍ ، فَأَخَذَ عَلَى السَّمَاوَةِ ، حَتَّى مَرَّ بِوَأَقِصَةِ وَشَرَّافٍ ، وَالْقُطْقُطَانَةِ
وَمَا وَآلَى ذَلِكَ الصُّفْعَ ، فَسَرَّخْتُ إِلَيْهِ جَيْشًا كَثِيفًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، فَلَمَّا بَلَغَهُ
ذَلِكَ شَمَّرَ هَارِبًا ، وَنَكَصَ نَادِمًا ، فَاتَّبَعُوهُ فَلَحِقُوهُ بِبَعْضِ الطَّرِيقِ ، وَقَدْ أَمَعَنَ
فِي السَّيْرِ ، وَقَدْ طَمَعَتْ^(٣) الشَّمْسُ لِلْإِيَابِ ، فَاقْتَتَلُوا شَيْئًا كَلًّا وَلَا^(٤) ، فَمَا كَانَ
إِلَّا كَمَوْقِفِ سَاعَةٍ ، حَتَّى وَلَّى هَارِبًا وَلَمْ يَصْبِرْ لَوْ قَعِ الْمَشْرِفِيَّةِ^(٥) ، وَقُتِلَ مِنْ

(١) يَعْنِي رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَأُمِّي عَلَى هِيَ فَاطِمَةُ بِنْتُ أَسَدِ بْنِ هَاشِمٍ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ ،
وَقَدْ أَسَلَتْ بَعْدَ عَشْرِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَكَانَتْ الْحَادِي عَشَرَ ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ يَكْرُمُهَا وَيُعَظِّمُهَا وَيَدْعُوهَا
« أُمِّي » وَقَدْ قَالَ : لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ بَعْدَ أَبِي طَالِبٍ أَبْرَّ بِي مِنْهَا — انْظُرْ شَرْحَ ابْنِ أَبِي الْحَدِيدِ ص ١ : ص هـ
وَقَالَ ابْنُ أَبِي الْحَدِيدِ فِي تَعْلِيلِ التَّعْيِيرِ « بَابُ أُمِّي » : لِأَنَّهُمَا ابْنَا فَاطِمَةَ بِنْتُ عَمْرِو بْنِ عُمَرَ بْنِ عَائِدِ
ابْنِ مَخْزُومٍ أُمُّ عَبْدِ اللَّهِ وَأَبِي طَالِبٍ ، وَلَمْ يَقُلْ سُلْطَانُ ابْنِ أُمِّي ، لِأَنَّ غَيْرَ أَبِي طَالِبٍ مِنَ الْأَعْمَامِ يَشْرُكُهُ
فِي النَّسَبِ إِلَى عَبْدِ الْمَطْلَبِ وَأَرَى أَنَّ الْوَجْهَ الَّذِي ذَهَبَتْ أَنَا إِلَيْهِ فِي ذَلِكَ أَقْرَبُ وَأَرْجَحُ ، وَمِنْ طَرِيفٍ
مَاتَعَبَ بِهِ ابْنُ أَبِي الْحَدِيدِ الرَّائِدِيُّ هُنَا مَا يَأْتِي : قَالَ الرَّائِدِيُّ : « قَوْلُهُ سُلْطَانُ ابْنِ أُمِّي يَعْنِي نَفْسَهُ أَيْ
سُلْطَانَهُ لِأَنَّهُ ابْنُ أُمِّ نَفْسِهِ ، وَهَذَا مِنْ أَحْسَنِ الْكَلَامِ » قَالَ ابْنُ أَبِي الْحَدِيدِ : « وَلَا شَبْهَةَ أَنَّهُ عَلَى
تَفْسِيرِ الرَّائِدِيِّ لَوْ قَالَ « وَسَلَبُونِي سُلْطَانَ ابْنَ أُخْتِ خَالَتِي أَوْ ابْنَ أُخْتِ عَمَّتِي » لَسَكَانٌ أَحْسَنُ وَأَحْسَنُ ،
وَهَذَا الرَّجُلُ قَدْ كَانَ يَجِبُ أَنْ يُجْعَلَ عَلَيْهِ وَلَا يُمْكِنُ مِنْ تَفْسِيرِ هَذَا الْكِتَابِ ، وَيُؤْخَذُ عَلَيْهِ أَنَّ الْبَيْعَةَ
أَنْ لَا يُتَعَرَّضَ لَهُ . »

(٢) أَيْ بِقَرْبٍ ، وَالْجَرِيدَةُ : خَيْلٌ لَارِجَالَةٍ فِيهَا . (٣) طَفَلَتِ الشَّمْسُ : مَالَتْ لِلْغُرُوبِ .
(٤) وَفِي ابْنِ أَبِي الْحَدِيدِ « فَتَنَّاوَشُوا الْقِتَالَ قَلِيلًا كَلًّا وَلَا » ، وَالْعَرَبُ إِذَا أَرَادُوا تَقْلِيلَ مَدَّةِ فِعْلٍ
أَوْ ظَهُورَ شَيْءٍ خَفِيَ ، قَالُوا : كَانَ فِعْلُهُ كَلًّا . وَرَبْعًا كَرَّرُوا فَقَالُوا : كَلَّا وَلَا ، قَالَ الشَّاعِرُ :
* يَكُونُ نَزُولُ الْقَوْمِ فِيهَا كَلًّا وَلَا *

(٥) الْمَشْرِفِيَّةُ : السِّيُوفُ ، نِسْبَةً إِلَى مُشَارَفِ الشَّامِ : وَهِيَ قَرْيٌ مِنْ أَرْضِ الْعَرَبِ تَدْنُو مِنَ الرِّيفِ .

أصحابه بِضَعَةِ عَشَرَ رجلاً ، ونجا جَرِيضاً^(١) بعد ما أُخِذَ منه بِالْمُخَنَّقِ^(٢) ، ولم يبقَ منه غيرُ الرَّمَقِ ، فَلَأْيَا بِلَأْيٍ^(٣) ما نجا .

فَأَمَّا ما سألتني أن أكتب إليك برأبي فيما أنا فيه ، فَإِنَّ رَأْيِي قِتَالُ الْمُحِلِّينَ^(٤) حتى أَلْتَقَى اللهُ ، لا يَزِيدُنِي كَثْرَةُ النَّاسِ حَوْلِي عِزَّةً ، ولا تَفَرُّقُهُمْ عَنِّي وَحْشَةً ، لِأَنِّي مُحِقٌّ ، وَاللَّهُ مَعَ الْمُحِقِّ ، وَاللَّهُ ما أَكْرَهَ الموتَ على الحقِّ ، وما الخَيْرُ كُلُّهُ إِلَّا بعدَ الموتِ لِمَنْ كَانَ مُحِقًّا .

وَأَمَّا ما عَرَضْتَهُ عَلَيَّ مِنْ مَسِيرِكَ إِلَى بَيْنِيكَ وَبَنِي أَيْيِكَ ، فلا حَاجَةَ لِي فِي ذَلِكَ ، فَأَقِمْ رَاشِداً مَحْموداً ، فوالله ما أَحِبُّ أن تَهْلِكَوا معي إِنْ هَلَكْتُ ، ولا تَحْسَبَنَّ ابْنَ أَيْيِكَ وَلَوْ أَسْلَمَهُ^(٥) الزَّمانُ وَالنَّاسُ مُتَضَرِّعاً مُتَخَشِّعاً ، ولا مُقَرِّراً

(١) جريضا : أى مجهودا يكاد يقضى ، من جرض بريقه كفرح (لا ككسر) إذا ابتلع ريقه على هم وحزن بالجهد (والجريض أيضا : القصة) وفي المثل : « حال الجريض دون الفريض » أى دون الشعر ، يضرب لأمر يعوق دونه عائق ، قاله جوشن السكلاي حين منعه أبوه من الشعر فرض حزننا ، فرق له وقد أشرف ، فقال : انطق بما أحببت ، فقال ، والجريض بالحاء : الساقط لا يقدر على النهوض .

(٢) يقال أخذه بخناقه بالكسر والضم ومخنقه أى بحلقه : محل ما يوضع الخناق بالكسر وهو الحبل يخنق به ، ومن أمثالهم « بلغ منه المخنق » وهو مثل يضرب لمن يحمل عليه حتى يبلغ منهته ، والرمق : بقية الروح .

(٣) اللأئى : المشقة والشدة والجهد ، وأصله البطء والاحتباس وفعله كسى ، يقولون لأيا عرفت وبعد لأى فعلت : أى بعد جهد ومشقة ، قال زهير في معلقته :

وقفت بهامن بعد عشرين حجة فلايا عرفت الدار بعد توم

وفي حديث أم أيمن « قبلأئى ما استغفر لهم رسول الله » أى بعد مشقة وجهد وإبطاء ، وقال الشاعر : « فلايا بلائى ما حملنا غلامنا » أى جهدا بعد جهد قدرنا على حمله على الفرس فهو منصوب على المصدر القائم مقام الحال كقطع بفتة وجاء ركضا وقتلته صبرا ولقيته التقاطا ورأيت عيانا والعامل فى المصدر محذوف أى نجا مبطلًا مجهودا والباء فى الثانى بمعنى البعدية ، وما زائدة أو مصدرية ، وفى الإمامة والسياسة « فلولا الليل مانجا » .

(٤) انظر ص ٤٥٧ .

(٥) أسلمه : خذله ، واهنا : ضعيفا ، وسلس : أى لين سهل الاتقياد ، وطىء الظهر : أى لينه

لِلضَّيْمِ وَاهِنًا ، وَلَا سَاسَ الزَّمَامِ لِلنَّائِدِ ، وَلَا وَطِيَّ الظَّهْرِ لِلرَّاكِبِ الْمُقْتَمِدِ ،
ولكنه كما قال أخو بني سُليْمٍ :

فَإِنْ تَسْأَلْنِي كَيْفَ أَنْتَ ، فَإِنِّي صَبُورٌ عَلَى رَيْبِ الزَّمَانِ صَلِيبٌ^(١)
يَعِزُّ عَلَى أَنْ تُرَى بِي كَأَبَهُ فَيَشْمَتَ عَادٍ أَوْ يُسَاءَ حَبِيبُ
والسلام »

(الأغاني ١٥ : ٤٤ ، وشرح ابن أبي الحديد م ١ : ص ١٥٥ ،
ونهج البلاغة ٢ : ٤٣ ، والإمامة والسياسة ١ : ٤٤)

٥٤٧ - كتاب صعصعة بن صوحان إلى عقيل بن أبي طالب

ثم غاضبَ عقيلَ أخاه ففارقه ولحقَ بمعاوية^(١) ، وقد قال له معاوية يومًا :

(١) الصليب : الشديد ، والشعر ينسب إلى العباس بن مرداس السلمي .
(٢) روى أن عقيلًا لزمه دين فقدم على عليّ الكوفة ، فأنزله وأمر ابنه الحسن فكساه ، فلما
أمسى دعا بعشائه فإذا خبز وملح وبقل ، فقال عقيل : ما هو إلا ما أرى ؟ قال : لا ، قال : فتقضى
ديني ؟ قال : وكم دينك ؟ قال : أربعون ألفًا ، قال : ما هي عندي ، ولكن اصبر حتى يخرج عطائي
فإنه أربعة آلاف ، فأدفعه إليك ، فقال : بيوت المال بيدك ، وأنت تسوفني بعتائك ؟ قال : أتأمرني
أن أدفع إليك أموال المسلمين وقد ائتمنوني عليها ؟ قال : فإنني آت معاوية ، فأذن له ، فأتى معاوية
فأكرمه وقرّبه وقضى حوائجه وأدى عنه دينه ، وكان معاوية زوج خالته فاطمة بنت عتبة بن ربيعة -
انظر أسد الغابة ج ٣ : ص ٤٢٣ والفخرى لابن طباطبا ص ٧٦ والعقد الفريد ٢ : ١٠٩

وسأل معاوية عقيلًا يوما عن قصة الجديدة المحمّاء ، فبكى وقال : أنا أحدثك يا معاوية عنه ، ثم
أحدثك عما سألت :

« نزل بالحسين ابنه ضيف فاستسلف درهما اشترى به خبزًا ، واحتاج إلى الإدام فطلب من قنبر خادمهم
أن يفتح له زقا من زقاق غسل جاءتهم من اليمن ، فأخذ منه رطلا ، فلما طلبها عليه السلام ليقسمها قال :
ياقنبر ، أظن أنه حدث بهذا الزق حدث ، فأخبره ، فغضب وقال : عليّ بحسين فرقع عليه الدرة ،
فقال : بحق عمي جعفر - وكان إذا سئل بحق جعفر سكن - فقال له : ما حملك أن أخذت منه قبل
القسمه ؟ قال : إن لنا فيه حقا ، فإذا أعطيناه رددناه - قال : فدأك أبوك ، إن كان لك فيه حق
فليس لك أن تنتفع بمحقتك قبل أن ينتفع المسلمون بحقوقهم ، أما لولا أني رأيت رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم يقبل ثنيتك لأوجعتك ضربا ، ثم دمع إلى قنبر درهما كان مصرورا في رداءه ، وقال :
اشتر به خير غسل تقدر عليه ، قال عقيل : والله لكانني أنظر إلى يد عليّ وهي على قم الزق ، وقنبر
يقلب الغسل فيه ، ثم شده وجعل يبكي ويقول : اللهم اغفر لحسين فإنه لم يعلم . فقال معاوية : ذكرت
من لا ينكر فضله ، رحم الله أبا حسن ، فلقد سبق من كان قبله ، وأعجز من يأتي بعده ، هلم حديث

مَيِّزَ لِي أَصْحَابَ عَلِيٍّ ، وابدأ بآل صُوحَانَ ، فَإِنَّهُمْ مَخَارِيقُ ^(١) الكلام ، فوصفهم له وصفاً امتدحهم فيه بما هم أهله ^(٢) ، فاتصل كلام عقيل بصعصعة بن صُوحَانَ ، فكتب إليه :

« بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، ذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ، وَبِهِ يَسْتَفْتَحِ الْمُسْتَفْتِحُونَ وَأَنْتُمْ مِفَاتِيحُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ :

الحديدة ، قال : نعم ، أقوى وأصابني نخصة شديدة ، فسألته فلم تند صفاته ، فجمعت صبياني وجئته بهم ، والبؤس والضر ظاهران عليهم ، فقال : ائني عشية لأدفع إليك شيئاً ، فجئته يقودني أحد ولدي - وكان عقيل قد كف بصره - فأمره بالتعجى ، ثم قال : ألا فدونك ، فأهويت حريصاً قد غلبني الجشع ، أظنها صرة فرضعت يدي على حديدة تلتهب ناراً ، فلما قبضتها نبذتها وخرت كما يخور الثور تحت يد جازره ، فقال لي : تكلتك أمك ، هذا من حديدة أوقدت لها نار الدنيا ، فكيف بك وبني غدا إن سلكننا في سلاسل جهنم ؟ ثم قرأ : « إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ » ثم قال : ليس لك عندي فوق حقتك الذي فرضه الله لك إلا ما ترى ، فانصرف إلى أهلك : فجعل معاوية يتعجب ويقول : هيهات هيهات ! عقت النساء أن يلدن مثله - انظر شرح ابن أبي الحديد م ٣ : ص ٨٢ وقد أورد الشريف الرضي كلمة الإمام رضى الله عنه في هذا الصدد : « والله لأن أبيت على حسك السعدان مسهداً ، أو أجز في الأغلال مصفداً ، أحب إليّ من أن ألقى الله ورسوله يوم القيامة ظالماً لبعض العباد ، وغاصباً لشيء من الحطام ، وكيف أظلم أحداً لنفس يسرع إلى البلى قفولها ، ويطول في الثرى حلولها ؟ والله لقد رأيت عقيلاً وقد أملت حتى استأخنى من برم صاعاً ، ورأيت صبياناً شعث الشعور غير الألوان من فقرهم ، كأنا سودت وجوههم بالعظم (العظم بالكسر : سواد يصنع به) وعاودني مؤكداً ، وكرر على القول مردداً ، فأصغيت إليه سمى ، فظن أني أبيع ديني ، وأتبع قياده ، مفارقاً طريقى ، فأجيت له حديدة ثم أدنيتها من جسمه ليعتبر بها ، فضج ضجيج ذى دنف من ألمها ، وكاد أن يحترق من ميسمها ، فقلت له : تكلتك التواكل يا عقيل ، أنتن من حديدة أحماها لإنسانها للعبه وتجرنى إلى نار سجرها (أى أضرمها) جبارها لغضبه ؟ أنتن من الأذى ولا أنتن من لظى ؟ » انظر نهج البلاغة ج ١ : ص ٢٨٣ .

(١) مخاريق : جمع مخراق بالكسر ، وهو السيف ، والسيد ، والمتصرف في الأمور الذي لا يقطع في أمر إلا أخرج منه (والثور البرى يسمى مخراقاً لأن الكلاب تطالبه فيقتل منها) وفلان مخراق حرب : أى صاحب حروب يخف فيها .

(٢) قال فيهم : « أما صعصعة فعظيم الشأن ، غضب اللسان ، قائد فرسان ، قاتل أفران ، يرتقى مافق ، ويفتح مارتق ، قليل النظير ، وأما زيد وعبد الله فإنهما نهران جريان ، يصب فيهما الخلجان ويفات بهما البلدان ، رجلا لاجب معه ، وأما بنو صوحان فكما قال الشاعر :

إذا نزل العدو فإن عندي أسودا تخلس الأسد النفوسا

أما بعد : فقد بلغ مَوْلَاكَ^(١) كَلَامُكَ لِعَدُوِّ اللَّهِ وعدوه ، فحَمِدْتُ اللَّهَ
على ذلك وسألتُهُ أَنْ يَنْفِيَ^(٢) بك إلى الدرجة العُلْيَا ، والقَضِيبَ الْأَحْمَرَ ،
والعمود الأسود ، فَإِنَّهُ عَمُودٌ مِّنْ فَارَقِهِ فَارَقَ الدِّينَ الْأَزْهَرَ ، وَلَئِنْ نَزَعْتَ^(٣)
بك نَفْسُكَ إلى معاوية طلباً لماله ، إِنَّكَ لَدُوٌّ عِلْمٍ بِجَمِيعِ خِصَالِهِ ، فَاحْذَرُ أَنْ
تَعْلَقَ بك نَارُهُ ، فَيُضِلَّكَ عن المحَجَّةِ^(٤) ، فَإِنَّ اللَّهَ قد رفع عنكم أَهْلَ الْبَيْتِ
مَا وَضَعَهُ فِي غَيْرِكُمْ ، فَمَا كَانَ مِنْ فَضْلٍ أَوْ إِحْسَانٍ فِيكُمْ وَصَلَ إِلَيْنَا ، فَأَجَلَ اللَّهُ
أَقْدَارَكُمْ ، وَحَمَى أَخْطَارَكُمْ^(٥) ، وَكُتِبَ آثَارَكُمْ ، فَإِنْ أَقْدَارَكُمْ مَرْضِيَّةٌ ، وَأَخْطَارَكُمْ
مَحْمِيَّةٌ ، وَآثَارَكُمْ بَدْرِيَّةٌ ، وَأَنْتُمْ سُلِّمَ اللَّهُ إِلَى خَلْقِهِ ، وَوَسِيلَةٌ إِلَى طُرُقِهِ ، أَيْدٍ
عَلِيَّةٌ ، وَوُجُوهٌ جَلِيَّةٌ : وَأَنْتُمْ كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ^(٦) :

فَمَا كَانَ مِنْ خَيْرٍ أَتَوْهُ فَإِنَّمَا تَوَارَثَهُ آبَاءُ آبَائِهِمْ قَبْلُ
وَهَلْ يُنْبِتُ الْخَطَى إِلَّا وَشِيحُهُ وَتُغْرَسُ إِلَّا فِي مَنَابِتِهَا النَّخْلُ ؟

(مروج الذهب ٢ : ٧٦)

(١) مَوْلَاكَ هُنَا ، مَعْنَاهُ عَبْدُكَ : يَعْنِي نَفْسَهُ . (٢) فَأَنْفَيْءَ : رَجَعَ .

(٣) نَزَعْتَ : مَالَتْ وَاشْتَاقَتْ . (٤) الْحَجَّةُ : جَادَةُ الطَّرِيقِ .

(٥) أَيْ أَقْدَارَكُمْ : جَمْعُ خَطَرٍ بِالتَّحْرِيكِ .

(٦) هُوَ زُهَيْرُ بْنُ أَبِي سَلَمَى وَالبَيْتَانِ مِنْ أَيْيَاتِ قَالَهَا فِي مَدْحِ هَرَمِ بْنِ سَنَانٍ ، وَالْخَطَى : الرَّمَحُ
نَسَبَةً إِلَى الْخَطِّ : وَهُوَ مَرْفَأُ السَّفِينِ بِالْبَحْرَيْنِ ، نَسَبَتْ إِلَيْهِ الرَّمَاةُ لِأَنَّهَا كَانَتْ تَبَاعُ بِهِ لِأَنَّهُ مَنبَتُهَا ،
وَالْوَشِيحُ : شَجَرُ الرَّمَاةِ .

٥٤٨ - كتاب علي إلى كعب بن مالك

وكتب علي بن أبي طالب رضى الله عنه إلى كعب بن مالك أحد عماله :
 « أما بعد : فاستخلف على عملك ، وأخرج في طائفة من أصحابك حتى
 تمر بأرض السّواد كورة كورة ، فتسألهم عن عمّالهم ، وتنظر في سيرتهم ،
 حتى تمر بمن كان منهم فيما بين دجلة والفرات ، ثم أرجع إلى البهقبا ذات^(١)
 فتولّ معونتها ، واعمل بطاعة الله فيما ولّك منها ، وأعلم أن الدنيا فانية ، وأن
 الآخرة آتية ، وأن عمل ابن آدم محفوظ عليه ، وأنت مجزئ بما أسلفت ، وقادِمٌ
 على ما قدّمت من خير ، فاصنع خيراً تجد خيراً » . (كتاب الحراج ص ١٤١)

٥٤٩ - كتاب علي إلى بعض عماله

وروى الشريف الرضى رحمه الله في نهج البلاغة قال :
 وكتب علي عليه السلام إلى بعض عماله :
 « أما بعد : فإنك^(٢) ممن استظهر به على إقامة الدين ، وأقمع به نخوة الأثيم
 وأسدّ به لهامة^(٣) الشّعْرِ المخوف ، فاستعن بالله على ما أمّرك ، واخبط الشدة

(١) اسم لثلاث كور يبعدان من أعمال سقي الفرات منسوبة إلى قباز بن فيروز .
 (٢) الفقر الثلاث الأولى رواها الطبري في صدر الكتاب الذي كتبه علي إلى الأشتر (انظر ص ٥٤٧) والفقر الأربع التي بعدها رواها الطبري من وصية وصى بها علي الأشتر أيضا حين ولاه مصر
 إذ قال له : « ليس لها غيرك ، اخرج رحمك الله فأني إن لم أوصك اكتفيت برأيك ، واستعن بالله
 على ما أمرك . . . » (انظر تاريخ الطبري ٦ : ٥٤) وبقية الكتاب واردة في عهد علي لمحمد بن
 أبي بكر (انظر ص ٥٣٣) .

(٣) اللهاة : اللحمة المشرفة على الحلق .

بَضِغْتُ^(١) من اللين ، وارفُق ما كَانَ الرَفْقُ أَرْفَقَ ، واعتزم بالشدة حين لا يُغْنِي عنكَ إلا الشدة ، واخْفِضْ للرعية جَنَاحَكَ ، وَأَلِنْ لَهُمْ جَانِبَكَ ، وآسِ بَيْنَهُمْ فِي اللَّحْظَةِ وَالنَّظَرَةِ وَالْإِشَارَةِ وَالتَّحِيَّةِ ، حتى لا يَطْمَعَ الْعُظْمَاءُ فِي حَنِيفِكَ ، وَلَا يِيَّاسَ الضَّعَفَاءُ مِنْ عَدْلِكَ ، وَالسَّلَامُ . (نهج البلاغة ٢ : ٥٤)

٥٥٠ - كتاب علي إلى سهل بن حنيف

وكتب علي عليه السلام إلى سهل بن حنيف الأنصاري عامله على المدينة ، وقد لحق قوم من أهلها بمعاوية :

« أما بعد ، فقد بلغني أن رجالاً ممن قبَلَكَ يتسلَّلون^(٢) إلى معاوية ، فلا تَأْسَفْ على ما يفوتك من عَدَدِهِمْ ، ويذهبُ عنكَ من مَدَدِهِمْ ، فكفَى لَهُمْ غِيًّا وَلَكْ مِنْهُمْ شَافِيًّا ، فرارُهُم من الهدى والحق ، وإيضَاعُهُمْ^(٣) إلى العمى والجهل ، وإنما هم أهل دنيا مُقْبِلُونَ عليها ، ومُهْطِعُونَ^(٤) إليها ، وقد عَرَفُوا العَدْلَ وَرَأَوْهُ ، وَسَمِعُوهُ وَوَعَوْهُ ، وَعَلِمُوا أَنَّ النَّاسَ عِنْدَنَا فِي الْحَقِّ أُسْوَةٌ ، فَهَرَبُوا إِلَى الْأَثَرَةِ^(٥) ، فَبُعْدًا لَهُمْ وَسُخْطًا ، إِنَّهُمْ وَاللَّهِ لَمْ يَنْفِرُوا^(٦) مِنْ جَوْرِ ، وَلَمْ يَلْحَقُوا بِعَدْلٍ ، وَإِنَّا لَنَطْمَعُ فِي هَذَا الْأَمْرِ أَنْ يُذَلِّلَ اللَّهُ لَنَا صَعْبَهُ ، وَيَسَهِّلَ لَنَا حَزَنَهُ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، وَالسَّلَامُ . (نهج البلاغة ٢ : ٩٥)

(١) الضغت : قبضة حشيش مختلطة الرطب باليابس .

(٢) أى يخرجون في خفية واستتار . (٣) وضع البعير وأوضع : أسرع في سيره ، والعمى :

الضلال . (٤) أھطع : أسرع ، ووعاه : حفظه .

(٥) استأثر على أصحابه استثنائاً : اختار لنفسه أشياء حسنة ، والاسم منه الأثرة بالتحريك والأثرة

بالضم وبالكسر وكالهمزة ، والسحق : البعد .

(٦) وفي رواية « لم يفرّوا » والحزن : ما غلظ من الأرض ، ضد السهل .

٥٥١ - كتاب عليّ إلى المنذر بن الجارود العبدي

وكتب عليّ عليه السلام إلى المنذر بن الجارود العبديّ ، وقد كان استعمله على بعض النواحي فخان الأمانة :

« أما بعد : فإن صلاح أهلك^(١) غرّني منك ، وظننت أنك تتبع هديّه ، وتسلك سبيله ، فإذا أنت فيما رقيّ^(٢) إلىّ عنك لا تدع لهواك أنقياداً ، ولا تُبقي لآخرتك عتاداً^(٣) ، تعمّر دنياك بخراب آخرتك ، وتصلّ عشيرتك بقطيعة دينك^(٤) ، ولئن كان ما بلغني عنك حقّاً ، جمل^(٥) أهلك ، وشسّع نعلك ، خير منك ، ومن كان بصيفتك فليس بأهل أن يسدّ به ثغره ، أو ينقذ به أمره ، أو يعلى له قدر ، أو يُشرك في أمانة ، أو يؤمن على جباية ، فأقبل إلىّ حين يصل إليك كتابي هذا إن شاء الله . » (نهج البلاغة ٢ : ٩٦)

(١) هو الجارود بشر بن خنيس بن العليّ ، ويقيم بيت الشرف في عبد القيس ، كان نصرانياً فأسلم وحسن إسلامه ، وكان قد وفد مع المنذر بن ساوى في جماعة من عبد القيس ، وكان يقال : أطوع الناس في قومه الجارود ، لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم فارتدت العرب خطب قومه فقال : « أيها الناس ، إن كان محمد قد مات فإن الله حي لا يموت ، فاستمسكوا بدينكم ، ومن ذهب له في هذه الفتنة دينار أو درهم أو بقرة أو شاة فعلى مثله » فآخافه من عبد القيس أحد .

(٢) أي فيما رقى إلى . (٣) العتاد : العدة . (٤) كان فيما رقى إليه عنه أنه يقتطع المال ، ويفيضة على رهطه وقومه ، ويخرج بعضه في لذاته وما ربه . (٥) العرب تضرب بالجلّ المثل في الذلة والهوان ، قال العباس بن مرداس :

نقد عظم البعير بغير لب فلم يستغن بالعظم البعير
يصرفه الصبي بكل وجه ويحبسه على الحسف الجرير
وتضربه الوليدة بالهراوى فلا غير لديه ولا فكير

(انظر ديوان الحماسة ٢ : ١٦) وكذلك ضربوا المثل في الذلة بشع النعل ، (وهو سير تشد به) قالوا : « لا أذل من الشسع » كما قالوا : « أذل من النعل » وكان الحرث بن عباد البكري حين نشبت حرب البسوس بين بكر وتغلب قد اعتزل القوم ، فلما استحر القتل في بكر بعث ابنه بجيرا إلى مهلهل بن ربيعة في طلب الصلح ، فقتله مهلهل وقال له : « يؤبشع نعل كليب » .

٥٥٢ - كتاب وقف للإمام على كرم الله وجهه

وَوَقَفَ الْإِمَامُ عَلَى كَرَمِ اللَّهِ وَجْهَهُ لِسَنَتَيْنِ مِنْ خِلَافَتِهِ : « عَيْنُ أَبِي نَيْزَرَ وَالْبُغْيَيْغَةِ ^(١) » وَكَتَبَ بِذَلِكَ كِتَابًا نَصَهُ :

« بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، هَذَا مَا تَصَدَّقَ بِهِ عَبْدُ اللَّهِ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، تَصَدَّقَ بِالضَّيْعَتَيْنِ الْمَعْرُوفَتَيْنِ بَعَيْنِ أَبِي نَيْزَرَ ، وَالْبُغْيَيْغَةِ ، عَلَى فَقَرَاءِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ وَابْنِ السَّبِيلِ ، لِيَتَقِيَ اللَّهُ بِهِمَا وَجْهَهُ حَرَّ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، لَا تُبَاعَا وَلَا تُوهَبَا حَتَّى يَرِثَهُمَا اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ، إِلَّا أَنْ يَحْتَاجَ إِلَيْهِمَا الْحَسَنُ أَوْ الْحُسَيْنُ ، فَهَمَا طَلَقُ ^(٢) لَهُمَا ، وَلَيْسَ لِأَحَدٍ غَيْرِهِمَا » .

(السَّكَاكِلُ لِلْمَعْرُوفِ ٢ : ١٤١ ، وَمَعْجَمُ الْبُلْدَانِ ٦ : ٢٥٢)

توقيعات الخلفاء الراشدين

كَتَبَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ إِلَى أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا مِنْ دُومَةِ الْجَنْدَلِ يَسْتَأْذِنُهُ فِي أَمْرِ الْعَدُوِّ ، فَوَقَّعَ إِلَيْهِ :

« أَدْنُ مِنَ الْمَوْتِ تُوهَبُ لَكَ الْحَيَاةُ ^(٣) »



وَكُتِبَ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ إِلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا مِنْ

(١) ضيعتان بالمدينة . (٢) أى حلال .

(٣) وجاء في مجمع الأمثال للميداني ج ٢ : ص ٢٧٦ وفي نهاية الأرب ج ٣ : ص ٤ « ومن كلام أبي بكر الصديق رضى الله عنه : « احرص على الموت ، توهب لك الحياة » قاله لخالد بن الوليد حين بعثه إلى أهل الردة .

الكوفة يستأذنه في بناء دار الإمارة ، فوقع إليه :
 « ابْنِ مَا يَسْتُرُ مِنَ الشَّمْسِ ، وَيُكِنُّ ^(١) مِنَ الْمَطَرِ »
 وفي رواية : « ابْنِ مَا يَكْنُكَ مِنَ الْهَوَاجِرِ ^(٢) وَأَذَى الْمَطَرِ »

❖❖

ووقع عمر إلى عمرو بن العاص :
 « كُنْ لِرَعِيَّتِكَ كَمَا تَحِبُّ أَنْ يَكُونَ لَكَ أَمِيرُكَ »

❖❖

ووقع عثمان في قصة قوم تظلموا من مروان بن الحَكَم ، وذكروا أنه
 أَمَرَ بَوَجْءٍ ^(٣) أَعْنَاهُمْ :
 « فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيٌّ بِمِمَّا تَعْمَلُونَ »

❖❖

ووقع عثمان في قصة رجل شكَا عِيْلَةً ^(٤) :
 « قَدْ أَمَرْنَاكَ بِمَا يُقِيمُكَ ، وَلَيْسَ فِي مَالِ اللَّهِ فَضْلٌ لِلْمُسْرِفِ »

❖❖

ووقع على كرم الله وجهه إلى طلحة بن عبيد الله :
 « فِي بَيْتِهِ يُؤْتَى الْحَكَمُ »

(١) كنه كرده وأكنه : ستره وصانه . (٢) الهواجر : جمع هاجرة : وهي شدة الحر .
 (٣) وجاء بالسكين كوضعه : ضربه ، وجاء في خاص الخاص : « وكتب إلى عمر نفر من أهل مصر
 يشكون مروان بن الحكم ، فوقع في كتابهم : فَإِنْ عَصَوْكَ . . . الخ » . (٤) العيلة : الفقر .



وكتب الحسين بن عليّ إلى أبيه رضي الله عنهما في شيء من أمر عثمان رضي الله عنه ، فوقع إليه :
« رأى الشيخ خيرٌ من مشهد الغلام »



ووقع في كتاب سلمان الفارسي - وسأله كيف يحاسب الناس يوم القيامة - ؟ :
« يحاسبون كما يُرزقون »



وكتب إليه الحُضَيْن بن المُنْذِر بصِفَيْن : « يا أمير المؤمنين ، قد أسرع السيف في « ربيعة » وخاصةً في أسرى منهم » فوقع إليه :
« بَقِيَّةُ السَّيْفِ أَغْنَى ^(١) عَدَدًا »



ووقع في كتاب جاءه من الأشر النخعي ، فيه بعض ما يكرهه :
« مَنْ لَكَ بِأَخِيكَ كُلُّهُ ؟ »



ووقع في كتاب صُوحَا ن يسأله في شيء .
« قيمة كل امرئ ما يُحْسِن »

(العقد الفريد ٢ : ١٨٥ وخاص الخاص ص ٦٧)
تم الجزء الأول بحمد الله وتوفيقه ، وبإيد : الجزء الثاني ، وأوله : الرسائل في العصر الأموي

(١) أي أكثر ، من نعماء ونعمي ونعمي : إذا زاد وكثر ، وفي العقد وخاص الخاص « أنهى » وهو تعريف ، وفيها أيضا « الحصين » بالصاد المهملة وهو تصحيف .